



فهرست الجزء الثالث وهو الرابع الثالث من كتاب احياء علوم الدين لجة الاسلام الغزالي

صفحة	صفحة
٤٤	٢ كتاب شرح محائب القلب وهو الاول
٤٦	٣ بيان معنى النفس والروح والقلب
٤٨	٥ بيان جنود القلب
٥٠	٦ بيان امثلة القلب مع جنوده الباطنة
٥٣	٧ بيان خاصية قلب الانسان
٥٥	١٢ بيان مثال القلب بالاضافة
٥٦	الى العلوم خاصة
٥٧	١٥ بيان حال القلب بالاضافة الى اقسام
٦١	العلوم العقلية والدينية والدينية
٦٢	والاخروية
٦٦	١٧ بيان الفرق بين الالهام والتعلم والفرق
٧٠	بين طريق الصوفية في استكشاف
٧١	الحق وطريق النظر
٧٤	١٩ بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس
٧٨	٢١ بيان شواهد النقل من آرباب البصائر
٨٤	وشواهد النسخ
٨٧	٢١ بيان علامات حسن الخلق
٨٩	٢٢ بيان الطريق في رياضة الصبيان
	في أول نشوؤهم ووجه تأديبهم
	وتحسين أخلاقهم
	٢٦ بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة
	وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة
	٧٠ كتاب كسر الشهوتين وهو الكتاب
	الثالث من ربيع المهلكات
	٧١ بيان فضيلة الجوع وزم الشبع
	٧٤ بيان فوائد الجوع وآفات الشبع
	٧٨ بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن
	٨٤ بيان اختلاف حكم الجوع وفضيله
	واختلاف أحوال الناس فيه
	٨٧ بيان آفة الرياء المتطرق الى من ترك
	أكل الشهوات وقلل الطعام
	القول في شهوة الفرج
	٨٩ بيان ما على المريد في ترك الترويح وفعله

صفحة	صفحة
١٢٧	٩٢ بيان فضيلة من يخالف شهوة
١٢٨	الفرج والعين
١٢٩	٩٥ كتاب آفات اللسان وهو الكتاب
١٣٠	الرابع من ربيع المهلكات من كتاب
١٣٢	احياء علوم الدين
١٣٣	٩٦ بيان عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت
١٣٤	٩٨ الآفة الاولى من آفات اللسان
١٣٤	الكلام فيما لا يترك
١٣٥	١٠٠ الآفة الثانية فضول الكلام
١٣٦	١٠١ الآفة الثالثة الخوض في الباطل
١٣٧	١٠١ الآفة الرابعة المراء والجدال
١٣٨	١٠٣ الآفة الخامسة الخسومة
١٤٠	١٠٤ الآفة السادسة التعر في الكلام
١٤١	بالتشق الخ
١٤٢	١٠٥ الآفة السابعة القش والسب
١٤٣	وبيادة اللسان
١٤٤	١٠٦ الآفة الثامنة العن
١٤٦	١٠٨ الآفة التاسعة الغضاو النهر
١٤٦	١٠٩ الآفة العاشرة المزاح
١٤٦	١١١ الآفة الحادية عشر السخرية والاستهزاء
١٤٦	١١٢ الآفة الثانية عشر اثناء السر
١٥٠	١١٢ الآفة الثالثة عشر الوعد الكاذب
١٥٠	١١٣ الآفة الرابعة عشر الكذب
١٥٠	في القول واليمين
١٥٣	١١٥ بيان ما يخص فيه من الكذب
١٥٤	١١٧ بيان الحذر من الكذب بالمعارض
١٥٤	١١٩ الآفة الخامسة عشر الغيبة
١٥٤	والتطرف الطويل
١٥٤	١٢٠ بيان معنى الغيبة وحدودها
١٥٦	١٢١ بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان
١٥٨	١٢٢ بيان الاسباب الباعثة على الغيبة
١٦٠	١٢٤ بيان العلاج الذي به يمنع اللسان
	عن الغيبة
	١٢٦ بيان شحرم الغيبة بالقلب
١٢٧	بيان الاعذار المرخصة في الغيبة
١٢٨	بيان كفارة الغيبة
١٢٩	الآفة السادسة عشر التنمية
١٣٠	بيان حذ التنمية وما يجب في ردها
١٣٢	الآفة السابعة عشر كلام ذي اللسانين الخ
١٣٣	الآفة الثامنة عشر الدح
١٣٤	بيان ما على المتكويح
١٣٤	الآفة التاسعة عشر في الغفلة
١٣٥	من دقائق الخطأ في غوى الكلام
١٣٦	الآفة العشر من سؤال العوام
١٣٦	عن صفات الله تعالى الخ
١٣٦	كتاب ذم الغضب والحقد والحسد
١٣٧	وهو الكتاب الخامس من ربيع
١٣٨	المهلكات من كتب احياء علوم الدين
١٣٧	بيان ذم الغضب
١٣٨	بيان حقيقة الغضب
١٤٠	بيان الغضب هل يمكن ازالته أصله
١٤١	بالرياضة أم لا
١٤٣	بيان الاسباب المهيبة للغضب
١٤٤	بيان علاج الغضب بعد هيجانه
١٤٦	فضيلة كظم الغيظ
١٤٦	فضيلة الحلم
١٥٠	القول في معنى الحقد وتناجيه
١٥٠	وفضيلة العفو والرفق
١٥٣	فضيلة العفو والاحسان
١٥٤	فضيلة الرزق
١٥٤	القول في ذم الحسد وفي حقيقة وأسبابه
١٥٤	ومعالجته وغاية الواجب في ازالته
١٥٤	بيان ذم الحسد
١٥٦	بيان حقيقة الحسد وحكمه
١٥٨	وأقسامه ومراتبه
١٥٨	بيان أسباب الحسد والمنافسه
١٦٠	بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال
	والاقران والاخوة وبني العم والاقراب

صحيفة	صحيفة
٢١٩ بيان ذم التقى ومدح الفقر	وتأ كده وقتله في غيرهم وضعفه
٢٢٨ كليب ذم الجاه والرياء وهو الكتاب الثامن	١٦٢ بيان الدواء الذي ينفي مرض
من رزع المهلكات من كتب احياء علوم	الحسد من القلب
الدين (ويشتمل على شطرين	١٦٥ بيان القدر الواجب في نفي
٢٢٨ (الشرط الاول) في حب الجاه والشهرة	الحسد من القلب
وفيه بيان ذم الشهرة الخ	١٦٦ كتاب ذم الدنيا وهو الكتاب السادس
٢٢٩ بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت	من رزع المهلكات من كتب احياء
٢٢٩ بيان فضيلة الجول	علوم الدين
٢٣١ بيان ذم حب الجاه	١٦٧ بيان ذم الدنيا
٢٣١ بيان معنى الجاه وحقيقته	١٧٥ بيان المواظف في ذم الدنيا وصفها
٢٣٢ بيان سبب كون الجاه محبوا بالاطبع	١٧٨ بيان صفة الدنيا بالامثلة
حتى لا تخلو عنه قلب الاشد يد المجاهدة	١٨٢ بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد
٢٣٥ بيان الكمال الحقيقي والكمال	١٨٦ بيان حقيقة الدنيا في نفسها واشغالها
الوهمي الذي لا حقيقة له	التي استغرقت همهم الخلق حتى أنسهم
٢٣٧ بيان ما يحمي من حب الجاه وما يئلم	أنفسهم وخالفهم ومصدرهم وموردتهم
٢٣٨ بيان السبب في حب المدح والثناء	١٩٢ كتاب ذم البخل وحب المال وهو الكتاب
وارتياح النفس به وميل الطبع اليه	السابع من رزع المهلكات من كتب
ونقصها الذم ونفرتها هامة	احياء علوم الدين
٢٣٩ بيان علاج حب الجاه	١٩٣ بيان ذم المال وكرهه في حبه
٢٤١ بيان وجه العلاج لحب المدح	١٩٥ بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم
وكرهه الذم	١٩٦ بيان تفصيل آفات المال وفوائده
٢٤٢ بيان علاج كراهة الذم	١٩٨ بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة
٢٤٣ بيان اختلاف أحوال الناس	والباس بما في أيدي الناس
في المدح والذم	٢٠١ بيان علاج الحرص والطمع والدواء
٢٤٤ (الشرط الثاني) من الكتاب في طلب	الذي يكتسب به صفة القناعة
الجاه والمترتبة بالعمادات وهو الرياء	٢٠٢ بيان فضيلة السخاء
وفيه بيان ذم الرياء الخ	٢٠٥ حكايات الامنياء
٢٤٥ بيان ذم الرياء	٢٠٩ بيان ذم البخل
٢٤٧ بيان حقيقة الرياء وما يراه به	٢١٢ حكايات الصلاء
٢٥١ بيان درجات الرياء	٢١٣ بيان الاشارة وفضله
٢٥٥ بيان الرياء الخفي الذي هو أخفى	٢١٤ بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما
من ديب الخمل	٢١٦ بيان علاج البخل
٢٥٧ بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي	٢١٨ بيان مجموع الوظائف التي
والخفي وما لا يحبط	على العبد في ماله

صفحة	موضوع	صفحة	موضوع
٢٥٩	بيان دواء الرأى وطريق معالجة القلب فيه	٢٩٦	بيان البواعث على التكبر وأسبابه المهيبة له
٢٦٦	بيان الرخصة في قصد اظهار الطاعات	٢٩٧	بيان اخلاق المتواضعين وبما يحرم ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر
٢٦٨	بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم له	٣٠٠	بيان الطريق في معالجة التكبر واكتساب التواضع له
٢٧٠	بيان ترك الطاعات خوفاً من الرأى ودخول الآفات	٣٠٩	بيان غاية الرياضة في خلق التواضع (الشرط الثاني) من الكتاب في العجب وقبه
٢٧٦	بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح	٣١٠	بيان ذم العجب وآفاته
٢٧٩	بيان ما ينبغي للمرشد أن يلزم نفسه قبل العمل ويعدده وقبه	٣١١	بيان آفة العجب
٢٨٢	كتاب ذم التكبر والعجب وهو الكتاب التاسع من ربيع المهلكات من كتب احياء علوم الدين (و يشتمل على شطرين)	٣١١	بيان حقيقة العجب والادلال وحدهما
٢٨٤	(الشرط الاول) من الكتاب في التكبر وفيه بيان ذم التكبر الخ	٣١٢	بيان علاج العجب على الجملة
٢٨٣	بيان ذم التكبر	٣١٥	بيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه
٢٨٤	بيان ذم الاختيال واظهار آثار التكبر في المشي وجز الثياب	٣١٨	كتاب ذم الغرور وهو الكتاب العاشر من ربيع المهلكات من كتب احياء علوم الدين
٢٨٥	بيان فضيلة التواضع	٣١٩	بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثله
٢٨٨	بيان حقيقة التكبر وآفته	٣٢٧	بيان أصناف المغترين وأقسام كل صنف وهم أربعة أصناف
٢٨٩	بيان التكبر عليه ودرجته وأقسامه وغرارة التكبر فيه	٣٢٧	الصنف الاول أهل العلم
٢٩١	بيان ما به التكبر	٣٢٩	الصنف الثاني أرباب العبادة والعمل
		٣٤٢	الصنف الثالث المتصوفة
		٣٤٥	الصنف الرابع أرباب الاموال

الربع الثالث من كتاب أحياء علوم الدين تأليف
 الإمام العالم العلامة المحقق المدقق حجة
 الاسلام أبي حامد محمد بن محمد بن
 محمد الغزالي قدس الله روحه
 ونور ضريحه
 آمين

٢

كتاب الربع الثالث من الأحياء
 كتاب شرح عجائب القلب وكتاب رياضة النفس وكتاب آفات الشهوات
 شهوة البطن وشهوة الفرج وكتاب آفات اللسان وكتاب آفات الفم والحقد
 والحسد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال والبخل وكتاب ذم الجاه والرياء
 وكتاب ذم التكبر والجبر وكتاب ذم الفرور

سعد محمد



(الحمد لله الذي تصيدون ادرالجلاله القلوب والخواطر * وتدهش في مبادئ اشراق أنواره الاحداق والنواظر * المطلع على خفيات السمائر * العالم بمكنونات البصائر * المستغنى في تدبير ملكته عن المشاور والموازر * مقلب القلوب وتقار الذنوب * ويستأثر الصيوب ومفرج الكرب * والصلاة على سيد المرسلين * وجامع شمل الدين * وقاطع دوائر المحدثين * وعلى آله الطيبين الطاهرين * وسلم كثيرا (أما بعد) فتشرف الإنسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصفاء الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكلامه ونفوره وفي الآخرة عظمته وذخره وإنما استعد للعرفة بقلبه لا بمجرد جوارحه فأنقلب هو العالم بالله وهو المتقرب إلى الله وهو العامل لله وهو الساعي إلى الله وهو المكاشف بما عند الله ولديه وإنما الجوارح أمتاع وخدم وآلات يستعملها القلب ويستعملها استعمال المالك للعباد واستخدام الراعي للرعية والصانع للألة فالقلب هو المقبول عند الله إذ اسلم من غير الله وهو المحبوب عن الله إذ اصاب مستغفر فاغفر الله وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب وهو الذي يسعد بالقرى من الله فيعلم إذا زكاه وهو الذي ينسب ويشقى إذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره وهو العاصي المتمرد على الله تعالى وإنما السارى إلى الأعضاء من القواحش آثاره وباطلامه واستنارته تظهر بحاسن الظاهر ومساويه اذ كل اثناء ينضج بما فيه وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي اذا جهل الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل اذا كثرت الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم وبين أنفسهم فان لله يحول بين المرء وقلبه ويحولته بأن يمنعه من مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية قلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن وأنه كيف يهوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تصيدون ادرالجلاله القلوب والخواطر * وتدهش في مبادئ اشراق أنواره الاحداق والنواظر * المطلع على خفيات السمائر * العالم بمكنونات البصائر * المستغنى في تدبير ملكته عن المشاور والموازر * مقلب القلوب وتقار الذنوب * ويستأثر الصيوب ومفرج الكرب * والصلاة على سيد المرسلين * وجامع شمل الدين * وقاطع دوائر المحدثين * وعلى آله الطيبين الطاهرين * وسلم كثيرا (أما بعد) فتشرف الإنسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصفاء الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكلامه ونفوره وفي الآخرة عظمته وذخره وإنما استعد للعرفة بقلبه لا بمجرد جوارحه فأنقلب هو العالم بالله وهو المتقرب إلى الله وهو العامل لله وهو الساعي إلى الله وهو المكاشف بما عند الله ولديه وإنما الجوارح أمتاع وخدم وآلات يستعملها القلب ويستعملها استعمال المالك للعباد واستخدام الراعي للرعية والصانع للألة فالقلب هو المقبول عند الله إذ اسلم من غير الله وهو المحبوب عن الله إذ اصاب مستغفر فاغفر الله وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب وهو الذي يسعد بالقرى من الله فيعلم إذا زكاه وهو الذي ينسب ويشقى إذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره وهو العاصي المتمرد على الله تعالى وإنما السارى إلى الأعضاء من القواحش آثاره وباطلامه واستنارته تظهر بحاسن الظاهر ومساويه اذ كل اثناء ينضج بما فيه وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي اذا جهل الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل اذا كثرت الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم وبين أنفسهم فان لله يحول بين المرء وقلبه ويحولته بأن يمنعه من مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية قلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن وأنه كيف يهوى

مرّة إلى أسفل السافلين وينخفض إلى أفق الشياطين وكيف يرتفع أخرى إلى أعلى عليين ويرتقي إلى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه لمراقبه وبرايمه ويرتد بلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو عن قال الله تعالى فيه نسوا اللذات أناسهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب وتحقیقه أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين واقتضى من الشطر الأول من هذا الكتاب من النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووجدنا أن أنشر في الشطر الثاني ما يجري على القلب من الصفات المهلكة والنصائح وهو العلم الباطن فلا بد أن نبدأ عليه كتابين كتاب في شرح عجائب صفات القلب وأخلاقه وكتاب في كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه ثم يتدفق بعد ذلك في تفصيل المهلكات والنصائح فليذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الأمثال ما يقرب من الفهم فإن التصريح بجبايته وأسراره الباطنة في جملة عالم الملكوت مما يكمل عن دركه أكثر الفهم

● بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد من هذه الاسامي

اعلم أن هذه الاسماء الاربعة تستعمل في هذه الايات وبقل في غول العلماء من يحيط بهذه الاسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها أكثر الاغاليط منشأها الجهل بمعنى هذه الاسامي واشتركاها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح في معنى هذه الاسامي ما يتعلق بقرضنا (اللفظ الأول) لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين ● أحدهما العلم الصوري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود وهو منبع الروح ومعدنه وليس له قصد الا أن شرح شكله وكيفيته انبعتق به فرض الاطام لا يتعلق به الاغراض الدينية وهذا القلب موجود بلها ثم بل هو موجود لبيت ونحن اذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فإنه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة اذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآمين ● والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها هذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهو المدرك العالم العارف من الانسان وهو الخاطب والمعاقب والمعالج والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد نصبرت يقول أكثر الخلق في ادراك وجهه علاقته فإن تعلقه به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاصناف بالموصوفات أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة أو تعلق المتكسب بالمكان ونشرح ذلك مما تتوقاه لمعنيين ● أحدهما انه متعلق بعلوم المكشوفة وليس بقرضنا من هذا الكتاب العلوم العاملة ● والثاني أن تحقيقه يستدعي انشاء سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لغيره أن يتكلم فيه والمقصود اننا اذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة وقرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقة ذاتها وعلم العاملة يقتضي معرفة صفاتها وأحوالها ولا يقتضي الذي ذكر حقيقة ذاتها لفظ الثاني في الروح وهو أيضا يطلق فيما يتعلق بقرضنا لمعنيين ● أحدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني فينشر بواسطة العروق والضواري إلى سائر أجزاء البدن وجرياتها في البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها أيضا هي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فإنه لا ينتهي إلى جزء من البيت الا ويستنير به والحياة مثالها النور الحاصل في المحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وتروكته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتركه والاطباء اذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف أفتخيت حرارة القلب وليس شرحه من قرضنا اذ المتعلق به تعرض الاطباء الذين يعالجون الابدان فأما غرض اطباء الدين المعالجين للقلوب فمخبر

ينساق إلى خوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلاً * المعنى الثاني هو اللطيفة
العالمية المدركة من الإنسان وهو الذي شرخناه في أحد معاني القلب وهو الذي أراد الله تعالى بقوله
قل الروح من أمر ربي وهو أمر عيب ربي أن نقرأ أكثر العقول والافهام عن ذلك حقيقته **اللفظ**
الثالث النفس وهو أيضاً مشترك بين معانٍ ويتعلق بفرضنا منه معنيان * أحدهما أنه
يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان على ما سبقت في شرحه وهذا الاستعمال هو
الغالب على أهل التصوف لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان
فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها وإليه الإشارة بقوله عليه السلام أعدى عدوك
نفسك التي بين جنبيك * المعنى الثاني هي اللطيفة التي ذكرناها التي هي الإنسان بالحقيقة وهي
نفس الإنسان وذاته ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها فإذا استكنت تحت
الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى
في مثلها يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية والنفس بالمعنى الأول لا يتصور
رجوعها إلى الله تعالى فإنها مبعدة عن الله وهي من حزب الشيطان وإن لم يتم سكوتها ولكنها صارت
مداخلة للنفس الشهوانية ومعارضة عليها سميت النفس اللوامة لأنها تلوم صاحبها عند قصوره
في عبادة مولاه قال الله تعالى ولا أقسم بالنفس اللوامة وإن تركت الاعتراض وإن كنت وأطاعت
لقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الآمرة بالسوء قال الله تعالى إخباراً عن
يوسف عليه السلام وأمرأة العزيز وما ترى نفسي إن النفس لأمارة بالسوء وقد يجوز أن يقال
المراد بالآمرة بالسوء هي النفس بالمعنى الأول فإذا النفس بالمعنى الأول مذمومة غاية الذم والمعنى
الثاني محمود لأنها نفس الإنسان أي ذاته وحقيقته العالمية بالله تعالى وسائر المعلومات **اللفظ**
الرابع العقل وهو أيضاً مشترك لمعانٍ مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بفرضنا من حملها
معنيان * أحدهما أنه قد يطلق ويراد العلم بمخالفات الأمور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي
يحل به القلب والثاني أنه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب أعني تلك اللطيفة ونحن نعلم
أن كل عالم فله في نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه والعلم صفة حالته فيه والصفة غير الموصوف والعقل
قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الإدراك أعني المدرك وهو المراد بقوله صلى الله
عليه وسلم أول ما خلق الله العقل فإن العلم عرض لا يتصور أن يكون أول مخلوق بل لا بد أن يكون
المحل مخلوقاً قبله ومعه لأنه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر أنه قال له تعالى أقبل فأقبل ثم قال له أدير
فأدير الحديث فإذا قد انكشف لك أن معاني هذه الأسماء موجودة وهي القلب الجسماني والروح
الجسماني والنفس الشهوانية والعلوم فهذه أربعة معانٍ يطلق عليها الألفاظ الأربعة ومعنى
خامس وهي اللطيفة العالمية المدركة من الإنسان والألفاظ الأربعة يحملها تنوار عليها فالمعاني
خمس والألفاظ أربعة وكل لفظ أطلق لبعضين وأكثر العلماء قد التبس عليها اختلاف هذه الألفاظ
وتوارد هاترهم يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر
القلب وهذا خاطر النفس وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الأسماء ولا لعل كشف
الغطاء من ذلك قد مناشح هذه الأسماء وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى
الذي يفهم من الإنسان ويعرف حقيقة الأشياء وقد يكتفى عنه بالقلب الذي في الصدر لأن بين تلك
اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فإنها وإن كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها
تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الأول بالقلب وكأنه محلها ومملكتها وأعمالها ومطيها ولذلك شبهه

سهل التسترى القلب بالعرش والصدر بالكرسی فقال القلب هو العرش والصدر هو الكرسي ولا يظن به أنه يرى أنه عرش الله وكرسيه فان ذلك محال بل أراد به أنه ملكته والجزى الأول لتدبيره وقصره فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسي بالنسبة الى الله تعالى ولا يستقيم هذا التشبيه أيضا الا عن بعض الوجوه وشرح ذلك أيضا ليليق بفرضنا فلتباوزه

بيان جنود القلب

قال الله تعالى وما علم جنود ربنا الا هو قلته سبحانه في القلوب والارواح وغيرهما من العوالم جنود مجتدة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا هو ونحن الآن نشير الى بعض جنود القلب فهو الذي يتعلق بفرضنا وله جندان جنديرى بالاىصار وجندلا يرى الابالصار وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان فهذا معنى الجند فاما جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والاذن واللسان وسائر الاعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومضرة له فهو المنصرف فيها والمرد لها وقد خلقت بمجولة على طاعته لاستطيع له خلافا ولا عليه تمر اذا فادأ امر العين بالانفتاح انفتحت واذا امر الرجل بالحركة تحركت واذا امر اللسان بالكلام وحزم الحكم به تكلم وكذا سائر الاعضاء وتسخير الاعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى فانهم مجبولون على الطاعة لاستطيعون له خلافا بل لا يصرون الله امرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما بقية فان في شئ وهو ان الملائكة عليهم السلام عالة بطاعتها وامثالها والايقان تطيع القلب في الانفتاح والانطباع على سبيل التسخير واخبر لها من نفسها ومن طاعة القلب وانما اقتصر القلب الى هذه الجنود من حيث اقتضاه الى المركب والزاد لسره الذي لاجله خلق وهو السفر الى الله سبحانه وقطع المنازل الى لقائه فلاجله خلقت القلوب قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وانما سر كبه البدن وزادوا العلم وانما الاسباب التي توصله الى الزاد وتمكنه من التزوّد منه هو العمل الصالح وليس يمكن العبد ان يصل الى الله سبحانه ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الاخرى لا يذم قطعه للوصول الى المنزل الاقصى فالدين امر رعة الاخر وهى منزل من منازل الهدى وانما سميت دنيا لانها أدنى المنزلين فاضطر الى أن يتزوّد من هذه العالم فالبدن سر كبه الذي يصل به الى هذا العالم فاقترأ الى تعهد البدن وحفظه وانما يحفظ البدن بأن يجلب اليه ما يوفقه من الغذاء وغيره وان يدفع عنه ما ينافيه من أسباب الملائكة فافتقر لاجل جلب الغذاء الى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والاعضاء الخالبة للغذاء فخلق في القلب من الشهوات ما يحتاج اليه وخلق الاعضاء التي هي آلات للشهوة فافتقر لاجل دفع المهلكات الى جندين باطن وهو الغضب الذي يدفع المهلكات ويتنقم من اعداءه وظاهر وهو اليد والرجل الذي يهاجم على مقتضى الغضب وكل ذلك بأمر فالجوارح من البدن كالاسلحة وغيرها ثم احتاج الى الغذاء ما لم يعرف الغذاء لم تنفع شهوة الغذاء ما لقيه فافتقر للعرفه الى جندين باطن وهو اذنه والسمع والبصر والشم واللسان والذوق وظاهر وهو العين والاذن والانف وغيره فلو تفصيل وجه الحاجة اليها ووجه الحكمة فيها بطول ولا تحويه بمجلدات كثيرة وقد أشرفنا الى طرق يسير منها في كتاب الشكر فليقتنع به جملة جنود القلب بتصرها ثلثة أصناف صنف باعش وصنف امالى جلب النافع للواقع كالشهوة وامالى دفع الضرر المتأني كالغضب وقد يعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبثوثة في سائر الاعضاء لاسيما العضلات منها والاوراق والتالي هو المذكور المتعريف بالاشبهة

كالجواسيس وهي قوة البصر والسمع والشم والذوق واللس وهي مشبوبة في أعضائها معينة ويعبر عن
هنا بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الأعضاء المركبة
من اللحم والعصب والدم والعظم التي اعتدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش انما هي
بالاصابع وقوة البصر انما هي بالعين وكذا سائر القوى ولست اتكلم في الجنود الظاهرة أعني الأعضاء
فانها من عالم الملك والشهادة وانما نتكلم الآن فيما يدرك به من جنودهم وهو هذا الصنف الثالث
وهو المدرك من هذه الجلة ينقسم الى ما قد أسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس أعني السمع
والبصر والشم والذوق واللس والى ما أسكن منازل باطنية وهي تجاويف الدماغ وهي أيضا خمسة
فان الانسان بعد رؤية الشيء ينحس حينه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم يتبقى تلك الصورة
معه بسبب شيء يحفظه وهو الجنود الحافظة ثم يفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى البعض ثم يذكر
ما قد نسيه ويعود اليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشتركين المحسوسات
ففي الباطن حس مشترك وتخيّل وتفكر وتدكر وحفظ ولولا خلق الله قوة الحفظ والفكر والذكر
والتخيّل لكان الدماغ غيلا منه كما يتخلو اليد والرجل عنه فكذلك القوى أيضا جنود باطنية وأما كتبها
أيضا باطنية فهذه هي أقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء بضرب الأمثلة
يطول ومقصود مثل هذا الكتاب أن ينتفع به الاقوياء والفحول من العلماء ولكنا نجتهد في تفهيم
الضعفاء بضرب الأمثلة ليقرّب ذلك من أفهامهم

بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة

اعلم أن جندي الغضب والشهوة قد يتفادان القلب اتقادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذي
يسلكه وتحسن مراقبته في السفر الذي هو يصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بني وعمر حتى
يلكاه ويستعبده وفيه هلاكه واقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد والقلب
جنود آخر وهو العلم والحكمة والتفكير كما سيأتي شرحه وحقه أن يستعين بهذا الجنود فانه
حزب الله تعالى على الجندين الآخرين فانهم اقد يلتصقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط
على نفسه جنود الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر حبرا تاما في ذلك حاله أكثر الخلق فان
عقولهم صارت مضطرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي أن تكون
الشهوة مضطرة لعقولهم فيما يقتقر العقل اليه ونحن نقرب ذلك الى فهمك بثلاثة أمثلة
في المثال الاول أن تقول مثل نفس الانسان في بدنه أعني بالنفس الطيفة المذكورة كمثل
ملك في مدينته وملكته فان البدن ملكة النفس وطالها ومستقرها ومدنها وجوارحها
وقواها بمنزلة الصنائع والحيلة والقوة العقلية المفكرة له كالشريف الناصح والوزير العاقل والشهوة له
كالعبد السوء يجب الطعام والميرة الى المدينة والغضب والحيلة له كصاحب الشرطة والعباد الجبابرة
لليرة كذاب مكار خداع بحيث يتمثل بصورة الناصح وتحت فحمة الشر المائل والسهم القاتل
وبدنه وعادته منازعة الوزير الناصح في آرائه وتبديراته حتى انه لا يتجول من مزاجته ومعارضة
ساعة كما أن الوالي في ملكته اذا كان مستغنيا في تدبيراته بوزيره ومستشير الوعاظ معروض عن
هذا العبد الخبيث مستدلا بأشارته في أن الصواب في تقيض رأيه وأذبه صاحب شرطته
وسايسه لوزيره وجعله مؤتمرا له ومسلطاً من جهته على هذا العبد الخبيث وأتباعه وأنصاره حتى
يكون العبد مسوولا سائلا مورا مديرا لا أميرا مديرا استقام أمر بلده وانتظم العدل بسببه
فكذلك النفس متى استعانت بالعقل وأذبت بحجة الغضب وسلطتها على الشهوة واستعانت

بأحدهما على الأخرى تارة بأن تقلل مرتبة الغضب وتقلل مخالفة الشهوة واستدراجها وتارة
 بضع الشهوة وقهرها بتسلط الغضب والميلية عليها وتجميع مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت
 أخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمال الله تعالى فيه أقرأت من اتخذ الله هو أو أهله الله
 على علم وقال تعالى واتبع هواه قتله كمثل الكلب ان يحمل عليه يلهث وأنيتركه يلهث وقال عز وجل
 فيمن نهي النفس عن الهوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى
 وسنأتي كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسلط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس ان شاء الله
 تعالى (المثال الثاني) اعلم أن البدن كالدنية والعقل أعني المدرس من الانسان كملك مدبرها
 وقواه المدرس من الخواص الظاهرة والباطنة كجنوده وأعوانه وأعضاؤه وعيته والنفس الامارة
 بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعها في ملكه ويسعى في اهلاك رعيته فصار بينهما كرباط
 وثغر ونفسه تهم فيه مرابط فان هوجاهد عدوه وهزمه وقهره على ما يجب حمد الله اذ اعاد
 الى الخضرة كما قال تعالى والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم
 وأنفسهم على القاعدین درجة ولين ضيع ثمره وأهل رعيته ثم أثره فانتم منه عند الله تعالى
 فقال له يوم القيامة يا راعي السوء أكلت العجم وشربت اللبن ولم تأو الضال ولم تحبر الكسبر اليوم
 أنتم منكم كما ورد في الخبر والى هذه المجاهدة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم رجعا من الجهاد
 الأصغر الى الجهاد الأكبر (المثال الثالث) مثل العقل مثال فارس متصيد وشهوته كفسوسه
 وغضبه ككلبه ففي كان الفارس حاد قافرسه حمر وضوا وكلبه مؤذيا معلى كان جديرا بالفتح ومعنى
 كان هوف نفسه أخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحت مقتادها ولا كلبه
 يسترسل بإشارته مطعافه فخلق بأن يعطى فضلا عن أن ينال ما طلب وإيما يخرق الفارس مثل
 جهل الانسان وقلة حكمه وكلال بصيرته وجماح الفرس مثل غلبة الشهوة خصوصاً شهوة البطن
 والفرج وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه نسأل الله حسن التوفيق بلطفه

﴿بيان خاصية قلب الانسان﴾

اعلم أن جملة ما ذكرناه قد أتم الله به على سائر الحيوانات سوى الأدمي اذ الحيوان الشهوة والغضب
 والخواص الظاهرة والباطنة أيضاً حتى ان الشاة ترى الذئب حينها فتعلم عداوته بقلها فتهرب منه
 فذلك هو الادراك الباطن فلذلك كما يختص به قلب الانسان ولأجله فظم شرفه واستأهل القرب
 من الله تعالى وهو راجع الى علم واردة أما العلم فهو العلم بالامور الدنيوية والاخرية والحقائق
 العقلية فان هذه امور وراه المحسوسات ولا يشترك فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية
 من خواص العقل اذ يحكم الانسان بأن الشخص الواحد لا يتصور أن يكون في مكانين في حالة واحدة
 وهذا حكم منه على كل شخص ومعلوم أنه لم يدرك بالحس الا بعض الأشخاص فكلمه على جميع
 الأشخاص زائد على ما أدركه الحس واداهمت هذا في العلم الظاهر القهري فهو في سائر النظريات
 أظهر وأما الارادة فانه اذا أدركه العقل عاقبة الامر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق
 الى جهة المصلحة والى تعاطي أنسابها والارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة واردة الحيوانات بل
 يكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن القصد والمجاعة والعقل يريد لها ويطلبها ويسئل المال
 فيها والشهوة تميل الى لذات الطمع في حين المرض والعقل يجتنب في نفسه زلزالها وانها ليس ذلك زاجر
 الشهوة ولو خلق الله العقل العرف يعاقب الامور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للاعضاء على
 مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضايعا على التفتيش فانا قلب الانسان اختص بعلم واردة فيخلق

عنا سائر الجنون بل يتفك عنها الصبي في أول الفطرة وإنما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ وأما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فأنها موجودة في حق الصبي ثم الصبي في حصول هذه العلوم فيه له درجتان (أحدهما) أن يشتمل قلبه على سائر العلوم الضرورية الأولية فيحصل العلم باستعمال المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة إلا أنها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون حاله بالإضافة إلى العلوم كحال الكاتب الذي لا يعرف من الكتابة إلا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فإنه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد (الثانية) أن يتحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر فتكون كالحزونة عنده فإذا شاء رجع إليها وحاله حال الخائف بالكتابة إذ يقال له كاتب وإن لم يكن مباشر للكتابة بقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق فيها بكمية المعلومات وقلتها وبشرف العلومات وخسائها وبطريق تحصيلها ان تتحصل لبعض القلوب بالهام الهى على سبيل المبادأة والمكاشفة ولبعضهم يتعلم واكتساب وقد يكون سريع الحصول وقد يكون بطيئ الحصول وفي هذا المقام تباين منازل العلماء والحكماء والانبيا والاولياء فدرجات الترقى فيه غير محصورة إذ معطومات الله سبحانه لا نهاية لها وأخصى الرتب رتبة النبي الذي تتكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غيرا اكتساب وتكلف بل بكشف الهى في أسرع وقت بهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والسافة ومراتب هذه الدرجات هي منازل السائر إلى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل وإنما يعرف كل سالك منزله الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به أيماناً بالغيب كما أتوا من بالنبوة والتي ونصديق وجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة إلا النبي وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما يقع له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لا يعرف العاقل ما افترج الله على أوليائه وانبياؤه من أرباب الطغاة ورحمته ما فتح الله للناس من رحمة فلا يمسك لها وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضمون بها على أحد ولكن إنما تظهر في القلوب المتعزضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم إن ربكم في أيام ذهركم لنفحات ألا فتعزضوا إليها والتعزض لها بتطهير القلب وزيكته من الخبث والكدورة الحاصلة من الاخلاق المذمومة كما سيأتي بيانه وإلى هذا الجود الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له ويقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه عز وجل لقد طال شوق الارباب إلى لقائي وأنا إلى لقاءهم أشد شوقا وقوله تعالى من تقرب إلى شئنا تقربنا إليه ذراعا كل ذلك اشارة إلى أن أنوار العلوم تتجيب عن القلوب لجل ومنع من جهة المنع تعالى من البطل والمنع علوا كبيرا ولكن حجب تجيب وكدورة وشغل من جهة القلوب فإن القلوب كالآواني فإذا امتلئت بمثلها لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بحلال الله واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء ومن هذه الجملة تبين أن خاصية الانسان العلم والحكمة وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله فيه كمال الانسان وفي كماله سعادته وصلاته لجوار حضرة الجلال والكمال فالعبد مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته التي لأجله خلق وكأن القوس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية السكر والفرو حسن الهيئة فيكون القوس مخلوقا

لاجل تلك الخاصية فان تغطت منه زل الى خضيب رتبة الجوار وكذلك الانسان يشارك الجوار
والفرس في أمور وفارقهما في أمور هي خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملائكة المقرين من
رب العالمين والانسان على رتبة بين الهائم والملائكة فان الانسان من حيث يغذى ونسل فيات
ومن حيث يحس ويحرك واختيار غيوان ومن حيث ضوؤه وقامته فكالصورة المنقوشة على
الحائط وانما خاصيته معرفة حقائق الاشياء فمن استعمل جميع اعضاءه وقواه على وجه الاستعانة بها
على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة فحينئذ بان يلحق بهم وجد ربان يسمى ملكا وربانيا كما أخبر الله
تعالى عن صوابات يوسف عليه السلام بقوله ما هذا بشر ان هذا الملك كريم ومن صرف همهته
الى اتباع الذات البدنية بأكل كذبها كل الانعام فقد انحط الى خضيب أفق الهائم فبصير اما غمرا
كثورا واما شرها فكثر واما ضررها فكثرت أو سنورا أو حقودا كحمل أو متكررا أو كثرا أو زاروا غانا
نكثت أو يجمع ذلك كله كشيطان مزبد واما من عضو من الاعضاء ولا حاسة من الحواس
الاولى يمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى الله تعالى كجسائي بيان طرف منه في كتاب الشكر فن
استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب ووجه السعادة في ذلك أن يجعل لقاء الله تعالى
مقصدا والدار الآخرة مستقرة والله نيامته والبدن مركبة والاعضاء خادمة فيستقر هو أعني
المدر من الانسان في القلب الذي هو وسط ملكته كاللؤلؤ يجري القوة الخيالية المودعة في مقدم
الدماغ يجري صاحب برده ان يجتمع أخبار المحسوسات عنده ويجري القوة الحافظة التي مسكنها
مؤخر الدماغ يجري خازنه ويجري اللسان يجري ترجمانه ويجري الاعضاء المحركة يجري كاهنه ويجري
الحواس الخمس يجري حواسه فيوكل كل واحد منها بأخبار يقع من الاصابع فيوكل العين بعالم
الالوان والسمع بعالم الاصوات والشم بعالم الروائح وكذلك سائر أفعالها فكل أخبارها ينطقونها
فمن هذه النوازل وتؤديها الى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد ونسبها صاحب البريد
الى الخازن وفي الحافظة ويصرفها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها ما يحتاج اليه في تدبير
ملكته وانما سفره الذي هو بصدده وقع عنده الذي هو مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه فأنفعل
ذلك كان موقفا سعيدا شاكر انعمة الله واذ اعطى هذه الجملة وأستعملها السكن في مراعاة أعدائه وهي
الشهوة والغضب وسائر المخطوطات العاجلة وفي عمارة طريقه دون منزله الدنيا طريقه التي عليها
عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان يخذلوا شقيا كافرا بنعمة الله تعالى مضطعا لجنود الله تعالى
ناجرا لاعداء الله يخذلوا لجنود الله فيستحق المقت والاباء في القلب والمعاد فعوذ بالله من ذلك والى
المثال الذي ضربناه أشار كعب الاخبار حيث قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت للانسان
عيناها هاد وانها تقع ولسانه ترجمان ويداها جناحان ورجلاه يدي والقلب منه ملك فاذ اطاب الملك
طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقال علي رضي الله عنه في
تمثيل القلوب ان الله تعالى في أرضه آنية وهي القلوب فأحب اليه تعالى أرفها وأصفها وأصلها
ثم فسره فقال أصلها في الدين وأصفها في اليقين وأرفها على الاخوان وهو إشارة الى قوله تعالى
أشد له على الكفار ورحمهم وقوله تعالى مثل نوره كشكاة فيها مصباح قال أبي بن كعب رضي الله
عنه معناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى أو كطلمات في بحر لحي مثل قلب المنافق وقال زبدي
أسلم في قوله تعالى في لوح محفوظ وهو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش
والكرسي فهذه أمثلة القلب

بيان نجامه أوصاف القلب وأمثلة

اعلم ان الانسان قد اصطحب في خلقه وتركيبه أربع شوائب فلذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من الاوصاف وهي الصفات السبعة والبهيمة والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهميم على الناس بالضرب والشنم ومن حيث سلط عليه الشهوة يتعاطى أفعال الهائم من الشر والحرم والشنق وغيره ومن حيث أنه في نفسه أمر رباني كما قال الله تعالى قل الروح من أمر ربي فانه يدعى نفسه الربوبية ويجب الاستيلاء والاستعلاء والتخصص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهى الاطلاع على العلوم كلها بل يدعى لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بمخاتق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا نسب الى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من اوصاف الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يخص من الهائم بالقيام مع مشاركته لافى الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصارت له الاستعلاء التميز في استنباط وجوه الشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والخيلة والتخادع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان فيه شوب من هذه الاصول الاربعة اعنى الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية فكل ذلك مجموع في القلب فكأن المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما لونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب العقور ليس كلبا وسبعيا باعتبار الصورة والونه والشكل بل روح معنى السبعية الضاروة والعدوان والعقور وفي باطن الانسان ضاروة السبع وغضبه وحرصه الخنزير وشبهه فالخنزير يدعو بالشره الى الفساد والتفكر والسبع يدعو بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وفضيلة السبع وغيرى أخذهما بالآخر ويحسن لهما اماهما مجبولان عليه والحكم الذى هو مثال العقل مأثور بان يدفع كيد الشيطان ويكرهه بان يكشف عن تلبسه بصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وان يكسر شره هذه الخنزير بتسلط الكلب عليه اذ الغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضاروة الكلب بتسلط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك وقد رجليه اعتدل الامر ونظر العدل في ملكة البدن وجرى الشكل على الصراط المستقيم وان يحجز عن قهرها قهره واستخدمه وفلا يزال في استنباط الخيل وتدريب الفكر ليشيع الخنزير وروضى الكلب فيكون دائما في عبادة كلب وخنزير وهذا حال أكثر الناس مهما كان أكثر همهم البطن والفرج ومناضاة الاعدام والهب منه انه يتكر على عبدة الاصنام عبادتهم العبادة ولو كشف النطا عنه وصك وشك بمحققة حاله ومثل له حقيقة حاله كما ينشئ العذشين اما في النوم أو في اليقظة لراى نفسه مائلا بين يدي خنزير ساجدا له مرة وراء كما اخرى ومنتظرا لاشارته وأمره فمهما هاج الخنزير لطلب شئ من شهواته انبعث على الفور في خدمته واحضار شهوته أو راي نفسه مائلا بين يدي كلب عقور عابدا له مطيعا سامعا لما يقتضيه وملتصقه مدققا بالفكر في حيل الوصول الى طامته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فانه الذى يهيج الخنزير ويثير الكلب ويهيجهما على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادته قلنا اقبل كل عبد حر كانه وسكاته وسكونه ونطقه وقيامه وقوده ولنظري عين البصيرة فلا يرى ان أنصف نفسه الا ساعيا طول النهار في عبادة هؤلاء وهذا غاية الظلم اتجمل المالك لمولوكا والربح ربوا والسيد عبدا وانما قهر مقهورا اذ العقل هو المستحق للعبادة والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلاثة فلا جرم ينتشر الى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات

تراكم عليه حتى يصير طابعا ورثا مملكا للقلب وممنا له أما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة
 الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والبغث والحرص والجحش والمقن
 والحسد والحقد والشتمات وغيرها وأما طاعة كلب الغضب فتنتشر منها إلى القلب صفة التهور
 والبذات والبلذخ والصلف والاستشاطقة والتكبر والحب والاستهزاء والاستخفاف وتقدير الخلق
 وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة
 المكر والخداع والحيلة والدهاء والجراءة والتلبس والتضريب والعش والخب والخناء وأمانها
 ولو عكس الأمر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية
 العلم والحكمة واليقين والاحاطة بحقائق الاشياء ومعرفة الأمور على ما هي عليه والاستيلاء على
 الكل بقوة العلم والبصرة واستحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلاله ولا يستغنى عن عبادة
 الشهوة والغضب ولا تنفشر اليه من ضبط خنزير الشهوة ووردة إلى حد لا اعتدال صفات شريفة مثل
 العفة والقناعة والهدوء والزهو والورع والتقوى والاتساق وحسن الهيئة والحياة والطرف
 والمساعدة وإمساها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهر ووردة هائل حذ الواجب صفة
 الشجاعة والكرم والنفذة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والنبات والنيل
 والشهامة والوقار وغيرها فالقلب في حكم مرآة قد اكتشفته هذه الأمور المؤثرة فيه وهذه الآثار على
 التواصل واصله إلى القلب أما الآثار المحيطة التي ذكرناها فانها تزيد من آفة القلب جلاء واشراقا
 ونورا وضياء حتى يتلا في فيه جليما الحق ويتكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين وإلى مثل هذا
 القلب الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بصدق خيرا جعل له واغظان قلبه وقوله صلى الله
 عليه وسلم من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر
 قال الله تعالى لا بد أن الله يطمئن القلوب وأما الآثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد إلى
 مرآة القلب ولا يزال يترامى عليه مرة بعد أخرى إلى أن يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله
 تعالى وهو الطبع وهو الزين قال الله تعالى كلاليل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال عز وجل
 أن لو نشاء أصبنهم بذنوبهم ونطع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب
 كإربط السماع بالتقوى فقال تعالى واتقوا الله واسمعوا لئن اتقوا الله لكان الله معكم والله
 الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك يعني للقلب عن إدراك الحق وصلاح الدين ويستهي بأمر
 الآخرة فيستعظم أمر الدنيا ويصير مقصورا لهم عليها فاذا قرع سمعه أمر الآخرة ما فيها من
 الخطأ رذل من أدن وخرج من أدن ولم يستقر في القلب ولم يحركه إلى التوبة والتدارك أو لشك
 الذين يسوأم الآخرة كإبتس الكفار من أصحاب القبور وهذا هو معنى أسود القلب بالذنوب
 كما تنطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران إذا أدب العبد نابتك في قلبه بكتة سوداء فإذا
 هو تزع وتاب فقل وإن عازد يذنبها حتى يعلو قلبه فهو الزان وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قلب
 المؤمن أجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر أسود متكوس فطاعة الله سبحانه بخلاف القلب الشهوات
 مصبقة للقلب بمعاصيه مسودات فمن أقبل على المعاصي أسود قلبه ومن أتبع السيئة الحسنة
 وبخا أمرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التي يتنفس فيها ثم تنفس ثم تنفس فيها لا يتخلو
 من كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم القلوب أربعة قلب أربعة سراج يزهر فذلك قلب المؤمن
 وقلب أسود متكوس فذلك قلب الكافر وأختلف مر بوط على خلافه فذلك قلب المنافق وقلب
 مصغ فيه إيمان ونفاق فقل الإيمان فيه كمل البقلة عندها الماء الطيب ومثلي النفاق فيه كمل الفجحة

بمدها التبع والصديد فأى المادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهب به قال الله تعالى
 ان الذين اتقوا ذاسهم طائف من الشيطان تذكر واذا ذاهم مبصرون فاخبر ان جلاء القلب
 وايضا يحصل بالذكر وأنه لا يمكن منه الا الذين اتقوا فالتقوى باب المذكر والمذكر باب
 الكشف والكشف باب الفوز والا كبر وهو الفوز بقاء الله تعالى

بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة

اعلم ان محل العلم هو القلب اعني الطبقة المدبرة لجميع الجوارح وهي المطاعة المخدومة من جميع
 الاغضاء وهي بالاضافة الى حقائق المعلومات كالرأ بالاضافة الى صور المتلونات فكما ان المتلون
 صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها كذلك لكل معلوم حقيقة وتلك الحقيقة
 صورة تنطبع في مرآة القلب وتنقح فيها وكان المرآة غير صور الاغضاء من غير حصول مثالها
 في المرآة غير نفس ثلاثة أمور فكذلك ههنا ثلاثة أمور القلب وحقائق الاشياء وحصول نفس
 الحقائق في القلب وحضورها فيه فالعلم عبارة عن القلب الذي فيه يحصل مثال حقائق الاشياء
 والعلوم عبارة عن حقائق الاشياء والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة وكان القبض مثلاً
 يستدعي قابضاً كاليد ومقبوضاً كالسيف ووصولا بين السيف واليد بحصول السيف في اليد
 واسمي قبضاً فكذلك وصول مثال المعلوم الى القلب يسمى علماً وقد كانت الحقيقة موجودة
 والقلب موجوداً ولم يكن العلم حاصل لان العلم عبارة عن وصول الحقيقة الى القلب كما ان السيف
 موجود واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والاخذ حاصل لعدم وقوع السيف في اليد
 القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد والعلوم بعينه لا يحصل في القلب بل علم النار
 لم يحصل من النار في قلبه ولكن الحاصل حذوها وحقيقتها المطابقة لصورها فتمثله بالمرآة اولى
 لان عين الانسان لا تحصل في المرآة وانما يحصل مثال مطابق له وكذلك حصول مثال مطابق
 لحقيقة العلوم في القلب يسمى علماً وكان المرآة لا تكشف فيها الصور لخسة أمور * أحدها
 نقصان صورتها كجهر الحديد قبل أن يلور ويشكل ويصقل * والثاني نخبته وصدئه وكدوره
 وان كان تام الشكل * والثالث لكونه معدولاً به من جهة الصورة الى غيرها كما اذا كانت الصورة
 وزاها المرآة * والرابع غلب مرسل بين المرآة والصورة * والخامس الجهل بالجهة التي فيها الصورة
 المطلوبة حتى يتعذر بسببه أن يحاذيها بآشطر الصورة وجهها فكذلك القلب مرآة مستعدة لان
 يغلب فيها حقيقة الحق في الامور كلها وانما خلت القلوب عن العلوم التي خلت منها لهذه الاسباب
 الخمسة * أولها نقصان ذاته كقلب الصبي فإنه لا ينجلي له المعلومات لنقصانه * والثاني لكدوره
 الغاصي والنخب الذي يترك على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه
 فينتع ظهور الحق فيه لظلمته وزاكة واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من عارف ذنبا فارقه
 عقل لا يعود اليه أبداً أي حصل في قلبه كدوره لا يزول أثرها اذا غابت أن يتبعه بحسنة يمجو بها فلو جاء
 بالحسنة لم يتقدم السيئة لا زدا لا محالة انراق القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة
 لكن عاد القلب بها الى ما كان قبل السيئة ولم يزد بها نوراً فهذا خسران مبين ونقصان لا حيلة له
 فليست المرآة التي تشدس ثم تمسح بالمصقلة كالتي تمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس
 سابق فالانجيل على طاعة الله والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجالو القلب ويصفيه
 ولذلك قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم
 ورثه الله علم ما لم يعلم * الثالث أن يكون معدولاً به من جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع

الصالح وان كان صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لانه ليس يطلب الحق وليس محاذيا لغيره
 شطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب المهتم بتفصيل الطاعات الدينية أو تهية أسباب
 المعيشة ولا يصرف فكره الى التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الالهية فلا يتكشف له
 الا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الأعمال وخفايا عيوب النفس ان كان متفكرا فيها أو مصالح
 المعيشة ان كان متفكرا فيها وإذا كان تقيد المهتم بالأعمال وتفصيل الطاعات ما فاعان انكشف
 جلية الحق فانتكس فحين صرف المهتم الى الشهوات الدنيوية ولذا انها وعلاقتها فكيف لا يمنع من
 الكشف الحقيقي (الرابع) الحجاب فان المطيع القاهر لشهوته المتجرد الفكري حقيقة من الحقائق
 قد لا يتكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق اليه من هذا الصبا على سبيل التقليد والقبول
 بحسن الظن فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق وينع من أن يتكشف في قلبه خلاف ما تلقفه
 من ظواهر التقليد وهذا أيضا حجاب عظيم به حجب أكثر المتكلمين والمنحصرين في الذاهب بل
 أكثر الصالحين المتفكرين في ملكوت السموات والارض لانهم محجوبون باعتقادات تقليدية
 جددت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقائق (الخامس) الجهل
 بالجهة التي تقع منها الغور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالجهول
 الا بالتدكر للعلوم التي تناسب مطلوبة حتى اذا تدكرها ورثبها في نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء
 بطرق الاختبار فعند ذلك يكون قد غر على جهة المطلوب فتجلى حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم
 المطلوبة التي ليست فطرية لا تقتصر الا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم لا يحصل الا من علمين
 سابقين يألفان وزد وجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث هل مثال ما يحصل
 النتائج من ازدواج الفحل والانشى ثم كائن من أراد أن يستخرج زمكة لم يمكنه ذلك من حمار وغير
 وانسان بل من أصل مخصوص من الخيل التدكر والانشى وذلك انما وقع بينهما ازدواج مخصوص
 فكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان وبهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم
 المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الاصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من
 الجهل بالجهة التي الصورة فيها بل مثاله أن يريد الانسان أن يرى قفاه مثلا بالمرأة فانه اذا رفع المرأة
 بازاء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر التقاف فلا يظهر فيها التقاف وان رفعها وراء التقاف وحاذاه كان قد
 عدل بالمرأة عن عينه فلا يرى المرأة ولا صورة التقاف فيها فيحتاج الى امرأة أخرى ينصهار وراء التقاف
 وهذه في مقابلتها بحيث يصيرها ويرعى مناسبة بين وضع المراة حتى تنطبق صورة التقاف المراة
 الحاذية للتقاف ثم تنطبق صورة هذه المراة في المراة الاخرى التي في مقابلة العين ثم تدرك العين صورة
 التقاف فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازوارات وتجربات أعجب مما ذكرناه في المراة
 يضر على بسيط الارض من يهتدى الى كيفية الخيلة في تلك الازوارات في هذه هي الاسباب المانعة
 للقلوب من معرفة حقائق الامور والانكل قلب فهو القطرة صاها لمعرفة الحقائق لانه امر رباني
 شريف فارق سائر جواهر العالم هذه الخاصة والشرف واله الاشارة بقوله عز وجل "أعزضنا
 الامانة على السموات والارض والجبال فآين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان اشارة الى
 أن له خاصية تميزها عن السموات والارض والجبال بها صاها مطيعة لحمل الامانة لله تعالى وتلك
 الامانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحمل الامانة ومطيع لها في الاصل ولكن
 يشطه عن النبوض بأعبائها والوصول الى تحقيقها الاسباب التي ذكرناها ولذلك قال صلى الله عليه
 وسلم كل مولود يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقول رسول الله صلى الله

عليه وسلم لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء إشارة إلى بعض هذه الأسباب التي هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت وإلى الإشارة بما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قيل لرسول الله يا رسول الله أين الله في الأرض أو في السماء قال في قلوب عباد المؤمنين وفي الخبر قال الله تعالى لم يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن الذين الوادع وفي الخبر أنه قيل يا رسول الله من خير الناس فقال كل مؤمن محموم القلب فقيل وما محموم القلب فقال هو التقي التقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا عذر ولا غل ولا حسد ولذلك قال عمر رضي الله عنه رأى قلبي ربي إذ كان قد رفع الحجاب بالقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين الله تحلى صورة الملك والملكوت في قلبه فبصر الجنة عرض بعضها السموات والأرض أما جعلتها فأكثر سعة من السموات والأرض لأن السموات والأرض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وإن كان واسع الأطراف متباعد الأكتاف فهو مبتدأ على الجملة وأما عالم الملكوت وهي الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار المخصوصة بإدراك البصائر فلانها لم تكن التي يلوح القلب منه مقدار متناه ولكن في نفسه وبإضافة إلى علم الله لا نهاية له وحلة عالم الملك والملكوت إذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لأن الحضرة الربوبية محيطية بكل الموجودات إذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وأفعاله وملكته وعبيده من أفعاله فإني تعلم من ذلك القلب هي الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق ويكون سعة ملكة في الجنة بحسب سعة معرفته ويمتداد ما تحلى له من الله وصفاته وأفعاله وإنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتركيته وجلالته قد أفغى من زكاهما و مراد تركيته حصول أنوار الإيمان فيه أعني إشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام وقوله أن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه نعم هذا التبلي وهذا الإيمان له ثلاث مراتب (المرتبة الأولى) إيمان العوام وهو إيمان التقليد الخشوع (والثانية) إيمان المتكلمين وهو مزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة إيمان العوام (والثالثة) إيمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين وتبين لك هذه المراتب بمثال وهو أن تصديقك بكون زيد مثلاً في الدار له ثلاث درجات * (الأولى) أن يخرجك من جرتك بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا تهتم في القول فإن قلبك يسكن اليهو طمأن بجزره دالسماع وهذا هو الإيمان بمجرد التقليد وهو مثل إيمان العوام فإنهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آباءهم وأمهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وأرادته وقدرته ومساير صفاته وبعثة الرسل وصدقهم وما جازاه وبكاسمعا به قبلوه وثبتوا عليه وأطمأنوا إليه ولم يحيط بربهم خلاف ما قالوه لهم لحسن ظنهم بآبائهم وأمهاتهم ومعلمهم وهذا الإيمان سبب النجاة في الآخرة وأهلهم من أوائل رتب أصحاب المئين وليسوا من المقرين لأنه ليس فيه كشف وبصيرة وشرار صدر بنور اليقين إذ الخطأ يمكن فيما سمع من الأحاديث من الأعداد فيما يتعلق بالاعتقادات فقلوب اليهود والنصارى أيضاً مطمئنة بما يسمعون من آباءهم وأمهاتهم إلا أنهم يعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لأنهم أتوا بهم الخطأ والمسئولون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن أتوا بهم كلمة الحق * (المرتبة الثانية) أن تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من ورله جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون إيمانك وتصديقك و يقينك بكونه في الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع فإنك إذ قبلت أنه في الدار ثم سمعت صوته ازدادت يقيناً لأن الأصوات تدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فيجزم قلبه بأن هنا صوت ذلك الشخص وهذا الإيمان مزوج بدليل وخطأ أيضاً يمكن أن يتطرق إليه إذا الصوت

قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق الحكاية الآن ذلك فلا يخطر بال السامع لانه ليس
 يجعل للهمة موضوعا ولا يحد في هذا التلبس والمحاكاة غرضا * (الرتبة الثالثة) أن تدخل الدار
 فتنظر اليه بعينك وتشاهده وهذه هي المعرفة الحقيقية والمشاهدة البقية وهي تشبه معرفة
 المقرين والصديقين لانهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين
 ويؤمنون بميزة ينسب لتجمل معها المكان الخطأ ثم وهم أيضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات
 الكشف أما مدرجات العلوم فتأله أن يصير زيد في الدار عن قرب وفي ضمن الدار في وقت اشراق
 الشمس فيكمل له ادراكه والاخر يدركه في بيت أو من بعد أو في وقت عشية فيتمثل له في صورته
 ما يستيقن معه أنه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والغفايا من صورته ومثل هذا متصور
 في غاوت المشاهدة لأمور الالهية وأما مقادير العلوم فهو أن يرى في الدار زيدا وعمرًا وصبرا
 وغير ذلك وآخرا يرى الازيد معرفة ذلك تزيد كثرة المعلومات لا محالة فهذا حال القلب بالاضافة الى
 العلوم والله له الى أعلم بالصواب

بيان حال القلب بالاضافة الى أقسام العلوم العقلية والدينية والدينية والدينية والدينية

اعلم أن القلب بغيره مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحمل فيه تنقسم
 الى عقلية والى شرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة الى دينية وأخرية *
 أما العقلية فنحن هاما نقضي بها غريزة العقل ولا توجد بالتقليد والسمع وهي تنقسم الى ضرورية
 لا يدري من أين حصلت وكيف حصلت كعلم الانسان بأن النضج الواحد لا يكون في مكانين
 والشئ الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما معا فان هذه معلوم يحدا الانسان نفسه منذ
 الصبا مفعورا عليها ولا يدري متى حصل له هذا العلم ولا من أين حصل له أعني أنه لا يدري له سببها
 قريبا والالتباس يحث عليه أن الله هو الذي خلقه وهذه هي علوم مكتسبة وهي المسفادة بالعلم
 والاستدلال وكذا القسمين قد يسمى عقلا قال علي رضي الله عنه

العقل عقلان * قطبوع ومنعوع * ولا ينفع مسجوع * اذ لم يك مطبوع * كما لا تنفع الشمس *
 وضوء العين منعوع * والأول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلي ما خلق الله خلقا كرم عليه من
 العقل والثاني هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اذا تقرب الناس الى الله تعالى
 بأشياء البر فتقرب أنت بعقلك اذا لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل
 بالمكتسبة ولكن مثل علي رضي الله عنه هو الذي يقدر على التقرب باستعمال العقل في اقتناص
 العلوم التي هي ائصال القرب من رب العالمين فالقلب جاز مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى
 قوة البصر في العين وقوة الابصار لطيفة تتقدم في العي وترجع في البصر وان كان قد غرض صفيه
 أوجن عليه الليل والعلم الحاصل منه في القلب جاز مجرى قوة ادراك البصر في العين ورويته لأشياء
 الاشياء متأخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبا الى أوان التمييز أو البلوغ يضاهي تأخر الرؤية عن
 البصر الى أوان اشراق الشمس وفيض نورها على المبصرات والقلم الذي سطر الله به العلوم على
 صفحات القلوب يجري مجرى قرص الشمس وانما يحصل العلم في قلب الصبي قبل التمييز لان لوح
 قلبه دها بعد لقبول نفس العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله سببا لحصول نفس
 العلوم في قلوب البشر قال الله تعالى الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه
 كالأشياء وصفه بوصف خلقه فليس قلبه من نصب ولا خشب كما أنه تعالى ليس من جوهر ولا عرض
 فالوازية بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه الأربعة لا مناسبة بين خلقها

في الشرف فان البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي الطبقة المدركة وهي كالقاروس والبدن
 صكا القروس وهي القاروس أضرب على القاروس من عي القروس بل لانسبة لاحد الضروب الى الآخر
 ولما وزنه البصيرة الباطنة للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال ما كذب القور دمار رأى سمي
 ادراك القور أدوية وكذلك قوله تعالى وكذلك ترى ابراهيم ملكوت السموات والارض وما أراد به
 الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابراهيم عليه السلام حتى يعرض في معرض الامتان
 ولذلك سمي ضد ادراكه هي فقال تعالى فانها لانعي الا بصار ولكن تعي القلوب التي في الصدور
 وقال تعالى ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا فهذه ايمان العلم العقلي أما
 العلوم الدينية فهي المأخوذة بطريق التقليد من الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه وذلك
 يحصل بالتعلم لكاتب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيها بعد السماع وبه
 كالصفة القلب وسلامته من الادواء والامراض فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب
 وان كان محتاجا اليها كما ان العقل غير كاف في استدامة صحة أسباب البدن بل يحتاج الى معرفة
 خواص الادوية والعقاقير بطريق التعلم من الاطباء اذ مجرد العقل لا يمتدى اليه ولكن لا يمكن
 فهمه بعد سماعه الا بالقل فلا حتى بالعقل من السماع ولا حتى بالسماع عن العقل فالداعي الى
 محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي بيجز العقل عن أنوار القرآن والسنة
 مغرور فبا ان تكون من أحد الفريقين وكن جامعين الاصلين فان العلوم العقلية كالاغذية
 والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض يستنصر بالغذاء متى فاته الدواء فكذلك امراض
 القلوب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة وهي وظائف العبادات والاعمال
 التي ركبها الانبياء صلوات الله عليهم لاصلاح القلوب فن لا يداوى قلبه المريض بمعالجات العبادة
 الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استنصرها كما يستنصر المريض بالغذاء وظن من فطن أن العلوم
 العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عي في عين البصيرة
 فهو دال على منه بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيجزم عن الجمع بينهما
 فيظن أنه تناقض في الدين فيصير به فينسل من الدين انسلال الشعرة من البين وانما ذلك لان مجزئه
 في نفسه خيل اليه نقضا في الدين وهبات وانما مثاله مثال الامي الذي دخل دار قوم فتعثر فيها
 بأواني الدار فقال لهم ما بال هذه الاواني تركت على الطريق لم لاترذ الى مواضعها فقالوا له تلك الاواني
 في مواضعها وانما انت لست تهتدي للطريق لعمالك فالهيب منك أنك لا تحيل عثرتك على جمالك
 وانما تخيلها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية الى العلوم العقلية والعلوم العقلية تنقسم الى
 دينية واخرية فالدينية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات
 والاخرية كعلم احوال القلب وآفات الاعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله كإفشاءه
 في كتاب العلم وهما علمان متنافيان أعني أن من صرف عنايته الى أحدهما حتى تقع فيه قصرت
 بصيرته عن الآخر على الاكثر ولذلك ضرب على رضى الله عنه الدنيا والآخرة ثلاثة أمثلة فقال هما
 ككتفي الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضربين اذا أرضيت احدهما أسقطت الاخرى ولذلك ترى
 الأكاس في امور الدنيا وفي علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهالا في امور الآخرة
 والأكاس في دقائق علوم الآخرة جهالا في أكثر علوم الدنيا لان قوة العقل لا تفي بالامرين جميعا
 في الغالب فيكون أحدهما ناعما من الكمال في الثاني ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان أكثر أهل
 الجنة البله أي البله في امور الدنيا وقال الحسن في بعض مواعظه لقد أدركنا أقواما لو رأيتهم لقلتم

مجانين ولو أدرككم فقالوا شيئا طين فهما سمعت أمر اغريسا من أمور الدين وحده أهل الكياسة في سائر العلوم فلا يغفركم جودهم عن قبولها فمن حال أن ينظر سائر طرق المشرق بما يوجد في المغرب فكذلك يجري أمر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون وقال عز وجل فأعرض عن ذلك أنولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجميع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر إلا لمن رضى الله لتدبير عبادته في معاشهم ومعادهم وهم الأنبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الإلهية التي تسع لجميع الأمور ولا تضيق عنها فأما قلوب سائر الخلق فانها اذا استقلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيها

(بيان الفرق بين العلم والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظائر) اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية وانما تحصل في القلب في بعض الأحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه التي فيمن حيث لا يدري وتارة تسكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا يطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهام والذى يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بفرجيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم الى ما لا يدري العبد أنه كيف حصل له ومن أين حصل وإلى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك المتلى في القلب والأول يسمى الهام وثانيا في الروح والثاني يسمى وحيا وتخص به الأنبياء والأول يخص به الأولياء والأصفياء والذى قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يخص به العلماء وحقيقة القول فيه أن القلب مستعلان تعلى فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها وانما حيل بينه وبينها بالاسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به الى يوم القيامة ويحلى حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب ضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها والجاب بين المرآتين تارة يزال باليد واخرى يزول بهبوب الرياح فحز كهو كذلك قد تهب رياح اللطاف وتكشف الجب عن أعين القلوب فينبلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل وتمام ارتفاع الجاب بالموت فيه يكشف الغطاء وتكشف أيضا في اللحظة حتى يرتفع الجاب بلطف خفي من الله تعالى فيطلع في القلوب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف واخرى على التوالي الى حتم ما وداه في غاية السدور فلم يقارن إلا الهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الجاب فان ذلك ليس باختيار العبد بل يفارق الوحي الهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك المقيد للعلم فان العلم انما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة واليه الاشارة بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بآذنه ما يشاء فانما عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوف الى العلوم الالهامية دون التعليمية قلنا ذلك لم يحصر صواعلي دراسة العلم وتحصيل ما منفعه للمصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة بل قالوا الطريق بتقديم المجاهدة وبحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبدهما المتكسر له بتتو به بأزوار العلم وانا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرف النور في القلب وأشرف الصدر وانكشف له سر الملكوت وانفتح عن وجه القلب حجاب الغرق بلطف

الرحمة وتلاأت فيه حقائق الامور الالهية فليس على العبد الا الاستعداد بالتصفية المجردة واحضار
 الهمة مع الارادة الصادقة والتعشش التام والترصد يدوام الانتظار لما يفخه الله تعالى من الرحمة
 فالانبياء والاولياء انكشف لهم الامر وقاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة
 لاكتسب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علاقاتها وتفرغ القلب من شوائها والاقبال بكنه الهمة
 على الله تعالى فمن كان الله كان الله وزعموا أن الطريق في ذلك أولا بانقطاع علائق الدنيا بالكلية
 وتفرغ القلب منها وبقطع الهمة عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل
 يصير قلبه الى حاله يستوى فيها وجود كل شيء وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على
 الفراغ والزواجب ويجلس فارغ القلب بمجموع الهمة ولا يفرق فكره بقرأة قرآن ولا بالتأمل
 في نفسه ولا بكتيب حديث ولا غيره بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى فلا يزال بعد
 جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه الله الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهي الى حالة يترك تحريك
 اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ثم يصبر عليه الى أن يحيي أثره عن اللسان ويصادف
 قلبه موافقا على الذكر ثم يواظب عليه الى أن يحيي عن القلب صورة القنطرة وحروفه وبهية الكلمة
 ويسبق معنى الكلمة بمجرد داني قلبه حاضر فيه كأنه لازم له لا يغادر قوله اختيارا الى أن ينتهي الى هذا
 الخلو واختيار في استدامة هذه الحالة تدفع الوسواس وليس له اختيار في استتلاب رحمة الله تعالى
 بل هو بما فعله صار متعزضا النعمات رحمة الله فلا يبقى الا الانتظار لما يفخ الله من الرحمة كما تفهمها
 على الانبياء والاولياء بهذه الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت همنته وحسنت موافقته
 فلم يجاذبه شوائه ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا فقلع لواعيق الحق في قلبه ويكون
 في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتأخر وان عاد فقد ثبت وقد يكون مختطفا وان
 ثبت وقد يطول لبانه وقد لا يطول وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد
 ومنازل أولياء الله تعالى فيه لا تنحصر كالابصير تفاوت خلقهم واخلقهم وقد رجح هذا الطريق الى
 تطهير بعض من جانبك ونصفه وجلاء ثم استعداد وانتظار فقطو اما النظر اذ هو والاعتبار فلم
 يتكرر واجود هذا الطريق وامكانه وانضاه الى هذا المقصد على الندور فانه أكثر احوال الانبياء
 والاولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطؤوا ثمرته واستعدوا استحسان شروطة وزعموا
 أن نحو العلائق الى ذلك الحد كالتعذر وان حصل في حال قنابته أبعده من ادأني وسواس وخطاظر
 يشوش القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القلب المؤمن أشد تقبلا من القدر في غلباتها
 وقال عليه أفضل الصلاة والسلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وفي أثناء هذه
 المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن واذ لم يتقدم رياضة النفس وتهذيبها
 يجتأق العلوم نشت بالقلب خيالات فاسدة تطعن النفس الهامدة طويلا الى أن يزول
 وينقضي العرق البناح فيها فكم من صوفي سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشر سنة
 ولو كان قد آمن العلم من قبل لا تفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فلا تشتغال بطريق التعلم
 أو تقرب إلى الغرض وزعموا أن ذلك ضاهي ما لو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم أن النبي صلى
 الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك وصار قلبها بالوحى والهام من غير تكرير وتعليل فانا ايضا بما انتهت
 في الرياضة والمواظبة اليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن يترك طريق الكسب
 والحرفة رجاء الغور على كثر من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك هذا واقوا
 لا بدأ ولا من تحصيل ما حصله العلماء وفهم مناقله ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما يتكشف لسائر

العلماء ففساهم ينكشف بعد ذلك بالجأهة

﴿ بيان الفرق بين القامين بمثال محسوس ﴾

اصلهم أن عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس لأن القلب أيضا خارج عن ادراك الحس وما ليس بمدركا بالحواس تضعف الافهام عن دركه الا بمثال محسوس ونحن نقر ب ذلك الى الانهام الضعيفة بمثالي * أحدها أنه لو فرضنا حوضا محفورا في الارض احتمل أن يساق اليه الماء من فوقه بأنهار فتخ فيه ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب الى أن يقرب من مستقر الماء الصافي فينغير الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصغر وأدوم وقد يكون أعز روا أكثر فذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء وتكون الحواس الحس مثل الانهار وقد يمكن أن تساق العلوم الى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يتلقى علما ويمكن أن تسد هذه الانهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعد الى حق القلب بتطهيره ورفع طبقات الجب عنه حتى تتغير بناييع العلم من داخله فان قلت فكيف يتغير العلم من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم أن هذا من عجائب أسرار القلب ولا يسمع بكثرة في علم المعاملة بل القدر الذي يمكن ذكره أن حقائق الاشياء مصبورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملائكة المقربين فكأن المهندس يصور أبنية الدار في بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك القسمة فكذلك فاطر السموات والارض كتب لقسمة العالم من أول ما الى آخره في اللوح المحفوظ ثم أخرجه الى الوجود على وفق تلك القسمة والعالم الذي خرج الى الوجود بصورته تتأذى منه صورة أخرى الى الحس والخيال فان من ينظر الى السماء والارض ثم يقض بصره يرى صورة السماء والارض في خياله حتى كأنه ينظر اليها ولو انعدمت السماء والارض وبقى هو في نفسه لوحد صورة السما والارض في نفسه كأنه يشاهدهما وينظر اليهما ثم يتأذى من خياله إلى أن يرى القلب فيفصل فيه حقائق الاشياء التي دخلت في الحس والخيال والحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا من خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للقسمة الموجودة في اللوح المحفوظ فكان للعالم أربع درجات في الوجود ووجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسماني وتنبه وجوده الحقيقي وتنبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي أعني وجود صورته في الخيال وتنبع وجوده الخيالي وجوده العقلي أعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمانية والروحانية بعضها أشد روحانية من البعض وهذا اللطف من الحكمة الالهية اذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث ينطبق فيها صورة العالم والسموات والارض على اتساع أكافها ثم يسرى من وجودها في الحس ووجود الى الخيال ثم منه وجود في القلب فانك أبدأ لا تدرك الا ما هو واصل اليك فاولم يجعل للعالم كلمة مثلا لا في ذاتك لما كان لك خبر عما بين ذاتك فسمان من در هذه العجائب في القلوب والابصار ثم أحمى عن دركها القلوب والابصار حتى صارت قلوب أكثر الخلق جاهلة بأنفسها وبجنانها ولترجع الى الغرض المقصود فنقول القلب قد تصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورة تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما أن العين تصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر اليها وتارة من النظر الى الماء الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها فلهما ارتفع الحجاب بينهما وبين اللوح المحفوظ رأى الاشياء فيه وتغير اليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتغير الماء من عمق الارض ومهما أقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له من مطالعة اللوح المحفوظ كما أن الماء اذا اجتمع في الانهار منع ذلك من

التعجب في الارض وكأن من نظر الى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا الى نفس الشمس
فاذا قلب يا بان باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو الوح المحفوظ وعالم الملائكة وباب مفتوح الى
الحواس الخمس المتسكة بعالم الملك والشهادة وعالم الشهادة والملك أيضا كما في عالم الملكوت نوما
من المحاكاة فاما افتتاح باب القلب الى اقتباس من الحواس فلا يخفى عليك وأما افتتاح باب
الداخل الى عالم الملكوت ومطالعة الوح المحفوظ فعمله علينا قينا بالتأمل من عجائب الرؤيا
واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل أو كان في الماضي من غير اقتباس من جهة
الحواس وانما يفتح ذلك الباب لمن اتقده بذكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم سبق المقردون
قبل ومن هم المقردون يا رسول الله قال المتزهدون بذكر الله تعالى وضع الذكرك عنهم أو زارهم فوردا
القيامه خفا فثم قال في وصفهم اخبارا عن الله فقال ثم أقبل بوجهي عليهم أترى من واجهته وجهي
يعلم أحداي شيء أريد أن أعطيه ثم قال تعالى أول ما أعطهم أن أقذف النور في قلوبهم فيضربون
عني كما أخبرتهم ومدخل هذه الاخبار هو الباب الباطن فاذا الفرق بين علوم الاولياء والانبيا وبين
علوم العلماء والحكماء هنا هو أن علومهم تنافي من داخل القلب من الباب المنفتح الى عالم الملكوت
وعلم الحكمة يتأني من أبواب الحواس المفتوحة الى عالم الملك وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي
الشهادة والغيب لا يمكن أن يستقصي في علم المعاملة فهذا مثال لعلم الفرق بين مدخل العالمين
* المثال الثاني يعرف الفرق بين العالين أعني عمل العلماء وعمل الاولياء فان العلماء يعملون
في اكتساب نفس العلوم واجتلاءها الى القلب واولياء الصوفية يعملون في جلاء القلوب وتطهيرها
وتصفيتها وتصفيتها فقط قد حكى أن أهل الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن
صناعة النقش والصور فاستقر رأي الملك على أن يسلم اليهم صفة لنقش أهل الصين منها جانيا
وأهل الروم جانبوا ربحي بينهم احجاب يمنع اطلع كل فريق على الآخر ففعل ذلك فجاء أهل الروم من
الاصباغ الغريبة ما لا ينصر ودخل أهل الصين من غير صبغ وأقبلوا يحملون جانبهم وصقلونه فلما
فرغ أهل الروم أذعأ أهل الصين انهم قد فرغوا أيضا فذهب الملك من قولهم وانهم كيف فرغوا من
النقش من غير صبغ فقبل وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا اما عليكم ارفعوا الحجاب فرغوا واذ
بجانبهم يتلا لأمنه عجائب الصنائع الرومية مع زيادة اشراق وبريق اذ كان قد صار كالرآة المخلوة
لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بزيادة التصقيل فكذلك عناية الاولياء بتطهير القلب وجلائه
وتركيته ووصفاته حتى يتلا لأمنه جليلة الحق بنهاية الاشراق كفعل أهل الصين وعناية الحكماء
والعلماء بالاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقشها في القلب كفعل أهل الروم فكيف ما كان
الامر قلب المؤمن لانيوت وعلمه ضد الموت لا يحيى وصفاته لا يشكر واليه أشار الحسن رحمه الله
عليه بقوله التراب لا ياك بل يحمل الايمان بل يكون وسيلة وقرينة الى الله تعالى وأما ما حصله من
نفس العلم وما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نفس العلم فلا شئ به عنه ولا سعادة لاحد
الا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات أشرف من بعض كما أنه لا شئ الا بالمال فصاحب الدرهم غني
وصاحب الخزانة للترعة غني وتفاوت درجات السعادات بحسب تفاوت المعرفة والايمان كما تتفاوت
درجات الاغنياء بحسب قوة المال وكثرته فالمعارف أنوار لا يسي المؤمنون الى لقاء الله تعالى الا
بأنوارهم قال الله تعالى يسي نورهم بين أيديهم وبأيامانهم وقد روي في الخبر أن بعضهم يعطي نورا مثل
الجبل وبعضهم أصغر حتى يكون آخرهم رجلا يعطي نورا على أيها قدمه فيضيء ممره فينطني
أخرى فاذا أضاه قدمه قدمه فيضيء واذ طغى قام ومروهم على الصراط على قدر نورهم فهم من بمر

كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كاتقضاء
الكواكب ومنهم من يمر كالقرص اذا اشتد في ميدانه والذي أعطى نوراً على انهم قدمه بحجوبوا
على وجهه وبديه ورجليه بغيره وخلق أخرى وصيب جوائنه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص
الحدث فهذا يظهر تفاوت الناس في الايمان ولو وزن ايمان أبي بكر بايمان العالمين سوى النبيين
والمسلمين لرجح فها هو أيضاً ضاهى قول القائل لو وزن نور الشمس بنور السراج كها راى فإيمان أحاد
العوام نورهم مثل نور السراج وبضهم نوره كدور الشمع وإيمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم
وإيمان الانبياء كالشمس وكانت تكشف في نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع أقطارها ولا يتكشف
في نور السراج الا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت انشراح الصدور بالمعارف وانكشاف
سعة المسكوت لقلوب العارفين ولذلك جاء في الخبر أنه يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من كان
في قلبه مثقال ذرة من إيمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت
درجات الايمان وأن هذه المقادير من الايمان لا تمنع دخول النار وفي مفهومه أن من إيمانه يزيد
على مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه أولاً وأن من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق
الخلو في النار وان دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم ليس شيء خيرا من ألف مثله الا
الانسان المؤمن إشارة الى تفصيل قلب العارف بالله تعالى الموقن فانه خير من ألف قلب من العوام
وقد قال تعالى وأنتم الا علون ان كنتم مؤمنين تفضيلاً للمؤمنين على المسلمين والمراد به المؤمن العارف
دون المقلد وقال عز وجل يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فإراد ههنا ما الذين
آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم من الذين أوتوا العلم ويدل ذلك على أن اسم المؤمن يقع على
المقلد وان لم يكن قصد به من بصيرة وكشف وفسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى والذين أوتوا
العلم درجات فقال يرفع الله العالم فوق المؤمن بسبعاً ودرجتين كل درجتين كآيين السماء والارض
وقال صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله وعلوهم لنزوى اللباب وقال صلى الله عليه وسلم
فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي وفي رواية كفضل الثرلثة البدر على سائر
الكواكب فهذا الشواهد تنص على تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم
ولهذا كان يوم القيامة يوم التغابن اذا انحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران والخورم يرى فوق
درجته درجات عظيمة فيكون نظره اليها كخطر القتي الذي ملك مشرقه ارام الى القتي الذي ملك
الارض من المشرق الى المغرب وكل واحد منهما مخفى ولكن ما أعظم الفرق بينهما وما أعظم الغبن
على من يحس خطئه من ذلك ولا آخره أكبر درجات وأكثر تفضيلاً

في بيان شواهد الشرع على محطتين أهل التصوف في اكتساب

المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد

اضلم أن من انكشف له شيء ولو ان شيء اليسير بطريق الهام والوقوع في القلبين حيث لا يدري
فقد صار عارفاً بصحة الطريق ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي أن يؤمن به فان درجة المعرفة
فيه عز وجل اذ شهد لذلك شواهد الشرع والخبار والحكايات أما الشواهد فتقوله تعالى والذين
جاهدوا فبنا لنهديهم سبلنا فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير علم فهو
بطريق الكشف والهام وقال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علمه ما لم يعلم وبقية ما
يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما علم تاه فيما علم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار
وقال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً من الاشكالات والشبه ويرزقه من حيث لا يحتسب

يعلمه علما من غير تعلم ويطعمه من غير تجربة وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا ان تقوا الله يجعل لكم فرقا نا
 قبل نورافرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ولذلك كان صلى الله عليه وسلم أكثر
 في دعائه من سؤال النور فقال عليه السلام اللهم أعطني نورا وذنبي نور اوجعل لي في قلبي نورا وفي قعري
 نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا حتى قال في شعري وفي بشري وفي لحي ودي وعظامي ووسئل صلى الله
 عليه وسلم عن قول الله تعالى اني شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ما هذا الشرح فقال
 هو التوسعة ان النور اذا قذف به في القلب اتسع له الصدر واتشرح وقال صلى الله عليه وسلم لا ين
 صباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وقال علي رضي الله عنه ما عندنا شيء أسره النبي صلى الله عليه
 وسلم المتألا ان يؤتي الله تعالى عبدا فهما في كتابه وليس هذا بالتعلم وقيل في تفسير قوله تعالى يؤتي
 الحكمة من يشاء انه الفهم في كتاب الله تعالى وقال تعالى ففهمناها سليمان خص ما انكشف له باسم
 الفهم وكان أبو الدرداء يقول المؤمن من ينتظر نور الله من وراء سترة رقيق والله انه الحق يقذفه الله
 في قلوبهم ويجريه على ألسنتهم وقال بعض السلف طلق المؤمن كهانة وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا
 فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى واليه يشير قوله تعالى ان في ذلك آيات للتوسمين وقوله تعالى
 قد جئنا الآيات لقوم يوقنون وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العلم علان فعلم
 باطن في القلب فذلك هو العلم النافع وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو فقال هو سر من أسرار
 الله تعالى يقذفه الله تعالى في قلوب أحبائه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقد قال صلى الله عليه وسلم
 ان من اتقى محبتين ومعلمين ومكلمين وان هم منهم وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما وما أرسلنا من
 قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين والمحدث هو الملمهم والملمهم هو الذي انكشف له في
 باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات انجارجة والقرآن مصرح بان التقوى مفتاح
 الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم وقال الله تعالى وما خلق الله في السموات والارض لا آيات
 لقوم يتقون خصصها لهم وقال تعالى هذيان للناس وهدى وموعظة للذين وكان أبو زيد وغيره
 يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما حفظه صار جاهلا انما العالم الذي يأخذ علمه من
 ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس وهذا هو العلم الرباني واليه الاشارة بقوله تعالى وعلمناه من لدنا
 علما مع ان كل علم من لدنه ولكن بعضها بواسطة تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما للناس بل الذي الذي
 ينفع في سر القلب من غير سبب ما ألوف من خارج فهذه شواهد النقل ولوجع كل ما ورد فيه من
 الآيات والاخبار والآثار يخرج عن الحصر * وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضا خارج
 عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعائشة
 رضي الله عنها عند موته انما هما اخوات واختاك وكانت زوجته حامل لا فولدت بنتا فكان قد عرف
 قبل الولادة انها بنت وقال محرر رضي الله عنه في أثناء خطبته يا سارية الجبل الجبل اذا انكشف له ان
 العدو قد أشرف عليه فحذر لم يعرفه ذلك ثم يلوح صوته اليه من جملة الكرامات العظيمة وعن أنس
 ابن مالك رضي الله عنه قال دخلت على عثمان رضي الله عنه وكنت قد لقيت امرأة في طريق فخطرت
 الهاشتر وانما كنت محاسنها فقال عثمان رضي الله عنه لما دخلت يدخل علي أحدكم وأترانا ظاهرا
 على عينيه ما ملأت ان زنا العينين النظر لتسرون أو لأعزرتك قفقت أو حي بعد النبي فقال لا ولكن
 بصيرة وورهان وفراسة صادقة وعن أبي سعيد الخدري قال دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيرا عليه
 خرقتان قفلت في نفسي هذا اراشبا هكل على الناس فناداني وقال والذي يعلم ما في انفسكم فاحذروه
 فاستغفرت الله في سري فناداني وقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ثم غاب عني ولم أرو قال زكريا

ابن داود دخل أبو العباس ابن مسروق على أبي الفضل الهاشمي وهو عليل وكان ذا عمل ولم يعرف له سبب بعيشه قال فلما قلت في نفسي من أين يأكل هذا الرجل قال فصاح بي يا أبا العباس رد هذه الهمة الدنية فان الله تعالى الظاف خفيته قال أحمد النقيب دخلت على السبكي فقال مفتونا يا أحمد فقلت ما الخبر قال كنت جالساً بهري بخاطري انك بجبل فقلت ما أن يجبل فعادني خاطري وقال بل أنت بجبل فقلت ما فتح اليوم على بشي الا دعته الى أول قبر يلقي قال فاستمط الحاطر حتى دخل على صاحب المؤنس الخادم ومعه خمسون ديناراً قال اجعلها في مصالحك قال فآخذتها وقت وخرجت واذا بقبر مكشوف بين يدي مزين يحلق رأسه فتقدمت اليه وبأولته الدنانير فقال اعطها المزين فقلت ان جعلتها كنزاً وكذا قال أوليس قد قلنا انك بجبل قال فناولها المزين فقال قد صدقنا المجلس هذا القبر بين أيدينا أن لا تأخذ عليه أجر انا فقميت بها في ليلة وقلت ما أعزك أحد الا أنه عز وجل وقال حمزة بن عبد الله العلوي دخلت على أبي الخير التيناني واعتقدت في نفسي أن أسلم عليه ولا آكل في داره طعاماً فلما خرجت من عنده اذناه قد لحقني وقد حمل طبقاً فيه طعام وقال يا بني كل فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان أبو الخير التيناني هذا مشهوراً بالكرامات وقال ابراهيم الرقي قصده مسلماً عليه حضرت صلاة المغرب فلم يحكك قراً الفاتحة مستوراً فقلت في نفسي ضاعت سقري فلما سلم خرجت الى الطهارة فقصدي سبع فعدت الى أبي الخير وقلت قصدي سبع فخرج وصباح به وقال ألم أقل لك لا تنزع رضيفاني فتخي الاسد فتظهرت فلما رجعت قال لي اشتغلت بتقويم الظاهر فنفعت الاسد واشتغلت بتقويم البواطن فها هنا الاسد * وما حكي من قس السامع واخبارهم من اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر بل ما حكي عنهم من مشاهدة الخضر عليه السلام والسؤال منه ومن مباح صوت الهاتف ومن تنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن أنكر الاصل انكبر التفصيل * والدليل القاطع الذي لا يقدر أحد على جده أمران * أحدهما يحتاج الرؤيا الصادقة فانه يكشفها الغيب واذا جاز ذلك في النوم فلا يستعمل أيضاً في اليقظة فلم يخارق النوم اليقظة الا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات فكم من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر لا اشتغاله بنفسه * والثاني اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغيب وامور في المستقبل كما اشتمل عليه القرآن واذا جاز ذلك النبي صلى الله عليه وسلم جاز لغيره النبي عبارة عن شخص كوشف بمخاتق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستعمل أن يكون في الوجود شخص مكشوف بالمخاتق ولا يستعمل باصلاح الخلق وهذا يسمى فيبابل يسمى ولياً فمن آمن بالانبياء وصديق بالزوايا الصحيحة لزمه لعل انه أن يقرباً من القلب له باب الى خارج وهو الحواس وباب الى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام والنفث في الروع والوحى فاذا قرعهما جميعاً يمكنه أن يبصر العلوم في التعلم ومباشرة الاسباب المألوفة بل يجوز أن تكون المجاهدة سبيلاً اليه فهذا ما يتبعه على حقيقة ما ذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت وأما السبب في انكشاف الاسرار في المنام بالنال الخوج الى التعبير وكذلك تمثل الملكة للانبياء والاولياء بصور مختلفة فذلك أيضاً من أسرار عجائب القلب ولا يليق ذلك الا بعلم المكشوفة فلتقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستغاثات على المجاهدة وطلب الكشف منها فقد قال بعض المكشفين نظروني الملك فسألني أن أملي عليه شيئاً من ذكرى الخفي عن مشاهدتي من التوحيد وقال ما نكتب لك عملاً ونحن نحب أن نصعدك بعمل تتقرب به الى الله عز وجل فقلت ألسنا كتبنا القرائض قال بل لي تخلص في كتبكم

ذلك وهذه اشارة الى أن السكرام الكثرين لا يطلعون على أسرار القلب وإنما يطلعون على الاعمال الظاهرة وقال بعض العارفين سألت بعض الأبدال عن مسألة من مشاهدة البقن فالتفت الى شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم ألقى الى صدره وقال ما تقول رحمك الله ثم أجاب بأعرب جواب سمعته فسالته عن التفاته فقال لم يكن عندي في السألة جواب عتيدي فسالته صاحب الشمال فقال لا أدري فسالته صاحب اليمين وهو أعلم منه فقال لا أدري فنظرت الى قلبي وسأله فحدثني بما أجبته فاذا هو أعلم منهم ما كان هذا هو معنى قوله عليه السلام ان في امتي محدثين وان عمر منهم وفي القرآن الله تعالى يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فزأيت الغالب عليه التمسك بكري قوليت سياسته وكنت جليبه ومجادته وانيسه وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله عليه القلب بمنزلة القبة المصروية حولها أبواب مغلقة فأي باب فتحه عمل فيه فقد ظهر افتتاح باب من أبواب القلب الى جهة المليكوت والملا الأعلى وينفتح ذلك الباب بالجاهدة والورع والاعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر رضي الله عنه الى امرأه الأخناد احتفظوا ما سمعوا من الطبعين فانهم ينجي لهم امور صادقة وقال بعض العلماء يد الله على أفواه الحكماء لا يطقون الا بما هيأ الله لهم من الحق وقال آخر لو شئت لقلت ان الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره

بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب تعلقها به
اعلم ان القلب كذا كراهه مثال قبة مضروبة لها أبواب تنصب اليه الاحوال من كل باب ومثاله أيضا مثال هدف تنصب اليه السهام من الجوانب وهو مثال مرآة منصوبة تتجاسر عليها أصناف الصور المختلفة فتراه في فيها صورة بعد صورة ولا يتلوغ عنها أو مثال حوض تنصب فيه مياه مختلفة من أنهار مفتوحة اليه وانما داخل هذه الأنوار المتجددة في القلب في كل حال امامان الظاهر فالخواس الخمس وامامان الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة من مزاج الانسان فانه اذا أدرك بالخواس شيئا حصل منه أثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل وبسبب قوة المزاج حصل منها في القلب أثر وان كف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينقل الخيال من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال آخر والمقصود ان القلب في التغير والتأثر دائما من هذه الاسباب وأخص الأنوار الحاصلة في القلب هو الخواطر وأعني بالخواطر ما يحصل فيه من الافكار والآدكار وأعني به ادراكه علوما اماما على سبيل التجدد وامام على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تنطير بعد أن كان القلب غافلا عنها والخواطر هي الحركات للارادات فان النبوة والعزم والارادة انما تكون بعد خطور للنوى بالبال لا محالة فبدأ الافعال والخواطر ثم انما الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك الشهوة والشهوة تحرك الانفعال والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشهوة أعني الى ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير أعني الى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خواطران مختلفان فافتقر الى اسمين مختلفين فالخواطر المحمودة يسمى الهام والخواطر الذمومة أعني الداعي الى الشر يسمى زسواسا ثم انك تعلم أن هذه الخواطر حادثة فحان كل حادث فلا بد له من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الانبياء هذا ما عرفت من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب فلهما استنارت حيطان البيت بنور النار وأظلم سقفه واسود بالداخل علمت أن سبب السواد في سبب الاستنارة وكذلك لانوار القلب وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملك

وسبب الخطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا والظف الذي يتبها به القلب لقبول الهام الخير
يسمى توفيقا والذي به يتبها لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذ لا فان المعاني المختلفة تنحدر
الى اسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق
والوعد بالخير والامر بالمعروف وقد خلقه وسفره لذلك والشيطان صاورة عن خلق شأنه ضد ذلك
وهو الوعد بالشر والامر بالعشاء والتخوف عند الهام بالخير بالفقر والوسوسة في مقابلة الهام
والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شيء
خلقنا زوجين فان الموجودات كلها متقابلة من دوجة الا الله تعالى فانه فرد لا مقابل له بل هو الواحد
الحق الخالق للزوج كلهما فالقلب متبادب بين الشيطان والملك وقد قال صلى الله عليه وسلم
في القلب لثان لثمن الملك ابعاد الخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله سبحانه
وليحمد الله ولعن العدو واعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله
من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى الشيطان يعدم الفقر ويأمركم بالعشاء الآية وقال الحسن
انما هما هيمان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عنده هما
كان من الله تعالى أمضاه وما كان من العدو مجاهده ولتبادب القلب بين هذين السلطين قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن فالله تعالى عن أن
يكون له اصبع مركبة من لحم وعظم ودم وعصب منقسمة بالانامل ولكن روح الاصبع سرعة
التقلب والقدرة على التحريك والتغير فانك لا تريد أصبعك لتضرب لقعده في التقلب والترديد
كما انك تتعالي الانفعال بأصابعك والله تعالى يفعل ما يفعل باستعصار الملك والشيطان وهما
مسخزان بقدرته في قلب القلوب كما أن أصابعك محضرة في قلب الاجسام مثلما القلب
بأصل الفطرة صالح لقبول آيات الملك ولقبول آيات الشيطان صلا حامتساو ليس يترج أحدهما
على الآخر وانما يترج أحد الجانبين باتباع الهوى والا كلب على الشهوات أو الاعراض عنها
ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الغضب والشهوة طهر وسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار
القلب عرش الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرعى الشيطان ومرعى نعمان جاهد الشهوات
ولم يسلطها على نفسه وتشبه بأخلاق الملائكة عليهم السلام صار قلبه مستقر الملائكة ومهيضهم
ولما كان لا يخلو قلبه عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل الى غير ذلك من صفات البشرية
المتشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلبه من أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال صلى
الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وله شيطان قالوا أو أنت يا رسول الله قال وأبلا ان الله أعانني
عليه فأسلم فلا يأمر الابغض وانما كان هذا لان الشيطان لا يتصرف الا بواسطة الشهوة فمن أعانته
الله على شهوته حتى صارت لا تبسط الا حيث ينبغي والى الحد الذي ينبغي فهو ملة تدعو الى الشر
فالشيطان التدرع بالايامر الابغض ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات القوى وجد
الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب الى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق بمجاله
وأقبل الملك وألمه والتطارد بين جندى الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم الى أن ينتزع
القلب لاحدهما فيستوطن ويستمكن ويكون اجتياز الثاني اختلاسا أو كثر القلوب قد فقتها
جنود الشياطين وتملكتها فامتلات بالوسواس الدافسة الى اتيار العاجلة واطراح الآخرة مبدأ
استغلتها باتباع الشهوات والهوى ولا يمكن قهرها بعد ذلك الا بتخليه القلب عن قوت الشيطان وهو
الهوى والشهوات ومجاز يفيض كالله تعالى الذي هو مطروح أثر الملائكة وقال الخليل بن عبد الجبار

شكوت الى العلامة من زياداً ما جد في صدرى من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذى
يمر به المصروع فان كان فيه شئ عاجلوه والامضوا وتركوه يعنى أن القلب الخالى عن الهوى
لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان عبدى ليس لك عليهم سلطان فكل من اتبع الهوى فهو
عبد الهوى لا عبد الله ولذلك سلب الله عليه الشيطان وقال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه هو
اشارة الى أن من الهوى الهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك قال عمرو بن العاص لنبى
صلى الله عليه وسلم يا رسول الله حال الشيطان بينى وبين صلاتى وقرآنى فقال ذلك شيطان يقال له
خترى فاذا أحسنه فتعزى بالله منهوا قل عن يسارك نلنا قال ففعلت ذلك فأذهب الله عني وفي الخبر
أن للوسوء شيطاناً يقال له الهوان فاستخذوا بالله منه ولا يحسوسه وسوسة الشيطان من القلب الا
ذكر ما سوى ما يوسوس به لانه اذا خطر في القلب ذكر شئ انعدم منه ما كان فيه من قبل ولكن
كل شئ سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به فيعزى أيضاً أن يكون محالاً للشيطان وذكر الله هو الذى
يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشئ الا بضده وشد جميع وساوس
الشيطان وذكر الله بالاستعاذة والتبرى عن الحول والقوة وهو معنى قولنا أعوذ بالله من الشيطان
الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وذلك لا يقدر عليه الا المتقون الغالب عليهم ذكر الله
تعالى وانما الشيطان يطوف عليهم فى أوقات الفترات على سبيل الخلسة قال الله تعالى ان الذين
اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم منصورون وقال بجاهد في معنى قول الله تعالى
من شر الوسواس الخناس قال فهو منبسط على القلب فاذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض واذا تقل
انبط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين
الليل والنهار وتضادهما قال الله تعالى استخوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله وقال أنس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم فان هوى ذكر الله تعالى
بخنس وان نسي الله تعالى التمس قلبه وقال ابن وضاح فى حديث ذكره اذا بلغ الرجل أربعين سنة
ولم يرب مسخ الشيطان وجهه سيده وقال أبى وجهه من لا يفلح وكأن الشهوات ممتزجة بلم ابن آدم
ودمه فسلطنة الشيطان أيضاً سارية فى لحمه ودمه ومحيطه بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فنبهه بالحجارة بالجوع وذلك لان الجوع
يكسر الشهوة ويجرى الشيطان الشهوات ولا حل اكشاف الشهوات لقلب من جوانبه قال الله
تعالى اخبارا عن ابليس لأقعدن لحم صراطك المستقيم ثم لا تنهم من بين أيديهم ومن خلفهم ومن
أيمانهم ومن شمائهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لان آدم بطرق فقهده بطريق
الاسلام فقال أنسلم وترك دنك ودين آتاك فصاه وأسلم ثم قهده بطريق الحجرة فقال أهاجر
أندع أرضك وسماؤك وقسم مالك فصاه وجاهد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فن
فعل ذلك فأت كان حقا على الله أن يدخله الجنة فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة
وهي هذه الاخطار التي تخطر للعاهد أنه يقتل وتكسب نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه
الخطاير معلومة فاذا الوسواس معلوم بالمشاهدة فكل خاطره فله سبب ويفتقر الى اسم يعرفه فاسم
سببية الشيطان ولا يتصور أن ينقل عنه آدمى وانما يتلقون به صيانه ومتابعته ولذلك قال عليه
السلام ما من أحد الا وله شيطان فقد انفضح هذا النوع من الاستصناع معنى الوسوسة والالهام
والمالك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا انظر من يتخفى في ذات الشيطان انه جسم لطيف

أوليس يحسم وإن كان جسمه فكيف يدخل بدن الإنسان ما هو جسم فهذا الآن غير محتاج إليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثيابه حية وهو محتاج إلى إزالة ما هو ضررها فاشتغل بالبحث عن ثوبها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل فسادمة الخواطر الباعثة على الشر قد علت وتبدلت على أنه من سبب الحاجة وعلم أن الداعي إلى الشر المحذور في المستقبل عدو فقد عرف العدو ولا محالة فينبغي أن يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترضه فقال تعالى إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو خزيه ليكونوا من أصحاب السعير وقال تعالى ألم أعد اليكم يا بني آدم الأعداء الشيطان أنه لكم عدو مبين فينبغي للعبد أن يشتغل بلغ العدو عن نفسه لا بالسؤال عن أصله ونسبه ومسكنه ثم ينبغي أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعالمين فأما معرفة ذاته وموصفاته وحقائقه فهو ذاك الله منه وحقائقه الملائكة فذلك ميدان العارفين المتخالفين في علوم المكاشفات فلا يحتاج في علم المعاملة إلى معرفته ثم ينبغي أن يعلم أن الخواطر تنقسم إلى ما يصلح قطعاً عنه داع إلى الشر فلا ينبغي كونه وسوسة وإلى ما يصلح اتداع إلى الخير فلا يشك في كونه الهاماً وإلى ما يتردد فيه فلا يدرى أنه من لمة الملك أو من لمة الشيطان فأن من مكائد الشيطان أن يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض وأكثر العاصية بهلكون فإن الشيطان لا يقدر على طعنه إلى الشر الصريح فيصير الشر بصورة الخير كما يقول العالم بطريق الوعظ أما تنظر إلى الخلق وهم موقوف من الجهل هلكت من الغفلة قد أشرفوا على النار أما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من العذاب ينصحب ووعظك وقد أتم الله عليك قلب بصير ولسان ذلق ولحمة مقبولة فكيف تكفر بعبادة الله تعالى وتعرض لسخطه وتسكت عن إشاعة العلم ودعوة الخلق إلى الصراط المستقيم ولا يزال المقر ذلك في نفسه ويستعبر بلطف الخيل إلى أن يشتغل بوعظ الناس ثم يبدعه بعد ذلك إلى أن يتبين لهم ويتصنع بتفسير القضا وأخبار الخير ويقول له إن لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يندوا إلى الحق ولا يزال يقرر ذلك عنده وهو في شأنه بق كذفيه شوائب الرأى موقوف الخلق ولذة الجاهد والتعزيب بكثرة الانبعاث والعلم والنظر إلى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح إلى الهلاك فيسكنهم وهو ظن أن قصده الخير وإنما قصده الجاهل والقبول فيلك بسببه وهو يظن أنه عند الله بمكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله يؤذيهم هذا الدين يقوم لأخلاق لهم وأن الله ليؤذيهم هذا الدين بالرجل الضالجر ولذا روى أن إبليس لعنه الله مثل لعبسبب ابن مريم صلى الله عليه وسلم فقال له قل لا إله إلا الله فقال كذبة حق ولا تؤمنوا بقولك لأن له أيضا تحتها الخير تليبيسات وتليبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتساهى بها هلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والأعيان وأصناف الخلق من بكرهون ظاهراً للشر ولا يرضون لأنفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة وسند كرجلته من مكائد الشيطان في كتاب الغرور وفي آخره هذا الرب ولعلنا أن أهل الزمان مصنفات في كتاب على الخصوص لصحية تليبيسات إبليس فأنه قد انتشر الآن تليبيسة في البلاد والعباد لا سيما في المذاهب والاعتقادات حتى لم يبق من الخيرات إلا رسمها كل ذلك ادعانا لتليبيسات الشيطان ومكائده فحق على العبد أن يقف عنك كل هم يحطره ليعلم أنه من لمة الملك أو لمة الشيطان وأن بعض التطرف فيه بعين البصيرة لا يهوى من الطبع ولا يطلع عليه الابن والتقوى والبصيرة ووزارة العلم كما قال تعالى إن الذين اتقوا أناسهم طيف من الشيطان تدكروا إلى رجعوا إلى نور العلم فأهم مصررون أي تكشف لهم الأشكال فأما من لم يرض نفسه بالتقوى فبمثل طبعه إلى

الادعان بتلبسه بعبادة الهوى فيكثر فيه غلظه ونجس فيه هلاكه وهو لا يشعر وفي مثلهم قال سبحانه
وتعالى ويداهم من اللغمة ما يكونوا يمتسبون قيل هي أعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيئات واغرض
أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكيد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد
أهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تسخير الهمم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتسبهم عدوانه
وطريق الاحتراز منه ولا ينجي من كثرة الوسواس الا استدأبوا الخواطر وألواها الخواص الخمس
وألواهم داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلوة في بيت منظم تستدأب الخواص والتجرد من
الاهل والمال يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنه في الخيلات الجارية
في القلب وذلك لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم انه لا يزال يجذب القلب وينازعه بلبه من
ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها الا الموت اذ لا يخلص أحد من الشيطان
مادام حيا ثم قد يقوى بحيث لا يتقاده ويدفع عن نفسه شره بالجهد ولكن لا يستغنى قطع الجهاد
والمدافعة مادام الدم يجري في بدنه فانه مادام حيا فابواب الشيطان مفتوحة الى قلبه لا تنغلق وهي
الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كل سيأتى شرحها ومهما كان الباب مفتوحا
والعدو عزرا فلما يدفع الا بالحراسه المجاهدة قال رجل للعسن يا أبا سعيد أياكم الشيطان قبيح
وقال لو انا لم استرحنا فاذا لا خلاص للمؤمن منه نعم لم يسبيل الى دفعه وتضعيف قوته قال صلى الله
عليه وسلم ان المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى أحدكم بعيره في سفره وقال ابن مسعود شيطان المؤمن
مهرزول وقال قيس بن الجاح قال لي شيطان دخلت فيك وأنا مثل الجرورو وأنا الان مثل العصفور
قلت ولمذا قال تدبني يد ذكر الله تعالى فأهل التقوى لا يتعدر عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها
بالحراسة أعني الابواب الظاهرة والطرق الجليلة التي تقضى الى المعاصي الظاهرة والباطنة
في طرقها المفضة فانهم لا يهتمون الهافيرسونها كما نثرنا اليه في غرور العلماء والواضع والمشكل
ان الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وابواب الملايكة باب واحد وقد التمس ذلك الباب
الوحيد هذه الابواب الكثيرة فالصدقيا كلسافر الذي سقى في بادية كثيرة الطرق فامضة المسالك
في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هي القلب
المصنئ بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغرر المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله
عليه وسلم فيما عتدى الى غوامض طرقه والافطرة كثيرة وفاضلة قال عبد الله بن مسعود رضى
الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا من عين
انخط وعن شماله ثم قال هذه سبيل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطى
مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل تلك الخطوط فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا
مثالا للطريق القامض من طرقه وهو الذى ينجده العلماء والعباد الى الكين لشهواتهم والكافين
عن المعاصي الظاهرة فلنذكر مثالا للطريقه الواضحة الذى لا ينجي الا أن يضطر الادبى الى سلوكه
وذلك كادى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كان راهب في بني اسرائيل فعبد الشيطان الى
جارية فخنقها واأتى في قلوب أهلها أن دواها ضد الراهب فألواها اليه فأنى أن قبلها فلم يزالوا به
حتى قبلها فلما كانت ضد لبعالها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعا غفلت
منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح بأنك أهلها فاقبلها فان سألوك فقل مانت فقبلها ودفعها فأنى
الشيطان أهلها فوسوس الهمم وأتى في قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفعها فأناه أهلها فساءلوه عنها
فقال مانت فأخذوه ليقبلوه بها فأناه الشيطان فقال أنا الذى خنقتها وأنا الذى ألقى في قلوب

أهلها فأطعني وتخ وأخلصك منهم قال بماذا قال اسجد لي سجدتين فبصده سجدتين فقال له
الشيطان اني ارى منك فهو الذي قال الله تعالى فيه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما
اكفر قال اني ارى منك فانتظر الآن الى حيله واضطروا راهاب الى هذه الكثرة وكل ذلك
لطاعته له في قبول الجارية للما لجو وهو امرهين وربما ظن صاحبه انه خير وحسنه فيحسن ذلك
في قلبه بجني الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيضج الامر بعد ذلك عن اختيار ويجتره البعض
الى البعض بحيث لا يجد محصاف تعود بالهمن قضيع أوائل الامور واليه الاشارة بقوله صلى الله
عليه وسلم من حام حول الخمر يشك ان وقع فيه

بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب

اعلم ان مثال القلب مثال الحصن والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه
ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو الا بحراسة ابواب الحصن ومداخله ومواضع ثقله ولا يقدر على
حراسة ابوابه من لا يدري ابوابه فحماية القلب عن وسوس الشيطان واجب وهو فرض عين على كل
صمد مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو ايضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة
مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخل الشيطان وابوابه صفات العبد وهي كثيرة ولكنا
نشير الى الابواب العظيمة الجارية بحرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان فمن ابوابه
العظيمة الغضب والشهوة فان الغضب هو قول العقل واذا ضعف جنبا لعقل هجم جنبا للشيطان
ومهما غضب الانسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة قد درى ان موسى عليه السلام
لقبه ابليس فقال له يا موسى انت الذى اصطفاك الله رسالته وكلت تكلموا وانا اخلق من خلق الله
أذنبت وايدأ ان اتوب فاشق على الرب ان يتوب على فقال موسى نعم فلما صد موسى الجبل وكلم
ربه عز وجل واد التزلزل قال له ربه اذ الأمانة فقال موسى يا رب هبك ابليس يريد ان يتوب عليه
فاوحى الله تعالى الى موسى يا موسى قد قضيت حاجتك مره ان تسجد لآدم حتى يتاب عليه فلقى
موسى ابليس فقال له قد قضيت حاجتك أمرت ان تسجد لآدم حتى يتاب عليك فغضب واستكبر
وقال لم اسجد له حيا أسجد له ميتا ثم قال يا موسى انك على حق بما شفقت الى الربك فاذ كرتى ضد
ثلاث لا أهلكك فحين اذ كرتى حين تغضب فان روحى في قلبك وصيتى في عينك وأجرى منك بحرى
الدم اذ كرتى اذا غضبت فانه اذا غضب الانسان تخفت في انفه فابدى ما يصنع واذ كرتى حين تلقى
الزحف فالى ابن آدم حين يلقي الزحف فاذ كره زوجته وولده وأهله حتى يولى وياك ان تجلس
الى امرأة ليست بذات محرم فالى رسولها اليك ورسولك اليها فلا زال حتى اقتنك بها واقتنابك
قدما شاربه الى الشهوة والغضب والحرم فان الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه من
السجود لآدم ميتا هو الحسد وهو اعظم مداخله وقد ذكر ان بعض الاولياء قال لا بليس ارنى كيف
تقلب ابن آدم فقال اخذ عند الغضب وعند الهوى فقد حكي ان ابليس ظهر راهب فقال له راهب
اى أخلاق بنى آدم أعون لك قال الخفة فان العبد اذا كان حديدا قلبه كما قلب الصبيان الكرة
وقيل ان الشيطان يقول كيف فعلتني ابن آدم واذا رضى جثت حتى أكون في قلبه واذا غضب طرت
حتى أكون في رأسه ومن ابوابه العظيمة الحسد والحرم فهما كان العبد حرصا على كل شئ أهماه
حرصه وأحمه اذ قال صلى الله عليه وسلم حبك لثي لبي ويصم وفور البصرة هو الذى يعرف مداخل
الشيطان فلذا اعطاه الحسد والحرم لم يصرفه عن تحييد الشيطان فرفضه فيصن ضد الحريص كل ما
يوصله الى شهوته وان كان منكرا وفا حقا فقد درى ان نوعا عليه السلام لما ركب السفينة حمل

فيما من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى في السفينة شيئا لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك فقال
دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبائهم معك فقال له نوح اخرج منها يا عبد الله
فانك لعين فقال له ابليس خمس أهلك من الناس وسأحدثك منهن ثلاث ولا أحدثك بالثنتين
فأوحى الله تعالى إلى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاث فليذكر بالاثنتين فقال له نوح ما الاثنان فقال هما
الثان لا يصدقني هما الاثنان لا تتخافني بهما أهلك الناس بالحرص والحسد فبالحسد لعنت
وجعلت شيطانا رجسا وأما بالحرص فانه ابغ لا دما الجنة كلها الا الشجرة فأصابت حاجتي منه بالحرص
* ومن أبوابه العظيمة الشيع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشيع أقوى الشهوات
والشهوات أسلمة الشيطان فقد روى أن ابليس ظهر ليعي بن زكريا علمها السلام فرأى عليه
معالق من كل شيء فقال له يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التي أصبت بها ابن آدم فقال
فعل في قيامي شيء قال ربما شيعت فتقتلنا عن الصلاة وعن الله كرا قال فعل غير ذلك قال لا قال الله
علي أن لا أملا بطني من الطعام أبدا فقال له ابليس والله علي أن لا أنصح مسلما أبدا وقال في كثرة
الأكلي ست خصال مذمومة أولها أن يذهب خوف الله من قلبه الثاني أن يذهب رحمة الخلق من
قلبه لانه يظن انهم كلهم شيع والثالث انه يتقل عن الطاعة والرابع انه اذا سمع كلام الحكمة لا يجده
رقة والخامس انه اذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع في قلوب الناس والسادس أن يهيج فيه الانراض
* ومن أبوابه حب الترتين من الاثا والثياب والدار فان الشيطان اذا رأى ذلك غالبا على قلب
الانسان باض فيه وفرغ فلا يزال يدعوهم الى مارة الدار وترين سقوفها وخطبائها وتوسيع ابنتها
ويدعوهم الى الترتين بالثياب والدواب ويستعرض فيها طول عمره واذا أوقعه في ذلك قد استغنى أن
يعود اليه ثانية فان بعض ذلك يجرد الى البعض فلا يزال يؤذيه من شيء الى شيء الى أن يساق اليه أجله
فيوت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخني من ذلك سوء العاقبة بال كفر ونقض بالله منه
* ومن أبوابه العظيمة الطمع في الناس فانه اذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحجب اليه
التصنع والترين لمن طمع فيه بأنواع الراء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كأنه معبود فلا يزال
يتفكر في حيلة التزود والتعب اليه ويدخل كل مدخل للوصول الى ذلك وأقل أحواله انشاء عليه
بالبليس فيه والمداينة له بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد روى صفوان بن سليم أن ابليس
تمثل لعبد الله من حنظلة فقال له يا ابن حنظلة احفظ عني شيئا أعلمك به فقال له لا حاجة لي به قال انظر
فان كان خيرا أخذت وان كان شرا اردت يا ابن حنظلة لا تسأل أحد اضرب الله سؤال رغبة وانظر
كيف تكون اذا غضبت فاني أملكك اذا غضبت * ومن أبوابه العظيمة الجيلة وترك التثبت
في الامور وقال صلى الله عليه وسلم الجيلة من الشيطان والتأني من الله تعالى وقال عز وجل خلق
الانسان من عجل وقال تعالى وكان الانسان مجحولا وقال لتبني صلى الله عليه وسلم ولا تبجل بالقرآن
من قبل أن يقضى اليك رجليه وهذا لأن الاعمال ينبغي أن تكون بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة
تحتاج الى تأمل وتمهل والجيلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الانسان
من حيث لا يدري فقد روى أنه لما ولد عيسى ابن مريم عليه السلام أنت الشياطين ابليس فقالوا
أصبحت الامنام قد تكسرت رؤسها فقال هذا حدث مكنتم قطاروني أني خافني الارض
فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد واذا الملائكة حافين به فرجع اليهم فقال ان يساقند
ولذا البارة ساحلت أني قط ولا وضعت الا وأنا حاضر ها الا هذافا سوا من أن تعبد الاصنام بعد
هذه الجيلة ولكن انتم يا ابن آدم من قبل الجيلة والحققة * ومن أبوابه العظيمة الدرهم والدنانير وسائر

أصناف الاموال من العروض والدواب والعقار فان كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فان من معه قوة فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار لم يلا على طريق انبعث من قلبه عشر شهوات تحتاج كل شهوة منها الى مائة دينار أخرى فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج الى تسعائة أخرى وقد كان قبل وجود المائة مستقيا فالآن لما وجد مائة نطق أنه صار غنيا وقد صار محتاجا الى تسعائة ليستري دارا يهرها وليستري جارية وليستري أثاث البيت وليستري الثياب الفاخرة وكل شئ من ذلك يستدعي شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع في هاوية آخرها حتى جهنم فلا آخر لها سواه * قال ثابت البناني لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ما هو فانظروا حتى أصبحوا ثم جاؤوه وقالوا ما ندري قال أنا أنيكم بالخبر فذهب ثم جاء وقال قد بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم قال جعل يرسل شياطينه الى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما سمعنا قومًا مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقولون الى صلاتهم فيمضي ذلك فقال لهم ابليس رويدا بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فنصيب منهم حاجتنا وروى أن عيسى عليه السلام توسد بوما خيرا فزبه ابليس فقال يا عيسى رقت في الدنيا فاخذه عيسى صلى الله عليه وسلم فرمى به من تحت رأسه وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك خيرا يتوسد به عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن أن يكون عدة للشيطان عليه فان التفتيم بالليل مثلا للصلاة مهما كان بالقرب منه جبر يمكن أن يتوسد فلا يزال يدعو الى النوم والى أن يتوسد ولو لم يكن ذلك لكان لا يتخطر له ذلك ياله ولا تحرك رغبته الى النوم هذا في جبر فكيف بمن يملك الخبز المثيرة والقرش الوطيقة والمنتجات الطيبة حتى ينشط لعبادة الله تعالى * ومن أبوابه العظيمة الضل وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنع من الاتفاق والتصديق ويدعو الى الاذخار والعكس والغضب الاليم وهو الموعود للكافرين كما نطق به القرآن العزيز قال خيفة بن عبد الرحمن ابن الشيطان يقول ما علمني ابن آدم غلبة فلن غلبي على ثلاث أن أمره أن يأخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه ومنعه من حقه وقال سفيان لم يس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه أخذ في الباطن ومنع من الحق وتكلم بالهوى ونظن بره ظن السوء ومن آفات البطل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع المال والاسواق هي معشش الشياطين وقال أبو أمامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابليس لما نزل الى الأرض قال يا رب أنزلني الى الأرض وجعلت رجيا فاجعل لي بيتا قال الحمام قال اجعل لي مجلسا قال الاسواق وجميع الطرق قال اجعل لي طعاما قال طعامك ما لم يذ كاسم الله عليه قال اجعل لي شرا ما قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذنا قال المزمار قال اجعل لي قرأنا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصائد قال النساء * ومن أبوابه العظيمة التصيب للذاهب والاهواء الخفية على الخصوص والنظر اليهم بعين الازدراء والاستخار وذلك مما يملك العباد والفاسق جميعا فان الطعن في الناس والاشتغال بذكر نعمهم صفة مجبولة في الطبع من الصفات السبعة فاذا خيل اليه الشيطان أن ذلك هو الحق وكان موافقا للطبعة غلبت حلوة على قلبه فاشتغل به بكل همة وهو بذلك فرحان مسرور وظن أنه ينسج في الدين وهو ساع في اتباع الشياطين قرى الواحد منهم تعصب لابي بكر الصديق رضي الله عنه وهو أكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاطا لانواع الفساد ولوراء أبو بكر لكان أول غلبته له انعموا الى أبي بكر من أخذ سبيله وسار بسيرة وحفظ ما بين لحيته وكان من سيرة رضي الله عنه أن يضع حصاة في فمك ليفك لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فاني لهذا

الفضولى أن يدعى ولاه وجهه ولا يسير بسيرة وزى فضوليا آخر تصعب لعل رضى الله عنه وكان من زهد على بسيرته أنه ليس فى خلقه ثوابا يشتره بثلاثة دراهم وقطع رأس السكين الى الرسخ وزى الفاسق بالسلاليب الحاررو متعبلا بأموال اكتسبها من حرام وهو يتعاطى حب على رضى الله عنه وبتدعيه وهو أول خصمه يوم القيامة وليت شعري من أخذوا لدمعز الإنسان هزقة عنه وخيا قلبه فاخذ ضرره وعزقه وينف شعره وقطعه بالقراض وهو هم ذلك يدعى حب أبيه وولاه فكيف يكون حاله عنده ومعلوم أن الدين والشرع كان أحب الى أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وأساتر الصحابة رضى الله عنهم من الأهل والولد بل من أنفسهم والتقمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع وقطعون به قاريض الشهوات ويتودنون به الى عدو الله ابليس وعدو أولائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصحابة وعند أولياء الله تعالى لا بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما اتجه الصحابة في أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحبوا أن يجرى واعلى اللسان ذكرهم مع قبح أفعالهم ثم ان الشيطان يخيل اليهم أن من مات محبا لابي بكر وعمر فالنار لا تخوم حوله ويخيل الى الآخر أنه اذا مات محبا لعل لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لفاطمة رضى الله عنها وهي بضعة منه اعلى فاني لا أعتى منك من الله شيئا وهذا مثال أوردناه من جملة الأهواء وهكذا حكم المتعصبين لفاطمة وأبي خنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من الأئمة فكل من ادعى مذهب امام وهو ليس بسيرة ذلك الامام هو خصمه يوم القيامة اذ يقول له كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لاجل العمل لا لاجل الحديث انما بانك خالفتني في العمل والسيرة التي هي مذهبي ومسلكي الذي سلكته وذهب فيه الى الله تعالى ثم ادعيت مذهبي كاذبا وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالم وقد سلت المدارس لاقوام قل من الله خوفهم وضعفت في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستمباع حرصهم ولم يكنوا من الاستمباع واقاما لجاه الا بالانتصب ففسوا ذلك في صدورهم ولم ينبوهم على مكابدة الشيطان فيه بل قالوا ان الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا آثمات دينهم فقد هلكوا وأهلكوا فالله تعالى يتوب علينا وعامهم * وقال الحسن بلغنا أن ابليس قال سولت لامة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصي فقصموا ظهرى بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله تعالى منها وهي الأهواء وقد صدق الملعون فانهم لا يعلمون أن ذلك من الاسباب التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون منها * ومن عظيم حيل الشيطان أن يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات قال عبد الله بن مسعود جلس قوم يدكرون الله تعالى فانأام الشيطان ليقبهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع فاتي رقة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا فأنفس دينهم فقاموا يقتلون وليس اياهم يريد مقام الذين يدكرون الله تعالى فاشتغلوا بهم ففصلون بينهم فقرر قواعن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم * ومن أبوابه حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يقفروا فيه على التفكير في ذات الله تعالى وصفاته وفي أمور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم في أصل الدين أو يخيل اليهم في الله تعالى خيالات تعالى الله عنها يصيرها كافرا أو مستدحا وهو به فرح مسرور ومنهج بما وقع في صدره فظن ذلك هو المعرفة والبصيرة فأنه انكشف له ذلك بكائه وزيادة عقله فاشتد الناس حافة أقوامهم اعتقاد في عقل نفسه وأثبت الناس عقلا أشد هم انما بالنفسه وأكثرهم سؤالا من العلماء قالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يأتي أحدكم

فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول من خلق الله فاذا وجد أحدكم ذلك فليقل أمنت بالله
ورسوله فان ذلك يذهب عنه والني صلى الله عليه وسلم لم يأمر بالبحث في علاج هذا الوسواس
فان هذا الوسواس يجده عوام الناس دون العلماء وانما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويستقلوا
بعبادتهم ومعاشهم وبتزكوا العلم للعلماء فالعلمي لو رزق وسبق كان خيرا لهم أن يتكلم في العلم
فانه من تكلم في الله وفي دينه من غير اتقان العلم وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن ركب نجاة البحر
وهو لا يعرف السباحة ومكابد الشيطان فيما يتعلق بالتقائد والمذاهب لا يتحصر وانما أردنا بما
أوردناه المثال * ومن أوابه سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا
من الظن ان بعض الظن اثم فمن يحكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على أن يطول فيه اللسان
بالغيبة فذلك أو يعسر في القيام بحقوقه أو يشوائ في أكرامه وينظر اليه بين الاحتقار ويرى نفسه
خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولاجل ذلك منع الشرع من التعرض لاتهم فقال صلى الله عليه وسلم
اتقوا موضع اتهم حتى احترز هو صلى الله عليه وسلم من ذلك روى عن علي بن حسين أن مصفة بنت
حي بن أخطب أخبرته أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معكفا في المسعدة قالت فأنته فحدثت
عنده فلما أمسيت انصرف فقام عشي معي فتر به رجلا من الانصار فسلم ثم انصرف فأتاها
وقال انها صغيفة بنت حي فأتاها رسول الله ما ظن بك الا خيرا فقال ان الشيطان يجري من ابن
آدم مجرى الدم من الجسد وانى خشيت أن يدخل عليك فانظر كيف أشفق صلى الله عليه وسلم
على دينها فخرسها وكيف أشفق على أمته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم
الورع المعروف بالدين في أحوالهم فيقول مثلي لا يظن به الا خيرا وانما بمنتهى فان أروع الناس
واتقاهم وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم اليه بين واحدة قبل بعين الرضا بعضهم وبين النقط بعضهم
ولذلك قال الشاعر

وعين الرضا عن كل عيب كاملة * ولكن عين السخط تبدي المساويا

فيجب الاحتراز من ظن السوء عن تهمة الاشراف ان الاشرار لا يظنون بالناس كلهم الا الشر فهمها
رايت انسانا يسمى الظن بالناس طالبا للعبوب فاعلم انه خيف في الباطن وان ذلك خبشه يترشح
منه وانما رأى غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب العاذير والمناق يطالب العيوب والمؤمن سليم
الصدر في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو أردت استقصاء جميعها لم
أقدر عاين وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الأدمى صفة مذمومة الا وهي سلاح الشيطان
ومدخل من مداخله فان قلت فما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي في ذلك ذكر الله تعالى وقول
الانسان لاحول ولا قوة الا بالله فاعلم أن علاج القلب في ذلك سده هذه المداخل بتطهير القلب
من هذه الصفات المذمومة وذلك بما يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج
الصفات المهلكات وتحتاج كل صفة الى كتاب منفرد على ما سياتي شرحه ثم اذا قطعت من القلب
أصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ونبته من
الاجتياز ذكر الله تعالى لان حقيقة الذك لا تمكن من القلب الا بعد عمارة القلب بالقوى وتطهيره
من الصفات المذمومة والاذى يكون الذك حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان
الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان الذين اتقوا انما هم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم
مبصرون وخصص بذلك المتقي فكل الشيطان كسل كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك
خبز أو لحم فانه يترجمك ان تقول له اخسا فنجرد الصوت يدفعه فان كان بين يديك لحم وهو جائع فانه

يحجم على الصم ولا يندفع بحجر الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان يتزجر عنه بحجر الذك
فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر الى حواشي القلب فلم يتمكن من سويده
فيسقط الشيطان في سويدها القلب واما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة
فانه بطرقها الشيطان لا تشبهات بل خلوها بالنفلة من الذكر فاذا عاد الى الذكر خفس الشيطان
ودليل ذلك قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وسائر الاخبار والايات الواردة في الذكر
قال ابو هريرة التي شيطان المؤمن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر ذهبن سمين كاسي
وشيطان المؤمن مهزول اشعث اشعر عار قال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك مهزول قال
انا مع رجل اذا اكل سمي الله فاطل جائعوا اذا شرب سمي الله فاطل عطشانوا اذا لبس سمي الله
فاطل عريانوا اذا اذهن سمي الله فاطل شعثا قال لكني مع رجل لا يفعل شيئا من ذلك فانا اشاركه
في طعامه وشربه ولباسه * وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح اللهم انك سلطت
علينا عدوا يصبر ايعون بارانا هو وقيله من حيث لا نراه اللهم فأيسه منا كما أيسته من رحمتك
وقنطه منا كما قنطته من صفوك وابعديننا وبينه كما بعدينه وبين رحمتك انك على كل شيء
قدير قال فقتل له ابليس يوماني طريق المسجد فقال له يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن أنت قال انا
ابليس فقال وما تريد قال اريد ان لا تعلم احدا هذه الاستعاذة ولا تعرفني قال والله لا أمنعها
من أرادها فاضع ما شئت وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان شيطان يأتي النبي صلى الله عليه
وسلم ينده شعله من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرأ أو يتعوذ فلا يذهب فانه جبرائيل عليه
السلام فقال له قل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يطغى في الارض
وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار
الاطار ما يطرق بخبر يا رحمن فقال ذلك فطفت شعله وغر على وجهه * وقال الحسن بن علي
جبرائيل عليه السلام اني النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان عفرتي من الجن بكيدك فاذا أويت
الى فراشك فاقرأ آية الكرسي وقال صلى الله عليه وسلم لقد أتاني الشيطان فذا زعني ثم نازعني
فاخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق ما أرسلته حتى وجدت ردما لسانه على يدي ولولا دعوة أخي
سليمان عليه السلام لأصبح طر يحافي السجود قال صلى الله عليه وسلم مسالك عرفنا الاسلاك
الشيطان غافرا الذي سلكه عمر وهذا لان القلوب كانت مطهرة عن مرمى الشيطان وقوته وهي
الشهوات فلهذا طمعت في أن يندفع الشيطان عنك بحجر الذك كما يندفع عن عمر رضي الله عنه
كان عمالا وكنت ممن يطعم أن يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشغولة بغيره لا يطعم ولا يطعم
أن يتغذى كمن يغني الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة والذك الدواء والتقوى احتما هو يتحلى
القلب عن الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغ من غير الذك اندفع الشيطان كما تدفع العلة بنزول
الدواء في المعدة فخالية من الاطعمة قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال تعالى كتب
عليه أنه من تولاه فانه ضلوه وهدية الى عذاب السعير ومن ساعد الشيطان بعلمه فهو مواليه وان
ذكر الله بلسانه وان كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بان الذك يطرد الشيطان ولم يفهم أن
أكثر عموما الشرع بخصوصية بشر وطهرا علماء الدين فانظر الى نفسك فليس انك كالصبيان
وتأمل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة فراق قلبك اذا كتبت في صلاتك كيف يجاذبه
الشيطان الى الاسواق وحساب العالمين وجواب المعتادين وكيف يمزك في أودية الدنيا
ومها لكها حتى انك لا تذكر ما قد نسبتهم من فضول الدنيا الا في صلاتك ولا يزدحم الشيطان على

قلبك الا اذا هلبت قال صلواتك القلوب فيها يظهر محاسنها ومساوئها فالصلوة لا تقبل من القلوب المشغولة بشهوات الدنيا فلا حرم لا ينظر دعتك الشيطان بل بما يزيد عليك الوسواس كما أن الدواعي قبل الاحتواء وبما يزيد عليك القرار فان أردت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتواء بالتقوى ثم أردف بمواهب الذكرفر الشيطان منك كما فر من عمر رضى الله عنه ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وأنت صديقه في السر أي أنت مطيع له وقال بعضهم يا عجبا لمن صمى الحسين بدم معرفته باحسانه وطبع العين بدم معرفته بطغيانه وكان الله تعالى قال ادعوني أستجب لكم وأنت تدعونهم ولا يستجب لك فكذلك تدكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكروالدعاء قيل لاراهم بن آدم ما بالنا ندعوا فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى ادعوني أستجب لكم قال لا تفلونكم مينة قيل وما الذي أماتنا قال ثمان خصال عرفت حق الأول ولم تقوموا بحقه وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحجوده وقلتم نجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعملوا بسنة مؤلفتم نخشى الموت ولم تستعدوا لله وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فواطأتموه على المعاصي وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها وقلتم نجب الجنة ولم تعملوا لها واذنتم من فرسكم رمية صوبكم ورأى ظهوركم واقتربتم صوب الناس أماكم فأخطمتم ربكم فكيف يستجيب لكم فان قلت قال داعي الى المعاصي المختلقة شيطان واحداً وشياطين مختفون فأعلم أنه لا حاجة لك الى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كل البقل من حيث يؤتى ولا تسأل عن المقلعة ولكن الذى يتفخخ بنور الاستبصار في شواهد الاخبار انهم جنود ومخددة وان لكل نوع من المعاصي شيطاناً يخصه يدعو اليه فأما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذى ذكرناه وهو أن اختلاف المسببات يدل على اختلاف الاسباب كذكرناه في نور النار وسواد الدخان وأما الاخبار فقد قال بجاهد لا بليس خمسة من الاولاد قد جعل كل واحد منهم على شئ من أمره فذكر ثور الأعور ومبسوط واسم وزلنور فأما ثور فهو صاحب المصائب الذى يأمر بالبور وشئ الجيوب ولطم الخدود ودعوى المجاهلة وأما الأعور فانه صاحب الزنا يأمر به وزنه وأما مبسوط فهو صاحب الكذب وأما داسم فانه يدخل مع الرجل الى أهله يرممهم بالعيب عنده وينضبه عليهم وأما زلنور فهو صاحب السوق فيسببه ليزالون متظلمين وشيطان الصلاة يسمى خترب وشيطان الوضوء يسمى الوهان وقد ورد في ذلك أخبار كثيرة وفي أن الشياطين فيهم كثرة فكذلك في الملائكة كثرة وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل منفرد به وقد قال أبو امامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل المؤمن مائة وستون ملكاً يذنون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك البصر سبعة أملاك يذنون عنه كذب اللذباب من قصعة العسل في اليوم المصائف وما لو بدلكم لأتبعوه على كل سهل وجبل كل باسط يده فآغراه ولو وكل العبد الى نفسه طريقة عين لا تخطفه الشياطين وقال أيوب بن يوسف بن زيد بلغنا أنه يولد مع أبناء الانس من أبناء الجن ثم ينشؤون معهم وروى جابر بن عبد الله أن آدم عليه السلام لما أهب الى الأرض قال يارب هذا الذى جعلت بيني وبينه عداوة ان لم تقضى عليه لا أقوى عليه قال لا يولد لك ولد الا وكل به ملك قال يارب زدني قال أجرى بالسنة سبعة وبالحسنة عشرين الى ما أريد قال يارب زدني قال يارب للتوبة مفتوح مادام في الجسد الروح قال ابليس يارب هذا العبد الذى كرمته عني ان لا تخشى عليه لا أقوى عليه قال لا يولد له ولد الا ولدك ولد قال يارب زدني قال تجرى منهم مجرى الدم وتحنون شهدهم ويوتا قال رب زدني قال أجب عليهم بخيلك ورجلك الى قوله غروا وامن

أي المدد ما رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله الجن ثلاثة أصناف
 صنف حبات وعقارب وخشاش الارض وصنف كاربج في الهواء وصنف عليهم الثواب والعقاب
 وخلق الله تعالى الانس ثلاثة أصناف صنف كالماتم كمال تعالى لهم قلوب لا يفقهون ما حولهم
 أعين لا يصيرونها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل وصنف أحاسمهم
 أجسام بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف في نزل الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل
 الا ظله وقال وهيب بن الورد بلغنا أن إبليس مثل لحي بن زكريا عليهما السلام وقال أني أريد أن
 أتصالح قال لا حاجة لي في تصالح ولكن اخبرني عن بني آدم قال هم عندنا ثلاثة أصناف أما صنف
 منهم وهم أشد الاصناف علينا فنقل على أحدهم حتى تقتنه وتمكن منه فيفزع الى الاستغفار
 والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدر كانه ثم يعود اليه فيعود فلا تخشئ منه ولا تخشئ ندرتك منه
 حاجتنا فمن منه في عناء وأما الصنف الآخر فهم في أيدينا بمنزلة الكفرة في أيدي صبيانكم تعلمهم
 كيف شئنا قد كفروا أنفسهم وأما الصنف الثالث فهم مثلك معصومون لا تقدر منهم على شيء فان
 قلت فكيف يمثل الشيطان بعض الناس دون البعض وإذا رأى صورته فهل هي صورته الحقيقية
 أو هو مثال يمثل له به فان كان على صورته الحقيقية فكيف يرى بصوره تخلفه وكيف يرى في وقت
 واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم أن الملاك والشيطان لهما
 صورتان هي حقيقة صورتهما لا تدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة الا بتأورات النبوة فإرى النبي
 صلى الله عليه وسلم جبرائيل عليه أفضل الصلاة والسلام في صورته الأخرتين وذلك أنه سأل أن
 يريه نفسه على صورته فاعاده بالقبع وظهر له بجماله فسأله من المشرق الى المغرب وراة مرة
 أخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وانما كان يراد في صورة الآدمي غالباً فكان يراه
 في صورة دحية الكلبي وكان رجلاً حسن الوجه والاكثر له يكشف أهل المكشوفة من أرباب
 القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في القطعة فيراه يسته ويسمع كلامه بانته فيقوم ذلك مقام
 حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لاكثر الصالحين وانما المكشف في القطعة هو الذي انتهى الى
 رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالمتباعد من المكشوفة التي تكون في المنام فترى في القطعة ما رآه غيره
 في المنام كما روى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن رجلاً سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من
 قلب ابن آدم فرأى في النوم جسداً رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه ويرأى الشيطان في صورة
 ضفدع قاعد على منكب الاسير بين منكبيه وأذنه له خرطوم طويل دقيق قد أدخله من منكبيه
 الاسير الى قلبه يوسوس اليه فإذا ذكر الله تعالى خنس ومثل هذا قد يشاهد بهينه في القطعة فقد رآه
 بعض المكشوفين في صورة كلب جائم على جيفة يدعو الناس اليها أو كانت الجيفة مثال الدنيا وهذا
 يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فان القلب لا بد وان تطهر به حقيقة من الوجه الذي يقابل
 عالم المكشوف وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذي يقابل به عالم الملاك والشهادة لان أحدهما
 متصل بالآخر وقد بينا أن القلب له وجهان وجه الى عالم النيب وهو مدخل الالهام والروح ووجه
 الى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي يلي جانب عالم الشهادة لا يكون الا صورة معتقبة لان
 عالم الشهادة كله معتقبات الا أن الخيال تارة يحصل من النظر الى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيصور
 أن لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخصاً جميل الصورة وهو خبيث الباطن فيبعث السر
 لان عالم الشهادة عالم كثير التليس أما الصورة التي تحصل في الخيال من اشراق عالم المكشوف على
 باطن سر القلوب فلا تكون الا محكية للهفة وموافقة لها لان الصورة في عالم المكشوف تابعة

لصفة وموافقة لما فلا جرم لا يرى المعنى الصريح الا بصورة قبيحة ف يرى الشيطان في صورة كلب
وضفدع وخنزير وغيره او يرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكاة
لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على انسان خبيث وتدل الشاة على انسان سليم
الصدر وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير وهذه أسرار عجيبة وهي من أسرار عجائب القلب ولا
يليق ذكرها بعلم المعاملات وانما المقصود أن تصدق بأن الشيطان يكشف لأرباب القلوب وكذلك
الملك تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما يكون ذلك في النوم وتارة بطريق الحقيقة والاكثرو
التمثيل بصورة محاكاة للمعنى هو مثال المعنى لا عين المعنى الا أنه يشاهد بالعين مشاهدة محققة
ويتفرد بمشاهدة المكشف دون من حوله كالتأتم

بيان ما يؤخذ به الصمد من وساوس القلوب وهما وخواطرها

وقصودها وما يعني عنه ولا يؤخذ به

اعلم أن هذا أمر غامض وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها الا على
سماسة العلماء بالشرح فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عني من أمتي ما خدعت به
نفوسها ما لم تتكلم به أو تعمل به وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يقول
الصفحة اذ هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها فان عملها فاك كتبوا سيئة واذ هم بحسنة فلم يعملها
فا كتبوا حسنة فان عملها فاك كتبوا عاشر او قد خرج البخاري ومسلم في الصحيحين وهو دليل على
الغفوس من عمل القلب وهمة بالسيئة وفي لفظ آخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم
بحسنة فعملها كتبت له الى سبع مائة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها تكتب عليه وان عملها كتبت
وفي لفظ آخر اذ خدعت بأن عمل سيئة فأنما أغفرها له ما لم يعملها وكل ذلك يدل على الغفوة أما ما يدل
على التواخذ فقول له سبحانه ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغرلن يشاء ويعذب
من يشاء وقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه
منسوبا فدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعني عنه وقوله تعالى ولا تكتبوا الشهادة
ومن يكتبها فانه آثم قلبه وقوله تعالى لا يؤخذكم الله بالفؤاد في إيمانكم ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم
والحق عندنا في هذه المسألة لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها
الى أن يظهر العمل على الجوارح فتقول أول ما يرد على القلب الخاطر كالوخطر له مثل صورة امرأة
وأنها وراء ظهره في الطريق لو التفت إليها آها والثاني هيمن الرغبة على النظر وهو حركة الشهوة
التي في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الأول وفيه ميل الطبع ويسمى الأول حدث النفس
والثالث حكم القلب بأن هذا ينبغي أن يفعل أي ينبغي أن ينظر إليها فان الطبع اذا مال لم تتبع
الهمة والنية ما لم تدفع الصوارف فانه قد يمنع حياء أو خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف
ربما يكون بئامل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقاد وهو تتبع الخاطر والميل
الرابع تصميم العزم على الالتفات وحزم النية فيه وهذا اسمه هما بالفعل ونية وقصد لوهذا الهم قد
يكون له ممد أضعف وإمكان اذا أضعف القلب الى الخاطر الأول حتى طالت مجاذبته للنفس
تأكد هذا الهم وصار ارادة مجزومة فاذا انجزمت الارادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما
يفضل بما رضى فلا يعمل به ولا يلتفت اليه وربما يفتقر عائق فيعذر عليه العمل فلهذا أربع أحوال
لقلب قبل العمل بالجارية الخاطر وهو حديث النفس ثم الليل ثم الاعتقاد ثم الهم فتقول أما الخاطر
فلا يؤخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الليل وهيمن الشهوة لانه لا يدخل تحت الاختيار

تحت الاختيار وهما المراد ان بقوله صلى الله عليه وسلم عنى عنى ما حدثت به نفوسها فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا تتبعها عزم على الفعل فاما الهمم والعزم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كاروى عن عثمان بن مظعون حيث قال لنبى صلى الله عليه وسلم يا رسول الله نفسى تحذتنى أن أطلق خولة قال مهلا من ستنى النكاح قال نفسى تحذتنى أن أجب نفسى قال مهلا خصاء أمتى ذوب الصيام قال نفسى تحذتنى أن أترهب قال مهلا رهبانية أمتى الجهاد والحج قال نفسى تحذتنى أن أترك الهمم قال مهلا فاقى أحبه ولو أصيبته لا كنته ولو سألت الله لا طمئنيه فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لم يكن معه عزم وهمم بالفعل وأما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل فهذا تزديد بين أن يكون اضطرارا واختيارا والاحوال تختلف فيه فالاختيار منه يؤخذ به والاضطرار لا يؤخذ به وأما الرابع وهو الهمم بالفعل فانه مؤاخذ به إلا أنه ان لم يفعل نظرًا فان كان قدرته خوفا من الله تعالى ونده ما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهمم على وفق الطبع مما يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فحده في مخالفة الطبع هو العمل لله تعالى والعمل لله تعالى أشد من حده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتب له حسنة لانه رجع جهده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وان تعوق بالفعل بماتى أو تركه بعد ذلك خوفا من الله تعالى كتبت عليه سيئة فان همه فعل من القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل ما روى في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة عليهم السلام ربذا العبد كريد أن يعمل سيئته وهو يصبر به فقال ارقبه فان هو عملها فكتبوا له بمثلها وان تركها فكتبوا له حسنة فانما تتركها من جزائي وحيث قال فان لم يعملها فادبه فاما اذا عزم على فاحشة فتعذرت عليه بسبب أو عذلة فكيف تكتب له حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم انما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم ان من عزم ليل على أن يصبح لقتل مسلما أو يزنى بأمرأة فأتت تلك الليلة مات مصر أو يحشر على نيته وقد هم بسيئته ولم يعملها والدليل القاطع فيه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا اتى المسلمان بسيفهما فاقابل والمقتول في النار فقبل يا رسول الله هذا القاتل فاقابل للمقتول قال لانه أراد قتل صاحبه وهذا نص في أنه صار بيجر لا لارادة من أهل النار مع انه قتل مظلوما فكيف ينظر أن الله لا يؤاخذ بالنية والهمم بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به إلا ان يكفره بحسنه نقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتبت له حسنة فأما قوت المراد بعائني فليس بحسنة وأما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت الاختيار فالمراد به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى وان تدوا منى أنفسيك أو تحضوه يحاسبكم به الله جاءنا من العجايب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا كفنا ما لا نظيق ان أحدنا ليجتث نفسه بما لا يجب أن يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال صلى الله عليه وسلم لعلكم تقولون كما قالت اليهود سمعنا وعصينا نقولوا سمعنا وأطعنا نقولوا سمعنا وأطعنا فانزل الله الفرق بعد سنة بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فظهر به أن كل ما لا يدخل تحت الوسم من أعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من نظر أن كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الأقسام الثلاثة فلا بد وان يغلط وكيف لا يؤاخذ بأعمال القلب من الصبر والحب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبايا من أعمال القلب بل السمع

والبصر والفؤاد كل أو لئلك كان منه مستولاً أي ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بفكر اختيار
على غير ذي محرم لم يؤاخذ به فان أتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذاً به لانه مختار فكذا خواطر القلب
تجبري هذا المجري بل القلب أولى بمؤاخذته لانه الاصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التقوى
ههنا وأشار إلى القلب وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم
وقال صلى الله عليه وسلم الاغمزاز القلوب وقال البر ما اطمان اليه القلب وان أقول وأقول حتى
انا نقول اذا حكم القلب الفتى بايجاب شيء وكان يخطأ فيه صبرنا ما عليه بل من قد ظن أنه تظاهر
فعله أن يصلي فان صلى ثم تذكر أنه لم يتوضأ كان له ثواب بفعله فان تذكر ثم تركه كان معاقباً عليه
ومن وجد على فراشه امرأة فظن انها زوجته لم يصب بوطئها وان كانت أجنبية فان ظن انها أجنبية
ثم وطئها عصى بوطئها وان كانت زوجته وكل ذلك نظر إلى القلب دون الجوارح

بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلمة عند الذكر أم لا

اعلم أن العلماء المراقبين القلوب الناطقين في صفاتها وعبائتها اختلفوا في هذه المسئلة على خمس فرق
• فقالت فرقة الوسوسة تنقطع بذكر الله عز وجل لانه عليه السلام قال فاذا ذكر الله خنس
والخفيس هو السكوت فكانه يسكر • وقالت فرقة لا ينعدم أصله ولكن يجبري في القلب ولا يكون
له أثر لان القلب اذا صار مستوعباً بالذكر كان محموراً عن التأثير الوسوسة كالشغل همه فانه قد
يكلم ولا يفهم وان كان الصوت يمر على سمعه • وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة قولاً أو أثراً أيضاً
ولكن تسقط عنها القلب فكانه يوسوس من بعد على ضعف • وقالت فرقة لا ينعدم عند الذكر في
لحظة وينعدم الذكر في لحظة ويتعاقبان في أزمنة متقاربة فظن لتقاربها أنها منساقفة وهي كالكرة
التي عليها نقط متفرقة فانك اذا أدبرتها بسرعة رأيت النقط دوائر بسرعة توصلها بالحركة واستدل
هؤلاء بأن الخفيس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له الا هذا • وقالت فرقة
الوسوسة والذكر كبس او فان في الدوام على القلب تساوفا لا ينقطع وكان الانسان قد يرى بعينه
شيئين في حالة واحدة فكذلك القلب قد يكون يجري لشيئين فقد قال صلى الله عليه وسلم ما من
عبد الا وله أربعة أعين عنان في رأسه صبرهما أمر دنياه وعينان في قلبه بصيرهما أمر دينه وإلى
هذه اذهب المحاسبي والصحيح عندنا أن كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة
بأصناف الوسواس وانما نظر كل واحد منهم إلى صنف واحد من الوسواس فأخبر عنه والوسواس
أصناف (الأول) أن يكون من جهة التليس بالحق فان الشيطان قد يلبس بالحق فيقول
لإنسان لا تترك التسليم بالذات فان العرطوب بل والصبر عن الشهوات طول العمر له عظيم فعد هذا
اذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظم ثوابه وعقابه وقال لنفسه الصبر عن الشهوات شديداً ولكن
الصبر على النار أشد منه ولا يقمن أحدهما فاذا ذكر الصبر عد الله تعالى ووعدوه جنة ايمانهم وبقية
خمس الشيطان وهرب اذا لا يستطيع أن يقول له النار أسير من الصبر على المعاصي ولا يمكنه أن
يقول العصية لا تقضي إلى النار فان ايمانهم تكب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فيقطع وسواسه
وكذلك يوسوس اليه بالحب بعله فيقول أي عبد يعرف الله كاتعرفه ويصدق بك عبيدته فإما عظم
بمكانك عند الله تعالى فينتدرك العبد حينئذ أن معرفته وقلبه وأعضاءه التي بها عمله وعلمه كل ذلك من
خلق الله تعالى فمن أين يعجب به فيخس الشيطان اذا لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله فان العرفه
والايمان يدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلمة عن العارفين المستبصرين بنور الايمان والعرفه
(الصنف الثاني) أن يكون وسواسه بغيرك الشهوة وهيئاتها وهذا ينقسم إلى ما يعلم العبد يقينا

أنه معصية وإلى ما يظنه بفالسالطن فان علمه يقناخس الشيطان عن تهيج يوز في تحريك الشهوة ولم يخس عن التهيج وان كان منظونا فربما يقي مؤثر بحيث يحتاج إلى مجاهدة في دفعه فتتكون الوسوسة موجودة ولكنها قد فرقة ضيرة غالبة (الصف الثالث) أن تكون وسوسة يجرد الخواطر وتذكر الأحوال الغالبة والتذكر في غير الصلاة مثلا فإذا أقبل على الله كرتصور أن يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب الله كروا الوسوسة وينصون أن يتساقوا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كأنهم في موضعين من القلب ويعيد جدا أن يندفع هذا الخس بالكلمة بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا إذا قال عليه السلام من صلى ركعتين لم يحدث فيه ما نفسه بشئ من أمر الدنيا عقر له ما تقدم من ذنبه فلا أنه متصور لما ذكره إلا أنه لا يتصور ذلك إلا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالسهر فاذا قدرى المستوعب القلب بعد وتأتي به قد يتكرر بعدار ركعتين وركعات في مجاهدة عدوة بحيث لا يخطر به غير حديث عدوة وكذلك المستغرق في الحب قد يتكرر في مجاهدة محبوه بقله ويقوس في فكره بحيث لا يخطر به غير حديث محبوه ولو كنهه غير لم يسمع ولو اجازين يديه أحد لكان كأنه لراه وإذا تصور هذا في خوف من عدو وعند الحرس على مال وجاه فكيف لا يتصور من خوف النار والحرس على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله تعالى واليوم الآخر وإذا تأملت جملة هذه الاقسام وأصناف الوسواس علمت أن لكل مذهب من المذاهب وجهها ولكن في محل مخصوص وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة أو ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمرا طويلا بعيد جدا ومحال في الوجود ولو تخلص أحد من وسواس الشيطان بالخرائط وتهيج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى أنه نظر إلى علم ثوبه في الصلاة فلما سلم رجم بذلك الثوب وقال شغلتني عن الصلاة وقال أدبوا به إلى أن يجهل والتوبى يا باغيائيه وكان في بدنه خاتم من ذهب فطرب اليه وهو على المترجم رجمه وقال نظرة اليه ونظرة الكبر كان ذلك لوسوسة الشيطان بترك لذة التطر إلى خاتم الذهب وعلم الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رجمه فلا تقطع وسوسة عرض الدنيا وتقددها بالارجم والمغارقة في إدام بملك شيا وراء حاجته ولودنيا راواحد الايدى الشيطان في صلاته من الوسوسة في الفكر في دناره وانه كيف يحفظه وفيما ذابنقه وكيف يحفظه حتى لا يعلم به أحد وكيف يظهره حتى ينباه به إلى غير ذلك من الوسواس فمن أنشبه تعالى به في الدنيا وطمع في أن يتخلص من الشيطان كان كن انفس في العسل ونظن أن الذباب لا يقع عليه فهو محال فالذي باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس له باب واحد بل أبواب كثيرة قال حكيم من الحكمة الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي فان امتنع أتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فان أبي أمره بالترج والشدة حتى يجرم ما ليس بجرام فان أبي شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرج من العلم فان أبي خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صار عفيفا فميل قلوبهم اليه فيحبب نفسه وبه يملكه وعند ذلك تشتد الحاجة فانها آخر درجة ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة

بيان سرعة قلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات

اعلم أن القلب كان كانه استكشف الصفات التي ذكرناها وتصب اليه الآثار والأحوال من الأبواب التي وصفناها فكانت هدف يصاب على الدوام من كل جانب فإذا أصابه شئ يتأثر به أصابه من جانب آخر ما يضاة فتغير صفة فان زل به الشيطان فدعاه إلى الهوى زل به الملك وصرفه عنه وان جذب شيطان إلى شر جذب شيطان آخر إلى غيره وان جذب ملك إلى خير جذب آخر إلى غيره

فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملاك وشيطان ولا يكون قط مهتلا
والية الاشارة بقوله تعالى وتقلب أفتدتم وأبصارهم ولا اطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على
عجب صنع الله تعالى في عجائب القلب وقلبه كان يحلف به فيقول لا ومقلب القلوب وكان كثيرا
ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا وأخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب بين
أصبعين من أصابع الرحمن قلبه كيف يشاء وفي لفظ آخر أن شاء أن يحيه أقامه وأن شاء أن يزيحه
أزاعه وضرب له صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثلة فقال مثل القلب مثل المصفر ويقلب في كل ساعة
وقال عليه السلام مثل القلب في قلبه كالتقدرا إذا استجبت غلبانا وقال مثل القلب كمثل وشية
في أرض فلا قلبها الرياح نظها لبطن وهذه الثقلبات وعجائب صنع الله تعالى في قلبها من حيث
لا تهتدى اليه العرف لا يعرفها الا المراقبون والمراعون لأحوالهم مع الله تعالى * والقلوب
في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة * قلب محرم بالقوى وزكيا بالباطنية وطهر عن
خائبات الاخلاق تنفذ فيه خواطر الخير من خزائن القلب ومداخل الملكوت فنصرف العقل الى
التفكير فيما خطره ليعرف دقائق الخير فيعلم ويطلع على أسرار فوائده فيكشف له نور البصيرة ووجهه
فيكبر بانه لا يذم فعله فيستغنى عليه ويدعوه الى العمل به وينظر الملك الى القلب فيجده طيبا فيجهره
طاهرا بقوا مستتيرا بضياء العقل معمورا بأبواب المعرفة فيراه صالحا لأن يكون له مستقرا أو مهبطا
فمنذ ذلك عيذه يحنو ولا تزي ويهديه الى خيرات أخرى حتى يغير الخير الى الخير وكذلك على الدوام
ولا تنامي اعتداده بالترقب في الخير وتيسر الامر عليه واليه الاشارة بقوله تعالى فأما من أعطى واتقى
وصدق بالحسنى فسنيسره ليسرى وفي مثل هذا القلب شروق نور الصباح من مشكاة البرية حتى
لا يبقى فيه الشر لا يبقئ الذي هو أخفى من ديب الغلة السوداء في القلية الظلمة فلا يبقى على هذا
النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكاييد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحى زخرف القول عزورا
فلا يلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالنصائح التي
سند كرام من الشكر والصبر والخوف والرجاء والفرور والهدو والمحبة والرضاء والشوق والتوكل
والتفكير والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذي أقبل الله عز وجل بوجهه عليه وهو القلب المطمئن
المراد بقوله تعالى ألابد كراة نقطه من القلوب وقوله عز وجل يا أيها النفس المطمئنة (القلب الثاني)
القلب المخفول المشعون بالهوى المندس بالاخلاق الذمومة والخباياث المفتوح فيه أبواب
الشياطين المسدود عنه أبواب الملائكة ومبدأ الشر فيه أن ينفذ فيه خاطر من الهوى ويخمس
فيه فينظر القلب الى حاكم العقل ليستقي منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد
ألف خدمة الهوى وأنس به واستمر على استبطاء الحيل له وعلى مساعدة الهوى فنستولى النفس
وتساعد عليه فيشرح الصدر بالهوى وتتيسر فيه ظلماته لاخماس جند العقل عن مدافعة
فيقوى سلطان الشيطان لا تساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالبرين والفرور والاماني
ويوحى بذلك زخرفا من القول عزوروا فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعد ويحنو نور اليقين
يجور الآخرة اذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم الى القلب بملاجه حتى تنطفئ أنواره فيصير
العقل كالمعين التي ملأ الدخان أفاعها فلا يقدر على أن ينظروا هكذا فعل عليه الشهوة بالقلب حتى
لا يبقى للقلب إمكان التوقف والاستقصاء ولو صبر واعظ وأسمعه ما هو الحق فيه عن غير فهم ومهم
عن السمع وهاجت الشهوة فيه وسطا الشيطان وتزككت الجوارح على وفق الهوى فظهرت البصية
الى عالم الشهادة فمن عالم الغيب يقضاه من الله تعالى وقدره والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله تعالى

أرأيت من اتخذ الله هرواه فأنت تكون عليه وكلام تحب أن أكثرهم يسمعون أو يقولون
 انهم لا كالانعام بل هم أضل سبيلا ويقولوه عز وجل لقد خفي القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون
 وقوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى بعض
 الشهوات كالذي يتورع عن بعض الاشياء ولكنه اذا رأى وجهها حلت عليه عينه وقلده وطاش
 عقله وسقط مساك قلبه أو كالذي لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة
 للثبث عند ظهور أسبابه أو كالذي لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحق وذكرب من عيوبه
 أو كالذي لا يملك نفسه عند القدرة على أخذ درهم أو دينار بل يتهاك عليه تهالك الوالد المستهتر
 فينسى فيه المروءة والفقوى فكل ذلك لتساعد دخان الهوى الى القلب حتى يظلم وتنطفئ منه أنواره
 فينطفئ نور الحياء والمروءة والامان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان (القلب الثالث) قلب يبدو
 فيه خواطر الهوى فتدعو الى الشر فيطغى خاطر الايمان فيدعو الى الخير فتتبع النفس شهواتها
 الى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتمتع فينبعث العقل الى خاطر الخير ويدفع
 في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الى الجهل ويشبهها بالهجة والسبع في تهجمها على الشر وقلة
 اكترتها بالعواقب فيميل النفس الى الصبح العقل فيميل الشيطان حيلة على العقل فتقوى داعي
 الهوى وقول ما هذا التفرج البارد ولم تمتنع من هو الشقوى نفسك وهل ترى أحدا من أهل عصرك
 يخالف هواه أو يترك غرضه أو يترك لهم ملاذ الدنيا تمتعون بها وتحير على نفسك حتى تنسى بحر وما شقيا
 متعوبا يضحك عليك أهل الزمان أو تريد أن يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما شئت
 ولم يمتنعوا أما ترى العالم القلاني ليس يمتنع من مثل ذلك ولو كان ذلك شر لا تمتنع منه فيميل النفس
 الى الشيطان وتقلب اليه فيميل الملك حيلة على الشيطان وقول هل هلك الامن اتبع لذات الجال
 ونسى العاقبة أفتنع بلذة بيسرة وترك لذة الجنة ونعيمها أبدا لا يادأم تستنقل أم الصبر عن شهواتك
 ولا تستنقل أم النار أفتنقر بظلمة الناس عن أنفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان مع
 أن عذاب النار لا ينفقه عنك مصيبة فترك أرايت لو كنت في يوم صاقت شديدا الحرو وقف الناس
 كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد أكنت تساعد الناس أو تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف
 الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تمتل النفس الى قول الملك
 فلا يزال يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى أن يغلب على القلب ما هو أولى به فان كانت
 الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها قلب الشيطان ومال
 القلب الى جنسه من أخزاب الشيطان معرضا عن حزب الله تعالى وأوليائه ومساعد الحزب
 الشيطان وأعدائه ويجري على جوارحه سابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى وان كان
 الاغلب على القلب الصفات اللكية لم يصغ القلب الى اقواله الشيطان وخبره اياه على العاجلة
 ونحوه أمر الاخر بل مال الى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجبها من من القضاء على
 جوارحه قلب المؤمن بين أصعبين من أصابع الرحمن أي بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب
 أعني القلب والانتقال من حزب الى حزب أما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة أو مع حزب
 الشيطان فتأد من الجنائين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزان القلب الى عالم الشهادة
 بواسطة خزائن القلب فانه من خزائن المكوت وهي ايضا اذا ظهرت كانت علامات تعرف أرباب
 القلوب سابق القضاء فمن خلق الجنة فيسرت له أسباب الطاعات ومن خلق النار فيسرت له أسباب
 المعاصي وسأله عليه أقربان السوء أن في قلبه حكم الشيطان فانه بأنواع الحكم بشر الخبي يقولوه

ان الله رحيم فلا تبال وان الناس كاهم ما يخافون الله فلا تخافهم وان العرطوبيل فاصبر حتى تنوب
غدا بعدهم ومنهم وما بعدهم الشيطان الاغروا بدهم التوبة ومنهم المغفرة فتملكهم باذن الله
تعالى هذا الجبل وما يجري مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور وضيقه من قبول الحق وكل ذلك
بقضاء من الله وقد رضى برأى الله ان يهديه بشر صدره للاسلام ومن يرد ان يضل يجعل صدره مضيقا
خرجا كما يصعد في السماء ان ينصر في الله فلا غالب لكم وان يخذلكم في ذلك الذي ينصركم من بعده
فهو المهادي والمضل ففعل ما يشاء وبحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق
لها أهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها أهلا فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة
أهل الجنة وأهل النار فقال ان الارارني نعم وان العجبارني جحيم ثم قال تعالى فيما روى عن نبيه صلى
الله عليه وسلم هؤلاء في الجنة ولا يأبى وهوؤلاء في النار ولا يأبى فتعالى الله الملك الخالق لا يسأل عما
يفعل وهم يسألون ولنتقصر على هذا التقدير اليسير من ذكر عجائب القلب فان استقصاه لا يليق بعلم
العامة وانما ذكرنا منه ما يحتاج اليه المعرفة أغوار علوم العامة وأسرارها لينتفع بها من لا يتق
بالظواهر ولا يمتد إلى التفتيش عن الباب بل ينشوق الى معرفة دقائق حقائق الاسباب وفيما ذكرناه
كفاية له ومقتضى ان شاء الله تعالى والله في التوفيق * تم كتاب عجائب القلب والله الجود والمنة وتلوه
كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق والمجد لله وحده وصلى الله على كل عبد مصطنق

كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة امراض

القلب وهو الكتاب الثاني من ربيع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم

المجد لله الذي صرف الامور بتدبيره وعقل تركب الخلق فأحسن في تصويره وزين صورة
الانسان بحسن تقويمه وتقديره وخرسه من الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحيين
الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشجيعه واستحثه على تهذيبها بنوره وتحذيره وسبل على خواص عباد
تهذيب الاخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل صعبه وعسيره والبصالة والسلام على
محمد صمد الله ونبيه وحبيبه وصفيوه وشيره ونذيره الذي كان بلوح أنوار النبوة بين أساريه
ويستشرف حقيقة الحق من مخايله وتواشيره وعلى آله وأصحابه الذين طهروا وجه الاسلام من ظلمة
الكفر والباطل وحسموا مادة الباطل فلم يتدنوا بقليله ولا يكبره (أما بعد) فالخلق الحسن
صفة سمه المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو على الضيق شطر الدين وغمره بمجاهدة التيقن
ورعاية التبصير والاخلاق النسيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاجحة
والزنازل الواضحة والنجاسات المبدعة عن جوارب العالمين المخترطة بصاحبها في سلك الشياطين
وهي الابواب المفتوحة الى نار الله الموقدة التي تطلع على الانفذة كما أن الاخلاق الجلية هي الابواب
المفتوحة من القلب الى نعم الجنان وجوارب الرحمن والاخلاق النجسة امراض القلوب واستقام
النفس الا أنه مرض يفتقر حياة الابد وأن منه المرض الذي لا يقوت الحياة الجسد ومهما
اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج لا بد ان وليس في مرضها الاقوت الحياة القلبية
فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفيها فوات حياة قلبية أولى وهذا النوع من
الطب واجب عمله على كل قلب لئلا يخلو قلب من القلوب عن استقام لواء هديتها كنت
وترادفت العلل وظاهرت فيحتاج الصبداني تأني في معرفة عللها وأسبابها ثم الى تشخيص علاجها
واصلاحها فمما اجتهد هو المراد قوله تعالى قد أفغ من ذكاهما واهما الماعو الميراد قوله وقد فحج

من دساها ونحن نشرف في هذا الكتاب الى جبل من امراض القلوب وكيفية القول في معالجاتها على الجلمة من غير تفصيل لعلاج خصوص الامراض فان ذلك يأتي في بقية الكتب من هذا الريع وعرضنا الآن النظر الكافي في تهذيب الاخلاق وتعميدها بها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليعرف من الافهام دركه وتنفع ذلك ثبيان فضيلة حسن الخلق ثم ثبيان حقيقة حسن الخلق ثم ثبيان قبول الاخلاق لتتغير بالرياضة ثم ثبيان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم ثبيان الطرق التي بها يعرف تفصيل الطرق الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ثم ثبيان العلامات التي بها يعرف مرض القلب ثم ثبيان الطرق التي بها يعرف الانسان صيوب نفسه ثم ثبيان شواهد النقل على أن طريق المعالجة للقلب بترك الشهوات لا غير ثم ثبيان علامات حسن الخلق ثم ثبيان الطريق في رياضة الصبيان في أول النشوء ثم ثبيان شروط الارادة ومقتضات المجاهدة فهي أحد عشر فصلا يجمع مقاصدها هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

❦ ثبيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق ❧

قال الله تعالى لنبيه وحببيه متبيا عليه ومظهر ائتمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق فقال قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین ثم قال صلى الله عليه وسلم هو أن فصل من قطعك وقطعت من حرمك وتعفو عن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم انما يبحث لأتمم مكارم الاخلاق وقال صلى الله عليه وسلم اتق الله ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق فأتاه من قبل عبيته فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم أتاه من قبل شمله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم أتاه من ورأه فقال يا رسول الله ما الدين قالت ابه وقال أما تفقه هو أن لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشؤم قال سوء الخلق وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال اتق الله حيث كنت قال زدني قال أتبع السبئية الحسنة تجحها قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن ومثل عليه السلام أي الاعمال أفضل قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق عبدا وخلقته فبطعته النار وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سبيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من أهل النار وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسواء ولما خلق الله الايمان قال اللهم قوئي فقواه بحسن الخلق والسواء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوئي فقواه باليصل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السواء وحسن الخلق ألا فرئيتوا دينكم هموا وقال عليه السلام حسن الخلق خلق الله الا عظم وقيل يا رسول الله أي المؤمنين أفضل ايمانا قال أحسنهم خلقا وقال صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بسط الوجه وحسن الخلق وقال أيضا صلى الله عليه وسلم سوء الخلق يفسد لكل ما يشاء داخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك امرؤ فحسن الله خلقك فحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا وعن أبي سعيد البدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي وعن عبد الله بن ممر رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر

الدعاء فيقول اللهم اني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرم المؤمن دينه وخسبه حسن خلقه ومرضته عقله وعن أسامة بن شريك قال شهدت الأعرابي يسألون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ما خير ما أعطى العبد الخلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ان أحبكم الى وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم تكن فيه أو واحدة منهن فلا تعدوا بشئ من عمله تقوى تحجز عن معاصي الله أو حلم يكف به السفيه أو خلق يعش به بين الناس وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلاة اللهم اهدني لأحسن الاخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت وقال أنس بن مالك رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما إذ قال ان حسن الخلق ليدب الخطيئة كالنبيب الشمس الجديد وقال عليه السلام من سعادة المرء حسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم العبد حسن الخلق وقال عليه السلام لا يذريا بأذرا عقل كالتيبر ولا حسب كحسن الخلق وعن أنس قال قالت أم حبيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت المرأة تكون لها زوجان في الدنيا فموت وموتان ويدخلون الجنة لأيهما هي تكون قال لا حسنها خلقا كان عندها في الدنيا يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وسلم ان المسلم المسدد يدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم حديثه وفي رواية درجة الطمان في المواجه وقال عبد الرحمن بن سمرة كاعند النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه فأدخله على الله تعالى وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد يبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وانه لضعيف في العبادة وروى أن عمر رضي الله عنه استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم وصنده نساء من نساء قريش يكنهن ويستكنهن عالة أمهاتهن هن صوته فلما استأذن عمر رضي الله عنه تدارون الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم فتحلى فقال عمر رضي الله عنه تم تحلىك بأني أنت وأمي يا رسول الله فقال عجب لهما لولا اني كنت عندي لما سمعت صوته تدارن الحجاب فقال عمر أنت كنت أحق أن يهتك يا رسول الله ثم أقبل عليهن عمر فقال يا عذوات أنفسهن آتمنني ولا يهين رسول الله صلى الله عليه وسلم قلن نعم أنت أغلظ وأفظم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا إلا اسلك لها غير فحك وقال صلى الله عليه وسلم سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة تقوح وقال عليه السلام ان العبد ليسع من سوء خلقه أسفل درك جهنم (الآثار) قال ابن لقمان الحكيم لأبيه يا بني أي الخصال من الانسان خير قال الدين قال فاذا كانت اثنين قال الدين والمال قال فاذا كانت ثلاثة قال الدين والمال والحياة قال فاذا كانت اربعة قال الدين والمال والحياة وحسن الخلق قال فاذا كانت خمسة قال الدين والمال والحياة وحسن الخلق والمضاء قال فاذا كانت ستا قال يا بني اذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو نقي تقى ولفقوى ومن الشيطان برى وقال الحسن من ساء خلقه عذب نفسه وقال أنس بن مالك ان العبد ليسع بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد وبلغ بسوء خلقه أسفل درك في جهنم وهو عابد وقال يحيى بن معاذ في سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب بن منبه مثل السيئ الخلق كمثل القنطرة المكسورة لا ترفع ولا تهدأ طينا وقال القسطل لأن يمحبي فاجر حسن الخلق أحب الي من أن يمحبي عالمي ما لخلق * ومحبا ابن المبارك زجل سيء الخلق في سفر فكان

يحمل منه ويداره فلما فرقه بكى فقيل له في ذلك فقال بكيت رحمة له فارقته وخلقه معه لم يفارقه
وقال الجنيد أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه الحلم والتواضع والسخاء وحسن
الخلق وهو كل الإيمان وقال الكاظمي: التصوف خلق فن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف
وقال عمر رضي الله عنه خالطوا الناس بالخلق وزابلوهم بالأعمال وقال يحيى بن معاذ: سوء الخلق
سبب لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات وسئل ابن
عباس ما الكرم فقال هو ما بين الله في كتابه العززان أكرمكم عند الله أتقاكم قيل فما الحسب قال
أحسنكم خلقاً أفضلكم حسباً وقال لكل بنيان أساس وأساس الإسلام حسن الخلق وقال عطاء
ما ارتفع من ارتفع إلا بالخلق الحسن ولم ينل أحد كماله إلا المصطفى صلى الله عليه وسلم فأقرب الخلق
إلى الله عز وجل السالكون آثاره بحسن الخلق

بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق

اعلم أن الناس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق وأنه ما هو وما تضره والحققة وإنما تضره
لثلاثة غم يستوصو جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضر في ذهنه
وليعبروا العناية إلى ذكر حجة وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك
كقول الحسن حسن الخلق بسط الوجه وبذل النواكف والأذى وقال الواسطي: هو أن لا يخاصم ولا
يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى وقال شاه الكرماني: هو كفاف الأذى واحتمال المؤن وقال بعضهم
هو أن يكون من الناس قريبا وفيما بينهم قريبا وقال الواسطي: مرة هو أراضاء الخلق في السراء
والضراء وقال أبو عثمان: هو أراض عن الله تعالى وسئل سهل التستري عن حسن الخلق فقال أذناه
الاحتمال وترك المسكافة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقال مرة: أن لا ينهم الخلق في
الرزق ويشق به ويمكن إلى الوفاء بما ضمن قطبده ولا يعصيه في جميع الأمور فيما بينه وبينه وفيما بينه
وبين الناس وقال علي رضي الله عنه حسن الخلق في ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال
والتوسعة على العيال وقال الحسين بن منصور: هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق ولا يمدح عليك العق
وقال أبو سعيد الخريزي: هو أن لا يكون لك هم غير الله تعالى فهذا أو مثاله كثير وهو تعرض لثمرات
حسن الخلق لأنفسه ثم ليس هو محيطة بجميع الثمرات أيضا وكشف الغطاء عن الحقيقة أولى من
نقل الأقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق
أي حسن الباطن والظاهر فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك لأن
الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ولكل واحد منهما
هيئة وصورة أما حقيقة وأما حقيقة فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدراً من الجسد المدرك بالبصر
ولذلك عظم الله أمره بأصاقله إليه اذ قال تعالى إني خالق بشر من طين فإذا سويته ونفخت فيه من
روحي فعوا له ساجدين فبه على أن الجسد منسوب إلى الطين والروح إلى رب العالمين والمراد
بالروح والنفس في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راضية عنها تصدر الأفعال
بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة
عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً وإن كان العباد زعموا الأفعال الناجية سميت الهيئة التي
هي المصدر خلقاً سيئاً وإنما قلنا أنها هيئة راضية لأن من يصدر منه بذل المال على الندو ولحاجة
عارضة لا يقال خلقه المضافاً لم يشئت ذلك في نفسه ثبوت وسو خ وإنما اشتراط أن تصدر منه
الأفعال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب يجهد وروية لا يقال

خلقه السقاء والحلم فهنا أربعة أمور أحدها فعل الجليل والتسبيح والثاني القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما والرابع هيئة النفس بما تميل إلى أحد الجانبين وتيسر عليها أحد الأمرين أما الحسن وأما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه لسقاء ولا يذل أما فقد المال أو لمائع وربما يكون خلقه الخلل وهو يذل أما الباعث أولياءه وليس هو عبارة عن القوة لأن نسبة القوة إلى الأمسك والاعطاء بل إلى الضدين وأحد كل إنسان خلق بالقطرة قادر على الاعطاء والأمسك وذلك لا يوجب خلق الجبل ولا خلق السقاء وليس هو عبارة عن المعرفة فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعاً على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهو الهيئة التي بها تستعقل النفس لأن يصد منها الأمسك أو البذل فالخلق إذا عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة فكأن حسن الصورة الظاهرة مطلقاً لا يتم بحسن العينين دون الأنف والقدم والخطب لا يتم حسن الجميع ليم حسن الظاهر كذلك في الباطن أربعة أركان لا يتم حسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتساوت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث أما قوة العلم غنها وصلاحها في أن تصير بحيث سهّل بهادرك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجليل والتسبيح في الأفعال فإذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرات الحكمة والحكمة رأس الأخلاق الحسنة وهي التي قال الله فيها ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً أما قوة الغضب غنها في أن يصير انقباضها واتساعها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في أن تكون تحت إشارة الحكمة أعني إشارة العقل والشرع وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة العقل والشرع فالعقل مثاله مثال الناصع الشير وقوة العدل هي القدرة ومثاله مثال المنفذ الممضي لإشارة العقل والغضب هو الذي تنفذه الإشارة ومثاله مثال كلب الصيد فإنه يحتاج إلى أن يؤذّب حتى يكون استرسالاً له وقهه بحسب الإشارة لا بحسب هيجان شهوة النفس والشهوة مثاله مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فإنه تارة يكون حراً وضامؤاً وتارة يكون جموحاً فمن استوت فيه هذه الخصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقاً ومن اعتدلت فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض أجزائه وجهه دون بعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها بعرضه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها بعرضه بالعبادة فإن مالت قوة الغضب هي الاعتدال إلى طرف الزيادة تسمى تهوراً وإن مالت إلى الضعف والنقصان تسمى جبناً وتهوراً وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة تسمى شرها وإن مالت إلى النقصان تسمى جموداً والجود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل إذا فات فليس له طرفاً زيادة ونقصان بل له ضد واحد ومقابل وهو الجور وأما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال في الاعتراض الفاسدة خشاً وجرزاً وتسمى قهر بطلانها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فإذا أمهات الأخلاق وأهولها أربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل وتسمى بالحكمة حالة للنفس بما يدرك الصواب من الخطأ في جميع الأحوال الاختيارية ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بما يوسس الغضب والشهوة ويحكمها على مقتضى الحكمة ويضبطها في الاسترسال والاعتدال على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة فتكون قوة الغضب متقادة للعقل في أقدامها وإحجامها ونعني بالعبادة تأديب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدلت هذه الأصول الأربع تصدر الأخلاق الجميلة كما أنها من اعتدلت قوة العقل يحصل حسن التدبير ووجوده لا بد من

وتقابة الرأي واحباة الطن والتفنن لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفوس ومن افراطها تصدر
الجزرة والكرو والخداع والدهاء ومن تربطها يصدر البلبه والتمارة والحق والجنون واعنى
بالتمارة قلة التجربة في الامور مع سلامة العقل فقد يكون الانسان غفرا في شئ دون شئ والفرق
بين الحق والجنون أن الاحق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية
صحيحة في سلوكه الطريق الموصلى الى الغرض وأما الجنون فانه يختار ما لا ينبغي أن يختار فيكون أصل
اختباره وإشاره فاسدا وأما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والتجدة والشهامة وكسر النفس
والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوفاء والتؤدة وأمثالها وهي أخلاق محمودة وأما افراطها
وهو التهور فيصدر منه الصلف والبدخ والاستسالة والتكبر والجب وأما تفرطها فيصدر
منه المهانة والذلة والجور والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب وأما
خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع والمطافاة والمساعدة
والطرف وقلة الطمع وأما ميلها الى الافراط والتعريط فيحصل منه الحرص والشره والوقاحة
والخبث والبذير والتسبر والرياء والهنكة والجبانة والعتى والملق والحسد والشمانية والتذلل
للاضياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فآمتهات محاسن الاخلاق هذه الفضائل الاربعة وهي الحكمة
والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعهما ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربعة الا رسول الله صلى
الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق
فهو قريب من الله تعالى بقدر قرب به من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من خج كمال هذه الاخلاق
استحق أن يصكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقعدون به في جميع الافعال
ومن انك عن هذه الاخلاق كلها وانصف بأضدادها استحق أن يخرج من بين البلاد والمباد فانه
قد قرب من الشيطان العين المبدف في أن يبعد كما أن الأول قريب من الملك المقرب فينبغي أن
يقعدى به ويتقرب اليه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعث الا ليعتكم مكارم الاخلاق كما قال
وقد أشار القرآن الى هذه الاخلاق في أوصاف المؤمنين فقال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا
بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فالإيمان
بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو
السخاء الذى يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال
قوة الغضب على شرط العقل وحدا الاعتدال فقد وصف الله تعالى الصحابة فقال أشداء على الكفار
رحماء بينهم إشارة الى أن الشدة موضعاً للرحمة موضعاً فلمس السكال في الشدة بكل حال ولا
في الرحمة بكل حال فهنا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه بيان أركانه وثمراته وفروعه

بيان قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة

اعلم أن بعض من غلبت البطالة عليه استعمل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتركة النفس
وتهديب الاخلاق فلم تسع نفسه بأن يكون ذلك قصوره ونقصه وخش دخله فزعم أن الاخلاق
لا يتصور تغييرها فان الطباع لا تتغير واستدل به بأمرين أحدهما أن الخلق هو صورة الباطن كما
أن الخلق هو صورة الظاهر فالخلق الطاهرة لا تقدر على تغييرها فالقصور لا يقدر أن يجعل نفسه
طويلا ولا الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيرا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك
القبيح الباطن يجرى هذا الجرى والثاني أنهم قالوا احسن الخلق يقع الشهوة والغضب وقبحه
ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى المزاج والطبع فانه لا يقطع عن الأدبي

فاشغاله به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الخطوط العاجلة
وفلك محال وجوده فتقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التفسير لبطلت الوصايا والمواعظ
والتأديبات ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف يتكره هذا في حق
الآدمي وتفسير خلق الهجمة يمكن ان ينقل البازي من الاستبحاش الى الانس والكلب من شره الاكل
الى التأذي والامساك والقلية والفرس من الجاح الى السلاسة والانتقاد وكل ذلك تغيير
للاخلاق والقول الكاشف لغطاء عن ذلك أن تقول للموجودات منقسمة الى ما لا مدخل للادمي
واختياره في أصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل أعضاء البدن داخلا وخارجا وسائر أجزائه
الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقم الفراغ من وجوده وكاله الى ما وجد وجود ناقصا
وجعل فيه قوة قبول الشكال بعد أن وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست
بمتاح ولا تخل إلا أنها خلقت خلقة يمكن أن تصير نخلة إذا انتصف التربية لها ولا تصير قحاحا أصلا
ولا بالتربية فإذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك
الغضب والشهوة لو أردنا قهرهما بالكمية حتى لا يبقى لهما أثر لم تقدر عليه أصلا ولو أردنا
سلاستهما وقدرهما بالرياسة والمجاهدة قدرنا عليه وقد امرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاستنا
ووصولنا الى الله تعالى نعم الجبلات مختلفة بعضها سرية القبول وبعضها بطيئة القبول
ولا اختلافها سببان أحدهما قوة الغيرة في أصل الجبلية وامتداد مدة الوجود فان قوة الشهوة
والغضب والتكبر موجود في الانسان ولكن أصعبها أمر أو أعصاها على التغيير قوة الشهوة فانها
أقدم وجودا من الصبي في مبدأ الفطرة فتلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يتخلل له الغضب ويعد
ذلك خلق لقوة التحيز والسبب الثاني أن الخلق قدينا كد بكثرة العمل بقضائه والطاعة له واعتقاد
كونه حسنا ومن ضباوا الناس فيه على أربع مراتب * الأولى وهو الانسان المغفل الذي لا يعبر بين
الحق والباطل والجميل والقيبح بل يقي كافر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تستتم شهوته
أيضا باتباع اللذات فهذا سر في القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى معلم ومرشد والى باحث من
نفسه يجهل على المجاهدة فيفسن خلقه في أقرب زمان * والثانية أن يكون قد عرف فيج القبيح ولكنه
لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه اعتقاد الشهوات واعراضا عن صواب رأيه لاستيلاء
الشهوة عليه ولكن علم قصيره في عمله فامر به أصعب من الأول إذ قد تضاعفت الوظيفة عليه أدعاه قلع
مارس في نفسه أولا من كثرة الاعتياد للفساد الآخر أن يفرس في نفسه صفة الاعتياد للصالح ولكنه
بالجملة عمل قابل للرياسة ان انتهض لما يحب وتشمع وحزم * والثالثة أن يعتقد في الاخلاق القيمة
انها الواجبة المستحسنة واتحاق وجميل وترى عليها فهذا كاد تنقطع معالجته ولا يرجى صلاحه
الا على التدور وذلك لتضاعف أسباب الضلال * والرابعة أن يكون مع نشوه على الرأي
الفاقد وتربته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفس ويصاحبه به ويطن أن ذلك
يرفع قدره وهذا أمر أصعب المراتب وفي مثله قيل ومن العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب
الذئب والاول من هؤلاء جاهل فقط والثاني جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع
جاهل وضال وفاسق وشرير وأما الخيال الآخر الذي استدلوا به وهو قولهم ان الادمي ما دام جبا
فلا تنقطع عنه الشهوة والغضب وحب الدنيا وسائر هذه الاخلاق فهذا اعظم وقع لطائفه فلو
أن المصنوع من المجاهدة قبح هذه الصفات بالكلية ومحوها وهبها فان الشهوة خلقت لقائدة وهي
ضرورية في الجبلية فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع التمثيل

ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه وطلك ومهما بقي أصل الشهوة فبقي
 لا محالة الحب للمال الذي يوصله الى الشهوة حتى يجمعه ذلك على امساك المال وليس المطلوب اقامة
 ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذي هو وسط بين الاقراط والتعريط وللمطلوب
 في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بأن يتخلو عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة أن يكون في نفسه
 قويا ومع قوته متعاد العقل ولذلك قال الله تعالى أشداه على الكفار رحما بينهم وصفهم بالشدوة وانما
 تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل الجهاد وكيف يقصد قلع الشهوة والغضب
 بالكلية والانباء عليهم السلام لم يتكلموا عن ذلك اذ قال صلى الله عليه وسلم انما أنا بشر أغضب كما
 يغضب البشر وكان اذا تكلم بين يديه بما يكرهه يغضب حتى تخروجنه ولا يكون لا يقول الا حقا فكان
 عليه السلام لا يخرج وجهه غضبه عن الحق وقال تعالى والكاذبين الغضب والعافين عن الناس ولم يقل
 والعافين الغضب فرد الغضب والشهوة الى حد الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يقبله
 بل يكون العقل هو الضابط لهما والغالب عليهما ممكن وهو المراد بتغيير الخلق فانه ربما استولى
 الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها من الانبساط الى القواحش وبالرياضة تعود الى
 حد الاعتدال فدل أن ذلك ممكن والتجربة والملاحظة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها والذي يدل
 على أن المطلوب هو الوسط في الاخلاق دون الطرفين ان السماء خلق محمود شرعا وهو وسط بين
 طرفي التبذير والتقتير وقد أثنى الله تعالى عليه فقال والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين
 ذلك قواما وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وكذلك المطلوب
 في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجود قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب
 المسرفين وقال في الغضب أشداه على الكفار رحما بينهم وقال صلى الله عليه وسلم خير الامور
 أوسطها وهذا السر وتحقيق وهو أن السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال
 الله تعالى الامن في القلب قلب سليم والخل من عوارض الدنيا والتبذير بضامن عوارض الدنيا وشريط
 القلب أن يكون سليما منهما أي لا يكون ملتفتا الى المال ولا يكون حريصا على انفاقه ولا على
 امساكه فان الحريص على الاتفاق مصر وف القلب الى الاتفاق كما أن الحريص على الامساك
 مصر وف القلب الى الامساك فكان كمال القلب أن يصغون الوصفين جميعا واذا لم يكن ذلك في الدنيا
 طلبنا ما هو الاشبه لعدم الوصفين وأبعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاز لا خارا ولا بار دبل هو
 وسط بينهما فكانه خال عن الوصفين فكذلك السماء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن
 والتهور والعفة بين الشره والجود وكذلك سائر الاخلاق فكل طرف في الامور مذموم هذا هو المطلوب
 وهو ممكن نعم يجب على الشيخ المرشد للريد أن يفتح عنده الغضب رأسا ويذم امساك المال رأسا
 ولا يرخص له في شيء منه لانه لو رخص له في أدنى شيء اتخذ ذلك عذرا في استيفاء مجله وغضبه وظن انه
 القدر المرخص فيه فاذا قصد قطع الاصل وبالغ فيه ولم يتيسر له الا كسر سورته بحيث يعود الى
 الاعتدال فالصواب له أن يقصد قلع الاصل حتى يتيسر له القدر المقصود فلا يكشف هذا السر
 للريد فانه موضع ضرر والحق ان يظن بنفسه أن غضبه يجزى وان امساكه يجزى

بيان السبب الذي به نال حسن الخلق على الجملة

قد عرفت أن حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب
 والشهوة وكونها العقل مطيعة والشرع أيضا وهذا الاعتدال يحصل على وجهين * أحدهما وجود
 الحق وكال فطرى بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة

والغضب بل خلقنا معتدلين متقادين للعقل والشرع فيصير عالما بغير تعليم ومؤذنا بغير تأديب
كعيسى ابن مريم يحيى بن زكريا عليهما السلام وكذا سائر الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين
ولا يبعد أن يكون في الطبع والقطرة ما قد يتألب بالاكسباب فرب صبي خلق صادق الهمة ضيا
جريا ورعا يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتناء وبالطفا والتحقيق بهذه الاخلاق وربما يحصل
بالتعلم (والوجه الثاني) اكساب هذه الاخلاق بالمجاهدة والرياضة واعني به حمل النفس على
الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فن أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق الجود فطرقه أن يكلف
تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه ويواطى عليه تكلفا بمجاهدة نفسه فيه حتى
يصير ذلك طبعاه ويتيسر عليه فيصير به جوادا وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد
غلب عليه الكبر فطرقه أن يواطى على أفعال التواضعين مدة مديدة وهو فاعب بمجاهدة نفسه
ومتكلف الى أن يصير ذلك خلقا له وطبعاً فيتيسر عليه وجميع الاخلاق المجودة ثم عاين حصل هذا
الطريق وغاياته أن يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالمعنى هو الذي يستلذ به المال الذي يذله
دون الذي يذله عن كراهة والتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الاخلاق الدينية
في النفس ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الافعال السيئة وما لم يواطى
عليها مواظبة من يشاق الى الافعال الجليلة وترسم بها ويكره الافعال القبيحة ويتألم بها كما قال صلى
الله عليه وسلم جعلت قرعة عني في الصلاة ومهما كانت العبادات وترك المخضورات مع كراهة
واستتقال فهو التقيان ولا يزال كالسعادة به نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة
الى تركها لا بالاضافة الى فعلها عن طوع ولذات قال الله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال
صلى الله عليه وسلم اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكتفي في نيل
السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذا الطاعة واستكراه المصيبة في زمان دون زمان بل
ينبغي أن تكون ذلك على الدوام وفي جملة الهرم وكما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخا وكل
ولذلك لما سئل صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال طول العمر في طاعة الله تعالى ولذلك كره الانبياء
والاولياء الموت فان الدنيا خزنة الآخرة وكلما كانت الصادات أكثر يطول العمر كان الثواب أجزل
والنفس أزكى وأظهر والاخلاق أقوى وأرسخ وانما مقصود العبادات تأثيرها في القلب وانما تأكد
تأثيرها بتكرار المواظبة على العبادات وغاية هذه الاخلاق أن تنقطع عن النفس حب الدنيا ورسخ
فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء أحب اليه من لقاء الله تعالى عز وجل فلا يستعمل جميع ماله الا على
الوجه الذي يوصله اليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملها الا على الوجه الذي يوصله
الى الله تعالى وذلك بأن يكون موزونا بجزان الشرع والعقل ثم يكون بسند ذلك فرضا به مستلذا له
ولا ينبغي أن يستبعد مصير الصلاة الى حد تنصير في قرعة العين ومصير العبادات للذبة فان العادة
تقتضي في النفس مجانب أعزب من ذلك فانا قد نرى الملوك والنعمين في احزان دائمة يرى القاصر
المفلس قد يغلب عليه من الفرح والذلة بخار ومما هو فيه ما يستقل معه فرح الناس بغير قارمع
أن التمارير بما سلبه ماله وخرب بيته وتركه مفلسا ومع ذلك فهو محب ويلتذ به وذلك لطول الفقه
وصرف نفسه اليه مدة وكذلك اللاعب بالجمام قد ينف طول النهار في خرق الشمس قائما على رجله
وهو لا يحس بالما الفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها وتخلطها في جوار السماء بل يرى القاهر العيار
يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السباط وعلى أن يتقدم به لاصاب وهو مع ذلك متبجح
بنفسه وقوته في الصبر على ذلك حتى يرى ذلك نفرا لنفسه ويقطع الواحد منهم ان اربا ربا على أن يقربها

تعاطاه أو تعاطاه غيره فحصر على الإنكار ولا يبالى بالعقوبات فرحاً بما يستقده كلاً وشجاعة ورجولية
فقد صارت أحواله مع ما فيها من النكال قرعة عنه وسبب اقتضاره بل لآلئاً خسر وأقبح من حال
الخنث في تشبهه بالأنث في ثقب الشعر ووشم الوجه وغلاظة النساء تقرر الخنث في فرح بحاله
واقترار بكاله في تخنثه يتباهى به مع الخنثين حتى يجري بين الجمالين والسكاسين التغاخر والمباهاة كما
يجري بين الملوك والعلاء فكل ذلك نتيجة العادة المواطبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة
ومشاهدة ذلك في الخالطين والمعارف فإذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتبذل اليه وإلى
القبائح فكيف لا تستلذ الحق لو رذت إليه مدة والترمت المواطبة عليه بل ميل النفس إلى هذه
الأمور الشنعاء خارج عن الطبع نضاهي السبل إلى أكل الطين فقد قلب على بعض الناس ذلك
بالعادة فأما ميله إلى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل إلى الطعام والشراب فإنه
مقتضى طبع القلب فإنه أمر رباني وميله إلى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته ومعارض على طبعه
وإنما غذاه القلب الحكمة والعرفه وحب الله عز وجل ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد
جل به كاد يجل المرض بالعادة فلا تشهى الطعام والشراب وهما سببان لحياها فكل قلب مال إلى
حب شيء سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله إلا إذا كان أحب ذلك الشيء لكونه معيناً له
على حب الله تعالى وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فإذا قدرعت بهذا قطعاً أن هذه
الآخلاق الجليلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعاً انتفاء
وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح أعني النفس والبدن فإن كل صفة تظهر في القلب
يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة وكل فعل يجري على الجوارح فإنه قد
يرتفع منه أثر إلى القلب والآخر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو أن من أراد أن يصير الخلق في الكتابة
له صفة نفسية حتى يصير كاتباً بالطبع فلا طريق له إلا أن يتعاطى بمجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب
الحاذق ويواطب عليه مدة طويلة بما سكى الخط الحسن فإن فعل الكاتب هو الخط الحسن فيقتبسه
بالكاتب تكلفاً ثم لا يزال يواطب عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه فيصير منه في الآخر الخط
الحسن طبعاً كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفاً فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسناً
ولكن الأول يتكلف إلا أنه ارتفع منه أثر إلى القلب ثم انخفض من القلب إلى الجارحة فصارت يكتب
الخط الحسن بالطبع وكذلك من أراد أن يصير فقيه النفس فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال
الفقه وهو التكرار الفقه حتى تنعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس وكذلك من أراد
أن يصير ضيفاً ضعيف النفس حليماً متواضعاً فيزله أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفاً حتى يصير ذلك
طبعاً له فلا علاج له إلا ذلك وكذا طالب فقه النفس لا بأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليله
ولا ناله بتكرار ليله فكذلك طالب تركية النفس وتكليفها وتخليتها بالاعمال الحسنة لا يناله
بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعض يوم وهو معنى قولنا إن الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاء المؤبد
ولكن العظلة في يوم واحد تدعو إلى مثلها ثم تتداعى قلباً قلباً حتى تأتس النفس بالكسل
وتهمر التحصيل رأساً فغورها فضيلة الفقه وكذلك صفات المعاصي يجبر بعضها إلى بعض حتى يفوت
أصل السعادة هدم أصل الإيمان عند الخاتمة وكان أن تكرر ليله لا يحسن تأثيره في فقه النفس
بل ينظر فقه النفس شيئاً فشيئاً على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة
لا يحسن تأثيرها في تركية النفس وتظهرها في الحال ولكن لا ينبغي أن يستهان بتقليل الطاعة فإن
الجملة الكثيرة منها مؤثرة وإنما اجتمعت الجملة من الأحاد فكل واحد منها تأثيراً من طاعة لا ولها أثر

وان خفي فله ثواب لا محالة فان الثواب بازاء الاثر وكذلك العصية وكتم من قبيح يستهين بتعطيل يوم
وليلة وهكذا اعلى التوالت يسوف نفسه بمافيه مالى ان يخرج طبعه عن قبول الققه فكذلك من
يستهين بصغائر المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالت الى ان يختطفه الموت بقعة وتتراكم
ظلمة الذنوب على قلبه وتعذر عليه التوبة اذ القليل يدعو الى الكثير فيصير القلب مقيدا بسلاسل
شهوات لا يمكن التخلص من مخالبها وهو المعنى بانسد باب التوبة وهو الراد به قوله تعالى وجعلنا
من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الآية ولذلك قال على رضى الله عنه ان الايمان سيد وفي القلب
نسكة يضاء كلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان
التناق ليس في القلب نسكة سوداء كلما ازداد التناق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل التناق اسود
القلب كله فاذا عرفت ان الاخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة تكون باعتبار
الافعال الجلية وتارة بمشاهدة ارباب الافعال الجلية ومصاحبهم وهم قرناء الخير واخوان الصلاح
اذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فنظا هرت في حقها الجهات الثلاث حتى صار
ذا فضيلة طبعيا واعتيادا وهما في غاية الفضيلة ومن كان رذالا بالطبع واتقى له قرناء السوء قطع
منهم وترى سببا للشر حتى اعتاد ما هو في غاية البعد عن الله عز وجل وبين الرتبين من
اختلفت فيه هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد محسب ما تقتضيه صفته وحالته فمن يعمل
مقال ذرة خيرا به ومن يعمل مثقال ذرة شرا به وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون

بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق

قد عرفت من قبل ان الاعتدال في الاخلاق هو صحة النفس والميل عن الاعتدال السقم ومرض فيها
كان الاعتدال في مزاج البدن هو صحة لهو والميل عن الاعتدال مرض فيه فليقتض هذا مثلا
فنقول مثال النفس في علاجها بمجوزات الال والاخلاق الرذيلة عنها وجلب الفضائل والاخلاق
الجلية اليها مثال البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلب اليه وكان الغالب على
أصل المزاج الاعتدال وانما تقوى المعدة للضرورة هوارض الاغذية والاهوية والاحوال فكذلك
كل مولود يولد معسدا لا يحجج الفطرة وانما يواءم بؤدائه او ينصرته او يمجسه أى بالاعتياد والتعليم
تكتسب الرذائل وكان البدن في الاستعداد لا يجلب كاملا وانما يكل ويقوى بالنشور والتربية
بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما تسكن بالتربية وتهذيب الاخلاق
والغذية بالعلم وكان البدن ان كان صحيفا تشان الطبيب تهيد القانون الحافظ للصحة وان كان
مرضيا تشان طبيب الصحة اليه فكذلك النفس منك ان كانت زكية ظاهرة فتهذيب فينبغي
ان تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة لها واكتساب زيادة صرفتها وان كانت عديمة الكمال
والصفاء فينبغي ان تسعى لجلب ذلك لها وكان العلة الغيرة لا اعتدال البدن الموجهة للحرص لا لتعاجل
الابتسها فان كانت من حرارة في البرودة وان كانت من برودة في الحرارة فكذلك الرذيلة التي هي
مرض القلب علاجها بصدفها فمعاجل مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسبي ومرض الكبر
بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكان لا بد من الاحتمال لمرارة الدوام وشدة
الصبر عن المشتهيات لعلاج الايدان المرضية فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر
لدوام مرض القلب بل أولى فان مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياد بالله
تعالى مرض يدوم بعد الموت ابد الآباد وكان كل مريض لا يصلح لعلل سببها الحرارة الا اذا كان على حد
مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه والكثرة والقلة ولا بد لمن معيار

يعرف به مقدار النافع منه فانه ان لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقائص التي تعالج بها
الاخلاق لا بد لها من معيار وكما ان معيار الدواء مأخوذ من معيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج
ما لم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة فان كانت من حرارة فيعرف درجتها أي ضعيفة أم قوية
فأذا عرف ذلك التفت الى أحوال البدن وأحوال الزمان وصناعة المريض وسننه وسائر أحواله ثم
يعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدن ينبغي
أن لا يهجم عليهم بالرياسة والنكال في فن مخصوص وفي طريق مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم
وأعراضهم وكأن الطبيب لو عالج جميع المرضى بهلاج واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار
على المريدين بمنه وأخذ من الرياسة أهلكتهم وأما قلوبهم بل ينبغي أن ينظر في مرض المريـ
د وفي حاله وسننه وأحواله وما تحتمله بنسبه من الرياسة وينبغي على ذلك رياسته فان كان المريـ
د مبتدئاً جاهلاً بمجدو الشرع فيعلمه أولاً الطهارة والصلاة ونظواهر العبادات وان كان مشغولاً بعمال حرام
أو مقارفاً لعصية فيأمره أولاً بتركها فاذا تزين بظاهره بالعبادات وطهره من المعاصي الطاهرة
جوارحه نظراً بقرائن الأحوال الى باطنه لينتقل من الأخلاق قواماً على قلبه فان رأى معه ما لا يفضل
عن قدر ضروريه أخذ منه وصرفه الى الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت اليه وان رأى العزونة
والكبر وعزلة النفس غالبه عليه فيأمره أن يخرج الى الأسواق للكديبة والسؤال فان عزلة النفس
والرياسة لا تنكسر الا بالذل ولا ذل أعظم من ذل السؤال فيكلفه المواقفة على ذلك مدة حتى ينكسر
كبره وعز نفسه فان الكبر من الأمراض المهلكة وكذلك العزونة وان رأى الغالب عليه النظافة
في البدن والشباب ورأى قلبه مائلاً الى ذلك فرجابه ملتقناً اليه استخدمه في تعهد بيت المأوى تنظيفه
وكس المسوح القدرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تتشوش عليه مرونته في النظافة
فان الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطولون المرقعات والتنظيف والعبادات الملوثة لا فرق بينهم
وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار فلا فرق بين أن يعبد الانسان نفسه أو يعبد صنماً فحما
عبد غيره الله تعالى قد حجب عن القوم من رايي في قبه شيئاً سوى كونه حلالاً وطاهرًا مراعاة بالثقت
البا قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياسة اذا كان المريـد لا يعضو بترك العزونة رأساً
أو بترك ضفة أخرى ولم يسمح بضد هادفة فينبغي أن ينقله من الخلق المذموم الى خلق مذكوم آخر
أخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء اذا كان الماء لا يزيل الدم كما يرغب الصبي
في المكتب باللعب بالكرة والصوبان وما أشبهه ثم ينقل من اللعب الى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقل
من ذلك الى الترغيب في الرياسة وطلب الجاه ثم ينقل من الجاه الى الترغيب في الآخرة فكذلك من لم تسمح
نفسه بترك الجاه دفعة فليُنقل الى جاه أخف منه وكذلك سائر الصفات وكذلك اذا رأى شره الطعام
غالب عليه أزمه الصوم وتقليل الطعام ثم يكلفه أن يهيئ الأطعمة اللذيذة ويقدمها الى غيره وهو
لا يأكل منها حتى يقوى بذلك نفسه فيعود الصبر وينكسر شره وكذلك اذا رآه شاماً مشوقاً الى
النكاح وهو عاجز من الطول فيأمره بالصوم وربما لا يسكن شهوته بذلك فيأمره أن يفطر ليلة على
الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويعنه الصوم والدم رأساً حتى تقل نفسه وينكسر شهوته
فلا علاج في مبدأ الإرادة أنفع من الجوع وان رأى الغضب غالباً عليه الزمه الحلم والشكوت وسلط
عليه من يصحبه من فيه سوء خلق ويزمه خدمة من ساء خلقه حتى يمرن نفسه على الاحتمال معه كما
حكى عن بعضهم انه كان يؤذ نفسه بالحلم ويؤذي من يستأجر من يشتمه على
ملا من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار بالحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل

وبعضهم كان يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب فأراد أن يحصل لنفسه خلق الجماعة فكان يركب الجرفي الشتاء عند اضطراب الأمواج وعباد الخديصا لجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على نصبة واحدة وبعض الشيوخ في ابتداء ارادته كان يكسل عن القيام فأزمن نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسبح بالقيام على الرجل عن طوع وعاج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله وورثه في الجرد تخاف من فقرته على الناس رغبة الجود والرياء بالبدل فهذه الامثلة تفرق طرق معالج القلوب وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فان ذلك سيأتي في بقية الكتب وانما غرضنا الآن التنبيه على أن الطريق الكلي فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما نهوا النفس وتميل اليه وقد جمع الله ذلك كله في كتابه العزيز في كل ما أحذرت فقال تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى والاصل المهيمن في المجاهدة الوفاء بالعزم فان عزم على ترك شهوة فقد تسربت أسباها ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى واختبارا فينبغي أن يصبر ويستتر فإنه ان عود نفسه ترك العزم ألقت ذلك ففسدت وإذا اتق منه تقص عزم فينبغي أن يلزم نفسه بقوة عليه كإكرامه في معاقبة النفس في كتاب المحاسبة والمراقبة وإذا لم يتقوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفقد بها الرضا بالكلية

بيان علامات امراض القلوب وعلامات عودها الى الصحة

اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لخلق خاص به وانما مرضه أن يتعد عليه فخلق الذي خلق له حتى لا يصدر منه أصلا أو يصدر منه نوع من الاضطراب فمرض البدن أن يتعد عليها البطش ومرض العين أن يتعد عليها الابصار وكذلك مرض القلب أن يتعد عليه فخلقها لتخمس به الذي خلق لاجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ ذكره وإشارته ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والأعضاء عليه قال الله تعالى وفما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون في كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصة النفس التي لا تدرك ما يتغير بها عن اليأس فإنه لا يتميز عنها بالقوة على الأكل والوقاع والابصار وغير هابل بمعرفة الأشياء على ما هي عليه وأصل الأشياء وهو جدها ومتمتعها هو الله عز وجل الذي جعلها أشياء فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله عز وجل فكأنه لم يعرف شيئا وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة المحبة أن لا تؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى قل ان كان آبائكم وبنواؤكم وأخوانكم أو أزواجكم أو كنزكم أو ما جمعتم من الدنيا وما فيها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترى بصواحي باقي الله بأمره فمن عنده شيء أحب اليكم من الله فقلبه مريض كما أن كل معدة صبار الطين أحب اليها من الخبز والماء أو سقطت شهواتها من الخبز والماء فهي مريضة فهذه علامات المرض وهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة الا ما شاء الله أن من الأمراض ما لا يمرضها صاحبها ومرض القلب بما لا يعرف صاحبها فلذلك يشغل عنه وان مرقه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فان دواءه بخلافه الشهوات وهو تزعم الروح فان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا جادا ما يلجأه فان الانبياء هم العلماء وقد استولى عليهم المرض فالطبيب المريض قلما يلتفت الى علاجه فلهذا صار الداء عضالا والمرض مرض منا وندرس هذا العلم واتكربا بالكلية طب القلوب والنصيح مرضها وأقبل الخلق على حب الدنيا وعلى أعمال ظاهرها عبادات وباطنها عبادات ومرضات فلهذا علامات اصول الأمراض وأما علامات عودها الى الصحة بعلاجاتها فهي أن يتغير في الغلة التي بها يلجأه فان كان يعالجها ما ينيل فهو المهلك المبيد عن الله عز وجل وانما علاجه بذل المال وانفاقه ولكنه قديس في المال الى الجنة

يصبر به مبذرا فيكون التبذير أيضا دام فكان كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة فهو
أيضاداء بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة وكذلك المطلوب الاعتدال بين التبذير
والتقير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فان أردت أن تعرف الوسط فانظر الى
الفعل الذي يوجب الخلق المخذور فان كان أسهل عليك والأذن الذي يضاده فالغالب عليك ذلك
الخلق الموجب له مثل أن يكون امساك المال وجمعه ألد عندك وأيسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم
أن الغالب عليك خلق الخلق فزد في المواتبة على البذل فان صار البذل على غير المستحق ألد عندك
وأخف عليك من الامساك بالخلق فقد غلب عليك التبذير فارجع الى المواتبة على الامساك فلا تزال
تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسر الأفعال وتصيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن الالتفات
الى المال فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه بل يصبر عندك كالماء فلا تطلب فيه الامساك له حاجة
محتاج أو بذله له حاجة محتاج ولا ترجع عندك البذل على الامساك فكل قلب صار كذلك فقد أتى الله
سليمان عن هذا المقام خاصة ويجب أن يكون سليما عن سائر الاخلاق حتى لا يكون له علاقة بشئ
مما يتعلق بالدنيا حتى يرغب النفس عن الدنيا مقطعة الصلائق منها غير ملتفة اليها ولا منشوقة الى
أسبابها ففند ذلك ترجع الى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلية في زمرة عباد الله
المقربين من التبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا * ولما كان الوسط
الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو أدق من الشعر وأحذ من السيف فلا جرم من استوى
على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة ولما غلبك البعد عن ميل من
الصراط المستقيم أمضى الوسط حتى لا يميل الى أحد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال
اليه ولذلك لا يتفك عن عذاب ما واجتبا زلي النار وان كان مثل البرق قال الله تعالى وان منكم
الأواردها كان على ربك حتما مقضيا ثم نفي الذين اتقوا أي الذين كان قهرهم الى الصراط المستقيم
أكثر من بعدهم عنه ولا جل عسر الاستقامة وجوب على كل عبد أن يدعو الله تعالى في كل يوم سبع
عشرة مرة في قوله اهتدوا الصراط المستقيم ادعوا قراءة الفاتحة في كل ركعة فقد روي أن بعضهم
رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيتني هو فسلم قلت ذلك
فقال عليه السلام لقوله تعالى فاستقم كما أمرت فالاستقامة على سواء السبيل في غاية الغموض ولكن
ينبغي أن يجهت الانسان في القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقتها فكل من أراد النجاة فلا حاجة
له الا بالعمل الصالح ولا تصدرا لاهمال الصالحة الا عن الاخلاق بالحسنة فليست فقد كل صفة صالحة
واخلافة وليعتدوا وليستقل بعلاج واحد واحد فيها على الترتيب فنسأل الله الكريم أن يجعلنا
من المتقين

بيان الطريق الذي يعرف به الانسان عيوب نفسه

اعلم أن الله عز وجل اذا أراد بعد خيرا يصبره يعيوب نفسه فن كانت بصيرة نافذة لم تخف عليه عيوبه
فأد اعرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى احد هم القذى
في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق * (الاول)
أن يجلس بين يدي شيخ يصبره يعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع
اشارته في مجاهدته وهذا أن المرید مع شيخه والتلميذ مع أستاذه فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب
نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عرف في هذا الزمان وجوده * (الثاني) أن يطلب صدقا
صدوقا يصبره امدنا في نفسه رقبيا على نفسه ليلأخذ أحوالها وأفعالها فما كره من أخلاقه وأفعاله

وعيوبه الباطنة والظاهرة ينهيه عليه فكذا كان فعل الاكياس والاكرام من أئمة الدين كان عمر
رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ اهدى الى عيوبي وكان يسأل سلكا عن عيوبي فلما قدم عليه قال
له ما الذي بلغك عني مما تكرهه فاستغنى فاح عليه فقال بلغني انك جعت بين ادمين على مائدة
وانك حلتين حلة بالهار وحلة بالليل قال وهل بلغك غير هذا قال لا فقال اما هذا فقد كفيتهما
وكان يسأل حذيفه فيقول له أنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المناقذين فهل ترى
على شيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمة لنفسه رضي الله عنه
فكل من كان أو فرغلا وأعلى منصبا كان أقل إعجابا وأعظم إهمال لنفسه إلا أن هذا أيضا قد مر
فقل في الاصدقا من ترك المداهنة فبضر بالعب أو ترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا يتخلو
في أصدقائك عن حسودا وصاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا أو عن مداهن يخفي عنك بعض
عيوبك ولهذا كان دار الطائفة قد اعتزل الناس قليل لم لا يتخالط الناس قال وماذا أجمع
بأقوام يخفون عني عيوبي فكانت شهوة ذوى الدين أن يغيروا العيوب بهم بتدبير غيرهم وقد لا الأمر
في أمثالنا إلى أن أبغض الخلق البسام ينحصروا في قناصين أو يكاد هذا أن يكون مفضعا من
ضعف الايمان فان الاخلاق السيئة جات وعقارب الداهية فلو نهينا منبه على أن تحتقرنا عقربا
لتقلدنا منمنة وفرحنا به واشغلنا بازالة العقرب وإبعادها وقتلها وانما تكايتها على البدن
ويروم المهاب ما فادونه ونكاية الاخلاق الرديئة على صميم القلب أخشى أن يروم بعد الموت أبدا
أو لا فامن السنين ثم اننا انفرج من بينها عليها ولا نشغل بازالتها بل نشغل بمقاولة الناصح بمثل
مقالته فنقول له وأنت أيضا تصنع كيت وكيت وتشتغل بالعداوة مع من الانتفاع بنصحه ونصيه
أن يكون ذلك من مساواة القلب التي أغمرتها كثرة الغيوب وأصل كل ذلك ضعف الايمان فنسأل
الله عز وجل أن يهيننا رشفنا وصرنا جيوننا وشغلنا بعبادتها وبقوتها القيام بشكرهم بطلنا
على مساوينا ونمضيه (الطريق الثالث) أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه فان
حين الضغط تبدي المساوي ولعل انتفاع الانسان بعدد مساوينا يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه
بصدق مداهن ينثي عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه إلا أن الطبع يجول على تكذيب العدو وحمل
ما يقوله على الحسد ولكن الصبر لا يتخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فان مساوينا لا بدوا تنشر على
السننهم (الطريق الرابع) أن يتخالط الناس فكل ما رآه مذموم ما فاجبا بين لخلق فليطالب نفسه به
وينسبها اليه فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه وهلم أن الطباع متقاربة
في اتباع الهوى فيا تصف به واحد من الاقران لا ينطق القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه
أو عن شيء منه فليستقد نفسه ويظهرها عن كل ما ينقذ من غمرونا هيك هذا إذا بيا فلو ترك الناس
كلهم ما ذكره من غيرهم لاستغنوا عن المؤذنب قبل لعيسى عليه السلام من أذك قال
ما أذنبني أحد رأيته جهل الجاهل شيئا فاجتنبته وهذا كله ميل من قد شيعا عارفا رجا صبرا
بعيوب النفس مشفقانا صحافي الدين فارغ من تهذيب نفسه مشتغلا تهذيب عباد الله تعالى ناصحا
لهم في وجد ذلك قد وجد الطيب فليلازمه وهو الذي يخلصه من مرضه ويصفيهم من الهلاك الذي
هو بسدده

في بيان شواهد النقل من أبواب البصائر وشواهد الشعر

على أن الطريق في معالجة أمراض القلوب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هي اتباع الشهوات
اعلم أن ما ذكرناه أن تأملته بين الاعتياد اتفقت بصيرتك وانكشف لك علل القلوب وأمراضها

وأدونها نور العلم واليقين فان عجزت عن ذلك فلا ينبغي أن غوتك التصديق والايمان على سبيل
 التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فان الايمان درجة كما أن للعلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان
 وهو رواده قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا وكنتم من قبل من الضالين فان صدق بأن مخالفة
 الشهوات هو الطريق الى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسرّه فهو من الذين آمنوا وإذا اطلع على
 ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين آمنوا العلم وكلاهما عند الله الحسنى والذي يقتضى الايمان
 بهذا الامر في القرآن والسنة وأقارب العلماء أكثر من أن يحصر قال الله تعالى ونهى النفس من
 الهوى فان الجنة هي المأوى وقال تعالى أولئك الذين امتن الله قلوبهم للتقوى قبل نزاع منه شهوة
 الشهوات وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن بين خمس شئنا مؤمن بحسده ومناقب يغضه وكافر
 بقائله وشيطان يضلّه ونفس تنازعه فين أن النفس عدو منازع يجب عليه مجاهدتها وروى أن
 الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام يا داود حذروا نذر أصحابك أكل الشهوات فان القلوب
 المتعقة بشهوات الدنيا عقولها على محبوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة
 لم يعود غائبة ربه وقال نينا صلى الله عليه وسلم تقوم قدمي من الجهاد مرحبا بكم قدمي من
 الجهاد الا بصغري الجهاد الا كبري يا رسول الله ما الجهاد الا كبر قال جهاد النفس وقال صلى
 الله عليه وسلم الجهاد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم كف أذاك
 عن نفسك ولا تباغى هواها في معصية الله تعالى اذا انت خاصمك يوم القيامة فليكن بعضك بعضا الآن
 يغفر الله تعالى ويستره وقال سفيان الثوري ما عالجت شيئا أشد عليّ من نفسي مرة الى مرة
 عليّ وكان أبو العباس الموصلي يقول لنفسه يا نفس لا في الدنيا مع أبناء الملوك تتعبدن ولا في طلب
 الآخرة مع العباد تتعبدن كأي بك بين الجنة والنار تحسبن يا نفس ألا تسخين وقال الحسن ما الدابة
 الجوح بأحوج الى العيام الشديدين نفسك وقال يحيى بن معاذ ارازي جاهد نفسك بأسياف
 الرياضة والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والتمتع من المنام والحاجة من الكلام
 وحمل الاذى من جميع الاتهام فتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات
 ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد
 شيء أشد من الحلم عند الجفا والصبر على الاذى واذا تضرّكت من النفس ارادة الشهوات
 والآثام وهاجت منها حلوة فضول الكلام جرّدت عليها سيف قلة الطعام من هذا التهجيد
 وقلة المنام وضربتها بأيدي المحول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن من
 بوائقها من بين سائر الآثام وتصفها من غلبة شهواتها فتصوم غوائل آفاتهما فتصبر عند ذلك
 نظيفة ونورية خفيفة روحانية قبول في ميدان الخبرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس
 الفاره في الميدان والملك المتتر في البستان وقال أيضا أعداء الانسان ثلاثة دنياه وشيطاناه
 ونفسه فأحرص من الدنيا بالاهد قها ومن الشيطان بخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال
 بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار أسير في حب شهواتها بجسور في معبر هواها مقهورا
 مغلولاً زمامها في دهايقه حيث شاءت فتتبع قلبه من القوائد وقال جعفر بن محمد أجمعت العلماء
 والحكماء على أن النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال أبو يحيى الوراق من أرضي الجوارح بالشهوات
 فقد غرس في قلبه شجرة الندامات وقال وهيب بن الورد ما زادني الخبز فهو شهوة وقال أيضاً من
 أحب شهوات الدنيا قلتهما للذل وروى أن امرأاة العزيز قالت ليوסף عليه السلام بعد أن
 ملك خزان الأرض وقدت له على رابية الطريق في يوم موكبته وكان يركب في زها اثني عشر ألفاً

من عظماء ملكته سبحانه من جعل الملوك عبيدا بالمعصية وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم له
 ان الخرص والشهوة صير الملوك عبيدا وذلك جزاء القسدين وان الصبر والتقوى صير العبيد ملوكا
 فقال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين وقال الجنيد
 أرقق ليله فتمت الى وري فلم أجد الخلاوة التي كنت أجد ها فأتيت أن تأم فلم أندر هللت فلم
 أطق الجلوس فخرجت فاذا رجل ملتحق في عاء مطروح على الطريق فلما أحسن لي قال يا أبا القاسم
 الى الساعة قتلت يا سيدي من غير موعد فقال بلى سألت الله عز وجل أن يحرر لي قلبك فقلت قد
 فعل فاحاجتك قال فحق صير داء النفس دواها فقلت اذا خالفت النفس هواها فأقبل على نفسه
 فقال اسمعي فقد أجنبك هذا سبع مرات فأيت أن تسميه الام الجنيد ها قد سمعته ثم انصرف
 وماعرفته وقال يزيد الرقائبي اليكم عنى الماء البارد في الدنيا على لأحره في الآخرة وقال رجل لعمر
 ابن عبد العزيز رحمه الله تعالى مني أنكم قال اذا اشتبهت الصمت قال متى أصمت قال اذا اشتبهت
 الكلام وقال علي رضي الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا وكان ما كان
 دينار طوف في السوق فاذا رأى الشيء يشبهه قال لنفسه اصبري فوالله ما منعك الامن كما منعك
 علي فاذا اذتفق العلماء والحكام على أن لا طريق الى سعادة الآخرة الا بتبني النفس عن الهوى
 ومخالفة الشهوات فالإيمان بهذا واجب وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك لا يدرك
 الا بما قد تمناه وحاصل الرياضة وسرها أن لا تتبع النفس بشئ مما لا يوجد في القبر الا بقدر الضرورة
 فيكون مقتصر من الاكل والشكاج والباس والمسكن وكل ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة
 والضرورة فانه لو تمتع بشئ منه انس به وألقه فاذا مات غشي الرجوع الى الدنيا بسببه ولا يمتني
 الرجوع الى الدنيا الا من لا يخطئ في الآخرة بحال ولا خلاص منه الا بان يصحكون القلب مشغولا
 بمعرفة الله ووجهه والتفكير فيه والانقطاع اليه ولا قوة على ذلك الا بالله يقتصر من الدنيا على ما يدفع
 عوائق الذكر والفكر قط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه والباس فيه أربعة وجعل مستغرق
 قلبه بذكر الله فلا يلتفت الى الدنيا الا في ضرورات المعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهي الى هذه الرتبة
 الا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة الثاني رجل استغرق الدنيا قلبه ولم يسبق
 الله تعالى ذكر في قلبه الا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان لا بالقلب فهذا من الخالسين
 والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين ولكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا يقبل من ورود التنازع
 الا انه يصوم منها سراجا بحد رغبة ذكر الله تعالى على قلبه الرابع رجل اشتغل بها جميعا لكن الدنيا
 أغلب على قلبه فهذا أطول مقامه في النار لكن يخرج منها بالجملة لقوة ذكر الله تعالى في قلبه ويمكنه
 من صميم قواده وان كان ذكر الدنيا أغلب على قلبه اللهم اننا نعوذ بك من خزيك فانك أنت المعاذ
 وربما قول القائل ان التمس بالمباح مباح فكيف يكون التمس سبب البعد عن الله عز وجل وهذا
 خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة وسبب احباط كل حسنة والمباح انما خرج عن قدر
 الحاجة انما يضر من الدنيا وهو سبب البعد وسبب في ذلك في كتاب ذم الدنيا وقد قال ابراهيم الخواص
 كتب مررت في جبل الكرام فرأيت رومانا فاشتهته فأخذت منه واحدة فبشقتها فوجدتها حامضة
 لضيق وتركها فرأيت رجلا مطروحا وقد اجتمعت عليه الزناير فقلت السلام عليك فقال وعليك
 السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفني فقال من عرف الله عز وجل لم يخف عليه شئ فقلت أرى لك
 حالامع الله عز وجل فلو سألتك أن يحميك من هذه الزناير فقال وأرى لك حالامع الله تعالى فلو سألتك
 أن يحميك من شهوة الزمان فان لدغ الزمان يحمي الانسان ألبه في الآخرة ولدغ الزناير يحمي دمه

في الدنيا فكمه ومضنت وقال السري أنا منذ أربعين سنة تطالبني نفسي أن أغس خبزة في ديس
فأطعمها فأذا لا يمكن إصلاح القلب لسلوله طريق الآخرة ما يمنع نفسه عن التمتع بالمباح فإن
النفس إذ لم تمنع بعض المباحات طمعت في المخطورات فمن أراد حفظ لسانه عن النسيه والفضول
حقه أن يلزمه السكوت إلا عن ذكر الله والاعين المهمات في الدين حتى تمت منه شهوة الكلام فلا
يتكلم إلا بحق فيكون سكوتة عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي البصر إلى كل شيء جميل
لم تعفظ عن النظر إلى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لأن الذي يشتهي به الحلال هو عينه الذي
يشتهي به الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منها من الحرام فإن لم يعودها لا تقصار على
قدر الضرورة من الشهوات غلبته فهذه إحدى آفات المباحات ووراءها آفات عظيمة أعظم من
هذه وهو أن النفس تفرح بالتمتع في الدنيا وتركن إليها وتطمئن إليها أشرا وبطرا حتى تصير مثلة
كالسكران الذي لا يقين من سكره وذلك القرع بالنسيه قاتل يسري في العروق فيخرج من القلب
الخوف والحزن وذكر الموت وأهوال يوم القيامة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى وفرحوا
بالحياة الدنيا وأطعموا نساءهم وقال تعالى وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع وقال تعالى اعلموا أنما
الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد والآية وكل ذلك ذم لما تنسأل
الله السلامة فأولوا الحزم من أبواب القلوب جربوا قلوبهم في حال القرع بمواتاة الدنيا فوجدوها
قاسية قفرة بعيدة التآثر عن ذكر الله واليوم الآخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها مائية رقيقة
صافية قابلة لاثر الذكر فعلموا أن النجاة في الحزن الدائم والتباعد من أسباب القرع والبطر
قطعوها عن ملاذها وعزودوها الصبر عن شهواتها حللها وأخرها ما عطلوا أن حلالها حساب
وحرماها عقاب ومتشابهها عتاب وهو نوع عذاب فمن توكل الحساب في فرصات القيامة فقد
عذب بخلصوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا إلى الحرمة والملك الدائم في الدنيا والآخرة فخلصوا من
أسر الشهوات ورقعوا الأنس بذكر الله عز وجل والاستغفار بطاعته وفعولها بما يفعل باليازي
اذ قصد تأديبه ونقله من التوب والاستغفار إلى الانقياد والتأديب فإنه يحبس أولا في بيت مظلم
وتحاط عنه حتى يحصل به القظام من الطيران في جو الهواء وينسى ما قد سكت أن آله من طبع
الاسترسال ثم يرفق به بالهم حتى يأنس بصاحبه يألفه الفاء إذا دعاه أجابه وبهما سمع صوته رجع
إليه فكذلك النفس لا تألف ربه ولا تأنس بذكره إلا إذا قطعت عن عادتها بخلوة والعزلة أولا
لحفظ السمع والبصر عن المألوفات ثم عودت التنازل والذكر والدعاء ثانيا في الخلوة حتى يفلح عليها
الأنس بذكر الله عز وجل عوضا عن الأنس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك ينقل على المريد في البداية
ثم يتم به في النهاية كالعسي يظلم عن الندى وهو شد بد عليه إذا كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد
بكائه وجزع عند القظام ويشتد غوره عن الطعام الذي يقدم إليه بدلا عن اللبن ولكنه إذا منع
اللبن رأسا يوما فوما عظم تعبه في الصبر عليه وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا ثم يصير له طعما
فلور بعد ذلك إلى الندى لم يرجع إليه فنجبر الندى ويغاف اللبن ويألف الطعام وكذلك الدابة
في الابتداء تنفر عن السرج والجام والركوب فتعمل على ذلك فتهرب وتنج عن السراح الذي ألقته
بالسلسل والقيود أولا ثم تأنس به بحيث تنترك في موضعها فتقف فيه من غير قيد فكذلك تؤدب
النفس كما تؤدب الطير والدواب وتأديبها بأن تمنع من النظر والأنس والقرع بنعم الدنيا بل بكل
ما يزيلها بلوت إذ قيل له احب ما أحبت فأنك مفارقة فاعلم أن من أحب شيئا بدمه فراقه
وبسعى لا يحالة لفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فإن ذلك يصحبه في القبر

ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر أولاً وأما قليل فإن العرق قليل بالإضافة الى مدة حياة الآخر وما من عاقل الا هو راض باحتمال المشقة في سفره وتعلم صناعة وغير هاتهما ليعتم به سنة أو دهر او كل العمر بالإضافة الى الأبد أقبل من الشهرة بالإضافة الى عمر الدنيا فلا يتم الصبر والمجاهدة ففقد الصباح بمجد القوم السرى وتذهب عنهم عايات الكرى كما قاله على رضي الله عنه وطريق المجاهدة والرياضة لكل انسان تختلف بحسب اختلاف أحواله والاصل فيه أن يترك كل واحد ما به فرحه من أسباب الدنيا فالتى يفرح بالمال أو البجاه أو بالقبول أو الوعظ أو بالعزى القضاء والولاية أو بكثرة الانبعاث في التدريس والافادة فينبغي أن يترك أو يامانه فرحه فانما منع عن شئ من ذلك فليل له أن يترك في الآخر ثم ينقص بالنسبة ففكره ذلك وتأم به فهو من فرح بالحياة الدنيا وطمان بها وذلك مهلك في حقه ثم اذترك أسباب الفرح فليترك الناس وليغرب نفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل الايدى كالله تعالى والفكر فيه وليترصد لما يدور في نفسه من شهوة ووسواس حتى يبع ماذنه مهمظاً ثم ان لكل وسوسة سيئاً ولا تزول الا بقطع ذلك السبب والعلاقة لئلا يلزم ذلك نفسة العرفليس المجاهد آخر الاموت

﴿بیان علامات حسن الخلق﴾

اعلم ان كل انسان جاهل يعيوب نفسه فانما جاهد نفسه ادى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي
رجا فظن بنفسه انه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستقنى من المجاهدة فلا بد من اوضح علامة
حسن الخلق فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذر الله تعالى صفات المؤمنين
والمناققين في كتابه وهي بمجملها ثمانية حسن الخلق وسوء الخلق فلتورد جملة من ذلك لتعلم آية حسن
الخلق قال الله تعالى قد افغح المؤمنون الذين هم في ضلالهم خاشعون والذين هم عن القوم معرضون
الى قوله اولئك هم الوارثون وقال عز وجل التائبون العابدون الحامدون الى قوله وبشر المؤمنين
وقال عز وجل انما المؤمنون الذين اذا ذر الله وحلت قلوبهم الى قوله اولئك هم المؤمنون حقا
وقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وانا انزلناهم الجاهلون قالوا سلاما الى آخر
السورة فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الايات فوجود جميع هذه الصفات علامة
حسن الخلق وقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون
الجميع فليستغل تفصيل ما تقدمه وحفظ ما وجده * وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
المؤمن بصفات كثيرة وأشار بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال المؤمن يحب لآخيه ما يحب لنفسه
وقال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقال صلى الله عليه وسلم من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت
وذكر ان صفات المؤمنين هي حسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم اكل المؤمنين اعمانا احسنهم
اخلاقا وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايت المؤمن صموتا وقورا فادنا منه فانه يلقن الحكمة وقال من
سرى حسنة وسأته سيئته فهو مؤمن وقال لا يعلل المؤمن ان يشري الى أخيه مظنة تؤذيه وقال
عليه السلام لا يعلل مسلم ان يرق مسلما وقال صلى الله عليه وسلم انما يتعالمس التجالسان بأمانة
الله عز وجل فلا يعلل لاحدهما ان يشفى على أخيه ما يكرهه * وجمع بعضهم علامات حسن الخلق
فقال هو ان يكون كثير الحياء قليل الادب كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل
قليل الزلل قليل الفضول راضوا ولا قورا ضروا اشكروا راضيا حلما رقيقا عفا غشقا ليعالما
ولا سببا ولا لئاما مازلا مغتابا ولا محمولا ولا حودا ولا انحلا ولا جودا اششاشا شاشا شاشا في الله

ويعرض في الله ويرضى في الله فيضع في الله فهذا هو حسن الخلق ومثل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همت في الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همت في الطعام والشرب كالهية وقال حاتم الاحم المؤمن مشغول بالعبادة والمنافق مشغول بالحرس والامل والمؤمن آيس من كل أحد الا من الله والمنافق راج كل أحد الا الله المؤمن آمن من كل أحد الا من الله والمنافق خائف من كل أحد الا من الله المؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الخلوة والوحدة والمنافق يحب الخلطة والملا والمؤمن يزرع ويحشي الفساد والمنافق يقطع ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد واولى ما ينبغي به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال الجفاء ومن شكى من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه فان حسن الخلق احتمال الاذى فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوم امشى ومعه أنس فأدركه أعراقي فخذ به جذبا شديدا وكان عليه بردجرا في غلبته الحاشية قال أنس رضي الله عنه حتى نظرت الى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه فقال يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك ثم أمره باعطائه ولما كثرت قريش ايلامه وضربه قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قيل ان هذا يوم أحد فلذلك أنزل الله تعالى فيه وانك لعلى خلق عظيم ويحكى أن ابراهيم بن أدهم خرج يوم الى بعض البراري فاستقبله رجل جندى فقال أنت عبد قال نعم فقال له أن العمران فأشار الى المقبرة فقال الجندى انما أردت العمران فقال هو المقبرة فاطأه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشهوه ورد ما الى البلد فاستقبله أصحابه فقالوا ما الخبر فأخبرهم الجندى ما قال له فقالوا هذا ابراهيم بن أدهم فقتل الجندى عن فرسه وقيل يدنو وجلبه وجعل يهذله فقبل بعد ذلك لم يزل يلهو به فقال له لم يزل يلهو به فقال أنت عبد قال أنت عبد فقلت نعم لاني عبد الله فلا ضرب رأسي سألت الله الجنة قبل كيف وقد ظلمك فقال علت انتى وأجر على ما نالني منه فلم أزد أن يكون نصيبى منه الخير ونصيبه مني الشر ودعى أبو عثمان الحيرى الى دعوة وكان الداعي قد أراد خبر به فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه فرجع أبو عثمان فلما ذهب غير بعيد دعاه ثانيا فقال له يا أستاذ ارجع فرجع أبو عثمان ثم دعاه الثالثة وقال ارجع على ماوجب الوقت فرجع فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الاولى فرجع أبو عثمان ثم جاءه الرابعة فردّه حتى عامله بذلك مرات وأبو عثمان لا يتغير من ذلك فأصكب على رجليه وقال يا أستاذ انما أردت أن اختبرك فما أحسن خلقك فقال ان الذي رأيت مني هو خلق الكلب ان الكلب اذا دعى أجاب وانما جاز تجرو روى عنه أيضا انه اجتاز يوما في سكة فطرح عليه اجابة رما فقتل عن دابته فوجد سجدة الشكر ثم جعل ينفض الرما دعن ثيابه ولم يقل شيئا فقبل الاذرتهم فقال ان من استحق النار فصوص على الرماد لم يجزله أن يفضى انتهى وروى أن على بن موسى الرضى رحمة الله عليه كان لونه عييل الى السواد اذ كانت أمه سوداء وكان ينسأو رحام على باب داره وكان اذا أراد دخول الحمام فرغ له الحمامى فدخل ذات يوم فأخلق الحمامى الباب ومضى في بعض حوائجه فتقدم رجل رستاقى الى باب الحمام فقفحه ودخل فترع ثيابه ودخل فرأى على بن موسى الرضى فظن انه بعض خدم الحمام فقال له قم واجعل الى الماء فقام على بن موسى وامتل جميع ما كان بأمره فرجع الحمامى فرأى ثياب الرستاقى وسمع كلامه مع على بن موسى الرضى يخاف وهرب وخلاهما فلما خرج على بن موسى سأل عن الحمامى فقيل له انه خاف مما جرى فهرب

قال لا ينبغي له أن يهرب انما الذنبلن وضع مائه عند أمه سودا وروى أن أباه ر الله الخياط كان
يجلس على دكانه وكان لسحره جحوى يستعمله في الخياطة فكان اذا خاط له شيا من الدراهم
زائفة فكأن أبوه ر الله يأخذها منه ولا يتجره بذلك ولا يردها عليه فانفق يوما أن أباه ر الله قام
لبعض حاجته فأتى الجحوى فلم يجد فدفق الى تليذه الابرة واسترجع ما قد سخطه فكان درهما زائفا
فلما نظر اليه التليذ عرف انه زائف فردّه عليه فلما عاد أبوه ر الله أخبره بذلك فقال بنس ما علمت
هذا الجحوى بما علمني بهذه المعاملة منذ سنة وأنا أصبر عليه وأخذ الدراهم منهموا لقيها في البئر لئلا
يغتر بها مسلما وقال يوسف بن اسباط علامة حسن الخلق عشر خصال قلة الخلاف وحسن
الانصاف وترك طلب العورات وتحسين ما يبذل ومن السيئات والتمس العذرة واحتمل الاذى
والرجوع باللامعة على النفس والتغري بغيره عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير
والكبير ولطف الكلام لمن دونه ولن فوقه * وسئل سهل عن حسن الخلق فقال اذناه احتقال
الاذى وترك المكافاة والرحمة لظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقيل للاخف بن قيس من فعلت
الحلم فقال من قيس بن عاصم قيل وما بلغ من حله قال بينما هو جالس في داره اذا أنت جارية له
يسفو عليه شواء فسقط من يدها فوق على ابن له صغير فأت فدهشت الجارية فقال لها لاروع عليك
أنت حرّة لوجه الله تعالى وقيل ان أوس القرنى كان اذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة فكان يقول
لهم يا اخوتاه ان كان ولا بد فارموني بالصغار حتى لا تدموا ساقى فتمنعوني عن الصلاة وشتم رجل
الاحف بن قيس وهو لا يجيبه وكان تبعه فلما قرب من الحى وقف وقال ان كان قد بقي في نفسك
شيء فقله لى لا يسمعك بعض سفهاء الحى فيؤذونك وروى أن عليا كرم الله وجهه دما غلاما فطمع به
فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه فراه مضطجعا فقال امانا سمع يا غلام قال بلى قل فاحملك على
ترك اجابني قال امنت عقوبتك فكسكت فقال امض فأت حرّ لوجه الله تعالى وقالت امرأة
لما لبث بن دينار رحمه الله يامرأى فقال يا هذه وجدت اسمي الذى أحبه أهل البصرة وكان لبيبي
ابن زياد الحارثى غلام سوء فقبل لم تمسكه فقال لا تعلم الحلم عليه فهذه نفوس قد ذلت بالرياسة
فاحتملت أخلاقها ونقيت من النفس والفعل والمقدور باطنها فأنثرت الرضا بكل ما قدره الله تعالى
وهو منتهى حسن الخلق فان من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه فهو لا تظهر
العلامات على نواهرهم كاذ كراهه فن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي أن يفترب نفسه
فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي أن يشتغل بالرياسة والمجاهدة الى أن يبلغ درجة حسن الخلق فانها
درجة رفيعة لا ينالها الا المرقبون والصديقون

ويبان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم
اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الامور وأؤكدها والجبى أمانة عند الله وقيله
الطاهر جوهرة نفيسة سائجة خالصة عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل الى كل
ما عمل به اليه فان مؤدبا خير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل
معلم له ومؤدب وان مؤدب الشر وأهل افعال الباطن شقي وهلك وكان الورى في رقة القم عليه
والوالى له وقد قال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اقوا أنفسكم وأهلكم نارا ومهما كان الأب صوته
عن نارا الدنيا فيأمن يصونه عن نارا الآخرة أولى وصيائنه بأن يؤدبه ويهديه ويعلمه خاسن الاخلاق
ويحفظه من القراء السوء ولا يعودده التسم ولا يجيب اليه الزينة وأسباب الرافهة فيضيع عمره
في طلبها اذا كبر فهلك هلاك الابد بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره فلا يستعمل في حضائنه

وارضاة الامراء اقصاها متدنية تأكل الحلال فان الهين الحاصل من الحرام لا يركب فيه فاذ وقع عليه نشو الصبي انقضت طينته من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبايا ومهما رأى فيه مخائل التمييز فينبغي أن يحسن مراقبته وأول ذلك ظهور أوائل الحياء فانه اذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض الاعمال فليس ذلك الا لشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الاشياء قبيحا ومخالفا لبعض فصار رسخي من شيء دون شيء وهذه هدية من الله تعالى اليه بمشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكل العقل عند البلوغ فالصبي المستحي لا ينبغي أن يحمل بل يستعان على تأديبه بحياته وغيره وأول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي أن يؤدب فيه مثل أن لا يأخذ الطعام الا بيمنه وأن يقول عليه بسم الله عند أخذه وأن يأكل مما يليه وأن لا يبادر الى الطعام قبل غيره وأن لا يحقد النظر اليه ولا الى من يأكل وأن لا يسرع في الاكل وأن يجيد المضغ وأن لا يوابى بين القهقهة ولا يطغ بده ولا يؤبه وأن يعود الخبز القفاري في بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث يرى ادم حتما ويخج عنده كثرة الاكل بأن يشبه كل من يكثر الاكل بالهائم ويأن يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الاكل وأن يحجب اليه الاشارة بالطعام وقلة البالالة به والقناعة بالطعام الخشن أي طعام كان وأن يحجب اليه من الثياب البيض دون الملون والابرسم ويقرر عنده أن ذلك شأن النساء والمختئين وأن الرجال يستنكفون منه ويكثر ذلك عليه ومهما رأى على صبي ثوبا من ابرسم أو ملون فينبغي أن يستنكره ويذمه ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التمتع والرفاهية وليس الشباب الفاخرة ومن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه فان الصبي مهما أهمل في ابتداء نشوه خرج في الغلب ردى الاخلاق كذابا حسودا سر قائما ما لحواذا فضول وضحك وكادو بحياته وانما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب ثم يشغل في المكتسب فيعلم القرآن وأحاديث الاخبار وحكايات الابرار وأحوالهم لينغمس في نفسه حب الصالحين ويحفظ من الاشعار التي فيها ذكر العشق وأهله ويحفظ من مخالطة الادباء الذين يزعمون أن ذلك من الطرفة ورقة الطبع فان ذلك يقرس في قلوب الصبيان بذل القساد ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه ويمجى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس فان خالف ذلك في بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكشفه ولا يظهر له انه يتصور أن يغاسرأ خد على مثله ولا سيما اذا ستره الصبي واجتهد في اخفائه فان اظهار ذلك عليه بما يفيد حسارة حتى لا يبالي بالمكشفة فعند ذلك ان عاد ثانيا فينبغي أن يعاتب سر او يعظم الاسرفيه ويقال له اياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا وان يطعم عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فانه هو أن عليه سماع الملامة وركوب القباح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الأب حافظة هيبه الكلام معه فلا يوبخه الا احبانا والا لم تتخذه بالأب وترجعه عن التباعث وينبغي أن يمنع عن التومناها فانه يورث الكسل ولا يمنع منه ليل ولا لكن يمنع القرش الوطنية حتى تتصلب أعضاؤه ولا يسمن يذنه فلا يصبر عن التمتع بل يعود الخشونة في القرش والملبس والطعم وينبغي أن يمنع من كل ما يلهي في خفة فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه فيج فاذ تعود ترك فعل القبح ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ويعود أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره ويمنع من أن يفخر على أقرانه بشيء مما يملكه والده أو بشيء من مطامعه وملايسه أو لوجه ودوائه بل يعود التواضع والاکرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم ويمنع من أن

بأخذ من الصبيان شيئا بالله حشمة ان كان من أولاد المحتشمين بل يعلم أن الرفعة في الاعطاء
لا في الاخذ وأن الاخذ لثوم وخسة ودناءة وان كان من أولاد الفقراء فيعلم أن الطمع والاعذمة
وذلك وأن ذلك من دأب الكلب فانه يصيب في انتظار لفة والطمع فيها وبالجملة فيجئ الى الصبيان
حب الذهب والقضة والطمع فيهما ويحذرهما أكثر مما يحذر من الحيات والعقارب فان آفة حب
الذهب والقضة والطمع فيهما أضرم آفة السموم على الصبيان بل على الأكارب أيضا ينبغي أن
يعود أن لا يسمق في مجلسه ولا يخط ولا يتأهب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على
رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يعذر رأسه بساعده فان ذلك دليل الكسل وعلم كيفية الجلوس
ومنع كثرة الكلام وبين له أن ذلك يدل على الوقاحة وأنه فعل أبناء الشام وممن يجنب رأسا صاذا
كان أو كاذبا حتى لا يتأذ ذلك في الصغر ويمنع أن يتدنى بالكلام ويعود أن لا يتكلم الا جوابا
وبقدر السؤال وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره من هو أكبر منه سن أو أن يقوم لمن فوقه
ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وغشه ومن اللعن والسبون ومخالطة
من يجري على لسانه شيء من ذلك فان ذلك يسرى الى محالته من القرناء السوء وأصل تاديب الصبيان
الحفظ من قرناء السوء وينبغي اذا ضرب به المعلم أن لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشعر بأحد بل
يصبر ويذكر له أن ذلك دأب الشحان والرجال وأن كثرة الصراخ دأب المالك والنسوان وينبغي
أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا يسترعج اليه من تعب المكسب بحيث
لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعلم دائما عيت قلبه وبطل ذكاه
ونقص عليه العيش حتى يطلب الخيلة في الخلاص منه رأسا وينبغي أن يعلم طاعة والده ومعلمه
ومؤذبه وكل من هو أكبر منه سن من قريب وأجنبي وأن ينظر اليهم بعين الخلة والتعظيم وأن
يترك اللعب بين أيديهم ومهما بلغ سن التمييز فينبغي أن لا يسمح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر
بالصوم في بعض أيام رمضان ويحب لبس الحرير والديبا والذهب ويعلم كل ما يحتاج اليه من
حدود الشرع ويخوف من السرقة وكل الحرام ومن الخيانة والكذب والعش وكل ما يقاب
على الصبيان فاذا وقع نشوة كذلك في الصبا فيهما قارب البلوغ أمكن أن يعرف أسرار هذه الامور
فيذكر له أن الاطعمة ادوية وانما المقصود منها أن يقوى الانسان بها على طاعة الله عز وجل وأن
الديبا كلها الاصل لها ذل يقاء لها وأن الموت يقطع نعيمها وانها دار عمر لا دار مقر وأن الآخرة دار
مقر لا دار عمر وأن الموت منتظر في كل ساعة وأن الكيس العاقل من تزود من الدنيا لا آخره حتى
تعظم درجته عند الله تعالى ويتسع نعيمه في الجنان فاذا كان النشوصا كما كان هذا الكلام عند
البلوغ واقعا مؤثرا ناجيا ثبتت في قلبه كايثبت النقش في الحجر وان وقع النشور بخلاف ذلك حتى
ألف الصبي اللعب والقسم والوقاحة وشربه الطعام واللباس والترنم والتفاخر بناقيه من قبول
الحق نبوة الخائض عن التراب البائس فأوائل الامور هي التي ينبغي أن تراعى فان الصبي يجوهه
خلق قابلا للتبوء والشتر جميعا وانما ابواه يميلان به الى أحد الجانبين قال صلى الله عليه وسلم كل مولود
يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه قال سهل بن عبد الله التستري كنت وأنا
ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر الى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوما ألا تراه كراهة الذي خلقك
فقلت كيف أذكره قال قل بقلبك عند قلبك في شيا بك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك
القمي الله ناظراني الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال قل في كل ليلة سبع مرات فقلت
ذلك ثم أعلمته فقال قل ذلك كل ليلة احدى عشرة مرة فقلت فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة

قال لي خالي احفظ ما علمتكم ودم عليه الى أن تدخل القبر فإنه يتفكك في الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنتين فوجدت لذلك خلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يا سهل من كان الله معه وناظرا اليه وشاهده أعصيه أياك والمصيبة فكنت أخلو بنفسي فبعثوني الى المكتب فقلت اني لأخشى أن ينفرك عني هـي ولكن شارطوا المعلم أني أذهب اليه ساعة فأعلم ثم أرجع فقصيت الى الكتاب فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة فوقع لي مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلي أن يعثوني الى أهل البصرة لأسأل عنها فأبى البصرة فسألت علماء هاهنا فلم يشف أحد مني شيئا فخرجت الى عبادان الى رجل يعرف بأبي حبيب حمزة بن أبي عبد الله العباداني فسألته عنها فأجابني فأثقت عنده مدة أنقيم بكلامه وأنا ذاب بآدابه ثم رجعت الى تسير فقلت قوتي اقتصادا على أن يشتري لي بدرهم من الشعير الفرق فيطبخ ويخبزني فأفطر عند الصهر على أوقية كل ليلة بحتا بغير ملح ولا دمن فمكنا يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على أن أطوي ثلاث ليل ثم أفطر ليلة ثم خست ثم سبعا ثم خستا وعشرين ليلة فكنت على ذلك عشر من سنة ثم خرجت أسبيح في الأرض سنين ثم رجعت الى تسير وكنت أقوم الليل كله ماشاء الله تعالى قال احمد فارأيتك كل الملح حتى لقي الله تعالى

بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدرج المريدين في سلوك سبيل الرياضة

اعلم أن من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مرادحارث الآخرة مستشاقا اليها سالكا سبلها مستهينبا بغير الدنيا ولذا تأتيا فان كانت عنده خرفة فرأي جوهره نفيسة لم يبق له رغبة في الخرفة وقويت ارادته في بيعها بالجوهرة ومن ليس مرادحارث الآخرة ولا طالبا لقاء الله تعالى فهو لعدم ايمانه بالله اليوم الآخر ولست أعني بالايمان تحدث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق واخلاص فان ذلك يضاهي قول من صدق بأن الجوهرة خير من الخرفة إلا أنه لا يدرى من الجوهرة الا لفظها وأما حقيقتها فلا ومثل هذا الصدق إذا ألف الخرفة قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فاذا المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداية والمذكر من العلماء بالله تعالى الهادين الى طريقه والمنهين على حقارة الدنيا وانقضاضها وعظم أمر الآخرة ودوامها فانخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم وغاصوا في رقدهم وليس في علماء الدين من ينههم فان تبس منهم متنبه يحجز عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين الى الهوى عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلق طريق الله تعالى من السالكين فيه ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل مفقود والهوى غالبا والطلب غافلا امتنع الوصول وقطعت الطرق لا محالة فان تنبه متنبه من نفسه أو من تبس غيره وانبعث لما ارادة في حرت الآخرة وتجارتها فينبغي أن يعلم أن له شروطا لا بد من تقديمها في بداية الارادة وله مقصم لا بد من التمسك به وله حصن لا بد من الحصن به ليأمن من الاعداء القطاع لطريقه وعليه وظائف لا بد من ملازمتها في وقت سلوك الطريق * أما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة فهي رفع الستور والجلاب الذي يمت به وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الجلب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى وجعلنا من بين أيديهم ستورا من خلفهم سدنا فأغشيناهم فهم لا يبصرون والسديين المراد بين الحق وأربعة المال والجاه والتقليد والمعصية وانما يرفع حجاب المال بخروجه من ملكه حتى لا يبقى له الا قدر الضرورة فإدام يبقى له درهم يلتفت اليه

قلبه فهو مقبده محبوب من الله عز وجل وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه بالتواضع
 وإتيان الخمول والهرب من أسباب الذكرك وتعاظم أعمال تفر قلب الخلق عنه وانما يرتفع حجاب
 التقليد بأن يترك التعصب للذهاب وأن يصتق بمعنى قوله لا اله الا الله محمد رسول الله فصدق
 إيمان ويحصر في تحقيق صدقه بأن يرفع كل معبود له سوى الله تعالى وأعظم معبوده الهوى حتى اذا
 فعل ذلك انكشف له حقيقة الامر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليد اخيه في أن يطلب كشف ذلك
 من المجاهدة لا من المجادلة فان غلب عليه التعصب لمعتقد ولم يبق في نفسه مقنع لغیره صار ذلك
 قيداً له وحجاباً لا ليس من شرط الريد الاتناء الى مذهب معين أصلاً وأما المعصية فهي حجاب ولا
 يرفعها الا التوبة والخروج من الظالم وتقصم العزم على ترك العود وتحقيق التدم على ماضى ورد
 الظالم ارضاء الخصوم فان لم يصح التوبة ولم يسجد المعاصي الطاهرة وأراد أن يقف على أسرار
 الدين بالمكاشفة كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن وتفسيره وهو يعلم بتعلم لغة العرب فان
 ترجمة عربية القرآن لا بد من تقديمها أولاً ثم الترقى منها الى أسرار معانيه فكذلك لا بد من تصحيح
 ظاهر الشريعة أولاً وأخر اتم الترقى الى أغوارها وأسرارها فاذا قدم هذه الشروط الاربعة وتجرد عن
 المال والجاه كان كمن تضرع وتضاً ورفع الحديث وصار صالحاً للصلاة فيحتاج الى امام يقتدى به
 فكذلك الريد يحتاج الى شيخ وأستاذ يقتدى به لا بحالة لهدى الى سواء السبيل فان سبيل الدين
 خامض وسبيل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه فاده الشيطان الى طرفة لا محالة فمن
 سلك سبيل البوادي المهلكة فغير خفي فقد خاطر نفسه وأهلكها ويصعبكون المستقبل بنفسه
 كالشجرة التي تنبت بنفسها فانما تنحرف على القرب وان بقيت مدة وأوقفت ثم تفرقتهم الريد بعد
 تقديم الشروط المذكورة شيخة فليستك به تمسك الامم على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض
 أمره اليه بالكلية ولا يتخالف في ورده ولا صدره ولا يبقى في متابعه شيئاً ولا يذروا يعلم أن نفعه
 في خطأ شيخة لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب
 على معتصمه أن يحبه ويحبه بحسن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو أربعة أمور * الخلوقة
 والصمت والجوع والسهو وهذا تحصن من القواطع فان مقصود الريد اصلاح قلبه ليسأهده به
 ربه ويصلح لقربه وأما الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيضه وفي بياضه نور ويذهب شحم القواد
 وفي ذوبانه ورقته وورقه مفتاح المكاشفة كما أن قساوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاقت
 مسلك العدو فان مجاربه العروق المثلثة بالشهوات وقال عيسى عليه السلام يا معشر الخواص
 جئوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل بن عبد الله التستري ما صار الابدال أبناء
 الا بأربع خصال بانخاص البطون والسهو والصمت والاعتزال عن الناس فائدة الجوع في تنوير
 القلب أمر ظاهر شهد له التجربة وسأقرب بيان وجه التدرج فيه في كتاب كسر الشهوتين وأما
 السهو فانه يجلو للقلب ويصفيه ونوره فاضاف ذلك الى الصفاء الذي حصل من الجوع فيصير
 القلب كالكوكب الدرى والمرأة المخلوة فيلوح فيه جمال الحق وتشاهده فيه رفع الدرجات
 في الآخرة وحقارة الدنيا وأما ما تقدمت بذلك رغبته عن الدنيا وأقباله على الآخرة والسهو أيضاً تنقية
 الجوع فان السهر مع السبع غير ممكن والنوم يفسد القلب ويمتد الا اذا كان بقدر الضرورة
 فيكون سبب المكاشفة لأسرار الغيب فقد قيل في صفة الابدال ان أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم
 ضرورة وقال ابراهيم الخواص رحمه الله أجمع رأى سبعين صديقاً على أن كثرة النوم من كثرة شرب
 الماء * وأما الصمت فانه تسهيل للفرقة ولكن المعتزل لا يتخلو من مشاهدة من يقوم بطلعه

وشرا به وتبديراً حراً فينبغي أن لا يتكلم إلا بقدر الضرورة فإن الكلام يشغل القلب ويشتره القلوب
إلى الكلام عظيم فإنه يستروح اليه ويستقل التبريد لذلك والفكر فيستريح اليه فالصمت يلقح
العقل ويحب الروع ويعلم التقوى * وأما الخلوة فتدفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما
دلهل القلب والقلب في حكم حوض تنصب اليه مياه كثيرة كدرة قدرة من أنها الحواس ومقصود
الرياضة تفرغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها لينفجر أصل الحوض فيخرج منه
الماء التطيف الطاهر وكيف يصح له أن يترج الماء من الحوض والأنهار مفتوحة اليه فيجتذب في كل
حال أكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس إلا عن قدر الضرورة وليس يتم ذلك إلا بالخلوة في بيت
منظم وإن لم يكن له مكان منظم فليست رأسه في جيبه أو يتدرب بكساء وأزار في مثل هذه الحالة
يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية أما ترى أن نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه
وهو على مثل هذه الصفة فقيل له يا أيها المرمل يأثم المذرف هذه الأربعة حنفية حصن بها تدفع عنه
القواطع وتمنع العوارض القاطعة للطريق فإذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلول الطريق وانما سلكه
يقطع العقبات ولا عتبة على طريق الله تعالى الا صفات القلب التي سببها الالتفات إلى الدنيا وبعض
تلك العقبات أعظم من بعض والترتيب في قطعها أن يشتغل بالأسهل فالأسهل وهي تلك الصفات
أعني أسرار العلائق التي قطعها في أول الإرادة وآثارها أعني المال والجاه وحسب الدنيا والالتفات
إلى الخلق والتشوف إلى المعاصي فلا بد أن يتخلى الباطن عن آثارها كما أخلى الظاهر عن أسبابها
الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الأحوال فرب شخص قد كفي أكثر
الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا أن طريق المجاهدة مضادة الشهوات وبخلافه الهوى
في كل صفة غالبية على نفس المريد كسبق ذكره فإذا كفي ذلك أضعف بالمجاهدة ولين في قلبه علاقة
تشتبه بعد ذلك يلزم قلبه على الدوام وينعنه من تكثير الأوراد الظاهرة بل يقتصر على الفقرائض
والرواتب ويكون ورده ورداً واجداً هو لباب الأوراد وثمرتها أعني ملازمة القلب لذلك الله تعالى
بعد الخلق من ذكر غيره ولا يشغله به مادام قلبه ملتقاً إلى علاقته قال الشبي الحصري إن كان يخطر
بقلبك من الجملة التي تأتي في الجملة الأخرى شيء غير الله تعالى فإمر عليك أن تأتيني وهذا
التبريد لا يحصل إلا مع صدق الإرادة واستغناء حب الله تعالى على القلب حتى يكون في صورة
العاشق المستهتر الذي ليس له الاهتمام واحد فإذا كان كذلك أزمه الشيخ زاوية ينفر دها ويركل به
من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فإن أصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلغنه
ذكر من الآداب حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلاً الله الله وسبحان الله سبحانه الله
أو ما رآه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواطب عليه حتى تسقط حركة اللسان وتكون الكلمة
كأنها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواطب عليه حتى يسقط الأثر من اللسان وتبقى
صورة الغف في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يحس عن القلب جروف القفط وصورته وتبقى حقيقة
بمعناه لازمة للقلب حاضرة معه غالبية قد فرغ من كل ما سواه لأن القلب إذا شغل بشيء خلاص
غيره أي شيء كان فإذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو المقصود خلاصاً عما غيره وعند ذلك يلزمه أن
يراقب وساوس القلب والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما قد مضى من الأحوال وأحوال
غيره فإنه مهما اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان أيضاً نقصاً
فليجتهد في دفع ذلك ومهادفة وساوس كلها ورده النفس إلى هذه الكلمة بجاهه والوساوس من هذه
الكلمة وانها ما هي وما معانها والله لا شيء معنى كان لها وكان معبوداً وبقية عند ذلك خواطرها

فتخرج عليه باب الفكر ويباري عليه من وساوس الشيطان ما هو كثر وبه دعه ومهما كان كارها للذات
ومتشرا الى امامته من القلب لم يضر ذلك وهي متقسمة الى ما يعلم قطعاً ان الله تعالى متروعه ولكن
الشيطان ياتي ذلك في قلبه ويجزبه على خاطره فشرطه ان لا ياتي به وضرع الى ان الله تعالى وبمثل
اليه ليدفعه منه كما قال تعالى واما ترضك من الشيطان ترغ فاستعذ بالله انه سميع عليم وقال
تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والى ما يشك فيه
فينبغي ان يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجدي قلبه من الاحوال من فقر أو نشاط أو التفات الى
علقة أو صدق في ارادة فينبغي ان يظهر ذلك لشيخه ولو ان يسترو عن غيره فلا يطلع عليه أحد اثمان
شيخه ينظر في حاله ويتأمل في ذكائه وكاسته فلو علم أنه لور كه وأمره بالفكر تبه من نفسه على
حقيقة الحق فينبغي ان يحمله على الفكر بأمرة بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف له
حقيقته وان علم ان ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده الى الاعتقاد القاطع بما يحمله قلبه من وعظ وذك
ودليل قريب من فهمه وينبغي ان يتأني الشيخ ويتلطف به فان هذه هي الطريق ومواضع
أخطارها فكيف من مر بها اشتغل بالرياسة فقل عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فاقطع عليه طريقه
فاشتغل بالباطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تفرّد لذك ودفع العلائق
الشاغلة من قلبه لم يحل عن أمثال هذه الافكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك
الدين وان أخطأ كان من اهل الكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم بدن الجائر وهو تلي أصل
الايان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال بأعمال الخير فان الخطر في العدول عن ذلك كثير
ولذلك قيل يجب على الشيخ ان يفرس في المرید فان لم يكن ذلك فاطننا متمكناً من اعتقاد الظاهر
لم يشغله بالذك والفكر بل رده الى الاعمال الظاهرة والاوراد المتواترة أو يشغله بخدمة المتبردين
الفكر لتشغله بركتهم فان العاجز عن الجهاد في صف القتال فينبغي ان يسقي القوم ويتعهد دواهم
ليحضر يوم القيامة في زحمتهم ونعمهم بركتهم وان كان لا يبلغ درجته ثم المرید المتبرّد لذلك وكرو الفكر
قد قطعه قواطع كثيرة من الحب والروية والفرح بما ينكشف له من الاحوال وما يبصرون أوائل
لكرامات ومهما التفت الى شيء من ذلك وشغلت به نفسه كان ذلك مقهوراً في طريقه ووقوفاً بل
ينبغي ان يلزم حاله جملة عمره ملازمة العطنان الذي لا ترويه الجار ولو أفضت عليه ويندم على
ذلك ورأس ماله الانقطاع عن الخلق والخلق والخلوة قال بعض الساجين قلت لبعض الابدال
المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق فقال ان تكون في الدنيا كأنك عابر طريق وقال
مررت قلت له دلني على عمل أجد قلبى فيه مع الله تعالى على الدوام فقال لا تنظر الى الخلق فان النظر
اليهم طيلة قلت لا بدنى من ذلك قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بدنى من ذلك قال فلا
تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت أباين أظهرهم لا بدنى من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان
السكون اليهم هلكة قال قلت هذا كله قال يا هذا تنظر الى الفاضل وتسمع كلام الجاهلين وتعامل
الباطلين وزيد ان تحب قلبك مع الله تعالى على الدوام هذا ما لا يكون أبداً فاذا انتهى الرياسة ان
يجد قلبه مع الله تعالى على الدوام ولا يمكن ذلك الا بان يتخلو عن غيره ولا يتخلو عن غيره الا بطول المجاهدة
فاذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشف له جلال الحضرة الروبية وتجلى لها الحق وظهر له من لطائف
الله تعالى ما لا يجوز ان يوصف بل لا يحيط به الوصف أصلاً واذا انكشف المرید بشيء من ذلك فأعظم
القواطع عليه ان يتكلم به وعظاً ونحواً بتصديق كبير فبعد النفس فيه لذة ليس وراءها لذة
قد صوّتت الذلة الذي لا يتفكر في كيفية ابراء تلك المعاني وتحسين الاعطاء للغير عنها وترتيبها كما

وترتيبها بالحكايات وشواهد القرآن والاخبار وتحسين صنعة الكلام لتقبل اليه القلوب
والاسماع فر بما يخيل اليه الشيطان أن هذا احياه منك لتقرب الموتي الغافلين عن الله تعالى وانما
أنت واسطة بين الله تعالى وبين الخلق تدعو عباده اليه وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتفهم
كيد الشيطان بأن يظهر في اقربائه من يكون أحسن كلاما منه وأجل لفظا وأقدر على استتلاب
قلوب العوام فإنه يترك في باطنه عقرب الحسد لا محالة فان كان محرکه كيد القبول وان كان محرکه هو
الحق حرص على دعوة عباده الله تعالى الى صراطه المستقيم فيعظم به فرجه ويقول الحمد لله الذي عضدني
وأيدني بمن وازرنى على اصلاح عباده كالذى وجب عليه مثلاً أن يحمل ميتاً ليدفنه اذ وجده ضائعاً
وتعين عليه ذلك شرعاً لما من أعانته عليه فإنه يفرح به ولا يحسد من يعينه والغافلون موتي القلوب
والوعاظ هم المنهون والمحبون لهم في كثيرهم استرواح وتناصرف فيبغى أن يعظم الفرج بذلك وهذا
عزير الوجود جداً فيبغى أن يكون المرید على حذر منه فإنه أعظم حائل الشيطان في قطع الطريق
على من انقضت له أوائل الطريق فإن أشار الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال الله تعالى
بل تؤثرون الحياة الدنيا ثم بين أن الشر قديم في الطباع وان ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال
ان هذا في الصف الاول في صحف ابراهيم وموسى فهذا منها حار رياضة المرید ورتبته في التدرج الى
لقاء الله تعالى فاما تفصيل الرياضة في كل صفة فسيأتي فان أغلب الصفات على الانسان بطنه
وفرجه ولسانه أعنى به الشهوات المتعلقة بهائم الغضب الذي هو كالجند لحامية الشهوات ثم مهما
أحب الانسان شهوة البطن والفرج وأنس بهما أحب الدنيا ولم يتكس منها إلا بالمال والجاء واذا
طلب المال والجاء حدث فيه الكبر والعجب والرياسة واذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدنيا
رأساً وتسلم من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور فلهاذا وجب علينا بعد تقديم هذين
الكتابين أن نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب ان شاء الله تعالى كتاب في كسر شهوة البطن
والفرج وكتاب في آفات اللسان وكتاب في كسر النضب والحدو والحسد وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل
خدها وكتاب في كسر حب المال وكتاب في ذم البخل وكتاب في ذم الرياء وكتاب في ذم الكبر
والعجب وكتاب في مواقع الغرور وبذلك هذه المهلكات وتعلم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربع
المهلكات ان شاء الله تعالى فان ما ذكرناه في الكتاب الاول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن
المهلكات والنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو اشارة كلية الى طريق تهذيب الاخلاق
ومعالجة امراض القلوب فاما تفصيلها فإنه يأتي في هذه الكتب ان شاء الله تعالى في ثم كتاب رياضة
النفس وتهذيب الاخلاق بحمد الله وعونه وحسن توفيقه يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب كسر
الشهوتين والحدو وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى كل مبدم مصطفى من أهل
الارض والسما وما توفيق الاب الله عليه توكلت واليه أنيب

في كتاب كسر الشهوتين وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالجلال في كبريائه وتعالى المستحق لتحميد والتقديس والتسبيح والتتزيه القائم
بالعدل فيما يرميه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبده في جميع
موارده ومحاربه والنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفي بأمانته وهو الذي يرشده
ويهديه وهو الذي يميته ويحييه واذا مرض فهو يشفيه واذا ضل فهو يوقيه وهو الذي يوقيه
للقاعة وترقبه وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه من الهلاك ويحييه ويجمره بالطعام والشراب

عما يملكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت وقربه حتى تضيق به مجارى الشيطان الذى بناويه ويكرسه بسطوة النفس التى تهاديه فيدفع شرها ثم يعبر به وينقيه هذا بعد أن يوسع عليه ما يلائمه ويشتهيه ويكثر عليه ما يجمع بوائعه ويؤكده وواعيه كل ذلك يخفيه وهو يتخيله فنظير كيف يؤثر على ما هواد وينقيه وكيف يخطئ أو امره وينهى عن فوائده ويواطى على طاعته ويتزجر عن معاصيه والصلاة على محمد عبده والنبية ورسوله الوجهية صلاة ترفقه وتخطيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الأبرار من عترته وأقربيه والأخيار من محبائه وتابعيه (أما بعد) فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فما أخرج آدم عليه السلام وحوا من دار القرار إلى دار الذل والافتقار إذ نهى عن الشجرة فغلبت ما شهواتها حتى أكل منها فبذلت لحماسواً وهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الأدماء والآفات أدبعتها شهوة الفرج وشدة الشبق إلى التكرجات ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة في الجاهو المال الذين هما وسيلة إلى التوسع في التكرجات والمطعمات ثم تبع استكثار المال والجاه أنواع الرغوات وضروب المنافسات والمحاسبات ثم تولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك إلى الخقد والحسد والدواة والبغضاء ثم ينفض ذلك صاحبه إلى إفهام البنى والمنكر والنكشاء وكل ذلك ثمرة أهمال العدة وما يتولد منها من بطر الشيع والامتناء ولوذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجارى الشيطان لأذهنت لطاعة الله عز وجل ولم تملك سبيل البطور والطيان ولم يغير به ذلك إلى الاهتمام في الدنيا وإثارة العاجلة على العقبى ولم يتكالب بكل هذا التكالب على الدنيا وإذا عظمت آفة شهوة البطن إلى هذا الحد وجب شرح غوائلها وأقاها تحذيراتها ويجب أيضاً طرح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها زرعها فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فاتها ما يعقلها ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى في فصول يجمعها بيان فضيلة الجوع ثم فوائده ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقابل من الطعام والتأخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس ثم بيان الرياضة في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة البطن والفرج والعين

﴿بيان فضيلة الجوع وذم الشيع﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وإنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه وقبل يار رسول الله أى الناس أفضل قال من قل مطعمه ومحتكه ورضى بما يستريحه عورته وقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد الأعمال الجوع وذلل النفس لباس الصوف وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا وكأوا واشربوا في انصاف الطون فإنه جز من النوبة وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم الفكر نصف العبادة وقلعة الطعام هي المائدة وقال الحسن أيضاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضلكم ضد الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعاً وتفكيراً في الله سبحانه وأبغضكم ضد الله عز وجل يوم القيامة كل يؤرم أكل وشرب وفي الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجمع من غير رزق فيختار الذك وقال صلى الله عليه وسلم إن الله ساهي الملائكة بمن قل مطعمه ومشربه في الدنيا يقول الله تعالى انظروا إلى عبيدي أتبليت بالطعام والشراب في الدنيا فاضربوا رزقكم كما شهدوا بإملائكم حتى مامن أكلة يذعنهم الأبدان بهما درجات في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم

لا عيتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وفي حديث أسامة بن زيد وحديث أبي هريرة الطويل ذكر فضيلة الجوع اذ قال فيه ان أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وخزفه في الدنيا الا حياء الاقياء الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الارض وتحببهم ملائكة السماء فم الناس بالديناء ونعموا بإطاعة الله عز وجل اقترش الناس القرش الوثيرة واقترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل التبيين واخلاقهم وحفظو هاهم تبكي الارض اذا قدتهم ولسخط الجبار صلى كل بلدة ليس فيها منهم أحد لم يتكالبوا على الدنيا تكلب الكلاب على الخيف أكلوا العلق ولبسوا الخرق شعنا ضرايرهم الناس فيظنون أن هم داهيهم داهيهم داهيهم ويقال قد غلظوا فذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظروا القوم قلوبهم الى أمر الله الذي أذهب عنهم الدنيا فهم عند أهل الدنيا عيشون بلا عقول عقلا حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة يا أسامة اذارأيهم في بلدة فاعلم أنهم أمان لا هل تلك البلدة ولا يعذب الله قوماهم فهم الارض بهم فرحة والجبار رضهم راض يتخذهم لنفسك اخوانا عسى أن تنجوهم وان استطعت أن يأتبك الموت ويطنك جاع وكبدك ظمان فافعل فانك تدر لك بذلك شرف المنازل وتجل مع النبيين وتفرح بقدم روم وحك الملائكة وصلى عليك الجبار روى الحسن عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبسوا الصوف وشعروا وكوا في انصاف البطون تدخلون في ملكوت السماء وقال عيسى عليه السلام يا معشر الخواريين أجمعوا كذاكم وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترمى الله عز وجل وروى ذلك أيضا عن نبينا صلى الله عليه وسلم رواه طاوس وقيل مكتوب في التوراة ان الله ليغضب الخبير السمين لان السمين يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك فيجوع خصوصاً بالجوع ولاجل ذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه ان الله تعالى يغضب القارئ السمين وفي خبر مرسل ان الشيطان ليعري من ابن آدم مجرى الدم فضية وجمار يه الجوع والعطش وفي الخبر ان الاكل على السبع بوزنه الرص وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل في معنى واحد والنافق يأكل في سبعة أمعاء أي يأكل سبعة اضعاف ما يأكل المؤمن أو تكون شهوة سبعة اضعاف شهوته وذكر المعنى كاية عن الشهوة لان الشهوة هي التي تقبل الطعام وتأخذه كما يأخذه المعنى وليس المعنى زيادة عدد معى النفاق على معى المؤمن وروى الحسن عن عائشة رضي الله عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آدموا قرع باب الجنة بفتح لكم فقلت كيف تديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظما وروى أن أبا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أقصر من جشأتك فان أطول الناس جوعاً يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا وكانت عائشة رضي الله عنها تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعاً وربما بكيت رحمة ما أرى به من الجوع فأصبح يظنه سيدي وأقول نفسي لك القداء لو تلبقت من الدنيا بقدر ما يقولك ومنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من أوى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقد موأصل ربهم فأكرم ما هم وأجل ثوابهم فأجدني استحي ان ترفعت في معبشتي أن يقصر بي عند ادوهم فالصبر يا أبا يسرة أحب الى من أن يتخص حظي غدا في الآخرة وما من شيء أحب الى من الحق يا عجبائي واخواني قالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله اليه وعن أنس قال جاءت فاطمة رضوان الله عليها بكسرة خبز الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه

الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى أتيتك منه هذه الكسرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمانه أول طعام دخل فم أليك منذ ثلاثة أيام وقد أبهرت ما أشبع النبي صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أيام تباع من خبز الخنطة حتى فارق الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشيع في الآخرة وإن أفض الناس إلى الله الخنمون المأى وما ترك عبد أكلة يشتهيها إلا كانت له درجة في الجنة (وأما الآثار) فقد قال عمر رضي الله عنه ما يك وبالطنة فانها ثقل في الحياة نين في الممات وقال شقيق البلي "العبادة حرفة حالوتها الخلوة وآلهلها الجاعة وقال لقمان لابنه يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وكان الفضيل بن عياض يقول لنفسه أى شئ تخافين أن تخافين أن تجوع لا تخاف ذلك أنت أهون على الله من ذلك انما يجوع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكان كهمس يقول الهى أجبتنى وأمرتنى وفي ظلم اليبالى بلا مصباح أجلسننى فبأى وسيلة بلغتنى ما بلغتنى وكان فخر الموصلى اذا اشتد مرضه وجوعه يقول الهى ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك فعل بلأولئك فبأى عمل أؤذى شكر ما ألحمت به على وقال مالك بن دينار قلت لمحمد بن واسم يا أبا عبد الله طوبى لمن كانت له فليته تقوته وفتنه من الناس فقال لي يا أبا يحيى طوبى لمن أمسى وأصبح جائعا وهو عن الله راض وكان الفضيل بن عياض يقول الهى أجبتنى وأجبت عيالى وتركتنى في ظلم اليبالى بلا مصباح وانما فعل ذلك بأولئك فبأى منزلة نلت هذا منك قال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منهم وجوع التائبين نجوبة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة وفي التوراة اتى الله واذن اذا شيعت فاذكر الجيعاء وقال أبوسليمان لأن ترك لقمة من عشاى أحب إلى من قيام ليلة إلى الصبح وقال أيضا الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه الا من أحبه وكان سهل بن عبد الله التستري بطوى بنفاو عشرين يوما لا يأكل وكان يقيه لطعامه في السنة درهم وكان ينظم الجوع ويسأل فيه حتى قال لا يوافق القيامة على راقص من ترك فضول الطعام أقدمه الله بالنبي صلى الله عليه وسلم في أكله وقال لميرالا كاس شىء أنفع من الجوع للدين والدنيا وقال لا أعلم شىء أصغر على طلب الآخرة من الاكل وقال وضعت الحكمة والعلم في الجوع وضعت العصية والجهل في الشبع وقال ما عبد الله شىء أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقد جاء في الحديث ثلث لطعام فمن زاد عليه فأنما يأكل من حسنة وسئل عن الزيادة فقال لا يجدا زيادة حتى يكون ترك أحب اليه من الاكل ويكون اذا جاع لىلة سأل الله أن يجعلها ليلتين فإذا كان ذلك وجد الزيادة وقال ما صار الابدال ابدا الا بالخاص البطون والسهر والصمت والخلوة وقال رأس كل برزقل من السماء إلى الأرض الجوع ورأس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوسواس وقال اقبال الله عز وجل على العبد بالجوع والسقم والبلاء الا من شام الله وقال اعلوا أن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة الا بفتح نفسه وقتلها بالجوع والسهر والجهد وقال ماسر على وجه الأرض أخذ شرب من هذا الماء حتى روى فسلم من العصية وان شكر الله تعالى فكيف الشيع من الطعام وسئل حكيم بأى قيد أقيد نفسي قال قيدها بالجوع والعطش وذللها بالخيال الذكرو ترك العزوم صغرها بوضعها تحت أرجل أبناء الآخرة واكسر هليته زى القراء من ظاهرها وانجس من آفات بائدوم سوء الظن بها واصحبها بخلاف هواها وكان عبد الواحدين زيد يقسم بالله تعالى ان الله ما صافى أحد الا بالجوع ولا مشوا على الماء الا به ولا طوبت لهم الأرض الا بالجوع ولا تولا لهم الله تعالى الا بالجوع وقال أبو طالب المبكى مثل اليبس مثل الزهر وهو العود المخوف ذوالا ونازما حسن صوتة بخفته

ورفته ولا نه أجوف غير عتي وكذلك الجوف اذا خلا كان أعذب لتلاوة وأدوم للقيام وأقل للنام
وقال أبو بكر بن عبد الله المزني ثلاثة يحبهم الله تعالى رجل قليل النوم قليل الاكل قليل الراحة وروى
أن عيسى عليه السلام مكث يناجي ربه ستين صباحا لم يأكل فخطر به الحيرة فاقطع عن المناجاة
فاذا عطف موضوع بين يديه جلس يبكي على فقد المناجاة واذا شبع قد أظله فقال له عيسى بارك
الله فيك يا ولي الله ادع الله تعالى لي فاني كنت في حالة فخطر بي الى الحيرة فاقطعت عني فقال الشيخ
اللهم ان كنت تعلم أن الحيرة خطر بي الى منهزمتك فلا تغرب لي بل كان اذا خطر لي شيء أكلته من غير
فكرو وخطر وروى أن موسى عليه السلام لما قر به الله عز وجل نجيا كان قد ترك الاكل أربعين
يوما ثلاثين ثم عثر على ما ورد به القرآن لانه أمسك بغير تبييت يوما فزيد عشرة لاجل ذلك

بيان فوائد الجوع وآفات الشبع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك ولعلك تقول
هذا الفضل العظيم الجوع من أين هو وما سببه وليس فيه الا يلام للعدة ومقاساة الاذى فان كان
كذلك فينبغي أن يعظم الاجر في كل ما يتأذى به الانسان من ضرره لنفسه وقطعه للهمة وتاويله
الاشياء الصكره وما يجري مجراه فاعلم أن هذا ضاهي قول من شرب دواء فانتفع به ووطن أن
منفعته لكراهة الدواء ومرايته فأخذ يتناول كل ما يكرهه من المذاق وهو غلط بل نفعه في خاصية
في الدواء وليس لكونه مر او انا يقف على تلك الخاصية الاطباء فسلك ذلك الا يقف على علة نفع
الجوع الاسماسة العلماء ومن جوع نفسه مصداقا لما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع به وان لم
يعرف علة النفع كما أن من شرب الدواء انتفع به وان لم يعلم كونه نافعا وكما تشترط ذلك
ان أردت أن ترتقي من درجة الايمان الى درجة العلم قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
أوتوا العلم درجات فنقول في الجوع عشرين فوائد (الفائدة الاولى) صفاء القلب وايقاد القرينة وانقاذ
البصيرة فان الشبع يورث البلاء ويهيئ القلب ويكثر البخار في الدماغ شبه السكر حتى يحتوى على
معادن الفكر فيقل القلب بسببه عن الجريان في الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبي اذا أكثر
الاكل يبطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطي الفهم والادراك وقال أبو سليمان الداراني عليك
بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السماوى وقال صلى الله عليه وسلم أحبوا
قلوبكم بقلة الطعام وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترقى ويقال مثل الجوع مثل العدو مثل
القنطرة مثل السحاب والحكمة كالطير وقال النبي صلى الله عليه وسلم من أجاج بطنه غطفت
فكرته وفطن قلبه وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم من شبع ونام قسا قلبه ثم قال لكل
شيء زكاة وكافة البدن الجوع وقال الشبي ما جعت لله يوما الا رأيت في قلبي بابا مفتوحا من الحكمة
والعبارة ما رأيت به قط وليس يخفى أن غاية المقصود من العبادات الفصكر الموصول الى المعرفة
والاستبصار بمقتضى الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من أبواب الجنة
فيا جحرى أن تكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة وهذا قال لقمان لانه يا بني اذا امتلأت المعدة
نامت الفكره وخرست الحكمة فقدت الاعضاء عن العبادة وقال أبو يزيد البسطامي الجوع سحاب
فاذا جاع العبد أمطر القلب الحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم نور الحكمة الجوع والتباعد من
الله عز وجل الشبع والقربة الى الله عز وجل حب المساكين والدقومتهم لانتسبوا قطفه وانور
الحكمة من قلوبكم ومن بات في خفة من الطعام بات الجور جوله حتى يصبح (الفائدة الثانية) رقة
القلب وصفاءه الذي به تهيأ لادراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر فكتم من ذكره يجرى على اللسان

مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يترحمي كأن ينه وينه حجابا من قسوة القلب وقد
يرق في بعض الأحوال فيعظم تأثره بالذكرو تلتذ به بالمناجاة وخلق المعدة هو السبب الاخر فيه وقال
أبو سليمان المدارني أحلى ما تكون الى العادة اذا التصق ظهرى يبطني وقال الجنيد يحمل أحدهم
بينه وبين صدره بخلاصة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة المناجاة وقال أبو سليمان اذا جاع القلب
وعطش صفار ورق واذ اشبع هي وعظمت فاذا تأثر القلب بلذة المناجاة أمر وراء تيسير الفكر واقتناص
المعرفة فهي فائدة ثانية (الفائدة الثالثة) الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشم الذي
هو مبدأ الطغيان والفضلة عن الله تعالى فلا تنكسر النفس ولا تقل بشئ كما تذل بالجوع فعنده
تسكن لربها وتخضع له وتقف على عجزها وذلكها الذمعة منها وضاعت حيلها بالجمية طعام فاتها
وأظلت عليها الدنيا الشربة ماء تأخرت عنها وما لم يشاهد الانسان ذل نفسه وعجزها لا يرى عزة
مولاه ولا قهره وانما سعادته في أن يكون دائما مشاهدا لنفسه بين الذل والعجز ومولا بين العز
والقدرة والقهر فليكن دائما مقاضا مضطرا الى مولا مشاهدا للأضطرار بالدق ولا جل ذلك لما
عرضت الدنيا وزخاتها على النبي صلى الله عليه وسلم قال لا بل أجوع يوما وأشبع يوما فاذا جعت
صبرت وقصرت واذا شبعت شكرت أو كما قال فالطن والفرج باب من أبواب النار وأصله الشيع
والذل والابتكسار باب من أبواب الجنة وأصله الجوع ومن أغلق بابا من أبواب النار فقد فتح
بابا من أبواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالشرق والمغرب فالقرب من أحدهما بعد من
الأخر (الفائدة الرابعة) أن لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى أهل البلاء فان السبعان ينسى
الجائع وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء من غيره الا ويذكر بلاء الآخرة فيذكر من
عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة ومن جوعه جوع أهل النار حتى انهم ليعوون فيطعمون
الضريح والرقوم ويسقون الفساق والمهل فلا ينبغي أن يغيب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها
فانه هو الذي يجمع الخوف فمن لم يحسن في ذلك ولا علة ولا قلة ولا بلاء ينسى عذاب الآخرة ولم يمثل
في نفسه ولم يعل على قلبه فينبغي أن يكون العبد في مقاساة بلاء أو مشاهدة بلاء أو لى ما يقاسيه
من البلاء الجوع فان فيه فوائد جمعة سوى تذكرة عذاب الآخرة وهذا أحد الاسباب الذي اقتضى
اختصاص البلاء بالانبياء والاولياء والمثل فالمثل ولذلك قيل ليوסף عليه السلام لم تجوع
وفي يدك خزان الأرض فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع فذكر الجائعين والمحتاجين احدى
فوائد الجوع فان ذلك يدعو الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله عز وجل والشعاع في عقله
عن ألم الجائع (الفائدة الخامسة) وهي من أكبر الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء
على النفس الامارة بالسوء فان منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات
لاحالة الاطعمة فتكلمها بضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه
والسقاوة في أن يملك نفسه وكأنك لا تملك الدابة الجوح الا بضعف الجوع فاذا شبعت قوت
وشردت وجمعت فكذلك النفس كما قيل لبعضهم ما بالك مع كبرك لا تتعبد بك وقد اتهدت فقال لا له
سريع المرح فاحش الأمر فأخاف أن يمحى في قبري وطني فلأن أحمله على الشدائد أحب الى من أن
يجمني على الفواحش وقال ذو النون ما شبعت قط المخصيت أو همت بمخصية وقالت عائشة رضي
الله عنها أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم السمع ان القوم لما شبعوا بطونهم
جمعت بهم نفوسهم الى هذه الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزانة الفوائد ولذلك قيل
الجوع خزانة من خزان الله تعالى وأقل ما ينفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجائع

ثم المرض يمنع من العبادات وشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينقص العيش ويحوج
الى القصد والجماع للدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن وثقات لا يتحمل الانسان منها بعد
التعب عن أنواع من المعاصي واقعام الشهوات وفي الجوع ما يمنع ذلك كله . حكى أن الرشيد جمع
أربعة أطباء هندي ورومي وعراقي وسوادي وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لاداء
فيه فقال الهندى الدواء الذى لاداءه غشى هو الحليج الأسود وقال العراقى هو حب الرشاد
الابيض وقال الرومى هو عندي الماء الحار وقال السوادي كان أعلمهم الحليج ينقص المعدة وهذا
داه وحب الرشاد يزل المعدة وهذا داه والماء الحار يرخي المعدة وهذا داه قالوا فإذا عندك فقال الدواء
الذى لاداءه معه عندي أن لا تأكل الطعام حتى تشبهه وان ترفع يدك عنه وأنت تشبهه فقالوا
صدمت وذكر بعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم نلت طعام
ونلت شراب ونلت القس فتجب منه وقال ما سمعت كلاماً في فلة الطعام أحكم من هذا وأنه
لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم البطنة أصل الدماء الحية أصل الدوام وعزودوا كل جسم
ما اعتاد وأظن نهب الطبيب جرى من هذا الخبر لا من ذلك وقال ابن سالم من أكل خبز الحنطة يحتاج
بأب لم يستل الأكلة الموت قبل وما الأدب قال تأكل بعد الجوع وترقع قبل الشبع وقال بعض
أفاضل الأطباء في ذم الاستكثار أن أضع ما أدخل الرجل بطنه الرمان وأضر ما أدخل معدته
المالح ولأن يقلل من المالح خبره من أن يستكثر من الرمان وفي الحديث صوموا تصحوا وفي الصوم
والجوع وتقليل الطعام صحة الأجسام من الاسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر
وغیرهما (القائمة التاسعة) خفة المؤنة فإن من تعود قلة الأكل كفاء من المال قد ريسر والذي
تعود الشبع صار بطنه غريماً ملازماً له أخذاً بمنطقه في كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج الى
أن يدخل المداخل فيكتسب من الحرام بعضي أو من الحلال فيذل ويربما يحتاج الى أن يمدأ عين
الطبع الى الناس وهو غاية الذل والقناعة والمؤمن خفيف المؤنة وقال بعض الحكماء اني لأقضي عامة
حوالتي بالترك فيكون ذلك أروح قلبي وقال آخر أنا أردت أن أستقرض من غيري شهوة أو زيادة
استقرضت من نفسي فترسكت الشهوة فهي خير غريم لي . وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله يسأل
أصحابه عن سعر المأكولات فيقال لها غالية فيقول أرخصوها بالترك قال سهل رحمه الله الأكل
مذموم في ثلاثة أحوال ان كان من أهل العبادات فيكسل وان كان مكتسباً فلا يسلم من الآفات
وان كان من يدخل عليه شيء فلا يتصف الله تعالى من نفسه وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على
الدنيا وسبب حرصهم على الدنيا البطن وانفراج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الأكل
ما يحسم هذه الأحوال كلها وهي أبواب النار وفي حسمها فتح أبواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم
أدعوا قريع باب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات أيضاً وصار حراً واستغنى
عن الناس واستراح من التعب وتحلى لعبادة الله عز وجل وتجارة الآخرة فيكون من الذين لا تلهمهم
تجار ولا يسع عن ذكر الله وإنما لا تلهمهم لاستغنائهم عنها باقتناعها وأما المحتاج فلهذه الحاجة (القائمة
العاشرة) أن يتمكن من الاشارة والتصدق بما فضل من الاطعمة على النائي والسبا . كمن فيكون يوم
القيام في ظل صدقة كإورده الخرفاء يأكله كان خزانته الكسيف وما يصدق به كان خزانته
فضل الله تعالى فليس العبد من ماله الا ما تصدق فأبقى أو كل فأقضى أو ليس فأبلى فالصدق
بفضلات الطعام أولى من التهمة والشبع وكان الحسن رحمه الله عليه اذا نال قوله تعالى أنا نعزبك
الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملها وأشفق منها وحملها الانسان انه تفكك

ظلوما جهولا قال عرضها على السموات السبع الطباق الطرائق التي زينها بالتيوم وحلة العرش
العظيم فقال لها سبحانه وتعالى هل تخمين الامة بما فيها قالت وما فيها قال ان احسنت جوزيت
وان اسأت عوقبت فقال لا ثم عرضها كذلك على الارض فآبت ثم عرضها على الجبال الشموخ
الصلاب الصعاب فقال لها هل تخمين الامة بما فيها قالت وما فيها فذكر الجزاوم والعويدة فقال لا ثم
عرضها على الانسان فحملها انه كان ظلوما لنفسه جهولا بأمره فقدر رأينا بهم والله اشترى الامة
بأموالهم فأصابوا آلافا فادنا صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيعوا بها قبورهم وأسمتوا براديتهم
وأهزلوا دينهم وأتعبوا أنفسهم بالقدق والرواح الى باب السلطان يتعزضون للبلاء وهم من اللقي
عاقبة يقول أحدهم تبيعني ارض كذا وكذا أو ازيدك كذا وكذا ابتني على شماله ويا كل من غير ماله
حديثه سخرة وما له حرام حتى اذا أخذته الكطة وزلت به البطنة قال يا غلام انتني بشئ أضمم به
طعامي بالكع أضعامك تخم انما دينك تخم أين الفقير أين الازملة أين المسكين أين اليتيم الذين
أمرك الله تعالى بهم فهذه اشارة الى هذه الفائدة وهو صرف فاضل الطعام الى الفقير ليدخره الاجر
فذلك خبر لمن أن يأكله حتى يتضاعف الوزر عليه ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل
سمين البطن فأومأ الى بطنه بأصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا المكان خير لك أي لو قدمته لا خرتك
وأزت به ضحك وعن الحسن قال والله لقد أدركت أقواما كان الرجل منهم يمسي وعنده من الطعام
ما يكفيه ولو شاء لا أكله فيقول والله لا أجعل هذا كله لبطني حتى أجعل بعضه لله فهذه عشر فوائد
للجوع يتشعب من كل فائدة فوائد لا ينصر عددها ولا يتناهي فوائدها فالجوع خزنة عظيمة لفوائد
الآخرة ولاجل هذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشيع مفتاح الدنيا
وباب الرقية بل ذلك صريح في الاخبار التي رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك
معاني تلك الاخبار فذلك علم وبصيرة فاذنا لم نعرف هذا وصفت بفضل الجوع كانت لك رتبة
المقلدين في الايمان والله أعلم بالصواب

بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن

اعلم أن على المريد في بطنه وما كوله أربع وظائف الأولى أن لا يأكل الا حلالا فان العباد مع
أكل الحرام كالبناء على أمواج البحار وقد ذكرنا ما يجب من اعانة من درجات الورع في كتاب الحلال
والحرام وتبقى ثلاث وظائف خاصة بالاكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته
في الالباطة والسرعة وتعيين الجنس المأكول في تناول الشهيات وتركها (أما الوظيفة الاولى)
في تقليل الطعام فسيبل الرياضة فيه التدرج من اعتدال الاكل الكثير وانقل دفعة واحدة الى
التقليل لمحملة من اجبه وضعف وعظمت مشقته فينبغي أن يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بأن
ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان كان يأكل رغيقين مثلا وأراد أن يرد نفسه الى ريف
واحد فينقص كل يوم ربع سيع رفيف وهو أن ينقص جزأ من ثمانية وعشرين جزأ أو جزأ من ثلاثين
جزأ فيرجع الى ريف في شهر ولا يستعز به ولا يظهر أثره فان شاء فصل ذلك بالوزن وان شاء
بالمشاهدة فترك كل يوم مقدارا لثمة وينقص عما أكله بالامس ثم هذا فيه أربع درجات أقصاها
أن يرد نفسه الى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار وسبل التستري رحمة
الله عليه ان قال ان الله استبد الخلق بثلاث بالحياة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنين منها
وهي الحنية والعقل أكل وأفطر ان كان صاعما وتكلف الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل
على القوة قال فينبغي أن لا يبالى ولو ضعف حتى يصلي قاعدا ورأى أن مبلاته قاعدا مع ضعف

الجوع أفضل من صلاته قائم مع كثرة الاكل وسئل سهل عن بدايته وما كان يقات به فقال كان قوياً في كل سنة ثلاثاً دراهم كنت آخذ بدهم ديسا وبدهم دقيق الارز وبدهم سمناء واخلط الجميع وأسوي منه ثلاثاً وثمانية وستين اسكرة آخذ في كل ليلة اسكرة أقطر عليها اقليل لعل الساعة كفت تأكل قال فبخرت ولا توقيت وبحسبي عن الرهايين أنهم قد يردون أنفسهم الى مقدار درهم من الطعام * الدرجة الثانية أن يرد نفسه بالياضة في اليوم واليلة الى نصف مذهب وهو رغيف وشئ مما يكون الاربعة منه منا وبشبهه أن يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الاكثرين كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وهو فوق القيمات لأن هذه الصيغة في الجمع للهفة فهو لما دون العشرة وقد كان ذلك عادة حمير رضي الله عنه إذ كان يأكل سبع لقم أو تسع لقم * الدرجة الثالثة أن يرد ما الى مقدار المذهب وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شئ لذكر وفي بعض الألفاظ ثلث لذكر بدل قوله لنفس * الدرجة الرابعة أن يزيد على المذالي المتى وبشبهه أن يكون ما وراء المتى اسرافاً فالحال قوله تعالى ولا تسرفوا أعني في حق الاكثرين فان مقدار الحاجة الى الطعام يختلف بالسق والشخص والعمل الذي يشتغل به وها هنا طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو أن يأكل انما صدق جوعه ومقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الاغلب أن من لم يقدر لنفسه رغيفاً ورغيفين فلا يبين له حد الجوع الصادق وشبهه عليه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر الجمع الصادق علامات احداها أن لا تطلب النفس الاדם بل تأكل الخبز وحده بشهوة أي خبر كان فجمعاً طلبت نفسه خبزاً بهني أو طلبت ما دافئ لنفسك بالجوع الصادق وقد قيل من علامته أن يصق فلا يقع الذباب عليه أي لم يبق فيه دهنه ولا سومة فيدل ذلك على خلوا المعدة ومعرفة ذلك خامض فالصواب للرياء أن يقدر مع نفسه المقدار الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو يصددها فإذا انتهى اليه عرف وان بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدر الطعام لا يمكن لانه يختلف بالاحوال والاعتناص نعم قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعاً من خنطة في كل جمعة فإذا أكلوا التمر اقرباً منه صاعاً ونصف صاعاً الحنطة أربعة أمداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مذهب وهو مذكرناه أنه قدر ثلث البطن واحتيج في التمر الى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان أبوذر رضي الله عنه يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير عني عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أزيد عليه شيئاً حتى ألقاه فاني سمعته يقول أفر بكم مني مجلساً يوم القيامة وأحكم لي من مات على ما هو عليه اليوم وكان يقول في انكاره على بعض الصحابة قد غيرتم بخل لكم الشعير ولم يكن يتحل وخبرتم المرقق وخضتم بين اذامين واختلف عليكم بأولان الطعام وغداً أحكم في قوت وراح في آخر ولم تكبروا هكذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قوت أهل الصفة ثمان تمر بين اثنين في كل يوم والمبرطل وثلث وسقط منه النوى وكان الحسن رحمة الله عليه يقول المؤمن مثل العنبرة يكفه الكف من الحشف والتبضة من السوق والجرة من الماء والمنافق مثل السبع الضاوي بلعاً بلعاً وسرطاساً يطوى بطنه بخارج ولا يثر أجاه نفسه وزجوا هذه الفضول أمامكم وقال سهل لو كانت الدنيا ماضية لكان قوت المؤمن منها جلالاً لأنه أكل المؤمن عند الضرورة قدر القوام فقط (الوظيفة الثانية) في وقت الاكل ومقدار تأخيره وفيه أيضاً أربع درجات * الدرجة العليا أن يطوى ثلاثاً أيام فاقوتها في الرزدين من ردة الياضة الى الطبي لا الى القدر حتى انتهى بعضهم الى ثلاثين يوماً أو أربعين يوماً وانتهى الله جماعة من العلماء يكثر عندهم منهم محمد بن حمير والقري وصنادير بن زيارهم وزهير بن ابراهيم النخعي

وحجاج بن فراقصة وحفص العابد المصيصي والمسلم بن سعيد وزهير وسليمان الخواص وسهل بن عبد الله التستري وأبراهيم بن أحمد الخواص وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطوى ستة أيام وكان عبد الله بن الزبير يطوى سبعة أيام وكان أبو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوى سبعا وروي أن الثوري وأبراهيم بن أدهم كانا يطويان ثلاثا ثلاثا كل ذلك كانوا يستعينون بالجوهر على طريق الآخرة قال بعض العلماء من طوى الله أربعين يوما ظهرت له قدرة من الملكوت أي كشف بعض الأسرار الالهية وقد حكى أن بعض أهل هذه الطائفة من رهبان فذاكره بمجاله وطمع في إسلامه وترك ما هو عليه من الغرور فكلّمه في ذلك كلاما كثيرا إلى أن قال له الراهب إن المسيح كان يطوى أربعين يوما وإن ذلك مجزة لا تكون إلا للنبي أو صديق فقال له الصوفي فإن طويت خمسين يوما ترك ما أنت عليه وتدخل في دين الإسلام وتعلم أنه حق وإنك على باطل قال نعم فجلس لا يبرح إلا حتى يراه حتى طوى خمسين يوما ثم قال وأزيدك أيضا فطوى إلى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت أظن أن أحدا يجاوز المسيح فكان ذلك سبب إسلامه وهذه درجة عظيمة قل من بلغها المكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعيادته واستوفى نفسه في لذته وأنساه جوعته وحاجته * الدرجة الثانية أن يطوى يومين إلى ثلاثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب بممكن الوصول إليه بالجد والمجاهدة * الدرجة الثالثة وهي أدناها أن يقتصر في اليوم والميلة على أكلة واحدة وهذا هو الأقل وما جاوز ذلك أسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حاجة للجوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة فقد روي أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اقتدى لم يتعش وإذا عشى لم يتغذ وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة أياك والسرف فإن أكلت في يوم من السرف وأكلت واحدة في كل يومين اقتاروا أكلة في كل يوم فقام بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله عز وجل ومن اقتصر في اليوم على أكلة واحدة فيستحب له أن يأكلها سيرا قبل طلوع الفجر فيكون أكله بعد التجدد وقبل الصبح فيفصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام ويخلق القلب لفرغ المعدة ورفقة الفكر واجتماع المهتم وسكون النفس الى المعول فلا تنزع عنه قبل وقته وفي حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وإن كان ليقوم حتى تورم قدماه وما واصل وصالحكم هذا قط غير أنه قد أخر الفطر الى السحر وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يواصل الى السحر فإن كان يلفظ قلب الصائم بعد المغرب الى الطعام وكان ذلك يشغله من حضور القلب في التجدد فالأولى أن يقسم طعامه نصفين فإن كان رقيقين مثلاً كل رقيقا عند انقضاء رقيقا عند السحر لتسكن نفسه ويخف بدنه عند التجدد ولا يشتد بالنهار جوعه لاجل التضرع فيستعين بالرفيف الأول على التجدد بالثاني على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا بأس أن يأكل كل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه الطرق في مواقيت الأكل وتباعده وتقاربه (الوظيفة الثالثة) في نوع الطعام وترك الأدام وأعلى الطعام نخالة فإن نخل فهو غاية الترفه وأوسطه شعر مخول وأدناه شعر لم ينخل وأعلى الأدام اللحم والخلاوة وأدناه الملح والخل وأوسطه المزورات بالأدهان من غير لحم وعادة سالكى طريق الآخرة لا امتناع من الأدام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فإن كل لذية يشبهه الإنسان فأكله اقتضى ذلك بطرائف نفسه وقسوة في قلبه وأنسأله بلذات الدنيا حتى يألفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى وتصير الدنيا جنة في حقّه

ويكون الموت محنة له وإذا منع نفسه عن شهواتها وضيع عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجنًا عليه ومضيقًا له فاشتت نفسه الأفلاك منها فصار الموت إطلاقها واليه الإشارة بقول يحيى ابن معاذ حيث قال معاشر الصديقين جوعوا أنفسكم لولية الفردوس فإن شهوة الطعام على قدر تجويع النفس فكل ماذ كراه من آفات الشبع فإنه يجري في كل الشهوات وتناول اللذات فلا تطول بإعادته فلذلك يحظم الثواب في ترك الشهوات من المباحات ويحظم الخطر في تناولها حتى قال صلى الله عليه وسلم شرار أمتي الذين يأكلون نخ الحنطة وهذا ليس يصح بل هو مباح على معنى أن من أكله مرة أو مرتين لم يضر ومن داوم عليه أضر فلا يصح بتناوله ولكن يتربى نفسه بالنعم فتأنس بالدين وأتلف اللذات وتسعى في طلبها فيجرها ذلك إلى المعاصي فهم شرار الأمة لأن نخ الحنطة يقودهم إلى إفحام أمور تلك الأمور معاصي وقال صلى الله عليه وسلم شرار أمتي الذين غنوا بالنعم وبنيت عليه أجسامهم وانما هيهم ألوان الطعام وأنواع اللباس وينشغون في الكلام وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن كرائك ساكن القبر فإن ذلك يمنعك من كثير الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذات الأطعمة وعمرين النفس عليها ورأوا أن ذلك علامة الشقاوة ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روى أن وهب بن منبه قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر من أين قال أمرت بسوق حوت من البحر اشتبهه فلان اليهودي له ناهقه وقال الآخر أمرت بأوراق زيت اشتبهه فلان العابد بهذا يتبعه على أن تيسر أسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه عن شربة ماء بآبار بعل وقال اعزلوا عني حسابي أفلا عبادة لله أعظم من مخالفة النفس في الشهوات وترك اللذات كما وردناه في كتاب رياضة النفس وقد روي نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما كان مرصفا فاشتهى سمكة طرية فالتفت له بالبدنية فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريته له يدرهم ونصف فسورت وحملت إليه على رصيف فقام سائل على الباب فقال للغلام لقمها رصيفها وأدفعها إليه فقال الغلام أصلحك الله قد اشتيتها منذ كذا وكذا فلم نجد لها فوجدتها اشتريتها بدرهم ونصف فمن تعطيه ثمنها فقال لقمها وأدفعها إليه ثم قال للغلام لسائل هل لك أن تأخذ درهما وتركها قال نعم فأعطاه درهما وأخذها وأتى بها فوضعهما بين يديه وقال قد أعطيتهم درهما وأخذتاه منه فقال لقمها وأدفعها إليه ولا تأخذ منه الدرهم فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعامة امرئ اشتبه شهوة فردد شهوته وأثرها على نفسه فقهر الله له وقال صلى الله عليه وسلم إذا شدت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا وأهلها الدمار أشار إلى أن المقصود رد ألم الجوع والعطش ودفن درهما دون التمتع بلذات الدنيا وبلغ عمر رضي الله عنه أن يزيد بن أبي سفيان يأكل أنواع الطعام فقال عمر لولي له أدا علمت أنه قد حضر عشاءه فأعلمني فأعلمه فدخل عليه فقرب عشاءه فأثوه بتريد لحم فأكل معه عمر ثم قرب للشواء وسط يزيد به وكف عمر يده وقال الله الله يا يزيد بن أبي سفيان أ طعام بعد طعام والذي نفس عمر بيده لئن خالفت من سنهم ليلتين بكم عن طرقتهم وعن يسار بن عبد قال ما نزلت لعمري دقا قاط إلا وأنا له حاص وروي أن عبيدة الغلام كان يعجن دقيقه ويخفقه في الشمس ثم يأكله ويقول كسوة ولم حتى يتجأ في الآخرة الشواء والطعام الطيب وكان يأخذ الكوز فيغرف به من حب كان في الشمس نهارة فتقول مولاه يا عبيدة لولا أعطيتني دقيقك فخرته لك وبردت لك الماء فيقول لها يا أم فلان قد شدت عني كلبنا ليجوع قال شقيق بن إبراهيم قال لقيت إبراهيم بن أدهم بمكة في سوق الليل عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم

يكي وهو جالس بناحية من الطريق فعدلت اليه وقعدت عنده وقلت انش هذا الكهك يا ابا اسحاق فقال خير فوادته مرة واثنين وثلاثا فقال يا شقيق استرعي قنلت يا اني قل ما صنعت فقال لي اشتهت نفسي منذ ثلاثين سنة سكباجا ففعتها جهدي حتى اذا كان البارحة كنت جالسا وقد غلبني العاس اذا انا بقني شاب بيده قدح اخضر يهلونه بخار ورائحة سكباج قال فاجتمعت همتي عنه فقربه وقال يا ابراهيم كل قنلت ما اكل قد تركته لله عز وجل فقال له قد اطعمك الله كل فا كان لي جواب الا اني بكنت فقال لي كل رحمت الله فقلت قد امرنا ان لا نطرح في وعائنا الا من حيث نعلم فقال كل عافاك الله فاعا اعطينه قبيل لي يا خضر اذهب هذوا اطعمه نفس ابراهيم من ادهم فقد رحما الله من طول صبرها على ما مجلها من منها اعلم يا ابراهيم اني سمعت الملائكة يقولون من اعطى نيل ما أخذ طلب فلم يخط قنلت ان كان كذلك فما انا بين يديك لاجل القدمع الله تعالى ثم التفت فاذا انا بقني اخرنا وله شيا وقال يا خضر لقمه ائت فلم يزل يلقيني حتى نغست فاطمت وحلاوته في في قال شقيق قنلت ارنى كمنك فاخذت بكفه فقبلها وقلت يا من يطعم الجبابرة الشهوات اذا صحجوا المنع يا من يقدح في الضمير اليقين يا من ينسج قلوبهم من محبة انزى لشقيق عبدك حالاثم رفعت يده ابراهيم الى السماء وقلت بقدر هذا الكف عندك وبقدر صاحبه وبالجود الذي وجد منك جد على عبدك الفقير الى فضلك واحسانك ورحمتك وان لم يستحق ذلك قال فقام ابراهيم ومشى حتى اذ ركعا البيت وروى عن مالك بن دينار انه بقي اربعين سنة يشتهي لبنا فلم يأكله واهدي اليه يومارطب فقال لاصحابه كما وافاذه منذ اربعين سنة وقال احمد بن ابي الخوارى اشتهى ابو سليمان الداراني رغبافا حار ابلج فغث به اليه فعض منه عضة ثم طرحه واقبل يكي وقال عجبت الى شهوتي بعد اطالة جهدي واشتوقى قد عزمتم على التوبة فاقنلي قال احمد فارأته اكل الخبز حتى لقي الله تعالى وقال مالك بن ضيف مررت بالبصرة في السوق فنظرت الى البقل فقالت لي نفسي لو اطمعتني الليلة من هذا فاقمت ان لا اطعمها اياه اربعين ليلة ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما اكل رطبة لاهل البصرة ولا بسرة قط وقال يا اهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة فما اكلت لكم رطبة ولا بسرة فإزاد فيكم ما نقص مني ولا نقص مني ما زاد فيكم وقال طلعت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسي لبنا منذ اربعين سنة فوالله لا اطعمها حتى ألحق بالله تعالى وقال حماد بن أبي حنيفة أنبت داودا الطائي والباب مغلق عليه فسمعته يقول نفسي اشتهت جزافا طعمتك جزرا ثم اشتهت تمرافا قلت أن لا تأكله أبدا فسلت ودخلت فاذا هو وحده ومرة ابو حاتم ومافي السوق فرأى الفا كهة فاشتهاها فقال لانه اشتر لنا من هذه الفا كهة اللقطوعة المنوعة لعلنا نذهب الى الفا كهة التي لا مقطوعة ولا ممنوعة فلما اشتراها واتي بها اليه قال لنفسه قد خدعتني حتى نظرت واشتهيت وغلبتني حتى اشتريت والله لا ذقته فبعث بها الى بيتي من الفقراء وعن موسى الاشج انه قال نفسي تشتهي ملحاجر يشامد عشر بن سنة وعن احمد بن خليفة قال نفسي تشتهي منذ عشر بن سنة ما طلمت مني الا الماعتي تروى فاأرونها وعن روى أن عتبة الغلام اشتهى لحاسبع سنين فلما كان بعد ذلك قال استحييت من نفسي أن اذافها منذ سبع سنين سنة بعد سنة فاشترت قطعة لحم على خبز وشون بها وركبها على رغي فقلت صبا فقلت ألت أنت ابن فلان وقد مات أبوك قال لي خاوتها ياها قالوا وابل يكي وبقرا ويطعمون الطعام على جبه مسكنا وبقيا وأسرا ثم لم يذقه بعد ذلك ومكث يشتهي تمرا سنين فلما كان ذات يوم اشترى تمرا بشرط ورفعه الى الليل ليظطر عليه قال فبعت ورجع شديدة حتى أطلت الدنيا فزع الناس فأقبل

عنية على نفسه يقول هذا الجراء في عليك وشرائي التمر بالقرطاطم قال لنفسه ما أظن أخذ الناس
 الا بئسك على أن لا تدقيه واشترى داود الطائي نصف فلس بقلوا بقلس خلوا وأقبل ليلته كلها
 يقول لنفسه وملك يا داود ما أطول حسابك يوم القيامة ثم لم يأكل كل بعده الا قناروا وقال عنية الغلام
 يوما لعبد الواحد بن زيدان فلانا نصف من نفسه منزلة ما أعرفها من نفسي فقال لا نأكل تاكل مع
 خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيئا قال فان أنارت كأت كل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها
 فأخذي بي فقال له بعض أصحابه لا أبكي الله منك أعي التمر بي فقال عبد الواحد ده فان نفسه
 قد عرفت صدق عزمه في الترك وهو اذ ترك شيئا لم يعاوده وقال جعفر بن نصر أمرني الجنيد أن
 أشتري له التين الوزري فلما اشتريته أخذوا خدعة عند القطور فوضعتها في فم ثم ألقاها وجعل يبكي
 ثم قال احمله فقلت له في ذلك فقال هتب في هاتف أما تستحي تركته من أجلي ثم يعود اليه
 وقال صباح المري قلت اعطاء السلياني متكلف شيئا فلا تدعي كرامتي فقال اقل ما تريد
 قال فبعثت اليه مع ابني شربة من سوق قد لثته بسمن وعسل فقلت لا تبرح حتى يشربها فلما كان
 من العبد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فصابتها وولته على ذلك وقلت سبحان الله ردت علي
 كرامتي فلما رأى وحدي لذلك قال لا سوء لك هذا اني قد شربتها أول مرة وقد رادوت نفسي
 في المرة الثانية على شربها فلم أقدر على ذلك كذا أردت ذلك ذكرت قوله تعالى بقر معلوا لا يكذب بعه
 الآية قال صباح بكبت وقلت في نفسي أنا في واد وأنت في واد آخر وقل السري السقطي نفسي منذ
 ثلاثين سنة قطعتني أن أغرس جزرة في ديس فلما أظعتها وقال أبو بكر الجلاء أعرف رجلا يقول له
 نفسه أنا أصبرك على طي عشرة أيام وأظمني بعد ذلك شهوة أشبهها فيقول لها لا أريد أن تطوي
 عشرة أيام ولكن اتركي هذه الشهوة وروى أن عابدا دعا بعض اخوانه فحرق اليه رجلا فاجعل
 أخوه يقبل الارض ليعتارأ جودها فقال له العالمة أي شئ تصنع أما علمت أن في الرغيف الذي
 رغبته عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانع حتى استدار من السحاب الذي يحمل الماء
 والماء الذي يسقي الارض والرياح والارض والهاشم بنو آدم حتى صار اليك ثم أنت بعد هذا تطلبه
 ولا ترضى به وفي الخبر لا يستدبر الرغيف ووضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعاً
 أو طمس ميكائيل عليه السلام الذي يهكّل الما من خزائن الرحمة ثم الملائكة التي ترعى السحاب
 والشمس والقمر والافلاك وملائكة الهواء ودواب الارض وآخرهم الخبايا وان تعبوا العلة الله
 لا تحصىها وقال بعضهم أنت قاسم الجزع فساأله من الزهد أي شئ هو فقال أي شئ سمعت فيه
 فصددت أقوالا فسكت فقلت وأي شئ تقول أنت فقال اعلم أن البطن دنيا العبد يقدر ما يملك
 من بطنه يملك من الزهد و يقدر ما يملكه بطنه فملكه الدنيا وكان بشر من الحارث فعاصل مرة
 فأتى عبد الرحمن الطبيب يسأله عن شئ يوافقه من المأكولات فقال تسأني فإنا وصفتك
 لم تقبل مني قال صف لي حتى أسمع قال شرب سكبيننا ومقص سفر جلاونا جكل بعد ذلك
 اسقيذ باجا فقال له بشر هل تعلم شيئا أقل من السكبين يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ما هو
 قال الهند باجا بل ثم قال أنا أعرف شيئا أقل من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ما هو
 قال الخروب الشامي قال فتعرف شيئا أقل من الاسفندياج يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف ماء
 الحصن بسمن البقر في معناه فقال له عبد الرحمن أنت أعلم مني بالطيب فلم تسألني قد عرفت هذا
 أن هؤلاء اشتهوا من الشهوات ومن الشبع من الاثواب وكان امتناعهم للقوائد التي ذكرناها
 وفي بعض الاوقات لا هم كانوا لا يصفون لهم الجلال فلم يرضوا لانفسهم في ان يقدر الضرورة

والشهوات ليست من الضرورات حتى قال أبو سليمان المثل شهوة لانه زيادة على الخبز وماوراء
الخبز شهوة وهذا هو النهاية فمن لم يقدر على ذلك فلينبغي أن لا يضل عن نفسه ولا ينهك في الشهوات
فكن في البراءة اسرافاً أن يأكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه فينبغي أن لا يواطىء على أكل اللحم
قال علي كرم الله وجهه من ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه ومن دأب عليه أربعين يوماً ساء قلبه
وقيل إن الدأب على اللحم ضرراً كضرارة الخمر ومهما كان جائعاً وتأقت نفسه إلى الجماع فلا ينبغي
أن يأكل ويجمع فيعطى نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الأكل لينشط في الجماع
ويستحب أن لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعناد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل
أو ليجلس فيذكر الله تعالى فإنه أقرب إلى الشكر وفي الحديث أذنبوا طعامكم بالذكر والصلاة
ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم وأقل ذلك أن يعلى أربع ركعات أو تسج منه تسجدة أو يقرأ جزءاً من
القرآن عقيباً كله فقد كان سفان الثوري إذا شبع ليلة أحياها وإذا شبع في يوم وأمله بالصلاة
والذكر وكان يقول أشبع الرضي وكذه ومرة يقول أشبع الحارو كذه ومهما اشبع شياً من الطعام
وطيأت القوا كنه فينبغي أن يترك الخبز وأكاهب لا منه لتسكون قوتاً ولا يكون تسكهاً للتلايمع
لنفس بين عادة وشهوة نظرسهل إلى ابن سألوه في هذا خبر وعمر فقال له أبا القرفان قامت كفايتك
به والآن خنت من الخبز بعده فقد رجحتك ومهما وجد طعاماً لطيفاً وغلظاً فليقدم اللطيف
فانه لا يشتهي الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لأكل اللطيف أيضاً طأنته وكان بعضهم يقول لأصحابه
لأننا كلوا الشهوات فإن أكلتموها فلا تطلبوها فإن طلبتموها فلا تصبوها واطلب بعض أنواع الخبز
شهوة قال عبد الله بن عمر رحمه الله عليها ما تأني من العراق فأكهة أحب إليهم من الخبز فرأى ذلك
الخبز فأكهة وعلى الجلة لا سبيل إلى إهمال النفس في الشهوات المباحات وإتباعها بكل حال فقد
ما يستوفي العبد من شهوته فينبغي أن يقال له يوم القيامة أذهب طيبانكم في حياتكم الدنيا
واستمتعتم بها وقد ما يحاهد نفسه ويترك شهوته يمتنع في الدار الآخرة بشهواته قال بعض أهل
البصرة تازعت نفسي خبزاً ورسماً ففعلت مطالبتها واشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة فلما
مات قال بعضهم رأيته في المنام فقلت ماذا فعل الله بك قال لا أحسن أن أصف ما تلقاني به ربي من
النعم والكرامات وكان أول شيء استقبلني به خبز أرز وسكوا وقال كل اليوم شهوتك هنيئاً بغير
حساب وقد قال تعالى كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية وكانوا قد أسلفوا ترك الشهوات
ولذلك قال أبو سليمان ترك شهوة من الشهوات أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها وقتنا للعلم لا رضى به

بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه

أعلم أن المطلوب الأقصى في جميع الأمور والأخلاق الوسط أذخيراً الأمور وأسطها وكل طرف قصد
الأمور ذميمة وما أوردها في فضاء مثل الجوع وما يرمي إلى أن لا يفرط فيه مطلوب وهيات ولكن من
أسرأ حكمة الشرية أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساداً للشرع بالمبالغة
في المنع منه على وجه يرمي عند الجاهل إلى أن المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان
والعالم يدرك أن المقصود الوسط لأن الطبع إذا طلب غاية الشرع فالشرع ينبغي أن يمدح غاية الجوع
حتى يكون الطبع باعثاً للشرع مانعاً فيما ومان ويحصل الاعتدال فإن من يقدر على قمع الطبع
بالكلية بعيد قطع لانه لا يفتنى إلى الغاية فانه أن أسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع
أضماً ما يدل على إساءته كما أن الشرع بالنسبة إلى التمام على قيام الليل وصيام النهار ثم لا يعلم النبي
صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم أنه يصوم البهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فإذا عرفت هذا

فاعلم أن الأفضل بالاضافة الى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس بنقل المعدة ولا يحس بالجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه الجوع أصلاً فإن مقصود الأكل بقاء الحياة وقوة العادة ونقل المعدة بمنع من العادة وألم الجوع أيضاً يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود أن يأكل أكلاً لا يبقى للمأكل فيه أثر ليكون مثسباً بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام وألم الجوع وغاية الانسان الاقتداء بهم وإذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فأبعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الآدمي البعد عن هذه الاطراف المتقابلة بالرجوع الى الوسط مثال نملة ألقيت في وسط حلقة منجمية على النار مطروحة على الارض فإن النملة تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج منها فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط فلو ماتت ماتت على الوسط لان الوسط هو أحد المواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك السموات محيطة بالانسان احاطة تلك الحلقة بالنملة والملائكة خارجون عن تلك الحلقة ولا مطمع للانسان في الخروج وهو يريد أن يتشبه بالملائكة في الخلاص فأشبهه أحواله هم البعد وأبعد المواضع عن الاطراف الوسط نصار الوسط مطلوباً في جميع هذه الاحوال المتقابلة وبعه عبر قوله صلى الله عليه وسلم خير الامور واسطها واليه الاشارة بقوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع تبسرت له العادة والفكر وخف في نفسه وقوى على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع أما في بداية الامر اذا سكنت النفس جموحاً متسوقة الى السموات مائلة الى الافراط لا اعتدال لا ينفعها بل لابد من المبالغة في ايلامها بالجوع كيلا ينج في ايلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره الى أن تعتدل فاذا رتاضت واستوت ورجعت الى الاعتدال تركت تعذيبها وابلها وابل هذا السر يا سر الشيخ مر به بما يلاطها هو في نفسه فبأمره بالجوع وهو لا يجوع وبعته القواكه والسموات وقد لا يمتنع هومها لانه قد فرغ من تأديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان اغلب احوال النفس الشر والسموة والجماح والامتناع عن العادة كان الاصح لها الجوع الذي تحس بألمه في أكثر الاحوال لتكسر نفسه والمقصود أن تكسر حتى تعتدل فترة بعد ذلك في الغناء أيضاً الى الاعتدال وانما يمتنع من ملازمة الجوع من سلك طريق الآخرة أما صديق وأمام غروراً حتى لما الصديق فلا ستقامة نفسه على الضراط المستقيم واستغناؤه عن أن يساق بسياط الجوع الى الحق وأما الغرور فلفظته بنفسه انه الصديق المستغنى عن تأديب نفسه الطمان بها خيرا وهذا غرور عظيم وهو الاغلب فان النفس قلما تتأديب تأديباً كاملاً وكثيراً ما تغتر فتنتظر الى الصديق ومساعدته نفسه في ذلك فيساح نفسه كالمرضى ينظر الى من قد قص من مرضه فيتناول ما يتناول ويظن نفسه الصحة فهلاك والذي يدل على أن تقدير الطعام بقدر يسير في وقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصوداً في نفسه وانما هو مجاهدة نفس متتاعية عن الحق غير الفة ترية الكمال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى تقول لا يفطر يفطر حتى تقول لا يصوم وكان يدخل على أهله فيقول هل عنكم من شيء فان قالوا نعم أكل وان قالوا لا قال اني اذا صائم وكان يقدم اليه الشيء فيقول اما اني قد كنت أردت الصوم ثمياً كل وخرج صلى الله عليه وسلم يوماً قال اني صائم فقال له عائشة رضي الله عنها قد أهدى البناحيس فقال كنت أردت الصوم ولكن قرية ولذلك حيي عن سهل انه قيل له كيف كنت في بدايتك فأخبر بضرره من الرياضات منها انه كان يقات ورق النبق مدة ومنها انه أكل دقاق النبق مدة

ثلاث سنين ثم ذكر انه اثنان بثلاثة دراهم في ثلاث سنين فقيل له فكيف أنت في وقتك هذا فقال كل بلاحة ولاتوقت وليس المراد بقوله بلاحة ولاوقت اني اكل كثيرا بل اني لا أقدر بمقدار واحد ما آكله وقد كان معروف الكرخي يهدي اليه طبيايت الطعام فبأكل قليل له ان أخلا بشرا لياكل مثل هذا فقال ان أخني يشرقبضه الورع وأنا بسطتي المعرفة ثم قال انما أنا ضيف في دار مولاي فاذا أطعني أكلت واذ جوعني صبرت مالي والاعتراض والتبذير * ودفع ابراهيم بن آدم الي بعض اخوانه دراهم وقال خذ لنا هذه الدرهم زيد او عسلا وخز او حواري فقيل يا أبا اسحاق بهذا كله قال ويحك اذ اوخذنا اكلنا أكل الرجال واذ اعد منا صبرنا صبر الرجال وأصلح ذات يوم طعاما كثيرا ودعا اليه نفر ايسر افيهم الا وراعي والثوري فقال له الثوري يا أبا اسحاق أمتخاف أن يكون هذا اسرافا فقال ليس في الطعام اسراف انما الاسراف في لباس والاثاث فالذي أخذ العلم من السماع والنقل قليلا يدري هذا من ابراهيم بن آدم * ويسمع عن مالك بن دينار انه قال ما دخل بيتي الملح منذ عشرين سنة وعن سري السقطي انه منذ أربعين سنة يشتهي أن يغرس جرة في ديبس فافعل فيه امر متاقتا فغيره أو يقطع بأن أحدهما غطى والبصير بأسرار القوم يعلم أن كل ذلك حق وليسكن بالإضافة الى اختلاف الاحوال ثم هذه الاحوال المختلفة يسميها ظن بخاط أوجي مغرور فيقول الخياط ما أنا من جملة العارفين حتى اسامح نفسي فليس نفسي أطوع من نفس سري السقطي ومالك بن دينار وهؤلاء من المتنوعين عن الشهوات فقندى بهم والمغرور يقول ما نفسي بأعصى علي من نفس معروف الكرخي وابراهيم بن آدم فاقندى بهم وأرفع التقدير في ما كوني فانا أفاضل في دار مولاي فاني ولا اعتراض ثم انه لو قصر أحد في حقه وتوفيره أو في ماله وجهه بطريقة واحدة قامت القيامة عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحق بل رفع التقدير في الطعام والصيام وأكل الشهوات لا يسلم الا لمن ينظر من مشكاة الاولياء والتبوة فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله وانقباضه ولا يكون ذلك الا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكلية حتى يكون أكله اذا أكل على نية كما يكون امساكه نية فيكون عاملا لله في أكله وافتطاره فينبغي أن يعلم الحزم من محرر رضي الله عنه فانه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل ويبأكله ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرضت عليه شربة باردة مزوجة بعسل جعل يدير الاناء في يده ويقول أشربها وتذهب حلاوتها وتبقى تبعثها اعز لواضعي حسابها وتر كما هو هذه الاسرار لا يجوز لشيخ أن يكشفها مره بل بقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعو الى الاعتدال فانه يقصر لاجل حاله عما يدعو اليه فينبغي أن يدعو الى غاية الجوع حتى يتسهر له الاعتدال ولا يذكر له أن العارف الكامل يستغنى عن الرياضة فان الشيطان يحب متعلقا من قلبه فيلقي اليه كل ساعة انك عارف كامل وما الذي فانك من العرفة والكمال بل كان من عادة ابراهيم انخواس أن يخوض مع المريد في كل رياضة كان يأمره بها كي لا يتطرب اليه أن الشيخ يأمره بما لم يفعل فينفر ذلك من رياضته والقوى اذا اشتغل بالرياضة واصلاح الغير زمة النزول الى حد الغفلة تشبههم وتطغى في سياقتهم الى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للانبياء الاولياء وانما كان حذرا لا اعتدال خفي في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغي أن لا يترك في كل حال ولذلك أدب محرر رضي الله عنه ولده عبد الله انذله عليه فوجده يأكل لحما دوما بسمن فعلا بالذرة وقال لا تمك كل يوم ما خبزوا ولما يوم ما خبزوا ولما يوم ما خبزوا وسنا ويوما خبزوا زينا ويوما خبزوا ولما يوم ما خبزوا فصاروا وهذا هو الاعتدال فاما المراقبة على العلم

والشهوات فافراط واسراف ومهارة اللحم بالكلية اقتار وهذا قوام بين ذلك

في بيان آفة الرية المتطرق الى من ترك أكل الشهوات وقلل الطعام

اعلم انه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما أعظم من أكل الشهوات * احدهما
أن لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتنشدها ولكن لا يريد أن يعرف بأنه يشتهيها فينبغي
الشهوة ويأكل في الخلوة مالا يأكل مع الجماعة وهذا هو الشرك الخفي سئل بعض العلماء عن بعض
الزهاد فسكت عنه فقبل له هل تعلم به بأسا قال يأكل في الخلوة مالا يأكل مع الجماعة وهذه آفة
عظيمة بل بحق الصدا انبلي بالشهوات وحبا أن يظهرها فان هذا صنف الحال وهو يدل عن فوات
النجاهات بالاجمال فان اخفاء القص وانظار ضئله من الكمال هو نقصان متضاعفان والكذب
مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا لعقوبتين ولا يرضى منه الا بتوبتين صادقتين ولذلك شدد أمر
المناقضين فقال تعالى ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار لان الكافر كفروا وأظهروا هذا كفروا
فكان ستره لكفوره كرها آخر لانه استغفب بظرف الله سبحانه وتعالى الى قلبه وعظم نظرا لمخلوقين فها
الكفر عن ظاهره والعار فون يتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يتلون بالرباء والغش والاخفاء
بل كمال العارف أن يترك الشهوات لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة اسقاطا منزلة من قلوب
الخلق وكان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في البيت وهو فهم من الزاهدين وانما يقصد به تلبيس
حاله ليصرف من نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوشون عليه حاله فنهاه الزهد ان يهدى الزهد باظهار
ضئله وهذا عمل الصديق فانه جمع بين صديق كان الاول جمع بين كذابين وهذا قد حمل على
النفس ثقلين وجرحها كأس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة برميته فلاجرم اولئك يقولون أجبرهم
مرتين بما صبروا وهذا يصاحي طريق من يعطي جها فيا غزو ودرس الكسر نفسه بالذل جها
وبالغفر ستر الفئ فانه هذا فلا ينبغي أن يغويه اظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه ولا ينبغي أن يغره
قول الشيطان انك اذا أظهرت اقتدى بك ضريك فاستره اصلاحا لغيرك فانه لو قصد اصلاح غيره
لكان اصلاح نفسه أهم عليه من غيره فهذا انما يقصد الى اياه الجرح ودور وجه الشيطان عليه في معرض
اصلاح غيره فلذلك ثقل عليه ظهور ذلك منه وان علم أن من اطاع عليه ليس يقتدي به في الفعل
أولا لا يترجم باعتقاده انه تارك للشهوات * الآفة الثانية أن يقد على ترك الشهوات لكنه يفرح أن
يعرف به فيشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الاكل وأطاع شهوة
هي شر منها وهي شهوة الجاه وتلك هي الشهوة الخفية فهما أحسن بملك من نفسه فكسر هذه الشهوة
أكدم من كسر شهوة الطعام فليأكل فهو أولى له قال أبو سليمان اذا اقتضت اليك شهوة وقد كنت
تاركها فاصب منها شيئا يسيرا ولا تخط نفسك منها فان تصكرك قد أسقطت من نفسك الشهوة
وتكون قد نقصت عليها اذ لم تقطعها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق اذا اقتضت اليك شهوة فظفرت
الى نفسي فان هي أظهرت شهوتها أطعمتها وان كان ذلك أفضل من منعها وان أخفت شهوتها
وأظهرت العزوب عنها عاقبتها بالترك ولم أتلها منها شيئا وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه
الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كأنه كمن هرب من مقرب وفرغ
الى حية لان شهوة الرياء أضرت كثيرا من شهوة الطعام والله ولي التوفيق

في القول في شهوة الفرج

أعلم أن شهوة الفرج سلطت على الانسان لفاكتدبها واحداهما أن يدرك لذته فيخفيس به لذات
الآخرة فان لغة الفرج اودامت لكنت أقوى لذات الاجساد كما أن النار والاهام أعظم الام الجبهة

والترغيب والترهيب يسوق الناس الى سعادتهم وليس ذلك الا بالمحسوس ولذة محسوسة مدركة
فان ما لا يدرك بالذوق لا ينظم اليه الشوق * الفائدة الثانية بقاء النسل ودوام الوجود فهذه
فائدتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا ان لم تقصط ولم تهروم ولم ترد الى حد الاعتدال
وقد قيل في تأويل قوله تعالى ربنا ولا تخلفا ما لا طاقة لنا به معناه شدة الغلبة وعن ابن عباس في قوله
تعالى ومن شر قاسق اذا وقب قال هو قيام الذكر وقد أسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا انه قال في تفسيره الذكر اذا دخل وقد قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وكان
صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه أعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي وهني ومني وقال عليه
السلام النساء حائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال روى أن
موسى عليه السلام كان جالسا في بعض مجالس اذ قيل اليه ابليس وعليه رنس يتلون فيه ألوانا
فلما نأمنه خلع الرنس ووضعه ثم أتاه فقال السلام عليك يا موسى فقال له موسى من أنت فقال أنا
ابليس فقال لا حيا لك الله ما جاء بك قال جئت لأسلم عليك لمزلتك من الله ومكنتك منه قال فما الذي
رايت عليك قال رنس اختطف به قلوب بني آدم قال فما الذي اذ اصنعه الانسان استحوذت عليه
قال اذا أعجبت نفسه فاستكثر عمله ونسي ذنوبه واحذر لا تلتاحل بأمرأة لا تحل لك فانه ما خلا
رجل بأمرأة لا تحل له الا كنت صاحبه دون المحابي حتى أقنته باوافتها به ولا تعاهد الله عهدا
الا وفيت به ولا تخرجن صدقة الا أمضيتها فانه ما أخرج رجل صدقة فلم يعضها الا كت صاحبه
دون المحابي حتى أحول منه وبين الوفاء ثم روى وهو يقول يا ولياه علم موسى ما يحذر به بني آدم *
وعن سعيدين السيب قال ما بعث الله نبيا فيما خلا الالمياس ابليس أن يهلكه بالنساء ولا نبي
أخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت أدخله الابنيت وبيت ابنتي اغتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح
وقال بعضهم ان الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جنسدي وأنت سهي الذي أرى به فلا أخطي
وأنت موضع سرى وأنت رسولي في حاجتي فنصف جنده الشهوة ونصف جنده الغضب واعظم
الشهوات شهوة النساء وهذه الشهوة أيضا لها افراط وتفرط واعتدال فالافراط ما يقهر العقل
حتى يصرف همه الرجال الى الاستمتاع بالنساء والجوارى فيعزم من سلوك طريق الآخرة أو يقهر
الدين حتى يجزأ الى اتمام الفواحش وقد ينتهي افراطها بطاعة الى أمرين شنيعين * أحدهما
أن يتناولوا ما يقوى شهواتهم على الاستكثار من الوقاع كما قد يتناول بعض الناس أدوية تقوى المعدة
لتعظيم شهوة الطعام وما مثال ذلك الا كن ابتلى بسباع ضارية وحيات عادية فتنام عنه في بعض
الاقوات فيحتال لانها تمهاو جميعها ثم يشتغل بأصلا حها وعلاجها فان شهوة الطعام والوقاع على
التحقق الآمريد الانسان الخلاص منها فذلك لذة بسبب الخلاص فان قلت فقد روى في غريب
الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شكوت الى جبرائيل ضعف الوقاع فأمرني بأكل
الخرنبة فاعلم انه صلى الله عليه وسلم كان شهة تسع نسوة ووجب عليه تخصيصهن بالامتناع وحرم على
غيره تكاحهن وان طلعهن فكان طلبه القوة لهذا الامتنع * والامر الثاني انه قد تنهى هذه الشهوة
ببعض الضلال الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة الى الهيمية لحذ الهائم
لان المتعشق ليس يقنع بآرافة شهوة الوقاع وهي أقبح الشهوات واجد رها أن يستحي منه حتى
اعتقد أن الشهوة لا تقتضي الامن محل واحد والهيمية تقتضي الشهوة أن اتفق فتكفي به وهذا
لا يكتفي الا بشخص معين حتى يزداد به ذل الى ذل وعبودية الى عبودية وحتى يستعصر العقل لخدمة
الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة ومحتالا لاجلها وما العشق الا سعة افراط

الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا هم له وإنما يجب الاحتراز من أوائله بترك معاودة النظر والفكر والأفاذا استحكمت عسر دفعه فكذلك عشق المال والجاه والعقار والاولاد حتى حب اللعب بالطيور والارتداد الشطرنج فان هذه الامور قد تستولي على طائفة بحيث تنفص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر سورة العشق في أول ابتعانه مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب لتدخله وما هو من منها يصرف عنها ومثال من يعالجها بعد استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بنسها ويخرجها الى ورائها وما أعظم التفاوت بين الاخرين في اليسر والعسر فليكن الاحتياط في بدايات الامور فاما في آخرها فلا تقبل العلاج الا بعد جهد يكاد يؤدي الى تزعج الروح فانا افراط الشهوة أن يظلم العقل الى هذا الحد وهو مذموم جدا وتفرغ يطمع باللعنة أو بالضعف عن امتناع المنكحة وهو أيضا مذموم وإنما المجهود أن تكون معتدلة ومطبعة للعقل والشرع في انقباضها وانبساطها ومهما افترط فكسرها بالجمع والنكاح قال صلى الله عليه وسلم معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فالصوم له وجه

بيان ما على المريد ترك الترويح وفعله

اعلم أن المريد في ابتداء امره ينبغي أن لا يشغل نفسه بالترويح فان ذلك يشغل شأغل يمنعه من السلوك ويسخره الى الانس بالزوجة ومن أنس بغير الله تعالى شغل عن الله ولا يفترقه ككرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع مافي الدنيا عن الله تعالى فلا قاس الملائكة بالحدادين ولذلك قال أبو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن الى الدنيا وقال مارأيت مر يد تزوج فتبت على حاله الأول وقبل له مرة ما أحوجك الى امرأة تأنس بها فقال لا أنسى الله بها أي أن الانس بها عن الانس بالله تعالى وقال أيضا كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤم فكيف يقاس غير رسول الله صلى الله عليه وسلم به وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجدا حرقه في حاله كان يحنى منه في بعض الاحوال أن يسرى ذلك الى قلبه فقدمه فلذلك كان يضرب بيده على خدعائشة احيانا ويقول كئيب يا عائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقته فالبه عنه فقد كان طبعه الانس بالله عز وجل وكان أنه بالخلق عارضا رقايل منه ثم انه كان لا يطيق الصبر مع الخلق اذا اجالسهم فاذ اصابك صدره قال أرحنا بها بلال حتى يعود الى ما هو قرة عينه فالضعف اذا اخطأ حواله في مثل هذه الامور فهو مغرور لأن الافهام تقصر عن الوقوف على أسرار أفعاله صلى الله عليه وسلم فشرط المريد العربية في الابتداء الى أن يقوى في المعرفة هذا اذا لم يلبث الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فان لم تنفع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالتكسر له أولى لتسكن الشهوة والافهام لا يحفظ عنه لم يحفظ عليه فكره ويحرق عليه همه وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصغار وهو يؤدي الى القرب الى الكبرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ فرجه قال صبي عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزج في القلب شهوة وصكني بها فتعوقا لسعد بن جبر انما جاءت الفتنة لداود عليه السلام من قبل النظرة ولذلك قال لاتبه عليه السلام يا بني امش خلف الاسود والاسود لا تمش خلف المرأة وقيل ليعي عليه السلام ما به ان قال النظر والتمني وقال الفضيل يقول ابليس هو قوسي القديمة وسهمي الذي لا خطي به يعني النظرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم

من سهام ابليس فن تركها خوفا من الله تعالى أعطاه الله تعالى إيماناً بمجد حلاوته في قلبه وقال
 صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدى قننة أضرت على الرجال من النساء وقال صلى الله عليه وسلم
 اتقوا قننة النساء فان أول قننة نبي اسرائيل كانت من قبل النساء وقال تعالى
 قل لأزواجنكم ينصرون من أبصارهم الآية وقال عليه السلام لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعينا
 ترتبان وزناهما النظر والبدان ترتبان وزناهما البطش والرجلان ترتبان وزناهما المشي
 والقدم ترتبان وزناهما القبلة والقلب هم أو يمتنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذب به وقالت أم سلمة استأذن
 ابن أم مكتوم الأعمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ومجوزة جالستان فقال عليه السلام
 احتجبا قلنا أو ليس بأعمى لا يصيرنا فقال وأنتما لا تبصرانه وهذا يدل على أنه لا يجوز للنساء مجالسة
 العجيان كما جرت به العادة في المآثم والولائم فيصير على الأعمى الخلوة بالنساء ويحرم على المرأة مجالسة
 الأعمى وتحديق النظر إليه لغير حاجة وانما يجوز للنساء محادثة الرجال والنظر إليهم لأجل عموم
 الحاجة وان قدر على حفظ عينه من النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالنكاح أولى به
 فان الترتي للصبيان أكثر فانه لو مال قلبه الى امرأة أمكنه الوصول الى استباحتها بالنكاح
 والنظر الى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من يترقبه بجمال صورة الامرء بحيث يدرك التفرقة
 بينه وبين الملتحي لم يحل له النظر اليه فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجبل والقيح لاجل حاله
 ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة فأقول لست أعني تفرقة العين فقط بل ينبغي أن يكون ادراكه
 التفرقة كادراكه التفرقة بين شجرة خضراء وأخرى يابسة وبين ماء صاف وماء كدر وبين شجرة
 عليها زهارها وأوراقها وشجرة تساقطت أوراقها فانه يحل الى احدهما بعينه وطبعه ولو كان
 مبالغا لكان الشهوة ولأجل ذلك لا يشتهي ملامسة الازهار والانوار وقيحها ولا تقبيل الماء
 الصافي وكذلك الشبهة الحسنة قد تمثل العين بها وتذكر التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها
 تفرقة لاشهوة فيها وصرف ذلك جميل النفس الى القرب والملازمة فهما وجد ذلك المثل في قلبه
 وأدرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين الثبات الحسن والاثواب النقشة والسقوف المذهبة فتطرده
 نظر شهوة فهو حرام وهذا مما يتناول به الناس ويميزهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون
 قال بعض التابعين ما أنا بأخوف من السبع الضاري على الشاب الناسك من غلام أمر بدخول
 اليه وقال سفيان لو أن رجلا عبث بغلام بين أصبعين من أصابع رجله يريد بالشهوة لكان لواطها
 وعن بعض السلف قال سيكون في هذه الامة ثلاثة أصناف لوطيون صنف يتطرون وصنف
 بصاقون وصنف يعملون فاذا آفة النظر الى الاحداث عظيمة فهما عجز المريد عن غض بصره وضبط
 فكره فالصواب له أن يكسر شهوته بالنكاح قرب نفس لا يسكن توقاتها بالجوع وقال بعضهم غلبت
 على شهوتي في بدء ارادتي بما لم أطق فأكثر النجيج الى الله تعالى فראيت شخصاً في المنام فقال ما لك
 فشكوت اليه فقال تقدم الى فتقدمت اليه فوضع يده على صدرى فوجدت بردها في فؤادي وجميع
 جسدى فأصبحت وقد زال ما بي فقيمت معاني سنة ثم عاودني ذلك فأكثر الاستغاة فأتاني شخص
 في المنام فقال لي أنت أحب أن يذهب ما يتجدد أو يضرب صفك قلت نعم فقال مذكر قبلك قد تم بآجره دسبها
 من نور فغضب به عني فأصبحت وقد زال ما بي فقيمت معاني سنة ثم عاودني ذلك أو أشد منه فראيت
 كأنني شخصاً في ما بين جنبي وصدرى يخاطبني ويقول ويحك كم تسأل الله تعالى رفع ما لا يجب رفعه
 قال فتزوجت فأنقطع ذلك حتى وولدت ومهما احتاج المريد الى النكاح فلا ينبغي أن يترك شرط
 الارادة في ابتداء النكاح ودوامه أما في ابتداءه فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة

والقيام بالحقوق الواجبة كإفصلنا جميع ذلك في كتاب آداب النكاح فلا نطول بإعادته وعلازمة
 صدق إرادته أن يتسكن فقيرة متديتة ولا يطلب القنية قال بعضهم من تزوج غنية كان له من خمس
 خصال مقالة الصدق وتسويق الزفاف وفوت الخدمة مكررة النفقة وإذا أراد إطلاقهما لم يقدر
 خوفا على ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقال بعضهم ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل بأربع
 والأستغفيرة بالسنة والطول والمال والحسب وأن تكون فوقه بأربع بالجل والأدب والورع
 والخلق وعلازمة صدق الإرادة في دوام النكاح الخلق * تزوج بعض المريدن بأمرأة فلم يرزل يخدمها
 حتى استخيت المرأة وشكت ذلك إلى أبيها وقالت قد خيرت في هذا الرجل أناني منزله منذ سنين
 ماذا هبت إلى الخلاء قط الا وحمل الله قبلي اليه وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال فلما قرب زفافها
 أصابها الجدري فاشتد حزنها لذلك خوفا من أن يستخفها نأراهم الرجل أنه قد أصابها ومرد
 ثم أراهم أن بصره قد ذهب حتى زفت اليه فقال عنهم الحزن فبقيت عنده عشرين سنة ثم توفيت
 ففتح عينيه حين ذلك فقيل له في ذلك فقال تعبدته لأجل أهلها حتى لا يجزوا قبيل له قد سبقت
 اخوانك هذا الخلق * وتزوج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له لم
 لا تطلقها فقال أخشى أن يتزوجها من لا يصبر عليها فبقيت بها فان تزوج الريد فكذلك ينبغي أن
 يكون وان قدر على الترك فهو أولى له أدام بحكمه الجوع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم أن
 ذلك يشغله عن حاله كجاري أن محمد بن سليمان الهاشمي كان ملك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم
 في كل يوم فكسب إلى أهل البصرة وعلمتها في امرأة يتزوجها فاجعوا كلهم على رابعة العنوية رجمها
 الله تعالى فكتب إليها اسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الله تعالى قد ملكني من غلة الدنيا ثمانين
 ألف درهم في كل يوم وليس غضي الأيام والليالي حتى أعها مائة ألف وأبأ أبصرتك مثلها مثلها
 فأجيبني فكتب إليه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن
 والرضا به فيها تورث الهم والحزن فإذا أتاك كل شيء هذا فتهي زاده وقد مر لعاذك وكن وصي نفسك
 ولا تجعل الرجال وأصهارك فيقسموا تراثك فصح الدهر ولكن فطره الموت وأما أنافلون الله تعالى
 خولتي أمثال الذي خولت وأضعافه ما سرتي أن اشتغل عن الله طرفه عين وهذه إشارة إلى أن كل
 ما يشغل عن الله تعالى فهو نقصان فليطر المريد إلى حاله وقلبه فان وجدته في العزوبة فهو الأقرب وان
 عجز عن ذلك فالنكاح أولى به ودواء هذه العلة ثلاثة أمور الجوع وغضب البصر والاشتغال بشغل
 يستولى على القلب فان لم تنفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذي يستأصل ما ذنبا فقط ولهذا كان
 السلف يبادرون إلى النكاح وإلى تزويج البنات قال سعيد بن المسيب ما ليس ألبس من أحد
 إلا زأنا من قبل النساء وقال سعيد أيضا هو ابن أربع وعشرين سنة قد ذهبت إحدى عينيه وهو
 يشرب بالآخرى ما شئ أخوف عندى من التمساء عن عبد الله بن أبي ربيعة قال كنت أجالس سعيد
 ابن المسيب فقلت في أنا غافلا أنتبه قال أن كنت قلت توفيت أهلي فاشتغلت بها فقال هلا أخبرتنا
 فشهدنا ما قال ثم أردت أن أقوم فقال هل استجدت امرأة قلت برحمك الله تعالى ومن تزوجني
 وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة فقال أنا قتلت وقيل قال نعم فحمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله
 عليه وسلم وزوجني على درهمين أو قال ثلاثة قال قتيت وما أدري ما صنع من الفرح ففصرت إلى
 منزلي وجعلت أفكر من أخذ ومن استبدن فصلت المغرب وانصرفت إلى منزلي فأمسحت بركبت
 جهنما ففتحت عشاءى لا فطر وكان خبزنا وزيانا وإياي في قمر فقلت من هذا قال سعيد قال فذكرت
 في كل إنسان اسم سعيد الأسيد بن المسيب وقلنا له لم ير أربعين سنة إلا بين ديرة والمسيب قال

فخرجت اليه فاذابه سعيد بن المسيب فظننت انه قد بداه فقلت يا ابا محمد لو ارسلت الى لايتك
 فقال لا انت احق ان ترقى قلت فانا امر قال انك كنت رجلا عزا فترجعت ففكرت ان ايتك
 الليلة وحدك وهذه امر أنك واقدا هي قائمة خلقه في طوله ثم اخذ سيده فادفعه الى الباب ورده
 فسقطت المرأة من الحياء فاستوتوقت من الباب ثم تقدمت الى القصعة التي فيها الخبز والزيت
 فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت السطح فرميت الجيران بها وفيها ما اشأناك قلت
 ويحكم زوجي سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاءها الليلة على غفلة فقالوا اوسعيد زوجك
 قلت نعم قالوا وهي في الدار قلت نعم فترأوا اليها وبلغ ذلك ائمة فخامت وقالت وجهي من وجهك حرام
 ان مستها قبل ان اصلحها الى ثلاثة ايام قال فأتيت ثلاثا ثم دخلت بها فاذا هي من أجل النساء
 واخففت الناس لكتاب الله تعالى واعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واعرفهم بحق الزوج
 قال فكشفت شهر الاياتني سعيد ولا آتبه فلما كان بعد الشهر آتته وهو في خلقته فسلت عليه
 فردني السلام ولم يكلمني حتى تفرق الناس من المجلس فقال ما حال ذلك الانسان فقلت بخير
 يا ابا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو قال ان رايك منه امر فدوئك والعصا فانصرفت الى
 منزلي فوجه الى بشر بن ألف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن المسيب هذه
 قد خطبها منه عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد فاني سعيد ان روجه فلم ير عبد
 الملك يحال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء والبسه جبة صوف
 فاستجبال سعيد في الرفاق تلك الليلة يعزفك فأتية الشهوة وجوب المبادرة في الدين الى تطفئة
 نارها بالنكاح رضى الله تعالى عنه ورحمه

بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

اعلم ان هذه الشهوة هي أغلب الشهوات على الانسان واعصاها عند الحيوان على العقل الا ان
 مقتضاها قبيح يستحي منه ويخشى من اقصامه وامتناع أكثر الناس من مقتضاها اما العجز
 أو الخوف أو الحياء أو المحافظة على جسمه وليس في شيء من ذلك ثواب فانه اشارة عظيمة من حظوظ
 النفس على حفظ آخرتهم من العصمة ان لا يقدروا في هذه العوائق فائدة وهي دفع الاثم فان من ترك
 الزنا تدفع عنه اثمه باي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع
 القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لاسيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك
 قال صلى الله عليه وسلم من عشق ففكتم ففات فهو شهيد وقال عليه السلام سبعة يظلمهم الله
 يوم القيامة في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعه امرأة ذات جمال وحسب الى
 نفسها فقال اني أخاف الله رب العالمين وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زلجام القدرة
 ومع رضيتها معرفة وقد آتني الله تعالى عليه بذلك في كتابه العزيز وهو امام لكل من وفق لمجاهدة
 الشيطان في هذه الشهوة العظيمة * روى أن سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجها
 فدخلت عليه امرأة فأنزلته نفسه فامتنع عليها وخرجها رايما من منزله وتركها فافسه قال سليمان
 فرأيت تلك الليلة في المنام يوسف عليه السلام وكأني أقول له أنت يوسف قال نعم أنا يوسف الذي
 هممت وأنت سليمان الذي لم تمهم أشار به الى قوله تعالى ولقد هممت به وهنم بها لو لا ان رأيت رايها
 ربه وعنه أيضا ما هو أعجب من هذا وذلك انه خرج من المدينة حاجا ومعه رفيق له حتى زلأبوابه
 فقام رفيقه وأخذ المفرة وانطلق الى السوق ليلتاع شيئا وجلس سليمان في الخمية وكان من
 أجل الناس وجها وأورعهم فصرت به اعرابية من قبة الجبل وانحدرت اليه حتى وقفت بين يديه

وعليها البرقع والقفازان فاسفرت عن وجهها كأنه نلقة قرو قالت أهنتي فظن أنها تريد طعاما
فقام إلى فضلة السفرة ليحطها فقال لست أريدها إنما أريد ما يكون من الرجل إلى أهله
فقال جهزك إلى البليس ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخذ في النصب فلم يزل سكي فلدارأت منه ذلك
سدلت البرقع على وجهها وانصرفت راجعة حتى بلغت أهلها وجاه رفيقه فقرأه وقد اتخفت عيناه
من البكاء وانقطع حلقه فقال ما يبكيك قال خيذرت صبيتي قال لا والله إلا أنك قصة اتما عهدك
بصبيتك منذ ثلاث أو نحوها فلم يزل به حتى أخبره خبر الأعرابية فوضع رفيقه السفرة وجعل يسكي
بكاء شديدا فقال له سليمان وأنت ما يبكيك قال أنا حق بالكاء منك لاني أخشى أن لو كنت مكانك
لما صبرت عنها فلم يزل السكبان فلما انتهى سليمان إلى مكة فسعى وطاف ثم أتى الجرفا حتى بشوبه فعبس
وإذا رجل وسيم طوال له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان وحك الله من أنت قال له
أنا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال إن في شأنك وشأن امرأة العزيز ليها فقال له يوسف
شأنك وشأن صاحبة الأنواء أعجب وروى عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول انطلق ثلاثة نفر من كان قبلكم حتى أوهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من
الجبل فسدت عليهم الفارق فقالوا أنه لا ينضم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى يصالح أعمالكم
فقال رجل منهم اللهم انك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أعنف قلهم أهلا ولا مالا
فأتى بي طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فغلبت لهما غيرة فوجدتهما نائمين ففكرت
أن أعنف قلهم أهلا ولا فلبثت والقديح في يدي أنظر استيقظا فلما حتى طلع النجور والصبيبة
يتضاغون حول قدمي فاستيقظا فشر باغبر قلهم اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغوا وجهك ففزع منا
ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفجرت شيئا لا يستطيعون الخروج منه وقال الآخر اللهم انك تعلم
أنه كان لي ابنة عمة من أحب الناس لي ففراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألت بها سنة من
السنين هاتفتي فأعطيتها مائة وعشرين ديناراً على أن تتولي بيتي وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت
عليها قالت آتني الله فلا تقض الخاتم إلا بجهه ففزع من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي من أحب
الناس إلى وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم ان كنت فعلت ما ابتغوا وجهك ففزع عنا ما نحن فيه
فانفجرت الصخرة عنهم فخرانهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث اللهم اني استأجرت أجراً
وأعطيتهم أجورهم غير رجل واحد فأنه ترك الأجر الذي له وذهب ففعلت له أجره حتى كثرت منه
الاموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أعطني أجرى فقلت كل ما ترى من أجرك من الأبل والبقر
والغنم والريق فقال يا عبد الله أتهزأ بي فقلت لا أستهزئ بك فخذها فاستأقها وأخذ كلهم ولم يترك منه
شيئاً اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغوا وجهك ففزع عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة فخرجوا أعشرون
فهذا فضل من تمكن من قضاء هذه الشهوات ففزع وقرب منه من تمكن من قضاء شهوات العين
فان العين مبدأ الزنا فحفظها منهم وهو عسر من حيث أنه قد يستهان به ولا يهضم الخوف منه
والآفات كلها منه تنشأ والنظرة الأولى إذا لم تقصد لا تؤاخذها والمعادة يؤاخذها قال صلى الله عليه
وسلم لك الأولى وعليك الثانية أي النظرة وقال العلاء بن زياد لا تتبع بصرك رذلة المرأة فان النظر
يزرع في القلب شهوة وقلما يتجاوز الإنسان في تردادها عن وقوع البصر على النساء والصبيان ففهمنا خايل
إليه الحسن تقاضى الطبع للمعادة وعنده ينبغي أن يقرر في نفسه أن هذه المعادة عين الجهل
فأنه ان حق النظر فاستحسن نارت الشهوة وعجز عن الوصول فلا يحصل إلا البصر وان استبقي
لم يلدن وتأملاً أنه قصد الانداز قصد فعل ما آله فلا يتخلف في كلتي حالته من معصية ومن تألم وذن

تخسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات فان أخطأت عينه وحفظ
الفرج مع التمكن فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق فقد روى عن أبي بكر بن عبد الله المزني
أن قصبا أولي بجارية لبعض جيرانه فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قرية أخرى فبقي بها راودها عن
نفسها فقالت له لا تفعل لأننا أشد حياء منك لي ولكني أخاف الله قال فانت تخافينه وأنا لا أخافه
فارجع ثائبا فأصابه العطش حتى كاد يموت فآذاه رسول لبعض أنبياء بني اسرائيل فساء له فقال
مالك قال العطش قال تعال حتى ندعو الله بأن تظلمنا سحابة حتى ندخل القرية قال ما لي من عمل صالح
فأدعوا فادع أنت قال أنا أدعو وأنت على دعائي فدعا الرسول وأمن هو فأظلمت سحابة حتى
انتهى إلى القرية فأخذ القصاب إلى مكانه فالت السحابة معه فقال له الرسول زعمت أن ليس لك
عمل صالح وأنا الذي دعوت وأنت الذي أمنت فأظلمت سحابة ثم تبعك لتخبرني بأمرك فأخبره فقال
الرسول إن الثابت عند الله تعالى بمكان ليس أحد من الناس بمكانه * وعن أحمد بن سعيد العابد
عن أبيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعب ملازم للمسجد الجامع لا يكاد يفارقه وكان حسن الوجه
حسن القامة حسن السمعت فتطرت إليه امرأة ذات جمال وعقل فشفت به وطال عليها ذلك فلما
كان ذات يوم وقت له على الطريق وهو يريد المسجد فقالت له يا فتى أسمع مني كأتك بها ثم
أعمل ما شئت ففسي ولم يكلمها ثم وقت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يا فتى أسمع
مني كأتك بها فاطرق مليا وقال لها هذا موقف تهمة وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعا
فقالت له والله ما وقت موقف هذا جهالة مني بأمرك ولكن معاذ الله أن تشؤف العباد إلى مثل
هذا مني والذي حملني على أن لقنك في مثل هذا الأمر بنفسى لمعرفتي أن القليل من هذا عند
الناس كثير وأنت معاشر العباد على مثال القوارير أدنى شيء يصيبها وجلة ما أقول لك أن جوارحها كلها
مشغولة بك فإله الشقي أمرى وأمرتك قال ففسي الشاب إلى منزله وأراد أن يصل فلم يعقل كيف
يصل فأتى فأتى طاسا وكتب كتابا ثم خرج من منزله وإذا بالمرأة واقفة في موضعها فالتى الكتاب إليها
ورجع إلى منزله وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعلمى أيها المرأة أن الله ضر وجل إذا صعد العبد سلم
فأذا عاد إلى المصيبة مرة أخرى ستره فإذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق
منها السموات والأرض والجبيل والشعر والدواب فن ذابطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلا فاني
أذكرك يوما تكون السماء فيه كالمهل وتصير الجبال كالعهن وتجتو الأسم لصولة الجبار العظيم واني
والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف بأصلاح غيري وان كان ما ذكرت حقا فاني أدلك على
طبيب هدى يداوى الكلوم المرضية والاعوجاج المرصضة ذلك الله رب العالمين فأقصديه بصدق
المسألة فاني مشغول عنك بقوله تعالى وأندره يوم الآفة إذا القلوب لدى الحناجر كطينين ما لظالمين
من حميم ولا شفيع يطاع بسلام خائنة الاعين وماتحتي الصدور فاني المهرب من هذه الآية ثم جاءت
بعد ذلك بأيام فوقفت له على الطريق فلما رآها من بعيد أراد أن الجوع لئلا يركبها فأتته فقالت يا فتى
لا ترجع فلا كان الملتقى بعده هذا اليوم أبدا الا غدا بين يدي الله تعالى ثم بكى بكاء شديدا وقالت
أسأل الله الذي بيده مفتاح قلبك أن يسهل ما قد صسر من أمرك ثم أتته فبقيت وقالت آمن على
بموضة أجمعها عنك وأوصني بوصية أعمل عليها فقال لها وأصيك بصفة نفسك من نفسك وأذكرك
قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويصلح ما جرحتم بالنهار قال فأتته وبكت بكاء شديدا أشد
من بكائها الأول ثم أتته آفاقا ولم تزل معها وأخذت في العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كذا فكان
الغنى يذكرها بعد موتها ثم يسبح فيقال له بمكثوك وأنت قد أياستهم من نفسك فيقول ابني قد دبحت

طعمها في أول أمرها وجعلت قطيعتها ذخيرة في عند الله تعالى فأنا أستحي منه أن أسترد ذخيرة
أذخرها عنده تعالى • تم كذب كسر الشهوتين بحمد الله تعالى وكرمه يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب
آفات اللسان والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وعلى كل عبد
مصطفى من أهل الأرض والسماء وسلم تسليما كثيرا
﴿ كتاب آفات اللسان وهو الكتاب الرابع من ربيع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي أحسن خلق الانسان وعذله وألمه نور الايمان قرينه به وجهه وعله البيان فقد مه به
وقضه وافاض على قلبه خزائن العلوم فأكله ثم أرسل عليه ستر من رحمته وأسبله ثم أمده
بلسان يترجم به محاوره القلب وعقله ويكشف عنه ستره الذي أرسله واطلق بالحق مقوله وأفصح
بالشكر عما أولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن
محمد عبده ورسوله الذي أكرمه وبجله وشبهه الذي أرسله بكتاب أنزل واسمى فضله وبين سبله صلى
الله عليه وعلى آله واصحابه ومن قبله ما كبر الله عبده وهله (أما بعد) فإن اللسان من نعم الله العظيمة
ولطائف صنعه القربة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه اذ لا يستبين الكفر والايان بالاشهاد
اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان ثم انه مامن موجود ومعدوم خالق ومخلوق متقبل أو معلوم
منظنون أو موهوم الا واللسان يتناول ويتعرض له بآيات أو نفي فان كل ما يتناول العلم يعرب عنه
اللسان اما يبحر أو باطل ولا شيء الا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في سائر الاعضاء فان العين
لا تصل الى غير الالوان والصور والآذان لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام
وكذا سائر الاعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرذ ولا لجلاله منتهى وحده له في الخبير بحال
رحب وله في الشر ذليل مصعب فمن أطلق عنية اللسان وأهمله مرعى العنان سلك به الشيطان في كل
ميدان وسافه الى شفا جرف هار الى أن يضطره الى البوار ولا يترك الناس في النار على مناخرهم
الاحصاء ألستهم ولا ينصرون شر اللسان الا من قيده بلام الشرع فلا يطلعه الا فيما ينفع في الدنيا
والآخرة ويكفه عن كل ما يبخس غايلته في عاجله وآجله وعلم ما يجد فيه اطلاق اللسان أو يذم غامض
عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب
في اطلاقه ولا مؤنة في تحريره وقد نساها الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده
وحبائله وانه أعظم آفة الشيطان في استغواء الانسان وشحن بتوفيق الله وحسن تلبه به تفصل بجامع
آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحجودها واسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز عنها
ونورد ما ورد من الاخبار والآثار في ذمها نذكر أو لا فضل الصمت ونرد على كراهة الكلام فيها
لا يعني ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض في الباطل ثم آفة الظلراء والجدال ثم آفة الخصومة ثم آفة
التعريف في الكلام بالتشويق وكلف السمع والنصاحه والصنم فيه وغير ذلك ما جرت به عادة
المفاسحين المذيعين الخطابة ثم آفة الفحش والسب وبلاء اللسان ثم آفة اللعن اما حيوان أو جماد
أو انسان ثم آفة القنأ بالشعر وقذ كراهة في كذب السماع ما يجرم من الفناء وما يجل • فلا نعيده
ثم آفة المزاح ثم آفة المضرب والاسهز له ثم آفة افشاء السر ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة الكذب
في القول واليمين ثم بيان التعارض في الكذب ثم آفة القبية ثم آفة النعمة ثم آفة تذي اللسانين
الذي يتردد بين التعاديين فيكلم كل واحد بكلام يوافقه ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقائق
الخطأ في هوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالخصوصاته ويرتبط باصول الدين ثم آفة سؤال العوام

عن صفات الله عز وجل وعن كلامه وعن الحروف أي قديمة أو محدثة وهي آخر الآفات وما يتعلق
بذلك وحملها عشرون آفة فترسل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه

بيان عظيم خطر اللسان وقضية الصمت

اعلم أن خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره إلا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه
قال صلى الله عليه وسلم من صمت نجوا وقال عليه السلام الصمت حكم وقليل فاعله أي حكمة وخزم
وروى عبد الله بن سفيان عن أبيه قال قلت يا رسول الله أخبرني عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه
أحد أبدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قال قلت فأتاني فأوماً بيده إلى لسانه وقال عقبة بن عامر
قلت يا رسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال
سهل بن سعد الباعدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يتكلم في بيابن الحية ورجليه
أنكفله لها الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من وفي شرفه ونذبه وقلقه فقد وفي الشر كله القريب
هو البطن والغلب الفرج والقليل اللسان فهذه الشهوات الثلاث هابها لك أكثر الخلق ولذلك
اشتهت لها بذكر آفات اللسان لما فرض من ذكر آفة الشهوات البطن والفرج وقد سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن أكبر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكبر
ما يدخل النار فقال الأجوفان القم والفرج فيصمّل أن يكون المراد بالقم آفات اللسان لأنه محله
ويجمل أن يكون المراد به البطن لأنه منفذ فقد قال معاذ بن جبل قلت يا رسول الله أنزأ أحدنا بقول
فقال تكلمك أمتك يا ابن جبل وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم وقال
عبد الله التقي قلت يا رسول الله حدثني بأمر اعتصم به فقال قل ربني الله ثم استقم قلت يا رسول الله
ما أخوف ما تخاف عليّ فأخذ بلسانه وقال هذا وروى أن معاذ قال يا رسول الله أي الأعمال أفضل
فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه أصبعه وقال أنس بن مالك قال صلى الله
عليه وسلم لا يستقيم إيمان الصدق حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة
رجل لا يأمن جاره بواقعه وقال صلى الله عليه وسلم من سرّه أن يسلم فليزم الصمت وعن سعد بن
جبير مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها قد كر
اللسان أي تقول اتق الله فينا فانك إن استقم استقمنا وإن أعوجت أعوجنا وروى أن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه رأى أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو يمد لسانه بيده فقال له ما تصنع
يا خليفة رسول الله قال هذا أوردني المواردان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء من
الجنة إلا يشكو إلى الله اللسان على حديثه وعن ابن مسعود أنه كان على الصفايلي ويقول يا لسان
قل خيراً تهتم وأسكت عن شرّك من قبل أن تدم فقل له يا أبا عبد الرحمن أهدأ شيء قوله أو شيء
سمعتة فقال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه وقال
ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاد الله
عذابه ومن اعتذر إلى الله قبل الله فخره وروى أن معاذ بن جبل قال يا رسول الله أوصني قال أصب
الله كأنك نراه وعبد نفسك في الموتى وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله وأجاريده
إلى لسانه وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأمر العادة
وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فقلل خيراً أو ليسكت وقال الحسن ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال رحم الله عبداً أتكمم ففتم أو سكت فسلم وقيل لعيسى عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة

قال لا تطعوا ابدا قالوا الاستطيع ذلك فقال فلا تطعوا الا بغيره وقال سليمان بن داود عليه السلام ان كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب عن البراء بن عازب قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلي على عمل يدخلني الجنة قال اطعم الجائع واسق الظمآن وامر بالمعروف وامن المنكر فان لم تطق فكف لسانك الا من خير وقال صلى الله عليه وسلم ان كل من اخزن لسانك الا من خيرا فانك بذلك قلب الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عند لسان كل قائل فليقل الله امره ولم يقل وقال عليه السلام اذ ارايت المؤمن صموتا وقورا فادبر فانه فانه بقل الحكمة وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ثلاثة غام وسالم وشاحب فالغام الذي يذرك الله تعالى والسالم الساك والساحب الذي يخوض في الباطل وقال عليه السلام ان لسان المؤمن وراء قلبه فاذا اراد ان يتكلم بشئ عجب به قبله ثم امضاه بلسانه وان لسان المنافق امام قلبه فانه لم يشئ امضاه بلسانه ولم يتدبره قبله وقال عيسى عليه السلام العادة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت وخز في القرار من الناس وقال نيسابن صلى الله عليه وسلم من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثر ذنبه ومن كثر ذنبه كانت النار اولى به (الاثار) كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه من الكلام وكان يشر الى لسانه ويقول هذا الذي اوردني الوارد وقال عبد الله بن مسعود ان الله الذي لا اله الا هو مائتي اوجح الى طول سخن من لسان وقال طاوس لسانى سبع ان ارسلته اكلني وقال وهب بن منبه في حكمة اداود حق على العاقل ان يكون عارفا زمانه حافظا لسانه مقبلا على شانه وقال الحسن ماعقل دينه من لم يحفظ لسانه وقال الاوزاعي كتب النبي اعراب بن عبد العزيز رحمه الله ابا عبد فان من اكثر ذكر الموت رضى عن الدنيا باليسير ومن عد كلامه من علمه قل كلامه الا فيما يهيم وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والفهم من صاحبه قال محمد بن واسع لما كان في دينار ايا يحيى حفظ لسان اشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم وقال بنو نسر بن عبيد عامن الناس احديكون منه لسانه على مال الارأيت صلاح ذلك في سائر علمه وقال الحسن تكلم قوم عند معاوية رحمه الله والاحنف بن قيس ساكت فقال له مالك ايا يا بحر لا تتكلم فقال له اخشى الله ان كذبت واخشاك ان صدقت وقال ابو بكر ابن عياش اجتمع أربعة ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقصر فقال أحدهم أنا أندم على ما قلت ولا أندم على ما لم أقل وقال الآخر افي اذاتك تكلمت بكلمة ملكتي ولم املكها واذا لم اتكلم بها ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجب لتكلم ان رجعت عليه كتمت صرته وان لم ترجع لم تنصه وقال الرابع انا على رذم اقل أقدر مني على رذم اقلت وقيل أقام التصور من العتر لم يتكلم بكلمة بعد الغشاء الاخرة أربعين سنة قبل ماتكم الربيع بن خثيم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان اذا أصبح وضد دافوقا ساقا فكل ماتكم به كسبه ثم يحاسب نفسه عند المسافان قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ماسبه فاعلم ان سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والغبية والتمية والرياء والتفاخر والتعش والراوية كية النفس والخوض في الباطل والخصومة والقضول والتعريف والزيادة والتقصان وإيذاء الخلق وهذه العورات فهذه آفات كثيرة وهي سببا قتلى اللسان لا تنقل عليه ولها حلالة وفي القلب وعلم ابواعث من الطبع ومن الشيطان واخفاض فيها فلها بقدر ان يحسك اللسان فخطبه بما يجب وبكفه عما لا يجب فان ذلك من غوامض العلم كما سأتى تفصيله في الخوض خطره وفي الصمت سلامة فلذلك غلظت فحشيتها فهاهنا ما فيه من جمع المعهود والموقور والفراغ والتفكير والذكور والعبادة والسلامة من تعات القبول في المنازعة

حسابه في الآخرة فقد قال تعالى ما يلقظ من قول الله رقيب عتيد ومالك على فضل لزوم الصمت
أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعة
وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة . أما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه
ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان
وهو عين الخسران فلا يبقى إلا القسم الرابع قد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربع وهذا الربع فيه
خطر إذ يخرج بمافيه أنهم من دقائق الربا والصنع والفسية وتركه النفس وفضول الكلام امتزاجا
يخفي دركه فيصنعون الإنسان به مخاطرا ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سئذ كره علم قطعا
أن ما ذكره صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال من صمت شجا فلقد أوتي والله جواهر
الحكم قطعا وجوامع الكلم ولا يعرف ما كتبت أحاد كلماته من بحار المعاني إلا خواص العلماء وفيما
سئذ كره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يترك حقيقة إن شاء الله تعالى ونحن الآن
نصعد آفات اللسان ونبتدئ بأخفها ونترقى إلى الأغلط قليلا قليلا ونؤخر الكلام في الفسية والتمجية
والكذب فإن التطرف فيها أطول وهي عشرون آفة فاعلم ذلك ترشد بعون الله تعالى

﴿ الآفة الأولى الكلام فيما لا ينبغي ﴾

اعلم أن أحسن أحوالنا أن نخطئ ألفاظك من جميع الآفات التي ذكرناها من الفسية والتمجية
والكذب والمراء والجدال وغيرها وتكلم فيما هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم أصلا إنك
تكلم بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك إليه فأنك مضيع به زمانك ومخاسب على جمل لسانك
وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير لأنك لو صرفت زمان الكلام إلى الفكر ربما كان ينفع لك
من نجات رحمة الله عند الفكر ما ينظم جدواه ولو هلك الله سبحانه وذكركه وسعته لكان خيرا لك
فمنكم من كلفه ينيها فصر في الجنة قوم قدر على أن يأخذ كثر من السكوت فإخذكم مائة مرة لا تنتفع
بها كان خاسرا خسرنا أمينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا يضره فانه وإن لم يأثم
فقد خسر حيث فاته الرج العظيم بذكر الله تعالى فإن المؤمن لا يكون صمته إلا فكريا ونظروا لصبرة
ونظرة الادرأه كذا قال النبي صلى الله عليه وسلم بل رأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها إلى
ما لا يضره ولم يتخيرها أو باقى الآخرة فقد ضيع رأس ماله ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من
حسن إسلام المرء تركه ما لا يضره بل ورد ما هو أشد من هذا قال أنس استشهد جلام منا يوم أحد
فوجدنا على بطنه حزاما من الجوع فسبغت أمة من وجهه التراب وقالت هنيئا لك الجنة يا بني
فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يضره وعنم ما لا يضره وفي حديث آخر أن
النبي صلى الله عليه وسلم قد كفا سأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى أتاه فلما دخل عليه
قال أبشرا يا كعب فقالت أمة هنيئا لك الجنة يا كعب فقال صلى الله عليه وسلم من هذه الملائكة على
الله قال هي أمي يا رسول الله قال وما يدريك يا أم كعب لعلى كعب قال ما لا يضره أو منع ما لا يضره
ومعناه أنه انتمت بها الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يضره حوسب عليه وإن كان كلامه مباحا
فلا تسميها الجنة مع المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن
سلام فقام إليه الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرهم بذلك وقالوا أخبرنا بأو أفنى
عمل في نفسك ترجوه فقال أنى للضعيف وإن أفنى ما أرجوه الله سلامة الصدر وترك ما لا ينبغي
وقال أبو ذر رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا اعطيك بعمل خفيف على البدن ثقيل في البزاة

قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وتزك ما لا ينسبك وقال بما جد سمعت ابن عباس يقول خمس لحق أحب إلى من الداهم الموقوفة لا تتكلم فيما لا ينسبك فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما ينسبك حتى تجد له موضعاً فانه رب متكلم في أمر ينسبه قد وضعه في غير موضعه ففتت ولا تخار حليماً ولا إسقيها فان الحليم قليلك والسقيبه يؤذيك واذا كراحتك اذا غاب عنك بما تحب أن يذكره به واعفه بما تحب أن ينسبك منه وعامل أخاك بما تحب أن يهاملك به وعامل عمل رجل يعلم انه مجازي بالاحسان ما خوذ بالاجترام وقيل لقمان الحكيم ما حكمتك قال لا أسأل عما حكيت ولا أنكف ما لا يعنيني وقال موزق الجلي أمر أنافي طلبه منذ عشرين سنة لم أقدرو عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال السكوت مما لا يعنيني وقال عمر رضي الله عنه لا تتعرض لما لا ينسبك واعتزل عدوك واحذر صدقك من القوم الا الامين ولا امين الا من خشى الله تعالى ولا تصحب الفاجر فتعلم من جفوره ولا تطلع على سره واستشرف في أمرك الذين يخشون الله تعالى وحذا الكلام فيما لا ينسبك أن تتكلم بكلام لو سكت عنك لم تأثم ولم تستضر به في حال ولا مال مثاله أن تجلس مع قوم فتذكر لهم أسفارهم وما رأيت فيها من جبال وانهار ومواقع لك من الوقائع وما استحسنته من الاطعمة والشباب وما تحببت عنه من مشايخ السلاوة وقائعهم فهذه امور لو سكت عنهم تأثم ولم تستضر واذا بلغت في الجهاد حتى لم يترج بحكمتك زيادة ولا نقصان ولا تركه نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة ولا اعتبار لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى فانت مع ذلك مك مضيع زمانك وأنت تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جعلها أن تسأل غيرك عما لا ينسبك فانت بالسؤال مضيع وقتك وقد ألجأت صاحك أضياباً للجواب الى التضييع هذا اذا كان الشيء مما لا ينسبك الى السؤال عنه آتفوا كثر الاسئلة فيها آفات فانك تسأل غيرك عن عبادته مثلاً فتقول له هل أنت صائم قال نعم كان من مظهر العبادته فيدخل عليه الرياء وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادته السر تفصل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان كاذباً وان سكت كان مستحقراً وان تأذبت به وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسؤال اما الرياء أو الكذب أو الاستغفار أو اللعب في حيلة الدفع وكذلك سؤالك من سائر عباداته وكذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويسخى منه وسؤالك عما حدث به غيرك فتقول له ماذا تقول وفي أنت وكذلك ترى انساناً في الطريق فتقول من أين فر بما يمنعه مانع من ذكره فان ذكره تأذى به واستخفى وان لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وهكذا تسأل عن مسألة لا حاجة بك اليها والمستول ربما لم يسمع نفسه بأن يقول لا أدري فيصيب عن غير بصيرة ولست أعني بالتكلم فيما لا يعنيني هذه الاجناس فان هذا ينسبك اليها تأثم وأضرر وانما مثال ما لا يعنيني ما روى أن لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعا ولم يكن رآه قبل ذلك اليوم فجعل يتعجب مما رأى فاراد أن يسأله عن ذلك ففتته حكته فامسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ قام داود وليسه ثم قال نعم المدرع الحرب فقال لقمان الصمت حكيم وقليل فاعله اى حصل العلم به من غير سؤال فاستشقى عن السؤال وقيل انه كان يتردد الى المسنة وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال فهذا او امثاله من الاسئلة اذ لم يكن فيه ضرر وهناك استروا وتروا في رياء وكذب فهو مما لا يعنيني وتركه من حسن الاسلام فهذا حذره وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به اليه أو الماسطة بالكلام على سبيل التودد أو ترجية الاوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها أو علاج ذلك كله أن يعلم أن الموت بين يديه وأنه مسئول عن كل كل فوان أنفاسه رأس ماله وان لسانه شبكة قدرو على أن يقتنص بها الخرز والعين

فأما ذلك وتضييعه خساراً مبین هذا علاجه من حيث العلم وأما من حيث العمل فالعزلة أو أن يضع حصاة في فيه وأن يلزم نفسه السكوت بما عن بعض ما يعبه حتى يعتاد اللسان تركه ما لا يعبه وضبط اللسان في هذا على غير المعتاد شديد جداً

• الآفة الثانية فضول الكلام •

وهو إضام مزموم وهذا تناول الخوض فيما لا ينبغي والزيادة فيما ينبغي على قدر الحاجة فإن من يعبه أمر يمكنه أن يدركه بكلام مختصر ويمكنه أن يحسمه ويقرره ويكرره ومهما تأذى مقصوده بكلمة واحدة فذلك كآتين فالثانية فضول أي فضل عن الحاجة وهو إضام مزموم لما سبق وإن لم يكن فيه اثم ولا ضرر قال عطاء بن أبي رباح إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يمدون فضول الكلام ماعداً كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمر ما يعرف أو أنها من متكررات أن تنطق بمحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها أن تتكبرون أن عليكم حافظين كراما كاتبين عن البين وعن الشمال فعيد ما لفظ من قول الأديبه رقيب فتبدأ ما يستغنى أحدكم إذا نشرت صحيفة التي أملاها صدرها كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة قال إن الرجل يكلمني بالكلام لجوابه أشهى إلى من الماء البارد إلى الطمان فأترك جوابه خفية أن يكون فضولاً وقال مطرف لمعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب والجار اللهم آخروهما وأما شبهة ذلك وأعلم أن فضول الكلام لا ينصرف بل المهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله عز وجل لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأفق الفضل من ماله فأظن كيف قلب الناس الأمر في ذلك فأمسكوا الفضل المأل وأطلقوا الفضل للسان وعن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا أنت والماء وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلنا وأنت أطولنا علينا طولاً وأنت ألحننا الفتراء وأنت أفضلنا فقال قولوا قولكم ولا يشهروكم الشيطان إشارة إلى أن اللسان إذا أطلق بالثناء ولوبا بالصدق فيحشى أن يستهويه الشيطان إلى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود أنذركم فضول كلامكم حسب أمرئ من الكلام ما يلعب به حاجته وقال مجاهد إن الكلام ليكتب حتى إن الرجل ليكتب ابنه فيقول ابتاع لك كذا وكذا فيكتب كذا أبا وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة فوكل ما ملكتان ريمان بكتمان أعمالك فأمل ما شئت وأكثراً وأقل وروى أن سليمان عليه السلام بعث بعض غفاري بموت نفرأ ينظرون ما يقول ويخبرونه فأخبروه بأنه مر في السوق فرفع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس وهزأ به فسأله سليمان من ذلك فقال بعثت من الملائكة على رؤس الناس ما أسرع ما يكتبون ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يملون وقال إبراهيم التيمي إذا أراد المؤمن أن يتكلم فليقل إن كان له تكلم ولا أمسك والفاجر إنما لسانه رسلارسلار وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثر ذنبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال له صلى الله عليه وسلم كم دون لسانك من حجاب فقال شقائي وإسنائي قال أما كان لك في ذلك ما يرده كلامك وفي رواية أنه قال ذلك في رجل أتى عليه فاستمر في الكلام ثم قال ما أوتي رجل شر من فضل لسانه وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه أنه لم ينفعني من كثير من الكلام خوف المباهاة وقال بعض الحكماء إذا كان الرجل في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وإن كان كافاً أعجبه السكوت فليتكلم وقال يزيد بن أبي حبيب من تشبه العالم أن يكون الكلام أحب إليه

من الاستماع فان وجد من يكفيه فان في الاستماع سلامة وفي الكلام رعين وزيادة وقصان
وقال ابن عمران أحق ما طهر الرجل لسانه ورأى أبو الدرداء أمر أسليطة فقال لو كانت هذه
خرسة كان خير الحاقول ابراهيم لما الناس خلتنا فضول المال فضول الكلام فهذه مذمة
فضول الكلام وكثرة وسبب الباطل عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني

﴿الآفة الثالثة الخوض في الباطل﴾

وهو الكلام في المعاصي ككتابة أحوال الناس ومجالس المنور ومقامات الفساق وتسم الأغنياء وتبشير
الملوك ومراسمهم المذمومة وأحوالهم المكروهة فان كل ذلك ما لا يحل الخوض فيه وهو حرام وأما
الكلام فيما لا يعني أراك أكثر مما يعني فهو ترك الأولى والآخر في فهمه من بترك الكلام فيما لا يعني
يقوم من عليه الخوض في الباطل وأكثر الناس يجالسون للتفرج بالحدث ولا يدركون أنهم التفتك
بأعراض الناس أو الخوض في الباطل وأنواع الباطل لا يمكن حصرها أكثرها وغنىها فذلك لا يخلص
منها إلا بالانصراف على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع ثلاث هلك بها صاحبها
وهو يستحقها فقد قال بلال بن الحارث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم
بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه الى يوم القيامة
وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه الى
يوم القيامة وكان علقه يقول كم من كلام مغضب حديث بلال بن الحارث وقال النبي صلى الله عليه
وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الترابي وقال أبو هريرة ان
الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بال يهوى بها في جهنم وان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها
بالا يرفع الله بها في أعلى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم
خوضا في الباطل واليه الإشارة بقوله تعالى وكأخوض مع الخائضين ب قوله تعالى فلا تقعدوا معهم
حتى يخوضوا في غيره انكم اقامتهم وقال سلمان أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم
كلاما في معصية الله وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول لهم ترضون ان
بعض ما تقولون شر من الحديث فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء مسألي من الغيبة والنهيمة
والتمسح وغيره بل هو الخوض في ذر محظورات سبقت وجودها وتقدر التوصل اليها من غير حاجة
ذنية الى ذكرها ولا يدخل فيه أيضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى من
قتال الخصامية على وجه يومه الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض في الباطل نسأل
الله بحسن العون لطيفة وكرمة

❖ الآفة الرابعة المرام والجدال ❖

وذلك منه^١ عنه قال صلى الله عليه وسلم لا تمارأوا جارك ولا تنازعوه ولا تعد معو عبدًا تقتله وقال عليه السلام ذروا المرءة فانها لاتفهم حكمكم ولا اوقن قنيتكم وقال صلى الله عليه وسلم ترك المرءة وهو حي بنى الجنة في أعلى الجنة ومن ترك المرءة وهو ميت بنى الجنة في رضاء الجنة وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما عهد الى ربي ونهاي فيه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال وقال ايضا ما نزل قوم بعد ان هداهم الله الا وتوا الجدل وقال ايضا لا يستكمل مبدح حقيقة الايمان حتى يدع المرءة ان كان محصا وقال ايضا ناست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان بالصيام في الصنف وضرب أعداء الله بالسيف وتعبيل الصلاة في اليوم المبرح والبرص على المصلين واسباغ الوضوء على المكاره وترك المرءة هو جباة وقال الزهرا لانه لا يتجادل الناس

بالقرآن فانك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة وقال حمزة بن عبد العزيز راحة الله عليه من جعل دينه عرضة للتصومات أكثر التقل وقال مسلم بن يسار يا أكرم المرءة فانه ساعة جهل العالم وعندها ينتهي الشيطان زلتوه وقبل ماضيل قوم بعد هذا هم اقبالا بالجدال وقال مالك بن أنس راحة الله عليه ليس هذا الجدال من الدين في شيء وقال أيضا المرءة يفتي القلوب ويورث الصغائر وقال لقمان لانه يا بني لا تجادل العلماء فبفتوك وقال بلال بن سعد اذ رأيت الرجل لجوجا ماري بما يجبرأ به فقد تمت خسارته وقال سفيان لواله لفت أخى في رماية فقال حلوة وقلت حامضة لسعي في إلى السلطان وقال أيضا صاف من شئت ثم أغضبه بالمرءة فلهو منك بدهية تمنعك العيش وقال ابن أبي لبيلى لا أمارى صاحبي فأما أن أكذبه وأما أن أغضبه وقال أبو الدرداء كفى لك انما أن لا تزال ماريأ وقال صلى الله عليه وسلم تكفير كل جاهد كصنآن وقال عمر رضى الله عنه لا تتعلم العلم لثلاث ولا تترك لثلاث لا تشعل لتبارى به ولا تباهى به ولا تترأى به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضى بالجهل منه وقال عيسى عليه السلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاسى الرجال سقطت مروءته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقيل لمجون بن مهران مالك لا تترك أخاك من قلى قال لا فى لأشاريه ولا أماريه وما ورد في ذم المرءة والجدال أكثر من أن يحصى وحد المرءة هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه أما فى القنط وأما فى المعنى وأما فى قصد التكبير وترك المرءة بترك الانكار والاعتراض فكل كلام سمعته فان كان حقا فصديق به وان كان باطلا أو كذبا ولم يكن متعلقا بأمور الدين فاسكت عنه والطعن فى كلام الغير تارة يكون فى لفظه باظهار خلل فيه من جهة النعوى أو من جهة اللغة أو من جهة العربية أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقدير أو تأخير وذلك يكون تارة من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكثيما سكان فلاوجه لأظهار خلله وأما فى المعنى فأن يقول ليس كقول وقد أخطأت فيه من وجه كذا وكذا أو أفاق قصده قتل أن يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وانما أنت فيه صاحب عرض وما يجرى به وهذا الجنس ان جرى فى مسألة عليه ربحا خص باسم الجدال وهو أيضا مذموم بل الواجب السكوت أو السؤال فى معرض الاستفادة لا على وجه العناد والنكادة والتلطف فى التعريف لا فى معرض الطعن وأما المجادلة فعبارة عن قصد الجاهم الغير وتفضيره وتقصيه بالقدح فى كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه وآية ذلك أن يكون تنبيه الحق من جهة أخرى مكروها ضد المجادل بحيث أن يكون هو المظهر له خطأ ليس به فضل نفسه ونقص صاحبه ولا نخاة من هذا إلا بالسكوت عن كل ما لا يأنم به لو سكت عنه وأما الباطل على هذا فهو الترفع باظهار العلم والفضل والتسليم على الغير باظهار نقصه وهما شبهتان باطنان للنفس فترتان أما اظهار الفضل فهو من قبيل تركيها لنفس وهي من مقتضى مافى الصدم من طغيان دعوى العلو والكبر ياوهى من صفات الربوبية وأما تنقص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعة فانه يقتضى أن يمزق ضرره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهذا ان صفتان مذمومتان مهيكلتان وانما قوتها المرءة والجدال فالمرءة والجدال معقول لهذا الصفات المهلكة وهذا بخلاف زحمتا الكرامة بل هو معصية مهما حصل فيه ايداء الغير ولا تنفك الممارسة عن الايداء وتبيح الغضب وحمل المعترض عليه على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل وقدح فى قائله بكل ما يتصور له فيشور الثجار بين المتبارين كما يشور المراهبين الكلبين بقصد كل واحد منهما أن بعض صاحبه بما هو أعظم نكابة وأقوى فى إغامة وإلجامه وأما علاجه فهو بأن يكسر الكبر الباعث لله على اظهار فضله والسبعة

الباينة له على تنقيص غيره كسبأ في ذلك في كتاب ذم السكر والعجب وكتاب ذم الغضب فان علاج كل صفة بما طاعة سبها وسبب المراء والجدال ما ذكرناه ثم المواقفة عليه تجهل عادة وطبعاً حتى يتمكن من النفس ويصبر الصبر عنه روى أن أبا خنيفة رحمه الله قال لما دود الطائي لم آتت الزواراء قال لأخاهد نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واستمع ما يقال ولا تشكك قال فعلت ذلك فآرايت مجاهدة أشد صلى منها هو كما قال لأن من سمع الخطأ من غيره وهو قادر على كشفه تصبر عليه الصبر عند ذلك جدوا لذلك قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محقق بنى الله له بيتاً في الجنة أشد ذلك على النفس وأكثر ما غلب ذلك في المذهب والقائد فان المراء طبع فأذا طعن أن له عليه ثواباً اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع عليه وذلك خطأ محض بل ينبغي للإنسان أن يكفلسانه من أهل القبلة وإذا رأى مبتدعاً تأنط في نفسه في خلوة لا بطريق الجدال فان الجدال يجبل اليأس منها حيلة منه في التلبس وإن ذلك صنعة بقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثاله أو أرادوا فاستمر البدعة في قلبه بالجدل وتناكد فاذ اعرف أن النصيح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله من كفلسانه من أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه وقال هشام بن عروة كان عليه السلام يرد قوله هذا سبع مرات وكل من اعتاد المجادلة مدة أو أتى الناس عليه ووجد لنفسه بسبه عز أو قبولاً قويت فيه هذه المهلكات ولا يستطيع عنها زوايا اجتمع عليه سلطان الغضب والكبر والرياء موجب الجاه والتعزب الفضل وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف يحجموها

الآفة الخامسة المخصوصة

وهي أيضاً مذمومة وهي وراء الجدال والمراء فالمرأ طعن في كلام الغير بأظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به عرض سوى تحقير الغير وأظهار ضربة الكياسة والجدال عبارة عن أمر من يعلق بأظهار المذهب وتقريرها والمخصوصة لجأج في الكلام ليستوفي به مال أو حق مقصود وذلك نارة تكون ابتداء نارة تكون اعتراضاً والمراء لا يكون إلا باعترض على كلام سبق قد قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبغض الرجال إلى الله إلا التقاضم وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادل في خصومة فغير علم لم يزل في خطئ الله حتى يترج وقال بعضهم أياك والمخصوصة فإنها بحق الدين ويقال ما خاصم ورع قط في الدين وقال ابن قتيبة مررتي بشري بن عبد الله بن أبي بكر فقال ما يملكك ههنا قلت خصومة بني وبين ابن عمي فقال ان لا ييك عندي بدا وإني أريد أن أجزيك بها وإني والله ما رأيت شيئاً أذهب للدين ولا أقصم للرومة ولا أضيع للذة ولا أشغل القلب من المخصوصة قال قتيل لا تصرف فقال لي خصمي مالك قلت لا أخاصمك قال أنتك عرفت أن الحق لي قلت لا ولكن أكرم نفسي عن هذا أقال فاني لا أطلب منك شيئاً هو لك فان قلت فانا كان للإنسان حق فلا يبدله من المخصوصة في طلبه أو في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف قدّم خصومته فأعلم أن هذا المصالح يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل أن يعرف أن الحق في أي جانب هو يتوكل في المخصوصة من أي جانب كان فيخاصم بغير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر البدد في المخصوصة على قصد التسلط وعلى قصد الإيذاء ويتناول الذي يخرج بالمخصوصة كلمات مؤذية ليس يحتاج إليها في نصرته الجدية وأظهار الحق ويتناول الذي يجمله على المخصوصة تحض الغناد لغير الخصم وكسر دمه كسر دمه قد يضر ذلك القدر من المال وفي الناس من يصريح به ويقول أنا قصدت في عناده وكسر عريضة وإنني أخذت منه هذا المال ربحاً رست به في بئر

والأبالي وهذا مقصوده اللدوا لخصومة والباج وهو مذموم جداً أما المظلوم الذي ينصر حجة
بطريق الشرع من غير لد واسراف وزيادة لجأ على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد وإيذاء ففعله
ليس بجرام ولكن الأولى تركه ما وجد له سبباً لأن ضبط اللسان في الخصومة فعلى حد الاعتدال
متعذر والخصومة نوعان الصدر وجميع الغضب وإذا هاج الغضب نسي التنازع فيه وبقى الحق بين
المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمسأة صاحبه ويحزن بمسرتة ويطلق اللسان في عرضه فمن بدأ
بالخصومة فقد تعرض لهذه المخذورات وأقل ما فيه تشويش خاطره حتى أنه في صلاته يشتغل
بحاجة خصمه فلا يلقى الأمر على حد الواجب فالخصومة مبدأ كل شر وكذا المراء والجدال فينبغي
أن لا يفتح باباً بالضرورة وعند الضرورة فينبغي أن يحفظ اللسان والقلب من تبعات الخصومة وذلك
متعذر جداً فمن اقتصر على الواجب في خصومته سلم من الأثم ولا تدم خصومته إلا أنه ان كان
مستقيماً في الخصومة فيما خاص فيه لا تدمه ما يكتفيه فيكون تاركاً للأولى ولا يكون آثمًا من أقل
ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب إذا قل درجات
طيب الكلام اظهار الموافقة ولا خشونة في الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله
أما التحيل وأما تكذيب فإن من جادل غيره أو مراءه أو خاصمه قد جهله أو كذبه فيفوت به طيب
الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم بمكنكم من الجنة طيب الكلام والطعام والطعام وقد قال الله
تعالى وقولوا للناس حسناً وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سلم عليك من خلق الله فأرد عليه
السلام وإن كان يحوسب أن الله تعالى يقول وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها وقال ابن
عباس أيضاً لو قال في غزو خير الردت عليه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن
في الجنة لغرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام والآن
الكلام وروى أن عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال مر بسلام فقيل يا روح الله أقول هذا
خنزير فقال أكره أن أمود لسانى الشر وقال نينا عليه السلام الكلمة الطيبة صدقة وقال اقوا
النار ولو شجرة ثم قال لم تجدوا بكلمة طيبة وقال عمر رضي الله عنه البرئى حين وجه طليق وكلام
لين وقال بعض الحكماء الكلام اللين يصل الضغائن المستكبة في الجوارح وقال بعض الحكماء
كل كلام لا يمسحط ربك إلا إنك ترضى به جليسك فلا تكن به عليه يخلافه لعله يعرضك منه
ثواب الحسين هذا كله في فضل الكلام الطيب وقضاؤه لخصومة والمراء والجدال والباج فإنه
الكلام المستكره المؤذى للقلب النقص لعيش المهيج للغضب المؤثر للصدر نسال الله
حسن التوفيق منه وكرمه

الآفة السادسة

التعرق في الكلام بالتشقق وتكلف المعنى والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات
وما جرت به عادة المتأصحين المتعدين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف المفقوت
الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأتباعي أمتى برأى من التكلف وقال صلى الله عليه وسلم
إن أبغضكم إلى وأبعدكم مني مجلسا الترانرون المتفقون المتشققون في الكلام وقالت فاطمة رضي
الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر أمتي الذين غدوا بالنعيم يكون ألوان الطعام
ويلبسون ألوان الثياب ويشققون في الكلام وقال صلى الله عليه وسلم ألا هلك المتقطعون ثلاث
مرات والنطق هو التفتق والاستقصاء وقال عمر رضي الله عنه إن شفاشك الكلام من شفاشك
الشیطان وجاء عمرو بن سعد بن أبي وقاص إلى أبيه سعد بن مالك حاجته فتكلم بين يديه حاجته بكلام

قال له سعد ما كنت من حاجتك يا بعدنك اليوم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يأتى على الناس زمان تظلون الكلام بالسنتهم كاتخل البقر الصكلا بالسنتها وكأنه انكر عليه
ما قدمه على الكلام من التشب والمقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا ايضا من آفات اللسان
ويدخل فيه كل سبع متكلف وكذلك التفاسيح الخارج عن حد العادة وكذلك التكلف
بالسجع في المحاورات اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني
كف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صباح ولا استهل ومثل ذلك بطل فقال أسعيا كسيع الاعراب
وأنكر ذلك لأن أثر التكلف والتصنع بين عليه بل ينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود
الكلام التعميم لغرض وما وراء ذلك فصنع مذموم ولا يدخل في هذه تحسين ألفاظ الخطابة
والتذكير من غير افراط وافتراق فان المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها
فلا شاقة للفظ تأثر فيه فهو لائق به فأما المحاورات التي تجرى لقضاء الحاجات فلا يلزم السجع
والتشديد والاستغلال به من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الرياء وانها رافضة الفصاحة والتميز
بالراحة وكل ذلك مذموم بكرهه الشرع ويزجر عنه

في الألفاظ السابعة الغش والسبوبة واللباس

وهو مذموم ومنهى عنه ومصدره الخبث والقوم قال صلى الله عليه وسلم يا كم والغش فان الله
نهى لا يحب الغش ولا المتغش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن نسب قتي يدر من
المشركين فقال لا تسبوا هؤلاء فانه لا يختص بهم شيء مما يقولون وتؤذون الاحياء لأن البذاءة تؤم
وقال صلى الله عليه وسلم ليس المؤمن باللعان ولا الفاحش ولا البذي وقال صلى الله عليه
وسلم الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها وقال صلى الله عليه وسلم أربعة يؤذون أهل النار
في النار على ما هم من الذي يسعون بين اللحم والجحم يدعون بالويل والنور رجل يسيل فوه فيها
ودما فيقال له ما بال الابد قد آذانا على ما بنامن الذي يقول ان الابد كان ينظر الى كل كلمة قدعة
خبيثة فيستلذذها كما يستلذذ الثاقل وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة يا عائشة لو كان الغش رجلا
لكان رجل سوء وقال صلى الله عليه وسلم البذاءة والبيان شعبان من شعب النفاق فيصبل أن يراد
بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل أيضا المبالغة في الايضاح حتى ينتهي الى حد التكلف
ويحتمل أيضا البيان في أمور الدين وفي صفات الله تعالى فان القامدك بمجالى اسماع العوام أروى
من المبالغة في بيانه تقيده من غاية البيان فيه شكوك وسوس فاذأ جملت بادر القلوب الى
القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبناء يشبه أن يكون المراد به المجاهرة بما يستحي الانسان
من بيانه فان الأولى في مثله الانحاض والتعافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله لا يحب الفاحش المتغش الصباح في الاسواق وقال جابر بن سمرة كنت جالسا عند النبي
صلى الله عليه وسلم وأني أمانى فقال صلى الله عليه وسلم ان الغش والغش ليس من الاسلام
في شيء وان أحسن الناس اسلا ما أحسنهم اخلاقا وقال ابراهيم بن ميسرة يقال روى بالفاحش
المتغش يوم القيامة في صورة كلب أو في جوف كلب وقال الإحنف بن عيسى ألا أخبركم بأدوا
الداء اللسان البذي والخلق الذي فهذه مذمة الغش فأما حده وحقيقته فهو التعبير عن الأمور
المستعجبة بالعبارة الصريحة وأكثر ذلك يجزى في ألفاظ الوقوع وما يتعلق به فان لاهل الفساد
ضارات صريحة فاحشة يستعملونها وأهل الصلاح يتعاضون عنها بل يكون منها ويدلون عليها
بالرموز فيكونون ما يقرأها ويتعلق بها وقال ابن عباس ان الله يحب كريم يعفو ويكفى بالنس

من الجماع فالسبي والسن والدخول والخبة كآيات عن الواقع وليست بفاحشة وهنالك عبارات فاحشة يستعمل ذكرها أو تستعمل أكثرها في الستم والتعير وهذه العبارات متقاربة في الفحش وبعضها الفحش من بعض وربما اختلف ذلك بعادة البلاد أو ألتها مكرهية وأخرها محظورة وبها مدارجات تزددها وليس يخص هذا الواقع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط أولى من لفظ التغوط وانجلاء وغيرهما فان هذا أيضا ما ينبغي وكل ما ينبغي يستحي منه فلا ينبغي أن يذكر ألقابه الصريحة فانه عيش وكذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في المجرة أو من وراء الستار وقالت أم الأولاد قالت لطفت في هذه الألفاظ محمود والنصر يحذف منها يفضى إلى الفحش وكذلك من به عيوب يستحي منها فلا ينبغي أن يعبر عنها بصريح لفظها كالعرض والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه فالنصر بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان قال العلامة بن هارون كان عمر بن عبد العزيز يتعطف في منطقته فخرج تحت أبطه خراج فأثناه نسأله لئري ما يقول فقلنا ما أن خرج فقال من باطن اليد والباعث على الفحش أما قصد الأذى وأما الأعياد الحاصل من مخالطة الناس أو أهل الخبيث والظوم ومن عادتهم السب وقال امرأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سبني فقال عليك بقوى الله وإن امرؤ عيرك بشئ بعلمه فيك فلا تغيره بشئ تعلمه فيه يكن وبالله عليه وأجره لك ولا تسبني شيئا قال فاسببت شيئا بعده وقال عياض بن حماد قلت يا رسول الله إن الرجل من قومي يسبني وهو دونه هل علي من بأس أن انتصر منه فقال المنسبان شيطانان يتعاونان وبها رجان وقال صلى الله عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وقال صلى الله عليه وسلم المنسبان ما قالوا لئلي البادي منه حتى يعتدي المظلوم وقال صلى الله عليه وسلم ملعون من سب والده وفي رواية من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب أبا الرجل فيسب أخاه

﴿الآفة الثامنة العن﴾

أما الحيوان أو جاد أو إنسان وكل ذلك مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بلعان وقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنوا بلغة الله ولا بنفسه ولا يجهنم وقال حذيفة ما تلعن قوم قط إلا حق عليهم القول وقال عمران بن حصين يبخار رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره إذا أمر أنه من الانصار على ناقة لها فخصرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه وسلم تخذوا ما عليها وأمرها فاتها ملعونة قال فكأنني أنظر إلى تلك الناقة عشي بين الناس لا يتعرض لها أحد وقال أبو الدرداء ما لئن أحد الأرض إلا قالت لعن الله عصاة ناله وقالت عائشة رضي الله عنها سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وهو يلين بعض رقبته فالتفت إليه وقال يا أبا بكر أصدقتين ولعائن كلاروب الكعبة من أين أولانا فاعتق أبو بكر يومئذ رقبته وأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا أعود وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للعائنين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة وقال أنس كان رجل يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال صلى الله عليه وسلم يا عبد الله لا تسرع على بعير ملعون وقال ذلك أنكارا عليه واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى وذلك غير جارٍ إلا على من اتصف بصفة تبعده من الله عز وجل وهو الكفر والظلم بأن يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي أن تتبع فيه لفظ الشرع فان في اللعنة خطرا لأنه حكم على الله عز وجل بأنه قد أبدى ملعون وذلك ضيق لا يطلع عليه غير الله تعالى ولا يطلع

عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أطلع الله عليه والصفات المقضية لعن ثلاثة الكفر
والبدعة والفسق * ولعن في كل واحدة ثلاث مراتب الأولى اللعن بالوصف الأعم كقولك لعنة
الله على الكافرين والمبتدعين والفسقة الثانية اللعن بأوصاف أخص منه كقولك لعنة الله على
اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج والرافض اوعلى الزنادقة والظالمين كلى الربا وكل
ذلك جائز ولكن في لعن أوصاف المبتدعة خطر لا تـ معرفة البدعة غامضة ولم يرد فيه قط مأثور
فينبغي أن يمنع منه العوام لأن ذلك يستدعى المعارضة بمثله ويشيرزاجا بين الناس وفسادا الثالثة
اللعن للشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنة الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع والتفصيل فيه
أن كل شخص ثبتت لعنته شرعا تجاوز لعنته كقولك فرعون لعنة الله أو لوجهل لعنة الله لا نه قد ثبت
أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا أما شخص بعينه في زمانا كقولك زيد لعنة الله وهو
يهودى مثلا فهذا فيه خطر فإنه ربما سلم فيموت مقرا باعذ الله فكيف يحكم بكونه ملعونا فان قلت
يلعن لكونه كافرا في الحال كما يقال للسلح رحمة الله لكونه مسلما في الحال وإن كان يتصور أن يرتد
فاعلم أن معنى قولنا رحمة الله أى ثبتته الله على الاسلام الذى هو سبب الرحمة وعلى الطاعة لا يمكن
أن يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فان هذا سؤال للكفر وهو في نفسه كفر بل الجائز
أن يقال لعنة الله ان مات على الكفر ولا لعنة الله ان مات على الاسلام وذلك ضيق لا يدري والمطلق
متروك بين الجهتين ففيه خطرو وليس في ترك اللعن خطرواذا عرفت هذا في الكفر وهو في زيد الفاسق
أو زيد المبتدع أولى فلعن الاعيان فيه خطر لأن الاعيان تتقلب في الاحوال الامن اعلم به رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر ولذلك من قوم ما باللعن فكان يقول في
دعائه على قريش اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعنه بن ربيعة وذكر جماعة قتلوا على الكفر يسدر
حتى ان من لم يعلم عاقبته كان يلعنه فنهى عنه اذ روى انه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بيتر معونة في قوته
شهر افضل قوله تعالى ليس لك من الامر شيء أو ستوب عليهم أو بعدهم فانهم ظالمون يعني انهم ربما
يسلمون فمن أين يعلم انهم ملعونون وكذلك من بان لنا مونية على الكفر جاز لعنه وحازنقه ان لم يكن
فيه اذى على مسلم فان لم يحز كراوى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر رضى الله
عنه عن قبر مرء به وهو يريد الطائفة فقال هذا قبر رجل كان عانيا على الله ورسوله وهو سعيد بن
العاص فضضب ابنه عمرو بن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان أطم للطعام وأضرب لهام
من أبي ثافة فقال أبو بكر يكلمنى هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال صلى الله عليه وسلم
اكفف عن أبي بكر فانصرف ثم أقبل على أبي بكر فقال يا أبا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمدوا فانكم
اذا خصمتم غضب الانبياء والآباء فكفف الناس عن ذلك وشرب لخميا من الخمر فخرمات في مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنة الله ما أكثر ما يرقى به فقال صلى الله عليه
وسلم لا تكن عوناً للشيطان على أخيك وفي رواية لا تقل هذا فانه يجب الله ورسوله فنهى عن ذلك
وهذا يدل على أن لعن فاسق بعينه غير جائز وعلى الجملة في لعن الاشخاص خطر فليستب ولا خطر
في السكوت عن لعن ايلس مثلاً فضلا عن غيره فان قيل هل يجوز لعن يزيد لانه قاتل الحسين أو أمر
به قلنا هذا لم يثبت أصلا فلا يجوز أن يقال انه قتله أو أمر به ما لم يثبت فضلا عن اللعنة لانه لا يجوز
نسمة مسلم الى كبره من غير تحقيق نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم عليا وقتل أبو لؤلؤة عمر رضى الله عنه
فان ذلك ثبت متواترا فلا يجوز أن يرى مسلم يفتيق أو يكفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم
لا يرمى رجل بال كفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحب كذا قال صلى الله

عليه وسلم ما شهد رجل على رجل بالكفر الا بآية واحدة ان كان كافرا فهو كافرا وان لم يكن كافرا
 فقد كفر بتكفيره اياه وهذا معناه ان يكفروه وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر بسدعة او غيرها كان
 غططا لا كافرا وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هناك أن تشتم مسلما أو تعضي اماما
 عادلا والتعرض للاموال أشد قال مسروق دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت ما فعل فلان
 لعنه الله قلت توفي قالت زجه الله قلت وكيف هنا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
 الاموات فانهم قد أقضوا الى ما قدموا وقال عليه السلام لا تسبوا الاموات فتؤذوا به الاحياء
 وقال عليه السلام أبا الناس احفظوني في أصحابي واخواني واصهارى ولا تسبوهم أبا الناس
 انما مات الميت فذكر وامنه خيرا فان قيل فهل يجوز ان يقال قاتل الحسين لعنه الله والألمر بقتله
 لعنه الله قلنا الصواب أن يقال قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه لا يمحى أن يموت بعد
 التوبة فان وحشيا قاتل حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر
 والقتل جميعا ولا يجوز أن يلحق بالقتل كبيرة ولا تنتهي الى رتبة الكفر فاذ لم يقيد بالتوبة واطلق
 كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو أولى وانما أوردنا هذا لتهان الناس بالاعتصام بطلاق
 اللسان بما والمؤمن ليس طلعان فلا ينبغي أن يطلق اللسان بالعنة الا على من مات على الكفر أو على
 الاجناس المعروفين بأوصافهم دون الاشخاص المعينين فالاشتغال بذلك الله أولى فان لم يكن في
 السكوت سلامة قال مكي بن ابراهيم كاعند ابن عون فذكر وابلل بن أبي ردة غفلوا بعنونه فوقع
 فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون ائمانه كره ان ارتكب منك فقال انما هما كلمتان يخزيان
 من صحيفتي يوم القيامة لا اله الا الله ولعن الله فلانا فلان يخرج من صحيفتي لا اله الا الله أحب الى من
 أن يخرج منها لعن الله فلانا وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال أوصيك أن
 لا تكون لعانا وقال ابن عمران أبغض الناس الى الله كل طعان لعان وقال بعضهم لعن المؤمن يعدل
 قتله وقال حماد بن زيد بعد أن روى هذا لولفت انه مرفوع لم ابل بالوعن أبي قتادة قال كان يقال من
 لعن مؤمنا فهو مثل أن يقتله وقد نقل ذلك حديثا مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرّب
 من لعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الانسان مثلا لا صحح الله جسمه
 ولا سلمه الله وما يجري مجراه فان ذلك معذوم وفي الخبر ان الظلوم ليدعوه على الظالم حتى يكافئه ثم
 يبقى الظالم عنده فضيلة يوم القيامة

• الآفة التاسعة •

الغناء والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيد وأما الشعر فكلام
 حسنه حسن وقبيحه قبيح الا أن التبريد له مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يمتلئ جوف
 أحدكم قضا حتى يراه خيله من أن يمتلئ شعرا وعن مسروق انه سئل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل
 له في ذلك قال أنا كره أن يوجد في صحيفتي شعر وسئل بعضهم عن شيء من الشعر فقال اجعل مكان
 هذا ذكر الله خير من الشعر وعلى الجملة فاشاد بالشعر وقطعه ليس يحرام اذ لم يكن فيه
 كلام مستكره قال صلى الله عليه وسلم أن من الشعر لحكمة نعم مقصود الشعر المدح والمذم
 والشبب وقد بدخله الكذب وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت الانصاري
 بهجاء الكفار والتوسيع في المدح فانه وان كان كذبا فانه لا يلتصق في التحريم بالكذب كقول الشاعر
 ولو لم يكن في كفه غير روحه * لجادها فليلق الله سائله

فان هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه مضيا كان كاذبا وان كان مضيا فالمبالغة

من صنعة الشعر فلا قصد منه أن يعتقد صورته وقد أشدت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أشعاراً وتبعته لوجد فيها مثل ذلك فلم يمنع منه قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفض نعله وكت جالسة أعزل فتظرت إليه فجعل يجنبه يعرق وجعل عرفه يتولد نورا قالت فبغت فتظرت إلى فقال ما كنت بعت قلت يا رسول الله نظرت إليك ففعل جينك يعرق وجعل عرفك يتولد نورا ولوراءك أبو بكر الهذلي لعلم أنك أحق بشعره قال وما يقول يا عائشة أبو بكر الهذلي قلت يقول هذين البيتين

ومبرأ من كل غير حيفة * وقساد مر ضعة وداء مقبيل

والأظفرت إلى أسرة وجهه * رفقت بك رق العارض المنهليل

قال فوضع صلى الله عليه وسلم ما كان بيده وقام إلى رجل مابين عتي وقال جزاك الله خيراً يا عائشة ما سررت مني كسروري منك ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم حنين أمر بالعباس ابن مرداس بأربع قلائص فأنفذ بشكوى شعره وفي آخره

وما كان بدر ولا حابس * يسودان مرداس في مجمع

وما كنت حون امرئ منهما * ومن نضع اليوم لأرفع

فقال صلى الله عليه وسلم أقطعوا عني لسانه فذهب به أبو بكر الصديق رضي الله عنه حتى اختار مائه من الأبل ثم رجع وهو من أرضي الناس فقال له صلى الله عليه وسلم أقول في الشعر فجعل يعتذر إليه ويقول باني أنت وأمي أني لأجد الشعر ديباً على لساني كديب الفل ثم يقرصني كما يقرص الفل فلا أجده فقام من قول الشعر فتبسم عليه السلام وقال لا تدع العرب الشعر حتى تلع الأبل الحنين

• الآفة العاشرة المزاج •

وأصله مدموم مهي منه الأقدر أيسر استثنى منه قال صلى الله عليه وسلم لا غماراً حالاً ولا تمازحه فان قلت الممازاة فيها أيدل لان فيها تكليفاً للأخ والصديق أو تجهيلاً له وأما المزاج فطافية وفيه انبساط وطيب قلب فلم ينه عنه فاعلم أن المنهى عنه الإفراط فيه أو المداومة عليه أما المداومة فلانه اشتغال بالحب والمزحل فيه والعب بما يحولن ولكن المواظبة عليه مدمومة وأما الإفراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تفتت القلب وتورث الضغينة في بعض الأحوال وتسقط المهابة والوفار فيخلو عن هذه الأمور فلا يذم كإروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني لأضرح ولا أقول الأحقا إلا أن مثله يقدر على أن يمزح ولا يقول إلا حقا وأما غيره إذا فزع باب المزاج كان غرضه أن يضحك الناس كيفما كان وقد قال رسول الله عليه وسلم ان الرجل لتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها في النار أبعد من الثريا وقال مررضي الله عنه من كثرة ضحكك قلت هيته ومن مزح استخف به ومن أكثر من شئ عرف به ومن أكثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياته ومن قل حياته قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولان الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لبكتم كثيراً لضحككم قليلاً وقل لرجل لاخيه يا بني هل أتاك النك وارد النار قال نعم قال فهل أتاك نك خارج منها قال لا قال فقيم الضحك قيل قارى مضحكاً حتى مات وقال يوسف بن أسباط أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وقيل أقام عطاء السلي أربعين سنة لم يضحك ونظروا بهيب بن الورد إلى قوم يضحكون في عيد فطر فقال ان كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فضل التاركين وان كان لم يغفر لهم فما هذا فضل الخائفين وكان عبد الله بن أبي بيلي يقول أن الضحك ولعل أكفالك فبخرجت من عند النصارى وقال ابن عباس من أذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار

فقال أَعْطِينِي فَأَيَّتْ وَسِعَتْ وَسْعِي فِي أَرْضِي فَلَمْ يَدْرِكْنِي وَقَالَتْ أَيُّهَا سَابِقِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَبَقْتُهُ فَلَا حِلَّ لِي بِكَ أَلَمْ تَسْبِقْنِي فَقَالَ هَذِهِ بَيْتُكَ وَقَالَتْ أَيُّهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ ضَدِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَدَعْتُ زَمْعَةً فَصَنَعْتُ حُرَّ رَاوَجْتَهُ فَقَتَلَ لِسُودَةَ كُلِّي فَقَالَ لَا أَحِبُّهُ قَتَلْتُ وَاللَّهِ لَنَا كُلُّي أَوْ لَكَ كُلُّي وَالْخَطْبُ بِهِ وَجْهَكَ فَقَالَتْ مَا أَبَا ذَرَّةَ فَقَدْ أَخَذْتُ بِيَدِي مِنَ الْحَفْصَةِ شَيْئًا فَلَطَمْتُ بِهِ وَجْهَهُ وَرَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ بَنِي وَبَيْنَهُمَا خُضْرٌ فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ رُكْبَتِي لَتَسْقِمَتْنِي فَتَنَاولَتْ مِنَ الْحَفْصَةِ شَيْئًا فَصَبَتْ بِهِ وَجْهِي وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ وَرَأَى أَنَّ الضَّخَالَ بْنَ سِفْيَانَ الْكَلَابِيَّ كَانَ رَجُلًا دِيمَا فَيُفَاعِلُ بِأَيْمِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ عِنْدِي أَمْرًا أَتَيْنَ أَحْسَنَ مِنْ هَذِهِ الْجَمْعَاءِ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ آيَةُ الْإِنْجَابِ أَفَلَا أَتْرُكُ عَنْ أَحَدٍ أَمَا فَتَرْجُو جَهَنَّمَ وَأَنْتَ جَالِسَةٌ تَسْمَعُ فَقَالَتْ أَهَى أَحْسَنُ أَمْ أَنْتَ فَقَالَ بَلِ أَنَا أَحْسَنُ مِنْهَا وَأَكْرَمُ فَخَضَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدَلِ لِسَانِهِ لِحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَرَأَى الصَّبِيَّ لِسَانَهُ فَنَحَسَ لَهُ فَقَالَ لِعَيْنَيْنِ بْنِ بَدْرٍ الْفَزَارِيِّ وَاللَّهِ لَيَكُونَنَّ لِي الْإِبْنُ فَدَرَجَ وَوَقَلَ وَجْهَهُ وَمَا قَاتِلُهُ قَطُّ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِي مَا لِرَجْمٍ لَارِحِمُ فَإِنَّ هَذِهِ الطَّيَابَاتُ مَقُولَةٌ لِمَعَ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانَ وَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَاجِلَةً لَضَعْفِ قُلُوبِهِمْ مِنْ غَيْرِ مِلِّ إِلَى هَرَلٍ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً لَصَبِيبٍ وَبِهِ رَمْدٌ وَهُوَ يَأْكُلُ عَرَا تَأْكُلُ الْخَمْرُ وَأَنْتَ رَمْدٌ فَقَالَ إِنَّمَا أَكُلُ بِاللَّشْنِ الْآخَرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَقْسِمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَعْضُ الرِّوَاةِ حَتَّى نَفُتَرَ إِلَى نَوَاجِذِهِ وَرَأَى أَنَّ خَوَاتِمَ بَنِي جَبْرِ الْإِنصَارِيِّ كَانَ جَالِسًا إِلَى نِسْوَةٍ بَنِي كَعْبٍ بِطَرِيقِ مَكَّةَ فَطَلَعَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ اللَّهُمَّ مَعَ النِّسَاءِ فَقَالَ يَضْحَكُ رَجُلٌ فِي شَرِّهِ وَذَلِكَ لِحُضْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَتِهِ ثُمَّ جَادَ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا تَرُكُ ذَلِكَ الْجَلَّ الشَّرَّاءُ بَعْدَ مَا فَسَكَتَ وَاسْتَحْيَيْتَ وَكَتَبْتَ بَعْدَ ذَلِكَ أَفَرَّ رَمْنَهُ كَأَرَأَيْتَهُ حَيَاءً مِنْهُ حَتَّى قَدِمْتَ الْمَدِينَةَ وَهِيَمَا قَدِمْتَ الْمَدِينَةَ قَالَ فَرَأَى فِي الْمَسْجِدِ يَوْمًا صَبِيًّا يَجْلِسُ إِلَى «فَطَوَّلْتُ فَقَالَ لَا تَطَوَّلْ فَإِنِّي أَنْتَظِرُكَ فَلَمَّا سَلْتُ قَالَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَمَا تَرُكُ ذَلِكَ الْجَلَّ الشَّرَّاءُ بَعْدَ مَا فَسَكَتَ وَاسْتَحْيَيْتَ فَقَامَ وَكَتَبَ بَعْدَ ذَلِكَ أَفَرَّ رَمْنَهُ حَتَّى لَحَقَنِي يَوْمًا وَهُوَ عَلَى حِمَارٍ وَفَدَّ جَعَلَ رَجُلِيهِ فِي شَقٍّ وَاحِدٍ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا تَرُكُ ذَلِكَ الْجَلَّ الشَّرَّاءُ بَعْدَ مَا قَتَلْتَ وَالَّذِي يَمُوتُ لِحَقْنِ مَاشِرٍ مِمَّنْ ذَاكَ سَأَلْتُ فَقَالَ اللَّهُ أَكْرَمُ اللَّهُ أَكْرَمُ اللَّهُمَّ إِهْدِ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ لِحَسَنِ إِسْلَامُهُ وَهَذِهِ اللَّهُ وَكَانَ لِحَسَنِ الْإِنصَارِيِّ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا كَانَ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الْحَرَفِ الْمَدِينَةِ فَقَوَّيْ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضْرِبُهُ بِعَلِّهِ وَبِأُحْمٍ أَصْحَابُهُ فَيَضْرِبُونَهُ بِتَعْلَامِهِمْ فَلَمَّا كَرَّ ذَلِكَ مِنْهُ قَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ لَعَنَكَ اللَّهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَفْعَلْ فَإِنَّهُ يَحِبُّ اللَّهُ رَسُولَهُ وَكَانَ لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ رِسْلًا وَأُذُنُهُ تَلَاكَ قَاذِجًا صَاحِبًا بِإِتْمَاعِهِ وَبِأَشْنِ حَيَاءِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا أَقْدَا شَرْتِهِ تَكْ وَأُذُنُهُ تَلَاكَ قَاذِجًا صَاحِبًا بِإِتْمَاعِهِ وَبِأَشْنِ حَيَاءِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا هَذَا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطَهُ غَنَمًا مَعَ يَقُولُ لِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَمْ تَهْدِنَا لِنَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا لَمْ يَكُنْ عِنْدِي غَنَمٌ وَهُوَ أَجَبْتُ أَنْ تَأْكُلَ مِنْهُ فَيَضْحَكُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِأُحْمٍ أَصْحَابُهُ بِشَيْءٍ فَهَذِهِ مَطَابِئَاتُ سِيَاحِ مَثَلِهَا عَلَى النَّدْوَى وَالْعِلْمِ وَالْوَانِئِ عَلَيْهَا هَزْلٌ مَذْمُومٌ وَسَبَبٌ لِلضَّحْكِ

المعت القلب

﴿الآفة الحادية عشرة﴾

البضرة والاستنزاهة محرّمهما كان مؤذياً كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يضر قوم من

قوم عيسى أن يكرهوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عيسى أن يكن خيرا منهم ومعنى الصغرية الاستهانة
 والصغيرة والتفنية على الصوب والمقاص على وجه يتضح منه وقد يضحون ذلك بالحكاية التي العقل
 والقول وقد يتكون بالاشارة والاماء وإذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى
 الغيبة قالت عائشة رضي الله عنها ما كنت أنسا فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم والله ما أحب
 أن أحاكمت أنسا تأولي كذا وكذا وقال ابن عباس في قوله تعالى يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر
 صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ان الصغيرة التيسر بالاستهزاء للمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وهذا
 اشارة الى أن التحكك على الناس من جملة الذنوب والكبر وعن عبد الله بن زمعة أنه قال سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطف فوعظهم في تحككهم من الضرطة فقال علام يتحكك
 احكم بما يفعل وقال صلى الله عليه وسلم ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فقال
 لهم علم فيهم بكبره وخمه فانا اناؤه اعلق دونه ثم يفتح له باب آخر فقال لهم علم فيهم بكبره وخمه فاذا
 اناؤه اعلق دونه فابرازل كذلك حتى أن الرجل ليفتح له الباب فقال له لهم علم فلا يأنيه وقال معاذ بن
 جبل قال النبي صلى الله عليه وسلم من عزا عنه يلبس قد تاب منه لم يمت حتى يعلمه وكل هذا يرجع
 الى الاستهزاء الغير والتحكك عليه استهانة به واستصغار الله عليه به قوله تعالى عسى أن يكونوا
 خيرا منهم أي لا تستعزروا استصغارا فاعلمه خيرا منك وهذا انما يحرم في حق من يتأذى به فأما من
 جعل نفسه مسخرة وورعيا فرح من أن يسخر به كانت الضريرة في حقه من جملة المرح وقد سبق
 ما يذكر منه وما عدا ذلك استصغارا يتأذى به المستهزأ به لما فيه من الصغير والتهاون وذلك
 نارة بأن يتحكك على كلامه انما يتخط فيه ولم ينظم أو على أفعاله انما كانت متوشحة كالضحك على
 خطه وعلى منجسته وأعلى صورته وخلقته انما كان قصيرا أو ناقصا للعيب من الصوب فالضحك من
 جميع ذلك داخل في الصغرية انتهى عنها

الآفة الثالثة عشرة

افشاء السر وهو منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاحباء قال النبي صلى الله
 عليه وسلم اذا حدثت الرجل الحديث ثم التفت فيهم أمانة وقال مطلقا الحديث ينكح أمانته وقال
 الحسن ان من الغيبة أن تحدث بسر أخيك ويروي أن معاوية رضي الله عنه أسر إلى الوليد بن
 عتبة حديثا فقال لأبيه يا أبت لك أمير المؤمنين أسر إلى حديثا وما أثر له يطوي عنك ما بسطه إلى
 غيرك قال فلا تحدثني به فان من كتم سره كان الخيار اليه ومن أفشاء ما كان الخيار عليه قل قلت
 يا أبت وان هذا يدخل بين الرجل وبين ابنه فقال لا والله يا بني ولكن أحب أن لا تدل لسانك
 بأحد بيت السر قال فأتيت معاوية فأخبرته فقال يا وليد أعتك أولئك من رق اعطأ افشاء السر
 خيانة وهو حرام إذا كان فيه اضرار ولو لم يكن فيه اضرار وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر
 في كتاب أدب العصبه فأعني عن الاعادة

الآفة الرابعة عشرة

الوعد الكاتب فان التماسك سباق الى الوعد ثم النفس ربما لا تفي بالوعد فافشاء الوعد خفا وذلك
 من أمارات الخلق قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود وقال صلى الله عليه وسلم العدة
 عطية وقال صلى الله عليه وسلم الوأى مثل الدين أو أفضل والوأي الوعد وقد أنشأ الله تعالى على
 نبيه اسماعيل عليه السلام في كتابه العزيز فقال انه كان ضائق الوعد قبل انه واعدا انسانا في موضع
 فلم يرجع اليه ذلك الانسان بل فسح فيني اسماعيل اثنين وعشرين يوما في انتظاره ولما حضرته عبد الله

ابن عمر الوفاة قال انه كان خطب الى ابني رجل من قريش وقد كان مني اليه شبه الوعد فوالله
لا اني الله ثلث النفاق اشهدكم اني قد تزوجته ابنتي وعن عبد الله من اني انخسنا قال يا بعت النبي
صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وبقيت له بقية فواعدته ان آتيه بها في مكانه ذلك فنبئت بومي
والغد فآتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي أنا ههنا منذ ثلاث استظرك
وقيل لابراهيم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلما جاءه قال يا فتى لقد شققت علي أنا ههنا منذ ثلاث استظرك
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وعد وعدا قال عسى وكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول
ان شاء الله وهو الاول ثم اذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء الا ان يستعذر فان كان عند
الوعد عذر ما عسى ان لا يفي فهذا هو النفاق وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن
فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخل وخلف واذا اتمن خان
وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا
ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من النفاق حتى يدعيها اذا حدث كذب واذا وعد اخل
واذا عاهد غدر واذا خان خاصم فخر هذا يتل على من وعد وهو على عزم الخلف او ترك الوفاء من غير عذر
فاما من عزم على الوفاء فنحن لمعدر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وان جرى عليه ما هو صورة النفاق
ولكن ينبغي ان يجتزى من صورة النفاق ايضا كما يجتزى من حقيقة لا ينبغي ان يجعل نفسه معذورا
من غير ضرورة حاضرة فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعدا بالهيثم بن التهمان
خادمه فافتي بثلاثة من السبي فاعطى اثنين وبقي واحد فانت فاطمة رضي الله عنها تطلب منه فنادما
وتقول لا ترى اثار السبي في ذكروعه لابي الهيثم فجعل يقول كيف جموعدي لابي الهيثم
فآثر به على فاطمة لما كان قد سبق من موعدة له مع انها كانت تدبر الرحيم بها الضعيفة ولقد
كان صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم ضائم هوازن بخين فوقه عليه رجل من الناس فقال اني
عندك موعدة يا رسول الله قال صدقت فاحتكم ما شئت فقال احكم ثمانين ضائمتوراعها
قال هي والله احتكت بسراول صاحبة موسى عليه السلام التي دلته على عظام يوسف
كانت احرم منك واجزل حكما منك حين حكما موسى عليه السلام فقالت حكى ان تزوتني شبابة
وأدخل معك الجنة قيل فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلا ثقيل اشيع من
صاحب الثمانين والراعي وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الخلف الا بعد الرجل الرجل
وفي نيته ان يفي وفي لفظ آخر اذا وعد الرجل أخاه وفي نيته ان يفي فلم يجد فلا ثم عليه

الآفة الرابعة عشر

الكذب في القول واليمين وهومن قباح الذنوب وقوا حش الصوب قال اسماعيل بن واسط سمعت
أبا بكر الصديق رضي الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قام فينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم تكى وقال اياكم والكذب فانه مع القصور وهما في النار
قال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكذب باب من أبواب النفاق وقال الحسن كان
يقال ان من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج وان الاصل الذي
بنى عليه للنفاق الكذب وقال عليه السلام كبرت خيانة ان تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق
وانت له به كصائب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يكذب ويقرى
الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ومن زور الله صلى الله عليه وسلم رجلين شيئا يمان شاة
ويضا لسان يقول اخذهما والله لا انفصلك من كذا وكذا ويقول الاخر والله لا ازيدك علي فكذا وكذا

قربا الشاة وقد اشترها احدهما فقال اوجب احدهما بالاثم والكفارة وقال عليه السلام الكذب
 ينقص الرزق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان التجار هم القيار قيل يا رسول الله اليس قد
 أحل الله البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدون فيكذبون وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة
 نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم المنان يعطيتهم النفاق سلعة بالخلف الفاجر والمسبل
 ازاره وقال صلى الله عليه وسلم ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة الا كانت نكدة
 في قلبه الى يوم القيامة وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يجهنم الله رجل كان
 في قته فنصب غيره حتى يقتل أو فسخ الله عليه وعلى أصحابه ورجل كان له حارس يؤذيه فنصر على
 أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن أو رجل كان معه قوم في سفر أو سرية فأطالوا السرى حتى أعجبهم
 أن يمسا الأرض فقتلوا فنفخى يصلى حتى يرقط أصحابه لرجل وثلاثة يشنأهم الله التاجر والبيع
 الخلف والتقية المحتال والخيل المنان وقال صلى الله عليه وسلم ويل للذي يحدث فكذب ليضحك
 به القوم ويل له ويل له وقال صلى الله عليه وسلم رأيت كأن رجلا جاءني فقال لي قم فمعه فاذا أنا
 برجلين أحدهما قائم والآخر جالس بيديهما كلوب من حديد يلقيه في شدة الجالس فيجذب به حتى
 يبلغ كاهله ثم يجذب به فيلقه الجانب الآخر فيمده فاذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذي أقامني
 ما هذا فقال هذا رجل كذاب يعذب في قبره الى يوم القيامة وعن عبد الله بن جراد قال سألت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هل رزى المؤمن قال قد يكون ذلك قال يا بني الله هل
 يكذب المؤمن قال لا ثم أتبعها صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انما يقترى الكذب الذين لا يؤمنون
 بآيات الله وقال أبو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم
 طهر قلبي من النفاق وفرجني من الزنا ولساني من الكذب وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله
 ولا ينظر اليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم شيخ زان ومك كذاب وعاثل مستكبر وقال عبد الله بن عامر
 جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألعب فقالت أمي يا عبد الله
 تعال حتى أعطيك فقال صلى الله عليه وسلم وما أردت أن تعطيه قالت تمر فقال أمانا لك لو لم تفعل
 لكنت عليك كذبة وقال صلى الله عليه وسلم لو أفاها الله صلى الله عليه وسلم لعماد هذا الحصى لقسمتها بينكم
 ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال صلى الله عليه وسلم وكان منكنا ألا تنكبا بكر السكائر
 الا شرب الشبابة وعقوق الوالد ثم قدم وقال لا وقول الزور وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ان العبد ليكذب الكذبة فيبتاعها بالملك منه مسير قميل من ثمن ما جاء به وقال أنس قال النبي
 صلى الله عليه وسلم تقبلوا لي يستأقبل لكم بالجنة فقالوا وما هن قال اذا حدث أحدكم فلا يكذب
 وان اوعده فلا يخلف واذا اأتمن فلا يخين وضوا ابصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم وقال صلى الله
 عليه وسلم ان للشيطان ثلاثا لو عاونه وشوقا ما لعوقه فالكذب وأمانشوقه فالنضب وأمانكحه
 فانتم وخطب عمر رضي الله عنه يوما فقال قام فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم كقمانى هذا فيكم
 فقال أحسنوا الى أصحابي ثم الذين يلونهم ثم فشقوا الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستخلف
 وشهد ولم يستشهد وقال النبي صلى الله عليه وسلم من حدث عني بحديث وهو يرى انه كذب فهو
 أحد الكاذبين وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين بالثم لم ينطق بها مال امرئ مسلم يضره حق
 لقي الله عز وجل وهو على غضبان وزوى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رثنه اذ رجع في كذبة
 كذنها وقال صلى الله عليه وسلم كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المسلم الا الخياطة والكذب وقالت
 عائشة رضي الله عنها ما كان من خلق أشد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل من أصحابه على الكذبة فيأخذ من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث توبة لله عز وجل منها وقال موسى عليه السلام يارب أي عبادك خير منك جلا قال من لا يكذب لسانه ولا يغير قلبه ولا يزي فرجه وقال لقمان لابنه يا بني أيا الزور والكذب فإنه شئ كلهم العصفور عجايل يقلده صاحبه * وقال عليه السلام في مدح الصدق أريد إذا كنت فيك فلا يضر لك ما فاك من الدنيا صدق الحديث وحفظ الأمانة وحسن خلق وعفة طمحة وقال أبو بكر رضي الله عنه في خطبة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة وقال معاذ قال لي صلى الله عليه وسلم أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح (وأما الآثار) فقد قال علي رضي الله عنه أعظم الخطايا عند الله إسان الكذب ونشر الندامة ندامة يوم القيامة وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه ما كذبت كذبة منذ حدثت على أزارى وقال عمر رضي الله عنه أحبكم البنا ما لم تتركوا أحسنكم إسماء فأرأيناكم فما حبكم البنا أحسنكم خلقا فإذا اخترناكم فما حبكم البنا أصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة ومن ميمون بن أبي شبيب قال جلست أكتب كتابا فأتيت على حرف أن أنا كتيته زينت الكتاب وكنت قد كذبت ففرغت على تركه فتوديت من جانب البيت يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقال الشعبي ما أدري أيهما أبعذ غراني النار الكذاب أو الغييل وقال ابن السكيت ما أراي أوجر على ترك الكذب لاني إنما أدعه أفة وقيل لخالد بن صبيح أسمى الرجل كاذبا بكذبه واحدة قال نعم وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب ما من خطيب إلا وتعرض خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وان كان كاذبا قرضت شفتاه مقاريض من نار كما قرضت أتبنا وقال مالك بن دينار الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يفرج أحدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شيء فقال له كذبت فقال عمرو والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه

﴿بيان ما رخص فيه من الكذب﴾

اعلم أن الكذب ليس حراما لصنعه بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره فان أقل درجاته أن يعتقد المخبر الشيء على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب يحصل لذلك الجهل فيكون ما دنا فيه وربما كان واجبا قال ميمون بن مهران الكذب في بعض المواطن خير من الصدق أرايت لو أن رجلا سعى خلف إنسان بالسيف ليقتله فدخل دارا فأتى البك فقال أرايت فلانا ما كنت قائلا ألتست تقول لم أراه وما تصدق به وهذا الكذب واجب فقول الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وان أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح ان كان يحصل ذلك المقصد مباحا وواجبا ان كان المقصود واجبا كما أن عصبة دم المسلم واجبة فهما كان في الصدق سفك دم امرئ مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود الحرب أو إصلاح ذات البين أو استمالة القلب الخفي عليه إلا بالكذب فالكذب مباح إلا أنه ينبغي أن يحترز منه ما أمكن لأنه اذا فتح باب الكذب على نفسه فيشئ أن يتداعى إلى ما يستحق منه وإلى ما لا يقتصر على حده الضرورة فيكون الكذب حراما في الأصل الا للضرورة والذي يدل على الاستثناء ما روى عن أم كلثوم قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص في شيء من الكذب الا في ثلاث الرجل يقول القول بربيه الإصلاح والرجل

يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحقت زوجها وقالت أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من أصح بين اثنين فقال خيرا أو خيرا وقالت أعمام بنت يزيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا الرجل كذب بن سليمان ليصلح بينهما وروى عن أبي كاهل قال وقع بين اثنين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصاروا فقلت أحدهما فقلت ما لك ولفلان قد سمعته يحسن عليك الشاء ثم لقيت الآخر فقلت له مثل ذلك حتى اصططنا ثم قلت أهلكت نفسي وأصلحت بين هذين فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا كاهل أصح بين الناس ولو آى بالكذب وقال طه بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم كذب على أهلي قال لا خير في الكذب قال أعدها وقل لها قال لا جناح عليك وروى أن ابن أبي عذرة المذوني وكان في خلافة عمر رضي الله عنه كان يجتمع النساء اللاتي يتروجهن فطارت له في الناس من ذلك أحسنه بكرها فلما علم بذلك أخذ يصد صدها من الأرقم حتى أتته إلى منزله ثم قال لا امرأته أنشدك بالله هل تبغضيني قالت لا تشقني قال فاني أنشدك الله قالت نعم فقال لابن الأرقم أسمع ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضي الله عنه فقال انكم تحدثون اني أظلم النساء وأظلمهن فاسأل ابن الأرقم فسأله فأخبره فأرسل إلى امرأته ابن أبي عذرة فجاءت هي ومعهما فقال أنت التي تحدثين لزوجك انك تبغضينه فقالت اني أوّل من تاب وراجع امرأته تعالى أنه ناشدني فصرحت أن أكذب أنا كاذب يا أمير المؤمنين قال نعم فاكفني فان كانت احدا كن لا تحب أحدا فلا تحبته بذلك فان أقل البيوت التي بيني وبين الحب ولكن الناس يتعاضرون بالاسلام والاحساب وعن النّوّاس بن سميان الكلبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالي أراكم تتهاقنون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب يكتب على ابن آدم لا محالة إلا أن يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة أو يكون بين الرجلين شخاض فيصليح بينهما أو يحدث امرأته زوجها أو قال ثوبان الكذب كله ثم لا مانع به مسلما أو دفع عنه ضررا أو قال صلى الله عليه عنه اذا حدثتكم من النبي صلى الله عليه وسلم فلا تخر من السماء أحب الي من أن أكذب عليه واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالجرب خدعة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها اذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره أماما له قتل أو يأخذه ظالم ويسأله عن ماله فله أن ينكره أو يأخذه سلطان فيسأله من فاحشة ينهون الله تعالى ارتكابها قل أن ينكر ذلك فيقول ما زنت وما سرقت وقال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيئا من هذه القادورات فليست له بستر الله وذلك ان اظهار الفاحشة فاحشة أخرى قل رجل أن يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا أو ما تعرض غيره فبان يسأل عن سر أخيه فله أن ينكره وأن يصلح بين اثنين وأن يصلح بين الضرات من نسائه بان يظهر لكل واحدة انها أحب إليه وان كانت امرأته لا تطاوعه الا بعد لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطيبا لقلها أو يفتد إلى إنسان وكان لا يطيب قلبه الا بانكاره وبزيادته وقد فلا بأس به ولكن الحذيفة أن الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور فيبغى أن يقابل أحدهما بالآخر ويرى بالميزان القسط فاذا علم أن المحذور الذي يحصل بالصدق أشدّ فعلى الشرع من الكذب فله الكذب وان كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الامر ان بحيث يتردد فيها وعند فلان الميل إلى الصدق أو لا لان الكذب يساهل للضرورة أو حاجة مهمة فان شك في كون الحاجة مهمة فالأصل التصريح فخرج إليه ولا جيل غموض إدراك مراتب المقاصد فيبغى أن يجتزأ الانسان من الكذب

ما أمكنه وكذلك معهما كانت الحاجة له فيسبغ له أن يترك اغراضه وسير الكذب فاما اذا
 تعلق بغيره فلا يجوز السامع خلق الغير والاضرابه واكثر كذب الناس انما هو لحفظ
 أنفسهم ثم هو زبادات المال والجاه ولأموال ليس فواتها يحذر راحتي ان المرأه تلجئ عن زوجها
 ما تخشيه وتكذب لاجل مراعاة الضرر وتلك حرام وقالت أسماء سمعت امرأة سألت رسول
 صلى الله عليه وسلم قالت ان لي ضررة فواني أكثر من زوجي بما لم فعل اضار هابك فهل علي شيء فيه
 فقال صلى الله عليه وسلم للتسبيح مما لم يبط كلا ليس نوبى زور وقال صلى الله عليه وسلم من طعم بما
 لم يطعم أو قال لي وليس له أو أعطيت ولم يبط فهو كالبس نوبى زور يوم القيامة يدخل في هذا نوبى
 العالم بما لا يتحقق ورواها الحديث الذى لا يشبهه اذ غرضه أن يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف
 من أن يقول لا أدري وهذا حرام وما يلتصق بالنساء الصبيان فان الصبي إذا كان لا يرغب
 في المكسب الا بعداً ووعيداً وتحذيراً كاذب كان ذلك مباحاً وهو نافي الاخبار ان ذلك يكتب
 كذبا ولكن الكذب المباح أيضا قد يكتب ويحاسب عليه ويطلب تصحيح قصده فيه ثم يفرغ
 عنه لانه انما يوجب قصد الاصلاح وينطرق اليه غرور كبير فانه قد يكون المباح له خطئه وغرضه
 الذى هو مستغن عنه وانما يتعلل ظاهرا بالاصلاح فلهذا يكتب موكل من أن يكذبه فقد وقع في خطر
 الاجتهاد ليعلم أن المقصود الذى كذب لاجله هل هو أهمل في الشرع من الصدق أم لا وذلك غامض
 جدا والحزم تركه الا أن يصبر واجبا بحيث لا يجوز تركه كالأذى الى مسك دم أو ارتكاب معصية
 كيف كان وقد ظن طائفة انه يجوز وضع الاحاديث في فضائل الاعمال وفي التشديد في المعاصي
 وزعموا أن المقصد منه صحيح وهو خطأ محض اذ قال صلى الله عليه وسلم من كذب على متعمدا فليذب
 مقعده من النار وهذا لا يرتكب الا للضرورة ولا ضرورة في الصدق مندوحة عن الكذب فقبها
 ورد من الآيات والاخبار كقائه من غير ما قول القائل ان ذلك قد تنكر رعى الاسماع وسقط
 وقعه وما هو جديد فوقه أعظم فهذا هو ليس هذمان الاغراض التي تقاوم محذور الكذب
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ويؤدى فتح بابها الى امور تشوش الشريعة فلا تقاوم
 خير هذا شره أصلا والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التي لا تقاومها شيء
 نسأل الله العفو والعنا عن جميع المسلمين

﴿بيان الحذر من الكذب بالمعاريض﴾

قد نقل عن السلف ان في المعاريض مندوحة من الكذب قال عمر رضي الله عنه أمان في المعاريض
 ما يكتفى الرجل عن الكذب وروى ذلك عن ابن عباس وغيره وانما أرادوا بذلك اذا اضطر الانسان
 الى الكذب فاما اذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ولكن التعريض
 أهون ومثال التعريض ما روى أن مطر فادخل على زياد فاستبطأه فقتل مبرض وقال ما رفعت
 جنبي مذفا رقت الامير الامار فضى الله وقال ابراهيم اذ ابلغ الرجل عنك شيء فذكره أن تكذب
 قل ان الله تعالى لي علم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما عرفني عند المسع وعند فلا يهام
 وكان معاذ بن جبل عاملا لعمر رضي الله عنه فلما رجع قالت له امرأته ما جئت به مما بانى به العمال
 الى أهله وما كان قد آتاها شيء فقال كان عندي ضاغط قالت كت أمسانعند رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وعند أبي بكر رضي الله عنه فبعث عمر معك ضاغطا وقامت بذلك بين نساءها واشتكت
 عمر فلما بلغه ذلك دعا معاذاً وقال بعثت معك ضاغطا قال لم أجد ما اعتذر به اليها الا ذلك فيجئ عمر
 رضي الله عنه مواعطاه شيئا فقال أرضها به ومعنى قوله ضاغطا معنى زقياء وأراد به الله تعالى وكان

الخنثى لا يقول لآبته اشترى لك سكر ابل يقول أروأبت لو اشتريت لك سكر افانه ربما لا يتفق له ذلك
 وكان ابراهيم اذا طلبه من بكرة أن يخرج اليه وهو في الدار قال الجارية قولي له اطلب في المسجد
 ولا تقولي ليس ههنا كيلا يكون كذبا وكان الشعبي اذا طلب في المنزل وهو بكره خطا دارة وقال
 الجارية ضعي الاصبع فيها وقولي ليس ههنا وهذا كله في موضع الحاجة فاما في غير موضع الحاجة
 فلا لأن هذا تفهم للكذب وان لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روى عن عبد الله بن عتبة
 قال دخلت مع أبي على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه فخرجت وعلى ثوب ففعل الناس يقولون هذا
 كساكه أمير المؤمنين فكنت أقول جرى الله أمير المؤمنين خبر فقال لي أبي يا بني اتق الكذب وما
 أشبهه فنهأ من ذلك لأن فيه تقرير لهم على ظن كاذب لاجل غرض المفاخرة وهذا غرض باطل لا فائدة
 فيه نعم للمعارض تباح لغرض خفيف كتطيب قلب الغير بالمزاج كقوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل
 الجنة عوزو فو له لاخرى الذي في عين زوجك بياض ولاخرى تحملك على ولد البعير وما أشبهه وما
 الكذب الصريح كما فعله نعيمان الانصاري مع عثمان في قصة الضرياء قال له انه نعيمان وكما يعتاده
 الناس من ملاعبة الحق بغيرهم بأن امرأة قد رضت في تزويجك فان كان فيه ضرر يؤدى الى اذيائه
 قلب فهو حرام وان لم يكن الا لطافته فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكن شخص ذلك من درجة
 ايمانه قال صلى الله عليه وسلم لا يكمل للمرء الايمان حتى يحب لاختيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب
 الكذب في مزاحه وأما قوله عليه السلام ان الرجل ليحكم بالكلمة ليضحكها الناس فهو يهوى بها
 في النار أبعد من الثريا وأدنيه ما فيه غيبة مسلم أو اذيائه قلب دون محض المزاح ومن الكذب الذي
 لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في المبالغة كقوله طينتك كذا وكذا مرة أو قلت لك كذا مرة مرة
 فانه لا يريد به فهم المرات بعدد هابل تفهم المبالغة فان لم يكن طلبة المرأة واحدة كان كاذبا وان كان
 طلبة مرات لا يعتاده مثلها في الكثرة لا ياثم وان لم تبلغ مائة وثمانين درجتا بتعرض مطلق اللسان
 بالمبالغة فيها لم يخطئ الكذب وما يعتاد الكذب فيه وتساوله ان يقال كل الطعام فيقول
 لا اشبهه بذلك منهي عنه وهو حرام ان لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت أسماء بنت جهم
 كت صاحبة عائشة في الليلة التي هبها وأدخلها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعى نسوة
 قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى الا قد حامن لبن فشرب ثم تناول عائشة قالت فاستخيت الجارية
 فقلت لا ترى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذني منه قالت فأخذت منه على حياء فشربت منه
 ثم قال ناولي صواحبك فقلن لا تشبهه فقال لا تجعن جوعا وكذا قالت فقلت يا رسول الله ان قالت
 احدا ان اشبهه لا تشبهه أو هكذا قال ان الكذب ليكتب كذا حتى تسكب الكذبة
 كذبة وقد كان أهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب قال البيهقي سعد كانت عينا
 سعد بن السبيب ترمض حتى يبلغ الرض خارج عينيه فيقال له لو سمعت عينك فيقول وأين
 قول الطبيب لا تمس عينك فأقول لا أفضل وهذه مرافقة أهل الورع ومن تركه انسل لسانه
 في الكذب عن حد اختياره فكذب ولا يشعر عن خوات النبي قال جاءت اخت الربيع بن خثيم
 عائدة لابن ل فانكست عليه فقالت كيف أنت يا بني فجلس الربيع وقال أرضعني قالت لا قال
 ما عليك لو قلت يا ابن أخي قصدت ومن العادة أن يقول يعلم الله فيما لا يعلم قال عيسى عليه السلام
 ان من أعظم الذنوب عند الله أن يقول العبدان الله يعلم لما لا يعلم وربما يكذب في حكاية التام
 والاثم فيه عظيم اذ قال عليه السلام ان من أعظم القرية أن يدعى الرجل الى غير أبيه أو يري عينيه
 في المنام ما لم أرقول على ما أقر وقال عليه السلام من كذب في حلم كلف يوم القيامة أن ينقلب

بين شعيرتين وليس لهما قد بينهما أبدا

والأفة الخامسة عشر الغيبة والنظر فيها طويلا

فلنذكر أولاً مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها بأكل لحم الميتة فقال تعالى ولا تغتب بعضكم بعضاً أحكمكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهوه وقال عليه السلام كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم وقال أبو هريرة قال قال عليه السلام لا تخاسدوا ولا تباغضوا ولا تتاجسروا ولا تداروا ولا تغتب بعضكم بعضاً وكونوا عباد الله خواناً ومن جارواي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا فإن الرجل قد يزني ويترتب فيتوب لله سبحانه عليه وإن صاحب الغيبة لا يفقر له حتى يغفر له صاحبها وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت ليلة أسري بي على أقوام يحشون وجوههم بأظفارهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يقتلون الناس ويقعون في أعراضهم وقال سليمان بن جابر أنت النبي عليه الصلاة والسلام قلت علمني خيراً أنعم به فقال لا تتخبرن من المعروف شيئاً ولو أن تصب من دلوك في أناء المستقي وإن تلقى أخته يشر حسن وإن أدبر فلا تقتات به وقال البراء خطيباً رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق في بيوتهن فقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تقتاتوا المسلمين ولا تتبعوا عورتهم فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تبع الله عورته يفضحه في جوف بينه وقيل أوحى الله إلى موسى عليه السلام من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرعاً فهو أول من يدخل النار وقال أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم فقال لا يفطرن أحد حتى أذن له فصام الناس حتى إذا أمسوا جمل الرجل يجي فيقول يا رسول الله خللت صائمًا فأذن لي لأفطرياً دن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتانان من أهلي ظلتا صائمتين وانهما يستحيان أن يأنيك فأذن لهما أن يفطرا فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال انهما بصوما وكف بصوم من ظلنهاره يأكل لحم الناس أذهب فرهما أن كانتا صائمتين أن يستقيا فرفع اليهما فأخبرهما فاستقيا فقامت كل واحدة منهما علة من دم فرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال والذي نفسي بيده لو يقيناني بطونهما لاكلتهما النار وفي رواية أنه لما عرض عنه جله بعد ذلك وقال يا رسول الله والله انهما قد ماتتا وكادتا أن تموتا فقال صلى الله عليه وسلم اتقوا بهما هاءنأ فدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قدح فقال لاحداهما قبي فقامت من قبح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للآخرى قبي فقامت كذلك فقال ان هاتين صائماتهما حل الله لهما وأفطرنا على ما حرم الله عليهما جلست احداهما إلى الآخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس وقال أنس خطيباً رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية زنها الرجل واربى الربا عرض الرجل المسلم وقال جابر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال انهما يهذيان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي يضرب الناس وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله فذا بجريدة رطبة وأجر يدتين فكسرهما ثم أمر بكل كسرة فغرس في قبر وقال أمانته سهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو مالم يساولنا رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عزا في الزنا قال رجل لصاحبه هذا أفعص كايقص الكلب فتر صلى الله عليه وسلم وهما معه يهتفان فقال انهما شامتا

قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَشِ جِيفَةَ قَتَالٍ مَا أَصْبَحْتَ مِنْ أَخِيكَ أَنْتَ مِنْ هَذِهِ وَكَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
يَتَلَقُونَ بِالْبُشْرِ وَيَلْتَابُونَ عِنْدَ الْغَيْبَةِ وَيُرُونَ ذَلِكَ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ وَيُرُونَ خِلَافَهُ عَادَةَ النَّاسِ
وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ مِنْ أَكْلِ لَحْمِ أَخِيهِ فِي الدُّنْيَا قَرَبَ إِلَيْهِ لَمْ يَلْهُ فِي الْآخِرَةِ وَقِيلَ لَهُ كَلِمَةً مِثْلًا كَمَا كَلَّمْتَهُ حَتَّى
قَبِلَ كُلَّهُ فَيَضْحِكُ وَيَتَلَكَّمُ وَرَوَى مَرْفُوعًا كَذَلِكَ وَرَوَى أَنَّ رَجُلَيْنِ كَانَا قَاعِدَيْنِ عِنْدَ بَابِ مِنْ أَبْوَابِ
السُّبُحِ فَتَرَفَّسَ رَجُلٌ كَانَ خَشِنًا تَرَكَ ذَلِكَ فَقَالَ الْقَدِيقِيُّ فِيهِ مِنْهُ شَيْءٌ وَاقِعَتْ الصَّلَاةُ فَخَلَا فَنَصَلَا
مَعَ النَّاسِ فَكَانَ فِي أَنْفُسِهِمَا مَا قَالَا فَأَتَا عِطَاءُ فَسَأَلَا فَأَمَرَهُمَا أَنْ يَبْعِدَا الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ وَأَمَرَهُمَا
أَنْ يَقْضِيَا الصَّامَ إِنْ كَانَا صَائِمَيْنِ وَمَنْ يَجَاهِدْهُ قَالَ فِي رُبْلِ لِكُلِّ هَمَزَةٍ لَمْزَةُ الْهَمَزَةِ الطَّعَانُ فِي النَّاسِ
وَالْهَمَزَةُ الَّتِي بِأَكْلِ لَحْمِ النَّاسِ وَقَالَ قَتَادَةُ ذَكَرْنَا أَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ ثَلَاثَةٌ أَلَا تَلَاثُ ثُلُثُ مِنَ الْغَيْبَةِ
وِثْلُثُ مِنَ التَّعْبَةِ وَثُلُثُ مِنَ الْبَوْلِ وَقَالَ الْحَسَنُ وَاللَّهُ غَيْبَةُ أَسْرَعَ مِنْ دِينِ الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْأَكْلَةِ
فِي الْجَسَدِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَدْرَكَ السُّلْفُ وَهُمْ لَا يُرُونَ الْعِبَادَةَ فِي الصُّومِ وَلَا فِي الصَّلَاةِ وَلَكِنْ فِي الْكُفِّ
عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِذَا رَأَيْتَ أَنْ تَذْكُرَ صُيُوبَ صَاحِبِكَ فَادْكُرْ صُيُوبَكَ وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ
يَبْصُرُ أَحَدُكُمْ الْقَدَى فِي عَيْنِ أَخِيهِ وَلَا يَبْصُرُ الْجَذْعَ فِي عَيْنِ نَفْسِهِ وَكَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ إِنْ أَدَمَ أَنْتَ لَنْ
تَصْلُبَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى لَا تَعْلِبَ النَّاسَ بِسَبِّ هَوَيْكَ حَتَّى تَبْدَأَ بِصَلَاحٍ ذَلِكَ الْعَبْرُ فَتَصْلُحَ مِنْ
نَفْسِكَ فَادْفَعْتَ ذَلِكَ كَانَ شَغْلُكَ فِي خَاصَّةٍ نَفْسِكَ وَأَحَبُّ الْعِبَادَةِ إِلَى اللَّهِ مَنْ كَانَ هَكَذَا وَقَالَ مَالِكٌ
ابْنُ دِينَارٍ مَرَّ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَعَهُ الْخَوَارِيزُ بِجِيفَةِ كَلْبٍ فَقَالَ الْخَوَارِيزُ مَا أَنْتَ رَجِيحُ هَذَا
الْكَلْبِ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا أَشَدَّ يَأْسَ إِمْنَانِهِ كَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَاهُمْ عَنْ غَيْبَةِ
الْكَلْبِ وَنَهَاهُمْ عَلَى أَنَّهُ لَا يَذْكُرُ مِنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ إِلَّا أَحْسَنَهُ وَسَمِعَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
رَجُلًا يَنْتَابُ آخِرَ قَالٍ لَهُ مَالِكٌ وَالنَّبِيَّةُ فَاتَهَا آدَامُ كَلَابِ النَّاسِ وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَيْهِ كَيْدُ كَرَّ اللَّهِ
تَعَالَى فَانْ شَقَّاهُ وَيَا كَمْ ذَكَرَ النَّاسُ فَانْ دَانَسَالُ اللَّهِ حَسَنَ التَّوْفِيقِ لَطَاعَتِهِ

﴿بَيَانُ مَعْنَى الْغَيْبَةِ وَحُدُودِهَا﴾

اعْلَمْ أَنَّ حَدَّ الْغَيْبَةِ أَنْ تَذْكُرَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُهُ لَوْ بَلَغَهُ سِوَاكَ ذَكَرْتَهُ بِتَقْصُصٍ فِي بَدَنِهِ أَوْ نَفْسِهِ أَوْ فِي خَلْقِهِ
أَوْ فِي فِعْلِهِ أَوْ فِي قَوْلِهِ أَوْ فِي دِينِهِ أَوْ فِي دُنْيَاكَ حَتَّى فِي ثَوْبِهِ وَدَارِهِ وَدَانِسِهِ • أَمَا الْبَدَنُ فَذَكَرْتُكَ الْعَمَشَ
وَالْحَوْلَ وَالْقِرْعَ وَالْقَصْرَ وَالطُّوْلَ وَالسَّوَادَ وَالصَّفْرَ وَجَمِيعَ مَا يَتَصَوَّرُ أَنْ يوصَفَ بِهِ بِمَا يَكْرَهُهُ كَيْفَمَا
كَانَ • وَأَمَا التَّسَبُّ فَبِأَنَّ تَقُولَ ابْنِ نَبَطٍ • أَوْ هِنْدِي • أَوْ فَاسْقِي • أَوْ خَيْسِي • أَوْ سَكْفِي • أَوْ زِبَالِي • أَوْ شَيْءٍ
بِمَا يَكْرَهُهُ كَيْفَمَا كَانَ • وَأَمَا الْخَلْقُ فَبِأَنَّ تَقُولَ هُوَسِي • الْخَلْقُ بِخِلِّ مُتَكَبِّرٍ مَرَاهُ شَدِيدًا فَتَضْبُ
حَبَانًا جَزِيفَةً الْقَلْبِ مَهْزُورًا يَجْرِي بِجَرَاهُ • وَأَمَا فِي أَعْمَالِهِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْأَدْنَى فَكَتُوكُ هُوَسَارِقٍ
أَوْ كَذَابٍ أَوْ شَارِبِ خَمْرٍ أَوْ خَائِنٍ أَوْ ظَالِمٍ أَوْ مَهْتَوٍّ بِالصَّلَاةِ أَوْ الزَّكَاةِ أَوْ لَا يَحْسَنُ الرُّكُوعَ أَوْ السُّجُودَ
أَوْ لَا يَجْتَنِبُ مِنَ الْعِبَادَاتِ أَوْ لَيْسَ بِأَبَوِّ الدِّينِ أَوْ لَا يَضَعُ الزَّكَاةَ مَوْضِعَهَا أَوْ لَا يَحْسَنُ قِسْمَتَهَا أَوْ لَا يَجُورُ
صَوْمَهُ مِنَ الرِّفْتِ وَالْغَيْبَةِ وَالتَّعَرُّضَ لِأَعْرَاضِ النَّاسِ • وَأَمَا فِعْلُهُ الْمُتَعَلِّقُ بِالْأَدْنَى فَكَتُوكُ
أَنَّهُ قَلِيلٌ الْإِدْبَ مَهْتَوٍّ بِالنَّاسِ أَوْ لَا يَرَى لِأَحَدٍ عَلَى نَفْسِهِ حَقًّا أَوْ يَرَى لِنَفْسِهِ الْحَقَّ عَلَى النَّاسِ
أَوْ أَنَّهُ كَثِيرٌ الْكَادِمُ كَثَرًا لَا كُلُّ نَوْمٍ يَنَامُ فِي غَيْرِ وَقْتِ النَّوْمِ وَيَجْلِسُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ • وَأَمَا فِي ثَوْبِهِ
فَكَتُوكُ أَنَّهُ وَاسِعٌ الْكُمُ طَوِيلُ الذِّلِيلِ وَسَخِ الثِّيَابِ وَقَالَ قَوْمٌ لَا غَيْبَةَ فِي الدِّينِ لِأَنَّهُ دَمَ مَا دَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
فَذَكَرَهُ بِالْعَاصِي وَدَمَهُ بِمَا يَجُوزُ بِدَلِيلِ مَا رَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَتْ لَهُ أَمْرًا
وَكَتَرَهُ مَصْلَحًا رُصِّصَ وَمَا لَكُمْ أَنْ تَوَدَّ جِهَتَهَا بِالسَّامِ بِأَقَالِ هِيَ فِي النَّارِ وَذَكَرَتْ عَنْهُ أَمْرًا آخَرَ
بِأَنَّهُ بِخَيْلَةٍ فَقَالَ فَاخْبِرْهَا ذَا هَذَا فَاسْأَلْهُمْ كَمَا تَوَدُّ كَرُونِ ذَلِكَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَى تَعْرِفِ الْأَحْكَامِ

بالسؤال ولم يكن غرضهم التقص ولا يحتاج اليه في غير مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والدليل عليه اجماع المتأخريين أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو مقتاب لأنه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الغيبة وكل هذا وإن كان صادقا فيه فهو به مقتاب عاصي له وبكل لحم أخيه دليل ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرنا أخطأنا بما يكرهه قبل إرأيت أن كان في أخى ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته وإن لم يكن فيه فقد عنته وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أبجزه فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتم أخاكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه وعن حذيفة عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة فقالت إنها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتها وقال الحسن ذكر القبر ثلاثة الغيبة واليهتان والافك وكل في كتاب الله عز وجل فالغيبة أن تقول ما فيه واليهتان أن تقول ما ليس فيه والأفك أن تقول ما يملكه وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك الرجل الأسود ثم قال أستغفر الله إني قد اغتبتته وذكر ابن سيرين إبراهيم النخعي فوضع يده على عينه ولم يقل إلا عور وقالت عائشة لا يغتابن أحدكم أحدا فإني قلت لأمرة مرة وأنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إن هذه لطويلة الذيل فقال لي القطي القطي فلقطت مضغة سلم

بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان

اعلم أن المذكور بالاسان انما حرم لأن فيه تفهم الغير نقصان أخيك وتعرضه بما يكرهه فالتعريض به كالتصريح والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء والغزو والمغزو والكناية والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام فمن ذلك قول عائشة رضي الله عنها دخلت علينا امرأة فقلنا ولت أومات بيدي إنها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتها ومن ذلك المحاكاة كأن يمشي متعارجا أو كما يمشي فهو غيبة بل هو أشد من الغيبة لأنه أعظم في التصوير والتفهم ولما روي صلى الله عليه وسلم عائشة حكيت امرأة قال ما يسترني إني حاكيت انسانا وني كذا وكذا وكذلك الغيبة بالكناية فإن القلم أحد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا ونهجن كلامه في الكتاب غيبة إلا أن يقرن به شيء من الاعذار المحوكة الى ذكره كإسبأني بيانه وأما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة إنما الغيبة التعريض لشخص معين إما محي وإما مبين ومن الغيبة أن تقول بعض من ضربنا اليوم أو بعض من رأيته إذا كان مخاطب يفهم منه شخصا معينا لأن المخبر وشهيد دون ما به التفهم فأما إذا لم يفهم عنه جاز كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر من انسان شيئا قال ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا فإسكان لا يبين وقولك بعض من قدم من السفر أو بعض من يدعى العلم إن كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهي غيبة واختر أنواع الغيبة غيبة القراء المرأين فانهم يفهمون المقصود على صيغة أهل الصلاح لينظروا ومن أنفسهم التخصيص الغيبة يفهمون المقصود ولا يدرون بجها لهم أنهم جعواين فاحشيتين الغيبة والرياء وذلك مثل أن يذكر عنده انسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الخطام أو يقول نعوذ بالله من قلة الخيام فقال الله أن يعصمنا منها وإنما قصده أن يفهم عيب الغير فذكره بصيغة الدلاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما أحسن أحوال فلان ما كان يصر في العبادات ولكن قد اعثره فتور وابتلى بما يعتلى به كئنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده أن يذم غيره في ضمن ذلك ويمدح نفسه بالنسبة بالصالحين بأن يذم نفسه فيكون معتابا ومراحميا ومن كئنا نفسه فيجمع بين ثلاث فواحش وهو يجهل بخلق الله

من الصالحين المتقين عن الغيبة ولذلك يلعب الشيطان بأهل الجهل إذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم
فانه يبتغى بهم ويحبط بمكيدته علمهم ويضحك عليهم ويسخر منهم ومن ذلك انه يذ كريب انسان فلا يتنبه
له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما أعجب هذا حتى يصغي اليه ويعلم ما يقول فيذ ك الله تعالى
ويستعمل اسمه آله في تحقيق خبثه وهو عن على الله عز وجل يذ كره جهلانه وضرورا وكذلك
يقول سامي ماجري على صديقان من الاستخفاف به نسأل الله أن يرح نفسه فيكون كاذبا في دعوى
الاستقام وفي اظهار الدعاء له بل لو قصد الدعاء لأخافه في خلوة عقب صلاته ولو كان يتم به لا غم
أيضا بانظارها ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلى بأفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل
ذلك ينظر الدعاء والله مطعم على خبث ضميره وخفي قصده وهو لجهله لا يدري انه قد تعرض لمقت
أعظم مما تعرض له الجاهل اذا جاهر او ومن ذلك الاصغاء الى الغيبة على سبيل التجنب فانه انما يظهر
التجنب ليزيد نشاط المتأنيب في الغيبة فيندفع فيها وكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول
عجب ما علمت انه كذلك ما عرفته الى الآن الا بالخير وكنت أحسب فيه ضرها عافانا الله من بلاءه
فان كل ذلك تصدق بالفتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المتأنيب قال صلى الله
عليه وسلم المستمع أحد المتأنيبين وقد روى عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن أحدهما قال
لصاحبه ان فلانا نذوم ثم انهما طلبا أداما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليا كلابه الخبز فقال
صلى الله عليه وسلم قد اتدتم متافقا لا مانع له قال بلى انكما اكلتما من لحم أحيك كما نظر كيف جمعهما
وكان القتال أحد هما الآخر مستمع وقال الرجلين الذين قال أحدهما أقص الرجل كاقصص
الكلب انهما شام هذه الحيفة فجمع بينهما فاستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا أن ينكر بلسانه أو بقلبه
ان خاف وان قد رعى القيام أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه وان قال بلسانه اسكت وهو
مشته لذلك بقلبه فذلك اتفاق ولا يخرج من اثم ما لم يكره بقلبه ولا يكتفي في ذلك أن يشهر باليد
أى اسكت أو يشير بحاجبه وجبينه فان ذلك استخفاف للذ كور بل ينبغي أن يعظم ذلك فينب عنه
صرحا وقال صلى الله عليه وسلم من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره أذله الله يوم
القيامة على رؤس الخلائق وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض
أخيه بالغيبة كان حقا على الله أن يرذعن عرضه يوم القيامة وقال ايضا من ذب عن عرض أخيه
بالغيبة كان حقا على الله أن يهتفه من النار وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة في فضل ذلك اخبار
كثيرة أوردها في كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا تطول باعادتها

❦ بيان الاسباب الباعثة على الغيبة ❦

اعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها أحد عشر سببا ثمانية منها تطرد في حق العامة
وثلاثة تخص بأهل الدين والخاصة ❦ أما الثمانية ❦ فالأول تشي الغفط وذلك اذا جرى سبب
غضب به عليه فانه اذا حاج غضبه يشقى يذ كره ما يوه فيسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن ثم دين
راذع وقد يمتنع تشي الغفط عند الغضب فيمتنع الغضب في الباطن فيصير حقدًا ثابتا فيكون سببا
دائما للذ كره المساوي فالخند والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة ❦ الثاني موافقة الاقران
وبحاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا كانوا يفتكهم يذ كره الاعراض فغري انه لو انكر
عليهم أو قطع المجلس استغفروه ونفروا عنه فيساعدتهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ونظن انه
بجمالة في الصحبة وقد يغضب رفقاء فيتأج الى أن يغضب لغضبهم اظهار الساهمة في السراء
والضراء فيخوض معهم في ذ كره العيوب والمساوي ❦ الثالث أن يستشعر من انسان انه سيقصده

وطول لسانه عليه أو يفتح حاله عند عتشم أو يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل أن يفتح هو حاله
 ويطعن فيه ليستطأ أثر شهادته أو يبتدئ به كرمافيه صادقاً ليكذب عليه بعد فيروج صكك به
 بالصدق الأول ويستشبهه ويقول مامن عاذي الكذب فإني أخبرتكم بكذا وكنا من أحواله
 فكان كالكذب الرابع أن ينسب إلى شيء فيريد أن يبرأ منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه أن يبرئ
 نفسه ولا يذكر الذي فعل فلا ينسب غيره إليه أو يذكر غيره بأنه كان مشاركاً له في الفعل ليهذب ذلك
 عذ نفسه في فعله الخامس إرادة التصنع والباطة وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان
 جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويرغمهم أنه أعلم
 منه أو يحذر أن يعظم مثل قطعه فيقدح فيه لذلك السادس الحسد وهو أنه ربما يحسد من ينسب
 الناس عليه ويحبونه ويكرهونه فيريد أن يزيل تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلاً إليه إلا بالقدح فيه فيريد
 أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثاء عليه لأنه يشغل عليه أن يسمع كلام
 الناس وشأه لهم عليه وكرامهم له وهذا هو صن الحسد وهو غير الغضب والحقد فإن ذلك يستدعي
 جنابة من الغضب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والرفيق الوافي السابع اللعب
 والمزلة والمطايقة وترجة الوقت بالضحك فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المكاينة ومنشؤه
 التكبر والتعجب الثامن السفيرة والاستهزاء استقاراً له فإن ذلك قد يجري في الحضور ويؤجرى
 أضافاً إلى الغيبة ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزأ به وأما الأسباب الثلاثة التي هي في الخاصة
 فهي أغضبها وأدقها لها شراً ورخباً لها شيطاناً في معرض الخيرات وفيها خبر ولو كان شاب
 الشيطان بها الشر الأول أن تنبعث من الدين دامية التهرب في انكار التكر والخطأ في الدين فيقول
 ما أعجب ما رأيت من فلان فإنه قد يكون به صادقاً ويكون نجه من المنكر ولكن كان حقه
 أن يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في اظهار نجه فصار به مقابلاً وأما من
 حيث لا يدري ومن ذلك قول الرجل تعجب من فلان كيف يجب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس
 بين يدي فلان وهو جاهل الثاني الرحمة وهو أن يفتن بسبب ما يحتل به فيقول مسكين فلان
 قد غنى أمره وما انتسب به فيكون صادقاً في دعوى الاعتقاد وبله النعم عن الحذر من ذكر اسمه
 فيذكر فيصير به مقابلاً فيكون غموره حتمه خيراً وكذا تعجبه ولكن ساقه الشيطان إلى شر من حيث
 لا يدري والترحم والاعتقاد ممكن دون ذكر اسمه فيعجه الشيطان على ذكر اسمه ليطول به ثواب اعتقاده
 وترجمه الثالث الغضب لله تعالى فإنه قد يغضب على منكر فأرفعه انسان إذا رؤى سمعه فيظهر
 غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يظهره
 على غيره أو يستراسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يفتنهم في تركها على العلاء فضلاً عن العوام
 فانهم يظنون أن التعجب والرحمة والغضب إذا كان لله تعالى كان عذراً في ذكر الاسم وهو خطأ بل
 المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كإساقته ذكره روى عن عاصم بن
 أاثلة أن رجلاً صرخ في قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم عليهم فردوا عليه السلام
 فلما جاوزهم قال رجل منهم إني لأبغض هذا الذي قال الله تعالى فقال أهل المجلس ليس منسأ قلت والله لنفبته
 ثم قالوا فلان لرجل منهم قد فادركه وأخبره بما قال فأدركه رسولهم فأخبره فإني الرجل رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وحكي له ما قال وسأله أن يدعو له فدعاه وسأله فقال قد قلت ذلك فقال صلى الله
 عليه وسلم لم يتبسه فقال أنا جاره وأنا به خابر والله ما رأيت به صلى صلاة قط إلا هذه المكتوبة قال
 فأسأله يا رسول الله هل رأيت آخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو الركون أو السجود فيها فبأسأله

فقال لا فقال والله ما رأيته يصوم شهرا قط الا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فاسأله
يا رسول الله هل رأي قط أفطرت فيه أو نقصت من حقه شيئا فأسأله عنه فقال لا فقال والله
ما رأيته يعطى سائلا ولا مسكينا قط ولا رأيته ينق شيئا من ماله في سبيل الله الا هذه الزكاة التي
يؤذيها البر والفاجر قال فاسأله هل رأي نقصت منها أو ما كست فيها طالبا الذي يسأله فأسأله
فقال لا فقال صلى الله عليه وسلم للرجل قم فاعلم خبر منك

بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة

اعلم أن مساوى الأخلاق كلها إنما تعالج بمجون العلم والعمل وإنما علاج كل علة بمضادة سببها
فإنه فحس عن سببها وعلاج كلف اللسان عن الغيبة على وجهين أحدهما على الجملة والآخر على
التفصيل أما على الجملة فهو أن يعلم تعريضه لسخط الله تعالى بغيبته هذه الأخبار التي رويتها وأن
يعلم أنها عظمة لحسناته يوم القيامة فأنثقل حسناته في القيامة على من اعتابه بدلا عما استباحه
من عرضه فإن لم يتصبر له حسنات تقل اليه من سيئات خصمه وهو مع ذلك متعرض لعقوبة الله
عز وجل ومتسبب عنده بكل الميتة بل العبد يدخل النار بأن ترجح كفة سيئاته على كفة حسناته
وربما تنقل اليه سيئة واحدة من اعتابه فيحصل بها الرحان ويدخل بها النار وإنما أقل الدرجات
أن تنقص من ثواب أعماله وذلك بعد الخاصة والمطالبة والسؤال والجواب والنسب قال صلى الله
عليه وسلم ما التاري اليسر بأسرع من الغيبة في حسنات العبد وروى أن رجلا قال الحسن بلغني
أنك تقاضني فقال ما بلغ من قدرك عندى أنى أحبك في حسناتى فهما آمن العبد بما ورد من الأخبار
في الغيبة لم يطق لسانها خوف من ذلك وينفعه أيضا أن يتدبر في نفسه فإن وجد فيها عيبا اشتغل
ببعب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومهما وجد عيبا
فينبغي أن يستحي من أن يترك ذلك نفسه ويذكر غيره بل ينبغي أن يحقق أن يحقر غيره عن نفسه في التنزه
عن ذلك العيب كغيره وهذا أن كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره وإن كان أمر أخلاقيا فالذم له ذم
المخالق فإن من ذم صنعة فقد ذم صانعها * قال رجل لحكيم يا قبيح الوجه قال ما كان خلق وجهي
إلى فأحسنه وإذا لم يجد العبد عيبا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوّن نفسه بأعظم العيوب فإن
ثلب الناس وكل لحم الميتة من أعظم العيوب بل لو أن نصف تعلم أن ظنه بنفسه أنه يرى من كل عيب
جهل بنفسه وهو من أعظم العيوب وينفعه أن يعلم أن تالم غيره بغيبته كآله بغيبته غيره له فإذا كان
لا يرضى لنفسه أن يفتاب فينبغي أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جليلة أما
التفصيل فهو أن يتطرق السبب الباعث له على الغيبة فإن علاج العلة يقطع سببها وقد قدمنا
الاسباب أما الغضب فيعالجه بما سبب في كل آفات الغضب وهو أن يقول إذا إذ أفضيت
غضبي عليه فليل الله تعالى على غضبي على سبب الغيبة أدناها عنها فأجترأت على نهيه واستغفرت
بزرعوق قال صلى الله عليه وسلم إن لجهنم بابا لا يدخل منه الا من شفي غيظه بعصية الله تعالى وقال
صلى الله عليه وسلم من أتى ربه أمسك لسانه ولم يشف غيظه وقال صلى الله عليه وسلم من كلم
غضا وهو يقدر على أن يغيبه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يصيره في أذى الخلود
شاموا في بعض الكتب التزلة على بعض النبيين بأن آدم أذرك في حين غضب أذرك حين غضب
فلا أحقق فبين أحق وأما التزلة فمما قل أن الله تعالى يغضب بملك إذا ظلمت سخطه في رضاء
المخلوقين فكيف يرضى لنفسك أن توفرك غيرك وتحقر مولدك فتترك رضاءهم الآن لا يكون
غضبك لله تعالى وذلك لا يوجب أن تترك الغضب عليه يسوء بل ينبغي أن تغضب لله أيضا على

وقمائك اذا ذكروه بالسوء فاتهم عصورك بأفحش الذنوب وهي الغيبة وأمانتبه النفس بنسبة
الغير الى الخيانة حيث يستغنى عن ذكر الغير فتعالجه بان تعرف أن التعرض لمقت الخالق أشد من
التعرض لمقت المخلوقين وانت بالغبية متعرض لسخط الله يقينا ولا تدري انك تقطع من سخط
الناس أم لا فخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتم لك في الآخرة وتحسر حسناك بالحقيقة ويحصل لك
ذم الله تعالى نقداً وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان وأما عدوك كصكر لك
ان اكلت الحرام فخلان يأكله وان قبلت مال السلطان فخلان يقبله فهذا جهل لانك تعتذر
بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فان من خالف أمر الله تعالى لا يقتدى به كاتن من كان ولودخل
غيرك النار وانت تقدر على أن لا تتدخلها ثم توافقه ولو وافقه لسفه عقلك فحيما ذكرته غيبة وزيادة
معصية أضفتها الى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجحيم بين المعصيتين على جهلك وضباوتك وكنت
كالشاة تنظر الى المعزى ترى نفسها من قلة الجبل فهي أيضاً ترى نفسها ولو كان لها الناس ناطق
بالعذر وصرحت بالعذر وقالت العزرا اكيس مني وقد أهلكت نفسها فكذلك انا أفعل لكنني
تخحك من جهلها وحالها مثل حالها ثم لا تعجب ولا تخجك من نفسك وأما فضلك المباهة وتركية
النفس زيادة الفضل بأن تفسح في غيرك فينبغي أن تعلم انك بما ذكرته به أبطلت فضلك عند الله
وانت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص اعتقادهم فيك ان اعرفوك ثلب الناس
ف تكون قد بدعت ما عند الخالق يقينا مما عند المخلوقين وهما ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل
لكانوا لا ينفون عنك من الله شيئا • وأما الغيبة لأجل الحسد فهو جمع بين مذابيح لانك حسدته
على فحمة الدنيا واكتفى في الدنيا معذبا بالحسد فاقنعت بذلك حتى اضيفت اليه عذاب الآخرة فكنت
خاسرا نفسك في الدنيا فقصرت أيضا خاسرا في الآخرة لتجمع بين النكالين قد قصدت محسودك
فأصبحت نفسك وأهديت اليه حسناك فاذا أنت صديقه وعدوه نفسك اذ لا قصره ضيقك
وقصرك وتفعه انتقل اليه حسناك او تنقل اليك سيئاته ولا تفعلك وقد جعلت الى خبث الحسد

جهل الحماقة وربما يكون حسدك وقد حلك سببا لثأر فضل محسودك كما قيل

وإذا أراد الله شرف فضيلة • طويت أتاح لها بالان حوسد

وأما الاستهزاء فقصودك منه اخزاء غيرك عند الناس بإخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة
والنبيين عليهم الصلاة والسلام فلو تفكرت في حسرتك ونجاستك وخطيتك وخزيك يوم القيامة يوم
تخل سيئات من استهزأت به وتساق الى النار لا دهشك ذلك من اخزاء صاحبك ولو عرفت ذلك
لكنت أولى أن تتحجك منك فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لأن يأخذ يوم القيامة
يدك على ملائمة الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار الى النار مستهزئا بك وفرحوا بخزيك
ومسروا بنصرة الله تعالى اياه عليك وتسلطه على الانتقام منك وأما الرحمة له على اثمه فهو حسن
ولكن حسدك لابلس فأضلك واستنطقك بما ينقل من حسناك اليه ما هو أكثر من زحمتك
فيكون جزاءه الاثم المحروم فيخرج عن كونه مرحوما وتقلب أنت مستقلا إن تكون مرحوما اذ خطب
أجرك ونقصت من حسناك وكذلك الغضب لله تعالى لا يوجب الغيبة وانما الشيطان حبيب اليك
الغبية ليعطى أجر غضبك وتصر معرضا لمقت الله عز وجل بالغبية وأما التهيب اذا أخرجك الى
الغبية فتعجب من نفسك انت كيف أهلك دينك بدين غيرك أو ملبيا وأنت مع ذلك لا تأمن
عقوبة الدنيا وهو أن يهلك الله شركا كما هلك بالتهيب ستر أخيك فاذا علاج جميع ذلك
المعرفة فقط والتحقق بهذه الامور التي هي من أبواب الايمان فمن قوي ايمانه يجمع ذلك ان كيف لسانه

بيان تحريم الغيبة بالقلب

اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك أن تتحدث غيرك بلسانك بما سوى الغير فليس لك أن تتحدث نفسك ونسيء الظن يا حيك ولست أعني به الاعتدال بالقلب وحكمه على غيره بالصورة فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك أيضا معفو عنه ولكن المنهي عنه أن يظن والظن عبارة عما تركز اليه النفس وتعمل اليه القلب فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا مما كتب عليكم من الظن أن بعض الظن اثم وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يعلمها إلا علام الغيوب فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءا إلا إذا انكشف لك ببيان لا يقبل التأويل فتصدق ذلك لا يمكنك لأن تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه بآذنيك ثم وقع في قلبك فأنما الشيطان يلقى اليك البسك فينبغي أن تكذبه فإنه أفسق القساق وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فلا يجوز تصديق البليس وإن كان ثم تحيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يميز أن تصدق به لأن الفاسق يتصور أن يصدق في خبره ولكن لا يجوز لك أن تصدق به حتى إن من استنكفه فوجد منه رائحة الحر لا يجوز أن يتحدثا بل يمكن أن يكون قد تخمض بالخر وبجهلها وما شربها أو حمل عليه فهاهنا فكل ذلك لا محالة لأنه محتمل فلا يجوز تصديقها بالقلب وإساءة الظن بالمسلم ما وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الله حرم من السلم دمه وماله وأَنْ يظن به ظن السوء فلا يستباح ظن السوء إلا بما يستباح به المال وهو نفس مشاهدته أو بينة عادلة فإذا لم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن فينبغي أن تدفعه عن نفسك وتقرر عليها أن حاله عندك مستور كما كان وأن ما رأيت منه يحتمل الخير والشر فإن قلت فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك والتخيل والنفس تتحدث فنقول أماراة عقد سوء الظن أن يتغير القلب معه مما كان فيغير عنه ثغورا ما يستغله ويفترع من أماراته ونقصه وإكرامه والاهتمام بسببه فهذا أمارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث في المؤمن ولهم منهن فخرج فخرج من سوء الظن أن لا يحقيقه أي لا يحقيقه في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح أما في القلب فتغيره إلى النفرة والكراهة وأما في الجوارح فبالعمل بوجهه والشيطان قد يقرر على القلب بأدنى تحيلة مساة الناس وبقى إليه أن هذامن فظنتك وسرعة فهمك وذلك وإن المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق ناظر بغرور الشيطان وظلمته وأما إذا أخبر بك به عدل قال فذلك إلى قصدية كنت معذورا لأنك لو كتبت له لكتبت جانيا على هذا العدل إذ ظننت به الكذب وذلك أيضا من سوء الظن فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحد ونسيء إلا لا خرف فيبغي أن تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة ونعت فتطرق اليهما بسببه فقد ردت الشرع شهادة الأب العدل لله والاهتمام ورؤية العداوة فلك عند ذلك أن تتوقف وإن كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول في نفسك المذكور حاله كان عندني في ستر الله تعالى وكان أمره محجوبا عني وقد بقي كما كان لم يتكشف لي شيء من أمره وقد يكون الرجل ظاهرا للعدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور ولكن قد يكون من عادته التعرض للناس وذكرا منهم فهذا قد يظن أنه عدل وليس بعدل فإن الاختلاف فاسق وإن كان ذلك من عادته ردت شهادته إلا أن الناس لكثرة الاعتقاد تساهلوا في أمر الغيبة ولم يكتفوا بالتناول أعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر سوء على مسلم فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعوله بالخير فإن ذلك يهبط الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي اليك الخاطر السومخية من اشتغالك بالعداء والمراعاة ومهما

عرفت هفوة مسلم بحجة فافهمه في السر ولا يخدعك الشيطان فيدعوك الى اعتيابه واذا وعظته فلا تعظه وانت مسرور باطلاعك على نفسه ليتطرب اليك بعين التطلع وتنتظر اليه بعين الاستفار وترفع عليه ببدء الوظف وليكن قصدك تخلصه من الاثم وانت حزين كما تحزن على نفسك اتدخلك عليك نقصان في دينك وينبغي أن يكون تركه لذلك من غير نصحك أحب اليك من تركه بالنصيحة فاذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوظف وأجر التلم بعينيه وأجر الأمانة له على دينه ومن غمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا يقع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضا منهي عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فالنسية وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة ومعنى التجسس ألا لا تترك عباد الله تحت ستر الله فتوصل الى الاطلاع وهتك السرخى تكشف له ما لو كان مستورا عنه كان أسلم لقلبه ودينه وقد ذكرنا في كتاب الامر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته

بيان الاعذار المرخصة في النسية

اعلم أن المرخص في ذكر مساوي الغير هو عرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم النسية وهي ستة امور الاول التظلم فان من ذكر فاضيا بالظلم والخيانة وأخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا لم يكن مغلوبا أما المظلوم من جهة القاضي فله أن يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم اذا لم يكن استغفاه حقه الا به قال صلى الله عليه وسلم ان لصاحب الحق مقالا وقال عليه السلام مظل الغني ظلم وقال عليه السلام في الواحد يجل عقوبته وعرضه والثاني الاستمانة على تغيير المنكر ورده العاصي الى منهج الصلاح كما روي ان عمر رضي الله عنه مر على عثمان وقيل على طلحة رضي الله عنه فسلم عليه فلم ير ذلك السلام فذهب الى أبي بكر رضي الله عنه فذكر له ذلك فباه إليه بكره اليه بالصحيح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه أن أبا جندل قد عاقرا اخر بالشام كتب اليه بسم الرحمن الرحيم حم نزل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب الآية فتاب ولم ير ذلك عمر من أبلغه غيبة إذ كان قصده أن يذكر عليه ذلك فينفعه نصيحة ما لا ينفعه نصع عرو واما اباحة هذا بالقصد الصحيح فان لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما الثالث الاستفتاء كما يقول للفقي ظلمي أني أو زوجتي أو أختي فكيف طريقي في الخلاص والاسلم التعريض بأن يقول ما قولك في رجل ظلمه أبوه أو أخوه أو زوجته ولكن التعيين مباح هذا القدر لما روي عن هذيل بن عتبة أنها قالت لابي صلى الله عليه وسلم ان أباسفيا رجل شجع لا يهبطني ما يكتفي أنا وولدي افتأخذ من غير علم فقال خذ ما يكتفيك ووليك المعروف فذكرت الشجع والظلم لما وولدها ولم ير جرحا صلى الله عليه وسلم إذ كان قصدها الاستفتاء الرابع تحذير المسلم من الشر فاذا رأيت فقهيا يتردد الى مبتدع أو فاسق وخفت أن تتعدي اليه بدعته وفسقه فلك أن تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث الخوف عليه من سرابة البدعة والفسق لا غيره وذلك موضع الفرور إذ قد يكون الخسد هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك بانظارا للشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرف المملوك بالسرقه أو بالفسق أو يبيع آخر فلك أن تذكر ذلك فان في مسكونك ضرر المشتري وفي ذلك ضرر العبد والمشتري أولى برأه عاصيه وكذلك المزدكي اذا سئل عن الشاهد فله الطعن فيه ان علم مطعنا وكذلك المستشار في الترويج وايداع الأمانة له أن يذكر ما يعرفه على قصد النصيح للمستشير لا على قصد الوقعة فان علم انه يترك الترويج يحجر قوله لا تصنع كقولك فهو الواجب وفيه السكينة وان غلم انه لا يتجرأ بالانصيح بعينه فله أن يصرح به اذا قال صلى الله عليه وسلم أترضون من ذكر الفاجر مني يعرفه الناس اذ كره بما فيه حتى يحذره الناس وكانوا يقولون ثلاثة لا نبيه لهم

الامام الجائر والمتدع والمجاهر بفسقه * الخامس أن يكون الانسان معروفاً بلقب يعرب عنه عيبه كالاعرج والاعمش فلا يتم على من يقول روى أبو نازع عن الاعرج وسلمان من الاعمش وما يجري مجراه فقد فعل الطاعة ذلك للضرورة التعرف ولأن ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لوعله بعد أن قد صار مشهوراً به فم إن وجدته معدلاً وأمكنه التعرف بصارته أخرى فهو أولى ولذلك يقال للاممي البصير عدولاً عن اسم النقص * السادس أن يكون مجاهراً بالفسق كالخثث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان من ينظره به بحيث لا يستنكف من أن يذكره ولا يكره أن يذكره فإذا ذكرت فيه ما ينظره به فلا يتم عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألقى جلباب الحياء من وجهه فلا غيبة له وقال عمر رضي الله عنه ليس لك فاجر حرمه وأراد به المجاهر بفسقه دون المستتر والمستر لا بد من مراعاة حرمة وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاسق المعلن بهجوره ذكرى له بما فيه غيبة له قال لا ولا كرامة وقال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بفسقه والامام الجائر فوالله الثلاثة بهمهم أنهم ينظرون به ويرعبون آخرهون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون تطهاره لم يؤذ كرههم ينظرون به أنهم وقال عرف دخلت على ابن سيرين فنبأته عنده الحاج فقال ان الله حكم عدل ينتقم العجاج من اغتابه كايئتم من الحاج لمن ظلموا انك اذا اقيت الله تعالى عداً كان أصفر ذنباً أصبته أشد عليك من أعظم ذنب اصابه الحاج

بيان كفارة الغيبة

اعلم أن الواجب على المتأيب أن يتندم ويتأسف على ما فعله ليخرج به من حق الله سبحانه ثم يستعمل المتأيب ليخرج من مظلمته وينبغي أن يستعمله وهو حزين متأسف نادى على فعله الذي الرأى قد يستعمل يظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادى ما يكون قد فارق معصية أخرى وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما استدل في ذلك بما روى أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة من اعتبته أن تستغفر له وقال مجاهد كفارة كل لحم أخيك أن تنثى عليه وتدعوه ليخبر وسئل عطاء بن أبي رباح عن التوبة من الغيبة قال أن تنثى إلى صاحبك فتقول له كذبت فيما قلت وظلمتك وأسأت فان شئت أخذت بجهتك وان شئت صفوت وهذا هو الاصح وقول القائل العرض لا عرض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كادام ضعيفاً قد وجب في العرض حداً انذف وثبت المظالم به بل في الحديث الصحيح ما روى انه صلى الله عليه وسلم قال من كانت ل أخيه عنده مظنة في عرض أو مال فليستطاعها منه من قيل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم فاما يؤخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزبدت على سيئاته وقالت عائشة رضي الله عنها امرأة قالت لأخري انها طوبى له الذيل قد اغتبتها فاستطاعها فإذا لم ينسج الاستحلال ان قدر عليه فان كان غائباً وميتاً فينبغي أن يكثر له الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات فان قلت فالتمليل هل يجيب فأقول لا لانه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر أن يبالغ في التماس طيبه والتودد إليه ولازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطيب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له مقابل ما سببه الغيبة في القيامة وكان بغض السلف لا يحل قال سعد بن المسيب لا أحل من ظلمني وقال ابن سيرين اني لم أحرّم ما عليه فأحلها الله ان الله حرّم الغيبة عليه وما كنت لأحل ما حرّم الله أبداً فان قلت فامعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم فينبغي أن يستعملها وتحلل ما حرّمه الله تعالى غير ممكن فتقول المراد به العفو

عن المظلة لا أن يتقلب الجرام حلالا ومافأله ابن سيرين حسن في التحليل قبل النية فإنه لا يجوز له أن
يجعل لغیره النية فإن قلت فإمعني قول النبي صلى الله عليه وسلم أيجزأ حكمك أن يكون كأبي ضميم
كان إذا خرج من بيته قال اللهم اني قد صدقت برضى على الناس فكيف يصدق بالعرض ومن
تصدق به فهل يباح تناوله فإن كان لا تصدقته فإمعني الحث عليه فنقول معناه لا أن يطلب
مطلبة في القيامة منه ولا أخاصمه ولا فلا تصير النية حلالا به ولا تسقط المظلة عنه لأنه عفو قبل
الوجوب إلا أنه وعدوله العزم على الوفاء بأن لا يتخاصم فإن رجع وخاصم كان القياس كسائر الحقوق
أن له ذلك بل صرح الفقهاء أن من أباح القذف لم يسقط حقه من حد القاذف ومظلة الآخرة مثل
مظلة الدنيا وعلى الجملة فالغوا أفضل قال الحسن إذا جئت الأعمى بين يدي للمعزة وجعل يوم القيامة
نودا اليهم من كان له أجر على الله فلا تقوم إلا العافون عن الناس في الدنيا وقد قال الله تعالى خذ العفو
وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا العفو فقال
إن الله تعالى يأمر أن تغفر عن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك ورؤى عن الحسن أن
رجلا قال له إن فلانا قد اغتصبك فبعت إليه رطباً على طبق وقال قد بلغني أنك أهديت إلى من
حسنتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرنى فإني لا أقدر أن أكافئك على التمام

الآفة السادسة عشر النعمة

قال الله تعالى هازمناه بنعيم ثم قال عتق بعد ذلك زعيم قال عبد الله بن المبارك الزعيم ولد الزنا الذي
لا يكتم الحديث وأشار به إلى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنعمة دل على أنه ولد زنا استنباطا
من قوله عز وجل "عتق بعد ذلك زعيم والزعيم هو الدعي" وقال تعالى ويل لكل همزة لمرة قبل الهمزة
التمام وقال تعالى حمالة الحطب قبل أنها كانت غامة حمالة الحديث وقال تعالى فغناها ما لم يغنيا
عنها من الله شيئا قبل كانت امرأة لوط تحب بالضيق وأمر أنوح تحب أنه ينجون وقد قال صلى
الله عليه وسلم لا يدخل الجنة تمام وفي حديث آخر لا يدخل الجنة قتات والقتات هو التمام وقال
أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبك إلى الله أحسنكم أخلاقا لوطون أكا فاء الذين
بالقون ويؤلفون وإن أبغضكم إلى الله المشاؤون بالسمية المفرقون بين الإخوان الملتصقون للبراء
العثرات وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بشراكم قالوا بلى قال المشاؤون بالنعمة المفسدون بين
الأخبة الباغون للبراء العيب وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشاع على مسلم كفة
ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أعمار جل أشاع على رجل كفة وهو منها يرى وليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يلبسها
يوم القيامة في النار وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد على مسلم شهادة
ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار ويقال إن ثلث عذاب القبر من النعمة وعن ابن جرير عن
النبي صلى الله عليه وسلم أن الله لما خلق الجنة قال لها كل من دعاك سعدت ودخلت فقال الجبار
جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكنك مدمن خمر ولا مضر
على الزنا ولا قتات وهو التمام ولا ذيرث ولا شرطي ولا خنث ولا فاطم رجم ولا الذي يقول على عهد
القائم لم أفعل كذا وكذا ثم لم يف به ورؤى كعب الأحبار أن نجا سرائيل أصحابه فخط فاستنق
موسى عليه السلام مرأتا فاستقروا فأوحى الله تعالى إليهما أن لا تستحيين ولين معك وفيكم تمام
قد أصرت على النعمة فقال موسى يا رب من هو ذلتي عليه حتى أخرجه من بيتنا قال موسى إنهما
عن النعمة وأكون تماماً فابوا جميعاً ففسحوا وقال انس رجل حكما سبعة ففرح في سبع كبات

فلما قدم عليه قال اني جئت لك لاني آتاك الله تعالى من العلم أخبرني عن السماء وما أنقل منها وعن
الارض وما أوسع منها وعن النجوم وما أضيئ منها وعن النار وما أحر منها وعن الزمهرير وما أبرد
منه وعن البحر وما أغشى منه وعن البقيع وما أذل منه فقال له الحكيم البتة ان على البريء أنقل
من السموات والحق أوسع من الارض والقلب القانع أغنى من البحر والحرص والحسد أحر من
النار والحاجة الى القريب اذ لم تنجح أبرد من الزمهرير وقلب الكافر أقسى من الحجر والتمام اذ ابا ان
أمره أذل من البقيع

﴿بيان حذو التهمة وما يجب في ردّها﴾

اعلم أن اسم التهمة انما يطلق في الاكثر على من يتم قول الغير الى القول فيه كاتقول فلان كان يتكلم
فك يكذب وكذا وليست التهمة مختصة به بل حذوها ككشف ما يكبره كشفه سواء كرهه المتقول منه
أو القول البلية وكرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالعرض أو بالاعمال وسواء كان
المتقول من الاعمال أو من الاقوال وسواء كان ذلك عيباً ونقصاً في المتقول عنه أو لم يكن بل حقيقة
التهمة اقشياء السر وهتك السر عما يكبره كشفه بل كل ما رآه الانسان من أحوال الناس مما يكبره
فينبغي أن يسكت عنه الا ما في حكايته فائدة فسلم أو دفع لعصبة كما اذا رأى من يتناول مال غيره
فعليه أن يشهد به مراعاة الحق المشهود له فاما اذا رآه يخفي ما لا نفسه فذكره فهو تهمة واقشاء للسر
فان كان ما به تهمته نقصاً وعيباً في الحكمي عنه كان قد جمع بين الغيبة والتهمة فالباعث على التهمة
انما ارادة السوء للحكي عنه أو اطهارا لالحب للحكي له أو التفرج بالحديث والخوض في الفضول
والباطل وكل من حملت اليه التهمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا أو ففلان في حقك كذا أو هو
يذري فيفساد أمرنا أو في عمالنا فعدوك أو تضيع حاك أو ما يجري مجراه فعليه ستة أمور * الأول
أن لا يصده لأن القيام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق
فنبأ فنبئوا أن تصيدوا قوماً يجهلون * الثاني أن يتهاون ذلك وينصح له ويقبح عليه فعليه قال الله
تعالى وأمر بالمعروف ونه عن المنكر * الثالث أن يبغضه في الله تعالى فانه يقبض عند الله تعالى
ويجب ببغض من يبغضه الله تعالى * الرابع أن لا تقفن بأخيك العتاب السوء لقول الله تعالى اجتنبوا
صككثيرا من الظن ان بعض الظن اثم * الخامس أن لا تجعل ما حكي لك على العجس والجهل
لتحقق اتباعا لقوله تعالى ولا تحسبوا * السادس أن لا ترضى لنفسك ما نهيت القيام عنه ولا تحكي
تيممه فتقول فلان قد حكي لي كذا وكذا فتسكون به بما موافقا وتكون قد أثبت ما نهيت
وقد روى عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئا فقال له
عمر ان شئت نظرناني أمرنا فان كنت كاذبا فانت من أهل هذه الآية ان جاءكم فاسق فنبأ فنبئوا
وان كنت صادقا فانت من أهل هذه الآية هما زمشاء بنهم وان شئت عفونا عنك فقال الفقيه أمير
المؤمنين لأموذاه أبدا * وذكر أن حكيميا من الحكماء زاره بعض اخوانه فأخبره بخبر من بعض
أصدقائه فقال له الحكيم قد أبطأت في الزبارة وأثمت ثلاث جنابات بغضت أخى الى وشغلت
قلبي الفارغ وأهمت نفسك الامينة وروى سليمان بن عبد الملك كان خالسا وعنده الزهري ف جاءه
رجل فقال له سليمان بلغني انك وقعت في وقت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمان
ان الذي أخبرني صادق فقال له الزهري لا يكون تمام جهاد فاقول سليمان جددت ثم قال للرجل
اذهب بسلام وقال الحسن من ثم اليك ثم عليك وهذا اشارة الى أن القيام ينبغي أن يبغض ولا يوثق
بقوله ولا يصدق اقته وكيف لا يبغض وهو لا يثقل عن الكذب والغيبة والفدر والحياة والقبل

والحسد والتفاق والافساد بين الناس والخديعة وهو من يسعى في قطع ما أمر الله به أن يوصل
وغسدون في الأرض وقال تعالى إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويغشون في الأرض فيغير الحق
والتيامم منهم وقال صلى الله عليه وسلم من من شرار الناس من اتقاء الناس بشره والتمام منهم وقال
لا يدخل الجنة قاطع قبل وما القاطع قال قاطع بين الناس وهو التمام وقيل قاطع الرحم وروى عن علي
رضي الله عنه أن رجلا سعى إليه رجل فقال له ما هذا نحن نسال عما قلت فإن كنت صادقا مقتناك
وان كنت كاذبا عاقبتك وان شئت أن نقبلك أقتناك فقال أقتني يا أمير المؤمنين وقيل لمحمد بن كعب
القرظي أي خصال المؤمن أو وضع له فقال كثرة الكلام وافشاء السر وقبول قول كل أحد وقال
رجل لعبد الله بن عامر وكان أميراً بلقي أن فلاناً علم الأمير أني ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال
فأخبرني بما قال لك حتى أظهر كذبه عندك قال ما أحب أن أشتم نفسي بلساني وحسبي أني لم أضدقه
فيما قال ولا أقطع عنك الوصال • وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما تظنكم تقوم بجد
الصدق من كل طائفة من الناس إلا منهم وقال مصعب بن الزبير عن زكريا أن قول السعاية شر من
السعاية لأن السعاية دلتها القول اجازة وليس من دلت على شيء فأخبر به كمن قبله وأجازة فافترقا
الساعي فلو كان صادقا في قوله لكان لثيبا في صدقه حيث لم يحفظ الحرمه ولم يستر العورة والسعاية
هي التهمة إلا أنها إذا كانت إلى من يخاف جانبها سميت سعاية وقد قال صلى الله عليه وسلم الساعي
بالناس إلى الناس لغير رغبة يعني ليس بولد حلال ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه
في الكلام وقال اني مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحمله وان كرهته فأن وراءه ما يجب ان قبلته
فقال قل فقال يا أمير المؤمنين انه قد استفتك رجال انا عواد نياك بدنبهم ورضناك بسخطهم
خافوك في الله ولم يخافوا الله فذلك فلاناً منهم على ما ائتمك الله عليه ولا تصح اليهم فيما استغفرك
الله اياه فانهم لن يأووا في الامة خسفا وفي الامانة تضيعا والامراض قطعوا انتهاكا على قلوبهم البغي
والتمعة وأجل • وسألهم النبية والوقعة أنت مسئول عما أجروا وليسوا المسئولين عما جرموا
فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس غنا من باع آخرته بدنيا غيره وسعى رجل زيادة
الاهم إلى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما المواقفة فأقبل زياد على الرجل وقال
فأنت امرؤا ما ائتمتكت خالبا • فقلت زما قلت قول لا بلعالم
فأنت من الامر الذي كان بيننا • مجترلة بين الخبيثة والاثم
وقال رجل لعمرو بن عبد ان الاسوارى ما زال يذكر في قصصه بشر فقال له عمرو ما هذا ما رايت
حق مجالساة الرجل حيث ثقلت البياحديته ولا أدبت حق حين أعلتني من أخي ما أكره ولا يمكن
أعله ان الموت بيننا والقرى بضمنا والقائمة بجمعنا والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين • ورفع
بعض السعاداتي الصاحب بن عباد رقبته فيها على مال يتم بجملة على أخذه لكثرة فوقع على ظهرها
السعاية فبقة وان كانت صحيحة • فان كنت أجربها مجرى النصح فغير انك فيها أفضل من الرج
ومعاذ الله ان تقبل مهتوكا في مستور ولولا انك في خفارة شينك لقابلناك بما قضت فضلك في مثلك
فتوق يا ملعون العيب فان الله أعلم بالعبب الميت رحمه الله واليتم جبره الله والمال ثمرة الله الساعي
لغنه الله وقال لقمان لابنه يا بني أوصيك بخلاف ان تمسكت بهن لم تزل سبيدا البسط خلقك للتقرب
والعندو أمسك جهلك من الكريم والتم واحفظ اخوانك وصل أقاربك وأمتهم من قبول قول
ساع أو سماع عا غير يفسدك وروم خدامك وليكن اخوانك من اذا فارقهم وفارقوك لم تبعهم
ولم يبيروك وقال بعضهم التهمة مبنية على الكذب والحسد والتفاق وفي أثنائي الذل وقال بعضهم

لوصح ما قتله الغلام اليك لكان هو الجعري بالشتم عليك والنقول عنه اولى بحكك لانه لم يقابلك
بشتمك وعلى الجملة فقتل الغلام عظيم ينبغي أن يتوفى قال حماد بن سلة باع رجلا عبدا وقال للشعري
ما فيه عيب الا النعمة قال قد وضعت فاشتريه فكنت الغلام أيا ما ثم قال لزوجي فمولا ان سيدى
لا يحبك وهو يريد أن يسرى عليك فخذى موسى واحلقى من شعره فاه عند نومه شعرات حتى
أسمره عليها فيصير كالمزج ان امرأتك اتخذت خبيلا وترى أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف
ذلك فتناوم لها فماتت المرأة بالموسى فظن انها تريد قتله فقام اليها فقتلها فماتت المرأة فقتلوا الزوج
ووقع القتال بين القبيلتين ففسأل الله حسن التوفيق

في الآفة السابعة عشر

كلام ذي اللسانين الذي يرد دين المتعادين ويحكم كل واحد منهما بكلام بواقعه وقلما يتخلو عنه من
بشاهد متعادين وذلك عين النفاق قال حماد بن سلة باع رجلا عبدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له
وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تجحدون من ثمر صبا لله يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بجديث وهؤلاء بحديث وفي لفظ آخر
الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال أبو هريرة لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أمينا عند الله
وقال مالك بن دينار قرأت في التوراة بطلت الامانة والرجل مع صاحبه يشفتين مختلفتين جهل الله
تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين وقال صلى الله عليه وسلم أفيض خليفة الله الى الله يوم القيامة
الكذابين والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم غلقوا لهم
والذين اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا يطاموا ويدعوا الى الشيطان وأمره كانوا سراعا وقال ابن مسعود
لا يصكون أحدكم أمة قالوا وما الامعة قال الذي يجري مع كل ربح وانفقوا على أن ملاقة الاثنين
بوجهين نفاق ولتفاق غلامات كثيرة وهذه من جهلها وقد روى أن رجلا من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم مات فلم فصل عليه حذيفة فقال له عمر يموت رجل من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم فصل عليه فقال يا أمير المؤمنين انه منهم فقال تشدك الله انهم أم لا قال اللهم
لا ولا تؤمن منها أحد بعد ذلك فان قلت بماذا يصبر الرجل ذا السانين وما حذفت فقول اذا دخل على
متعادين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن مناققا ولا ذا السانين فان الواحد قد صادق
متعادين ولا يمكن صداقة ضعيفة لا تنهى الى حذ لا أخوة اذا لو تحققت الصداقة لا قبضت معاداة
الاعداء كما ذكرنا في كتاب آداب الصبوة والاخوة نعم لو نقل كلام كل واحد منهما الى الآخر فهو ذا لسانين
وهو شر من التهمة الا يصير غما ما بان ينقل من أحد الجانبين فقط فاذا نقل من الجانبين فهو شر من
الغلام وان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو
لسانين وكذلك اذا وقع كل واحد منهما بان يصبر وكذلك اذا اتى على كل واحد منهما في معاداة
وكذلك اذا اتى على أحد هدا وكان اذا خرج من عنده يذمه فهو ذا لسانين بل ينبغي أن يسكت أو
يشي على الحق من المتعادين ويشتي عليه في غيبته وفي حضوره وبين يدي عدوه قبل أن يمرضى الله
عنه ما ان دخل على امرأته فاقول القول فان اخرجنا قلنا غيره فقال كانه هذا اذا فاعلى عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهذا نفاق مهما كان مستقبيا من الدخول على الأمير وعرض التماس عليه فلو استغنى
عن الدخول ولو لم يكن اذا دخل يخاف أن لم يشفق فهو نفاق لانه الذي أخرج نفسه الى ذلك فان كان
مستقبيا من الدخول لوقع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والفتى وأتى فهو منافق
وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه يفتنان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل

لانه يحوج الى الامراء والى مرأطهم ومراآتهم فاما اذا ابتلى به للضرورة وخاف ان لم يشرفوه معذور فان اتهم الشريحتا قال أبو الدرداء رضي الله عنه اننا لكثير في وجوه اقوام وان قلوبنا لتناهم وقالت عائشة رضي الله عنها استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انذروا له فئس رجل العشرة هو ثم لما دخل ألان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم أنت له القول فقال يا عائشة ان شر الناس الذي يصكركم اتقامشرة ولكن هذا ورد في الاقبال وفي الكشر والتبسم فاما التباء فهو كذب صراح ولا يجوز الا للضرورة او اكره ايح الكذب بمثله كاذرناه في آفة الكذب بل لا يجوز التشاء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في معرض التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي أن ينكر فان لم يقدرفيصك بلسانه وينكر قلبه

﴿ الآفة الثامنة عشر ﴾

المدح وهو منهي عنه في بعض المواضع أما المذموم فهو الغيبة والوقعة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست آفات أربع في المادح واثنان في الممدوح ﴿ فاما المادح ﴾ فالاولى أنه قد يفرط فينتهي به الى الكذب قال خالد بن معدان من مدح اماما أو احدا بما ليس فيه صلى على رؤس الشهداء بعنه الله يوم القيامة تتعثر بلسانه الثانية انه قد يدخله الراء فانه بالمدح مظهر للصب وقد لا يكون مضمره ولا معتقد الجميع ما يقوله فيصير به حرايا منافقا الثالثة انه قد يقول ما لا يتفقوه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه روى أن رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفغ ثم قال ان كان أحبك لا يذمها دحا أخاه فليقل أحسب فلانا ولا أذكر على الله أحدا حسبه الله ان كان يرى انه كذلك وهذه الا فتتطرق الى المدح بالابوصاف المطلقة التي تعرف بالادلة كقوله انه متق وورع وزاهد وخير وما يجري مجراه فاما اذا قال رأيتته صلى بالليل ويصدق ويحج فهذه أمور مستيقنة ومن ذلك قوله انه عدل رضي فان ذلك خفي فلا ينبغي أن يجزم القول فيه الا بعد خبرة باطنه سمع عمر رضي الله عنه رجلا يثنى على رجل فقال اسأرت معه قال لا قال أخلطته في المباينة والمعاملة قال لا قال فانت جاره صاحبه ومسه قال لا فقال والله الذي لا اله الا هو لا أراك تعرفه الرابعة انه قد يفرح بالمدح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يفضب اذ مدح الفاسق وقال الحسن من دعا لظالم بطول البقاء قضا أحب أن يعضي الله تعالى في أرضه والظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليقيم ولا يمدح ليفرح ﴿ واما الممدوح فيضرمه من وجهين ﴾ أحدهما انه يحدث فيه كبر او اعجابا وهما مهلكان قال الحسن رضي الله عنه كان عمر رضي الله عنه جالسا ومعه الدرة والناس حوله ما أقبل الجارود بن النضر فقال رجل هذا سيد ريعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود فدلنا مناهضة خفة بالدره فقال مالي ولك يا أمير المؤمنين قال مالي ولك أما لقد سمعتم قال سمعتم قال خشيت أن يخالط قلبك مني شيء فأحببت أن أطأ طئي منك الثاني هو انه اذا ثنى عليه بالخبر فرح به وقرورضى عن نفسه ومن أعجب بنفسه قل تتمره وانما يشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاما اذا انطلقت اللسان بالشنا عليه ظن انه قد أدرك ولهذا قال عليه السلام قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفغ وقال صلى الله عليه وسلم اذ امدحت أخاك في وجهه فكأنما أمررت على حلقه موسى ريبضا وقال أيضا لمن مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله قال بطرف ما سمعت قط شامولا مدحة الا تصغررت الى نفسي وقال زياد بن أبي مسلم ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة الا تزيه له الشيطان ولكن المؤمن راجع فقال ابن المبارك لقد صدق كلاهما اماما ذكره زياد

فذلك قلب العوام وأما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم لومشي رجل
 إلى رجل يسكن من هرف كان خيرا له من أن يثني عليه في وجهه وقال عمر رضي الله عنه المدح هو
 الذبح وذلك لأن المدح هو الذي يقتصر من العمل والمدح يوجب الفتور وأولان للمدح يورث الجب
 والكبر وهما مهلكان كالمدح فلذلك يشبه به فان سلم المدح من هذه الآفات في حق المادح والمدح
 لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبا إليه ولذلك أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الضحابة
 فقال لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح وقال في عمر لو لم أبعث لبعثت يا عمر وأى تنأى يد على
 هذا ولكنه صلى الله عليه وسلم قال عن صدق وبصيرة وكانوا رضى الله عنهم أجل رتبة من أن
 يورثهم ذلك كبرا وعجا وفتوزا بل مدح الرجل نفسه فيجب عليه من الكبر والتفاخر إذا قال صلى الله
 عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أى لست أقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالشأن على أنفسهم
 وذلك لأن افتقاره صلى الله عليه وسلم كان بالله وبالقرب من الله لا بولد آدم وتقدمه عليهم كما أن
 القبول عند الملك قبول لا عطية إنما يتخير بقبوله إياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل
 هذه الآفات فقد رعى الجميع بين ذم المدح وبين الخشوع عليه قال صلى الله عليه وسلم وجبت لما أتوا
 على بعض الموتى وقال مجاهد إن لبني آدم جلساء من الملائكة فإذا ذكر الرجل المسلم أخاه المسلم بخير
 قالت الملائكة ولك مثله وإذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورته أريع على نفسك
 واحمد الله الذى ستر عورتك فهذه آفات المدح

• بيان ما على المدح •

اعلم أن على المدح أن يكون شديدا لا حرا من آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا يظومنه
 إلا أن يعرف نفسه ويتأمل ما في خطرائها ثم يودق آفة الرياء وآفات الأعمال فإنه يعرف من نفسه
 ما لا يعرفه المادح ولأنه يكشف له جميع أسرارها وما يجرى على خوارطه لكف المادح عن مدحه
 وعليه أن يظهر كراهة المدح بإذلال المادح قال صلى الله عليه وسلم اجشوا التراب في وجوه المادحين
 وقال سفيان بن عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه وأتى على رجل من الصالحين فقال اللهم ان
 هؤلاء لا يعرفون وأنت تعرفني وقال آخر لما أتى عليه اللهم ان عبدك هذا تقرب إلى محبتك وأنا
 أشهدك على مقته وقال على رضي الله عنه لما أتى عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما
 يقولون واجعلني خيرا مما يظنون وأتى رجل على عمر رضي الله عنه فقال أهلكني وتهلك نفسك
 وأتى رجل على علي كرم الله وجهه في وجهه وكان قد بلغه أنه يقع فيه فقال علي أما أدون ما قلت
 وفوق ما في نفسك

• الآفة التاسعة عشر •

في الغفلة عن دقائق الخوف والكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأموال الدين
 فلا يقدر على توفيق القف في أمور الدين إلا العطاء القصاص في قصر في علم أو قضاة لم يخل كلامه
 عن الزلل لكن الله تعالى يغف عنه جهله مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل
 أحدكم ماشاء الله وشئت ولكن ليقبل ماشاء الله ثم شئت وذلك لأن في العطف المطلق تشريكا
 وتسوية وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس رضى الله عنهما جاء رجل إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يكلمه في بعض الأمور فقال ماشاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم أ جعلتني لله عبدا
 بل ماشاء الله وحده وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد
 رشد ومن يعصم فقد غوى فقال قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى فذكره رسول الله صلى الله

عليه وسلم قوله ومن مصهما لانه تسوية وجمع وكان ابراهيم يكره ان يقول الرجل اعود بالله عليك ويجوز ان يقول اعود بالله ثم بك وان يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم ان يقال اللهم اعتقنا من النار وكان قول العتيق يكون بعد الورود وكانوا يستقيمون من النار ويعتقون من النار وقال رجل اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فقال خذفة ان الله ينفي المؤمنين عن شفاعة محمد وتكون شفاعة النبيين من المسلمين وقال ابراهيم اقال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة حمارا وارايتي خلقته خنزيرا ايتي خلقته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان احذركم ليشرك حتى يشرك بكم فيقول لولا له لسرقتا الليلة وقال عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ينهاكم ان تخلقوا بآبائكم من كان حالفا لخليف بالله اولى بصمت قال عمر رضي الله عنه فوالله ما حلفتهم اماند سمعها وقال صلى الله عليه وسلم لا تسموا العنكب ما انما الكرم الرجل المسلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبيدي ولا امتي كلكم عبيد الله وكل نساءكم امام الله ولي قل غلامي وحرابي وقتاي وقتاي ولا يقول المملوك ربي ولا ربي ولي قل سيدي وسيدي فكلكم عبيد الله والرب الله سبحانه وتعالى وقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا للفاست سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد اسخطكم ربه وقال صلى الله عليه وسلم من قال انا ربي من الاسلام فان كان صادقا فهو كمال وان كان كاذبا فنرجع الى الاسلام سالنا فهذا وامثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره ومن تأمل جميع ما اوردها من آفات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم من صمت خال ان هذه الآفات كلها مما للشر ومعاطب وهي على طريق المتكلم فان سكوتك من الكل وان لظن وتكلم خاطر بنفسه الا ان يواظبه لسان فصيح وعلم عزيز ورزق حافظ ومراعية لآفة لازمة ويقلل من الكلام فصار يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا يتفكر عن ان يخطر ان كنت لا تقدر على ان تكون من تكلم فغفم فكيف من سكوت فسلم فالسلامة احدي الغنيتين

آفة العثرون

سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او محدثة ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن الا ان ذلك ثقل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعامة يفرح بالغرض في العلم اذا الشيطان يخيل اليه انك من العلماء وهل الفضل ولا يزال ينجس اليه ذلك حتى يتكلم في العلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العاصي فهي اسلم له من ان يتكلم في العلم لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته وانما شأن العوام الاشتغال بالعبادات والايان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء ادب منهم يستحقون به المقت من الله عز وجل ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال سباسة الموانيع من اسرار الملوك وهو موجب العقوبة وكل من سأل عن علم تامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عاصي ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثره سؤالهم واختلافهم على انبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وقال انس سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فاكروا عليه واغضبوه فصعد المنبر وقال سلوني ولا تسألوني عن شيء الا اني انتمكم به قيام اليوم قال يا رسول الله من اتي فقال ابلوك خذافة قيام اليه بما بان اخوانه قال يا رسول الله من اتي فقال ابلوك اتيه بغير ان اليه ثم قام اليه رجل آخر فقال يا رسول الله افي الجنة انا ام في النار فقال لا بل في النار فلما رأى الناس

غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسكوا مقام اليه عمر رضى الله عنه فقال رضى بنا بالله ربا
وبالاسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبينا فقال اجلس يا عمر رحلت الله انك ما علمت لموقع
وفي الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال واضاعة المال وكثرة السؤال
وقال صلى الله عليه وسلم يوشك الناس نساء لون حتى يقولوا قد خالق الله الخلق فن خلق الله فانا قالوا
ذلك يقولوا قل هو الله أحد الله الصمد حتى يتحموا السورة ثم لينقل أحدكم عن يساره ثلاثا وليس تعد
بالله من الشيطان الرجيم وقال جابر ما نزلت آية التلاعين الا لكثرة السؤال وفي قصة موسى
واخضر عليهما السلام تنبيه على المنع من السؤال قبل اوان استحقاقه اذ قال فان ابغيتي فلا تسألني
عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا فلما سأل من السفينة انكر عليه حتى اعتذرو وقال لا تؤاخذني بما
نسيت ولا ترهقني من أمرى عصرا فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال هذا فرأى بيني وبينك وفارقه
فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهو من الثمرات اللتين فيجب دفعهما ومنعهم من
ذلك وتوضيحهم في حروف القرآن بضاهي حال من كتب الملك اليه كتابا ورسم له فيه أمور اقل يشغل
بشيء منها وضيع زمانه في أن قرطاس الكذب عشق أم حديث فاستحق بذلك العقوبة بالحالة
فكذلك تصيب العباد حدود القرآن واشغاله بحروفه أي قديمة أم حديثة وكذلك سائر
صفات الله سبحانه وتعالى والله تعالى أعلم

﴿ كتاب ذم الغضب والحقد والحسد وهو الكتاب الخامس من ربيع ﴾

المهلكات من كتب احياء علوم الدين ﴿

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي لا يشك على عفوه ورحمته الا الراجون ولا يحد سوء غضبه وسطوته الا الخافون
الذي استدرج عباده من حيث لا يعلمون وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون
وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يقضون ثم خففهم بالمكارة والذات وأمل لهم لينظر
كيف يعملون وامتن به حيم يعلم صدقهم فيما يدعون وعرفهم أنه لا يخفى عليه شيء مما
يسرون وما يعلنون وحذرهم أن يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون فقال ما ينظرون الا الصفة
واحدة تأخذهم وهم يجهلون فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون والصلاة على
محمد رسول الله الذي يسير تحت لوائه النبيون وعلى آله وأصحابه الائمة المهديون والسادة المرضييون
صلاة يوازي عدد هاهنا كما كان من خلق الله وما سيكون ويخطي بركتها الا قولون والآخرون
وسلم تسليما كبيرا (أما بعد) فان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع على
الافتداه وانها المستكنة في طي القواد استكان الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر الذين
في قلب كل جبار عنيد كاستخراج الجمر النار من الحديد وقد انكشف لتأخير بنو البقيع
ان الانسان يترع منه عرق الي الشيطان العيين فن استغزته نار الغضب فقد قوت فيه قرابة
الشيطان حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فان شأن الطين السكون والوقار وشأن
النار التلظى والاستعار والحركة والاضطراب ومن نتائج الغضب الحقد والحسد وبهما هلك
من هلك وفسد من فسد ومفيضهما مضغة اذا صلت صلح معها سائر الجسد واذا كان الحقد
والحسد والغضب مما يسوق العبد الى مواطن العطب فإنا أخرجنا الى معرفة معانيه ومسأوبه
ليجذر ذلك ويغنيه ويعيله من القلب ان كان رغبته ويعالجه ان رغب في قلبه ويدأ به فان
من لا يعرف الشر يقع فيه ومن يعرفه فالمعرفة لا تكفيه ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر

ويقصيه * ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب ويجمعها بيان ذم الغضب
ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالريضة أم لا ثم بيان الأسباب
المهجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم
ثم بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد ونتائج وفضيلة
العفو والرفق ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقة وأسبابه ومعالجته ومواعدة الواجب في إزالته ثم بيان
السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والأخوة وبين العم والأقارب وتأكد وقلة
في غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذي به يشفى مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب في نفي
الحسد عن القلب وبالله التوفيق

بيان ذم الغضب

قال الله تعالى إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى
المؤمنين الآية ذم الكفار بما كانوا عليه من الحية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين
بما أنزل عليهم من السكينة وروى أبو هريرة أن رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل وأقل قال
لا تغضب ثم أعاد عليه فقال لا تغضب وقال ابن عمر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولا
وأقله لعلي أعفاه فقال لا تغضب فأعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع إلى لا تغضب وعن عبد الله بن
عمر أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يتغنّى من غضب الله قال لا تغضب وقال ابن مسعود
قال النبي صلى الله عليه وسلم ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا تصرعه الرجال قال ليس ذلك
ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الشديد
بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من
كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمان بن داود عليهما السلام يا بني أياك وكثرة الغضب فإن
كثرة الغضب تستحق فؤاد الرجل الحليم وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدوا حصورا قال السيد
الذي لا يغلبه الغضب وقال أبو الدرداء قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب
وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لا تغضب قال لا تستطيع أن لا تغضب إنما أنا بشر قال لا تغضب
ما لا قال هذا عصى وقال صلى الله عليه وسلم الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل وقال صلى
الله عليه وسلم ما غضب أحد إلا أشتى على جهنم وقال له رجل أي شيء أشد قال غضب الله قال فما
يعدني من غضب الله قال لا تغضب (الأنار) قال الحسن يا ابن آدم كلما غضبت وثبت وروشت أن
تتب وثبة فتقع في النار وعن ذي القرنين أنه لقي ملكا من الملائكة فقال علني علما زاد به إيمانا
ويقينا قال لا تغضب فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فردا الغضب بالكظم
وسكته بالثؤدة وإياك العيلة فانك إذا جعلت أخطأت خطك وكن مهلا لينا للقرىب والبعد
ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه أن راهبا كان في صومعته فأراد الشيطان أن يفسده فلم
يستطع فجاءه حتى ناداه فقال له أفتح فلم يفتح فجاءه فقال أفتح فاني إن ذهبت تدمت فلم يفتح اليه فقال
إني أنا المسيح قال الراهب وإن كنت المسيح فإصنع بك أليس قد أمرت بالصبر والاحتجاب
ووعدت القيامة فتوجستنا اليوم بغيره لم تقبله منك فقال إني الشيطان وقد أردت أن أضلك فلم
أستطع فميتك لتسألني عما شئت فأخبرك فقال ما أريد أن أسألك من شيء قال فولي مدر فقال
الراهب ألا تسمع قال بلى قال أخبرني أي أخلاق بني آدم أعونك عليهم قال الحدة قال الرجل إذا
كان حديدا قلبه كالقلب الصبيان الكرة وقال خبيثة الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم وإذا

رضي جئت حتى أكون في قلبه وانا غضب طرت حتى أكون في رأسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الانصار رأس الحق الخدعة وقائده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن العلم والجلد والزم ومن منعوا الجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحق جوابه وقال مجاهد قال ابليس ما اعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلاث اذا سكرأ حد هم أخذنا بنجر امته فقدنا حيث شئنا وعمل لنا بما اوجبنا واذا غضب قل بما لا يعلم وعمل بما يندم ونظله بما في يديه ونغميه بما لا يقدر عليه وقيل لحكيم ما املك فلانا لنفسه قال اذا لا تلهها الشهوة ولا يصيرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم اياك والغضب فانه يصيرك الى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال عبد الله بن مسعود انظروا الى حلم الرجل ضد غضبه وامنته عند طمعه وما علمك بجله اذ الم غضب وما علمك بامنته اذ الم يطعم وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله ان لا تعاقب من عند غضبك واذا غضبت على رجل فاجنبه فاذا سكن غضبك فاخرجه وعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد اعط رجل من قرين لعمر بن عبد العزيز القول فاعطى عمر زمانا طويلا ثم قال اردت ان يستغفرني الشيطان بعز السلطان فانال منك اليوم ما تالله مني عند اوقاف بعضهم لانه يابى لا يثبت العقل ضد الغضب كالاتيبت روح الحق في التناير المسجورة فاقل الناس غضبا اعفاهم فان كان الدنيا كان دها ومكروا وان كان الاخرة كان حلاو علما فقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر رضي الله عنه اذا خطب قال في خطبته افغ منكم من حفظ من الطعم والهوى والغضب قال بعضهم من اطاع شهوته وغضبه قاداه الى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين وحزم في دين وايمان في دين وعلم في حلم وكيس في رفق واعطاء في حق وقصد في عني وتجل في فاقة واحسان في قدرة وتجل في رفاقة وصبر في شدة لا يغلبه الغضب ولا يتج به الحق ولا تغلبه شهوة ولا تقصه بطة ولا يستغفر حربه ولا تقصر به نيته فينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يغفل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقترب من اثم الاطم ويصغر من الجاهل نفسه منه في غناو الناس منه في رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك اجل لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من الانبياء لمن تبعه من يشكلى ان لا يغضب فكون معي في درجتي ويكون بعدى خليفتي فقال شباب من القوم انا ثم اعاد عليه فقال الشاب انا وفي به فلما مات كان في منزله بعده وهو ذو الكفل سمي به لانه تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب بن منبه الكفر اربعة اركان الغضب والشهوة والخرق والطعم

بيان حقيقة الغضب

اعلم ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان باسباب في داخل بدنه واسباب خارجية عنه اثم عليه بما يجبه من الفساد يدفع عنه الهلاك الى اجل معلوم سبها في كتابه * اما السبب الداخل فهو انه مركب من الحرارة والرطوبة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتضرها حتى تصير اجزاءها بخارا يصعد منها فلول يصل بالرطوبة مدد من الغذاء فيجتر ما تحلل وتخرج من اجزائها للفساد الحيوان فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعه على تناول الغذاء كالكل به في جبر ما انكسر وسنة ما اتمم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب * واما الاسباب الخارجية التي تعرض لها الانسان فكالسيف والسمان وسائر المهلكات التي قصد بها فافتقر الى قوة وجمية تنور من باطنه فتدفع المهلكات عنه فخلق الله طبيعة الغضب من النار وغر زهاقي الانسان وعجا بطيته فيهما صحت

غرض من اغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وتارت به ثوراً باقلى به دم القلب
ويتشرف العروق ويرتفع الى أعالي البدن كارتفع النار وكارتفع الماء الذى فى القدر فلذلك نصب
الى الوجه فيصير الوجه والعين والبشرة لصفاتها تحكى لون ما وراءها من حمرة الدم كتحكى الزجاجة
لون ما فيها وانما ينسب الدم اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب على
من فوقه وكان معه بأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار
حزناً ولذلك يصفر اللون وان كان الغضب على نظير شك فيه ترذد الدم بين انقباض وانسحاب فيصمر
ويصغر ويضطرب وبأجله قوة الغضب يحلها القلب ومخاها غلبان دم القلب بطلب الانتقام
وانما تنوحه هذه القوة عند ثورانها الى دفع المؤذيات قبل وقوعها الى التشقى والانتقام بعد وقوعها
والانتقام قوت هذه القوة وشهوها وفيه لأنها ولا تسكن الا به ثم ان الناس في هذه القوة على درجات
ثلاث في أول الفطرة من التفریط والافراط والاعتدال أما التفریط فيفقد هذه القوة واضعفها
وذلك مذموم وهو الذى يقال فيه انه لاجمة له ولذلك قال الشافعى رحمه الله من استغضب فلم يغضب
فهو حمار فمن قد قوة الغضب والجمية أصلاً فهو ناقص جداً وقد وصف الله سبحانه أنحباب النبي
صلى الله عليه وسلم بالشدقة والجمية فقال أشد اعمى التكفار رجاء بينهم وقال لنبه صلى الله عليه
وسلم جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم الآية وانما الغلظة والشدقة من آثار قوة الجمية وهو
الغضب * وأما الافراط فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته
ولا يبقى للرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته أمور
غريبة وأمور افتيادية قرب النسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كان صورته في الفطرة
صورة غضبان وبعين على ذلك حرارة خراج القلب لأن الغضب من النار كما قال صلى الله عليه وسلم
وانما برودة المزاج تطفئه وتكسر سورته وأما الاسباب الاعتيادية فهو أن يتخاطب قوماً يتقصون
بنسبى الغيظ ولطاعة الغضب ويسمون ذلك شعاعاً قورجولية فيقول الواحد منهم أنا الذى لا أصبر
على الحال ولا احتمال من أحد أمر أو معناه لا عقل في ولا حلم ثم يذكره في معرض النضر يجهله
فمن سمعه رسيخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت
نار الغضب وقوى اضطرامها أعمت صاحبها وصمته عن كل موعظة فافادوا فظلم يسمع بل زاد ذلك
غضباً وان استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يجد راداً يطفى نور العقل وينجى في الحال بدخان
الغضب فان معدن الفكر للدماغ وتصاعده عند شدة الغضب من غلبان دم القلب بدخان مظلم
الى الدماغ يستولى على معادن الفكر وروما يتعدى الى معادن الحس فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه
وتسود عليه الدنيا بأسرها ويكون دماغه على مثال كهف أضمرت فيه ناراً فأسود جوده وحي
مستقره وامتلأ بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فأتى وأطفأ نوره فلا تثبت فيه قدم
ولا يسمع فيه كلام ولا ترى فيه صورة ولا يقدر على إطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغي
أن يصبر الى أن يحترق جميع ما قبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ ورجا أقوى
نار الغضب فتقضى الرطوبة التى بها حياة القلب فيموت صاحبها غيظاً كاتقوى النار في الكهف
فينشق وتهتأعاليه على أسافله وذلك لأبطال النار ما في جوانبه من القوة المسكدة للجامعة
لأجله فهو كدخان حال القلب عند الغضب وبالحقيقة فالسقية في ملطم الأمواج عند اضطراب
الرياح في لجة البحر أحسن حالا وأرجى سلامة من النفس المضطربة غيظاً إذ في السقية من يتخلل
لنسكينها وتديرها وينظروها ويسوسها وأما القلب فهو صاحب السقية وقد سقطت حيلته

إذا عمى الغضب وأصممه ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الأطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على اللسان وتغير الاحداث وتقلب المناظر وتستحيل الخلقه ولو رأى الغضبان في حال غضبه فيج صورته لسكر غضبه حياء من فيج صورته واستحالة خلقته وفيج باطنه أعظم من فيج ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما بقيت صورة الباطن أو لا ثم انتشر فيها الى الظاهر تاينا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس الثمر بالثمره فهذا أثره في الجسد وأما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش من الكلام الذي يستحي منه ذوالعقل ويستحي منه قائله عند قنوره الغضب وذلك مع تحط النظم واضطراب اللفظ وأما أثره على الاعضاء فالضرب والتهميم والتعزيق والقتل والجرح عند التمك من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه أو فاته بسبب وعجز عن التشتي رجح الغضب على صاحبه فترق لبوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب يده على الأرض ويعدو وعدوا الله السكران والمدفوش الصيرور بما يسقط سره على طبق العدو والنهوض بسبب شدة الغضب وهتريه مثل الغشقة ويرعاب يضرب الجادات والحيوانات فيضرب القصة مثلا على الأرض وقد يكسر المائدة اذا غضب عليها ويتعاطى أعمال الجنان فيستقم البهيمه والجادات ويخاطبها ويقول الى متى منك هذا يا كيت وكيت كأنه يخاطب عاقله حتى ربما رفس تدليه فيرفس الدابة ويقابلها بذلك وأما أثره في القلب مع المغضوب عليه فالخقد والجسد واضمار السوء والشجاعة بالمساآت والخزن بالسرور والعزم على افساء السر وهتك السر والاسترزاء وضرب ذلك من القبايح فثمة الغضب المفرط وأما ثمة الحمية الضعيفة فقلة الانفة بما يؤتف منه من التعرض للعرم والزوجة والامة واحتمال الذلل من الاخساء وصغر النفس والقناعة وهو ايضا مذموم اذ من ثمراته عدم الفيرة على الحرم وهو خنونة قال صلى الله عليه وسلم ان سعد الفيروز أنا غير من سعدوا لله أغير مني واما خلقت الفيرة لحفظ الانساب ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الانساب ولذلك قيل كل أمة وضعت الفيرة في رحالها وضعت الصيانة في نساها ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم خير أمتي أحداؤها يعني في الدين وقال تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله بل من قعد الغضب عجز عن رياضة نفسه اذ لا تتم الرياضة الا بتسلط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل الى الشهوات الخسيسة فقعد الغضب مذموم واما المحمود غضب ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث تحب الحمية وينطق حيث يحسن الحلم وحفظه على حدا الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال خير الامور أوسطها فمن مال غضبه الى القنور حتى أحس من نفسه بضعف الفيرة وخسة النفس في احتمال الذلل والضم في غير محله فينبغي أن يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه الى الافراط حتى جره الى التهور واقحام الفواحش فينبغي أن يعالج نفسه ليقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو أرق من الشعرة وأحد من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه قال تعالى ولين تستطيعوا أن تعدوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالعلفه فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله فينبغي أن يأتي بالشر كله ولكن بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته نسال الله احسن التوفيق لما يرضيه انه على ما يشاء قدير

بيان الغضب هل يمكن ازاله أصله بالرياضة أم لا

اعلم انه تلحق ثلاثون انه يصور بحور الغضب الكلية وزعموا ان الرياضة المستوحى اياه تقصد وظهر
 آخرون انه اصل لا يقبل العلاج وهذا رأى من يظن أن الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغير وكلا
 الزاين ضعيف بل الحق فيه ما ذكره وهو أنه ما بين الانسان بحسب شيئا وبكره شيئا فلا تخلف من الغضب
 والغضب وما دام بواقفه شيئا وبخالفه آخر فلا بد من أن يحسب ما يرافقه وبكره ما يتجافى له والغضب
 ينبع ذلك فانه مهما أخذ منه محبوبه غضب لا بحالة وإذا قصد بمكره وغضب لا بحالة إلا أن ما يحبه
 الانسان يتقسم الى ثلاثة أقسام * الأول ما هو ضرورة في حق الكافة كالقوت والسكن والملبس
 وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد أن يغضب وكذلك إذا أخذ منه ثوبه الذي
 يستعونه وكذلك إذا أخرج من داره التي هي مسكنه أو أريق ماؤه الذي لطفته هذه ضرورات
 لا يتجافى الانسان من كراهة زوالها ومن قنط على من يعرض لها القسم الثاني ما ليس ضروريا لاحتياج
 من الخلق كالجاه والمال الكثير والغيان والدواب فان هذه الامور صارت محبوبا لعادة والجهل
 بمقاصد الامور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في انفسهما فيكثران وغضب عن من يسرقهما
 وان كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا الجنس ما يتصور أن يترك الانسان من أصل القنط عليه
 فاذا كانت له دار زائلة على مسكنه فهدمها طالب فيصور أن لا يغضب اذ يحرق أن يكون بصيرا بأمر
 الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها فانه لا يحب وجودها ولو أحب وجودها
 لغضب على الضرورة بأخذها واكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري ككسب الجاه والصلب
 والتصدر في المجالس والمباهاة في العلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا بحالة غضب اذ ازاحه من احم
 على التصديق في الخاف ومن لا يحب ذلك فلا يسي في ولوجس في صرف التعال فلا يغضب اذ جلس غيره
 فوقه وهذه العادات الرديئة هي التي اكثرت بحباب الانسان ومكراهه فاكثرت غضبه وكما كانت
 الارادات والشهوات أكثر كان صاحبها أكثر زينة وأقص لأن الحاجة صفة نقص فبما أكثر
 كثر النقص والجاهل أبدا جهده في أن يزيد في حاجته وفي شهواته وهو لا يدري انه مستكثر من
 أسباب النقص والحزن حتى ينهي بعض الجهال بالعادات الرديئة ويحيا الطرفة السوء الى أن يغضب
 لو قيل له انك لا تحسن اللعب بالطيور واللعب بالشرط حتى لا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول
 الطعام الكثير وما يجبر من الرذائل فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري لأن حبه
 ليس بضروري * القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض كالسكك مثلا
 في حق العالم فانه مضطر اليه فيه فيغضب على من يحرقه ويترقه وكذلك أدوات الصناعات
 في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل الى القوت الا بها فاما هو وسيلة الى الضروري والمحجوب
 بصير ضروريا ومحبوا وهذا يختلف بالاشخاص وانما الحب الضروري ما أشار اليه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بقوله من أصبح آمنا في سربه معافي في دينه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا
 بحذاقها ومن كان بصيرا بمتاع الدنيا لا يغضب على هذه الثلاثة يتصور أن لا يغضب في غير هذا هذه
 ثلاثة أقسام فلذلك غاية الرياضة في كل واحد منها (اما القسم الأول) فليس الرياضة فيه لتندم
 ضبط القلب ولكن لكي يقدر على أن لا يطبع الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حد يستحقه
 الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالجاهدة وتكليف الحلم والاجتهال مدة حتى يصير الحلم
 والاحتجال خلقا رافعا فائق أصل القنط من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن ثم
 يمكن كسر سورة وتضعيفه حتى لا يشذ هيمن الغنط في الباطن وينتهي ضيقه الى أن لا يظهر أثره
 في الوجه ولكن ذلك شديدا جدا وهذا حكم القسم الثالث أيضا لان ما صار ضروريا في حق شخص

فلا يمنع من الغضب استثناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيأته في الباطن حتى لا يشتد الكظم بالصبر عليه (و أما القسم الثاني) فيمكن التوصل بالرياضة الى الاتفكاك من الغضب عليه اذ يمكن اخراج حبه من القلب وذلك بأن يعلم الانسان أن وطنه القبر ومستقره الآخرة وان الدنيا معبر صبر عليها وتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيتردد في الدنيا ويحوجها من قلبه ولو كان للانسان كلب لا يحبه لا يغضب اذا ضره غيره فالغضب يتبع الحب فالرياضة في هذا تنتهي الى قمع أصل الغضب وهو نادرجدا وقد تنهى الى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو أهون فان قلت الضرورى من القسم الاول التألم بفوات المحتاج اليه دون الغضب فن له شاة مثلا وهي قوته فانت لا تغضب على أحد وان كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان يتألم بالفساد والحماقة ولا يغضب على الفساد والحماقة فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها بيد الله ومونه فلا يغضب على أحد من خلقه اذ يراهم مسخرين في هيضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن رقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم فلا يغضب على من يذبح شاة التي هي قوته كالانسان على موتها اذ يرى الذبح والموت من الله عز وجل فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع أيضا بحسن الظن بالله وهو أن يرى أن الكل من الله وأن الله لا يقتدر له الا ما فيه الخير وربما تكون الخيرة في مرضه وجوعه وجرحه وقلة فلا يغضب كما لا يغضب على الفساد والحماة لانه يرى أن الخيرة فيه فيقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد الى هذا الحد كما تكون كالبرق الخاطف تغلب في احوال مختلفة ولا تدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يتدفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه حتى قال اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأجابا مسلم سببته اولعته أو ضربته فأجعلها مني صلاة عليه وزكاة وقربة تقرب به اليك يوم القيامه قال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول الله اكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضاء فقال اكتب قول الذي بعثني بالحق نبيا ما يخرج منه الا حق أو اشار الى لسانه فلم يقل اني لا أغضب ولكن قال ان الغضب لا يخرجني عن الحق أى لا اعمل بموجب الغضب وغضبت عائشة رضى الله عنها مرة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك حاءك شيطانك فقالت وما لك شيطان قال بلى ولكنى دعوت الله فأنت على عليه فأسلم فلا يمرنى الا بالخير ولم يقل لا شيطان لى وأراد شيطان الغضب لكن قال لا ينجلى على الشر وقال على رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب لدا فاذ أغضب الحق لم يعرفه أحد ولم يبق لغضبه شيء حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق وان كان غضبه لله فهو التفات الى الوسائط على الجلة بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دنه منها فاما غضب الله فلا يمكن الاتفكاك عنه نعم قد تقدم أصل الغضب فيما هو ضرورى اذا كان القلب مشغولا بضرورى أهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لا اشتغاله بغيره فان استغرق القلب ببعض المهمات بمنع الاحساس بعباده وهذا كما أن سلمان لما شتم قال ان خيفت موازيتي فأنا شتم ما تقول وان تقلت موازيتي لم يضربني ما تقول فقد كان همه مصر وقال الآخرة فلم يأت قلبه بالشتم وكذلك شتم اليعرب بن خيثم فقال يا هذا قد سمع الله بكلامك وان دون الجنة عقبة ان قطعها لم يضربني ما تقول وان لم اقطعها فأنا شتم ما تقول وسب رجل أبا بكر رضى الله عنه فقال ماستر الله عنك اكثر فكأنه كان مشغولا بالنظر في قصير نفسه عن أن يتق الله حق قنائه ويعرفه حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره اياه الى نقصان اذ كان ينظر الى

نفسه بعين النقصان وذلك جلالة قدره وقالت امرأتان ابناهما يامرائي فقال ما عرفني غيرك
فكأنه كان مشغولاً بأن ينقي من نفسه آفة الأرياء ومنكره على نفسه ما يلقه الشيطان إليه فلم
ينضب لما نسب إليه وسب رجل السجعي فقال ان كنت صادقاً فافتر الله لي وان كنت كاذباً فافتر الله
لي فهذه الاقاويل دالة في الظاهر على انهم لم ينضبوا لاشتغال قلوبهم بهمات دينهم وبمخيل أن
يكون ذلك قد أثر في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الغالب على قلوبهم فاذا
اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد أن يمنع هيئان الغضب عند قواف بعض الحجاب فاذا انصوّر
قصد الغيظ اما باشتغال القلب بهمته أو بغلبة نظر التوحيد وبسبب ثالث وهو ان يعلم أن الله يحب
منه أن لا يفتأ في طغي شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في أحوال نادرة وقد عرفت بهذا أن
الطريق لخلص من نار الغضب هو حب الدنيا والقلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما
سيأتي في كتاب ديم الدنيا ومن أخرج حب الدنيا عن القلب تنخلص من أكثر أسباب الغضب وما لا
يمكن محوه يمكن كسره وتضعفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه نسأل الله حسن التوفيق

بيان الاسباب المهيبة للغضب

قد عرفت أن علاج كل علة حسم ما ذهابها وازالة أسبابها فلا بد من معرفة أسباب الغضب وقد قال
يجي لعيسى عليهم السلام أي شيء أشد قال غضب الله قال فما يقرب من غضب الله قال أن تغضب
قال فما يبدي الغضب وما يخبئه قال عيسى الكبير والعقور والعزوز والحية والاسباب المهيبة للغضب
هي الزهو والحب والمزاح والمزل والمزء والتصير والمارة والمضادة والفدر وشدة الحرص على
فضول المال والجاه وهي بأجمعها خلق رديثة مذمومة شرعوا لخلص من الغضب مع بقاء هذه
الاسباب فلا بد من إزالة هذه الاسباب بأخذها فبيني أن تمت الزهو بالتواضع وتمت
الحب بمعرفتك بنفسك كما سيأتي بيانه في كتاب الكبير والحب وتزبل الغضب بأنك من جنس عبدك
اذ الناس يجمعهم في الاتساب أب واحد وانما اختلوا في الفضل اشتا فبنو آدم جنس واحد وانما
الغضب بالفضائل والعقور والحب والكبر اكبر الزائل وهي أصلها ورأسها فاذا لم تغفل عنها فلا فضل
لك على غيرك فلم تغضب وانت من جنس عبدك من حيث النبوة والنسب والاعضاء الظاهرة
والباطنة وأما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العبر وتفضل عنه اذا عرفت
ذلك وأما المزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك الى
سعادة الآخرة وأما المزء فتزيله بالكرم بمن ايداه الناس وبصيانة النفس عن أن يسهزأ بك وأما
التصير فبالخذر من القول العجيب وبصيانة النفس عن مز الجواب وأما شدة الحرص على مزايا
العيش فترال بالقناعة بقدر الضرورة طلب العز الاستقانة وترفع عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه
الأخلاق وصفة من هذه الصفات فتعز في علاجها الى رياضة ومخمل مشقة وحاصل رياستها يرجع
الى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتفرغ في فيها ثم اللواظبة على مباشرة اخذها هامة مديدة
حتى تصير بالعادة مألفة هينة على النفس فاذا انحلت عن النفس فقد زكت ونظرت عن هذه
الزائل وتخلصت أيضاً عن الغضب الذي يتولد منها ومن أشد البواعث على الغضب عند أكثر
الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبرهية ونقيصة بالالقاء بالمحمودة عبادة
وجها لا حتى تميل النفس اليه وتقصته وقلبتا كبد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الاكابر في معرض
المدح بالشجاعة والفتور مائلة الى التشبه بالاكابر فيحب الغضب في القلب بسببه وتسميته هذا صفة
نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس في نقصانها وانه لضعف

النفس أن المرء يضأسرع غضبها من الصبح والمرأة أسرع غضبها من الرجل والصبي أسرع غضبها من الرجل الكبير والشيخ الضعيف أسرع غضبها من الكهل وذو الخلق السيئ والذائل القبيحة أسرع غضبها من صاحب الفضائل فالزئيل يغضب لشبهه إذا فاته القبة واجله إذا فاته الحبة حتى أنه يغضب على أهله وولده وأصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كإقبال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي أن يعالج هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فإن ذلك منقول عن الأنبياء والأولياء والحكام والعلماء وكابر الملوك الفضلاء وضد ذلك منقول عن الأكراد والأتراك والجهلة والأغبياء الذين لا عقول لهم ولا فضل فهم

❦ بيان علاج الغضب بعد هيأته ❦

ما ذكرناه هو حسم لمراد الغضب وقطع لأسبابه حتى لا يهيج فإذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه المذموم وإنما يعالج الغضب ضد هيأته بمجموع العلم والعمل ❦ أما العلم فهو ستة أمور ❦ الأول أن يتعكر في الأخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فيمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن الشقي والانتقام وينطق عن غبطة قال مالك بن أوس بن الحدثان غضب عمر على رجل وأمر بضربه فقلت يا أمير المؤمنين خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فكان عمر يقول خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فكان من في الآية وكان وفا عند كذب الله مهما تلى عليه كثيرا التدبر فيه فتدبر فيه وخلي الرجل وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى والذين يظنون الغيظ فقال لفلانمه خل عنه ❦ الثاني أن يحذف نفسه بعقاب الله هو أن يقول قدرة الله على أعظم من قدرتي على هذا الإنسان فلو أمضيت غضبي عليه لم آمن أن يمضي الله غضبه على يوم القيامة ❦ أخرج ما يكون إلى العفو فقد قال تعالى في بعض الكتب القديمة يا ابن آدم ادكرني حين تغضب ادكرني حين أغضب فلا تحقق فيمن أحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيها إلى حاجة فأبطأ عليه فلما جاء قال لولا القصاص لا ويحك أي القصاص في القيامة وقيل ما كان في بني إسرائيل ملك إلا ومعه حكم إذا غضب أعطاه صحيفة فيها الرخم للمسكين واتخش الموت وإذا كرا لاخرة فكان يقرأها حتى يسكن غضبه ❦ الثالث أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتتمر العدو لمقابلته والسعي في هدم انراضه والتمانة بمصائبه وهو لا يتخلو عن المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا أن كان لا يتخاف من الآخرة وهذا يرجع إلى تسلط شهوة على غضبه وليس هذا من أمال الآخرة فلا ثواب عليه لأنه مبتدئ في خطوته العاجلة يتقدم غضبا على بعض إلا أن يكون محذوره أن تتشوق عليه في الدنيا فرأته العلم والعمل وما يمينه على الآخرة فيكون مثابا عليه ❦ الرابع أن يتعكر في فحج صورته عند الغضب بأن تذكر صورته في حالة الغضب ويتعكر في فحج الغضب في نفسه ومثابه صاحبها كالكلب الضاري والسمع العادي ومثابه الحليم الهادي التبارك الغضب للأنبياء والأولياء والعلماء والحكام ويخبر نفسه بين أن يشبه بالكلاب والسماع وأرأى الناس وبين أن يشبه بالعلماء والأنبياء في عبادتهم لتبيل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء ما كان قد بقي معه مسكة من عقل ❦ الخامس أن يتعكر في السبب الذي يدعو إلى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا يتد وأن يكون له سبب مثل قول الشيطان لعدان هذا يعمل منك على الفخر وضغرة النفس والذلة والمهانة وتصبر حتى يراعي الناس فيقول لنفسه ما أعجبك تأفني من الاحتمال الآن ولأن تأفني من خزي

يوم القيامة والافتتاح اذا أخذ هذا سيدك وانتم منكم وتحذرن من أن تصغرى في أعين الناس ولا تحذرن من أن تصغرى عند الله والملائكة والنبيين فهما كظم القبط فينبغي أن يكظمه الله وذلك ينظمه عند الله فالله والناس وذلك من ظلمه يوم القيامة أشد من ذلك لو انتم الآن أن لا يجب أن يكون هو القائم اذا نودي يوم القيامة ليقيم من أجره على الله فلا يقوم الا من عفا عنه أو أمناه من مغارف الايمان ينبغي أن يقرره على قلبه * السادس أن يعلم أن غضبه من عبه من جريان الشيء على وفق مراد الله لا على وفق مراده فكيف يقول مرادى أولى من مراده والله يوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه * وأما العمل فإن تقول بلسانك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال عند الغيظ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضبت عائشة أخذت ياتها وقال يا عوذش فولى اللهم رب النبي محمد اغفر لى ذنبى وأذهب غيظ قلبى وأجرنى من مضلات الفتن فيستغيب أن يقول ذلك فان لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قائما واضطجع ان كنت جالسا واقترب من الارض التي منها خلقت لتعرف بذلك نزل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغضب جرة توقد القلب ثم تروا الى ان تخرج او واجه وحرمة عينه فاذا وجد أحدكم من ذلك شيئا فان كان قائما فليطس وان كان جالسا فليطم فان لم يزل ذلك فليستوضأ بالماء البارد أو يغتسل فان النار لا يطفئها الا الماء فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا غضب أحدكم فليستوضأ بالماء فاذا غضب أحدكم فليستوضأ وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضبت فاسكت وقال أبو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب وهو قائم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فذهب غضبه وقال أوسعيد الخدرى قال النبي صلى الله عليه وسلم الا ان الغضب جرة في قلب ابن آدم الا ترون الى حرمة عينيه وانما واجه من وجد من ذلك شيئا فليصق خده بالارض وكان هذا اشارة الى السجود وتمكين أعز الاغصاء من أدل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس اللذل وتزابل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب وروى أن عمر غضب يوما فدمعا بماء فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال مروان بن محمد لما استعملت على اليمن قال لى أبى أوليت قلت نعم قال فاذا غضبت فانظر الى السماء فتركك الى الارض تحسك ثم منظم خالتكما وروى أن أباذر قال رجل يا ابن الحمار في خصومة بيننا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أباذر بلغني أنك اليوم عبرت أخاك بأمة فقال نعم فانطلق أبوذر ليرضى صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أباذر ارفع رأسك فانظر ثم اعلم أنك لست بأفضل من أحرمنها ولا أسود الا أن تغضبه بعلم ثم قال اذا غضبت فان كنت قائما فاقعد وان كنت قاعدا فاستكن وان كنت متكئا فاضطجع وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يضبب فيشتت غضبه فيكتب ثلاث صحائف وأعطى كل صحيفة رجلا وقال لا تزل اذا غضبت فأعطى هذه وقال لثاني اذا سكن بعض غضبي فأعطى هذه وقال لثالث اذا ذهب غضبي فأعطى هذه فاشتد غضبه يوما فأعطى الصحيفة الاولى فاذا فيها ما أنت وهذا الغضب أنك لست بالله انما أنت بشر يوشك أن يأكل بضعك بضعنا فبعض غضبه فأعطى الثانية فاذا فيها الرحم من في الارض برحمتك من في السماء فأعطى الثالثة فاذا فيها خذل الناس يعني الله فانه لا يصلحهم الا ذلك أى لا تقبل الخلود وغضب المهدي على رجل فقال شبيب لا تغضب

لله بأشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سيده

﴿فصل في كظم الغيظ﴾

قال الله تعالى والمكظمين الغيظ وذلك في معرض المدح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال صلى الله عليه وسلم أشدكم من غلب نفسه عند الغضب وأحكمكم من عقاند القدرة وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا ولو شاء أن يحضه لأضاه ملاء الله قلبه يوم القيامة رضاء وفي رواية ملاء الله قلبه آمنا وإيمانا وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرع عبد جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها انتقام وجه الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم ألم لا يدخله إلا من شفي غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ما من جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبدا وما كظمها عبدا إلا ملاء الله قلبه إيمانا وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفعه دعاء الله صلى رؤس الخلائق ويخبره من أي الحور شاء (الأنار) قال عمر رضي الله عنه من أتى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يشاء ولولا يوم القيامة لكان غير ما تزون وقال لقمان لابنه يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسألة ولا تشف غيظك بنفسك واعرف قدرك تفعلك معيشتك وقال أيوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع سفيان الثوري وأبو زرعة البريعي والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد فأجمعوا على أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الجزع وقال رجل لعمر رضي الله عنه والله ما تحضي بالعدل ولا تطفي الجزل فغضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه فقال له رجل يا أمير المؤمنين ألا تسمع أن الله تعالى يقول خذا العقور وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين فهذان الجاهلين فقال عمر صدقت فكأنما كانت ناراً فأطفئت وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه استكمل الأيمان بالله إذا رضى لم يدخله رضاءه في الباطل وإذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق وإذا قدر لم يتناول ما ليس له وجاء رجل إلى سلمان فقال يا عبد الله أوصني قال لا تغضب قال لا أقدر قال فان غضبت فأنسك لسانك ويحك

﴿بيان فضيلة الحلم﴾

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ لأن كظم الغيظ عبارة عن التعلم أي تكلف الحلم ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة وله صك إذا تعد ذلك مدة صحت ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وإن هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دالة كمال العقل واستغيا له وانكسار قوة الغضب ونضوعها للعقل ولكن ابتداء التعلم وكظم الغيظ تكلفا قال صلى الله عليه وسلم إنما العلم بالتعلم والحلم بالتعلم ومن يتخير الخير يحطه من شوق الشر يوقه وأشار بهذا إلى أن اكتساب الحلم طريقه التعلم أولا وتكلفه كما أن اكتساب العلم طريقه التعلم وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينال من تعلمون ولن تعلمون منه ولا تكونوا من جبارة العلماء فيغلب جهلكم حلمكم أشار بهذا إلى أن التكبر والتعبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم اغثنني بالعلم وزيني بالحلم وأكرمني بالتقوى وجعلني بالعافية وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم انخروا الرضة عند الله قالوا وما هي يا رسول الله قال فصل من قطعك وقطعتي من حرمك وتحلم من جهل عليك وقال صلى الله عليه وسلم خمس من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك

والتعطر وقال عليّ كرم الله وجهه قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم
 درجة الصائم القائم وأنه ليكتب جبارا عند ما يمكث الأهل بيته وقال أبو هريرة أن رجلا قال
 يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم وقطوعني وأحسن إليهم ويسؤونني ويجهلونني وأحلم عنهم
 قال إن كان كما تقول فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير مما دمت على ذلك المل يعني به
 الزمل وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة أقصد بها قايما رجلا أحب من مرضي
 شيئا فهو عليه صدقة فأوحى الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وسلم إنني قد غفرت له وقال صلى الله
 عليه وسلم أيها حاكم أن يكون كأبي ضمضم قالوا وما أبو ضمضم قال رجل من كان قلعهم كان إذا
 أصبح يقول اللهم إنني صدقت اليوم بعرضي على من ظنني وقيل في قوله تعالى ربانين أي حلاء علماء
 وعن الحسن في قوله تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلا ما قال حلاء إن جعل عليهم لم يجعلوا وقال
 عطاء بن أبي رباح مشون على الأرض هونا أي حلاء وقال ابن أبي حبيب في قوله عز وجل وكهلا قال
 الكهل منهي الحلم وقال جاهد واد امر وأبالغمر وأكراما أي إذا أوزوا وضغوا وروى ابن أبي
 مسعود جبريل بطور عرضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسى كريما ثم تلا
 إبراهيم بن مسيرة وهو الراوي قوله تعالى واد امر وأبالغمر وأكراما وقال النبي صلى الله عليه وسلم
 اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العلم ولا يستحيون فيه من الحلم قالوا هم قلوب العلم
 وألسنتهم ألسنة العرب وقال صلى الله عليه وسلم ليبي منكم ذو الأحلام والنهي ثم الذين يلونهم ثم
 الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ويا أيكم وهبشات الأسواق وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله
 عليه وسلم لا تنزع فتاناً من راحلته ثم عفاها وطرح عنه فوبين كانا عليه وأخرج من البيهقيين حسين
 فلبسهما وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ما دضع ثم أقبل على النبي صلى الله عليه وسلم
 عليه وسلم فقال عليه السلام إن فيك يا أئني خلقين يجهما الله ورسوله قال ما هما بآني أنت وامي
 يا رسول الله قال الحلم والأناة فقال خلقان تخلقهما أو تخلتان جبلت عليهما فقال بل خلقان جبلت
 الله عليهما فقال الحمد لله الذي جعلني على خلقين يجهما الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم إن الله
 يحب الخليم الخي الفتي المتعفف أبا العبال التقي ويغض الفاحش البذي السائل الخلف الفتي
 وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعدوا بشيء
 من عمله قوي تجعزع من معاصي الله عز وجل وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس وقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد إن أهل الفضل فيقوم
 ناس وهم يسر فيطلقون سراغا إلى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون لهم اتنا راكم سرا إلى الجنة
 فيقولون نحن أهل الفضل فيقولون لهم ما كان فضلكم فيقولون كالأناطينا صبرنا وإذا أسي والينا
 عفونا وإذا جمل علينا حللنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فتم أجر العالمين (الأنار) قال عمر رضي الله عنه
 تعلموا العلم وتعلموا العلم السكينة والحلم وقال علي رضي الله عنه ليس الخير أن يكثر مالك وولدتك
 وليكن الخير أن يكثر علمك ويظم حلمك وأن لا تنال الناس لعبادة الله وإذا أحسنت حمدت
 الله تعالى وإذا أسأت استغفرت الله تعالى وقال الحسن اطلبوا العلم وزنوه بالوقار والحلم وقال
 أكتن من صبيغ دمامة العقل الحلم وجماع الأمر الصبر وقال أبو الدرداء أدركت الناس ورقا لا شوك
 فيه فأصعبوا شوكا ولا ورق فيه ان عرفتهم فقدوا ولا وان تركتهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال
 ترضهم من عرضك ليوم فقررك وقال علي رضي الله عنه إن أول ما عرض الخليم من حله أن
 الناس كلهم أمواته على الجاهل وقال معاوية رحمه الله تعالى لا يبلغ العبد مبلغ الرأى حتى يظلم حله

جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك الا بقوة العلم وقال معاوية لعمر بن الاثم أي الرجال أتصبح قال
من ربه جهله بجهله قال أي الرجال أسخي قال من بذل دنياه لصلاح دينه وقال أنس بن مالك في قوله
تعالى فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم إلى قوله عظيم هو الرجل يشته أخوه فيقول ان
كنت كذا يا فطر الله لك وان كنت صادقا فطر الله لي وقال بعضهم شئت ثلاثا من أهل البصرة فلم
على فاستعبدني هازما وقال معاوية لعرابة بن أوس سمعت قومك يا عرابة قال يا أمير المؤمنين
كنت أحلم عن جاهلهم وأعطى سائلهم وأسمي في حوائجهم فمن فعل فعلهم فمؤثلي ومن جاوزني فهو
أفضل مني ومن قصر عني فأنا خير منه وسب رجل ابن عباس رضي الله عنهما فلما فرغ قال يا عكرمة
هل للرجل حاجة فتقبضها فتكس الرجل رأسه واسخى وقال لعمر بن عبد العزيز أشهدناك من
الفاستين فقال ليس تقل شهادة تلك وعن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه أنه سب رجل فرمى
اليه بحصاة كانت عليه وأمر له بألف درهم فقال بعضهم جمع له خمس خصال محمودية الحلم واسقاط
الاذى وتقليص الرجل مما يبغده من الله عز وجل وحمله على التدم والتوبة ورجوعه إلى المدح بعد
الذم اشتري جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير وقال رجل لجعفر بن محمد أنه قد وقع بيني وبين قوم
منازعة في أمر واني أريد أن أتركه فأخشي أن يقال لي ان تركك لهذا فقال جعفر انما الدليل
الظاهر وقال الخليل بن أحمد كان يقال من أساء فأحسن اليه فقد جعل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل
إساءته وقال الاخنف بن قيس لست بحليم ولكنني أتحملم وقال وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن
يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يهمل يخشى ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المراء يشتم
ومن لا يكره الشر يأنم ومن يكره الشر يصم ومن ينسج وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يأمن ومن
يتول الله ينج ومن لا يسأل الله يفتقر ومن يأمن مكر الله يخذل ومن يستعين بالله يظفر وقال رجل
لما كان بيننا وبينك انك ذكرتني بسوء قال أنت اذا أكرم علي من نفسي اني اذا فعلت ذلك أهديت
لك حسنا وقال بعض العلماء الحلم أرفع من العقل لأن الله تعالى تسمى به وقال رجل لبعض الحكماء
والله لا أسبلك سبأ يدخل معك في قبرك فقال معك يدخل لامعي ومر المسبح ابن مريم عليه الصلاة
والسلام يقوم من اليهود فقالوا لله شر أفعالهم خيرا فقبل له أنهم يقولون شرأوت تقول خيرا فقال
كل ينفي معانده وقال لثمان ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحلم الا عند الغضب
ولا الشجاع الا عند الحرب ولا الاخ الا عند الحاجة اليهود دخل على بعض الحكماء صديق له قد تم
اليه طعاما فخرج امرأه الحكماء وكانت سيئة الخلق فرفعت المائدة وأقبلت على شتم الحكماء
فخرج الصديق مغضبا فقبضه الحكماء وقال له قد كرمك كافى من ترك نطعم فسقطت بجاجة على المائدة
فأفسدت ما علمنا فإله غضب أحد منا قال نعم قال فاحسب أن هذه مثل تلك الدجاجة فصرى عن
الرجل غضبه وانصرف وقال صديق الحكماء الحلم شفاء من كل ألم وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه
فلم يغضب فقيل له في ذلك قال ألقه مقام حجر تعرت به فذبح الغضب وقال محمود الوراق
سأزم نفسي الصمغ عن كل مذهب * وان حكمت منه على الجرائم
وما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذي فوق فأعرف قندره * وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فأنال صنته * أجابته عرضي وان لام لايم
وأما الذي مثلي فأنزل أوهما * فضلت ان الفضل بالحلم حاكم
وبان القدر الذي يجوز الانتصار والتسني به من الكلام

اعلم أن كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابله بمثله فلا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة
 التجسس بالتجسس ولا السب بالسب وكذلك سائر المعاصي وأما القصاص والغرامة على قدر
 ما ورد الشرع به وقد فصلنا في الفقه وأما السب فلا يقابل بمثله إذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تقهره بما فيه وقال المستبان ما قاله فهو على البادي ما لم يستد الظلوم وقال
 المستبان شيطانان يهاثران وشتم رجل أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ ينصرف
 منه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أنك كنت ساكنا لا شتمني فلما تكلمت قتلت قال
 لأن الملك كان يحبس عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجه الشيطان فلم أكن لأجلس في مجلس فيه
 الشيطان وقال قوم يجوز المقابلة بما لا كذب فيه وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
 مقابلة التعير بمثله نهى تنزيهه والأفضل تركه ولكنه لا يعضى به والذي يرضى فيه أنت تقول من
 أنت وهل أنت الأمن بنى فلان كما قال سعد بن مسعود وهل أنت الأمن بنى هذيل فقال ابن
 مسعود وهل أنت الأمن بنى أمية ومثل قوله ما أحق قال مطرف كل الناس أحق فيما منه وبين
 ربه إلا أن بعض الناس أقل حاققة من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كأنهم
 حقي في ذات الله تعالى وكذلك قوله يا جاهل ادمن من أحد الأوفيه جهل فقد أذاهم ليس يكذب
 وكذلك قوله يا سبي اغلق يا صفيق الوجه يا ثلث بالاعراض وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فك
 جاء لم تكلمت وما أجفرك في صني بما فعلت وأخرالك الله وانتم منكم فأما التسمية والغبية
 والكذب وسب الأولاد فحرام بالاتفاق لما روي أنه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر
 رجل خالدا عند سعد فقال سعد ما إن ما ينال مبلغ ديني ما يعني أن يأثم بعضنا في بعض فلم يسمع
 السوء فكيف يجوز له أن يقوله والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا عراك النسبة إلى الزنا
 والعش والسب ما روت عائشة رضي الله عنها أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلن إليه
 فاطمة فجاءت فقالت يا رسول الله أرسلني إليك أزواجك يسألك العدل في ابنة أبي ثعلبة فهو النبي
 صلى الله عليه وسلم نائم فقال يا بنيتي أنت خير ما أحب قالت نعم قال فأجبي هذه فوجبت النبي
 فأخبرت بذلك فقلن ما أغضبنا شيئا فأرسلن زينب ابنة جحش قالت وهي التي كانت تساميني
 في الحبس فجاءت فقالت بنت أبي بكر وبنت أبي بكر فإزالتن ذكرني وأنا ساكنة أنتظرن أن يآذن لي
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فأذن لي فسبتهن حتى جف لسان فقال النبي صلى الله
 عليه وسلم كذا انتهى ابنة أبي بكر يعني أنك لا تقاومين في الكلام فقط وقولها سببتني ليس المراد به
 التعشير بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصديق وقال النبي صلى الله عليه وسلم
 المستبان ما قاله فعلى البادي منه ما حتى يعصى المظلوم فأنبت المظلوم انتصارا إلى أن يعصى فهذا
 القدر هو الذي أباحه هؤلاء وهو رخصة في الأيداء جزء على أيذائه السابق ولا يتعد الرخصة في هذا
 القدر ولكن الأفضل تركه فإنه يجرى إلى ما وراءه ولا يمكنه الاقتصار على قدر الحق فيه أو السكوت
 عن أصل الجواب لعله أسير من الشرع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس
 من لا يقدر على ضبط نفسه في فورة الغضب ولكن يهودسها ومنهم من يكف نفسه في الانداء
 ولكن يتعد على الدوام والناس في الغضب أربعة بعضهم كالخلفاء من ربح الوقود سرب الخود
 وبعضهم كالغضايب من الوقود يطي الخود وبعضهم يطي الوقود سرب الخود وهو لا يحسد ما ينه
 إلى قتل الرحمة والنجاة وبعضهم سرب الوقود يطي الخود وهذا هو شرهم في الخبر المأمور من ربح
 الغضب سرب الرضا فهذه تلك وقال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يقضب فهو جبار ومن

استرضى فلم يرض فهو شيطان وقد قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الآن
بني آدم خلقوا على طبقات شتى فهم بطيء الغضب سريع النسي ومهمهم سريع الغضب سريع النسي
قلت ذلك ومنهم سريع الغضب بطيء النسي وألا وإن خيرهم البطيء الغضب السريع النسي وموثرهم
السريع الغضب البطيء النسي ولما كان الغضب يخرج في شكل إنسان وجب على السلطان
أن لا يعاقب أحدا في حال غضبه لانه ربما يعتدى الواجب ولانه يكون متغيبا لفظه ومربحا نفسه
من ألم الغضب فيكون صاحب حظ فينبغي أن يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه • ورأى عمر
رضي الله عنه سكرانا فأراد أن يأخذه ويعززه فشمه السكران فرجع عمر فقيل له يا أمير المؤمنين لما
شتمك تركته قال لانه أغضبني ولو ضرته لكان ذلك لغضبي لنفسي ولم أحب أن أضرب مسلما
حمة لنفسي وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله لرجل أغضبه لولا انك أغضبتني لعاقبتك

﴿ القول في معنى الحقود نتائجها وفضيلة الغفور والرفق ﴾

اعلم أن الغضب إذا لم يقطعه لجزء من التشقي في الحال رجع إلى الباطن واحتمن فيه فصار حقا
ومعنى الحق أن يلزم قلبه استغفاله والبخسة له والتفارعه وأن يلزم ذلك ويقي وقد قال صلى الله
عليه وسلم المؤمن ليس بمحود فالحقودثرة الغضب والحقودثير ثمانية أمور • الأول الحسد وهو
أن يحكك الحقود على أن يمتني زوال النعمة عنه فتتعمد شعبة أن أصابها وتسر بصيبه أن تزلت به وهذا
من فعل المنافقين وسبأ في ذمهم أن شاء الله تعالى • الثاني أن تزيد في إضمار الحسد في الباطن
وتشتم بما أصابه من البلاء • الثالث أن تهجره وتضارمه وتقطع عنه وإن طملك وأقبل عليك
• الرابع وهو دونه أن تعرض عنه استصغاره • الخامس أن تتكلم به بما لا يحل من كذب
وخيبة وإفشاء سر تهك ستر وغيره • السادس أن تحاكيه استهزاء به ومغربة منه • السابع
أبداؤه بالضرب وما يؤلم بدنه • الثامن أن تمنعه حقه من قضاء دين أو صلة رحم أو ردة مظلة وكل ذلك
حرام وأقل درجات الحقود أن تحترق من الآفات الثمانية المذكورة ولا يخرج بسبب الحقود إلى
ما قصي الله به ولكن تستقل في الباطن ولا ينتهي قلبك عن غضبه حتى تمنع عما كنت تطوع به
من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على
المنفعة له أو بترك المداواة أو الثناء عليه أو التحريض على زهده ومواساة فهذا كله ما ينقص درجاتك في
الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جليل وإن كان لا يعرضك لعقاب الله ولما حلف أبو بكر
رضي الله عنه أن لا ينفق على مسطح وكان قريبه لكونه تكلم في واقعة الأكل زل قوله تعالى
ولا تأكل أولوا الفضل منكم إلى قوله لا تجنون أن يغفر الله لكم فقال أبو بكر نعم نحب ذلك وما داني
الاتفاق عليه والاولى أن يسبق على ما كان عليه فإن أمكنه أن يزيد في الإحسان بمجاهدة النفس
وارغاماً للشيطان فذلك مقام الصديقين وهومن فضائل أعمال المقرين فله يحقود ثلاثة أحوال
عند القدرة • أحدها أن يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل • الثاني
أن يحسن إليه بالغفر والصلة وذلك هو الفضل • الثالث أن يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور
وهو اختيار الأراذل والثاني هو اختيار الصديقين والاول هو منتهى درجات الصالحين ولتذكر
الآن فضيلة الغفور والاحسان

﴿ فضيلة الغفور والاحسان ﴾

اعلم أن معنى الغفور أن يستغفر حقا فيسقطه ويرأ عنه من قصاص أو غرامة وهو غير الحلم وكلم الغف
فذلك أفرده قال الله تعالى خذ الغفروا بالمعروف وأعرض عن الجاهلين وقال تعالى وأن تغفروا

أقرب للتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث والذي نفسي بيده لو كنت حلالا خلقت
 عليهن ما نقص مال من صدقة قصصنوا ولا عفارجل عن مظلة يتقي بها وجه الله إلا زاده الله بها
 عزايوم القيامة ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر وقال صلى الله عليه وسلم
 التواضع لا يزيد العبد إلا رقة فتواضعوا ربكم الله العفو لا يزيد العبد إلا رقة عفا عفو ربكم الله
 والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة قصصنوا ربكم الله وقالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلة ظلها قط ما لم يفتحك من محارم الله فإذا انتهك من محارم
 الله شيء كان أشد هم في ذلك غضبا وما خبرين أمرين إلا أخارا ليسرهما ما لم يكن اثما وقال عتبة
 لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فاستدرته فأخذت بيده وأبدني فأخذ بيدي فقال يا عتبة
 ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة فصل من قطعك وتطعن من حرمك وتفقو عن ظلك
 وقال صلى الله عليه وسلم قال موسى عليه السلام يا رب أي عبادك أعز عليك قال الذي إذا قدر صفا
 وكذلك سئل أبو الدرداء عن أعز الناس قال الذي يعفو إذا قدر عفا عفو ربكم الله وجاء رجل
 إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس وأراد أن
 يأخذه بمظلته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الظلومين هم المفلحون يوم القيامة فأبى أن
 يأخذه حين سمع الحديث وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا
 على من ظله فقد انتصر وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث الله الخلائق يوم
 القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات يا معشر الموحدين ان الله قد صفا عنكم كالعف
 بعضهم عن بعض وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى
 ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بعضا من الباب فقال ما تقولون وما تقولون فقالوا نقول أخ وابن عم
 حليم رحيم قالوا ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم أقول كما قال يوسف لا تثرب عليكم اليوم يغفر
 الله لكم وهو أرحم الراحمين قال فخرجوا كأنما نشر وامن القوم وفد خلقوا في الاسلام وعن سهل بن
 عمرو قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على باب الكعبة والناس حوله فقال
 لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر وعده وهزم الأحزاب وحده ثم قال يا معشر
 قريش ما تقولون وما تقولون قال قلت يا رسول الله تقول خيرا وتظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم
 وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخي يوسف لا تثرب عليكم اليوم يغفر
 الله لكم وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وقف العباد نادى مناد ليقم من أجره
 على الله فيدخل الجنة قيل ومن ذا الذي له على الله أجر قال العافون عن الناس فيقوم كذا كذا كذا
 فيدخلونها بغير حساب وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لوالى أمر أن
 يؤذي محبا إلا فأمره الله عفو ثم قرأ وليعفوا وليصفحوا الآية وقال جابر قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ثلاث من جاء بهن مع ايمان دخل من أي أبواب الجنة شاء وزوج من
 الجوار والعين حيث شاء من أذى دين أخفيا وقرأ في ذلك صلاة قل هو الله أحد عشر مرات
 وعصا من قاتله قال أبو بكر وأحدهما قال يا رسول الله قال أو أحدهما (الأنار) قال إبراهيم
 التيمي ان الرجل لينظني فأرحمه وهذا احسان وراه العفو لانه يستقل قلبه بستره
 لمعصية الله تعالى بأنه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب وقال بعضهم أنا أراد الله أن
 يتعف عبد أقضى له من ظله ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فجعل يشكو اليه رجلا
 ظله وضع فيه فقال له عمر انك ان تلقى الله ومظلتك كما هي خير لك من أن تلقاه وقد قصصنا

وقال يزيد بن مسيرة ان ظلمت تدعو على من ظلمك فان الله تعالى يقول ان آخريدعو عليك بانك ظلمته فان شئت استجبنا لك واجبا عليك وان شئت آخركا الى يوم القيامة فليسعكم عقوى وقال مسلم بن يسار رجل دعاه على ظالمه كل الظالم اني ظلمه فانه اسرع اليه من دعائك عليه الا ان يتداركه بعمل وقرى ان لا يفعل وعن ابن عمر عن ابي بكر انه قال بلغنا ان الله تعالى يامر مناديا يوم القيامة فينادى من كان له عند الله شيء فليقم فقوم اهل العفو فكافتهم الله بما كان من عفوهم عن الناس وعن هشام بن محمد قال اتى النعمان بن المنذر رجلين قد اذنب أحدهما ذنبا عظيما فغفاه الله والآخر اذنب ذنبا خفيفا فغفاه وقال

عفو الملوك عن العظيم * من الذنوب فضلها

ولقد تعاقب في اليسير * وليس ذالك لجهلها

الا يعرف حلها * وبخاف شدة دخلها

وعن مبارك بن فضالة قال وفد سوار بن عبد الله في وفد من أهل البصرة الى أبي جعفر قال فكنت عنده اذا أتى رجل فامر بقتله فقلت يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر فقلت يا أبا عبد الله المؤمنين الا احذرتك حديثا سمعته من الحسن قال وما هو قلت سمعته يقول اذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي ويتقدمهم البصر فيقوم مناد فينادى من له عند الله قيد فليقم فلا يقوم الا من عفا قال والله لقد سمعته من الحسن قلت والله لسمعته منه فقال خلينا عنه وقال معاوية عليكم بالعلم والاحتمال حتى تمسكتكم الفرصة فاذا أمكنكم فليعلمكم بالصغ والافصال وروى أن راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال لراهب اربأ بت ذا القرنين اكان ينال فقال لا ولكنه انما اعطى ما اعطى رابع خصال كن فيه فكان اذا قدر عفا واذا عذو في واذا حدث صدق ولا يجمع شغل اليوم لفتوى قال بعضهم ليس الحليم من ظلم فلم حتى اذا قدر انتمم ولكن الحليم من ظلم فلم حتى اذا قدر عفا قال زبانا قدرة ذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب وأبي هشام برجل بلغه عنه أمر فلما اقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام وتكلم ايضا فقال الرجل يا أبا عبد الله المؤمنين قال الله عز وجل يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها فتجادل الله تعالى ولا تتكلم بين يديك كلاما قال هشام بلى وبحك تكلم وروى ان سارا قد دخل خباء عمار بن ياسر بصفتين فقيل له اقطعها فانه من أعدائنا فقال بل أسرع لي لعل الله يسر علي يوم القيامة فجلس ابن مسعود في السوق يتابع طعاما فباتع ثم طلب الدرهم وكانت في حمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وانها لم يفعلا يدعون على من أخذها و يقولون اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها اللهم افعل به كذا فقال عبد الله اللهم ان كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حمله جرامة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه وقال التفضيل ما رأيت أزهد من رجل من أهل خراسان جلس الى في المسد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنائره كانت معه ففعل بيكي فقلت أعلى الدنانير بيكي فقال لا ولكن مثلتي وايام يبيى الله عز وجل فأشرف على صلي ادحاض بحجته فيكأى رحمة له وقال مالك بن دينار انما منزل الحكيم بن أوبل لبلال وهو على البصرة أمير وجاء الحسن وهو خائف قد خلتا معه عليه فكامع الحسن الابتزازة القراريج فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به اخوته من بيعهم اياه وطرحهم له في الجب فقال باعوا أباهم وأخزوا أباهم وذكر ما لقي من كيد النساء من الحبس ثم قال ايها الأمير ماذا صنع الله به أدا له منهم ورفع ذكره وأعلى كلمته وجعله على خزائن الارض فاذا صنع حين اكمل له أمره وجمع له أهله قال لا تتريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين يعرض لكم بالعفو عن

أصحابه قال الحكم فانا أقول لا تتريب عليكم اليوم ولولم أجد الاثني هذا الوارثكم قتته وكتب ابن المقفع الى الصديق له يسأله العفو عن بعض اخواته فلان هارب من زلته الى عفوك لا تدمك بك واعلم أنه لن يزاد الذنب عظما الا زاد العفو فضلا وأتى عبد الملك بن مروان بأسارى ابن الاشد فقال لرجاء بن حيوة ماترى قال ان الله تعالى قد أعطاك ما تحب من الطفر فأعط الله ما يحب من العفو فغفاهم وهو يرى أن زيادا أخذ رجلا من الخوارج فأفلت منه فأخذ أخاه فقال له ان جئت بأخيك والاضربت صفك فقال أ رأيت ان جئت بك بكاب من أمير المؤمنين تحتى سبيلى قال نعم قال فانا أتيتك بكاب من العزيز الحكيم واقم عليه شاهدين ابراهيم وموسى ثم تلام لم يفتأ بما فى صحف موسى و ابراهيم الذى وفى الأثر ووزارة وزرا أخرى فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل قد لقن حجة وقيل مكتوب فى الانجيل من استغفر لى ظلمه فقد هزم الشيطان

﴿فصل فى الرفق﴾

اعلم أن الرفق محمود وبضاده العنف والحقة والعنف تقيمة الغضب والفظاظة والرفق واللين تقيمة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سببا لحدة الغضب وقد يكون سببا لشدة الحرص واستيلاؤه بحيث يدهش من التفكير ويمنع من التثبت فالرفق فى الامور شره لا يشرها الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولاجل هذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال يا عائشة انه من أعطى خطمه من الرفق فقد أعطى خطه من خير الدنيا والاخرة ومن حرم خطمه من الرفق قد حرم خطمه من خير الدنيا والاخرة قال صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يعطى على الرفق ما لا يعطى على الخرق وإذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق وما من أهل بيت يحرمون الرفق الا حرموا محبة الله تعالى وقالت عائشة رضى الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يرفق بعباده الرفق ويغنى عليه ما لا يعطى على العنف وقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة ارفقى فان الله اذا أراد بأهل بيت كرامة دهم على باب الرفق وقال صلى الله عليه وسلم من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال صلى الله عليه وسلم ايمانوا ولي فرق ولان رفق الله تعالى به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم تدرون من يحترم على النار يوم القيامة كل هين لين سهل قريب وقال صلى الله عليه وسلم الرفق بمن والخرق شوم وقال صلى الله عليه وسلم التانى من اللهو الجهلة من الشيطان وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال يا رسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاحصصنى منك بخير فقال الحمد لله من تين أو ثلاثا ثم أقبل عليه فقال هل أنت مستنوص من تين أو ثلاثا قال نعم قال اذا روت أمر اقتدر عاقبته فان كان يرشد انا مضموان كان سوى ذلك فانت ومن عائشة رضى الله عنها انها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر على بهير صعب فجعلت تقصر فيه مينا وشما لا تقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق فانه لا يدخل فى شئ الا زانه ولا يترع من شئ الا شاناه (الانار) بلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن جماعة من رعيته اشتكوا من جماله فأمرهم أن يوافوه فلما أتوه قام فحمد الله وأتى عليه ثم قال أيها الناس أيها الرعية ان لنا عليكم حقا النصيحة بالنيب والمعاونة على الخير أيها الرعاة ان للرعية عليكم حقا فاعلموا انه لا شئ أحب الى الله ولا أعز من حلم امام ورعته وليس جهل أيقض الى الله ولا أعظم من جهل امام ورعته واعلموا انه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهره يهزق العافية من هودونه وقال وهب بن منبه الرفق تبنى الحلم وفى الخير موقوفا ومرقوا العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين

أخوه والصبر أمر جوده وقال بعضهم ما أحسن الايمان بزينة العلم وما أحسن العلم بزينة العمل وما أحسن العمل بزينة الرفق وما أضيف شئ الى شئ مثل حلم الى علم وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق قال أن تكون ذا أناة فتلاين الولاية قال فما الخرق قال معاداة اعدائك ومناوأة من يقدر على ضررك وقال سفيان لاصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا أبا محمد قال أن تقص الامور ومواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه وهذه اشارة الى انه لا بد من مخرج القلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل

ووضع الندي في موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف في موضع الندي

فالمجود وسط بين العنف واللين كما في سائر الاختلاف ولكن لما كانت الطبائع الى العنف والحدة اميل كانت الحاجة الى ترقيتهم في جانب الرفق أكثر فلذلك كثرت الشرائع على جانب الرفق دون العنف وان كان العنف في محله حسنا كما أن الرفق في محله حسن فاذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق المهور وهو الزمن الزيد بالشهد وهكذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله وروى أن عمرو ابن الياص كتب الى معاوية عاتيه في الثاني فكسب اليه معاوية أما بعد فان التفهم في الخير زيادة رشد وان الرشيد من رشد من العلة وان الخائب من خاب عن الاناة وان التثبت مصيب أو كاد أن يكون مصيبا وأن الجهل مخطئ أو كاد أن يكون مخطئا وان من لا يتفهم الرفق يضرب الخرق ومن لا يتفهم العار ب لا يدرك المعالي وعن ابي عون الانصاري قال ما تكلم الناس بكلمة صعبة الا والى جانبها كلمة ألين منها تجرى مجراها وقال ابو حمزة الكوفي لا تتقدم الخدم الا ما لا بد منه فان مع كل انسان شيطانا واعلم انهم لا يعطونك بالشدة شيئا الا أعطوك باللين ما هو افضل منه وقال الحسن المؤمن رفاق متان وليس كما طب ليل فهذا اثنا أهل العلم على الرفق وذلك لانه محمود ومفيد في أكثر الاجوال واغلب الامور والحاجة الى العنف قد تقع ولكن على الندور وانما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فعطى كل امرئ حقه فان كان قاصر البصيرة أو اشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن مبيلا الى الرفق فان الصبح معني الاكثر

والقول في ذم الحسد وفي حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته

في بيان ذم الحسد

اعلم أن الحسد ايضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع قرعه والغضب أصل أصله ثم ان الحسد من الغرور الذميمة ما لا يكاد يحصى وقد ورد في ذم الحسد خاصة أخبار كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال صلى الله عليه وسلم في النبي عن الحسد واسبابه وثمراته لا تحسدوا ولا تقاتعوا ولا يتباخضوا ولا تلتابوا واركبوا صبا الله اخوانا وقال أنس كالمأخول ساعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطع عليكم الان من هذا الفجر رجل من أهل الجنة قال فطع رجل من الانصار ينقض لحيتي من وضوئه قد غلقت عليه في بدة الشمال فسلم فلما كان الغد قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطع ذلك الرجل وقال في اليوم الثالث فطع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له اني لاحببت اني فأبسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا فان رأيت أن تؤويني اليك حتى تمضي الثلاث فقلت فقال لم يبق حتى يقوم ليل فله يقوم من الليل شيئا غير أنه اذا قلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يبق حتى يقوم ليل فله يقوم من الليل شيئا غير أني ما سمعته يقول الا أخبر اقلما مضت الثلاث وكنت أن أحتقر حمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبينه الذي غضب ولا هجر قول كن سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فأردت أن أعرف حملك فلم أرك تعمل عملاً كثيراً إلا الذي بلغ
 بك ذلك فقال ما هو الأمر أريدت فلما وليت دعائي فقال ما هو الأمر أريدت غير أني لأجد على أحد من
 المسلمين في نفسي غشوا ولا حسداً على خير أعطاه الله يا أبا عبد الله فقلت له التي بلغت بك وهي
 التي لا تطيق وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغمونهن أحد الظن والطيرة والحسد وسألتكم
 بالخرج من ذلك إذا ظننت فلا تحقق وإذا طيرت فامض وإذا حسدت فلا تبغ وفي رواية ثلاث لا ينجو
 منها أحد قول من يغمونها فثبت في هذه الرواية أماكن النجاة وقال صلى الله عليه وسلم رب
 اليكم داء الهم قيلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحاقلة لا أقول حاقلة الشعور ولكن حاقلة الدين
 والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنتمكم بما شئت ذلك
 لكم أقسوا السلام بينكم وقال صلى الله عليه وسلم كاد أقر أن يكون كذراً وكاد الحسد أن يفلب
 القدر وقال صلى الله عليه وسلم إنه سيصيب أمتي داء الهم قالوا وما داء الهم قال الشر والبطر
 والنكاز والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون النفي ثم المخرج وقال صلى الله عليه وسلم
 لا تظهر الشهامة لخصك فعافيه الله ويتليك وروى أن موسى عليه السلام أتى قهلاً إلى ربه تعالى
 رأى في ظل العرش رجلاً فقبضه بمكانه فقال إن هذا الكريم على ربه فسأل ربه تعالى أن يخرجه باسمه
 فلم يخرجه وقال أخذت من عمله ثلاث كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعنى
 والديه ولا ينشئ بالتمجيد وقال ذكر يا عليه السلام قال الله تعالى الحاسد عدو لثمتي يهبط للقضاء
 ضرراً ضيقه مني التي لم يمت بين عبادي وقال صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف على أمتي أن
 يكثر فيهم المال فيحاسدون ويقتلون وقال صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان
 فإن كل ذي نعمة محسود وقال صلى الله عليه وسلم إن لثم الله أعداء قهلاً ومن هم فقال الذين يحسدون
 الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار قبل الحساب ستة
 قبل يا رسول الله هم قال الأمر بالجهور والعرب والعصية والداهق بالتكبر والتم اربا بالخيانة
 واهل الرستاق بالجهاة والعباء بالحسد (الأنار) قال بعض السلف أول خطيئة كانت هي الحسد
 حسد إبليس آدم عليه السلام على ربه فأتى أن يسجد له فقبله الحسد على العصاة وحكى أن عون
 ابن عبد الله دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال اني أريد أن أعطيك بشي فقال
 وما هو قال أياك والكبر فانه أول ذنب عصي الله به ثم قرأوا ذلك لللائكة فاجتمعوا على أن يمسحوا
 الجبص الآفة وبالذوالحرص فانه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله سبحانه من حنة عرضها السموات
 والأرض يأكل منها الأشجرة واحدة منها والله عنها فأكل منها فأخرجته الله تعالى منها ثم قرأوا له مطوا
 منها إلى آخر الآية وأياك والحسد فاما قبل ابن آدم أخاه حين يسجد ثم قرأوا تلى عليهم بنو النبي آدم
 بالحق الآيات وقادوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فامسكوا ذلك القدر فامسكت
 وإذا كنت العزم فامسكت وقال بكر بن عبد الله كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك
 فيقول أحسن إلى المحسن بأحبانه فان السوء سيكتفك اسأله تحسده رجل على ذلك المقام
 والكلام فسمي به إلى الملك فقال ان هذا الذي يقوم بحذاءك ويقول ما يقول زعم أن الملك أنكر فقال
 له الملك وكف بصح مندي قال تدعوه اليك فانه إذا دنا منك وضع يده على أذنيه ثلاثين رج
 الخ فقال له انصرف حتى أنظر فخرج من عند الملك فدخل الرجل إلى منزله فاطعمه طعاماً فيه ثم
 فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك على عادته فقال أحسن إلى المحسن بأحبانه فان السوء
 سيكتفك اسأله فقال له الملك ان مني قد تأمته فوضع يده على فيه مخافة أن يشتم الملك عليه فأنكر

الثوم فقال الملك في نفسه ما أرى فلانا الا قد صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه الا بياض أو صلبة
فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا تأتاك حامل كتابي هذا فاذهب به واسلمه واحش جلدته تينا
وابعث به الي فأخذ الكتاب وخرج فلقبه الرجل الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك
لي بصله فقال له به لي فقال هو لك فأخذه ومضى به الى العامل فقال العامل في كتابك أن أدبجك
واسلمك قال ان الكتاب ليس هو لي فألقه الله في أخرى حتى تراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك
مراجعة فذهب به وسلمه وحشا جلدته تينا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فذهب
الملك وقال ما فعل الكتاب فقال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له قال الملك انه ذكر لي انك تزعم
انني أبيع قرأ ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدي على قلبك قال لانه أطمعني طعاما فيه ثوم فكرهت أن
تتمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد هلك السوء اسأله وقال ابن سيرين رحمه الله ما حدثت
أحد أصلي شي من أمر الدنيا لانه ان كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة
في الجنة وان كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير الى النار وقال رجل
للحسن هل يمسد المؤمن قال ما أنساك بنى يعقوب نعم ولكن غنه في صدرك فانه لا يضرك ما لم تغتبه
يدا ولا سنا وقال أبو الدرداء ما أكثر عبيد ذكر الموت الا قل فرحوا قل حسده وقال معاوية كل
الناس أقدر على رضا الا حسد فانه لا يرضيه الا زوالها ولذلك قيل

كل العداوة قدر ترجى اماتها * الا عداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسد ما يليق وقال اعرابي ما رأيت ظالما أشبه
بمظلوم من حاسده يرى النعمة عليك تقه عليه وقال الحسن بن آدم لم تحسد أخاك فان كان الذي
أعطاه الله لك رامت عليه فلم تحسد من أكرمه الله وان كان غيرك فلم تحسد من مصره الى النار وقال
بعضهم الحاسد لا ينال من الجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة ويقضوا ولا ينال من
الخلق الا جرا واما ولا ينال عند التزم الا شدة وهو لا ينال عند الموقف الا ضيقة ونكالا

بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه وممراته

اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان احدهما أن تكره تلك
النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حدة كراهة النعمة وحجب زوالها عن المنعم عليه
الحالة الثانية أن لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى
غبطة وقد تختص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة وروضع أحد القطين
موضع الآخر ولا يجر في الاسامي بعدهم المعاني وقد قال صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يغبط والمنافق
يحسد فما الاول فهو حرام بكل حال الا نعمة أصابها فاجر أو كافر وهو يستعين بها على تهيج الفتنة
وافساد ذات البين وايداء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحببتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث
هي نعمة بل من حيث هي آفة الفساد ولو أمنت فسادك لم يفتك بنعمته ويدل على تحريم الحسد
الاخبار التي نقلناها وان هذه الصكراهة تمنع قضاء الحق تفضيل بعض عباد الله على بعض وذلك
لا عذر فيه ولا رخصة وأنى معصية تريد على كراهتك لراحم مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة
والى هذا أشار القرآن بقوله ان تمسككم حسنة تسوهم وان تصيبكم سيئة يفرحوا بها وهذا القرع
شبهة والحسد والشهامة يتلازمان وقال تعالى وذكركم من أهل الكتاب لورثتكم من بعد
ايمانكم كما فرأى احسد من عند أنفسهم فأخبر تعالى أن جهنم زوال نعمة الايمان حسد وقال عز وجل
وذوا النكر فكونوا كاهنوا وتكونون سواء وذكركم من أهل الكتاب لورثتكم من بعد

عما في قلوبهم بقوله تعالى اذ قالوا اليوسف وأخوه أحبنا ونحن عصبة ان أبانا نفي ضلال
 مبين اقبلوا يوسف وأطرحوه أرضا يخيل لكم فجة أيكم فلا كرهوا حباً بئس لهم لقاءهم ذلك
 وأحبوا زواله عنه فقبضوه عنه وقال تعالى ولا يخجلون في صدورهم حاجة مما أوتوا أي لا تقسق
 صدورهم به ولا يخجلون فأنى عليهم عدم الحسد وقال تعالى في معرض الانكار أرم يحسدون الناس
 على ما آتاهم الله من فضله وقال تعالى كان الناس أمة واحدة إلى قوله إلا الذين أوتوه من بعد
 ما جاءهم البينات بغيا بينهم فإلى التفسير حسدوا وقال تعالى وما تقرؤا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا
 بينهم فأنزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته وأمرهم أن يتألفوا بالعلم فحسدوا واختلقوا
 اذ أواذك ولأحدمهم أن يتغديا بالياسة وقبول القول فزبد بعضهم على بعض قال ابن عباس كانت
 اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم اذا قالوا قوموا فإنا لو أنساك بالنبي الذي وعدتنا أن
 ترسله وبالكاب الذي تنزلنا الا ما نصرتنا فكانوا يصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من
 ولد اسماعيل عليه السلام عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم اياه فقال تعالى وكانوا من قبل يستقصون
 على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به إلى قوله أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أي حسدا
 وقالت صفة بنت حنبل لقيت النبي صلى الله عليه وسلم جاءه أبي وعي من عندك بما قال أبي لعمري ما تقول
 فيه قال أقول انه النبي الذي بشره موسى قال فأنرى قال أرى معادته أيام الحياة فهذا حكم
 الحسد في التصريح * وأما المنافسة فلست بحرام بل هي اما واجبة واما مندوبة واما مباحة وقد
 يستعمل لفظ الحسد بديل المنافسة والمنافسة بديل الحسد قال قثم بن العباس لما أراد هو والفضل أن
 يأبيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسألاه أن يؤتمرهما على الصدقة قال لا حتى حين قال لهما لا تذهبا
 إليه فإنه لا يؤتمركما عليهما فقالا له ما هذا منك المنافسة والله لقد زورك امته فاستنذاك عليك
 أي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجها بك فاطمة والمنافسة في اللغة مشتقة من المنافسة
 والزاد يدل على إباحة المنافسة قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال تعالى سأقو إلى
 مغفرة من ربكم وإنما السابقة ضد خوف القوة وهو كالعبد من يتسابقان إلى خدمة مولاهما
 أذبح عن كل واحد أن يسبقه صاحبه فيعطى ضد مولاهم لا بمنزلة لا يحظى هو بها فكيف وقد صرح
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لاحد الا في اثنين رجل آتاه الله ما لا يسئل على هلكته
 في الحق ورجل آتاه الله علم فهو يعمل به ويعلم الناس ثم فسرد ذلك في حديث أبي كبشة الأنماري
 فقال مثل هذه الأمة مثل أربعة رجل آتاه الله المال وعلم فهو يعمل به في ماله ورجل آتاه الله علما
 ولم يؤت به مالا فيقول رب لو أن لي مالا مثل مال فلان لكنت أعمل فيه مثل عمله فهما في الاجر سواء
 وهذا منه محب لأن يكون له مثل ماله فيعمل مثل ما يعمل من غير حيز وال النعمة عنه قال ورجل
 آتاه الله مالا ولم يؤت به علما فهو يتقنه في معاصي الله ورجل لم يؤت به علما ولم يؤت به مالا فيقول لو أن لي مثل
 مال فلان لكنت أتقنه في مثل ما أتقنه فيه من المعاصي فهما في الوزر سواء فذمه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم من جهة تنبيه العبيد لا من جهة تحية أن يكون له من النعمة مثل ماله فاذا أخرج على من
 يقطب غيره في نعمة وشئ نفسه مثلها مهما لم يحبز والماعنه ولم يذكره واما اله انعم أن كانت تلك
 النعمة لعدم تبية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه المنافسة واجبة هو أن يجب أن يكون
 مثله لانه اذا لم يكن يجب ذلك فيكون راضيا بالمنفعة وذلك حرام وان كانت النعمة من الفضائل
 كافتقار الأموال في المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب اله وان كانت النعمة بتم بها على
 وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع إلى ارادة مساواته والمحقق في النعمة وليس فيها

كرامة النعمة وكان تحت هذه النعمة أمرين * أحدهما راحة النعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره
وتخلفه عنه وهو يكره أحدا الوجهين وهو يتخلف نفسه ويحب مساواته له ولا حرج على من يصكره
تخلف نفسه ونقصانها في المباحات نعم ذلك ينقص من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا
ويجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان وههنا دقيقة خاصة وهو أنه إذا أنيس
من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يجب زوال النقصان وانما يزول
نقصانه إما بأن ينال مثل ذلك أو بأن تزول نعمة المحسود فإذا انسأ أحد الطريقين فيكاد القلب
لا يبتك عن شهوة الطريق الآخر حتى إذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشهى عنده من دوامها
أدبر والميل زول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لا يبتك القلب عنه فان كان يجب لو ألقي الأمر إليه ورز
إلى اختياره لسي في إزالة النعمة عنه فهو حسود حسد مذموم وان كان تدمه التقوى عن إزالة ذلك
فيبقى عبيد في طبعه من ارتياح إلى زوال النعمة من محسوده مهما كان كارهها لذلك من نفسه بقله
ودنه ولعله الغنى بقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يفتك المؤمن منهن الحسد والظن والطيرة ثم قال
وله من يخرج إذا حسدت فلا تبغ أي ان وجدت في قلبك شيئا فلا تعمل به وبعد أن يكون
الإنسان غريدا الصاق بأخيه في النعمة فيجز عنها ثم يفتك عن ميل إلى زوال النعمة إذ يجب لا محالة
ترجيها على دوامها فهذا الختم المنافس يراحم الحسد الحرام فينبغي أن يحتاط فيه فانه موضع
الخطر وما من إنسان إلا هو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه وأقرانه يجب مساواتهم ويكاد يغير
ذلك إلى الحسد المخطئ وإن لم يكن قوى الإيمان رزين التقوى ومهما كان محرز كه خوف التفاوت
وتظهر نقصانه عن غيره جزء ذلك إلى الحسد المذموم وإلى ميل الطبع إلى زوال النعمة عن أخيه
حتى ينزل هو إلى مساواته إذ لم يقدر هو أن يرتقي إلى مساواته بادر ذلك النعمة وذلك لا رخصة فيه
أصل بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا ولكن يعني عنه في ذلك ما لم يعمل به
إن شاء الله تعالى وتكون كرامته لذلك من نفسه ككفارة له فهذه حقيقة الحسد وأحكامه * وأما
مراتبه فأربع (الاولى) أن يجب زوال النعمة عنه وإن كان ذلك لا يفتك إليه وهذا غاية الخبث
(الثانية) أن يجب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة وأمر أه جملة
أو لآية نافذة أو سعة لها غيره وهو يجب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة لازوالها عنه ومكرهه
قد النعمة لا تتم غيره (الثالثة) أن لا يشتهي عينها لنفسه بل يشتهي مثلها فان عجز عن مثلها أحب
زوالها حتى لا يظهر التفاوت بينهما (الرابعة) أن يشتهي لنفسه مثلها فان لم تحصل فلا يجب زوالها
عنه وهذا الأخير هو الحق وعنه أن كان في الدنيا والتدب إلى الله أن كان في الدين والثالثة هي المذموم
وغير مذموم والثانية أخف من الثانية والاولى مذموم محض وتسمية الرتبة الثانية حسدا فيه
تجاوز توسع ولكنه مذموم لقوله تعالى ولا تتوا ما فضل الله به بفسادكم على بعض فتنبه لمثل ذلك
غير مذموم وأما تنبيه في ذلك فهو مذموم

بيان أسباب الحسد والمنافسة

أما المنافسة فتسببها حب ما فيه المنافسة فان كان ذلك أمر اديا فسيبه حب الله تعالى وحب طاعته
وان كان دينيا أو فسيبه حب مباحات الدنيا والتمتع فيها وانما نظرها الآن في الحسد المذموم
ومدائله كثيرة جدا ولكن يحصر جملة أسبابه أبواب العداوة والتعزز والكبر والتجب والخوف
من فوت المقاصد المحبوبة وجب الرئاسة وحب النفس ومحلها فانه انما يكره النعمة على غيره فاما
لا يهعدونه فلا يريد له الخير وهذا لا يتحقق بالاحتمال بل بحسد الخسيس الملك بمعنى انه يجب زوال

نعمته لكونه مبغضاً للعيب سبباً إليه أو إلى من يحبه وأما أن يكون من حيث يعلم أنه يستكر
 بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعمرة نفسه وهو المراد بالتعزذ وأما أن يكون في طبعه
 أن يتكبر على المحمود ويمتنع ذلك عليه لنعمة وهو المراد بالتكبر وأما أن تكون النعمة عظيمة
 والنصب عظيم فيستجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب وأما أن يخاف من فوات
 مقاصده بسبب نعمة بأن يتوصل بها إلى مزايا محتته في أغراضه وأما أن يكون محباً إلى راحة التي
 تنتج على الاختصاص بشعة لا يساوي فيها وأما أن لا يكون بسبب من هذه الأسباب بل بحسب
 النفس وشعها بالخير لعباد الله تعالى ولا بد من شرح هذه الأسباب **السبب الأول** في العداوة
 والبغضاء وهذا أشد أسباب الحسد فإن من آذاه شخص بسبب من الأسباب وخالفه في غرض
 يوجه من الوجوه أبغضه قلبه وقضب عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي الشقي والانتقام
 فإن عجز البغض عن أن يغشي نفسه أحب أن يغشي منه الزمان وربما يحمل ذلك على كرامة نفسه
 عند الله تعالى فيهما أصابت عدوة بغيره فحرجها ونظما كما فاء له من جهة الله تعالى بغضه وإهنا لاجله
 ومهما أصابته نعمة ساء ذلك لأنه ضد مراده وربما يخبط له أنه لا مثله له عند الله حيث لم ينقم له من
 عدوة الذي آذاه بل أنعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وإنما غاية التي
 أن لا يبغي وأن يكره ذلك من نفسه فأما أن يبغض انساناً ثم يستوى عنده مسرته ومساوئها فبما
 غير ممكن وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به أعني الحسد بالعداوة قال تعالى وإذا التوكل قالوا آمنتنا
 وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الفيط قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور إن تمسكتم
 حسنة تسوهم الآية وحسب ذلك قال تعالى وذو أباعتهم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي
 صدورهم أكبر والحسد بسبب البغض ربما يقضي إلى التنازع والتقاتل واستغراق العرفي إزالة
 النعمة بالحل والصلابة وهناك الستر وما يجري مجراه **السبب الثاني** في التعزذ وهو أن يتحل
 عليه أن يتفرغ عليه غيره فإذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علماً أو مالاً خاف أن يتكبر عليه وهو
 لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه أن يتكبر بل غرضه
 أن يدفع كرهه فإنه قد رضي بمساوئه مثلاً ولكن لا يرضى بالترفع عليه **السبب الثالث** في
 التكبر وهو أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستغفره ويستخدمه ويخون منه الأتباع
 والمتابعين في أغراضه فإذا نال نعمة خاف أن لا يحتمل تكبره فيترفع عن متابعتها أو ربما يشوق
 إلى مساواته أو إلى أن يترفع عليه فيعود متكبراً بعد أن كان متكبراً عليه ومن التكبر والتعزذ كان
 حسداً كثر الكفار رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام قبيح وكف
 نطأ طئ له رؤسنا فقالوا لا تزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أي كان لا يتحمل علينا
 أن نتواضع له وتبعية إذا كان عظيماً وقال تعالى يصف قول قريش أهؤلاء من الله عليهم من بيننا
 كما استغفار لهم والآنفة منهم **السبب الرابع** في التعجب كما أخبر الله تعالى عن الأمم السالفة
 إذ قالوا ما أتت الأبرش مثلاً وقالوا أقم من لبشر من مثلاً ولئن أطمع بشر أمثلكم أنكم إذ أنتموا
 قمتهم أن تغوزرتهم إلى رسالته والوحى والقرب من الله تعالى بشر مثلكم حسدوهم وأجروا زوال
 النبوة عنهم جزاء أن يفضل عليهم من هو مثلكم في الخلقة لأن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم
 عداوة أو سبب آخر من سائر الأسباب قالوا متعجبين أبعث الله بشراً رسلاً وقالوا لا أتزل علينا
 الملائكة وقال تعالى أوعيتكم أن ظنكم ذكرهم ربكم على رجل منكم الآية **السبب الخامس** في
 الخوف من فوات المقاصد وذلك يختص بمتراسين على مقصود واحد فإن كل واحد يحسد صاحبه

في كل نعمة تكون عوناً له في الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الصترات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل المترلة في قلب الابوين للتوصل به الى مقاصد الكرام والمال وكذلك تحاسد التليذين لاستناد واحد على نيل المرتبة من قلب الاستاد وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المترلة من قلبه للتوصل به الى المال والجاه وكذلك تحاسد الواعظين المتراحين على أهل بلدة واحدة اذا كان غرضهم انيل المال بالقبول عندهم وكذلك تحاسد العالمين المتراحين على طائفة من المتفهمة محصورين اذ يطلب كل واحد مترلة في قلوبهم للتوصل بهم الى اغراضه **السبب السادس** حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل به الى مقصود وذلك كالرجل الذي يريد ان يكون عديم النظر في فن من الفنون اذا غلب عليه حب التناء واستقره الفرح بما يمدح به من انه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وانه لا نظير له فانه لو سمع نظيره في أقصى العالم لساء ذلك وأحب مودة أوزوال النعمة عنه التي يشاركه في المترلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو قوة أو غرض ذلك مما عجزه هو به ويفرح بسبب تفردده وليس السبب في هذا عداوة ولا تفرد زوال تكبره على المحسود ولا خوفاً من فوات مقصود سوى محض الرياسة يدعو الى الانفراد وهذا راء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمترلة في قلوب الناس للتوصل الى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم واستباحتهم مهما نسخ عليهم **السبب السابع** خيب النفس ورشها بالخير لعباد الله تعالى فالتكبر من لا يستغل برياسة وتكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبده من عباد الله تعالى فيما أتم الله به عليه يشق ذلك عليه واذا وصف له اضطراب أمور الناس واندبارهم وفوات مقاصدهم وتنقص عيشهم فرح به فهو أبلج الادبار لغيره ويضل شجرة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وحرانته ويقال الخيل من يضل بجمال نفسه والتعجب هو الذي يضل بجمال غيره فهذا يضل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه وبينهم عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا خيب في النفس وزد الله في الطبع عليه وقتت الجبلة ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت يستر الاسباب اسبابه عارضة تصور زوالها فيطمع في ازالها وهذا خيب في الجبلة لانه سبب عارض فتعسر ازالته اذ يستحيل في العادة ازالته فهذه هي اسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد بل يكبر ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمحاولة بل يهتك حجاب المحاولة وتظهر العداوة بالمسكافة وأكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الاسباب ولهذا تغير دسبب واحد منها **بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقربان والاخوة وبنى**

الم والاقارب ونأ كده وقلته في غيرهم وضعفه

اعلم ان الحسد انما يكبر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الاسباب فيهم وتطاهر اذ الشخص الواحد يجوز ان يحسد لانه قد يمتنع عن قبول التكبر ولا نه تكبر ولا نه عدو ولا يهز ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين اقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذ اختلف واحد منهم صاحبه في غرض من الاغراض فربطه عنه وأيضه وثبت الحقد في قلبه فعند ذلك يريد ان يستقره وتكبر عليه ويكافئ على مخالفة لغرضه ويكرهه تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه وتترادف جملة من هذه الاسباب اذ لا رابط بين شخصين في بلدتين متباعدتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك

في محلتين نعم اذا تنجاو رافي مسكن أو سوق أو مدرسة أو مسجد تواردا على مقاصد تتناقض فيها
 اغراضها فمبتنور من التناقض والتنافر ومنه تنور بقة أسباب الحسد وذلك ترى العالم
 يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابدون العالم والتاجر يحسد التجار بل الاسكاف يحسد
 الاسكاف ولا يحسد البراز الاسباب آخروى الاجتماع في الحرفة ويحسد رجل أخاه وابن عمه
 أكثر مما يحسد الاجانب والمرأة تحسد خمرتها وسريرة زوجها أكثر مما تحسد أم زوجها وامته لان
 مقصد البراز غير مقصد الاسكاف فلا يتراحون على المقاصد اذ مقصد البراز الثروة ولا يحصلها
 الا بكثرة الزبون وانما يرازعه فيه راز آخر اذ حريف البراز لا يطلبه الاسكاف بل البراز ثم مزاحمة
 البراز المجاولة أكثر من مزاحمة البعد عنه الى طرف السوق فلا جرم يكون حسده لجارا أكثر
 وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لان مقصده ان يذكر بالشجاعة ويشتهر بها
 وينفرد بهذه المصلحة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع
 ثم حسد الواعظ للواعظ أكثر من حسده للفقير والطبيب لان التراحم بينهما على مقصود واحد
 أخفى فاصل هذه المحاسدات العدواة وأصل العدواة التراحم بينهما على غرض واحد والنقض
 الواحد لا يجمع متباينين بل متناسين فلذلك يكثر الحسد بينهما من اشتد حرصه على الجاه وأحب
 الصيت في جميع أطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وان يصد عن يساهمه
 في المصلحة التي يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتراحمين أما
 الآخرة فلا تضيق فيها وانما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة ضغفاته
 وملأ ثكنته وأنبياؤه ومليكوت سماواته وأرضه لم يحسد غيره اذ عارف ذلك أيضا لان العرفه
 لا تضيق على العارفين بل العلوم الواحد يبلغه ألف ألف عالم يفرح بمعرفة مولده ولا تنقص لذته
 واحدا بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الاتعش وثمره الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون
 بين علماء الدين محاسدة لان مقصدهم معرفة الله تعالى وهي بحر واسع لا تضيق فيه وضرهم المنزل
 عند الله تعالى ولا تضيق أيضا فاما عند الله تعالى لان أجل ما عند الله سبحانه من النعم لذة لقائه
 وليس فيها منافعة ومزاحمة ولا تضيق بعض الناس على بعض بل يزيد الانس بكثرتهم ثم اذا قصد
 العلماء بالعلم المال والجاه فحسدوا لان المال أحيان وأجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنها
 يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر
 أو نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة واذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمتنع ذلك
 أن يمتلئ قلب غيره بها وأن يفرح بذلك والفرق بين العلم والمال أن المال لا يحل في يد عالم يرحل من
 الدنيا الاخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل عن قلبه والمال
 أجسام وأحيان ولها نهاية فلو ملك الانسان جميع ما في الارض لم يبق بعده مال يملكه غيره والعلم
 لا نهاية له ولا يتصور استيعابه من عود نفسه الفكري جلال الله وعظمته ومليكوت أرضه وسماائه
 صارد ذلك اذ عند من كل نعم ولم يكن ممنوعا منه ولا منراحمافه فلا يكون في قلبه حسدا لاحد
 من الخلق لان غيره أيضا لو صرف مثل معرفته لم ينقص من لفته بل زادت لفته بمؤانسته فيكون لذة
 هؤلاء في مطالعة عجايب الملكوت على الدوام أعظم من لذة من ينظر الى أنشجار الجنة ولسانيتها
 بالعين الظاهرة فان نعم العارف وحجته معرفته التي هي صفة ذاته بآمن زوالها وهو أبدا ينجي ثمارها
 فهو بروحه وقلبه منتذب فاكهة على وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوعها اديب متغير
 وان محض العين الظاهرة فروحه أبدا ترفع في جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض كثرة في العارفين

لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين وترعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرور
مقابلين فبما احاطهم وهم بعد في الدنيا فاذا انطق بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب
في القبي فاذ لا يصور ان يكون في الجنة محاسبة ولا ان يكون بين اهل الجنة في الدنيا محاسبة
لان الجنة لا مضافة فيها ولا منراحة ولا تنال الا بمعرفة الله تعالى التي لا منراحة فيها في الدنيا ايضا
فاهل الجنة بالضرورة ورثة من الحسد في الدنيا والآخره جميعا بل الحسد من صفات المعدن عن
سعة عليين الى مضيق سبعين ولذلك وصف به الشيطان العين وذ كرم من صفاته انه حسد آدم عليه
السلام على ما خص به من الاجتناء ولما دعى الى السجود استكبروا بي وتمردوا على قد عرفت
انه لاحسد الا فتور اورد على مقصود بضيق عن الوفاء بالكل ولهذا انزى الناس بفاسدون على النظر
الى زينة السماء وبفاسدون على رؤية البساتين التي هي جزء يسير من جملة الارض وكل الارض
لا وزن لها الاضافة الى السماء ولكن السماء لسعة الاقطار وافية بجميع الابصار فلم يكن فيها
تراحم ولا تحاسد اصلا فليكن ان كنت بصيرا وعلى نفسك مشغعا ان تطلب نعمة لا زحمة فيها ولذة
لا كد لها ولا يوجد ذلك في الدنيا الا في معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته وافعاله وعجايب
ملكوت السموات والارض ولا ينال ذلك في الآخرة الا بهذه المعرفة ايضا فان كنت لا تشاق الى
معرفة الله تعالى ولم تجتهد لتها وقررتك را بك وضعت فيها رقتك فانت في ذلك معذور اذا العينين
لا يشاق الى لذة الوقاع والصبي لا يشاق الى لذة الملك فان هذه لذات يختص باذرا كما الرجال دون
الصبيان والمختنين فكذلك لذة المعرفة يختص باذرا كما الرجال رجال لانهم يجارة ولا يسع عن
ذكر الله ولا يشاق الى هذه اللذة غيرهم لان الشوق بعد الذوق ومن لم يذوق لم يعرف ومن لم يعرف
لم يشق ومن لم يشق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في أسفل السافلين
ومن يش من ذكر الرحمن فيفضله شيطانا فهو له قرن

بيان الدوا ما الذي ينشأ من مرض الحسد من القلب

اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تنال في امراض القلوب الا بالعلم والعمل والعلم
النافع لمرض الحسد هو ان تعرف تحقيا ان الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لا ضرر فيه على
المحسود في الدنيا والدين بل ينفع به فهم ما ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق
عدوك فارقت الحسد لا بحالة اما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله
تعالى وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده وعدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكيمته فاستنكرت ذلك
واستبشعته وهذه جناية على حدة التوحيد وقضى في عين الايمان وناهيك بها جناية على الدين
وقد انضاف الى ذلك انك عشت رجلا من المؤمنين وتركت فصيحته وفارقت اولياء الله انبياءه
في حرم الخيرة لبيادة تعالى وشاركت ابليس وساير الكفار في محبة المؤمنين البلاء وزوال
النعم وهذه جباث في القلب تاكل حسنات القلب كما تاكل النار الحطب وتحوها كما يحرق الحطب
النار واما كونه ضررا عليك في الدنيا فهو انك تتألم بحسدك في الدنيا وتتعذب به ولا تزال في كد
وعم اذ اعداؤك لا ينالهم الله تعالى عن نفع فيضها عليهم فلا تزال تعذب بكل نعمة تراها وتألم بكل بلية
تتصرف عنهم فتبقى مغموما محروما ومتشعب القلب بضيق الصدر قد نزل بك ما يشبهه الاعداء لك
وتشبهه الاعداء لك فقد كنت تريد النعمة لعدوك فتجبرت في الحال محتبكت ومخك فقد اومع هذا فلا
ترول النعمة من المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى القنعة ان كنت
ها فلا ان تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومسا به مع عدم النفع فكيف وانت عالم بما في الحسد

من العذاب الشديد في الآخرة فأعجب من العاقل كيف يتعرض لسطط الله تعالى من غير دفع ثمنه بل
مع ضرر يحمله وألم يقاسمه قبل أن يدينه ودينه من غير جدوى ولا فائدة وأمانته لا ضرر على المحسود
في دينه ودينه فواضح لأن النعمة لا تزول عنه بحسبك بل ما قدره الله تعالى من إقبال ونعمة فلا بد
أن يدوم إلى أجل معلوم قدره الله سبحانه فلا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار ولكل أجل
كتاب ولذلك شكيت من الانبياء من أمر آفة ظالمه مستولى على الخلق فأوحى الله إليه فر من قدامها
حتى تنقضي أيامها أي ما قدرناه في الازل لا سبيل إلى تغييره فاصبر حتى تنقضي المدة التي سبق
القضاء بدوام إقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه
اشم في الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي وهذا غاية الجهل فإنه بلاه
تشبيه أولاً لنفسك فإنك أيضاً لا تلحق عدو بحسبك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يكن لله
تعالى عليك نعمة ولا على أحد من الخلق ولا نعمة إلا إيمان أيضاً لأن الكفار يحسدون المؤمنين على
الإيمان قال الله تعالى وذكر كثير من أهل الكتاب ليردوكم من بعد ما أتيكم كفاراً أحسداً من
عند أنفسهم إذ ما يريد المحسود لا يكون نعم هو فضل بإرادته الضلال لغيره فإن ارادة الكفر كفر
فمن اشتهى أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكأنما يريد أن يسلب نعمة الإيمان بحسد الكفار
وكذا سائر النعم وإن اشتهى أن تزول النعمة عن الخلق بحسبك لا تزول عنك بحسبك فكذلك غاية
الجهل والفاولة فإن كل واحد من حقي الحساد أيضاً يشتهي أن ينحس بهذه الخاصية وليس بأولى
من غيرك فنعمة الله تعالى عليك في أن لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وإن تيهلك
تكرهها وأما أن المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح أمام منفعته في الدين فهو أن منفعته من
جهتك لا سيما إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل بالغبية والقدح فيه وهتك ستره وذكرك مساوية
فهذه هداياتهم إليه أعني أنك بذلك تهدي إليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلساً محروماً من
النعمة كالحرمات في الدنيا من النعمة فكذلك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل نعم كان لله عليه نعمة
أدركت الحسنات فتلقاها إليه فأضفت إليه نعمة وأضفت إلى نفسك شقاؤه وإلى شقاؤه
وأما منفعته في الدنيا فهو أن أهم اغراض الخلق مساواة الأعداء وطمعهم وشقاوتهم وكونهم معذبين
مغمومين ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد وغلبة أمانى أعدائك أن يكونوا في نعمة وأن
تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل
يشتهي أن تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد لتتطرق إلى نعمة الله عليه فيقطع قلبك جسداً
ولذلك قيل

لامات أعدائك بل خلدوا • حتى يروا فيك الذي يحسد
لازلت محسوداً على نعمة • فأتمم الكامل من محسد

ففرح عدوك بفك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان
ذلك أعظم مصيبة وبلية عنده فأنت فيما نلازم من غم الحسد لا كما يشبهه عدوك فإذا أدركت
هذا عرفت أنك عدو نفسك وصديق عدوك إذ تعاطيت ما تقصرت به في الدنيا والآخرة وانتفع به
عدوك في الدنيا والآخرة وصرت مذموماً عند الخلق والخلق لا تثنى على الحال والمآل ونعمة
المحسود دائماً شئت أم أيت باقية ثم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت إلى إدخال أعظم
سرور على باليس الذي هو أذى أعدائك لا تلبأ أنك محروم من نعمة العلم والروع والجاه والمال
الذي اختص به عدوك عنك خاف أن تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب الحبة لا تهم أن تحب

أن يكلف نفسه نفقته فان بعثه الحسد على القدح في محسوده كلف لسانه المدح له والثناء عليه وإن
 حمله على التكبر عليه أزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وإن بعثه على كفا الأنعام عليه أزم
 نفسه الزيادة في الأنعام عليه فحماض ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأجبه ومهما
 ظهر حبه عاد الحاسد فأجبه وتولد من ذلك الموافقة التي تقطع مادة الحسد لان التواضع والثناء
 والمدح وإظهار السرور والتعجب يستجلب قلب النعم عليه ويسترقه ويستطفه ويجعله على مقابلة
 ذلك بالأحسان ثم ذلك الأحسان يعود إلى الأول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه أو لا طبعاً آخر
 ولا يهتدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت وأثبتت عليه حملك العدو على البز أو على النفاق
 أو الخوف وأن ذلك مذلة ومهانة وذلك من خدع الشيطان ومكايده بل الجمالة تكلف كانت
 أو جعاً تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقل مرضها وتعود القلوب التآلف والحاب وبذلك
 تستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض فهذه هي أدوية الحسد وهي نافعة جداً إلا أنها مرة على
 القلوب جداً ولكن النفع في الدواء المر فإن لم يصبر على مرارة الدواء لم يزل حلاوة الشفاء وانما تهون
 مرارة هذا الدواء أعني التواضع لإعدهاء والتقرب إليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي
 ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضاء قضاء الله تعالى وحب ما أحبه وعزة النفس وترفعها عن
 أن يكون في العالم شيء على خلاف مرادها جهل وعند ذلك يريد ما لا يكون إذ لا مطمع في أن يكون
 ما يريد وفوات المراد في خسة ولا طرقي في الخلاص من هذا الداء إلا بأحد أمرين إما بأن يكون
 ما تريد أو بأن تريد ما يكون والأول ليس البك ولا مدخل لتكلف والمجاهدة فيه أو أما الثاني
 فللمجاهدة فيه مدخل وتخصيله بالرياسة ممكن فيجب تخصيله على كل عاقل هذا هو الدواء البكلي
 فأما الدواء الفصلي فهو تتبع أسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وخسة الخرس على
 ما لا يقني وسبأ في تفصيل مداواة هذه الأسباب في مواضعها إن شاء الله تعالى فإنها مواد هذا
 المرض ولا ينفع المرض إلا بقبح المادة فإن لم تقبح المادة لم يحصل مما ذكرناه الاتسكين وتطهق ولا يزال
 يعود مرة بعد أخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواده فإنه مادام محبا للعبادة فلا بد أن يجحد
 من استأثر بالجاء والمزلة في قلوب الناس دونهم ونعمه ذلك بالحالة وانما غايته أن يكون النعم على نفسه
 ولا يظهر بلسانه ويده فأما الخلق عنه رأساً فلا يمكنه والله الموفق

بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

اعلم أن المؤثرى محموت بالطبع ومن آنالك فلا يمكنك أن لا تبغضه غالباً فإذا تسمرت له نعمة فلا
 يمكنك أن لا تذكرها له حتى يستوى عندك حسن حال عدوك وسومحاله بل لا تزال تدرك في النفس
 بينها ما تفرقه ولا يزال الشيطان ينازعك إلى الحسد له ولا يمكن أن قوى ذلك فك حتى يهلك على
 إظهار الحسد بقول أو فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بأنعاك الاختيارية فانت حاسود عاص
 بجسدك وإن كفت ظاهرك بالكلمة إلا أنك سيطرتك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة
 لهذه الحالة فانت أيضاً حاسود عاص لأن الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال الله تعالى ولا يجدون
 في صدورهم حاجة مما أوتوا وقال عز وجل وذو لوت تكفرون كما تكفرون فتكفرون سواء وقال
 إن تمسكتم حصة تسؤمهم أم الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين
 الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح ثم هذا الحسد ليس مظلي فيجب الاستغفار منها بل
 هو معصية منك وبين الله تعالى وانما يجب الاستغفار من الأسباب الظاهرة على الجوارح فأما
 إذا كفت ظاهرك وأزمت مع ذلك قلبك كراهة ما ترشخ منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى

كانك تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة
الطبع فقد أدت الواجب عليك ولا يدخل تحت احتيارك في أغلب الاحوال أكثر من هذا فأما
تغيير الطبع ليستوى عنده المؤذي والمحسن ويكون فرجه أو غمه بما يسير له من نعمة أو تنصب
عليه ما من بلية سواء فهذه هي الاطوار والطبع عليه ما دام ملتقيا الى حظوظ الدنيا لا أن يصير
مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله قد ينهى أمره الى أن لا يلتفت قلبا في تفاصيل
أحوال العباد بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وأفعاله أفعالا
للمعبر بهم مسافرين وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك الى طبعه
ويعود العدو الى منازعته أعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فهما قابل ذلك بكراهته وأزيم قلبه
هذه الحالة فقد أدى ما كلفه وقد ذهب ذاهبون الى انه لا يأثم اذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما
روى عن الحسن انه سئل عن الحسد فقال غمه فانه لا يضرك ما لم تنده وروى عنه موقوف امر فوعا
الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا يخلو منهم المؤمن وله منهم من يخرج فخرجه من الحسد
أن لا يبغي والاولى أن يجعل هذا على ما ذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل
في مقابلة حب الطبع زوال نعمة العدو وتلك الكراهة تمنعه من البغي والايذاء فان جميع ما ورد
من الاخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم ثم الحسد عبارة عن صفة القلب لامن
الافعال فكل من يحب اساءة مسلم فهو حاسد فانا كونه آثما يجزئ حسد القلب من غير فعل هو
في محل الاجتهاد ولا يظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والاعبار ومن حيث المعنى اذ يعد
أن يعنى عن العبد في ارادته اساءة مسلم واشتماله بالقلب على ذلك من غير كراهة وقد عرفت من هذا
أن كذا في أعدائك ثلاثة أحوال • أحدها أن تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك
اليه بعتاك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في ازالته ذلك الميل منك وهذا معروضة قطعاً
لانه لا يدخل تحت الاختيار ككفر منه • الثاني أن تحب ذلك وتظهر الفرح بمسائه ما بلسانك
أو بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعاً • الثالث هي ما بين الطرفين أن تحب بالقلب من غير
مقت لنفسك على حسدك ومن غير انكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد
في مقتضاه وهذا في محل الخلاف والظاهر أنه لا يخلو عن آثم بقدر قوة ذلك الحب وضغفه والله تعالى
أعلم والمحدث رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ كتاب ذم الدنيا وهو الكتاب السادس من ربيع المهلكات من كتب احياها علوم الدين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي عرف أولياءه وقوائل الدنيا وأقاتها • وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها • حتى
نظروا في شواهد هوائياتها • ووزنوا بحسنات سيئاتها • فخلعوا عنه يزيده متكرها على معروفها •
ولا يفي مرجوها بخوفها • ولا يسلم طلوعها من كسوفها • ولكنها في صورة امرأة علية تستميل
الناس بجمالها • ولها أسرار سوء قبايح تلك الراغبين في وضالها • ثم هي فرارة عن طالبيها • شعبة
بأقبالها • وإذا أقبلت لم يؤمن شرها ووابالها • ان أحسنت ساعة أسأت سنة • وان أسأت
مرة جعلت سنة • فدوائر اقبالها على التقارب دثره • وتيارات قبحها خاسرة بآثره • وقاتها على التوالي
للسدور طلائها رازقه • ويحارى أحوالها قبل طالبيها ناطقه • فكل مغرور بها الى الذل مصيره
• وكل متكبر بها الى الضر مسيره • شأنها الحرب من طالها • والطلب نار بها • ومن خدمها
فاته • ومن أعرض عنها واتته • لا يخلو صفيوها عن شوائب الصدور وان • ولا ينفك سرورها

عن المنصات * سلامتها تعقب السقم * وشبابها يسوق الى الهرم * ونعيمها لا يثير الا الحسرة والندم
 * فهي خداعة مكره * طيارة فزاره * لا تزال تزين لطلانها * حتى اذا صاروا من احبابها * كثرت
 لهم من آيائها * وشوشت عليهم مناقم آسائها * وكشفت لهم عن مكثون عجايبها * فاذنقتهم
 قوائل سمائها * ورشقهم بصواب سهامها * بينما اصحابها مناني سرور وانعام * اذ ولت منهم
 كأنها أضغاث أحلام * ثم عكرت عليهم بدواها فطحنتهم طعن الحصيد * ووارتهم في كفاتهم
 تحت الضعيف * ان ملكك واحد منهم * جميع ما طلعت عليه الشمس * جعلته حصيدا كأن لم يكن
 بالامس * نثنى اصحابها سرورا * وتعددهم غرورا * حتى يأملون كثيرا * وينون قصورا *
 فتصبح قصورهم قبورا * وجمعهم يورا * وسعهم هباء منثورا * ودعائهم نبورا * هذه صفتها وكان
 أمر الله قدرا مقدورا * والصلاة على محمد عبده ورسوله المرسل الى العالمين بشيرا ونذيرا وسراجا
 منيرا * وعلى من كان من أهله واصحابه في الدين ظهيرا * وعلى الطالبين نصيرا * وسلم تسليما كثيرا
 (أما بعد) فان الدنيا عذوة لله وعذوة لاولياء الله وعذوة لاعدا الله * أما عداوتها لله فانها قطعت
 الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله اليها منذ خلقها * وأما عداوتها لاولياء الله عز وجل فانها
 تربت لهم زينةا وعصم زهرتها ونضارتها حتى تجر عوام امة الصبر في مقاطعها * وأما عداوتها
 لاعدا الله فانها استدرجتهم بمكرها وكيدها * فاقنصتهم بشبكها حتى وقواها وعصوا لوعاها *
 فخذلهم أحوجا ما كانوا اليها * فاجتروا منها حسرة تقطع دونها الاكل * ثم حرمتهم السعادة أبد
 الآباد * فهم على فراقها ينصرون * ومن مكابدها يستغيثون ولا يفتنون * بل يقال لهم اخسأوا فيها
 ولا تكلمون * أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينعرون
 * واذ عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلا يدأولون معرفة حقيقة الدنيا وما هي وما الحكمة
 في خلقها مع عداوتها وما مدخل غرورها وشرورها فان من لا يعرف الشر لا يغبى * ويوشك أن يقع
 فيه * ونحن نذكر ذمة الدنيا وأمثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها وأصناف الاغفال المتعلقة بها
 ووجه الحاجة الى أصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بقضولها ان شاء الله
 تعالى وهو العليم على ما يرتضيه

بيان ذمة الدنيا

الآيات الواردة في ذمة الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشغول على ذمة الدنيا وصرف الخلق
 عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يغتوا الا ذلك فلا حاجة
 الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيها فنقدري ان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم حرر على شاة مئة فقال أنزروا هذه الشاة هينة على أهلها قالوا من هو أنها
 ألقوها قال والذي نفسي بيده الدنيا أهون على المؤمن من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل
 عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن
 وجنة الكافر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها
 وقال أبو موسى الأشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضرت آخرته ومن
 أحب آخرته أضرت دنياه فأنزروا ما بيني على ما بيني وقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل
 خطيئة وقال زيد بن أرقم كأم أبي بكر الصديق رضي الله عنه فدعا شرب فأنى بماء وعسل فلما
 أذناه من فيه بكى حتى أبكى اصحابه وسكتوا ما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرزون على
 مسألته قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما أبك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه

وسلم رأيت يدفع عن نفسه شيئا ولم أر معه أحدا قتل بارسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلتي قتل لها اليك متى ثم رجعت فقالت انك ان أقلت متى لم يفلت مني من بعدك وقال صلى الله عليه وسلم يا عجبيا كل الجب الصديق بدار الخلود هو يسعي لدار الغرور وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على خربة فقال هلوا إلى الدنيا وأخذ خرقا قد بليت على تلك الخربة وعظما قد فخرت فقال هذه الدنيا وهذه إشارة إلى أن زينة الدنيا سحقان مثل تلك الخرق وأن الأجسام التي ترى بها مستغنى عظم ما بالية وقال صلى الله عليه وسلم ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستغنى عنكم فيها فانظرو كيف تعملون ان بني اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت ناهوا في الحلية والنساء والطيب والياب وقال عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدنيا ربا فتعذكم عبدا أكثروا كثرتم عندهم من لاضيعه فان صاحب كثر الدنيا يخاف عليه الأفة وصاحب كثر الله لا يخاف عليه الأفة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام أضيأ بمعشر الحوارين اني قد كيت لكم الدنيا على وجهها فلا تعسوها بعدى فان من خبت الدنيا ان عصي الله فيها وان من خبت الدنيا ان الآخرة لا تدرك الا تبركها الأفاعير والدنيا ولا تهررها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة وساعة أورثت أهلها خرابا وملا وقال أيضا بطعت لكم الدنيا جلست على ظهرها فلا يتأخر عنكم فيها الملوك والنساء فاما الملوك فلا تازعوه من الدنيا فانهم لن يعرضوا لكم ما ترضونه وودنياهم واما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة وقال أيضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة فطلبها الدنيا حتى يستكمل هارزقه وطالب الدنيا فطلبه الآخرة حتى يحى الموت فيأخذ بعقبة وقال موسى بن يسار قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لم يخلق خلقا إلا بغض اليهم الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها وروى أن سليمان بن داود عليه السلام مر في موكبه والطيور تطلبه والجن والإنس عن يمينه وشماله قال فرأى من بني اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ما كعظيما قال فسمع سليمان وقال انفسية في صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داود فان ما أعطى ابن داود ذهب والنسجية نقي وقال صلى الله عليه وسلم ألهامكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مال الا ما أكلت فأفنته أو لبست فأبليت أو تصدقت فأفنت فة صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له وما يجمع من لا عقل له وعليها يعادى من لا علم له وعليها يتحسد من لا فقه له ولها يسعي من لا يقين له وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وأرغم الله قلبه أربع خصال هم لا يقطع عنه أبدا وشغلا لا ينقرغ منه أبدا وقرأ لا يبلغ عنه أبدا ولا يبلغ منه أبدا وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخبرني وأتى في وادي من أودية المدينة فاذا خربة فيها رؤس ناس وصدرات وخرق وعظام ثم قال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرس كرسى كرسى نامل كأملكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صارة رماذ وهذه العذرت هي ألوان أطلعتمها كنسبواهم من حيث اكتسبوا هائم قدفوا في بطونهم فأصبحت والناس يتعامونها وهذه الخرق البالية كانت ربا شهم ولباسهم فأصبحت والرباح تصفها وهذه العظام عظام دواهم التي كانوا يتبعون عليها أطراف البلاد فمن كان با كاعلى الدنيا فليكن قال فإرخنا حتى اشتد بك ونأروى أن الله عز وجل لما أهب آدم إلى الأرض قال له ابن الضراب ولد لقنم وقال داود بن هلال مكتوب في صحف ابراهيم عليه السلام يا دنيا ما هو نك صلى الارار الذين تصنع وترى نكهم اني قد دفنت في قلوبهم بفضلك والصدود عنك وما خلقت خلقا أهون على منك كل شائك صغير والى القناء بصير قضيت عليك يوم خلقتك

أن لا تدعى لاحد ولا يدومك أحد وان يحل بك صاحبك وشع عليك طوبى للارار الذين أطلقوني من
قلوبهم على الرضا ومن ضمهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء اذا وفدوا
الى من قورهم الا انور يسى امامهم والملائكة حاقون بهم حتى يلبثهم ما يرجون من رحمتي وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا مرقوق بين السماء والارض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر اليها
وتقول يوم القيامة يا رب اجعلنى لادنى أولئك اليوم نصيبا فيقول اسكنى بالاشئ اى لم أرضك لهم
فى الدنيا أرضاك لهم اليوم وروى فى أخبار آدم عليه السلام انه لما أكل من الشجرة تخمرت معدنه
تخرج النمل ولم يكن ذلك بجعل لافى شئ من أطعمة الجنة الا فى هذه الشجرة فلذلك نهياعن أكلها قال
يحل يدور فى الجنة فأمر الله تعالى ملكا بخاطبه فقال له قل له أى شئ تريد قال آدم أريد أن أضع ما فى
بطنى من الاذى قبيل للكل قل لى فى أى مكان تريد أن تضعه أعلى القرش أم على السراى أم على الانهار
أم تحت خلخال الاشجار هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك اهبط الى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لنبين
أقوام يوم القيامة وأعمالهم كمال تمامة فيؤمرهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا
يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم شئ من الدنيا وثبو عليه وقال صلى الله
عليه وسلم فى بعض خطبه المؤمن بين عناقين بين أجل قدمضى لا يدري ما الله صانع فيؤمر بين أجل
قدينى لا يدري ما الله قاض فيه فليترقوا للصبر من نفسه لنفسه من دناءة لاخرته ومن حياته لولته ومن
شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للاخرة والذى نفسى بيده ما بعد الموت من مستحب
ولا بعد النيام دار الجنة والنار وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا والخرة فى قلب
مؤمن كما لا يستقيم المانوالنار فى اثناء واحد وروى أن خبريل عليه السلام قال لنوح عليه السلام
بالأطول الاتية عمر اكفف وجدت الدنيا قال كدارها بابان دخلت من أحدهما وخرجت
من الآخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا كنتك قال يكفيني خلقان من كان قبلى وقال نبينا
صلى الله عليه وسلم اخذوا الدنيا فانها أفسر من هاروت وماروت وعن الحسن قال خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فقال هل منكم من يريد أن يذهب الله ضده العى ويجمعه
بصره الا انه من رغب فى الدنيا وطال أمه فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد فى الدنيا وقهر
فيها أمه أعطاه الله على بصر تعلم وهدى بصره هداية الا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك
الا بالقتل والتبر والافتى الابا للفقرو البخل ولا الحجة الاباناع الهوى الا فى أدرك ذلك الزمان منكم
فصبر على الفقر وهو قدر على الثنى وصبر على البغض وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو
قدرة على العز لا يريدك الا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب خمسين صدقا وروى أن عيسى عليه
السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق وما جعل يطلب شيئا بلما الله فوقع عينه على خيمة من
بعض فأتاها فاذا فيها امرأة تخادعها فاذا هو بكهف فى جبل فأتاه فاذا فيه أسد فوضع يده عليه
وقال الهى جعلت لكل شئ مأوى ولم تجعل لى مأوى فأوحى الله تعالى اليه ما والكى مستقر رحمتي
لا تزوجك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها يدي ولا طعن فى عرسك أربعة آلاف عام يوم منها
كعمر الدنيا وأسرن مناد يا بنادى أين الزهاد فى الدنيا زوروا عرس الزاهد فى الدنيا عيسى ابن مريم
وقال عيسى ابن مريم عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها وتفره
زبانا وثيقها وتخذله ويول القترين كيف أرتهم ما يكرهون وقارقههم ما يحبون وجههم
ما يودعون ويول لمن الدنيا همه والخطا با عمله كيف ينقض عدايته وقيل أوحى الله تعالى
الى موسى عليه السلام يا موسى ما لك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار أخرج منها هلك وفارقها

بعقلك فليست الدار هي الالام بل فيها فتمت الدار هي يا موسى اني مرصد لاطلام حتى آخذ
منه الاظلم وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاهد مال من العرب
فسمعت الانصار يقدمون أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فترضوا له فتنسبم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين زأهم
ثم قال أنتم كنتم سمعتم أن أبا عبيدة قدم شيء قالوا أجل يا رسول الله قال فأبشروا وأملوا ما يستر لكم
فوالله ما أفتقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم
فتنقضوها كما تنقضوها فأتاكم كما أتاكم قالوا هل كنتم قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض فقبل ما بركات الارض قال
زهرة الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فتنبى عن ذكرها فضلا عن اصابة
عنهار قال حمار بن سعد مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا أهلها موقوف في الأضيق والطرق فقال
يا معشر الحواريين ان هؤلاء ما توأمن سخطه ولوما توأمن غير ذلك لتدافقوا فقالوا يا روح الله ودنا اننا
لو علمنا خبرهم فسال الله تعالى فأوحى اليه اذا كان الليل فنادهم فيحييوك فلما كان الليل أشرف على
نشر ثم نادى يا أهل القرية فأجابهم بحبيب ليلك يا روح الله فقال ما حكمكم وما قسمكم قالوا ابتنا في
عافية وأصبنا في الهاوية قال وكيف ذلك قالوا بيننا الدنيا وطاعتنا أهل المعاصي قال وكيف كان حكم
للدنيا قالوا أحب الصبي لأمه اذا أقبلت فرحنا به لو اذا دبرت حزنا وبكينا عليها قال فبال أحببناك
لم يحسبوني قال لانهم لم يسمعون بيلم من نار يا بدي ملائكة فلا تشددوا قال فكيف اجبتى أنت من
بينهم قال لانى كنت ففهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم فأنما معلق على شفير جهنم
لا أدري أشعومها أم أكبكب فيها فقال المسيح الحواريين لا كل خير الشعر بالمخ الجربش وليس
السوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وقال أنس كانت نافذة رسول الله صلى الله
عليه وسلم العصابة لا تسبق فيأمن عراقي بناقة له فسبغها فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله عليه
وسلم انه حق على الله ان لا يرفع شيئا من الدنيا الا وضرعه وقال عيسى عليه السلام من الذي بنى على
موج الصردار انتمكم الدنيا فلا تغدوها فارقوا روقل لعيسى عليه السلام علمنا على واحد احببنا الله عليه
قال بغضوا الدنيا يحكم الله تعالى وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم
لخصمكم قليلا ولبيكن كثيرا ولها نبت عليكم الدنيا ولا تترغم الآخرة ثم قال أبو الدرداء من قبل نفسه لو
تعلمون ما أعلم لخبرتم الى الصدقات تجارون وتبكون على أنفسكم ولتركت أموالكم لا حارس لها ولا
راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولصكن يغب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الا مل فصار
الدنيا أملاك بأعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فيبعضكم شر من الهائم التي لا تدع هواها مخافة بما
في عاقبتها ما لكم لا تحببون ولا تاحبون وأنتم اخوان على دين الله ما فرق بين أهواكم الا حب
سراركم ولوا جمعت على البر تعابكم ما لكم تاحبون في أمر الدنيا ولا تاحبون في أمر الآخرة
ولا يملك أحدكم ان يصح قلوبهم ويبيعه على أمر آخرته ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم
توقنون بخبر الآخرة وشرها كاتوقنون بالدنيا لانتم تطلب الآخرة لانها أملاك لا مورك فان قلتم
حب العاجلة غالب فانازكم دعوت العاجل من الدنيا لا أجل منها تكون أنفسكم بالمشقة
والاحتراف في طلب أمر لعلكم لا تقدر كونه فليست القوم أنتم ما حقت ايمانكم بما يعرف به الايمان
البالغ فكيف كنتم في شك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فأتوا ثلثين لكم ولتركم من النور
ما نطمئن اليه قلوبكم والله ما أنتم بالشقوصة فتعذركم انكم تسببون صواب الرأى في دنياكم

وتأخذون بالخزم في أموركم ما لكم بفرحون بالسير من الدنيا تصيدونه وتحزنون على السير منها
يقوتكم حتى تبين ذلك في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم وتسمونها للصائب وتقيمون فيها المآثم
وما تمكتم قدر كوا أكثر من دينهم ثم لا تبين ذلك في وجوهكم ولا تغير حالكم إلى لأرى الله قدرنا
منكم بل في بعضكم بضاب السرور وكلهم بكروه أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبل صاحبه
بمثلها فأصبحت على الغل وتبنت من أعيكم على الدمن وتصافيت على رفض الاجل ولوددت أن الله
تعالى أراخي منكم وألحقني بمن أحب رؤيته ولو كان حيا لم يصارك فان كان فيكم خير فقد سمعتم
وان تطلوا ما عند الله تجلوه بسرا والله أستمعن على نفسي وعليكم وقال عيسى عليه السلام
يا معشر الخوارج ان ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كارضى أهل الدنيا بدني الدين مع سلامة
الدنيا وفي معناه قيل

أرى رجلا يآبدني الدين قد دعوا • وما أراهم رغبوا في العيش بالدون

فاستغن بالدن عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا التزم ترك الدنيا باز وقال نينا صلى الله عليه وسلم
لنأتمنكم بعدي دنيا تاكل أيمانكم كائنا كل النار الحطوب وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام
يا موسى لا تركزن إلى حب الدنيا فإني تأتيني بكيرة هي أشد منها وموسى عليه السلام برجل وهو
يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقال يا ابن عمران لو سال دماغه
مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقط ظمأ عقله وهو يحب الدنيا (الآن) قال علي رضي الله عنه
من جمع فيست خصال لم يدع الجنة مطلبيا ولا عن النار مهوبا وألها من عرف الله فطاعه وعرف
الشيطان فصاه وعرف الحق فأتبعه وعرف الباطل فأتقاه وعرف الدنيا فرغها وعرف الآخرة
فطلبها وقال الحسن رحمه الله أقواما صككت الدنيا عندهم ودبة فأذوها إلى من اتخمتهم عليها
ثم راحوا خفا قال أياضار حبه الله من نافسك في دنك فنافسه ومن نافسك في دنك فأنفك فأنفك فأنفك فأنفك
وقال لقمان عليه السلام لابنه يا بني لن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فقلتك سفينةك فيها
تقوى الله عز وجل وحشوها بالإيمان بالله تعالى وشراعها للتوكل على الله عز وجل لعلك تصوم ما أراك
ناجيا وقال الفضل طالت فكرتي في هذه الآية أنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن
عملا وأنا لجاعلون ما على الصعداء جزا وقال بعض الحكماء انك لن تصبح في شيء من الدنيا الا وقد كان
له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك وليس اليك من الدنيا الا عشاء ليلة وفداء يوم فلا تملك في أكلة
وصم من الدنيا وأفطر على الآخرة وان رأس مال الدنيا الهوى وربها النار وقيل لبعض الرهبان
كف ترى الدهر قال يخلق الإبن ويحصد الآمال وقرب النية وبعد الامنية قيل فاحال أهلها
قال من ظفيرة تعب ومن فاته نصب وفي ذلك قيل

ومن عجب الدنيا لعيش ينزعه • فسوف لعمري عن قليل يلومها

إذا أدبرت كانت على المرء حيرة • وإن أقبلت كانت كثيرا همها

وقال بعض الحكماء كانت الدنيا لو لم أضكك فيها وتذهب الدنيا لو لا كون فيها قلا أسكن إليها فان
عيشها نكد وصفوها كدروا أهلها منها على وجل أما بنوعرائة أو بلبنة زلة أو منية قاضيه وقال
بعضهم من عيب الدنيا أنها لا تغطي أحدا ما يستحق لكنها إنما أن تريد وأما أن تنقص وقال سفيان
أما ترى النمل كأنها مقضوب عليها قد وضعت في غير أهلها وقال أبو سليمان الداراني من طلب الدنيا
على المحبة طار بسط منها شيئا إلا أراد أكثر ومن طلب الآخرة على المحبة طامع بها شيئا إلا أراد أكثر

وليس هذا غاية ولا هذا غاية وقال رجل لابي حازم أشكو اليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال
انظر ما أتاك الله عز وجل منها فلما أخذ الامن حله ولا تضعه الا في حقه ولا يصيرك حب الدنيا
وانما قال هذا لانه لو أخذ نفسه بذلك لأتبعه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها وقال يحيى بن
معاذ الدنيا حاوت الشيطان فلا تسرق من حاوته شيئا فيجيء في طلبه فيأخذك وقال الفضيل لو كانت
الدنيا من ذهب فبني والآخرة من خرف يبق لي مكان ينبغي لئلا أنتخار خرفا يبق على ذهب يفتني
فكيف وقد اخترت خرفا يفتني على ذهب يبق وقال ابو حازم اياكم والدنيا فانه يفتني أنه يوقف العبد
يوم القيامة اذا كان معظما له الدنيا فيقال هذا اعظم ما حقره الله وقال ابن مسعود ما أصبح أحد من
الناس الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مر بقل والعارية مر دودة وفي ذلك قيل

وما المال والاهلون الا ودعة • ولا بد يوما أن تزد الودائع

وزار اربعة أصحابها فذكرها الدنيا قبلوا على نعمها قالت اسكنوا عن ذكرها فلو لموقعها من
قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها الا من أحب شيئا أكثر من ذكره وقيل لاراهم من أدهم كيف أنت فقال

زعم دنيا تاخربق ديننا • فلا ديننا بيني ولا ما ترقع

فطوي لعبد آخر الله ربه • وجاد بدنياه لما يتوقع

وقيل أيضا في ذلك

أرى طالب الدنيا وان طال عمره • ونال من الدنيا سرور وانما

صكبان بنى بنيانه فأقامه • فلما استوى ما قد بناه تهتما

وقيل أيضا في ذلك

هب الدنيا تساق اليك عفوا • أليس مصير ذلك الى انتقال

وما دنياك الا مثل في • أظلك ثم أذن بالزوال

وقال لقمان لابنه يا بني سمع دنياك بأخربك ترجعها جميعا ولا تبسج آخرتك بدنياك تتخسرهما جميعا
وقال مطرف بن الشخير لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياتهم ولكن انظر الى سرمة نطعمهم
وسوء منقلهم وقال ابن عباس ان الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للؤمن وجزء للمنافق وجزء
للكافر فالؤمن يتروذ والمنافق يترين والكافر يمتنع وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن أرادها شيا
فليصبر على معاينة الكلاب وفي ذلك قيل

يا خاطب الدنيا الى نفسها • تغ عن خطبتها تسلم

ان التي تحب فتارة • قريبة العرس من الماتم

وقال أبو الدرداء من هوان الدنيا على الله انه لا يصح الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها
وفي ذلك قيل

اذا امنع الدنيا ليلبك شفت • لعن عدو في ثياب صديق

وقيل أيضا

يا راقدا ليل مسرورا بأوله • ان الحوادث قد يطرعن اسعارا

أفني القرون التي كانت متمعة • كثر الجديدين اقبالوا ودانرا

كم قدأبانت صروف الدهر من ملك • فكدان في الدهر فعاوضرا

يا من يعانق دنيا لا يقاهها • يمسى ويصبح في دنياه مسفارا

هلا تركت من الدنيا معانقة • حتي تعانق في الفردوس أبنكارا

ان كنت تبغى جنان اغلده نسكها * فينبغي لك ان لاتأمن النارا
وقال أبو امامة الباهلي رضي الله عنه لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أنت ابليس جنود قفا الو
قد بعث نبي وأخرجت أمة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبون الدنيا ما بأبالي أن لا يعبدوا
الاوثان وانما أعبدو عليهم وأروح بثلاث أخذها من غير حق وانفاق في غير حق واسألك عن
حقه والشر كله من هذا نبع وقال رجل لعلي كرم الله وجهه يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا قال
وما أصف لك من دار من صرح فيها سقم ومن أم فيها قدم ومن انقصر فيها حزن ومن استغنى فيها
افتتن في حلالها الحساب وفي حرامها العذاب ومتشابهها العتاب وقيل له ذلك مرة أخرى فقال أطول
أم أقصر فقيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب وقال مالك بن دينار اتقوا السحابة فإنها
تصير قلوب العلماء يعني الدنيا وقال أبو سليمان المدايني إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا
تزاحمها فإذا كانت الدنيا في القلب تزاحمها الآخرة لأن الآخرة كريمة والدنيا شقية وهذا تشديد عظيم
وروي عن أن يكون ما ذكره سائر الحكم أصح أقال الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فأما غلب كان
الآخر تسع له وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا ينحرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن
لآخرته ينحرج هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس بما قاله علي كرم الله وجهه حيث قال الدنيا
والآخرة ضربان فيقدر ما مرضى أحدهما تسقط الأخرى وقال الحسن والله لقد أدركت أقواما
كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه ما بالون أشرفت الدنيا أم عزت ذهبت
ليذا أودعته إلى ذوا قال رجل الحسن ما تقول في رجل أتاه الله ما فهو يتصلى منه ويصل
منه لا يحسن له أن يعيش فيه يعني يتعق قال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها الا الكفاف
ويقدم ذلك اليوم فقره وقال الفضل لو أن الدنيا بحد أفرها عرضت علي حلالا لا لأحاسب عليها
في الآخرة لكنت أقفروا كها يتقدرا حدكم الحيفة أدامي بها ان تصيب ثوبه وقيل لما قدم عمر رضي
الله عنه الشام فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح علي ناقه فخطو مة فجعل يسلم وسأله ثم أتى منزله فلم
يرفه الا سيفه وترس ورحله فقال له عمر رضي الله عنه لو اتخذت متاعا فقال يا أمير المؤمنين ان هذا
يلغى المغيل وقال سفيان خذ من الدنيا ليدنك وخذ من الآخرة لقلبك وقال الحسن والله لقد
سببت بنو اسرائيل الاصنام بعد صاداتهم الرحمن بحجم الدنيا وقال وهب قرأت في بعض الكتب
للدنيا غشيمة الاكياس وغشلة الجاهل لم يعرفوها حتى خرجوا منها فقالوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمان
يا بني انك استدرت الدنيان يوم تزتها واستقبلت الآخرة فانت اى دار تقرب منها اقرب
من دار ابتعد عنها وقال سعيد بن مسعود اذا رأيت العبد تردد ادناؤه وتنقص آخرته وهو به راض
فذلك المغبون الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر وقال عمرو بن العاص على المنبر والله ما رأيت قوم اظ
رضب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرزقه فهدف منكم والله ما عرض رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاث الاو الذي عليه أكثر من الذي له وقال الحسن بعد ان تلا قوله تعالى فلا تفرحكم
لحياة الدنيان قال ذاقه من خلقها ومن هو أعلم بها يا كرم وما شغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة
لا يشغال الا فتح رجل على نفسه باب دخل الا أو شكت ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب وقال
يضا مسكين ابن آدم رضي بدار حلالها حسان وحرامها عذاب ان أخذ من حله حوسب به وان
أخذ من حرام عذب به ابن آدم يسقط ماله ولا ينقل عمله فخرج بمصيته في دينه ويخرج من
مصيته في دنياه وكتب الحسن الى عمر بن عبدالعزيز بسلام عليك ما أبعدنكا ناك يا عمر من كتب
عليه الموت قدمت فاحاه عمر بسلام عليك كأنك بالدنيا ولم تكن وكأنك بالآخرة فزل وقال الفضل

ابن عباس الدخول في الدنيا من ولكن الخروج منها شديد وقال بعضهم عجبالن يعرف أن الموت
حق كيف يفرح وعجبالن يعرف أن النار حق وكيف يتخفق وعجبالن رأى قلب الدنيا بأهلها
كيف يطمئن إليها وعجبالن يعلم أن القدر حق كيف يتصب وقد علم على معاوية رضي الله عنه
رجل من نجران عمره مائتان سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنات بلاء وسنات رخاء
يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولولم يهلك هالك فلولا المولد لباد الخلق ولولا الهالك ضاقت الدنيا من فيها
فقال له سلى ماشئت قال عمر مضى قتره أو أجل حضر فندفعه قال لا أملك ذلك قال لا حاجة لي اليك
وقال داود الطائي رحمه الله يا ابن آدم فرحت سيلوغ أملك وانما يلقه باقضاء أجلك ثم سؤفت
بهلك كان منفعة لعيرك وقال بشر من سأل الله الدنيا فاعنا بسأله طول الوقوف بين يديه وقال أبو
حازم مافي الدنيا شيء يترك الا وقد ألصق الله اليه شيأ يسوءك وقال الحسن لا تخرج نفس ابن آدم
من الدنيا الا بحسرات ثلاثة انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما أمل ولم يحسن الزنا لما قدم عليه وقيل
لبعض الصالحين قد نلت الفتي فقال اعنا نال الفتي من عتيق من رق الدنيا وقال أبو سليمان لا يصبر عن
شهوات الدنيا الا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطلحنا على حب الدنيا فلا
يا مريضنا بضاوا ولا نبى بعضنا بضاوا لا يدعنا الله على هذا فليت شعري أى عذاب الله ينزل علينا
وقال أبو حازم بسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وقال الحسن أهينوا الدنيا فوالله ما هي لاحد
بأهنا منها لمن أهلها وقال أفضاذا أراد الله بعد خيرا أعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك فانفذ
أعاد عليه واذها ان عليه صديقت له الدنيا بسطا وكان بعضهم يقول في دعائه يا مسك السماء أن تقع
على الارض الا بادنك أسكت الدنيا عني وقال محمد بن النكدر رأيت لو ان رجلا صام الدهر لا يخطر
وقام الليل لا ينام وتصدق بما له وجهه في سبيل الله واجتنب محارم الله ضربه يؤتي به يوم القامة
فيقال ان هذا عظم في عينه ما صغره الله وصغرى عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن منا
ليس هكذا الدنيا عظيمة عندهم ما اقترعنا من الذنوب والخطايا وقال أبو حازم اشتكت مؤنة الدنيا
والآخرة فاما مؤنة الآخرة فانك لا تجد عليها أهوانا واما مؤنة الدنيا فانك لا تضرب بسبك الى شيء
منها الا وجدت عاجزا قد مسبك اليه وقال أبو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والارض كالشتر
البالي تنادي ربه ما منذ خلقها الى يوم يفتها يارب يارب لم تبغضني فيقول لها اسكني بالاشي وقال
عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فتي يصل الخير اليه وقال وهب بن
منبه من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان
من ظله ومن قلبه عليه هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب الى الآخرة
ضيع نفسه قيل له انه كان فعل وفعل وذكر وأبوابا من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا
وقال بعضهم الدنيا تبغض اليها نفسها ونحن نجها فكيف لو تحببت اليها وقيل الحكيم الدنيا لمن هي
قال لمن تركها تقبل الآخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب وأخرى منها قلب
من يمرها والجنة دار عمران وأمر منها قلب من يطلبها وقال الجنيد كان الشافعي رحمه الله من
المرئيين الناطقين بلسان الحق في الدنيا وعظ أخاه في الله وخوفه بالله فقال يا أخي ان الدنيا داحض
منبرقة ودار مذلة عمرتها الى الخراب صائر وساكتها الى القبور زائر شملها على الفرقة موقوف
وغضاها الى الفقر مصروف الاكتافها الصار والاعصار فيها يسار فافزع الى الله وارض رزق الله
لا تتسلف من دار فئاتك الى دار فئاتك فان عيشك في زائل وجدار مائل أكثر من مملك أو قصر
من أملك وقال ابراهيم بن ادهم لرجل أدركهم في المنام أحب اليك أم ديتار في القطة فقال ديتار

في القطة فقال كذبت لان الذي تحبه في الدنيا كأنك تحبه في المنام والذي لا تحبه في الآخرة كأنك لا تحبه في القطة وعن اسماعيل بن عباس قال كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون اليس لنا يا خنزيرة فلو وجدوا لها اسما آفج من هذا سموها به وقال كعب بن الصديق النخعي تصدوها وأهلها وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله القلاء ثلاثة من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبني قومه قبل أن يدخله وأرضى خالقه قبل أن يلقاه وقال أيضا الدنيا بلغ من شؤمها أن غشيت لها بهائم عن طاعة الله فتكفي الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من أراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كطفي النار بالطين وقال بندار إذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم انهم في ضرة الشيطان وقال أيضا من أقبل على الدنيا أحرقتة نزلتها بعني الحرص حتى يصبر وما دامن أقبل على الآخرة صفتها من انما فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن أقبل على الله عز وجل أحرقتة نيران التوحيد فصار جوهرا لا يحد لقيته وقال علي كرم الله وجهه انما الدنيا سائمة أشياء مطعوم ومشروب وملبس ومرسوم ومكسوح ومشعوم فأشرف الطعومات العسل وهو مذقة ذباب وأشرف المشروبات الماء ويستوى فيه العز والفاجر وأشرف اللبسات الحرير وهو ضيق دودة وأشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال وأشرف المنكوحات المرأة وهي مبال في مبال وان المرأة لترين أحسن شيء منها وراد آفج شيء منها وأشرف المشعومات المسك وهرم

بيان المواظف في دهم الدنيا وصفتها

قال بعضهم يا أيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغفروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركوا الى الدنيا فانها عذارة خذاعة قد تزخر في لكم بغرورها وتنتكم بآمانها وترتبط لخطاياها فأضحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها آكفة والنفس لها عاشقة فكمن عاشق لما قتلت ومطيش اليها خذلت فانظر واليهابيين الحقيقة فانها دار كثير بوائقها ودمتها خالقها جديدها بيلي وملكمها بغي وعز زها بقل وكثيرها بقل ودها يموت وخيرها يموت فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم واتبعوا من رقدتكم قبل أن قال فلان عليل أو مدنف قبل فحل على النواصم دليل أو هل الى الطبيب من سبيل قد دعى لك الاطباء ولا يرجي لك الشفاء ثم قال فلان أو صبي والله أحصى ثم قال قد ثقل لسانه لما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عندك جبينك وتتابع أنبتك وثبت جبينك وطمت جفونك وصدقت ظنونك وتلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك هذا انك فلان وهذا أخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق وخيم على لسانك فلا ينطق ثم حل بك القضاء وانت عرت نفسك من الاعضاء ثم خرج بها الى السماء فاجتمع عندك اخوانك وأحضرت أكتافك ففسلوك وتكونك فاقطع عوادك واستراح حسابك وانصرف أهلك الى مالك وبقيت حريتها بأعمالك وقال بعضهم بعض الملوك ان أحق الناس بدم الدنيا قلاها من بسط له فيها وأعطى حاجته منها لا يتوقع آفة تعدو على ماله فتباحه أو على جمعه فقتره أو تأنى سلطانه فتدعه من القواعد أو تلب الى جسمه فتسقيه أو تقيعه بشيء هو غشيب به بين أحبابه فالدنيا أحق بالدمي من الآخذة ما أعطى الراجحة فمات بها ينهي فضحك صاحبها إذا ضحكك منه غيرة وينتهي نكي لمذاذ أبكت عليه وينتهي ينسب كفة بالاعطاء اذ بسطتها بالاسترداد فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وغد في التراب بعد أسواء عليها اذ هاب ما ذهب وبقاء ما بقي تتجدي الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا وكتب الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فان الدنيا دار لعن ليست بدارا إقامة وانما أنزل آدم عليه السلام من الجنة اليها عقوبة فأخذوها يا أمير المؤمنين فان الزاد منها تركها

والغنى منها فقرها الهانئ كل حين قيل قيل من أعزها وتفر من جمها كالسم بأكله ما لا يعرفه
وفيه حقه فكأن فيها كالداوى جراحه يحتمى قليلا تخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء
تخافة طول الداء فأخذ هذا الدار القدار فالتفتا لخالدة العنة التي قد زنت بجددها وقتت بغيروها
وحلت بآمالها وسوقت بخطاياها فصاحت كالعروس المججلة العمون اليها ناظرة والقلوب عليها
والهبة والنفس لها عاشقة وهي لا زواجها كلهم قالية فلا الباقي بالماضى معتبر ولا الآخر بالأول
مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره منها ممد كرفعها شوق لها قد تفر منها بجائته فاعتز
وطغى ونسى المعاد فشفغل فيها له حتى زلت به قدمه فغطمت غدا مته وكثرت حسره واجتمعت عليه
سكرات الموت وناله وحسرات القوت بفضته * وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يرق نفسه
من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فأحذر هايا أمير المؤمنين وكن أسرا ما تكون فيها
احذر ما تكون لها فان صاحب الدنيا كلما طمأن منها الى سرور أنقصته الى مكروه السارق أهلها
غار والتابع فيها غدارها روقد وصل الزخام منها بالبلاد وجعل البقاء فيها الى فناء فسروها مشوب
بالاخران لا يرجع منها ما ولى وأدرى ما هوأت فينتظر أمانها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها
كدور عيشها تنكسوان آدم فيها على خطر ان عقل ونظر فهو من التباه على خطرو من البلاء على
حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ونهت
الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فلها عند الله جل ثناؤه قدر
وما نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم عفا عنها وأخراتها ليقبضه ذلك
عند الله جناح بعوضة فإني أن يقبلها اذ كره أن يخالف على الله أمره وأوجب ما أبغضه خالقه أو يرفع
ما وضعه عليه فزواها عن الصالحين اختاروا وسطها لاعتدائه اعتراها فيظن المغرور بها المقتدر
عليها أنه أكرم ما ونسى ما صنع الله عز وجل بحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الجرح على بطنه
ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه جل وعزانه قال لموسى عليه السلام اذ رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب
عجلت عقوبته واذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرح حيا بشعار الصالحين وان شئت اقدب بصاحب
الروح والكلمة عيسى ابن مريم عليه السلام فإنه كان يقول ادعنى بالجورع وشعارى الخوف
ولباسى الصوف وصلامى فى الشتاء مشارق الشمس وسرلى القمرد وابتى رجلاى وطعامى
وفاكهى ما أثبتت الارض آيت وليس لى شئ وأصبح وليس لى شئ وليس على الارض أحد
أعنى منى وقال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهارون عليهما السلام الى فرعون قال
لا يروى عنك لباسه الذى ليس من الدنيا فان ناصيته يلى ليس ينطق ولا يظرف ولا يتنفس الا بآذنى
ولا يبينكما ما تنقب به منها فانما هي زهرة الحباة الدنا وزينة المترفين فلو شئت أن أنزلكما زينة من
الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن قدرته تهرعما وتنبها لعلت ولكنى أرتب بكما ذلك فازوى
ذلك عنك وكذلك أقبل بأولياى انى لأدوهم عن يمينها كما يذود الراعى الشفيق غنمه من رافع
المهلكة وانى لأجنهم ملاذها كما يجنب الراعى الشفيق ابله عن منازل القرة وما ذاك ليهواتهم على
ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتى سالما موفرا انما يترننى أولياى بالذل والخوف والخصوع
والتقوى تتبث فى قلوبهم وتظهر على أجسادهم فهي ثيابهم التى يلبسون وتأثرهم الذى يظهر
ونصيرهم الذى يستشعرون ونجاشهم التى يهاقزون ورجاؤهم الذى ياءم بملون ويحدهم الذى به
يفخرون وسماهم التى يهايعفون فاذ انفسهم فاخض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم
انه من أخاف لى وليا فقد بارزنى بالمجاربة ثم أنا الثائر له يوم القيامة * وخطب على كرم الله وجهه

بوما خطبة فقال فيها اعلو انكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على اعمالكم ومجزون بها فلا تنفروا للحياة الدنيا فانها بالسلامة محفوفة وبالفساد معروفة وبالقدر موصوفة وكل ما فيها الى زوال وهي بين اهلها دول وسجال لا تدوم احوالها ولا يسلم شرها والهايتا اهلها من افي رخاء وسرو واداءهم منها في بلاء وغرور احوال مختلفة وتارات منصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وانما اهلها فيها اغراض مستهدة ترهم بسهامها وتقسم بحماها وكل حقه فيها مقدر وحظه فيها مقرر واعلوا اعباد الله انكم وما آتتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قدمضي ممن كان أطول منكم اعمارا واشد منكم بطشا وأمر ديارا وبعد ان اراقا أصبحت أصواتهم هامة خامة من بعد طول تغلبا وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم خافية واستبدلوا بالقصور المشيدة بالسرى والتمار في المهددة بالهتور والاحجار المسندة في القبور الالطية المهددة فصلها مقرب وساكنها مقرب بين أهل حمارة وموحشين وأهل محلة ومشاعطين لا يستأنسون بالجران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب المكان والجوار ودون الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد ظنهم بكتلكه البلى وأكلتهم الجنادل والثرى وأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد نضارة العيش رقانا فجع بهم الاحباب وسكنوا تحت التراب وظنوا قانلس لهم اياها هيات هيات كلانا كلة هوقا ثلها ومن وراثهم رزخ الى يوم يعثون فكان قد صرتم الى ماصروا اليه من البلى والوحدة في دار النوى وارتهن في ذلك المضجع وضمتكم ذلك المستودع فكيف بكم لو بايتم الامور ويعتبرت القبور وحصل ما في الصدور وأقمتم للتصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم العيوب والاسرار هناك تجزى كل نفس بما كسبت ان الله عز وجل يقول لعيزي الذين اسأوا عما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الآية جعلنا الله واياكم عاملين بكتابهم متبعين لا وليا له حتى يحلنا واياكم ادار القامة من فضله انه جدي مجيد * وقال بعض الحكماء ايام سها م والناس اغراض والذهب ريميك كل يوم بسها م ويحترمك بلباليه وايامه حتى يستغرق جميع اجزائك فكيف بقاسلا منك مع وقوع الايام بك وسرها ليلي في ذلك لو كشف لك عما أعدت الايام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك واستقلت بمر الساعات بك ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طم لذاتها وانها لا حزن من العلق اذ انعمها الحكيم وقد أصبت الواصف لعيوبها بنظاها فاعلموا ما تأتي به من الجانب أكثر مما يحيط به الواعظ اللهم أرشدنا الى الصواب وقال بعض الحكماء قد استوصف الدنيا وقد بقاها فقال الدنيا وقتك الذي يرجع اليك فيه طرفك لان ماضى منك فقد فانت اذراكه وما لم يأت فلا علم لك به والذهب يوم مقبل تتعاه ليلته وتطويه ساعاته وأحداثه تتوالى على الانسان بالتغير والنقصان والذهب موكل بنشيت الجماعات وانحرام التمثل وتقل الدول والامل طويل والامر قصير والى الله نصير الامور * وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه فقال يا أيها الناس انكم خلقت لامر ان كنتم تصدقون به فانكم حمى وان كنتم تكذبون به فانكم هلكي انما خلقتم لا يديلكم من داري ان تارتقون عباد الله انكم في دار لكم فيها من طعامكم خضر ومن شرابكم شراب لا تصفون لكم تسرون بها الاغراق اخرى تكرهون فراقها فاعلموا انكم صارتون اليه وخالدون فيه ثم غلبه الكبر ووزل * وقال علي كرم الله وجهه في خطبته أو صيكم بتقوى الله وترك الدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تخمرون زكها باللبلة فاجسامكم وانتم تريدون تجديها فاعلمكم مثلها ككل

قوم في سفر سلكوا طريقا ثم قد قطعوه وأنصروا إلى علم فكانهم بالغوه وهم عسى أن يجري المجرى حتى ينتهي إلى الغاية وهم عسى أن يسبق من له يوم في الدنيا وطالب حيث يطلبه حتى يفارقه فلا تجزعو اليأسها وضربنهن إلى انقطاع ولا تفرحوا بمتاعها ونعمتها فإنه إلى زوال عجت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفل عنه وقال محمد بن الحسين لما علم أهل الفضل والعلم والمعرفة والادب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا وأنه لم يرضها إلا وليائه ولتباعه حبيرة قليلة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذرا أصحابه من فتنتها كلوا منها قصدوا وقد مواءموا وأخذوا منها ما يكفي وتركوها ما يلي لبسوا من الثياب ماستر العورة وكلوا من الطعام أدناه مما استجد الجوعة ونظروا إلى الدنيا بعين اتهام فأنه إلى الآخرة إنما بقية تترودا من الدنيا كزاد الزكاف فغروا الدنيا وعمرها إلى الآخرة ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم ففعلوا ما هم سيطرون إليها بأعينهم فارتحلوا إليها بقلوبهم لمعلوا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم تبعوا قلبا ولا تنعموا وطويلا كل ذلك بتوفيق مولا هم الكبريم أحبوا ما أحبهم وكرهوا ما كرههم

﴿بيان صفة الدنيا بالامثلة﴾

اعلم أن الدنيا سرية الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء تنتظر إليها قراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سير اغنيقا ومرحلة ارتجالا سرعنا ولكن الناصر إليها قد لا يحبس بحركتها فطمئن إليها وانما يحبس عند انقضائها ومثلها النمل فإنه مضمحل ساكن مضمحل في الحقيقة ساكن في الظاهر لا يتحرك تركه بالبصر الظاهر بل بالبصرة الباطنة ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصري رحمه الله أنشد وقال

احلام نوم أو كطل زائل * ان اليبس بمثلها لا يجند

وكان الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يستعمل كثيرا ويقول

يا أهل لذات دنيا لا يقاء * ان اغترار بطل زائل حق

وقيل إن هذا من قوله ويقال ان اغترار بطل يقوم فقد مواءم اليه طعاما فاكل ثم قام إلى ظل خيمة لهم فنام هناك فارتحلوا الخيمة فأصابته الشمس فاتبه فقام وهو يقول

الاغترار الدنيا كطل تنية * ولا تدوم أن ظلك زائل

وكذلك قيل

وان امرأ دنياه أكبر همه * لمستك منها يجبل ضرور

(مثال آخر للدنيا من حيث التغير بخلافها ثم الانفلاس منها بعد افلاتها) تشبه خيالات المنام واضغاث الاحلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا حلوم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون وقال نونس بن عيسى ما شئت نفسي في الدنيا ألا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك إذ أتته فكذلك الناس نيام فإذا ماتوا انتهموا فأناليس بأيديهم شيء مما ركوا إليه وفرحوا به وقيل لبعض الحكماء أي شيء أشبه بالدنيا قال أحلام النائم ﴿مثال آخر للدنيا في عذاتها لأهلها وأهلها كمالها﴾ اعلم أن طبع الدنيا التلطف في الاستدراج أو أوالا والتوصل إلى الإهلاك آخرها هي كرامة تترين الضطاب حتى إذا نكحهم ذبحهم وقد روي أن عيسى عليه السلام كشف بالدنيا فراه في صورة عجوز هتافها من كل رنية فقال لها كم تزوجت قالت لا أحصيهم قال فكلمهم مات عنك أم كلمهم طلقك قالت بل كلمهم قلت فقال عيسى عليه السلام يؤمن لا زواجك الباقي كيف لا يتعربون بأزواجك الماضين كيف لم يكنهم واحد أبعد واحد

ولا يكونون منك على حذر **مثال آخر** الدنيا في مخالفة ظاهرها بالباطن أصلم أن الدنيا مزية الطواهر قبيحة السرائر وهي شبه عجز مزين تتدح الناس بظواهرها فإذا وصوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها مثل لهم قبايحها فندموا على اتباعها وتخلوا من ضعف عقولهم في الاعتراض بظواهرها وقال العلان: زياد رأيت في المنام عجزاً كبيراً متعصباً الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس مكوف عليها مجبورون إليها تجت وتطرت ونجت من نظرها البها وإقبالهم عليها فقلت لها: ويلك من أنت قالت: أو ما تعرفني قلت: لا أدري من أنت قالت: أنا الدنيا قلت: أعود بالله من شرك قالت: إن أحببت أن تعاد من شري فأبض الدرهم وقال أبو بكر بن عياش رأيت الدنيا في النوم عجزاً مشوهة شحطاء تصفق بيدها وخلقه خلق يبعونها بصفقون ويرقصون فلما كانت بجذأي أقبلت علي قالت: لو نظرت بك لصنعت بك مثل ما صنعت هؤلاء ثم بكى أبو بكر وقال: رأيت هذا قبل أن أقدم إلى بغداد وقال الفضيل بن عياض قال ابن عباس: يوقى الدنيا يوم القيامة في صورة عجز شحطاء زرقاء أنيابها يادية مشوهة خلقها فشق على الخلاق فيقال لهم: أنصرفون هذه فيقولون: نعم ذاب الله من معرفة هذه فيقال: هذه الدنيا التي تشارع عليها فقاطعت الإرحام وبها تخاسدتم وتباغضتم واعتزتم ثم حذف بها في جهنم فتنادي أي رب أن أنبأني وأشيا عي فيقول الله عز وجل: "ألقوها أتباعها وأشيا عيها وقال الفضيل: بلغني أن رجلاً صرح بروحه فإذا امرأَةً على قارعة الطريق عليها من كل زينة من الخي والثياب وإذا الأجر بها أحد الأجر حنه فإذا هي أدبرت كانت أحسن شيء رآه الناس وإذا هي أقبلت كانت أفج شيء رآه الناس عجز شحطاء زرقاء عشاء قال فقلت: أعود بالله منك قالت: لا والله لا يهلك الله مني حتى تبغض الدرهم قال فقلت: من أنت قالت: أنا الدنيا **مثال آخر** الدنيا وصور الإنسان بها أعلم أن الأحوال ثلاثة حال لم تكن فيها شيئاً وهي ما قبل وجودك إلى الأزل وحالة لا تكون فيها شيئاً هي الدنيا وهي ما بعد موتك إلى الأبد وحالة متوسطة بين الأبد والأزل وهي أيام حياتك في الدنيا فأنظر إلى مقدار طولها ونسبها إلى طرق الأزل والأبد حتى تعلم أنه أقل من منزل قصير في سفر بعيد ذلك قال صلى الله عليه وسلم: مالي والدنيا وإنما ملئ ومثل الدنيا كمثل راسك في يوم صائف فرفعت له شجرة فقال: تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها ومن رأى الدنيا بهذا العين لم يركن إليها ولم يبال كيف انقضت أيامه في ضر وضيق أو في سعة ورفاهة بل لا ينبغي لينة على لينة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وضع لينة على لينة ولا قصبة على قصبة ورأى بعض الصحابة بني يتامن حص فقال: أرى الأمر أجل من هذا وإنكر ذلك وإلى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال: الدنيا قطرة فأعبروها ولا تمروها وهو مثال واضح فإن الحياة الدنيا معبر إلى الآخرة والمهدو المبل الأول على رأس القنطرة والمهدو المبل الآخر بينهما مسافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم من قطع ثلثها ومنهم من لم يبق لها إلا خطوة واحدة وهو زائل عنها وكيف كان فلا بد لمن العبور والبناء على القنطرة وترتيبها بأصناف الزينة وأنت عار عليها غالة الجهل والخذلان **مثال آخر** الدنيا في لين مودرها وخشونة مصدرها أعلم أن أوائل الدنيا تبديهيته لينة يظن الخائف فيها أن حلاوة خفصها كحلوة الخوض فيها وهيات فإن الخوض في الدنيا سهل والخروج منها عسير السلا مشديد وقد كتب علي رضي الله عنه إلى سلمان الفارسي: عنيها فقال: مثل الدنيا مثل الحية لين مسها وقتل سمها فأعرض عما يهلك منها قليلاً ما يصحك منها وأرضع عنك فهو مهيباً أقت من فراقها وكن أسراً ما تكون فيها أحزراً ما تكون لها فإن صاحبها كذا

اطمان منها الى سرور شخصه عنه مكروه والسلام في مثال آخر للدنيا في تعذر اخلاص من تبعاتها
بعد الخوض فيها) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما مثل صاحب الدنيا كالماشي في الماء هل
يستطيع الذي يمشي في الماء ان لا يتبل قدماه وهذا يعزفك جملة قوم ظنوا انهم يتخوضون في نعيم
الدنيا بآبائهم وقلوبهم منها مطهرة وعلاقاتها من بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة من الشيطان بل
لواخرجوا ما هم فيه لكانوا من اعظم المتخيبين بفراقها فكأن المشي على الماء يقتضي بللا بالحوالة
يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضي علاقة وطلاقة في القلب بل علاقة الدنيا مع القلب
تمنع حلاوة العبادة قال عيسى عليه السلام بحق أقول لكم كما ينظر المريض الى الطعام فلا يتذبه
من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بلعبة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حباب الدنيا وبحق
أقول لكم ان البداية اذ لم تر كبوغتهم تصعب ويتغير خلقها كذلك القلوب اذ لم تر قبح كراموت
وطيب العبادة تقسو وتغلظ وبحق أقول لكم ان الزق مالم يفرق أو يجعل يوشك أن يكون وعاء
للعسل كذلك القلوب مالم تحرقها الشهوات أو يدنسها الطمع أو يقسمها النعم فسوف تكون
أوعية للحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم انما بقي من الدنيا بلا موقنة وانما مثل عمل أحدكم
بمثل الوعاء اذا طاب أعلاه طاب أسفله واذا خبث أعلاه خبث أسفله في مثال آخر لما بقي من الدنيا
وقته بالاضافة في ما سبق) قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الدنيا مثل ثوب
شق من أوله الى آخره في متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع في مثال آخر لثأرية
صلائق الدنيا بعضها الى بعض حتى الملاك) قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل
شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله في مثال آخر لخلفة آخر الدنيا أو لها
ولنضارة وألها وخبث عواقبها اعلم أن شهوات الدنيا في القلب لذينة كشهوات الاطعمة
في المعدة وسيد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقيح ما يجده
للاطعمة لذينة اذا بلغت في المعدة فثابتها وكان الطعام كلما كان اللذطها وأكثرت سماؤها أظهر حلاوة
كان رجيعة أقدر وأشد تنافسك ذلك كل شهوة في القلب هي أشهى وألذ وأقوى فنتها وكرهاتها
والتأدي بها عند الموت أشد بل هي في الدنيا مشاهدة فان من هبت داره وأخذ أهله وماله وولده
فتكون مصيبتهم وألمه وتجيعة في كل ما فقد بقدر لذته به وجهه له وحرصه عليه فكل ما كان عند
الوجود أشهى عنده وألذ فهو عند الفقد أدهى وأمر ولا معنى للموت الا قدما في الدنيا وقد روى
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحك بن سفيان الكلاني أليس توفي بطعامك وقد ملغ وفرح
ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فإني لم يصبر قال الى ما قد علمت يا رسول الله قال فان الله
عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير الى طعام ابن آدم وقال أني بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الدنيا ضربت مثل ثلاثين آدم فاطرا الى ما يخرج من ابن آدم وان فرحه وملحه الى ما يصير
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم الدنيا مثلا وان
فرحه وملحه وقال الحسن قد رأيتم بطيونه بالافاويه والطيب ثم يرمون به حيث رأيتم وقد قال الله
عز وجل فلينظر الانسان الى طعامه قال ابن عباس الى رجيعة وقال رجل لابن عمر اني أريد أن
أسألك واستعجى قال فلا تستعجى واسأل قال اذا قضى أحدنا حاجته فقام ينظر الى ذلك ثم قال نعم
ان الملك يقول لها انظري الى ما جعلت به انظري الى ما صار وكان بشر بن كعب يقول انظر الى ما جعل
الدنيا فيذهب به اسم الى منزلة فيقول انظري الى ما صارهم وجاجهم وعسلهم وسمنهم في مثال آخر
في نسبة الدنيا الى الآخرة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا كمثل ما يجعل

أحلكم أوسعهم في المم فليستراً حلكم بما يرجع اليه ^{في} مثال آخر الدنيا وأهلها في اشتغالهم بنعم الدنيا
وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسبب ما علم أن أهل الدنيا مثلهم في غفلتهم مثل قوم ركبوا
سفينة فأنبتت لهم إلى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج إلى قضاء الحاجة وحذرهم القمام وخوفهم
مرور السفينة واستبجها ففقرت قواها حتى انجزيرة قضى بهم حاجته وبادر إلى السفينة
فصادف المكان خالياً فآخذ أوسع الأماكن والنهار أو فقها المراد وبهم فوقف في الجزيرة
ينظر إلى أنوارها وازهارها العبية وغياضها اللتفة ونحات طيورها الطيبة وألحانها الموزونة
الغريبة وصار يظن من ريتها أبحارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الألوان والأشكال الحسنة
المتنظر العبية النقوش السالبة أعين الناظرين بحسن زرجها ونحات صورها ثم تبه لخطو
فوات السفينة ففرح اليها فلم يصادف إلا مكابضها فحرجا فاستقر فيه وبهم أكعب على تلك
الأصداق والأبحار وأعجبه حسنهم ولم يسمع نفسه بأهملها فاستحب منها حلة فلما يجد في السفينة
الامكانات فإزاده من الحارة فصار يعلو عليه ويبالا فقدم على أخذه ولم يقدر على
رميه ولم يجد مكانا للوضوء فحمله في السفينة على عقه وهو متأسف على أخذه وليس يشعه التأسف
وبهم نوح الغياض ونسي المركب وذهب في متفرجه فمترته منه حتى لم يبق له نداء الملاح لاشتغاله
بأكل تلك الثمار واستشمام تلك الأنوار والتفرج بين تلك الأشجار وهو مع ذلك خائف على نفسه
من السباع وغير ذلك من السقطات والنكبات ولا يفكر عن شوك ينسب بشيا به وغضن يجر بده
أو شوكه تدخل في رحله وصوت هائل يفرع منه وهو يسمع يخرق ثيابه ويترك عبوريته ويمنه عن
لا تصرف لوارده فلما بلغه نداء أهل السفينة انصرف متقبلاً بما معه ولم يجد في المركب قوضاً فبقي في
السطح حتى مات جوعاً وبهم لم يبق له النداء وسارت السفينة فبهم من أقرسة السباع ومنهم من
تأفهام على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الأوحال ومنهم من نهشته الحيات ففقرت قواها كالجف
المتينة وأمان وصل إلى المركب بثقل ما أخذه من الأزهار والأبحار المزرجة قد استقرته وشغلته
الحزن بمحفظها والخوف من قوتها وقد ضيقت عليه مكانة فلم يلبث أن ذبلت تلك الأزهار وكبت
تلك الألوان والأبحار فظهرت راحتها فصار مع كونها مضيقاً عليه مؤذناً لستنها ووجتها فلم
يجد حلة إلا أن ألقاها في البحر هرباً منها وقد أترفيه ما كل منها فلم يته إلى الوطن إلا بعد أن ظهرت
عليه الأسقام تلك الرائحة فبلغ سفيماً مدبراً ومن رجع قريباً ما فاته إلا سعة الخلق فتأذى بضيق
المكان مدة ولكن لما وصل إلى الوطن استراح ومن رجع أولاً وجد المكان الأوسع ووصل إلى
الوطن سالماً فذا أمثال أهل الدنيا في اشتغالهم بمحفظهم العاجلة ونسيانهم مودتهم ومصدرهم
وغفلتهم عن عاقبة أمورهم وما أتبع من رخصته به صراخ أن فقره أبحار الأرض وهي الذهب
والفضة وهشم التبت وهي زينة الدنيا وشئ من ذلك لا يصحبه عند الموت بل يصر كل فرد بالاعلية
وهو في الحال يشغل لهيا الحزن والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم إلا من عصم الله عز وجل
في مثال آخر لا اعتبار الخلق بالدنيا وضعف أيمانهم قال الحسن رحمه الله بقلبي أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا صحابه أنما مشى ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفاز فغبراه حتى إذا
لم يدر ما سلكوا منها أكثر أم باقى أغدوا الزاد وخسروا الظهور وقوا بين ظهراني القار فولا زاد
ولا حمولة فأتقوا إلى الملكة فبينا هم كذلك إذ خرج عليهم رجل في حلة تظفر رأسه فقالوا هذا قريب
عهد ربهم وما حكم هذا الامن قريب فلما انتهى إليهم قال يا هؤلاء فقالوا هذا فقال على ما أنتم تقولوا
على ما ترى فقال أرايتم ان هديتكم إلى ملاء رواء ورياض خضر ما تعلمون قالوا لا يصيبك شئنا قال

عهدكم موثيقكم بالله فأعطوه عهدهم وموآثيقهم بالله لا يعصونه شيأ قال فأوردتهم ماء رواه
ورباضا خضر فكث فيهم ماشاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال الرجل قالوا إلى أين قال إلى ماء
ليس كماءكم وإلى رياض ليست كرياضكم فقال أكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى نلنا إلى نبعه
وما نضع بعيش خمر من هذا وقالت طائفة وهم أقلمهم ألم تعطوا هذا الرجل عهدكم وموآثيقكم بالله
أن لا تعصوه شيأ وقد صدقكم في أول حديثه والله ليعصنكم في آخره فراح فيمن اتبعه وتحلف
بقيتهم فبدرهم عدو فأصبحوا بين أسير وقبيل **في** مثال آخر لتتم الناس بالدينيا ثم تقيعهم على
فراقها) اعلم أن مثل الناس فيأعطوا من الدينيا مثل رجل هيا دار أبوزينها وهو يدعوى إلى داره على
الترتب قوموا واحد بعد واحد فدخل واحد داره فقدم إليه طبق ذهب عليه بخور ورياحن لشمه
و تركه لمن يلقه لا ليمسكه وبأخذ به فبهر رسمة وطن أنه قد وهب ذلك منه فعلق به قلبه لما طق
أنه له فلما استرجع منه بخور وقيع ومن كان عالم بر سمة تطع به وشكره ورده يطيب قلبه واشتراح
صدره وكذلك من عرف سمة الله في الدينيا علم أنها دار ضيافة سبيلت على اجتازين لأعلى المقربين
لترؤد وامنوا وينفعوا بما فيها كما ينفع المسافر من بالعمارة ولا يصرفون إليها كل قلوبهم حتى
تظلم مصيبتهم عند فراقها فهذه أمثلة الدنيا وأقاربها وغرابتها أنسأل الله تعالى اللطيف الخبير حسن
العون بكرمه وحله

بيان حقيقة الدنيا وما هيته في حق العبد

اعلم أن معرفتكم الدنيا لا تكفيكم ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي وما الذي ينبغي أن يجتنب منها
وما الذي لا يجتنب فلا بد وأن تبين الدنيا المذمومة لما مور باحتسابها الكونها مدوة قاطعة للطريق
الله ما هي فتقول دنياك وآخرتك صبرة من حالتين من أحوال قلبك فالقريب الداني منها يسمى دنيا
وهو كل ما قبل الموت والمترأخي المتأخر يسمى آخرة وهو ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ ونصيب
وعرض وشهوة ولذة عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقت الآن جميع ما لك الهميل وفيه
نصيب وحظ فليس بمذموم بل هو ثلاثة أقسام **في** القسم الأول **في** ما يصيبك في الآخرة وتبقى معك
ثمرة بعد الموت وهو سبحانه العلم والعمل فقط وأعني بالعلم العلم بالله وصفاته وأفعاله وملائكته
وكتبه ورسله ومليكوت أرضه وسماؤه والعلم شريعة نبيه وأعني بالعمل العبادة الخاصة لوجه الله
تعالى وقد بآس العالم بالعلم حتى يصير ذلك ألد الأشياء عنده فهو سحر النوم والمطعم والمنكح في لذته
لأنه أشهى عنده من جميع ذلك فقد صار حظا عاجلا في الدنيا ولكل ذلك ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد
هذا من الدنيا أصلا بل قلنا أنه من الآخرة وكذلك العابد قد بآس بعبادته فيستلذذها بحيث لو منع
عنها لكان ذلك أعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني
وبين قيام الليل وكان آخر يقول اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والمعبود في القبر فهذا قد صارت
الصلاة عنده من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل في الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق
من الذنور وكذلك الساتني بالدنيا المذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم حب إلى من دنيا كم
ثلاث التماس والطيب وقرة عيني في الصلاة فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وكذلك كل ما يدخل
في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والبتلذذ بقربك الجوارح بالركوع
والسجود وانما يكون في الدنيا قل ذلك أضافها إلى الدنيا لأن الساتني هذا الكتاب تنعزض إلى الدنيا
المذمومة فتقول هذه ليست من الدنيا **في** القسم الثاني وهو المقابل له على الطرف الاقصى كل
ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة أصلا كاللذذ بالعاصى كلها والتعم بالمباحات الزائدة على قدر

الحاجات والضرورات الداخلة في جملة الرفاهية والرعونات كالتمتع بالقناطر المنقطرة من المذهب
والفضة والخيل السومة والانعام والحراث والغلبان والجوارى والخيول والمواشي والقصور
والدور ورفيع الثياب ولذا اتنا لطمع فقط العبد من هذا كله في الدنيا المذمومة وفيها يمتدحولا
أوفي محل الحاجة فطرطوبل ازدرى عن عمر رضي الله عنه انه استعمل أبا الدرداء على حصص فالتفت
كتباً فأنفق عليه درهمين فكسب اليه عمر من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى عمر فذكر كان للثقي
بناء فارس والروم ما تكتفي به من عمران الدنيا حين أراد الله خرابها فإذا أتاك كلتي هذا فقد سيرتك
الى دمشق أنت وأهلك فلم يزل يهاجتي مات فهذا راحة فصولا من الدنيا فاقبل فيه في القسم الثالث
وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام
والقبض الواحد الخشن وكل ما لا يمتد منه لئلا في الانسان البقاء والصحة التي ياتى وصل الى العلم
والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الأول لانه معين على القسم الأول ووسيلة اليه فهمات اوله
العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصبر به من أبناء الدنيا
وان كان باعثا لحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى الثقب بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا
ولا يبق مع العبد عند الموت الا ثلاث صفات صفاء القلب أعني طهارته من الاناس وأنه يذكر الله
تعالى وحببه لله عز وجل وصفاء القلب وطهارته لا يحصل الا بالكف عن شهوات الدنيا والانس
لا يحصل الا بكثرة ذكر الله تعالى والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله
الا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هي الخفيات المسعسات بعد الموت * أما طهارة القلب عن
شهوات الدنيا فهي من الخفيات اذ تكون جنة بين الصديقين عذاب الله كما ورد في الاخبار أن أعمال
العبد تناضل عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجله جاء قيام الليل يدفع عنه واذ جاء من جهة يديه
جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث * وأما الانس والحب فهما من المسعسات وهما موصولان العبد
الى لذات لقاء والمتشاهدة وهذه السعادة تهمل عقب الموت الى أن يدخل أو ان الرؤية في الجنة فيصير
القبر ووضعه من راض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة من راض الجنة ولم يكن له
الاصحوب واحدا وكانت العوائق تفوقه من دوام الانس بدوام ذكره ومطالعته لجماله فارتفعت
العوائق وأقلت من السجن وخلى بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا وسليما من الموانع آمنا من
العوائق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقلة غيب منه
وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الخيلة في الرجوع اليه ولذلك قيل

ما حال من كان له واحد * غيب عنه ذلك الواحد

وليس الموت عدما انما هو فراق لحباب الدنيا وقدم على الله تعالى فإذا سلك طريق الآخرة هو
المواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يطمه من شهوات
الدنيا ويغض اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة البدن لا تتال الا
بقوت وملبس ومسكن ومحتاج لكل واحد الى أسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلاثة اذا
أخذ العبد من الدنيا الآخرة لم يكن من أبناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه من ردة الآخرة فان
أخذ ذلك لحظ النفس وعلى قصباتهم صار من أبناء الدنيا والراغبين في حظوظها الا ان الرغبة
في حظوظ الدنيا تنقسم الى ما يمرض صاحبها لعذاب الآخرة ويسمي ذلك حراما والى ما يحول بينه
وبين اللذات العلو ومرضه لطول الحساب ويسمي ذلك جلالا والبصير يعلم أن طول الموقف
في عرصات القيامة لا أجل للحاسبة أيضا عذاب فمن نوقش الحساب عذب رسول الله

صلى الله عليه وسلم حلالها لحساب وحرمانها عذاب وقد قال أيضا حلالها عذاب الا انه مذاب أخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يقوت من الدرجات العلى الجنة وما يرد على القلب من التبصر على تقويتها لخطوط خفية لا يبقا لها هو أيضا عذاب وقس به حالك في الدنيا اذا نظرت الى أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يقطع قلبك عليها حسرات مع علمك بأنها سعادات منصرمة لا يبقا لها من منصرفات لا يصفها لها فاحالك في قنات سعادة لا يخط الوصف بعظمها وتقطع الدهور دون غايتها فكل من تتم في الدنيا ولو لسمع صوت من طائر أو بالنظر الى خضرة أو شربة ماء بارد فانه يتقص من خطه في الآخرة أضعافه وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم لمرضى القمعة هذا من النعم الذي تسأل عنه أشار به الى الماء البارد والعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة واستطوار وكل ذلك من نقصان الخط ولذلك قال عمر رضي الله عنه اعزلوا منى حسابها حين كان به عطش فعرض عليه ماء بارد بعسل فأدار في كفه ثم امتنع عن شربه قال الدنيا قليلها وكثيرها حرامها وحلالها ملعونة إلا ما أمان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته أقوى وأتمن كان حذره من نعيم الدنيا أشد حتى ان عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما نام ثم رماه اذ تمثل له ابليس وقال رغبني في الدنيا وحتى ان سليمان عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس لذائق الاطعمة وهو يأكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه هذا الطريق امتها وشدته فان الصبر عن لذائق الاطعمة مع القدرة عليها وجودها أشد ولهذا ارى ان الله تعالى رزى الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوى أيا ما كان يشد الجوع على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله البلاء والخن على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل كل ذلك تطهرهم وامتأنا عليهم ليتوفر من الآخرة حظهم كما يمنع الوالد النشيق ولده لئلا يفواكه ويلزمه ألم القصد والحاجة شفقة عليه وحاله لا يتجلى عليه وقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لفقه من الدنيا وما هو الله فذلك ليس من الدنيا فان قلت فالذي هو لثقة فقول الاشياء ثلاثة أقسام منها ما لا يتصور ان يكون لله وهو الذي يعرضها لناصي والخطورات وأنواع التتمات في المباحات وهي الدنيا الخصة المذمومة فهي الدنيا بصورة ومعنى ومنها ما صورته لله ويمكن ان يجعل لغير الله وهي ثلاثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلاثة اذا جرت سرا ولم يكن عليها باحث سوى أمر الله واليوم الآخر فهي لله وليست من الدنيا وان كان الغرض من الفكر طلب العلم للنشر فيه وطلب القول بين الخلق باظهار المعرفة أو كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال أو الحيلة للصحة البدن أو الاشتغال بالهدى قد صار هذا من الدنيا بالمعنى وان كان يظن بصورته انه لله تعالى ومنها ما صورته لحفظ النفس ويمكن ان يكون معناه ذلك كالاكل والشكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاؤه لئلا يهلك فان كان القصد حفظ النفس فهو من الدنيا وان كان القصد الاستعانة به على التقوى فهو لله بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا مكرها فمأخر الله الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استغفا فان المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد فاذا الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه لاجل الآخرة يعرضه بالهوى واليه الاشارة بقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وجميع الهوى خمسة أمور وهي ما جمعه الله تعالى في قوله انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل

المسوقوا لانعام والحرف ذلك متاع الحياة الدنيا قد عرفت أن كل ما هو لله فليس من الدنيا
وقدر ضرورة التوفيق والابتداء منه من مسكن وملبس هو لقمان قصده وجهه الله والاستكثار منه
تتم وهو غير الله وبين التتم والضرورة درجة يصيرها بالحاجة ولها طرفان وواسطه طرف يقرب
من حد الضرورة فلا يضر فإن الاقتصاد على حد الضرورة غير ممكن وطرف يراحم جانب التتم
ويقرب منه ويخفي أن يحذر منه وبينهما واسطه متشابهة من حام حول الحى يوشك أن يقع فيه
والحزم في الحذر والتقوى والتقرب من حد الضرورة ما أمكن اقتداء بالانبياء والاولياء عليهم
السلام إذ كانوا يردون أنفسهم الى حد الضرورة حتى إن أوسا القرني كان يظن أنه الله سبحانه
لشدة تصديقه على نفسه فبنوا له مناعا على باب دارهم فكان يأتي عليهم السنة والسفنان والثلاث
لا يرون له وجهاً وكان يخرج أول الأذان ويأتي الى منزله بعد العشاء الآخرة وكان طعامه أن يلتقط
النوى وكلما أصاب حشفة خبأها لافطاره وان لم يصب ما يقوته من الحشفة بالغ النوى واشترى
بشبه ما يقوته وكان لباسه مما يلتقط من المزابل من قطع الاكسية فيضلفها في القرات ويلتقط
بعضها الى بعض ثم يلبسها فكان ذلك لباسه وكان رجلاً من الصبيان فيرمونه ووظنون انه مجنون
فيقول لهم يا اخوتاه ان كنتم ولا يذ أن ترموني فارموني بأجار صغار فاني أخاف أن تدموا فقبلي
فيضر وقت الصلاة ولا أصيب الماء فهكنا كانت مسيرته ولقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمره فقال اني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن اشارة اليه رحمه الله ولما لوى الى الخلافة عمر بن
الخطاب رضى الله عنه قال أيها الناس من كان منكم من العراق فليقم قال فقاموا فقال اجلسوا الا
من كان من أهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان
من قرن فجلسوا كلهم الأرجل واحدا فقال له عمر أقرني أنت فقال نعم فقال أعرف أو ليس بن حاضر
القرني قومه فقال نعم وماذا تسأل عنه يا أمير المؤمنين والله ما بيني وبينه ولا حق منه ولا حق منه
ولا أوحش منه ولا أدنى منه فبكى عمر رضى الله عنه ثم قال ما قلت ما قلت إلا لأنى سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر فقال هرم بن حبان لما سمعت هذا
القول من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لي هم إلا أن أطلب أوسا القرني وأسأل عنه
حتى سقطت عليه جالساً على شاطئ القرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه قال ففرقت بالنعث
الذى نعت لي فإذا رجل لحيم شديد الادمة مخلوق الرأس كث العيبة متفجر جذا كرية الوجه متعيب
المنظر قال فسلبت عليه فرد على السلام ونظراتي فقلت حالاً اللهم من رجل ومددت يدي لاصافه
فاني أن يصاحني فقلت رحمك الله يا أوس وعقرنا كيف أنت رحمك الله ثم خففتي العبرة من حبي
إياه ورفعتي عليه أذريت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى فقال وأنت غيبك الله يا هرم بن حبان
كيف أنت يا نأني ومن ذلك على قال قلت الله فقال لا اله الا الله سبحانه الله ان كان ومدبرنا المنعول
قال فغيبت حين مررتي ولا والله ما رأيت قبل ذلك ولا رأيت فقلت من أين عرفت اسمي واسم أبي وما
رأيت قبل اليوم قال يأتي العالم الخبير وعرفت روحى وروحك حين كنت نفسى نفسك ان الارواح
لها أنفوس كأفئس الاجساد وان المؤمنين لعرف بعضهم بعضاً ويعاونون بروح الله وان لم يلتقوا
يتعارفون ويتكلمون وان نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم حديثاً سمعته منك قال اني لم أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن لي
معه محبة باني وأمر رسول الله ولكن رأيت رجلاً قد صحبوه وبلغني من حديثه كالبطل وولست
أحب أن أفصح على نفسي هذا الباب أن أكون محدثاً ومفتياً أو فاضياً في نفسي شغل عن الناس

ياهرم بن جبان قفلت ياأخي أقرأ أعلى آية من القرآن اسمعها منك وأدع لي بدعوات وأوصني بوصية
أحفظها عنك فاني أحبك في الله سبحانه يدق اليك قال فقام وأخذ يسيدي على شاطئ القرات ثم قال أعوذ
بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال قال ربي والحق قول ربي وأصدق الحديث
حديثه وأصدق الكلام كلامه ثم قرأ وما خلقتنا السموات والأرض وما بينهما الا عين ما خلقناهما
الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون حتى انتهى الى قوله انه هو العزيز الرحيم فشبه شهقة طننت
انه قد غشي عليه ثم قال يا ابن جبان مات أبوك جبان وبورشك أن تموت فاما الى جنة واما الى نار
ومات أبوك آدم وماتت أمك حواء ومات نوح ومات ابراهيم خليل الرحمن ومات موسى نبي
الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم رسول رب العالمين ومات
أبو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب أخي وصفي ثم قال يا عمره يا عمره قال قفلت رحمك الله
ان هر لم يمت قال قد ضاع الى ربي وفعي الى نفسي ثم قال أنا وأنت في الموت كأنه قد كان غم صلي على
النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتي اياك ياهرم بن جبان كذب الله
ونجى الصالحين المؤمنين فقد نعت الى نفسي ونفسك عليك كذا الموت لا يفارق قلبك طرفه من
ما بقيت وأندرومك اذا رجعت اليهم وانصع للامة جميعا وياك أن تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق
دينك وأنت لا تعلم قد دخل النار يوم القيامة ادع لي ونفستك ثم قال اللهم ان هذا زعم أنه يجزئني فيك
وزارني من أجلي فمضت في وجهه في الجنة وأدخله علي في دارك دار السلام وأحفظه ما دام في الدنيا
حيا حيثما كان وضعت عليه ضيعته وأرضه من الدنيا باليسير وما أعطته من الدنيا بقسره له تسيرا
واجعله لما أعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عني خيرا الجزاء ثم قال استودعك الله ياهرم بن
جبان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم ورحمك الله تظلمني فاني أكره الشهرة
والوحدة أحب الي فاني كثر الماتم شد يد الغم مع هؤلاء الناس مادمت حيا فلا تسأل عني ولا تظلمني
واعلم انك مني على ما لم وان لم أرك ولا ترفي فادع لي فاني سأذكرك وأدعوك ان شاء الله انطلق
أنت ههنا حتى أطلق أنا ههنا فخرجت أن أمشي معه ساعة فأبى علي وفارقه فبكى وأبكاني
وجعلت أنظر في قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فاجبت أحد يجترني عنه
شيء رحمه الله وغفر له فكذا كانت سيرة أبناء الآخرة المعرضين عن الدنيا وقد صرفت مما سبق
في بيان الدنيا ومن سيرة الانبياء والاولياء أن هذا الدنيا كسل ما أظلمنا تخضراء وأقلته الغبراء الا
ما كان لله عز وجل من ذلك وضد الدنيا الآخرة وهو كل ما أريد به الله تعالى مما يؤخذ بقدر الضرورة
من الدنيا لاجل قوة طاعة الله وذلك ليس من الدنيا بيقين هذا عتال وهو ان الحاج اذا حلف انه
في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يغيره ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخر زار اربعة وكل
ما لا بد للحج منه لم يبحث في عيونه ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس قطع به
مسافة العرق تعهد البدن بما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الآخرة لامن الدنيا
نعم اذا قصد تلذذ البدن وتجمعه بشئ من هذه الاسباب كان مخترفا عن الآخرة ويخشى على قلبه
التسوية قال الطنافسي كتبت على باب بيتي شعبة في المسجد الحرام سعة أيام طاروا فجمعت في الليلة
الثامنة مناديا وأنا بين القطة والنوم لامن أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج اليه أحي الله من قلبه
فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقك فاعلم ذلك ترشد ان شاء الله تعالى

(بيان حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها التي استغرقت همم الخلق حتى أنسنتهم أنفسهم وخالفهم
ومصدرهم ومورد هم) اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة للانسان فيم اخذ وله في اصلاحها

شغل فـهـذه ثلاثة أمور قد يظن أن الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك أما الاعيان الموجودة
التي الدنيا عبارة عنها فهي الارض وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم
أبهم أحسن عملا فالارض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملابس ومطعم
ومشرب ومنسج ومجمع ما على الارض ثلاثة أقسام المعادن والنبات والحيوان أما النباتات فيطلبه
الآدمي للحاقيات والتداوي وأما المعادن فيطلبها الآلات والأواني كالنحاس والرصاص والنقد
كالدُّهَب والفضة ولغير ذلك من المقاصد وأما الحيوان فيقسم إلى الانسان والبهائم أما البهائم
فيطلب منها لحومها للآكل وظهورها للركب والزينة وأما الانسان فقد يطلب الأدمي أن يملك
أبدان الناس ليستخدمهم ويسقهم فـهم كالغلمان أو ليجتمع بهم كالجوارى والنسوان ويطلب قلوب
الناس ليلكها بأن يفرس فيها التعظيم والاکرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه اذ معنى الجاه ملك قلوب
الآدميين فهذه هي الاعيان التي يصير عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله زين للناس حب
الشهوات من النساء والبنين وهذا من الانس والقناطر المنقطرة من الذهب والفضة وهذا من
الجواهر والمعادن وفيه تقيه على غيرهما من الآتي واليوافق وغيرها من الخيل المسومة والانعام وهي
البهائم والحيوانات والحِرث وهو النبات والزرع فهذه هي أعيان الدنيا الآن لما عاين البديع لانتين
علا فمع القلب هو حجبها وخطه منها وانصرف همه اليها حتى يصير قلبه كالبدء والحجب المستتر
بالدنيا يدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء
والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحجب المنام وحجب التكاثر والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة وأما
الظاهرة فهي الاعيان التي ذكرناها العلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغالها بصالح هذه الاعيان
لتصلح لحظوظه وخطوطه وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها أو خلق انما
نفسا أنفسهم وما بهم ومنقلبهم بالدنيا لما تين العلاقتين علاقة القلب بالحجب وعلاقة البدن بالشغل
ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا أسرهما علم أن هذه الاعيان التي سميها دنيا
لم تخلق الا لعلف الدابة التي يسير بها إلى الله تعالى وأعني بالدابة البدن فإنه لا يبقى الا بمطعم ومشرب
وملبس ومسكن كما لا يبقى الجبل في طريق الحج الا بعلف وماء وحلال ومثال العبد في الدنيا في
نفسه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويحدها
وينظفها ويكسوها ألوان الثياب ويحمل بها أنواع الخشيش ويبردها الماء بالثلج حتى تقوته القافلة
وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن يقائه في البادية فرسة السباع هو واقفه والحاج
البصير لا يهجم من أمر الجبل الا لالتقاء الذي يقوى به على المشي فيسعهه وقلبه إلى الكعبة والحج
وانما يلتفت إلى الناقة بقدر الضرورة فكذلك البصير في سفر الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن الا
بالضرورة كما لا يدخل بيت المال الا للضرورة ولا فرق بين ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه من
البطن في أن كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همته ما يدخل بطنه قيمته ما يخرج منه أو أكثر
ما شغل الناس من الله تعالى هو البطن فان القوت ضروري وأمر المسكن والملبس أهون
ولو عرفوا سبب الحاجة إلى هذه الأمور واقتصر واعلم لم تستغرقهم أشغال الدنيا وانما استغرقهم
لجهلهم بالدنيا وحكمتها وخطوطهم منها ولكتمهم جهلوا وعتلوا وتناهب أشغال الدنيا عليهم وأقبل
بعضها بعض وقد اعتدت إلى غير نهاية مجددة فتناهوا في كثرة الاشغال ونسوا مقاصدها ونحن نذكر
تفاصيل أشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة اليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى تتضح لك
أشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف أنستهم عاقبة أمورهم فتقول الأشغال

الدينيوه هي الحرف والصناعات والاعمال التي ترى الخلق مكين عليها وسبب كثرة الاشغال هو أن
الانسان مضطرا إلى ثلاث القوت والسكن والملبس فالقوت للغذاء والبقاء والملبس لدفع الحر
والبرد والمسكن لدفع الحر والبرد ولدفع أسباب الهلاك عن الاهدل والمال ولم يخلق القوت
والسكن والملبس مصلحا بحيث يستغنى عن صنعة الانسان فيه فمع خلق ذلك للهائم فان النبات
يقذى الحيوان من غير طبع والحر والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغنى عن البناء ويقنع بالحصراء ولباسها
شعورها وجلودها فتستغنى عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك الى خمس
صناعات هي اصول الصناعات وأوائل الاشغال الدينيوه وهي الفلاحة والرعاية والاقتناس
والحياكة والبناء أما البناء فلمسكن والحياكة وما يكتفيها من أمر الغزل والخياطة فلملبس
والفلاحة للطعم والرعاية للواشي والنجيل أيضا للطعم والركب والاقتناس يعني به تحصيل ما خلقه
اللقمن صيدا أو معدن أو وحشيش أو حطب فالقلاحة يحصل النبت والزراعي يحفظ الحيوانات
ويستنتجها والمقتنص يحصل ما نبت ونبت نفسه من غير صنع آدمي وكذلك يأخذ من معادن
الارض ما خلق فيها من غير صنعة آدمي وفعني بالاقتناس ذلك ويدخل تحته صناعات وأشغال عدة
ثم هذه الصناعات تفقر إلى أدوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناس والآلات إنما
تؤخذ من النبت وهو الاخشاب أو من المعادن كالحديد والرصاص وغيرهما أو من جلود
الحيوانات فحدثت الحاجة إلى ثلاثة أنواع أخرى من الصناعات النجارة والحداة والحز و هؤلاء هم
عمال الآلات وفعني بالتجار كل عامل في الخشب كمن كان بالحداة كل عامل في الحديد وجواهر
المعادن حتى النحاس والابري وغيرهما وغرضنا ذكر الانجاس فأما آحاد الحرف فكثيرة وأما الخراف
فتعني به كل عامل في جلود الحيوانات وأجزائها فهذه الصناعات ثم ان الانسان خلق بحيث
لا يعيش وحده بل يضطر إلى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين أحدهما حاجته إلى
التفلس لبقاء الجنس الانسان ولا يكون ذلك إلا اجتماع الذكور والانثى وعشرهما والثاني التعاون
على تهيئة أسباب الطعم والملبس وتربية الودقات الاجتماع يقضي إلى الولد لا يحمله الواحد
لا يشتغل بمحض الولد وتهيئة أسباب القوت ثم ليس يكفي الاجتماع مع الاهدل والولدي المنزل بل
لا يمكنه أن يعيش كذلك ما لم يجتمع طائفة كثيرة لتسكن كل واحد بصناعة فان الشخص
الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج إلى آلهما وتحتاج الآلة إلى حداد ونجار ويحتاج
الطعام إلى طحان وخاز وكذلك كيف يفرد بصصيل للملبس وهو فقرا إلى خراطة القطن والآلات
الحياكة والخياطة والآلات كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة إلى الاجتماع
ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة لتأذوا بالحر والبرد والمطر والصوص فافقروا إلى أبنية محكمة
ومنازل يفرد كل أهل بيت به وجماعه من الآلات والأثاث والمنازل تدفع الحر والبرد والمطر وتدفع
أذى الجيران من الصوصية وغيرها لكن المنازل قد تصدها جماعة من الصوص خارج المنازل
فاقتفروا أهل المنازل إلى التناصر والتعاون والتحصن بسور محيط بجميع المنازل فحدثت البلاد هذه
الضرورة ثم همبا اجتمع الناس في المنازل والبلاد وقاموا تولدت بينهم خصومات انجذبت رياسة
وولاية للزوج على الزوجة وولاية للأبوين على الولد لانه ضعيف يحتاج إلى قوامه ومهمما حصلت
الولاية على غاقل أفضى إلى الخصوصية بخلاف الولاية على الهائم اذ ليس لها قوة الخاصة وان ظلمت
فأما المرأة فتصاوم الزوج والولدي تصاوم الابوين هذان المنزل وأما أهل البلد أيضا فتصاومون
في الحاجات ويتنازعون فيها ولوز كوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة

يتواردون على المراعى والاراضى والمياه وهى لاتفى بأغراضهم فيتنازعون لاحتجاله ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة يعي أو مرضى أو هرم وتعرض عوارض مختلفة ولوترك ضياعا للحلث ولو وكل تفقده الى الجيع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب بخصه لكان لا يذعن له حدث بالضروة من هذه العوارض الحاصلة بالا اجتماع صناعات أخرى فمنها صناعة المساحة التى بها تعرف مقادير الارض لتحكم القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلاد بالسيف ودفع القصوص عنهم ومنها صناعة الحكماء لتوصل لفصل الخصومة ومنها الحاجة الى التقه وهو معرفة القانون الذى ينبغي أن يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكتم النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى فى المعاملات وشروطها فهذه أمور سامية لا بد منها ولا يشتغل بها الا خصوصون بصفات مخصوصة من العلم والتمييز والمداينة واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا للصناعة أخرى ويحتاجون الى المعاش ويحتاج أهل البلد اليهم اذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الاعداء مثلاً تعطلت الصناعات ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس واستغنى الناس فست الحاجة الى أن يصرف الى معاشهم وأرزاقهم الاموال الضائعة التى لا مالك لها ان كانت أو تصرف القضاة اليهم ان كانت العداوة مع الكفار فان كانوا أهل ديانة ودور قنعوا بالقليل من أموال المصالح وان أرادوا التوسع فتمس الحاجة لاحتجالة الى أن يمددهم أهل البلد بأموالهم ليجدوهم بالحراسة فحدثت الحاجة الى الخراج غير متولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة للصناعات أخرى فاجتاج الى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وأرباب الاموال وهم العمال والى من يستوفى منهم بالرفق وهم الجباة والمستقرجون والى من يجمع عنده ليعفظه الى وقت التفرقة وهم الخزان والى من يفرق عليهم بالعدل وهو القارض المساكين وهذه الاعمال لو تولوا ما حصد لا تجمعهم رابطة انتم النظام فحدثت منه الحاجة الى ملك يديرهم وامير مطاع يعين لكل عمل شصوا يختار لكل واحد ما يليق به ويراعى التصفى فى أخذ الخراج واعطائه استعمال الجند فى الحرب وتوزيع أسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الامير والقائد على كل طائفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعدا لجند الذين هم أهل السلاح وبعد الملك الذى يراقبهم بالعين الركائز ويديرهم الحاجة الى الكسب والخزان والحساب والجباة والعمال ثم هؤلاء أيضا يحتاجون الى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فحدثت الحاجة الى مال الفرع مع مال الاصل وهو السعى فرع الخراج وعند هذا يكون الناس فى الصناعات ثلاث طوائف الفلاحون والرعاة والمحترفون والثانية الجندية الحماة بالسيف والثالثة المترددون بين الطائفتين فى الاخذ والعطاء وهم العمال والجباة وأمنائهم فانظر كيف ابتدأ الامر من حاجة القوت واللبس والسكن والى ماذا انتهى وهكذا أمور الدن لا يفتخ منها باب الا وتفتح بسببها أبواب أخر وهكذا تنامي الى غير حد محصور وكأنها هادوية لا نهاية لجمعها من وقع فى مهواتها من اسقط منها الى أخرى وهكذا الى التوال فهذه هى الحرف والصناعات الاتية بالمال الاموال والآلات والمال عبارة عن أعيان الارض وما عليها مما يتغير به وأعلاما لاغذية ثم الامكنة التى يأوى الانسان اليها وهى الدور ثم الامكنة التى يسكن فيها التعيش كالخوانيت والاسواق والمزارع ثم الكسوة ثم اثاث البيت والآلات ثم آلات الآلات وقد يكون فى الآلات ما هو حيوان كالكلب آلة الصيد والبقرة آلة الحراثة والقرص آلة الركب فى الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فان القيلاع رجا يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح النجسيلون يحتاجان

الى الفلاح فيحتاج أحدهما أن يذل ما عنده لآخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة
 الآن الخبار مثلا اذا طلب من الفلاح الغذاء بآثاره ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت الى آتله فلا
 يذيعه والفلاح اذا طلب الآتله من التجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج اليه
 فتتقوى الاغراض فاضطرروا الى حاثوت يجمع آتله كل صناعة ليرصد بها صاحبها أو باب الحاجات
 والى آيات يجمع اليها ما يحمله الفلاحون فيشتريه منهم صاحب الآيات ليرصد به أو باب الحاجات
 فظهرت لذلك الاسواق والمخازن فيعمل الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بمن رخيص
 من الباصلة فيخزنونها في انتظار أو باب الحاجات طمعا في الرجوع وكذلك في جميع الامتعة والاموال
 ثم يتحدث الى محلة بين البلاد والقرى ترصد فيتردد الناس يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد
 الآلات وما ملكتون ذلك ويتعشون به لتنظم أمور الناس في البلاد بسببهم اذ كل بلد ربما لا توجد فيه
 كل الآلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام فالبعض يحتاج الى البعض فيجوع الى النقل فيصعد التجار
 المتكفلون بالنقل وبأشهر عليهم من جمع المال الى محلة فينصبون طول الليل والنهار في الاسفار لغرض
 ضرهم ونقصهم منها يجمع المال الذي يأكله لا محالة ضرهم اما ما طع طريق واما سلطان ظالم ولكن
 جعل الله تعالى في عقلهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع أمور الدنيا انظمتم بالعملة
 وخسة الهمة ولو عقل الناس وارتفعت همهم لهذا وفي الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعاش
 ولو بطلت ملكوا ولو ملك الزماد أيضا ثم هذه الاموال التي تنقل لا يقدر الانسان على حملها فتحتاج
 الى دواب تحملها واصحاب المال قد لا تكون له دابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى
 الاجارة وفيضير الكرام نوعا من الاكتساب أيضا ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة الى التقدين فان
 من يريد أن يشتري طعاما يشوب فمن أين يدرى القدر الذي يساويه من الطعام كم هو والمعاملة
 تجزى في اجناس مختلفة كبايع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه أمور لا تتناسب فلا بد من حاكم
 عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل أحدهما بالآخر فيطلب ذلك العدل من أعيان الاموال ثم يحتاج
 الى مال بطول فتاوة لان الحاجة اليه تتوهم وأبقى الاموال المعادن فالتحفت النجوم من الذهب
 والفضة والنحاس ثم مست الحاجة الى الضرب والنقش والتقدير فست الحاجة الى دار الضرب
 والصيارفة وهكذا تتداعى الاشغال والامال بعضها الى بعض حتى انتهت الى ما زاهد فيه اشغال
 الخلق وهي معاشهم وشئ من هذه الحرف لا يمكن مباشرة الا بنوع قلم وتعب في الابتداء وفي الناس
 من يغفل عن ذلك في الصبا فلا يشغل به أو يمنعه عنه ما تم فيبقى عاجزا عن الاكتساب لجهزه عن
 الحرف فيحتاج الى أن يأكل مما يسي فيه غيره فيحدث منه قربان خبيثان اللصوص صيغوا والكديبة
 ان يجمعها انهما يأكلان من شئ ضرهما ثم الناس يحترزون من اللصوص والمكدرين ويحفظون
 منهم أموالهم فاقتروا الى صرف عقولهم في استنباط الحيل والتدابير أما اللصوص فيهم من يطلب
 أصواتا ويكون في بيده شوكة وقوة فيضربون ويكثرون ويقطعون الطريق كالارباب والاراد
 * وأما السفهاء منهم فيفترون الى الحيل اما بالنقب والتسلق عند انقضاء الفرصة الضيقة واما بان
 يكون طرا أو وسلا لا الى غير ذلك من أنواع التلصص الحادثة بحسب ما تنفعه الافكار الضرورة
 الى استنباطها * وأما المكدي فانه اذا طلب ما سعى فيه ضره وقيل له اتعب واعمل كامل غير ذلك فالتك
 والبطالة فلا يغطي شيئا فاقتروا الى حيلة في استخراج الاموال وتمهيد العذر لأنفسهم في البطالة
 فاحتالوا للتلصص بالجزأ اما الحقيقة كعباءة يعمون أولادهم وأنفسهم بالحيلة ليعمدوا بالخي
 واما بالتعصم والتعاج والتجارت والتعارض واطهار ذلك بأنواع من الحيل مع بيان أن تلك حيلة

أصاب من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يلتصقون أقبالا وأنما لا يتجيب الناس
منها حتى تبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسفر أرفع اليد عن قليل من المال في حال التجب ثم قد
يندم بعد زوال التجب ولا يتبع الندم وذلك قد يكون بالتمسفر والمحاكاة والشعبذة والافعال
الصنعة وقد يكون بالاشعار الغريبة والكلام المتشور المسجع مع حسن الصوت والشعر الموزون
أخذ تأثير في النفس لاسيما إذا كان فيه تعصب بحق المذاهب كأشعار مناقب الصحابة وفضائل
أهل البيت أو الذي يحرك داعة العشق من أهل المجانة كصنعة الطبايع في الاسواق وصنعة
ما يشبه العوض وليس يعوض كبيع التعود بذات والحشيش الذي يخلل بائعه أنها أدوية فيجذب
بذلك الصبيان والجهال وكأصحاب القرعة والقال من التبعين ويدخل في هذا الجنس الوضاط
والسكدون على رؤس المنابر الدلم يكن وراءهم طائل على وكان غرضهم استماله قلوب العوام وأخذ
أموالهم بأنواع السكبة وأنواعها تزد على ألف نوع وألفين وكل ذلك استبط بدقيق الفكرة لاجل
المعيشة فهذه هي أشغال الخلق وأعمالهم التي أكبروا عليها وجرهم إلى ذلك كلها الحاجة إلى القوت
والكسوة ولكنهم نوافي أثناء ذلك أنفسهم ومقصودهم ومقتلهم ومناهم قهاها وضلوا وسبق إلى
عقولهم الضعيفة بعد أن كدرت هارجمة الاشتغالات بالذباخالات فأسدة فانصمت مذاهبهم
واختلقت آرائهم على عدة أوجه • فطائفة عليهم الجهل والغبلة فلم تنفتح أعينهم للنظر إلى حافية
أموالهم فقالوا المقصود أن تعيش أياما في الدنيا فتهب حتى تكسب القوت ثم نأكل حتى يقوى
على الكسب ثم تكسب حتى نأكل فيما يكون ليكسبوا ثم يكسبون ليأكلوا وهذا مذهب
الفلاحين والمخترفين ومن ليس له تتم في الدنيا ولا قدم في الدين فانه يبيع نهاره بالكل ليلازوا بالكل
لئلا يفتقر نهارا وذلك كسبر السواني فهو سفر لا يقطع إلا بالموت • وطائفة أخرى زعموا أنهم
يظنونوا بالآخرة وهو أنه ليس المقصود أن يشقى الإنسان بالجهل ولا يتم في الدنيا بل السعادة في الآخرة
يقضى وطرف من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج فهو لا ينسوا أنفسهم وصرفوا همهم إلى
اتباع النساء وجمع لذات الآطعمة يأكلون كما نأكل الأنعام ويظنون أنهم إذا لولوا ذلك فقد أدرخوا
غاية السعادة فتعلم ذلك من الله تعالى وعن اليوم الآخر • وطائفة ظنوا أن السعادة في كثرة المال
والاستغناء بكثرة الكتوز فأسهروا ليالهم وأتعبوا نهارهم في الجمع فهم يتعبون في الاسفار طول الليل
والنهار ويتزودون في الأعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا يأكلون إلا القدر الضروري منها
ويحلا عليها أن تنقص وهذه لذتهم وفي ذلك دأهم وحركتهم إلى أن يدركهم الموت فيسقط تحت الأرض
أو ينظر به من يأكل في الشهوات والذات فيسكون اليأس منه ويوبأه ولا يأكل لذته ثم الذين
يجمعون ينظرون إلى أمثال ذلك ولا يعتبرون • وطائفة ظنوا أن السعادة في حسن الاسم وانطلاق
الأسنة بالثناء والمدح بالجميل والروعة فهو لا يعتبرون في كسب المعاش ويضيعون على أنفسهم
في المطاعم والمشراب ويصرفون جميع مالهم إلى الملابس الحسنة والذوايب النفيسة فزخرفوا أبواب
الدور وما يقع عليها أبصار الناس حتى يقال انه ضي وأنه ذو ثروة وظنون أن ذلك هي السعادة
فهمتم في نهارهم وليالهم في تعهد موقع نظر الناس • وطائفة أخرى ظنوا أن السعادة في الجاه
والسكرامة بين الناس واتخاذ الخلق بالتواضع والتوقير فصرقوا همهم إلى استجراا الناس إلى
الطاعة بطلب الولايات وتقلد الاممال السلطانية لينفذ أمرهم بها على طائفة من الناس ويربون
أنهم إذا ألبستهم ولا يتهم واتخاذ لهم رعايا لهم فقد سلبوا سعادة خلقهم وأن ذلك غاية المطلب
وهذا أغلب الشعوب على قلوب النافلين من الناس فهو لا يشغلهم حب تواضع الناس لهم حتى

التواضع لله من عبادة وعن التفكير في آخرتهم ومعادهم * ووراء هؤلاء طوائف بطول حصرها
تريد على ثيف وسبعين فرقة كلهم قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل وانما جرتهم الى جميع ذلك
حاجة للطعم والملبس والسكن ونسوا ما تزلله هذه الامور الثلاثة والقدر الذي يكن منها وانجرت
بهم أوائل أسبابها الى آخرها وتغافل بهم ذلك الى مهالوم يمكنهم الرقي منها في عرف وجه الحاجة
الى هذه الأسباب والاشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يتخوض في شغل وحرقة وعمل الا وهو عالم
بمقصوده وعالم بحظه ونصيده منه وأن غاية مقصوده تهديده بالقوت والكسوة حتى لا يهلك
وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الاشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة
وانصرفت الهمة الى الاستعداد له وان تعدى به قدر الضرورة كثرت الاشغال وتداعى البعض الى
البعض وتسلسل الى غير نهاية فتتشعب به الهوم ومن تشعبت به الهوم في أودية الدنيا فلا يالى الله
في أي واد أهلكه منها فهذا شأن النعمكين في اشغال الدنيا وتنه لذلك طائفة فأعرضوا عن الدنيا
لخسدهم الشيطان ولم يتركهم وأضلهم في الاعراض أيضا حتى انقسموا الى طوائف فظننت طائفة
أن الدنيا دار بلاء ومحنة والآخرة دار سعادة لكل من وصل اليها سواء كعبدى الدنيا أو لم يتعبدها أو
أن الصواب في أن يقولوا أنفسهم للخلاص من محنة الدنيا واليه ذهب طوائف من العباد من أهل
الهند فهم ينجسون على النار ويقتلون أنفسهم بالاحراق ويظنون أن ذلك خلاص لهم من محن
الدنيا وظننت طائفة أخرى أن القتل لا يخلص بل لا بد أو لا من امانة الصفات البشرية وقطعها عن
النفس بالكلية وأن السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم أقبلوا على المجاهدة وشددوا على أنفسهم
حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم مرض واستدعى عليه الطريق
في العبادة وبعضهم غرر في الصفات بالكلية فظن أن ما كلفه الشرع محال وأن الشرع تلبيس
لا أصل له فوقع في الالحاد وظهر لبعضهم أن هذا التعب كله لله وأن الله تعالى مستغن عن عبادة العباد
لا يتعبه عبيان ماض ولا تزيد عبادة متعبه فعادوا الى الشهوات وسلكوا مسلك الاباحة
وطروا بساط الشرع والاحكام وزعموا أن ذلك من صفاته توحيدهم حيث اعتقدوا أن الله مستغن
عن عبادة العباد وظن طائفة أن المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد الى معرفة الله
تعالى فإذا حصلت المعرفة فقد وصل وهذا الوصول يستغنى عن الوسيلة والخيلة فتركوا السعي
والعبادة وزعموا أنه انفع محملهم في معرفة الله سبحانه عن أن يمتحنوا بالتكاليف وانما التكليف
على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة بطول احصائها الى ما يبلغ ثيفا وسبعين
فرقة وانما الناجي منها فرقة واحدة وهي السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأصحابه وهو أن لا تترك الدنيا بالكلية ولا يتبع الشهوات بالكلية أما الدنيا فيؤخذ منها قدر الزاد
وأما الشهوات فيقع منها ما يجزى عن طاعة الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة
بل يتبع العدل ولا يترك كل شئ من الدنيا ولا يطلب كل شئ من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من
الدنيا ويحفظه على حتم مقصود فباخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن السكن
ما يحفظ عن الصوم والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل
على الله تعالى بكنهه هيبته واشتغل بالذكر والتفكير طول العمر وبقي ملازمة السياسة الشهوات
ومر أقبالها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم قصص ذلك الا بالقدرة القليلة الناجية
وهم الصحابة فانه عليه السلام لما قال الناجي منها واحدة قالوا يا رسول الله من هم قال أهل السنة
والجماعة فقيل ومن أهل السنة والجماعة قال ما أنا عليه وأصحابي وقد كانوا على النهج القصد على

السبيل الواضح الذي فصلناه من قبل قلوبهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدن وما كانوا يترهبون ويمسحرون الدنيا بالكيفية كما كان لهم في الأمور تقريظ ولا إفراط بل كان أمرهم بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو أحب الأمور إلى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع والله أعلم ثم كذب ذم الدنيا والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم (كاتب ذم البخل وذم حب المال وهو الكتاب السابع من ربيع المهلكات من كتب أحباء علوم الدين)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله مستوجب المدبر زنة المبسوط • وكشف القصر بعد القنوط • الذي خلق الخلق • ووسع الرزق • وأفاض على العالمين أصناف الأموال • وابتلاهم فيها بغلب الأحوال • ورزدهم فيها بين العسر واليسر • والفتى والفقر • والطعم والياس • والثروة والفلاس • والعز والاستقامة • والحرص والقناعة • والبخل والجود والفرح بالموجود • والاسف على المفقود • والاشارة والانفاق • والتوسع والاملاق • والتبذير والتقتير • والرضاء والقليل واستحقار الكثير • كل ذلك ليلوهم أيهم أحسن عملا • ويخطر أبهم آثار الدنيا على الآخرة قبلًا • ويبغى عن الآخرة عدولًا وحولًا • واتخذ الدنيا ذخيرة وخولًا • والصلاة على محمد الذي نسخ عنه ملا • وطوى بشره أدبا وانغلا • وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذلًا • وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فان فتن الدنيا كثيرة الشعب والأطراف • واسعة الأرجاء والأكاف • ولكن الأموال أعظم فتنها • وأظم نفعها وأعظم فتنة فيها انه لا غنى لاحد عنها • ثم اذا وجدت فلا سلا مقمتها • فان فقد المال حصل منه الفقر الذي يكاد أن يكون قبرا • وان وجد حصل منه الطغيان الذي لا تكون عاقبة أمره الا خسران • وبالجملة فهي لا تخلو من القوائد والآفات • وقوائدها من النسيات • وآفاتنا من المهلكات • وعيبيها من شرها من العوصات • التي لا يقوى عليها الادب والبصائر في الدين • من العلماء الراسخين دون المترسبين المقتربين • وشر ذلك مهمتهم على الأفراد فان ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يمكن نظرا في المال خاصة بل في الدنيا عامة اذا الدنيا تناول كل حظ عاجل والمال بعض أجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وشغبي القبط بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها بعض كبيرة ويجمعها كل ما كان للانسان فيه حظ عاجل ونظر الان في هذا الكتاب في المال وحده اذ فيه آفات وقوائيل والانسان من فقد صفة الفقر ومن وجوده وصف الفنى وهما حالتان يحصل هما الاختيار والامتحان ثم لفاقتا لثان القناعة والحرص واحدهما مذمومة والاخرى محمودة ولهم رخص حالتان طمع فيما في أيدي الناس وتشعر العرف والصناعات مع اليأس عن الخلق والطمع شر الحالتين ولواحد حالتان امساك بحكم البخل والشح وانفاق واحدهما مذمومة والاخرى محمودة ولتفق حالتان تبذير واقصاؤا والمجود هو الاقتصاد وهذه أمور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم ونحن نشرح ذلك في أربعة عشر فصلا ان شاء الله تعالى وهو بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل قوائدها والآفات ثم ذم الحرص والطمع ثم صلاح الحرص والطمع ثم تفصيل السقاء ثم حكايات الاصفياء ثم ذم البخل ثم حكايات الصلاء ثم الاشارة وفضله ثم حكايات الصوامع والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف في المال ثم ذم الفنى ومدح التقوى ان شاء الله تعالى

﴿بيان ذم المال وكرهه حبه﴾

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن غفل ذلك فاولئك هم الخاسرون وقال تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم فمن اختار ما دونه ولله على

ما عند الله قد خسروا وغيروا عظميا وقال عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية
وقال تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقال تعالى
ألم تأم التكاثر * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف يبتان التفاق في القلب
كما يبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما دثبان ضاريان أو سلافي زريبة غنم بأكثر
اقتصادا منهما من حب الشرف والمال والجاه في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم هلك
المكثرون الا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا أو قليل ما هم وقيل يا رسول الله أي أمتك شر قال
الاشقياء وقال صلى الله عليه وسلم سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطياب الدنيا وألوانها ويركعون فروع
الخيل وألوانها يتكفون أجمل النساء وألوانها ويلبسون أجمل الثياب وألوانها لهم بطون من القليل
لا تشبع وأنفس بالكثر لا تنقع صاكعين على الدنيا يزدون ويروحون اليها فينخدعوا هالمة من دون
المهم وربادون ربهما إلى أمرها يفتنون ولها وهم يتبعون فزعمة من محمد بن عبد الله قل أدرك ذلك
الزمان من عقب عبيكم وخلف خلقكم أن لا يسلم عليكم ولا يهود حرم ضاهم ولا يبيع جنازهم ولا يوفر
كبيرهم من فعل ذلك فقد أعان على هدم الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم دعوا الدنيا لاهلها من
أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حقه وهو لا يشعر وقال صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالي
مالي وهل لك من مالك الا ما أكلت فأنتيت أو لبست فألبيت أو قصدت فأقصيت وقال رجل
يا رسول الله مالي لأحب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالي فان قلب
المؤمن مع ماله ان قدمه أحب أن يلقه وان خلفه أحب أن يضاف معه وقال صلى الله عليه وسلم
أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثاني إلى قبره والثالث إلى محشره فالذي يتبعه إلى
قبض روحه فهو ماله والذي يتبعه إلى قبره فهو أهله والذي يتبعه إلى محشره فهو عمله وقال الحواريون
لعيسى عليه السلام مالي تمشي على الماء ولا تقدر على ذلك فقال لهم ما مملكت الدنيا والدرهم عندكم
قالوا حسنة قال لكم هما والدرهم عندي سواء وكتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء رضى الله عنهما
يا أخي اياك أن تجتمع من الدنيا ما لا تؤذي شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء
بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه كما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد أدبت
حق الله في نعم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كما تكفأ به الصراط قال له ماله
وبلك ألا أدبت حق الله في قايزال كذلك حتى يدعو بالويل والنبور وكل ما وردنا في كلب الزهد
والفقر في ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه إلى ذم المال فلا تطول بتكريره وكنا كل ما ذكرناه في ذم
الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال أعظم أركان الدنيا وأعمادها لأن ما ورد في المال
خاصة قال صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال
صلى الله عليه وسلم لا تظنوا الضبعة تصبوا الدنيا في الآثام روي أن رجلا من أبي الدرداء
وأراه سوا فقال اللهم من فعل بي سوا أفصح جسمه وأطل عمره وأكثر ماله فانظر كيف رأى
كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لانه لا بد وأن يفضي إلى الطغيان ووضع على
كرم الله وجهه ودرهما على كفه ثم قال أمانك ما لم يخرج مني لا تنفني وروي أن عمر رضى الله
عنه أرسل إلى زينب بنت جحش بعطائها فقال ما هذا قالوا أرسل اليك عمر بن الخطاب قالت
فخر الله ثم حلت ستره كان لما قطعت وجهه وطلعت صررا وجمعت في أهل بيتها ورحمها وأياها ثم رفعت
يدها وقالت اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عاى هذا فذكرت أول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم
لحوافيه وقال الحسن والله ما أمر الدرهم أحد الا أنه الله وقيل ان أول ما يجرب الدنيا والدرهم

رقعها ليس ثم وضعها على نجته ثم قبلها وقال من أحبها فهو عبدى حقا وقال بمطين بجلال
ان الدرهم والدينار أزمة للتناقضين يادون بها الى النار وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم
تحسن رقبته فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك همه قيل وما رقبته قال أخذه من حله ووضعه في حقه
وقال العلماء بن زياد تمثلت في الدنيا وعلها من كل زينة قتلت أعوذ بالله من شرك قالت ان شرك
أن يبيدك الشئ فاقبض الدرهم والدينار وذلك لان الدرهم والدينار هي الدنيا كلها التي تصل
بها الى جميع أصنافها فمن صبر عنها صبر عن الدنيا وفي ذلك قيل

انني وجدت فلا تظنوا غيره * أن التورع عندها الدرهم

فانا قدرت عليه ثم تركه * فاعلم بأن هناك تقوى المسلم

وفي ذلك قيل أيضا

لا يفرطك من المرقبض رقعته * أو أزار فوق عظم الساق منه رقعته

أو جبين لا خفيه أثر قدخله * أرى الدرهم تعرف حبه أو ورعه

وروى عن مسلم بن عبد الملك انه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله ضد موته فقال يا أمير
المؤمنين صنعت صنعا علم يصنعه أحد قبلك تركت ولذلك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة
عشر من الولد فقال غرا فعدوني فأعدوه فقال أما قولك لم أدرع لهم دينارا ولا درهما فاني لم أمنعهم
حقا لهم ولم أعطهم حق الفهرم وإنما ولدي أحد رجلين إما مطيع لله فاقفه كافيه والله يتولى الصالحين
وإما حاص لله فلا أبالي على ما وقع وروى أن محمد بن كعب القرظي أصاب مالا كثيرا فقبل له
لواذخه لولده من بعده قال لا ولكني أذخه لنفسى عند ربي وأذخ ربي ولدي وروى أن رجلا
قال لا في صدره يا أخي لا تذهب بشر وتترك أولادك بخير فأخرج أبو عبد ربه من ماله مائة ألف
درهم وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الا قولن والآخر من مثلهما القصد في ماله عند موته قيل
وما هما قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله

بيان مدح المال والجمع بينهما وبين الذم

اعلم أن الله تعالى قد سمى المال خيرا في مواضع من كتابه العزيز فقال جل وعز ان ترك خيرا الآية وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جاء في ثواب الصدقة والجمع
فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليها الا به وقال تعالى ويستقرا كثرهما رحمة من ربك
وقال تعالى فمتنا على عباده ومجددكم بأموال وبنين ويعجل لكم جنات ويعجل لكم أنهارا وقال صلى
الله عليه وسلم كذا القرآن يكون كثر أو هو ثناء على المال ولا تنف على وجه الجمع بعد الذم والمدح
الا بان تعرف حكمة المال ومقصوده وأفاده وغوائفه حتى يتكشف لك انه خير من وجهه وشر من
وجهه وانه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس بخير محض ولا هو شر محض
بل هو سبب للأمرين جميعا وهذا وصيفة فيمدح لاجلها تارة وذم أخرى ولعلكن البصير العزيز
يدرك أن المحمود منه غير المذموم وسيأتي به بالاستعداد مما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات
وتفصيل درجات النعم والتقدير المتع في هوان قصد الاكياس وأرباب البصائر سعادة الآخرة التي
هي النعم الدائم والملك المقيم والقصد الى هذا أدب الكرام والا يكاس ان قيل رسول الله صلى الله
عليه وسلم من أكرم الناس وأكسبهم فقال أكثرهم لولدت كرا وأشدهم لهاب تعدادا وهذه
السعادة لا تتل الا بثلاث وسائل في الدنيا وهي التفاضل النفسية كمال العلم وحسن الخلق والتفاضل
البدنية كالجمعة والسلامة والتفاضل الخارجية عن البدن كالمال وسائر الاستنباط وأهلها

النفسية ثم الدينية ثم الخارجية فالخارجة أخسها والمال من جملة الخارجات وأدناها الدراهم
والدنانير فانهما خادمان ولا خادم له ما مر أدان لنفسهما ولا يراد ان لذتهما ان النفس هي الجوهر
النفس المطلوب سعادتها وانها تستخدم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق لتصلها صفة في ذاتها والبدن
يخدم النفس بواسطة الحواس والاعضاء والمطاعم والملابس تخدم البدن وقد سبق أن المقصود
من المطاعم ابقاء البدن ومن المنافع ابقاء النسل ومن البدن تشكيل النفس وتركها وترتيبها
بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه من حيث هو ضرورة
المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس الذي هو خير ومن
عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده واستعمل تلك الغاية ملتفتا اليها فغنى ناس لها فقد أحسن وانتفع
وكان ما حصل له الغرض محمودا في حقه فاذا المال آلة ووسيلة الى مقصود صحيح واصلح أن نخذ آلة
ووسيلة الى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادرة عن سعادة الآخرة وتستبدل العلم والعمل فهو
اذ محمود مذموم محمود بالاضافة الى المقصد الجمود ومذموم بالاضافة الى المقصد المذموم فن أخذ
من الدنيا أكثر مما ينبغي فقد أخذ حقه وهو لا يشعر كلورده الخبير ولما كانت الطباع مائلة
الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال سهلا لها وآلة الهاعظم الخطير فيما يزيد على قدر
الكفاية فاستغاذ الانبياء من شره حتى قال نبينا عليه الصلاة والسلام اللهم اجعل قوت آل محمد كقوت
فلم يطلب من الدنيا الا ما يتحصن خيره وقال اللهم أحييني مسكينا وأمتني مسكينا واخبرني في زمرة
المساكين واستعاذ ابراهيم صلى الله عليه وسلم فقال واجنبي وبني أن تغدوا الصنم وعني بها
هذين الجمرين الذهب والقضة اذ رتبة النبوة أجل من أن يحشى عليها أن تعقد الالهية في شيء من
هذه الجارة اذ قد كنت قبل النبوة عبادا تمام الصغر وانما معنى عبادتهم ما جعلوا الاعتقاد بهما
والركون اليهما قال نبينا صلى الله عليه وسلم نفس عبد الدنيا ونفس عبد الدرهم نفس ولا تسعش
واذا شئت فلا تسعش فبين أن محبة عبد الله محبة من عبد حجر فهو عبد صنم بل كل من كان عبد الفير الله
فهو عبد صنم أي من قطعه ذلك عن الله تعالى وعن أداء حقه فهو عبد صنم وهو شرك الآن الشرك
شركان شرك خفي لا يوجب الخلود في النار ولا ينفعك عنه المؤمنون فانه أخفى من ديب النمل وشرك
جلى يوجب الخلود في النار نعوذ بالله من الجوع

• بيان تفصيل آفات المال وفوائده •

اضلم أن المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده تزيده وغوائله سموه فن عرف غوائله وفوائده
أمكنه أن يجترز من شره ويستدر من خيره • أما الفوائد فهي تنقسم الى دنيوية ودينية • أما
الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشهورة مشتركة بين أصناف الخلق ولولا ذلك
لم ينبت الكبر على ظلمها • وأما الدينية فتعصر جميعها في ثلاثة أنواع (النوع الاول) أن يتقوه على
نفسه اما في عبادة أو في الاستعانة على عبادة أما في العبادة فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فانه
لا يتوصل اليها الا بالمال وهما من أمهات القربات والفقر محروم من فضلها وأما فيما يقويه على
العبادة فذلك هو المطعم والملبس والسكن والتكسب وضرورات العيشة فان هذه الحاجات اذا لم يتيسر
كان القلب مصر وقال في تدبيره فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل الى العبادة الا به فهو عبادة فأخذ
البكائية من الدنيا لاجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل في هذا التمتع والزيادة
على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط (النوع الثاني) ما يصره الى الناس وهو أربعة أقسام
الصدقة والمروءة وقاية العرض وأجرة الاستخدام • أما الصدقة فلا ينبغي ثوابها وانما لتطفي

غضب الرب تعالى وقد ذكرنا فضلها فيما تقدم * وأما المروعة فتعني بمصارف المال إلى الأضياف والأشراف في ضيافته وهدية وإعانة وما يجري مجراها فإن هذه لا تسمى صدقة بل الصدقة ما سلم إلى المحتاج الآن هذا من الفوائد الدينية أتبه بكتسب العبد الأخوان والأصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء وبلحق بزمرة الأضياف فلا يوصف بالجلود إلا من يصطنع المعروف وبذلك سبيل المروعة والفقر وهذا أيضا مما يظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا والضيافات وإطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها * وأما وقاية العرض فتعني به بدل المال لدفع هجوم الشرع أو طلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم وهو أيضا مما تعجز فائده في العاجل من الخطوط الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقع به المرء عرضه كتب له به صدقة وكيف لا وفيه منع العقاب عن معصية الغيبة واحترام عايشي ومن كلامه من العداوة التي تحمل في المكافاة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة * وأما الاستخدام فهو أن الأعمال التي يحتاج إليها الإنسان لهيئة أسبابها كثيرة ولو تولوا لها بنفسه ضاعت أوقافه وتعدر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والمذكر الذي هو أعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيقتصر إلى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام ولطعمه وكسب البيت حتى نسخ الكلب الذي يحتاج إليه وكل ما يتصور أن يقوم به غيرك ويحصل به ضررك فأنت متعوب إذا اشتغلت به إذ عليك من العلم والعمل والمذكر والفكر ما لا يتصور أن يقوم به غيرك فتضيع الوقت في غير خسران (النوع الثالث) ما لا يصرفه إلى أناس معين ولكن يحصل به خيرا ثم كنساء المساجد والقاطر والرباط ودور المرضى ونصب الحجاب في الطريق وغير ذلك من الأوقاف المرصدة للبر والبركات وهي من الخيرات المؤبدة المدايرة بعد الموت المستجيبة بركة أوعية الصالحين إلى أوقات متبادلة ونأهلك ما خيرا تهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعين بالخطوط العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحفارة الفقر والوصول إلى العز والمجددين الخلق وكثرة الإخوان والأعوان والأصدقاء والوفاء والكرامة في القلوب فكل ذلك بما يقضيه المال من الخطوط الدنيوية (وأمّا الآفات) فدينية ودنيوية * أمّا الدينية ثلاث (الأولى) أن تجرّ إلى المعاصي فإن الشهوات متفاضلة والجزر قد يحول بين المروعة والمعصية ومن العصية أن لا يجود مهما كان الإنسان أناسا من نوع من المعصية لم تتحرك دأمة فإذا استشعر القدرة عليها انبعثت دأمة والمال نوع من القدرة يجرك دأمة المعاصي وإرتكاب السيور فإن اقتصر ما اشتبهه هلك وإن صبر وقع في شدة إذا الصبر مع القدرة أشد وقته البراءة أعظم من قننة الضراء (الثانية) أنه يجرّ إلى التمتع في المباحات وهذا أول الدرجات فتجهد صاحب المال على أن يتناول خبز الشبر وليس الثوب الخشن ويترك لذاته الأطعمة كما كان يقدر عليه سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام في ملكه فأحسن أحواله أن يتم بالدنيا ويمرّث عليها نفسه فيصير التمتع ما لو فاعده ويحبو بالأيصبر عنه ويجزه البعض منه إلى البعض فإذا اشتدّ تأنسه به رجيا لا يقدر على التوصل إليه باللكسب الحلال فيقيم الشهوات ويخوض في المرات والمداينة والكذب والتفاق وسائر الأخلاق الرديئة لينتظم له أمر دنياه ويتيسر له تجمعه فإن كثرت ماله كثرت حاجته إلى الناس ومن احتاج إلى الناس فلا بد وأن ياتقهم ويصغي للثقي طلب رضاهم فإن سلم الإنسان من الآفة الأولى وهي مباشرة الخطوط فلا بد أن يسلّم عن هذه أصلا ومن الحاجة إلى الخلق تنور العداوة والصداقة وينشأ عليه الحسد والحقد والابو والكبر والكنب والتمية والغيبة وسائر المعاصي التي تنقص القلب واللسان ولا يتخلو عن التعلّي أيضا إلى سائر الجوارح وكل ذلك يأنم

من شؤم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه (الثالثة) وهي التي لا يتفك عنها أحد وهو أنه بلبه
 اصلاح ما له من ذكر الله تعالى وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه
 الصلاة والسلام في المال ثلاث آفات أن يأخذه من غير حله فقيل ان يأخذه من حله فقال يضعه في
 غير حله فقيل ان وضعه في حله فقال يشغله اصلاحه من الله تعالى وهذا هو المدا المفضل فان أصل
 العبادات ونحوها سر هاذكر اللهو والتفكير في جلاله وذلك يستدعي قلباً فارغاً وصاحب الضيعة
 يمتنى ويصبح متفكيراً في خصومة الفلاح ومحاسبة وفي خصومة الشراكه ومنافعتهم في الماء
 والحدود وخصومة أعوان السلطان في الخراج وخصومة الاجراء على التصدير في العمارة وخصومة
 الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكيراً في خيانة شريكه وانفراذه بالربح
 وتقصيره في العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشي وهكذا سائر أصناف الاموال وأبعادها
 عن كثرة الشغل والتفكير في الأرض ولا يزال الفكر متردداً فيما يصرف اليه وفي كيفية حفظه
 وفي الخوف من يعثر عليه وفي دفع أطعام الناس عنه وأودية أفكار الدنيا لانهما طوار الذي معه قوت
 يومه في سلامة من جميع ذلك فهذه جملة الآفات الدنيوية سوى ما يقاسه أرباب الاموال في الدنيا
 من الخوف والحزن والغم والمهم والتعب في دفع الحساد وتجنب المصائب في حفظ المال وكسبه فاذا
 تريا في المال أخذ القوت منه وصرف الباقي الى الخيرات وما عدا ذلك سحوم وآفات نسأل الله تعالى
 السلامة وحسن العون بطقه وكرمه انه على ذلك قدير

في بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة والبأس عما في أيدي الناس

أصله أن الفقر محمود كما وردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي أن يكون الفقير قانعاً بمنقطع الطمع عن
 الخلق غير ملتفت الى ما في أيديهم ولا حرصاً على اكتساب المال كيف كان ولا يمتد ذلك الابان
 يقع بقدر الضرورة من الطعم والملبس والسكن ويقتصر على أقله قدر أو أخسه نعوذ بالله الى
 يومه أو الى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فان تشوق الى الكثير أو طول أمسه فانه من القناعة
 وتدنس بإصالة بالطمع وذلل الحرص وجزء الحرص والطمع الى مساوى الاخلاق وارتكاب
 المنكرات المخارقة للروايات وقد جبل الأدعي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا ينبغي لهما تناول ولا جوف ابن آدم الا
 التراب ويتوب الله على من تاب وعن أبي ابيد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
 أوحى اليه أنباء بئنا مما أوحى اليه فقتلته ذات يوم فقال ان الله عز وجل يقول انا أنزلنا المال لا قام
 الضلالة وإياه الزكاة ولو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يحب أن يكون له الثاني لاحب
 أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال أبو موسى
 الاشعري تلت سورة شعورامة ثم رفعت وحفظ منها ان الله يهدي هذا الدين بأقوال لا خلاق لهم
 ولو ان لابن آدم واديين من مال لمتى واديانا تناول ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من
 تاب وقال صلى الله عليه وسلم فهو ما ان لا يشبعان منهم يوم العلم ومنهم من المال وقال صلى الله عليه
 وسلم يرم ابن آدم من يشبع معه اثنتان الامل وحب المال أو كماله وما كانت هذه جملة اللادعي
 مضلة وغرزة هلكة أننى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى
 للإسلام وكان عبثه كعناقا وقع به وقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد فقير ولا غنى الا ويزوم
 القيامة انه كان أوفى قوتاً في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى
 عني النفس ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال ألا أيها الناس أجهلوا في الطلب فانه

ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راحة
وروي أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال أي عبادك أعني قال اتعهم بما أعطته قال
فأيهم أعدل قال من أنصف من نفسه وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح
القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب وقال
أبوهريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة اذا اشتد بك الجوع فطيك برقيق وكوز
من ماء وعلى الدنيا الدمار وقال أبوهريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ورعا
تكن عبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا وحي
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه أبوأيوب الانصاري أن أعرابيا أتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظمي وأخبر فقال اذا صليت فصل صلاة مودع ولا تتحدث بحديث
تفخر منه فداو اجمع اليأس مما في أيدي الناس وقال عوف بن مالك الاشجعي كعاد رسول الله
صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تباهون رسول الله قلنا أو ليس قديما هناك
يا رسول الله قال ألا تباهون رسول الله فيسطنأ أدينا قبا بعناه فقال قائل منا قد يايناك فعلى
ماذا انبأ بك قال أن صدور الله لا تنسركوا به شيئا وفصلوا الخس وأن تهجعوا ونطسوا أو أسر كلمة
خفية ولا تسألوا الناس شيئا قال فلقد كان بعض أولئك الثغر يسقط سوطه فلا يسأل أحد ان
يناوله ما به إلا أنار في قال مر رضى الله عنه ان الطمع فقر وان اليأس غنى والله من يأس مما في أيدي
الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء ما التقى قال قلة غنيتك ورغبتك بما يكتفيك وفي ذلك قيل

المعيش ساءات ثم * وخطوب أيام تحسّر

أقع بعيشك ترزبه * واترك هوالك تعيش جز

فرب خف ساقه * ذهب وياقوت ودر

وكان محمد بن واسع يعل الخبز اليابس بالماو يأكله ويقول من فقم هذا الخبز إلى أحد هؤلاء
خير دنيا كم الم يتناولوه وخير ما ابتليته ما خرج من أيديكم وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك
ينادي يا ابن آدم قليل يكفك خير من كثير يطغيك وقال سميط بن مجلان انما بطنك يا ابن آدم
شرف في شرف لم يدخل النار وقيل لحكم ما مات قال التبريل في الظاهر والتصديق الباطن واليأس
مما في أيدي الناس وروي أن الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا
القوت واذا أنا أعطيتك منها القوت وبخلت حسابها على غيرك فأنا إليك مجسن وقال ابن مسعود اذا
طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتى الرجل فيقول أنك وانك فيقطع ظهره فانما يأتيه
ما قسم له من الرزق أو ما رزق وكب بعض بني أمية إلى أنى حازم يعزم عليه الا يقع اليه حوائجه
فكسبه الا قدر فت حوائجي إلى مولاي فأعطاني منها قبلت وما أمسكتني فعتت وقيل لبعض
الحكماء أتى شيء أسر تعاقل وأيامتي أعون على دفع الحزن فقال أسر هاليه ما قدم من صالح العمل
وأعونا الصل على دفع الحزن الرضاء بحجهم القضاء وقال بعض الحكماء وجدت أطول الناس غلما لجسود
وأهانهم عيشا القنع وأصبرهم على الاذى الحرص اذا طمع وأخفهم عيشا أرفقهم الدنيا
وأعظمهم ندما العالم المفترط وفي ذلك قيل

أرفق بئال فتى أمسى على ثقة * أن الذي قسم الارزاق رزقه

فالعرض منه مصون لا ينسه * والوجه منه جدي ليس يخلفه

أن القاعة من يحلل ساجتها * لم يلق دهره شيئا يورقه

وقد قيل أيضا

حتى متى أنا في حل وترحال * وطول سعي وادبار واقبال
ونازح الدار لا أنفك مغتربا * من الاجبة لا يدرون ما حالي
بمشرق الارض طوراً ثم مغربها * لا تخضر الموت من حرصي على بالي
ولوقعت أنا في الرزق في دعة * ان القنوع الغني لا كثرة المال

وقال عمر رضي الله عنه ألا أخبركم بما أستعمل من مال الله تعالى حلتان لشتائى وقيطى وما يسعني
من الظهري وعمرى وقوى بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرفعهم ولا بأوضعهم فوالله
ما أدرى أبجل ذلك أم لا كأنه شك في أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التي تجب القناعة
ها أو عتاب أعرابي أخاه على الجحش فقال يا أخى أنت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب
أنت ما قد كسبت هو كان ما غاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد نقلت عنه كأنك يا أخى لم تر
حريصا عمر وما زاهد امرؤ فاقوى ذلك قبل

أراك يزيدك الالتزام حرصا * على الدنيا كأنك لا تموت

فهل لك غاية ان صرت يوما * البهاق حسي قدر ضيبت

وقال الشعبي حكى أن رجلا صاد قبرة فقالت ما تريد أن تصنع بي قال أبيعك وأكلك قالت والله
ما أشقى من قرم ولا أشبع من جوع ولكن أهلك ثلاث خصال من أخيك من أكلى أما واحدة
فأهلك وأنا في بلدك أما الثانية فإذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فإذا صرت على الجبل قال هات
الأولى قالت لا تلهن على ما فاتك فغلاها فإذا صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن
بما لا يكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقى لو ذهبتى لأخرجت من حوصلتى
درتين زينة كل درة عشرون مثقالا لفضل على شقتي وتلف وقال هات الثالثة قالت أنت قد
نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة أم أقل لك لا تلهن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون
أنا لحي ودمي ورشي لا يكون عشرون مثقالا فكيف يكون في حوصلتى درتان كل واحدة عشرون
مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الأدمى فإنه يبيع من درك الحق حتى يقدّر
مالا لا يكون أنه يكون وقال ابن السماك ان الرجاء حبل في قلبك وقيد في رجلك فأخرج الرجاء من
قلبك يخرج القيد من رجلك وقال أبو محمد الزبلي دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة
مكتوب فيها بالذهب فلما رأيته تبسم فقلت فائدة أصح الله أمير المؤمنين قال نعم وجدت هذين
البيتين في بعض خزائن بني أمية فاستحسنتهما وقد أضفت إليهما الشاؤ أنشدني

إذا سئد باب عنك من دون حاجة * فدعه لاخرى شفقتك بابها

فإن قرباب البطن يكفيك ملؤه * ويكفيك سواك الامور اجتنابها

ولأنك منذ الأعرضك واجتنب * ركوب المعاصي يجتنب عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد ادوزعها وعقلوها قال الطمع
وشره النفس وطلب الخواشع وقال رجل القنصل قسرى قول لكعب قال طمع الرجل في الشيء
يطلبه فيذهب عليه دينه وأما الشره فشهره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب إلى يفوتها شيء
ويكون لك إلى هذا حاجة وإلى هذا حاجة فأنا قضاه لك خرم أنفك وقادك حيث شئت واستمكن
منك وخضعت له من حبك الدنيا سالت عليه إذا مررت به وعنده إذا مرض لم تسلم عليه لله عز وجل
ولم تعد الله فلو لم يكن لك إليه حاجة كان خير لك ثم قال هذا أخير لك من مائة حديث من فلان

عن فلان وقال بعض الحكماء من عيب أمر الإنسان أنه لو نودي بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجوع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال وقال عبد الواحد بن زيد مرت رابع قتلته من أين تأكل قال من يبدد اللطيف المحير الذي خلق الرجايا نيبا بالطعن وأما يده إلى رحا أضراسه فسبحان القدير الخبير

بيان علاج الحرص والطمع والذواء الذي ينكسب به صفة القناعة

اعلم أن هذا الدواء من كتب من ثلاثة أركان الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة أمور الأول وهو العمل الاقتصاد في المعيشة والرفق في الاتفاق فمن أراد خيرا القناعة فينبغي أن يبذل من نفسه أبواب الخرج مما أمكنه ويرد نفسه إلى ما لا يتله منه في كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة بل إن كان وحده فينبغي أن يفتح شوب واحد خشن ويقنع بأي طعام كان وقيل من الآدم ما أمكنه ويوطن نفسه عليه وإن كان له عيال فيرد كل واحد إلى هذا القدر فإن هذا القدر ينسب بأدنى جهد ويمكن معه الأجل في الطلب والاقتصاد في المعيشة وهو الأصل في القناعة وينبغي به الرفق في الاتفاق وترك الخرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يحب الرفق في الأمر كله وقال صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والتقصد في الغني والفقر والعديل في الرضى والغضب وروى أن رجلا أصر بأب الدرداء بقطط جامن الأرض وهو يقول إن من قهقهك رفقك في معيشتك وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم الاقتصاد وحسن السمعة والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة وفي الخبر التديب نصف المعيشة وقال صلى الله عليه وسلم من اقتصد أعناه الله ومن بذر أقره الله ومن ذكر الله عز وجل أحبه الله وقال صلى الله عليه وسلم إذا أردت أن أمرأ فليكن بالزودة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا والتزودة في الاتفاق من أهم الأمور الثاني أنه إذا تسمر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي أن يكون شديدا لا اضطراب لأجل المستقبل ويصنع على ذلك قصر الأمل والحق بأن الرزق الذي قدر له لا يتوان بآتيه وإن لم يستتر حربه فإن شدة الحرص ليست هي السبب لوصول الرزاق بل ينبغي أن يكون وانفاؤه عذابه تعالى إذ قال عز وجل وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها وذلك لأن الشيطان بعد الفقر وبأمره الفحشاء ويقول إن لم تحرم على الجمع والادخار فربما تعرض وربما تهز وتحتاج إلى احتمال القدر في السؤال فلا يزال طول العسر يصعب في الطلب خوفا من العسر ويصعب عليه في احتمال التعب تقدم الغفلة عن الله لتوهم تعذب في نائي الحال وربما لا يكون وفي مثله قيل

ومن يتق الساعات في جمع ماله * مخافة فقرا فإذ فعل الفقر

وقد دخل ابنه الداعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما لينا يا من الرزق ما تهرزت رؤسكم كأن الإنسان بلد له أمه أحمرا ليس عليه قشر ثم رزقه الله تعالى ومز رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسعود وهو خزين فقال له لا تكثر هلك ما تقدر يكن وما تزقق بالشر قال صلى الله عليه وسلم ألا يا أيها الناس أجهلوا في الطلب فإنه ليس لعبدا إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راحة ولا يتفك الإنسان من الحرص إلا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى في تقدير أرزاق العباد وأن ذلك يحصل لا بمخالفة في الطلب بل بنبذ أن علم أن رزق الله لعبده من حيث لا يحتسب أكثر قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فإذا استعيا بآب كان يتنظر الرزق منه فلا ينبغي أن يضطرب قلبه لأجله وقال صلى الله

عليه وسلم أي الله أن يرزق عبده المؤمن الامن نحث لا يحسب وقال سفيان ائق الله فارأيت نقبا محتاجا أي لا تترك التقي فاخذ الضرورية بل يلقي الله في قلوب السبلين أن يوصلوا اليه رزقه وقال الفضل الصبي قلت لاعرابي من أين معاشك قال يترك الحاج قلت فاذا صدر وافيكي وقال لولم نعش الامن حيث نندري نفس لمش وقال أبو حازم رضى الله عنه وجدت الديناشيين في شأهم ما هو لي فلن أعجله قبل وقته ولوطيته بقوة السموات والارض وشأهم ما هو لغيري فذلك لم أنه فيما مضى فلا أرجوه فيما بقي يمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري ففي أي هذين أفتي عمرى فهذا دواء من جهة المعرفة لا بئذ منه لدفع تحويف الشيطان وانتاداره بالفقر * الثالث أن يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الحرص والطمع من الذل فلا تحقق عند ذلك انبعث رغبته الى القناعة لانه في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في القناعة الا الم الصبر عن الشهوات والقنول وهذا الم لا يطعم عليه احد الله وفيه ثواب الآخرة فذلك مما يضاف اليه نظر الناس وفيه الوبال والمآثم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه كثر حاجته الى الناس فلا يتمكن دعوتهم الى الحق ويلزمه المداهنة وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركبك العقل ناقص الايمان قال صلى الله عليه وسلم عز المؤمن استغناؤه عن الناس في القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عن شئت تسكن نظيره واحتج الى من شئت تمكن أسيره وأحسن الى من شئت تسكن أميره * الرابع أن يكثر تأمله في تتم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحقى من الاكراد والأعراب الاجلاف ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر الى أحوال الانبياء والاولياء الى سمع الخلفاء الراشدين وسائر الصابة والتابعين ويستمع أحاديثهم ويطلع أحوالهم ويخبر عقله بين أن يكون على مشابة أراذل الناس أو على الاقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند الله حتى يكون عليه بذلك الصبر على الضنك والقناعة باليسر فانه ان تتم في البطن فالأمر أكثر أكلا منه وان تتم في الوقاع فالخير يرأى على رغبته وان زين في الملبس والخليل في اليهود من هو أعلى زينة منه وان تقع بالقليل ورضى به لم يساهمه في رغبته الا الانبياء والاولياء * الخامس أن يفهم ما في جمع المال من الخطر كذا كذا في آفات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلوه اليد من الامن والفراغ وسأقل ما ذكرناه في آفات المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة الى محسنة عام فانه اذا لم يقع بما يكرهه الحق بزمرة الاعتناء وأخرج من جريرة الفقر ما يتم ذلك بأن ينظر ابدأ الى من دونه في الدنيا لا الى من فوقه فان الشيطان أبدا يصرف نظره في الدنيا الى من فوقه فيقول لم تفقر عن الطلب وأرباب الاموال يتمتعون في المطاعم والملابس ويصرف نظره في المدن الى من دونه فيقول ولم تصيق على نفسك وتحاف الله وفلان أعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتمتع فلم يردان تميزهم قال أبو ذر وأوصاني خليلي صلوات الله عليه أن أنظر الى من هو دوني لا الى من هو فوقى أى في الدنيا وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر أحدكم الى من فضله الله عليه في المال والخلق فليتنظر الى من هو أسفل منه من فضله عليه فهذه الامور بقدر على اكتساب خلق القناعة وعما دال امر الصبر وقصر الامل وان يعلم أن غلبه صبر في الدنيا أيام فلا تمل التمتع دهر طويلا فيكون كالبرص الذي يصبر على براءة الدوام لشدة طمعه في انتظار الشفاء

سان قصيلة السقام

اعلم أن المال ان كان معقودا فينبغي أن يكون حال الصيد القناعة بقوله الحرص وان كان موجودا فينبغي أن يكون حاله الاشارة والتمتع واصطناع المعروف والتباعدين التمتع والخل فان السقام

من آخلق الانبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول النجاة وعنه صدر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال المضاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية الى الارض فمن أخذ بضمن منها قادم ذلك النفس الى الجنة وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى أن هذا دين ارتضيه لنفسى ولن يصلح الا الصفاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما استطعتم وفى رواية فأكرموه بهما ما يحسنوه وعن عائشة الصديقة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جبل الله تعالى وليا له الا على حسن الخلق والمضاء وعن جابر قال قبل يا رسول الله أى الأعمال أفضل قال الصبر والسماحة وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يغيظهما الله عز وجل فأما اللذان يحبهما الله تعالى حسن الخلق والمضاء وأما اللذان يغيظهما الله فسوء الخلق والغل وإذا أراد الله بعد خيرا استعماله فى قضاء حوائج الناس وروى المتقدمين شرح عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول الله لئنى على عمل يدخلنى الجنة قال ان من موجبات المغفرة نيل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السقاء شجرة فى الجنة فمن كان سقيا أخذ بضمن منها فلم يتركه ذلك النفس حتى يدخله الجنة والشج شجرة فى النار فمن كان سقيا أخذ بضمن من أغصانها فلم يتركه ذلك النفس حتى يدخله النار وقال أبو سعيد الخدرى قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اطببوا الفضل من الرحاء من عباده تقيسوا فى كافهم فاني جعلت فهم رحمتي ولا تطلبوه من القاسية فلو فهم فاني جعلت فهم سخطي وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخافوا عن ذنب السحبي فان الله أخذ بيده لكاعتر وقال ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم الرزق الى مطعم الطعام أسرع من السكين الى ذروة البعير وان الله تعالى لياهي بمطعم الطعام الملائكة عليهم السلام وقال صلى الله عليه وسلم أن الله جواد يحب الجواد ويحب مكارم الاخلاق ويكره سفاسفها وقال انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل على الاسلام شيئا الا أعطاه أو آتاه رجل فسأله فأمر له بشاة كبرى بن جبلين من شاء الصدقة فرجع الى قومه فقال يا قوم أسلووا فان محمدا يطى عطامه من لا يخاف العاقبة وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم ان لله عباد يحبهم بالتعلم لنافع العباد فمن عمل تلك النافع على العباد نفعها الله تعالى عنه وحولها الى غيره وعن الهلالى قال أنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسرى من بنى العبر فأمر بقتلهم وأفردهم منهم رجلا فقال على بن أبى طالب بكرم الله وجهه يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فبال هذا من بينهم فقال صلى الله عليه وسلم نزل على جبريل فقال اقبل هؤلاء وارتك هذا فان الله تعالى شكره ضاه فيه وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ ثمرة وثمره المعروف تقبيل السراح وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الجواد دواء وطعام البخل داء وقال صلى الله عليه وسلم من عظم نعمة الله عليه عظم مؤنة الناس عليه فمن لم يحمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال وقال عيسى عليه السلام استكثروا من شئ لانما كلة النار قيل وما هو قال المعروف وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة دار الاشياء وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السحبي قريب من الله فريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وان البخل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سحبي أحب الى الله من عالم بخيل وأدوا الماء الخل وقال صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى من هو أهله والى من ليس بأهله فان أصبت أهله فقد أصبت أهله وان لم تصب أهله فأنت من أهله وقال صلى الله عليه وسلم أن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة

صلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور والتصح للسلين وقال أبو سعيد
أنخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل جعل المعروف وجوها من خلقه حبيب
اليهم المعروف وحبيب اليهم فعلاه ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم اعطاهم كاسر الغنى الى
البلدة الجدية فيسبوا ويحیی به أهلها وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وكل ما أنفق
الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة وما وقى به الرجل عرضه فهو له صدقة وما أنفق الرجل من
نفقة فعلى الله خلقها وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب
انتامة اليه فان وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف فعلته الى غنى أو فقر صدقة تروى أن الله تعالى
أوحى الى موسى عليه السلام لا تقتل السامرى فانه سمى وقال جابر بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم بشايعهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدا ففصرهم قيس تسع ركائب فخذوا رسول الله صلى الله
وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم ان الجود لمن شيعه أهل ذلك البيت (الأنار) قال على كرم الله
وجهه اذا أقلت عليك الدنيا فأنفق منها فانها لا تنفى وإذا أدبرت منك فأنفق منها فانها لا تنفى وأشد

لا تنطق بشيا وهي مقبلة * فليس يتعها التبذير والسرف
وان تولت فأحرى أن تجود بها * فالجود منها اذا ما أدبرت خلف

وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهم عن المروءة والعبدة والكرم فقال * أما المروءة فحفظ
الرجل دينه وحذره نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المنازعة والاقدام في السكرامة * وأما
العبدة فالطلب من الجار والصبر في المواطن * وأما الكرم فالتيبوع بالمعروف قبل السؤال والاطعام
في المحل والزأفة بالسائل من بدل التائل * ورفع رجل الى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقعة فقال
حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعة ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال
يسألني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى أقرأ رقعة وقال ابن السماك عجبت لمن يشتري
المال بالماله ولا يشتري الا حرام معروفه وسئل بعض الاعراب من سيدكم فقال من احتمل شمتنا
وأعطى سائلنا وأعطى من جاهلنا وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما من وصف بيذل ماله
لطلابه لم يكن سخيا وانما السخي من يتدنى بحقوق الله تعالى في أهل طاعته ولا تنازعه نفسه الى حب
الشكر له انا كان يقينه ثواب الله تأما وقيل للحسن البصري ما السخاء فقال ان تجود بما لك في الله
عز وجل قبل ما الحزم قال أن تمنع ما لك فيه قبل ما الاسراف قال الاتفاق الحبيب الياسر وقال
جعفر الصادق رحمة الله عليه لا مال أعون من العقل ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا مظاهرة
كالمناورة الا وان الله عز وجل يقول اني جواد كريم لا يجاورني لثم واللؤم من الكفر وأهل الكفر
في النار والجود والكرم من الايمان وأهل الايمان في الجنة وقال حذيفة رضي الله عنه رب فاجر
في دينه أحرق في معيسته يدخل الجنة بسماحته وروى أن الاحنف بن قيس رأى رجلا في يده
درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي فقال أماته ليس لك حتى يخرج من يدك وفي معناه قبل

أنت لئال اذا أمسكته * فاذا أفضتته قال لك

وسمي واصل بن عطاء الغزال لانه كان يجلس الى الغزالين فاذا رأى امرأه ضعيفة أعطهاها شيئا
وقال الاصمعي كتب الحسن بن علي الى الحسين بن علي رضوان الله عليهم تعجب عليه في اعطاء
الشعراء فكتب اليه خيرا لمال ما وقى به العرض وقيل لسفيان بن عيينة ما السخاء قال السخاء بالبر
بالاخوان والجود بالمال قال وورث أبي خمسين ألف درهم فبعث بها صرا الى اخوانه وقال قد
كنت أسأل الله تعالى لأخواني الجنة في صلاتي فأنا أجعل عليهم بالمال وقال الحسن بذل المجهود في بذل

الموجود منتهى الجود وقبل لبعض الحكماء من أحب الناس إليك قال من كثرت أيادي عندي قيل
فإن لم يكن قال من كثرت أيادي عنده وقال عبد العزيز مروان إذا الرجل أمكنني من نفسه حتى
أضيق معروف في عنده فبده عندي مثل يدي عنده وقال المهدي لشبيب بن شبة كيف رأيت الناس
في داري فقال يا أمير المؤمنين إن الرجل منهم ليدخل راجيا ويخرج راضيا وتثل بمثل عند عبد
الله بن جعفر فقال

إن الصنعة لا تكون صنعة • حتى يصاب بها طريق المصنع
فإذا اصطنعت صنعة فاعمد بها • الله وألوى القرابة أودع

فقال عبد الله بن جعفر إن هذين البيتين ليعلان الناس ولكن أمطر المعروف مطرا فإن أصاب
الكرام كآفته أهلا وإن أصاب الثام كنت له أهلا

• حكايات الأسفياء •

عن محمد بن المنكدر عن أم درة وكانت تخدم عائشة رضي الله عنها قالت إن معاوية بعث إليّ هاجلا
في غار من ثمانين ومائة ألف درهم فلدعت بطبق فطعت قسمه بين الناس فلما أمت قالت
يا تجارية هلي فطوري غداءه فخرجت فقلت لها أم درة ما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشتري
لنا بدرهم لحما فطر عليه فقالت لو كنت ذكرتي فطعت • وعن ابن عباس قال أراد رجل أن
يضار عبد الله بن عباس فأتى وجوه قريش فقال يقول لكم عبد الله فقد وعده اليوم فأنوه حتى
ملأوا عليه الدار فقال ما هذا ما أخبرنا خبرنا ما أمر عبد الله بشراء فأكهوا ثم قوموا فطروا فخرجوا
وقد تمت الفاكهة لهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد فكلوا حتى صدروا فقال عبد الله
لو كلاله أموجود لنا هنا كل يوم قالوا نعم قال فليقتضه عندنا هؤلاء في كل يوم • وقال مصعب بن الزبير
ج معاوية فلما انصرف من المدينة فقال الحسين بن علي لا أخيه الحسن لا تقبلوا قسما عليه فلما خرج
معاوية قال الحسن إن علينا دينا فلا بد لنا من إتيائه فركب في أثره ولحقه فسلم عليه وأخبره بدينه
فروا عليه بيته عليه ثمانون ألف دينار وقد أغني وتخلف عن الأبل وقوم يسوقونه فقال معاوية
ما هذا فذكر له فقال أصرفه جميعا عليه إلى أبي محمد • وعن واقد بن محمد الواقدي قال حدثني أبي أنه
رفع رقعة إلى المأمون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المأمون على ظهر رقعة ابنك رجل
اجتمع فيك خصلتان السوء والحياء فأما السوء فهو الذي أطلق ما في يدك وأما الحياء فهو الذي
يمتنع عن تبليغها أنت عليه وقد أمرت بك بمائة ألف درهم فإن كنت قد أصبت فازدد
في بسط يدك وإن لم أكن قد أصبت فغنايتك علي نفسك وأنت حدثني وكتبت علي قصاه الرشيد عن
محمد بن إسحاق عن الزهري عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا زبير بن العوام يا زبير اطم
أن مفتاح أرزاق العباد يا زبير العرش بعث الله عز وجل إلى كل عبد بقدر ثقته فنكث كثيره ومن
قلل قلله وأنت أعلم قال الواقدي فوالله لئلا كره المأمون إياي بالحديث أحب إلي من الجائزة
وفي مائة ألف درهم • وسأل رجل الحسن بن علي رضي الله عنهما حاجة فقال له يا هذا حق سؤالك
إياي يعظم لدي ومعرفتي بمحببك لك تكبر علي ويدي تهجر عن نيك جبا أنت أهل الكبر في ذات
الله تعالى قليل ومافي ملكي وفاء لشكر لك فقلت الميسور ورفعت عن مؤنة الاجتهال والاهتمام
لما أنكفئته من واجب حقك فقلت يا ابن رسول الله أقبل وأشكر العظيمة وأعذر على المنع
فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على ثقائه حتى استقصاها فقال هات الفاضل من الثلاثمائة ألف
درهم فأحضر ثخينان ألفا قال فما فعلت بالحسمائة دينار قال هي عندي قال أحضرها فأحضرها

فدفع الدنيا نير والدرهم الى الرجل وقال هات من يحملك فأتاه بحمالين فدفع اليه الحسن رداً
لكراه الحمالين فقال له مواليه والله ما عندنا درهم فقال أرجوان يكون لي عند الله أجراً عظيماً
واجتمع قراء البصرة الى ابن عباس وهو عامل بالبصرة فقالوا لنا جارسؤام قوام حتى كل واحد منا
أن يكون مثله وقد فرج بته من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس
فأخذ بأيديهم وأدخلهم داره وفتح صندوقاً فخرج منه ست بدر فقال احملوا يحملوا فقال ابن عباس
ما أنصفناه أعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه ارجعوا بنا تكن أجواته على تجهيزها فليس الدنيا
من القدر ما يشغل مؤمن عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخدم أولياء الله تعالى ففعلوا
• وحكي لنا أن أجند الناس بمصر وعبد الحدين بعد أميرهم فقال والله لا أعلن الشيطان اني
عدوه فقال يحاوليهم الى أن رخصت الاسعار ثم عزل عنهم فرحل والتجار عليه ألف ألف درهم
فرهنهم بها حتى نساها وقيمتها خمسمائة ألف فلما تمذروا عليه ارجعها كتب اليهم بها ودفع
الفاضل منها عن حقوقهم الى من لم تله صلاته • وكان أبو طاهر بن كثير شعيباً فقال له رجل يحن على
ابن أبي طالب لما وهبت لي تخلك بموضع كذا وكذا فقال قد فعلت وحنه لأعطينك ما يليها وكان
ذلك أضعاف ما طلب الرجل • وكان أبو مرثد أحد الكرماء قد حبه بعض الشعراء فقال للشاعر والله
ما عندى ما أعطيك ولكن تقمعي الى القاضي واقعي على بعشرة آلاف درهم حتى أقر لك بها
ثم احبستي فان أهلي لا يتركوني محبوباً ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع اليه عشرة آلاف درهم وأخرج
أبو مرثد من الحبس • وكان معمر بن زائدة صاملاً على العراقيين بالبصرة فحضر يابه شاعر فقام مدّة
وأراد الدخول على معمر فلم يتهأ له فقال يوماً لبعض خدام معمر إذا دخل الأمير البستان ففرقني فلما
دخل الأمير البستان أعلمه فكسب الشاعر بيتاً على خشبة وألقاها في الماء الذي يدخل البستان
وكان معمر على رأس الماء فلما بصير بالخشبة أخذها وقرأها فإذا مكتوب عليها

أيا جود معمر نايحاً معني حاجتي • فإني الى معمر سؤال شفيح

فقال من صاحب هذه فدعى بالرجل فقال له كيف قلت فقال له بعشر بدر فأخذها ووضع
الأمير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني أخرجها من تحت البساط وقرأها ودعا بالرجل
فدفع اليه مائة ألف درهم فلما أخذها الرجل تفكر وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج فلما كان
في اليوم الثالث قرأ ما فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معمر حتى على أن أعطيه حتى لا يبقى
في بيت مالي درهم ولا دينار • وقال أبو الحسن الدائني خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر
حجاجاً فقامهم أن تقالهم فاعروا وعطشوا وافرأ بهوز في خبائه لما فقالوا له من شراب فقال نعم فأتانا خوار
الها وليس لها الا شربة في كبر الخيمة فقال احلبوها وامتدقوا منها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل
من طعام قالت لا الا هذه الشاة فلذبحها أحكم حتى أهني لكم ما نأكلون فقام اليها أحدهم وذبحها
وكتشها ثم هيأت لهم طعاماً فاكلوا وأقاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نقر من قريش نريد
هذا الوجه فادار جفنا سالين فإني بنا فأتانا صانعون بك خبراً ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فآخرة بغير
القوم والاشاة فغضب الرجل وقال ويلك تدبحين شاتي لقوم لا تعرفهم ثم يقولين نقر من قريش
قال ثم بعد ملة أبلغناهم الحاجة الى دخول المدينة فدخلوها وجعلتا يتلان البعر الهاوي بياعته
ويتبعان فيهنه فزنت البوز بعض سكك المدينة فإذا الحسن بن علي جالس على باب داره فعرف
البوز وهي له منكورة فبعثت غلامه فدعا بالبوز وقال لها يا أمة الله أنعرفني قالت لا قال أنا ضيفك
يوم ككنا وكذا قالت البوز بأبي أنت وأمي أنت هو قال نعم ثم أضر الحسن فاشترى لها من شياه

السدة ألف شاة وأمر لها معها ألف دينار وبعث بها مع غلامه إلى الحسين فقال لها الحسين بكم
 وحملك أختي قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها الحسين أيضا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه
 إلى عبد الله بن جعفر فقال لها بكم وحملك والحسين قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها عبد
 الله بألف شاة وألف دينار وقال لها لو بدأت في لا تبعت ما فرجت العوز إلى زوجها بأربعة آلاف
 شاة وأربعة آلاف دينار • وخرج عبد الله بن عامر بن ريزم المسعدي بمنزله وهو وحده فقام
 البسه غلام من ثقيف فثشي إلى جانبه فقال له عبد الله ألك حاجة يا غلام قال صلاحك وفلاحك
 رأيك ثمشي وحملك فقلت أفك بنفسي وأعود بالله أن طار يخيبك مكره فأخذ عبد الله يديه
 ومشى معه إلى منزله ثم دعا بألف دينار فدفعها إلى الغلام وقال استبق هذه فتم ما أذكك أهلك •
 وحكى أن قوما من العرب جاؤا إلى قبر بعض أسخايم الزبارة فتراوا عند قبره وياتوا عنده وقد كانوا
 جاؤا من سفر بعيد فرأى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك أن تبادل بعبرك
 بنجيري وكان السبي المبت قد خلف نجيبا معروفا به ولهذا الرجل بعبر سمين فقال له في النوم نعم فباعه
 في النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما العقد عد هذا الرجل إلى بعيره فصره في النوم فاقبته الرجل من
 نومه فاذا الدم شيج من تحريكه فقام الرجل فصره وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم منه ثم
 رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم رككب فقال رجل منهم من فلان
 ابن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال أنا فقال هل يعت من فلان بن فلان شيئا وذكر كلبت صاحب
 القبر قال نعم يعت منه بعيري بنجيبه في النوم فقال خذ هذا نجيبه ثم قال هو أبى وقد رأيت في النوم
 وهو يقول أن كنت ابني فادفع نجيبى إلى فلان بن فلان وسماه • وقدم رجل من قريش من السفر
 فترجل من الأعراب على قارة الطريق فقامه الدهر وأضر به المرض فقال يا هذا أضاعني
 الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقي معك من الثقة فادفعه إليه فصب الغلام في حجر الأعرابي أربعة
 آلاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما لي بك لك استقلت
 ما أطمئنا لك قال ولكن ذكرت ما أنا كل الأرض من كرمك فأبكاني • واشترى عبد الله بن عامر من
 خالد بن عتبة بن أبي معيط داره التي في السوق بتسعين ألف درهم فلما كان الليل مع بكاء أهله
 خالد فقال لأهله ما هؤلاء قالوا يكون لدارهم فقال يا غلام اتهم فأعلمهم أن المال والدار لهم جميعا •
 وقيل بعث هارون الرشيد إلى مالك بن أنس رحمه الله بخمسمائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فأنفذ
 إليه ألف دينار فقبض هارون وقال أعطته خمسمائة ونعطيه ألفا وانت من رعتي فقال يا أمير
 المؤمنين إن لي من غلتي كل يوم ألف دينار فاستجيت أن أعطني مثله أقل من دخل يوم • وحكى
 أنهم يحب عليه الزكاة مع أن دخله كل يوم ألف دينار • وحكى أن امرأة سألت الليث بن سعد
 رحمه الله عليه شيئا من عسل فأمر لها بقر من عسل فقيل لها أنها كانت تقع بدون هذا فقال لها
 سألت على قدر حاجتها ونحن نعطها على قدر الحاجة علينا وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى
 يتصدق على ثلثائة وستين مسكينا وقال لا أعمش اشتكت شاة عندي فكان خيشة في عبد الرحمن
 يوردها باللقا والعشي ويسألني هل استوفت علقها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا والها
 وكان يحيى ليدأ جلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت اليد حتى وصل إلى في علة الشاة أكثر من
 ثلثائة دينار من رحتي غنيت أن الشاة تترأ • وقال عبد الملك بن مروان لأسماء بن خارجة بلقي
 منك خصال غدتني بها فقال هي من بعيري أحسن منها مني فقال عزمت عليك ألا تحبتي بها فقال
 يا أمير المؤمنين ما مددت رجلي بين يدي جليسي لي قط ولا صنعت طعاما قط فديعوت عليه قوما

الا كانوا من على مني عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط يسألني شيئا فاستكرت شيئا أعطته ما به
 * ودخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فاذا لم يجد شيئا كتب لمن
 سأله مصكاعا على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر اليه سليمان تمثل بهذا البيت فقال
 اني سمعت مع الصباح مناديا * يا من حين على الفتى العوان
 ثم قال ما حاجتك قال ديني قال وكم هو قال ثلثون ألف دينار قال لك دينك ومثله * وقيل مرض
 قيس بن سعد بن عباد فاستبطأ أخوانه فقبل له انهم يستغيثون عمالك عليهم من الذين قال أخرى الله
 ما لا يمنع الاخوان من الزبارة ثم أمر مناديا فنادى من كان عليه لقيس بن سعد حتى فهو منه يرى
 قال فانكسرت درجته بالعشي لكثرة من زاره وعاده وعن أبي اسحاق قال صليت الغبير في مسجد
 الاشعث بالكوفة اطلب غريما لي فلما صليت وضع بين يدي حلقة ونعلان فقلت لست من أهل
 هذا المسجد فقالوا ان الاشعث بن قيس السكندى قدم البارحة من مكة فامر لكل من صلي
 في المسجد بحلقة ففعلوا وقال الشيخ أبو سعيد الحر كوشى التيسابورى رحمه الله سمعت محمد بن محمد
 الحافظ يقول سمعت الشافعى المخاور بمكة يقول كان بمصر رجل عرف بأن يجمع الفقهاء شيئا فوجد
 لبعضهم مولودا قال فبئت اليه وقلت له ولدي مولود وليس معي شيء فقام معي ودخل على جماعة فلم
 يخرج شيء فإلى امر رجل وجلس عنده وقال رحمك الله كنت فعل وتصنع واني دوت اليوم على
 جماعة فكلفتهم دفع شيء لولد فلم يتقبل شيء قال ثم قام وأخرج دينارا وقسمه نصفين وناولني نصفه
 وقال هذا بين عليك الى أن يخرج عليك شيء قال فأخذه وانصرفت فأصلحت ما اتفق لي به قال فرأى
 ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال سمعت جميع ما قلت وليس لنا ذن في الجواب
 ولكن احضر منزلي وقل لا لادى يحفر وامكان الكون ويجفر جوارق ابيه فيها خمسمائة دينار فاحملها
 الى هذا الرجل فلما كان من القد تقدم الى منزل الميت وقص عليهم القصة فقالوا لما جلس وحفروا
 الموضع وأخرجوا الذنابر وجاؤا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا ما لكم وليس رؤى حكم فقالوا هو
 يشعبي متار لا تشعبي نحن احماء فلما ألحوا عليه حمل الذنابر الى الرجل صاحب المولود وكره
 القصة قال فأخذ منها دينارا فأكسره نصفين فأعطاه النصف الذي أقضيه وحمل النصف الآخر
 وقال يكفيني هذا وتصدق به على الفقراء فقال أبو سعيد فلا أدري أى هؤلاء أمحنى * وروى أن
 الشافعى رحمه الله لما مرض مرض موته بمصر قال مر واقلا يا فضلى فلما توفي بلغه خبر وفاته فغضب
 وقال اشوفى بتذكرة فأتى بها فنظر فيها فاذا على الشافعى سبعون ألف درهم دين فكتبها على نفسه
 وقضاها مع وقال هذا غسلى اياه أى أراد به هذا * وقال أبو سعيد الواعظ الحر كوشى لما قدمت
 مصر طلت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه فرأيت جماعة من أمة اده وزرهم فرأيت فهم سبيما الخبير
 وأثار الفضل فقلت بلغ آخره في انهم وظهروا بركته فهم مستدل بقوله تعالى وكان أبوهما
 صالحا وقال الشافعى رحمه الله لا يزال أحب حماد بن أبي سليمان لشيء بلغني عنه انه كان ذات يوم
 راكبا حماره فمر كه فاقطع زره فمر على خياط فأراد أن ينزل اليه ليسوى زره فقال الخياط والله
 لا تزلت فقام الخياط اليه نسوى زره فأخرج اليه صرة فيها عشرة دنانير فسلها الى الخياط واحتذر
 اليه من قتلها وأثنى الشافعى رحمه الله لنفسه

يا لهف قلبي على مال أجوده * على القليلين من أهل الروايات

ان اعتزلى الى من جاء يسألني * ما ليس منى لمن احدى المصيبات

وعن الربيع بن سليمان قال أخذ رجل بركاب الشافعى رحمه الله فقال يا ربيع أعطه أربعة دنانير

واختذ راليه عنى وقال الربيع سمعت الحديث يقول قدم الشافعى من صنعاء الى مكة بعشرة آلاف دينار فصر بخباءه في موضع خارج عن مكة ونثرها على ثوب ثم أقبل على كل من دخل عليه فيقبض له قبضة فويطي به حتى ينال الظهور ونفض الثوب وليس عليه شئ * وعن أبي ثور قال أراد الشافعى الخروج الى مكة ومعه مال وكان قدامك شيئا من سماحه فقلت له ينبغي أن تشتري هذا المال ضبعة تكون لك ولولدك قال فرج ثم قدم علينا فسالته عن ذلك المال قال ما وجدت بمكة ضبعة بمكنتى أن أشتريها المعرفى بأصلها وقد وقف أكثرها ولكنى بنيت بمكة مضرى ما يكون لأصحابنا إذا جوا أن ينزلوا فيموا أنشد الشافعى رحمه الله نفسه يقول

أرى نفسي تنوق الى أمور * قصر دون مبلتقن مالى
فنفسى لا تطاوعنى بطل * ومالى لا يلقى فعلى

وقال مجيد بن عباد الملهبى دخل أبى على المأمون فوصله بمائة ألف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فأخبر بذلك المأمون فلما عاد اليه طأ به المأمون في ذلك فقال يا أمير المؤمنين منع الموجود سوءة فظن بالمعروف فوصله بمائة ألف أخرى * وقام رجل الى سعيد بن العاص فساله فامر له بمائة ألف درهم فبني فقال له سعد ما يريك قال أبى على الأرض أن تأكل مثلك فامر له بمائة ألف أخرى * ودخل أبو تمام على ابراهيم بن شكلة بأبيات امتدحه بها فوجد عليه لقبيل منه المدحة وأمر حاجبه بنسبه ما يصله وقال صبي أن أقوم من مرضى فأكفته فأقام شهرين فأوحشه طول القام فكسب اليه يقول

ان حراما يقول مدحتنا * وترك ما نرى من الصغد
كالذناير والدرهم في اليسع حرام الايدى

فلما وصل البيتان الى ابراهيم قال لحاجبه كم أقام بالباب قال شهرين قال أعطه ثلاثين ألفا وجئتى بدواة فكسب اليه أهملنا فأتاك عاجل برما * قلا ولوا مهلتنا لم نقل
نغنا القليل وكى كأنك لم تقل * وتكون نحن كأننا لم نقل

وروي أنه كان لعثمان بن طلحة رضى الله عنهما خمسون ألف درهم ففرج عثمان يوما الى المسجد فقال له طلحة قد تهاى ما لك فأقبضه فقال هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك * وقالت سعدى بنت عوف دخلت على طلحة فראيت منه قلا فقلت له ما لك فقال اجتمع عندى مال وقد غنى فقلت وما ليك ادع قومك فقال يا غلام على يقومى قسميه ففهم فسالته الخادم كم كان قال أربع مائة ألف * وجاء أعراى الى طلحة فساله وتقرب اليه رحم فقال ان هذا الرجم ما سألنى بها أحد فليك ان الى أرضها قد أعطاني بها عثمان ثلثمائة ألف فان شئت فأقبضها وان شئت بعها من عثمان ودفع اليك الثمن فقال الثمن فباعها من عثمان ودفع اليه الثمن * وقيل بكي على كرم الله وجهه يومما قيل ما يريك فقال لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله قد أهاننى وإنى رجل صديقا له فدفع عليه الباب قال ما جاء بك قال على أربع مائة درهم دين فوزن أربع مائة درهم وأخرجها اليه وعاد بكي فقلت أمر أنه لم أعطينه إذ شئت فليك فقال ابعأ بكي لاني لم أظفد حاله حتى احتاج الى

مفاتيحي ففرح الله من هذه صفاته وعظم لهم أجمعين

• بيان ذم الضل •

قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وقال تعالى ولا يصعبن الذين يقولون ما أتاهم الله من نفسه هو خير لهم بل هو شر لهم سيطروا يوم القيامة وقال تعالى الذين يقولون وما بأمرؤن الناس بالضل ويكتفون ما أتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس

فانه اهلك من كان قبلك حلمه على أن سفكوا دماءهم واستلوا عمارتهم وقال صلى الله عليه وسلم
 اياكم والشخ فانه دما من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستلوا عمارتهم ودعاهم فقطعوا
 أرجحهم وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة فجيل ولا خب ولا خائف ولا سبي الملكة وفي رواية
 ولا جبار وفي رواية ولا منان وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع
 واشجاب المرمية وقال صلى الله عليه وسلم إن الله يحب من ثلاثه الشخ الزاني والخيل المنان
 والمعل المحتال وقال صلى الله عليه وسلم مثل المتفق والخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد
 من لدن نديهما إلى تراقيهما فأما المتفق فلا يتفق شيئا إلا سبقت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنيه
 وأما الخيل فلا يريد أن يتفق شيئا إلا تلتصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى أخذت بتراقبه فهو يوسعها
 ولا تسع وقال صلى الله عليه وسلم اللهم إني أعوذ بك من الضل وأعوذ بك من الجن وأعوذ بك أن
 أرذل أي أرذل العمر وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة وياكم
 والتعشش ان الله لا يحب القاحش ولا المتعشش وياكم والشخ فانما اهلك من كان قبلكم الشخ أمرهم
 بالكنف فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وقال صلى الله عليه وسلم شر
 ما في الرجل شح هال وجبن خال • وقيل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكته ما كية
 فقالت ولشهيداه فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك انه شهيد فقله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو ينزل
 بما لا ينفعه وقال جبير بن مطعم ينادي نبي الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقالة
 من خير اذ علق برسول الله صلى الله عليه وسلم الا عراب يسألونه حتى اضطرروه الى سمره فخطفت
 رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال أعطوني رداي فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه
 العضاء نعم القسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال عمر رضي الله عنه قسم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قسما قتلته فخره ولا كانوا أحق به منهم فقال انهم يجيرونني بين أن
 يسألوني بالنفس أو يملوني ولست بأسخا وقال أبو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فسألاه عن بعير فأعطاهما دينارين ففرجا من عنده فلقها عمر بن الخطاب رضي
 الله عنه فأتيا وقالوا معروفا وشكرا ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فأخبره بما قال فقال صلى الله عليه وسلم لكن فلان أعطيتهم ما بين عشرة إلى مائة ولم يقل ذلك ان
 أحكم ليسألني في مسأله متأبطها وهي نار فقال عمر فلم تعطيهم ما هو نار فقال يا بون الأأن
 يسألوني وبأي الله في الخيل وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجود في صورة رجل وجعل رأسه راسا
 في أصل شجرة طوبى وشداً عضائها بأغصان سدره انتهى ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا نخل
 بغض عنها أدخله الجنة إلا ان السقاء من الايمان والايمان في الجنة وخلق الخيل من مقتنه وجعل
 رأسه راسا في أصل شجرة الزقوم ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا نخل بغض منها أدخله النار
 إلا ان الخيل من الكفر والكفر في النار وقال صلى الله عليه وسلم السقاء شجرة تثبت في الجنة فلا
 يطغى الجنة إلا سخي والخيل شجرة تثبت في النار فلا يطغى النار إلا بخيل وقال أبو هريرة قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لو فدي الحيا من سيدكم يا بني الحيا قالوا سيدنا جدين قيس إلا انه رجل فيه
 نخل فقال صلى الله عليه وسلم وأي داء أدوا من الخيل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح وفي رواية انهم
 قالوا ان سيدنا جدين قيس فقال لهم تسودونه قالوا انه أكثرنا مالا وأعلى ذلك لئلا نرى منه الخيل فقال
 عليه السلام وأي داء أدوا من الخيل ليس ذلك سيدكم قالوا قيس سيدنا يا رسول الله قال سيدكم بشير بن

البراء وقال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله غرض الخيل في حياته
السيء عند موته وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السيء الجاهل أحب إلى الله من
العابد الخيل وقال أيضا قال صلى الله عليه وسلم الشح والايمن لا يجتمعان في قلب عبد وقال أيضا
خصلتان لا يجتمعان في مؤمن الخيل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لمؤمن أن يكون
مخيلًا ولا جبانًا وقال صلى الله عليه وسلم يقول قائلكم الشيخ أعذر من الظالم وأى ظلم أظلم عند الله
من الشيخ حلف الله تعالى بغيره وعظمته وحلاله لا يدخل الجنة شيخ ولا خيل وروي أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يطوف بالبيت فإذا رجع متعلقًا بأسنار الكعبة وهو يقول بحمرة هذا
البيت الاغترت لي ذبي فقال صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفه لي فقال هو أعظم من أن أصفه لك
فقال ويحك ذنبك أعظم أم الارضون فقال بل ذبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الجبال
قال بل ذبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الجار قال بل ذبي أعظم يا رسول الله قال
فذنبك أعظم أم السموات قال بل ذبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم العرش قال بل ذبي
أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الله قال بل الله أعظم وأعلى قال ويحك صف لي ذنبك قال
يا رسول الله في رجل ذو ثروة من المال وإن السائل ليأني يسألني فكأنما يستعجلني يشعلني نار
فقال صلى الله عليه وسلم البك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لوقت بين
الركن والمقام ثم مضيت إلى ألف عام ثم بكيت حتى تجرى من دموعك الانهار ونسقي بها الاشجار
ثم مت وأنت لئيم لا لكبك الله في النار ويحك أما علمت أن الخيل كقروان الكفر في النار ويحك
أما علمت أن الله تعالى يقول ومن يغفل فاما يغفل عن نفسه ومن روق شح نفسه فأولئك هم المفلحون
(الآثار) قال ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق الله جنه عدن قال لها تربي فتربت ثم قال لها اظهري
أهناوك فأظهرت عين السبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتعبر من خلق الجنان أنها راهاظر
وأهناو العسل واللين ثم قال لها اظهري سرورك وجهائك وكرايسيك وحليك وحائك وحور عينك
فأظهرت فنظر إليها فقال تكلمي فقال طوي لي من دخلني فقال الله تعالى وعزتي لا أسكنك بخيلا
وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز أف الخيل لو كان الخيل قبصا ما لبسته ولو كان طريفا
ما سلكته وقال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أنا العبد بأمر التام مجيد الضلاء لكننا نصبر وقال
محمد بن المنكدر كان يقال إذا أراد الله بقوم شرا أمر عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدي مخلصهم
وقال علي كرم الله وجهه في خطبته أنه سيأتي على الناس زمان غرض بعض الموسر على مافي يده
ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تحسوا الفضل بينكم وقال عبد الله بن عمرو الشيخ أشد من الخيل لأن
الشيخ هو الذي يشح على مافي يده حتى يأخذه وشح بما في يده فيعصبه الخيل هو الذي يغفل بما
في يده وقال الشعبي لا أدري أهما أهدحوراني نار جهنم الخيل أو الكذب وقيل ورد على أنوشروان
حكيم الهند وفسلوف الروم فقال للهندي تكلم فقال خير الناس من ألقى مضاضا ضد الغضب
وقور رافي القول متبائيا وفي الرقة متواضعا وعلى كل ذي رسم مشفق وقام الرومي فقال من كان
مخيلًا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجى وأهل الكذب مذمومون وأهل النجاسة يموتون
قبره ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه وقال الفضائل في قوله تعالى أنا جعلنا في أعناقهم أغلا قال
الجيل أملك الله تعالى أي يدهم عن الثقة في سبيل الله فهم لا يصرون الهدى وقال كعب بن عامر
صباح أوقدوك به ملكان ناديان اللهم عجل لملكنا نلقا وجعل لنا نفق خفا وقال الأصمعي سمعت
أعرابيا قد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان في عيني أعظم الدنيا في عينه وكان يماري السائل

ملك الموت اذا أتاه وقال أبو خيفة رحمه الله لا أرى أن أعدل بخيلا لأن الجبل مجله على الاستقصاء
فأخذ فوق حقه خيفة من أن يبين فن كان هكذا لا يكون مأمون الا مائة وقال علي كرم الله وجهه
والله ما استقصى كريم قطعه قال الله تعالى عرف بعضه وأعرض عن بعض وقال الجاحظ ما بقي
من اللذات الا ثلاث ذم الغلاء وكل التقليد وط الجرب وقال بشر بن الحارث البجلي لأغية له قال
التي صلى الله عليه وسلم انك اذا البجلي ومدحت امرأة صند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
صوامعة فوامعة الا أن فيها بخلا قال فاخيرها اذا وقال بشر النضر الى البجلي يقسى القلب ولقاء الغلاء
كرب على قلوب المؤمنين وقال يحيى بن معاذ ما في القلب للاسقياء الاحب ولو كانوا غيارا والغلاء
الافض ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز أجمل الناس بماله أجودهم مرضه ولقي يحيى بن زكريا عليه
السلام بالبس في صورته فقال له يا بالبس أخبرني بأحب الناس اليك وأبغض الناس اليك قال
أحب الناس الى المؤمن البخل وأبغض الناس الى الفاسق السمي قال له لم قال لأن البخل قد كفاني
بخله والفاسق السمي أخوف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم هو يقول لولا انك يحيى
لما أخبرتكم ﴿حكايات الغلاء﴾

قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدها بعض جيرانه فقدم اليه طباهجه فيبض فأكل منه فأكثر
وجعل شرب الماء فاتنخ بطنه ووزل به الكرب والموت فجعل يتلوى فلما جهده الامر وجفف حاله
لطبيب فقال لا بأس عليك نقبأ ما أكلت فقال هاء أنقبأ طباهجه فيبض الموت ولا ذاك * وقيل
أقبل أعرابي يطلب رجلا وبين يديه تين فطفي التين بكساء ففسر الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن
من القرآن شيئا قال نعم فقرأ والزيتون وطور سين قال وأين التين قال فاحت صكساتك ودعا
بعضهم أخاه ولم يطعمه شيئا فبسه الى العصر حتى اشتجوعه وأخذة مثل الجنون فأخذ صاحب
البيت العود وقال له يا حيي أي صوت تشتهي أن أسمعك قال صوت المقلبي * ويحكى أن محمد بن يحيى
ابن خالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فسل نسب له كان يعرفه عنه فقال له قاتل صف لي ما تدنه
فقال هي تفرق قبري وصحافه منقورة من حب الخشخاش قيل فن يحضرها قال الكرام الكاتبون قال فإني
ياكل معه أحد قال بلي الذباب فقال سواك نبلت وأنت خاص به وثوبك خرق قال انا والله ما أقدر
على أرة أخيطها ولولمك محمد بنان بغداد الى النوبة بمولوا أراهم جاء جبريل وميكائيل ومعهما
يعقوب النبي عليه السلام يطلبون منه أرة ويسألونه امارتهم اياها لغيظ بها قيس يوسف الذي
قدم من درما فقل * ويقال كان مروان بن أبي حفصة لا يأكل اللحم بخلا حتى يفرغ اليه فاذا قدم اليه
أرسل غلامه فاشترى له رأسا فكله قبل له نزالا لأن كل الا لرؤس في الصيف والشتاء فلم يتصار
ذلك قال نعم الرأس أعرف سعره فأن خيانة الغلام ولا يستطيع أن يغيبني فيه وليس يطمع بطمه
الغلام فيقدر أن يأكل منه من مس صينا وأدنا وخنا وقت على ذلك وأكل منه أولواته عليه لونا
وأذنه لونا ولسانه لونا وغلصمته لونا ودماغه لونا وكنى مؤنة بطنه فقد اجتمعت لي فيه مرائق
* وخرج يوما بربنا خليفة المهدي فالت له امرأة من أهلها مالي عليك ان رجعت بالجائزة فقال ان
أعطيت مائة ألف أعطيتك درهم فاعطى مائة ألفا فاعطاها أربعة دنانير * واشترى مائة دنانير
بدرهم فدها صديق له فقرأ اللحم الى القصاب يتقصان دنانير وقال اكره الاسراف * وكان للاعشى
جار وكان لا يزال يمرض عليه المنزل ويقول لو دخلت فأكلت كسرة وملحافتي عليه الاعشى فعرض
عليه ذات يوم فوافق جوع الاعشى فقال سر بنا فدخل منزله فقرأ اليه كسرة وملحافه مسائل
فقال له رب المنزل بورك فيك فاعاد عليه المسألة فقال له بورك فيك فلما سأل الثالث قال له اذهب والا

والله خرجت اليكما العسا قال فتادا لاعمش وقال اذهب ويحك فلا والله ما رأيت أحدا أصدق مواصدا منه هو ومن ثم قد يدعو على كسرة وملغ فلا والله ما زدتني علما

بيان الاشارة وقصته

اعلم أن السقاء والبخل كل منهما يتقسم الى درجات فأرفع درجات السقاء والابشار هو أن يتجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السقاء عبارة عن بذل ما يحتاج اليه المحتاج أو لغير محتاج والبذل مع الحاجة أشد وكما أن السقاوة قد تنتهي الى أن يسخر الانسان على غيره مع الحاجة فالبخل قد ينتهي الى أن يبخل على نفسه مع الحاجة فكذلك من يتجمل بمسئلة المال ويعرض فلا يتداوى ويشقى الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو وجد هاجما تاللا كلها فهذا البخل على نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه فغيره مع انه محتاج اليه فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق عطايا تضعها الله حيث يشاء وليس بعد الاشارة درجة في السقاء وقد أتتني الله على الصحابة رضي الله عنهم به فقال ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اعمأ امرئ اشتى شهوة وفرد شهوته وأثر على نفسه غفلة وقالت عائشة رضي الله عنها ما شيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ولوشئت الشبعان ولكن كما تؤثر على أنفسنا وزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند أهل شيئا قد دخل عليه رجل من الانصار فذهب بالضيف الى أهله ثم وضع بين يديه الطعام وأمر امرأته باطفاء السراج وجعل يمتد به الى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف الطعام فلما أصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من منعة الله اليه التي ضيفكم وزلت ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فالسقاء خلق من أخلاق الله تعالى والابشار أعلى درجات السقاء وكان ذلك من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه الله تعالى عظيما فقال تعالى وإنك لعلى خلق عظيم وقال سهل بن عبد الله التستري قال موسى عليه السلام يارب أرني بعض درجات محمد صلى الله عليه وسلم وأنته فقال يا موسى انك لن تطيق ذلك ولكن أريك منزلة من منازل جليله عظيمة فضله بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السموات فنظر الى منزلة كادت تتلف نفسه من أنوارها وقربها من الله تعالى فقال يارب بماذا بلغت به الى هذه الكرامة قال يخلق اختصاصه به من بينهم وهو الاشارة موسى لا يأبىني أحد منهم قد حمل به وقام من عمره الاستحياء من محاسنه وروا أنه من جنتي حيث يشاء وقبل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعته له فتزل على نخيل قوم وقبض غلام أسود يعمل فيه فذا في الغلام بقوة قد دخل الحائط فكتب ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى اليه الثاني والثالث فأكله وعبد الله يختر اليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آت رب هذا الكلب قال ما هي بأرض كلاب انه جاء من مسافة بعيدة جائعا فذكره أن أشبع وهو جائع قال فأنت صانع اليوم قال أطوى يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر ألا م على السقاء ان هذا الغلام لأخيني فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات فأعق الغلام ووهبه منه وقال عمر رضي الله عنه أهدى الى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال ان أخي كان أخرج مني اليه فبعث به اليه فلم يزل كل واحد يبعث به الى الآخر حتى تناولوه سبعة أبيات ورجع الى الاول وبات على كرم الله وجهه فمضى فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله تعالى الى جبريل وميكائيل عليهما السلام اني أختيت بينكما وجعلت عمرأ حدكما أطول من عمر الآخر فأبكا يؤثر صناجه بالحياة فاختارا كلاهما الحياة وأجاباهما فإوحى الله عز وجل اليهما أفلا كنتم مثل علي بن أبي طالب أختيت بينهما بيني

محمد صلى الله عليه وسلم نبات على فراشه بقدره بنفسه ووثر ما لحياها هطلا الى الارض فاحفظاه من
عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل عليه السلام يقول يخرج من مثلك
يا ابن أبي طالب والله تعالى يباهي بك الملائكة فأنزله الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء
مَرْضاة الله والله رُوْف بالعباد وعن أبي الحسن الانطاكي أنه اجتمع عنده نيف وثلاثون نفسا
وكانوا في قرية يقرب الرى ولهم أرغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغقان وأطغوا السراج
وجلسوا للطعام فلما رفعوا الطعام بحاله ولم يأكل أحد منه شيئا أشارا لصاحبه على نفسه وروى
أن شعبة جاءه سائل وليس عنده شيء ففرغ خشبة من سقف بيته فأعطاه ثم اعتذرا اليه وقال
حذيفة العدوي انطلقت يوم الرموك أطلب ابن عمي شيء من ماء وأنا أقول ان كان به رمن
سقيته ومسحت به وجهه فاذا أنا به قتل أسقيك فأشاراني أن نعم فاذا رجل يقول آه فأشار ابن
عمي الى أن اطلق به اليه قال فخبته فاذا هو هشام بن العاص قتل أسقيك فسمع به آخر فقال آه فأشار
هشام اطلق به اليه فخبته فاذا هو قدمات فرجعت الى هشام فاذا هو قدمات فرجعت الى ابن عمي
فاذا هو قدمات رحمة الله عليهم أجمعين وقال عباس بن دهقان ما خرج أحد من الدنيا كادخلها
الابشر من الحارث فانه أتاه رجل في مرضه فشكا اليه الحاجة ففرغ قصبه وأعطاه أياه واستعار
ثوباً فبات فيه وعن بعض الصوفية قال كاتر سوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا الى باب الجهاد
فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا طاهر الباب اذا نحن بداية مينة فصعدنا الى موضع عال وقعدنا
فلما نظر الكلب الى المنة رجع الى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار ضريرين كلما ناله الى تلك المنة
وقعدنا حية ووقعت الكلاب في المنة فازالت تأكلها وذلك الكلب قاعد ينظر اليها حتى أكلت
المتبقي من العظم ورجعت الكلاب الى البلد فقام ذلك الكلب وجاء الى تلك العظام فأكل ما بقى
عليها قليلا ثم انصرف وقد ذكرنا جملة من أخبار الابرار وأحوال الاولياء في كتاب الفقر والزهد
فلا حاجة الى الاعادة ههنا والله التوفيق وعليه المتكفل فيما يرزقه عز وجل

بيان حد السخاء والبخل وحققتهم

لعلمك تقول قد عرف بشواهد الشرع أن البخل من الهلكات ولكن من أخذ البخل ومجازا يصبر
الانسان ببخلا وما من انسان الا وهو يرى نفسه سخي او مجارا غير ببخلا وقد يصدر فعل من
انسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا ببخل ويقول آخرون ليس هذا من البخل وما من انسان
الا ويجد من نفسه حب المال ولا حيلة يحفظ المال ويمسكه فان كان يصبر بامساك المال ببخلا فانما
لا ينفك أحد عن البخل واما كان الامساك مطلقا لا يوجب البخل ولا معنى للبخل الا الامساك فاما البخل
الذي يوجب الهلاك وما أخذ السخاء الذي يستحق به العبد صفة السخاوة وثوابها فنقول قد قال قائلون
حد البخل منع الواجب فكل من أدى ما يجب عليه فليس ببخل وهذا عركاف فان من برأ العم مثلا
الى القصاب والخبر الخبز بقتصان حبة أو نصف حبة فانه يعد ببخلا بالاتفاق وكذلك من يسلم
الى عياله القدر الذي يرضيه القاضى ثم يضيقهم في ثمة ازداد وها عليه أو تمرأه أكلوا من ماله يعد
ببخلا ومن كان بين يديه رقيق فخر من يظن انه يأكل معه فأخفاه عنه عد ببخلا وقال قائلون
البخل هو الذي يستصعب العطية وهو أيضا قاصر فانه ان أراده به يستصعب كل عطية فكم من
بخل لا يستصعب العطية القليلة كالخبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوق ذلك وان أراده
انه يستصعب بعض البطايا فاما من جواد الا وقد يستصعب بعض البطايا وهو ما يستغرق جميع ماله
أو المال العظيم فهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا من

واسعاف من غير روية وقيل الجود عطاء من غير مسألة على روية القليل وقيل الجود السرور
 بالسائل والفرح بالعطاء لما أمكن وقيل الجود عطاء على روية أن المال لله تعالى والعبد لله عز وجل
 فيعطى عبدا لله مال الله على غير روية الفقر وقيل من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب
 سخاء ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضرر وأثر غيره بالبلغة فهو
 صاحب أثار ومن لم يبدل شيئا فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطية بحقيقة الجود
 والبخل بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن إمساكه عن الصرف
 إلى ما خلق للصرف إليه ويمكن بذله بالصرف إلى ما لا يحسن الصرف إليه ويمكن التصرف فيه
 بالعدل وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل
 والبخل والعدل حيث يجب الامساك تمييز بينهما واسط وهو المحمود ينبغي أن يكون السخاء والجود
 عبارة عنه إذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بالسخاء وقد قيل له ولا تبخل بملك مغلول إلى
 عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال تعالى والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما
 فالجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين البسط والقبض وهو أن تذر بذله وإمساكه بقدر
 الواجب ولا يكتفى أن يفعل ذلك بحوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير متنازع له فيه فان بذل في محل
 وجوب البذل ونفسه تنازعه هو بصار هافه ومتمسح وليس بسجي بل ينبغي أن لا يكون قلبه
 علاقة مع المال إلا من حيث يراد المال له وهو صرفه إلى ما يجب صرفه إليه فان قلت فقد صار هذا
 موقوفاً على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله فأقول إن الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب
 بالمرءة والعادة * والسجي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المرءة فان منع واحدا منهما
 فهو بخل ولكن الذي يمنع واجب الشرع أو بخل كالذي يمنع أدما الزكاة ومنع عياله وأهله النفقة
 أو يؤذي ما ولكنه شق عليه فانه بخل بالطبع وإنما يسمى بالتكلف أو الذي يتيمم الخبيث من
 ماله ولا يطيب قلبه أن يعطى من أطب ماله أو من وسطه فهذا كله بخل * وأما واجب المرءة
 فهو ترك المضائق والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستقيم واستقباح ذلك يختلف بالاحوال
 والاختصاص فمن كثرة ماله استقيم منه ما لا يستقيم من الفقير من المضائق ويستقيم من الرجل
 المضائق مع أهله وأقاربه ومالكه ما لا يستقيم مع الجانب ويستقيم من الجار ما لا يستقيم مع
 البعيد ويستقيم في الضائقة من المضائق ما لا يستقيم في المعاملة فيختلف ذلك بما فيه من المضائق
 في ضيافة أو معاملة وبما فيه من المضائق من طعام أو ثوب إذ يستقيم في الأطعمة ما لا يستقيم في غيرها
 ويستقيم في شراء الكفن مثلاً أو شراء الأخصية أو شراء خبز الصدقة ما لا يستقيم في غيرهن من المضائق
 وكذلك من معه المضائق من صديق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولد أو أجنبي ومن منه المضائق
 من صبي أو امرأة أو شيخ أو شاب أو عالم أو جاهل أو موسر أو فقير فالعقل هو الذي يمنع حيث
 ينبغي أن لا يمنع أما بحكم الشرع وأما بحكم المرءة وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل هذا الخلل
 هو إمساك المال عن غرض ذلك الغرض هو أهم من حفظ المال فان صيانة الدين أهم من حفظ المال
 فانما الزكاة والنفقة بخل وصيانة المرءة أهم من حفظ المال والمضائق في الدقائق مع من لا تحسن
 المضائق معه هانك ستر المرءة لحب المال فهو بخل ثم تبقى درجة أخرى وهو أن يكون الرجل من
 يؤذي الواجب ويحفظ المرءة ولكن معه مال كثير قد جمعه ليس يصرفه إلى الصدقات وإلى
 المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون
 رافعا لدرجته في الآخرة وإمساك المال عن هذا الغرض بخل عند الأكاس وليس بغل عند عوام

الخلق وذلك لان نظر العوام مقصور على حفظ الدنيا فيرون امساكهم لدفع الزمان مهما
 وزعما يظهر عند العوام ايضا شدة الجمل عليه ان كان في جوارده محتاج دفعه وقال قد أدبت الزكاة
 الواجبة وليس على غيره ما يختلف استقياح ذلك باختلاف مقدار ما له باختلاف شدة حاجة
 المحتاج وصلاح دينه واستحقاقه فمن أدى واجب الشرع ووجب المروءة لا لا تقصده فقد تبرأ من
 الخلل نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبدل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة وتبيل المدرجات
 فاذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجب الشرع ولا توجه اليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر
 ما يتسع له نفسه من قليل أو كثير ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس أجود من بعض فاصطناع
 المعروف ورأه ما توجه العادة والمروءة هو الجود ولكن بشرط أن يكون عن طيب نفس ولا يكون
 عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء فان من طمع في الشكر والثناء فهو باع وليس
 بجواد فانه يشتري المدح بالمال والمدح الذي هو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشيء من غير عوض
 هذا هو الحق ولا يتصور ذلك الا من الله تعالى وأما الذي فاسم الجود عليه مجازا لا يبذل الشيء
 الا لفرض ولكنه اذا لم يكن غرضه الا الثواب في الآخرة أو اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس
 عن رذالة الخلل فسمى جوادا فان كان الباعث عليه الخوف من الهباء مثلا أو من ملامة الخلق
 أو ما يتوقعه من نفع يتاله من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لانه مضطر اليه بهذه البواعث
 وهي أعراض مجتهلة له عليه فهو معارض لجواد كإروى عن بعض التعبدات انها وقفت على حبان
 ابن هلال وهو جالس مع أصحابه فقالت هل فيكم من أسأله عن مسألة فقالوا لها سألني عما شئت
 وأشاروا الى حبان بن هلال فقالت ما السخاء عنكم قالوا العطاء والبذل والاشارة قالت هذا
 السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قالوا أن نعبد الله سبحانه سجنه بها أنفسنا غير مكرهه قالت
 تريدون على ذلك أجر قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله تعالى وعدنا بالجنة عشر أمثاله قالت سجن
 الله فاذا أعطيت واحدة وأخذت عشرة فبأي شيء ترضى عليه قالوا لها ما السخاء عنكم برحمك الله
 قالت السخاء عندي أن تعبدوا الله متبعين مثل الذين يطاعونه غير كراهين لا تريدون على ذلك أجر
 حتى يكون مولاكم بفعل بكم ما يشاء ألا تسبحون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها انكم تريدون
 شيئا بشئ ان هذا في الدنيا القبيح وقالت بعض التعبدات أتخسبون أن السخاء في الدرهم والدينار
 فقط قيل نعم قالت السخاء عندي في الحج وقال المحاسبي السخاء في الدين أن تسخر بنفسك لتفهاقه
 من زوجك وتسخر قلبك لبذل مهنتك وأهراق دمك لله تعالى بسماحة من غير كراه ولا تريد ذلك
 ثوبا عاجلا ولا عاجلا وان حكمت غير مستغن من الثواب ولكن تغلب على ظنك حسن كمال السخاء
 بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل لك ما لا تحسن أن تختاره لنفسك

في علاج الخلل

اعلم أن الخلل سببه حب المال وحب المال سببان * أحدهما حب الشهوات التي لا وصول اليها
 الا بالمال مع طول الأمل فان الانسان لو علم انه يموت بعد يوم ربهاته كان لا يبذل بماله اذا القدر
 الذي يحتاج اليه في يوم أو في شهر أو في سنة فربما كان قصيرا الأمل ولكن كان له أولاد أقام
 الولد مقام طول الأمل فانه بقدر بقاءهم كبقاء نفسه فبذلك لا جملهم ولذلك قال عليه السلام الولد
 ميتة مجتمعة فاعاد انقصاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بجي الرزق قوي الخلل لا محالة *
 السبب الثاني أن يحب عين المال في الناس من معه ما يكتفيه لبقية عمره اذا اقتصر على ما جرت به
 عادته ببقته وتفضل آلايه وهو شيخ بلا ولد ومعها أموال كثيرة ولا تسمع نفسه باخراج الزكاة

ولا بد اذ اوة نفسه عند المرض بل صار محالدا نرا عاشقا لها بلذ وجودها في يده وقد رثه عليها
فبكرة ماتحت الارض وهو يعلم أنه يموت فتضيع أو يأخذها أعداؤه ومع هذا فلا تسمع نفسه بأن
يأكل أو يتصدق بمن يحبها واحدة وهذا مرض القلب عظيم عسير العلاج لا سيما في كبر السن وهو
مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثاله صاحبه مثال رجل عشق شخصاً فاحب رسوله لنفسه ثم
نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول يبلغ الى الحاجات فصارت محبوبه لذلك لان
الموصل الى اللذيذ الذي تم قد تسمى الحاجات وبصر للذهب عنده كأنه محبوب في نفسه وهو غاية
الفضلال بل من رأى عينه وبين الخمر فرقا فهو جاهل الامن حيث قضاء حاجته به فالفاضل من قدر
نجاته من الخمر بمثابة واحدة فهذه أسباب حب المال وانما علاج كل علة بضاد فسيبها فاعالج حب
الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر وصالح طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران
وطول تعمق في جمع المال وضبابه بعدهم وتعالج النفقات القلب الى الولدان فان خالقه خلق معه رزقه
وكرمه ولم يلزمه من أبيه مالا وطله احسن ممن ورثه وبان يعلم انه يجمع المال لولده يرثه ان يترك
ولده بخير ويقلب هو الى شر وان ولده ان كان قتيلا يخاف الله كأنه لو ان كان فاسقا فاستغن عن ماله
على العصبية وترجع مغلته اليه وما يجأ يضاق قلبه بكثرة التأمل في الاخبار الواردة في ذم البخل
ومدح السخاء وما وعد الله به على البخل من العقاب العظيم ومن الادوية النافعة لكثرة التأمل
في أحوال الخلاص نفرة الطبع عنهم واستقباحهم له فانه ما من يميل الا ويستمتع البخل من غير
ويستقل كل يميل من أصحابه فيعلم انه مستقل ومستغنى في قلوب الناس مثل سائر الخلاص في قلبه
وما يجأ يضاق قلبه بان يتفكر في مقاصد المال وانه لما تخلق ولا يفتقر من المال الا بقدر حاجته اليه
والباقي يذخره لنفسه في الآخرة بان يحصل له ثواب بذله فهذه الادوية من جهة المعرفة والعلم فاذا
عرف بنور البصرة ان البذل خير له من الامساك في الدنيا والآخره هاجت رغبته في البذل ان كان
حائلا فان تحركت الشهوة فينبغي ان يجيب الحائط الاول ولا يتوقف فان الشيطان بعده الفخر
ويخونه ويصدته ٥ حكى أن أبا الحسن للبوشنجي كان ذات يوم في الخلافة قد أتته الموقال
الزعر منى القيص ولقد فعل الى ذلك فقال هلا صيرت حتى تخرج قال لم آمن على نفسي أن أشتري وكان
قد خطر في بذه ولا ترول صفة البخل الا ان البذل تكلفا كما لا يزول العشق الامفارقة المشوق بالسفر
من مستقره حتى اذا سافر وفارق تكلفا وصيرته مدة تسلي عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج
البخل ينبغي أن يفارق المال تكلفا بان يبذله بل لو زماه في الماء كان أولى بذهن امساكه اياه مع
الحب له ومن لطائف الحيل فيه أن يمدح نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد
الرياء حتى تسمع نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد أزال عن نفسه حب البخل
واكتسب ما خبت الرياء ولكن ينطف بعد ذلك على الرياء ويرى به بعلاج يكون طلب الاسم
كالسلسلة النفس عند فطامها عن المال كما قد يسلي الصبي عند الفطام من الثدي بالعصا والعصافير
وغيرها لا لينزل والعصا ولكن لينقل من الثدي اليه ثم يقل منه الى غير ذلك هذه الصنفات
الخبثية ينبغي أن يسلط بعضها على بعض كما تسلط الشهوة على الغضب وتكسر سورته بها وتسلط
الغضب على الشهوة وتكسر رمونه بها الا ان هذا مفيد في حق من كان البخل أعظم عليه من حب
الجاه والرياء فيبذل الاقوى بالآخره فان كان الخلق محموا عند عكامل فلا فائدة فاعالج طمعا في
علة تزيه ينفى أخرى مثله الا ان علامته ان لا يتقبل عليه البذل لاجل الرياء فيبذل بغير ان لا يراه
أعظم عليه فان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي أن يبذل فان ذلك يدل على ان مرضه البخل

أغلب على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها بعض ما يقال ان الميت تستقبل جميع أجزائه ودوا
ثم يأكل بعض المديان البعض حتى يقل عددها ثم يأكل بعضها بعضا حتى ترجع الى اثنين قوتين
عظيمتين ثم لا تزالان تتحاذيان الى أن قلب أحدهما الأخرى فتأكلها وتضمن بها ثم لا تزال تبقى
جائفة وحدها الى أن تموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن أن يسلط بعضها على بعض حتى
تفنيها ويجعل الأضعف قوتا الأقوى الى أن لا يبقى الا واحدة ثم تقع العناية بحورها وادائها بالحادثة
وهو منع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات أن لا يعمل بمقتضاها فانها تقتضي لأعمالا وإذا
خولفت خدعت الصفات وماتت مثل الجمل فانه يقتضي إمساك المال فاذا منع مقتضاه وبذل المال
مع الجهد ثم بعد أخرى ماتت صفة الجمل وصار البذل طبعاً وسقط التعب فيه فان علاج البذل يعلم
وعمل العالم يرجع الى معرفة آفة الجمل وقائده الجود والعمل ترجع الى الجود والبذل على سبيل
الكفوف ولكن قد يقوى البذل بحيث يعي ويصم فيمنع تحقق المعرفة فيه وادلم تحقق المعرفة لم تترك
الرضية فلم يتيسر العمل فتبقى العلة مرضية كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء وإمكان استعماله فانه
لا حيلة فيه الا الصبر الى الموت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية في معالجة علة البذل في الريدين
أن يتعمهم من الاختصاص بزواياهم وكان اذا توفهم في مرصد فرجهم زاورته وما فيها فتهل الى زاوية
غيرها وتقل زاوية غيره اليه وأخرجه من جميع مملكه واذا رآه يلتفت الى ثوب جديد يلبسه
أو سجادة يفرح بها مرة بقلبيها الى غيره ويلبسه ثوبا خفلا لا يميل اليه قلبه فهذا اتباع في القلب عن
مبتاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل أنس بالدنيا وأحبا فان كان له ألف متاع كان له ألف محبوب
ولذلك اذا سرق كل واحد منهم ألت به مصيبة بقدر حبه له فاذا مات تزل به ألف مصيبة دفعة واحدة
لانه كان يحب الكل وقد سلب عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالقدور والملاك * حمل الى
بعض الملوك قدح من فير وزج من صمغ بالجواهر لم ير له نظير ففرح الملك بذلك فرحاً شديداً فقال
لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال أراه مصيبة أو فقرا قال فكيف قال ان كسر كان مصيبة
لأنجر لها وان سرق صرت فقرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل أن يعمل البذل في أمن من المصيبة
والفقير ثم اتفق بر ما أن كسر أو سرق وعظمت مصيبة الملك عليه فقال صدق الحكماء لسته لم يعمل الدنيا
وهذا شأن جميع أسباب الدنيا فان الدنيا عذوة لأعداء الله إذ تسوقهم الى النار وعذوة أولياء الله
إذ تقهم بالصبر عنها وعذوة الله إذ تقطع طريقه على عباده وعذوة نفسها فانها تأكل نفسها فان
المال لا يحفظ الا بالغنائم والحراس والغنائم والحراس لا يمكن تحصيها الا بالمال وهو بذل الدراهم
والدنانير فالمال يأكل نفسه ويضاد ذاته حتى يقضي ومن عرف آفة المال لم يأنس به ولم يفرح به ولم
يأخذ منه الا بقدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يضل لان ما أمسكه لحاجته فليس يضل وما لا
يحتاج اليه فلا يفتن نفسه بملحظته فينقله بل هو كالماء على شط الدجلة لا يضل به أحد لقناعته الناس
منه بمقدار الحاجة

❦ بيان مجموع الوظائف التي على الصدق ماله ❦

أعلم أن المال كأوصفناه خبر من وجهه وشئ من وجهه ومثاله مثال حية يأخذها الرافق ويستخرج
فنها الترياق ويأخذها الغافل فيقتله سمها من حيث لا يدري ولا يتخلو أحد عن سم المال الا بالمحافظة
على الخمس ووظائف (الاولى) أن يعرف مقصود المال وان لم يداخله وان لم يحتاج اليه حتى يكتسب
ولا يحفظ الا قدر الحاجة ولا يعطيه من همة فوق ما يستحقه (الثانية) أن يراعى جهة دخل المال
فيستب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام كالسلطان ويحجب الجهات المكرهه والقادة
في المروءة كالمدا التي فيها شوائب الرشوة والسؤال الذي فيه الذل وهتك الروء وما يجرى مجراه

(الثالثة) في المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعاودة الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلاث درجات أدنى وأوسط وأعلى وما دام ما مثالي جانب القلة ومقتدر بام حذ الضرورة كان محتاجا ويحي من جهة المحتفين وان جاو ذلك وقع في هاوية لا آخر لمعها وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد (الرابعة) أن يرعى جهة المخرج ويتصدق في الاتفاق غير مبذور ولا متركز كذا يفتق ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاثم في الاخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء (الخامسة) أن يصلح بيته في الاخذ والترك والاتفاق والامساك فذا أخذ ما يأخذ ليستعين به على العادة وترك ما ترك زاهدا فيه واستحقار الله وإذا فصل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال علي رضي الله عنه لو أن رجلا أخذ جميع مافي الارض وأراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرده وجه الله تعالى فليس بزاهد فلكن جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة أو ما يعين على العبادة فان أهدا حركاتك عن العبادة الاكل وقضاء الحاجة وهما معنيان على العبادة فاذ كان ذلك فصدك هما صار ذلك عبادة في حقتك وسكناتك ينبغي أن تكون لتتأكد في كل ما يحفظك من نقص وازار وفراش وآية لأن كل ذلك مما يحتاج اليه في الدين وما فضل من الحاجة ينبغي أن تصد به أن يتفق به عباد عباد الله ولا يمنعه منه عند حاجته من فضل ذلك فهو الذي أخذ من حية المال جوهر هارور يا قها واتق سها فلا تضره كثرة المال ولكن لا تبا في ذلك الا لمن رغب في الدين قدمه وعظم فيه عمله والعاقبة اذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم انه يشبه اعيان الصباية شابه العبي الذي يرى العزم الحادق ياخذ الحبة ويصرف فيها فخرج ربا قها فتهدي به وطقن انه أخذها مستحسن سوزها وشكلها ومستلينا جلدها فباخذها اقتدابه فتشبه في الحال الا أن قبل الحبة يندى الله قبل وقبل المال قد لا يعرف وقد شمت الدنيا بالحبة قبل.

هي دنيا كيفة تفت السهم وان كانت الحبة لائم

وكما يستعمل أن تشبه الاممى بالبصر في تخطي قل الجبال اطراف العار والطرق المشوكة فحال أن تشبه العاقبة بالعالم الكامل في تناول المال **بيان ذم الغنى ومدح الفقر**
اعلم أن الناس قد اختلفوا في تفضيل الغنى الشاكر على الفقير الصابر وقد اوردنا ذلك في كتاب الفقر والاهدو وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكافي هذا الكتاب يدل على أن الفقر أفضل وأعلى من الغنى على الجملة من غير التفات الى تفصيل الاجوال وتقتصر فيه على كتابة فصل ذكره الحارث المحاسبي رضي الله عنه في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الاعتناء بحت باعشاء الصباية ويكثر مال عبد الرحمن بن موف وشبه نفسه بهم والمحاسبي رحمه الله حرا لامة في علم العالم له وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الاعمال وأغوار العبادات وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه وقد قال بعد كلام في الرد على علماء السوء بلقاء أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال يا عباد الله السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحسبون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم أن تتوبوا وتجودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تكونوا كالمخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه الخثالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى النمل في صلبكم ما عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم إن خلوتكم بنكي من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم فصالح الدنيا أحب

اليكم من صلاح الآخرة فأبى الناس أخسر منكم لو فعلون وبلغ حتام تصفون الطريق للبدلين
 وقيمون في محل التصبر كأنكم تدعون أهل الدنيا ليركوهالك مهلهلا وبلغ ماذا غنى عن
 البيت المنظم أن يوضع المراح فوق ظهره وجوفه وحش منظم كذلك لا يفتني عنكم أن يكون نور
 العلم بأفواهكم أو جوافكم منه وشعة معطلة بأعبيد الدنيا لا كعبيد أقبالا ولا كخرازم توشك
 الدنيا أن تلعنكم عن أصولكم فتلقكم على وجوهكم ثم تنكسكم على مناخركم ثم تأخذ غطايكم بنواصيركم
 ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلككم إلى الملك الديان هراة فردى فوقكم على سوا تكم ثم يجزىكم بسوء
 أعمالكم ثم قال الحارث رحمه الله اخواني فقولاء علماء السوء شياطين الانس وقننة على الناس
 رضوا في مرض الدنيا ورفضوا آخر وهما على الآخرة وأذلوا الدين بالدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي
 الآخرة هم الخاسرون أو يقولوا الكبريم بفضله وبعد فاني رأيت الملك الموتى للدنيا سروره مزروج
 بالتمنيص فيستعبر عنه أنواع الحموم وقنن المعاصي وإلى البوار والتلف مصيره وفرح الملك أرحاء
 فلم يبق له دنياه ولم يسلم لدينه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين فبالهامن مصيبة
 ما أظفها ورزية ما أجلها الأفرأقوا الله اخواني ولا يفرنكم الشيطان وأولياؤهم من الأنسين
 بالحجج الداحضة عند الله فاتهم بكالون على الدنيا ثم يظلمون لأنفسهم المعادي والنجى وزعمون أن
 أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم أموال فبترين المغرورون بذلك الصباية ليعذرهم
 الناس في جمع المال ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون ويحك أيها المفقون ان احتياجك بمال
 عبد الرحمن بن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بما على لسانك فذلك لا تذكعني زعمت أنه أخيار
 الصباية أرادوا المال للتكاثر والشرف والرياسة فقد انتبت السادة ونسبتم إلى أمر عظيم ومضى
 زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه فقد ازدريت محمد والمرسلين ونسبتم إلى قلة
 الرضة والزهد في هذا الخير الذي رقيت فيه أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتم إلى الجهل اذ لم
 يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى من تركه فقد زعمت أن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم لن يجمع لامة اذنهاهم من جمع المال وقد علم أن جمع المال خير لامة قد شتمهم زعمك
 حين ناههم عن جمع المال فكذب ووب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فليدركك لامة
 ناصحا وطمعهم مشفقوهم رؤفا ومتى زعمت أن جمع المال أفضل فقد زعمت أن الله عز وجل لم ينظر
 لعباده حين ناههم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير لهم أو زعمت أن الله تعالى لم يعلم أن الفضل
 في الجمع فذلك ناههم منه وأنت علم بما في المال من الخير والفضل فذلك رغبته في الاستكثار
 كأنك أعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك أيها المفقون تدبر بعقلك ما ذهالك به
 الشيطان حين زين لك الاحتياج بمال الصباية ويحك ما ينفعك الاحتياج بمال عبد الرحمن بن عوف
 وقد وعد عبد الرحمن بن عوف في القيامة أنه لم يوف من الدنيا الا قوتا ولقد بلغني انه لما توفي عبد الرحمن
 ابن عوف رضى الله عنه قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اننا نخاف على عبد
 الرحمن فيما ترك قال كعب سبحانه الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وأفق طيبا وترك
 طيبا فليخلف ذلك أباذر يفرج مغضبا يريد كما فرمضهم على بعير فأخذ بيده ثم انطلق يريد كعبا قيل
 لكعب ان أباذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر وأقبل أبوذر
 يقص الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا
 من أن يذره فقال له أبوذر هيا إلى اليهودية ترع أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف ولقد خرج
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نحو أحد وأنامعه فقال يا أباذر قلت ليليك يا رسول الله فقال

الآخرون هم الأقلون يوم القيامة الامن قال هكذا وهكذا من عيته وشماله وقد آمنه وحقه وقابل ما هم ثم قال يا اباذر قلت نعم يا رسول الله باني أنت وأخي قال ما يسرني أن لي مثل أحد أنفقه في سبيل الله أموت يوم أموت وأترك منه قيراطين قلت أو قنطارين يا رسول الله قال بلي قيراطان ثم قال يا اباذر أنت تريد الاكثر وأنا اريد الاقل فرسول الله يريد هذا وأنت تقول باني اليهودية لئلا يسامرتك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرذ عليه خوفا حتى خرج به بلفظا أن عبد الرحمن بن عوف قد دفنت عليه عير من اليمن فضجعت المدينة من حجة واحدة فقالت عائشة رضي الله عنها ما هذا قيل عير قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك عبد الرحمن فسألها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني رأيت الجنة فرأيت قراء المهاجرين والمسلمين يدخلون فيها ولم أر أحدا من الاغنياء يدخلها معهم الا عبد الرحمن بن عوف رأيت أنه يدخلها معهم جنوا فقال عبد الرحمن ان العرو وما عليها في سبيل الله وإن أرقاهما الحرار لعل أن أدخلها معهم سمعا * وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف أما لك أول من يدخل الجنة من أعتبنا أم تمى وما كدت أن تدخلها الا جوازه ويحك أي المقنن في احتياجك بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وقواه وصنائه المعروف ببله الاموال في سبيل الله مع محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بشره بالجنة ايضا وقف في مرصات القيامة وهو الها بسبب مال كسبه من حلال لا تخفف ولصنائع المعروف وأتق منه قسدا أو أعطى في سبيل الله من ممانع من السعي الى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو في آثارهم جوازا تنك بأمانتنا الفرق في فن الدنيا وبعد فاجبت كل الجبلك يا مفتون تفرغ في تحاليل الشبهات والسبع وتكالب على أوساخ الناس وتقلب في الشهوات والزخو الباهية وتقلب في فن الدنيا ثم تخرج بعبد الرحمن وتزعم انك ان جعلت المال فقد جمعه الصحابة كأنك أشبهت السلف وقولهم ويحك ان هذا من قياس البليس ومن قتياله لا وليا له وسأصف لك أحوالك وأحوال السلف لتعرف قضايتك وفضل الصحابة ولعمري لقد كان لبعض الصحابة أموال أرادوا تخفف والبذل في سبيل الله فكسبو احلاوا وكلو اطيا وانفقوا قسدا وقدموا فضلا ولم تمنعوا منها حقوا ولم يملوا بها السكهم جادوا بالله بيا كثرها جاد بعضهم جميعها وفي الشدة آثروا الله على أنفسهم كثيرا فبالله كذلك أنت والله انك لعبد الله بالقوم وبعد فاني اخبر الصحابة كانوا للسكنة محبين ومن خوف الفقراء آمنين وباللحق أزراهم وأتقن وعقاد بالله مسرورين وفي البلاء راغبين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السرار محامدين وكانوا الله متواضعين وعن خب العكرو الذكرو وعين لم يتاوا من الدنيا الا للباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارها وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعمها وزهروا بها الله كذلك أنت ولقد بلغنا أنهم كانوا اذا قلت الدنيا عليهم حزوا وقالوا ذنب عجلت عقوبتهم من الله تعالى واذا رأوا الفقر مقبلا قالوا سر حبا ينشأ الصالحين وبلغنا أن بعضهم كان اذا أصبح وعند صلاه شيء أصبح كشيئا حزنا واذا لم يكن عندهم شيء أصبح فرحا مسرورا فقيل له ان الناس اذا لم يكن عندهم شيء حزوا واذا كان عندهم شيء فرحوا وانت لست كذلك قال اني انا أصبحت وليس عندي شيء فرحت اذا كان لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة واذا كان عندي شيء انعمت اذ لم يكن لي بال محمدنا سوة وبلغنا أنهم كانوا اذا سلك بهم سبيل الرخاء حزوا واشفقوا قالوا ما لنا وللدنيا وما رادها فكانهم على جناح خوف واذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الان تعاذهنا ربنا فهذه أحوال السلف ونعمهم وفهم من الفضل أكثر مما وصفنا الله كذلك أنت انك لعبد الله

بالقوم وسأصف لك أحوالك أما المقتنون ضد الأحوالهم وذلك أنك تطعن عند الغنى وتبتر عند
الرخاء وترحم عند السراء وتقف من شكر ذي النعماء وتبسط عند الضرر وتخط عند البلاء ولا
ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتأنف من المسكنة وذلك خبر المرسلين وأنت تأنف من فقرهم
وأنت تدخر المال وتجمعه خوفاً من الفقر وذلك من سوء الظن بالله عز وجل وقلة اليقين بضمائه وكفى
به إثماً وعساك تجمع المال لنعم الدنيا وزهرتها وشبهاتها ولذاتها ولقد بلغنا أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال شر أمتي الذين غنوا بالنعم قربت عليه أجسامهم وبلغنا أن بعض أهل العلم قال
لبي يوم القيامة قوم يطلبون حسنات فلم يقال لهم أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها
وأنت في غفلة قد حرمت نعم الآخرة بسبب نعم الدنيا فيها حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال
للتكاثر والعلو والعز والرفعة في الدنيا وقد بلغنا أنه من طلب الدنيا التكاثر أو للتفاخر في الله وهو
عليه غضبان وأنت غير مكتر بمباحل بك من غضب ربك حين أردت التكاثر والعلو نعم وعساك
المكث في الدنيا أعجب إليك من النقلة إلى جوار الله فأنت تكره لقاء الله ولقاءك أكره وأنت
في غفلة وعساك تأسف على ما فاتك من عرض الدنيا وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من أسف على دنياه فاته أقرب من النار مسيرة شهر وقيل سنة فأت تأسف على ما فاتك خبر
مكثرت قربك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك أحياناً بالتوفيق فربنا تفرح بأقبال الدنيا
عليك وترتاح لذلك سروراً بها وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب الدنيا وسرورها
ذهب خوف الآخرة من قلبه وبلغنا أن بعض أهل العلم قال أنك تحاسب على التفرغ على ما فاتك من
الدنيا وتحاسب بفركك في الدنيا إذا قدرت عليها وأنت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله
تعالى وعساك تعنى بأمور دنياك أضعاف ما تعنى بأمور آخرتك وعساك ترى مصيبتك
في معاصيك أهون من مصيبتك في انتقام دنياك نعم وخوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك
من الذنوب وعساك تبدل للناس ما جمعت من الأساخ كلها للعلو والرفعة في الدنيا وعساك ترضى
المخلوقين مسأخطة تعالى كعبا تكرم وتعتظم ويحك فكان احتقار الله تعالى لك في القيامة أهون
عليك من احتقار الناس إياك وعساك تتقي من المخلوقين مساوياً ولا تتكره بطواع الله عليك فيها
فكان الفضيحة ضد الله أهون عليك من الفضيحة ضد الناس فكان العبد أعلى عندك قدراً من الله
تعالى اللهم من جهلك فكيف تنطق عند ذرى الآليات وهذه المثل بك أفك مثلت بالآقدار
وتحجج بمال الأبرار هيأت هيأت ما أبعدك من السلف الأخيار والله لقد بلغني أنهم كانوا أقاموا حل
لهم أزهدهم فكيف حرم عليك أن لا بأس به عندكم كان من المواقف ضدكم وكانوا الزلة الصغيرة
أشد أستهظاها منكم لكثير المعاصي فليت أطيب مالك وأحله مثل شبات أموالهم وليتك اشفت
من سيئاتك كما اشفتوا على حسناتهم أن لا تقبل لست عنزومك على مثال افطارهم وليت اجتهدك
في العبادة على مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من سيئاتهم وقد بلغني عن
بعض الصحابة أنه قال عتبة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهتهم ما زوى عنهم منها لم يكن كذلك
فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة فسيما الله كبر بين الفريقين من التفاوت فرب خبار الصحابة
في العلو عند الله فربن أمثالكم في السفالة أو يعفو الله الكريم بفضلهم وبعد فأنك ان زعمت أنك
متأس بالصحابه بجميع المال للتعفف والبذل في سبيل الله فتدبر أمرك ويحك هل تجد من الحلال
في دهرك كما وجدوا في دهرهم أو تحسب أنك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا لقد بلغني أن بعض
الصحابة قال كنت ع سبعين يوماً من الحلال مخافة أن تقع في باب من الحرام أقطع مع نفسك في مثل

هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما أحسبك كذلك ويحك كن على يقين أن جمع المال لأعمال البر
مكر من الشيطان ليوقعك بسبب البر في اكتساب الشهات المزوجة بالسهة والحرام وقد
بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اجتأ على الشهات أو شك أن يقع في الحرام أيها
المفروء وأما علم أن خوفك من إتمام الشهات أعلى وأفضل وأعظم لقد ترك عند الله من اكتساب
الشهات وبطلاني في سبيل الله وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض أهل العلم قال لأن تدع ذرهما واحدا
لخافة أن لا يكون حلالا خبرك من أن تصدق بألف دينار من شبهة لا تدري أي أجل لك أم لا فان
زعمت أنك أتيت وأورع من أن تتلبس بالشهات وانما جمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل
الله ويحك ان كنت كازعت بالغافي الورع فلا تعرض للحساب فان خيار الصحابة خافوا المسألة
وبلغنا أن بعض الصحابة قال ما سرتني أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وأنفقها في طاعة
الله ولم يشغلني الكسب عن صلاة الجمعة قالوا ولم ذلك رحل الله قال لا في غنى عن مقام يوم القيامة
فيقول عبدي من أين أكتسبت وفي أي شيء أنفقت فهو لاء المتقون كانوا في جدة الاسلام والحلال
موجود لديهم تركوا المال وجلالهم الحساب بخافة أن لا يقوم خبر المال بشرة وأنت بغاية الامن
والحلال في دهرك معقودتكا لب على الاوساخ ثم زعم أنك جمع المال من الحلال ويحك أين الحلال
فقبضه وبعده لو كان الحلال موجودا لكانت الدنيا أمانا أنت في شغل عند الغنى فليكن وقد بلغنا أن بعض
الصحابة كان يرب المال الحلال فمتركة خفافة أن خسر قلبه أو قطع أن يكون قلبك أتيت من قلوب
الصحابة فلا يزال من شيء من الحق في أمرك وأحوالك لن نلنت ذلك لقد أحسنت الظن بنفسك
الامارة بالنسوة ويحك اني لك ناصح أرى لك أن تدع بالباقية ولا تجمع المال بأعمال البر ولا تعرض
للساب فانه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من توشى في الحساب عذب وقال
عليه السلام يؤتى رجل يوم القيامة وقد جمع ما لا من حرام وأتته في حرام فيقال اذهبوا به الى النار
ويؤتى رجل قد جمع ما لا من حلال وأنفق في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى رجل قد جمع
ما لا من حرام وأنفق في حلال فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى رجل قد جمع ما لا من حلال وأنفق
في حلال فيقال له قف لعلك قصرت في طلب هذا شيء مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها
وفرطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول لا يا رب فكسبت من حلال وأنفقت
في حلال ولم أضيع شيئا مما فرضت علي فيقال لعلك اخلت في هذا المال في شيء من مركب أو ثوب
باهيت به فيقول لا يا رب لم أخل ولم أباه في شيء فيقال لعلك منعت حق أحد أمرتك أن تخطيه من
ذرى القرى والنساء والمسالكين وان السبيل فيقول لا يا رب كسبت من حلال وأنفقت في حلال
ولم أضيع شيئا مما فرضت علي ولم أخل ولم أباه ولم أضيع حق أحد أمرتني أن أعطيه قال فيبي
أولئك فيناصونه فيقولون يا رب أعطينته وأغنيته وجعلته بين أظهرنا وأمرته أن يعطينا فان كان
اعطاهم وما ضيع مع ذلك شيئا من الفرائض ولم يتحل في شيء فيقال قف الآن هات شكر كل نعمة
أنعمتها عليك من كلمة أو شربة أو لذة فلا يزال يسأل ويحك في هذا الذي تعرض هذه المسألة التي
كانت لهذا الرجل الذي تقلب في الحلال وقام بالحقوق كلها وأدى الفرائض بمحدودها وحسب
هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال أمثاله القرى في فتن الدنيا وتكاليفها وشبهاتها وشبهاتها
وريتها ويحك لاجل هذه المسائل يخاف المتقون أن يتلبسوا بالدنيا فيرضوا بالكفاب منها
وعملوا بأنواع البر من كسب المال فلان ويحك هؤلاء الاخير أسوة فان أجت ذلك وزعمت أنك بالغ
في الورع والتقوى وجميع المال الامن حلال بزعمك لا تخف والبذل في سبيل الله ولم تنفق شيئا من

الحلال والباحق ولم يتغير بسبب المال فليكن عليك جميع ما يحب الله ولم تمضط الله في شيء من سرك ترك وعلا نيتك ويحك فان كنت كذلك ولست كذلك فقد بغيتي لك أن ترضى بالبلغاة وتقتل ذوى الاموال اذا وقوا المسؤال وتستبق مع الرعيلى الاول في زمره المصطفى لا حبس عليك للسألة والحساب فاما سلامة واما عطب فانه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل صبعائك المهاجرين قبل أغنيائهم الجنة بخمسمائة عام وقال عليه السلام يدخل قراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيما يكونون ويتبعون والآخرون جفاة على ركبهم فقول قبلكم طلبتي أنتم حكم الناس وملوكهم فأروني ماذا صنعتكم فيما أعطيتكم وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ما سرت في أن لي حمر النعم ولا أكون في الرعيلى الاول مع محمد عليه السلام وخزبه يا قوم فاستبقوا السباق مع المخفين في زمره المرسلين عليهم السلام وكونوا وجلي من الخلف ولا تقطع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجل المتقين لقد بغيتي أن بعض الصحابة وهو أبو بكر رضى الله عنه عطش فاستسقى فأقنى بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خنفته العيرة ثم بكى وبكى ثم مسح الدموع من وجهه وذهب ليحككم فعاد في البكاء فلما كثرت البكاء قيل له أكل هذا من أجل هذه الشربة قال نعم بنينا أنادات يومئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وماء معه أحد في البيت غيرى فجعل يدفع عن نفسه وهو يقول اليك عنى فقلت له فذاك أبى وأمى ما أرى بين يديك أحد فى خطاب فقال هذه الدنيا تطاولت الى بعثها ورأسها قالت لى يا محمد خذنى فقلت اليك عنى فقلت ان تخرج منى يا محمد فانه لا يعمومنى من بعدك فأخاف أن تكون هذه قد لحقتنى فطعن عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا قوم فهو لا الاخبار بكونوا وجل أن تقطعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من حلال ويحك أنت فى أنواع من النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تختصى الانقطاع أف لك ما أعظم جهلك ويحك فان تخلفت فى القيامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد المصطفى لتنتظرن الى أهوال جزعت منها اللائكة والانبيا ولئن قصرت عن السباق فليطوّل عليك الحاق ولئن أدبت الكثرة لتصيرن الى حساب صير ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن الى وقوف طويل وصراخ وعويل ولئن رضيت بأحوال المتخلفين لتقطعن عن أصحاب البين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن من نعم المتعجبين ولئن خالفت أحوال المتقين لتكونن من المتخسرين فى أهوال يوم الدين فتدبرو ويحك ما سمعت وبعده فان زعمت انك فى مثال خيار السلف فضع بالقليل زاهد فى الحلال بدول لما لك مؤثر على نفسك لا تختصى الفقر ولا تدخر شيئاً لقدك مبغض للتكاثر والغنى راض بالفقر والسلام فرح بالقلة والسكنة مسرور بالذل والضعفة كاره للعز والرفعة قوى فى أمرك لا يتغير عن الرشد فليكن قد خاسبت نفسك فى الله وأحكمت أمورك كلها على ما وافق رضوان الله ولن توقف فى المسألة ولن يحاسب مثلك من المتقين وانما جمع المال الحلال البذل فى سبيل الله ويحك أي الغرور وتدبر الامر وأمعن النظر ما علمت أن ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذ كروا التذ كروا الفسكو والاعتبار أسلم للدين وأيسر للحساب وأخف للسألة وآمن من روعات القيامة وأجزل للثواب وأعلى لقدرك عند الله أخافا بلغنا من بعض الصحابة انه قال لو أن رجلا فى حجره دنانير يعطها والآخريه ذكر الله لكان البذاكر أفضل من سبيل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر قال تركه أرببه وبلغنا أن بعض خيار التابعين سبيل من رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالاً فأصابها فوصل هارجه وقدم لنفسه وأما الآخر فانه جانيها فلم يطلبها ولم يتواخفاً فربما أفضل قال بعيد الله ما بينهما الذى جانيها أفضل كائين مشارق الارض ومغاربها ويحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ولك فى العاجل ان

ترك الاستغفار بالماء أن ذلك أروح لبدنك وأقل لتعبك وأتم لعيشك وأرضى لربك وأذل
لهومك فأعذر لك في جمع المال وأنت تترك المال أفضل من طلب المال لأعمال البر وأنت وشغلك
بذكر الله أفضل من بدل المال في سبيل الله فأجمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الآجل
وبعد فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الأخلاق أن تأمى بنبينا أهدانا
الله به وترضى ما اختاره لنفسه من مجانبة الدنيا وبحكم قدر ما سمعت وكن على يقين أن السعادة
والقوة في مجانبة الدنيا فرم لواء المصطفى سابقا إلى جنّة المآوى فإنه بلغنا أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال سادات المؤمنين في الجنة من أذا فتى لم يجد مشاء وإذا استقرض لم يجد قرضا وليس
له فضل كسوة إلا ما يوريه ولم يقدر على أن يتكسب ما يقبضه بمضى مع ذلك يصبح راضيا عن ربه
فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك
رفقا ألا بأخى متى جمعت هذا المال بعد هذا البيان فأنك مبطل فيما ذهبت أنك لبر والفضل
تجمعه ولا يمكنك خرقا من الفقر تجمعه والتمتع والزينة والتكاثر والغنى والعلو والرياء والمعروف والتعظيم
والسكرة تجمعه ثم زعم أنك لا عمل البر تجمع المال ويحك راقب الله واستحي من دعواتها
المفرور ويحك إن كنت مقتونا بحب المال والدنيا فكأن مقرا أن الفضل والخير في الرضى بالبلغة
ومجانبة الفضول ثم وككن عند جمع المال مزايا على نفسك معترقا بإساءة تلك وجلا من الحساب
فذلك أنفى لك وأقرب إلى الفضل من طلب الحرام لجمع المال • أخواني اعملوا أن دهر الصحابة كان
الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك من أروع الناس وأزهدهم في المباح لهم ونحن في دهر الحلال فيه
مفقود وكيف لنا من الحلال مبلغ القوت وسر العوزة فأجمع المال في دهرنا فاعاذ بالله وإياكم منه
• وبعد فإن لنا مثل قوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واجتنابهم وأن لنا مثل ضمايرهم
وحسن نياتهم ذهينا ورب الشهامة بأدواء النفوس وأهوالها وعن قرب تكون الورد في سعادة
المحققين يوم النشور وحزن طويل لأهل التكاثر والتاليط وقد نصحت لكم أن قبلتم والقابلون لهذا
قليل وقتنا الله وإياكم لكل خير رحمة آمين • هذا آخر كلام معروفه كفاية في أطهار فضل الفقر على
الغنى ولا مز يد عليه • وشهد بذلك جميع الأخبار التي أوردناها في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب الفقر
والزهد وشهد به أيضا ما روي عن أبي أمامة الباهلي أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله
أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل تؤذى شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله أن
يرزقني مالا قال يا ثعلبة أمان لك في أسوة أمان رضى أن تكون مثل نبي الله تعالى أما والذي نفسي
بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهباً وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق نبيا لن دعوت الله
أن يرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه ولا أفطن ولا أفطن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم
ارزق ثعلبة مالا لا يتخذ غمما فمكت كايخو الدود فضاقت عليه المدينة قضى عنها فترل وإدباً من أوديتها
حتى جعل يصلى الظهر والعصر في الجماعة يدع مأسواهما ثم غبت وكثرت قضى حتى ترك الجماعة
الاجلعة وهي تقوا كايخو الدود حتى ترك الجماعة وطلق باقي الركبان يوم الجمعة قيساً لهم من الأخبار
في المدينة وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب فقيل يا رسول الله
اتخذ غمما فضاقت عليه المدينة وأخبر بأمره كله فقال يا وريح ثعلبة يا وريح ثعلبة قال وأرسل
الله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها وصل عليهم إن صلاتنا سكّن لهم وأرسل الله
تعالى قرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من جهة ورجلاً من بني سليم
على الصدقة فكتب لهما كتاباً يأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجاً فأتيا خذا الصدقة من المسلمين

وقال من ابتاعه بن حاطب وقلان رجل من بني سليم وخدا صدقاتهما فخرج حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة فقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه الاجزية ماهذه الاجزية ماهذه الاجزية فقرأه الاخت الجزية انطلقا حتى فرغا ثم عمدا يعودا الى قانطرا نحو السلمي فسمعهما قاطم الى خبار أسنان اليه فصرها للصدقة ثم استقبلهما بافلا رأها قاطموا لا يجيب عليك ذلك وما زيدا أخذها منك قال لي خذوها نفسي بها طيبة وانما هي لنا غنونا فاما ذرا من خدقاتها ما رجعا حتى مرنا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال أدوني كتابك فانظر فيه فقال هذه اخذت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأهما قال يا وحب ثعلبة قبل أن يكلماه ودعا السلمي فآخراه بالذي صنعت ثعلبو فبالذي صنعت السلمي فأنزل الله تعالى في ثعلبة ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله يتخولاه ويقولوا هم معرضون فأعقهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أحلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وعذر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبة فضع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة فقال لا أمك يا ثعلبة قد أنزل الله عليك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال ان الله منعني أن أقبل منك صدقتك ففعل بمحور التراب على رأسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا علك أنم لك فمك قطعني فقال أي أن يقبل منه شيئا رجع الى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم جاء به الي أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأتى أن يقبلها منه وجاء به الي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتى أن يقبلها منه وتوفي ثعلبة بعد خلافة عثمان فهذا طابقا المال وشؤمه وقد عرفتم من هذا الحديث ولاجل ركة الفقر وشؤم الغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر لنفسه ولاهل بيته حتى روى عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاء فقال يا عمران انك عندنا منزلة وجاءها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم يا بني أنت وأمي يا رسول الله فقام وقت معه حتى وقتت سياب منزل فاطمة فصرع الباب وقال السلام عليكم أدخل فقلت ادخل يا رسول الله قال أنا من معي قالت ومن معك يا رسول الله فقال عمران بن حصين فقلت الذي يشك بالحق نياما على الاضياء فقال اصنعي بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا حسدي فدواربته فكيف رأيي فأتى اليها صلاة كانت عليه خلقة فقال شكى بها على رأسك ثم أدنته فدخل فقال السلام عليك يا ثناء كف أصبحت قالت أصبحت والفوجعة وزادني وبها على مالي اني لست أقدر على طعام آكله فقد أجهضني الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تخرجي يا ثناء فوالله ما دقت طعاما منذ ثلاث واني لا كرم لي الله منك ولو سألت ربي لأطعنني ولكني آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبا وقال لها بشريني فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة فقالت فآين آسية امرأة فرعون ومن يابنة عمران فقال آسية سيدة نساء عالمها ومن يمسيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك اتكن في بيوت من قصص لا أدري فيها ولا يحب ثم قال لها اتعي باب محكم فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة فانظر الآن الى حال فاطمة رضي الله عنها وهي بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف آثرت الفقر وزكت المال ومن راقب أحوال الانبياء والاولياء وقواهم وما وروى من أخبارهم ورواهاهم لم يشك في أن فقد المال أفضل من وجوده وان صرف الي الخيرات اذا أقل ما فيه مع أدبا الحقوق والتوق من الشهوات والبصر الى الخيرات اشتغال المم بأضلالهم انصرف انفس ذكر الله لا ذكرا الامم الفراغ والفرأغم شغل المال وقد روي

عن جرير بن لث قال سجد رجل عيسى ابن مريم عليه السلام فقال أكون معك وأحسبك فانطلقا
فانتهيا الى شط نهر فجلسا يتخذايان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكل رغيقتين وبقى رغيقتان
عيسى عليه السلام الى التمر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيقتين فقال للرجل من أخذ الرغيف فقال
لا أدري قال فانطلق ومعه صاحبه فمراى نطية ومعهما خشقان لها قال فعدا أحدهما فأتاه فذبحه
فأشتموى منه فأكل هو وذاك الرجل ثم قال للخشفتين من أذن الله فقام فذهب فقال للرجل أسألك
بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لا أدري ثم انتهيا الى وادى ماء فآخذ عيسى بيد الرجل
فشربا عيسى الماء فلما جازا قال له أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لا أدري
فانتهيا الى مغارة فجلسا فأخذ عيسى عليه السلام مجمع زبابا وكتبها ثم قال كن ذهابا بذن الله تعالى
فصار ذهابا فقصه ثلاثة ثلاث ثم قال ثلث لى وثلث لك وثلث لن أخذ الرغيف فقال أنا الذى
أخذت الرغيف فقال كله لك وفارقه عيسى عليه السلام فأتى اليرجوان فى الفاقة ومعه المال
فأراد أن يأخذه منه وقاتله فقال هو بيننا أثلاثا فابعثوا أحكم الى القرية حتى يشتري لنا طعاما
نأكله قال فبعثوا أحدهم فقال الذى بعث لى شئ أقاسم هؤلاء هذا المال لكى أضع فى هذا الطعام
سمما فأتهموا وأخذوا المال وحيدى قال ففعل وقال فانك اليرجوان لى شئ يجعل لهذا المال
ولكن اذ ارجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه وأكلوا الطعام فأتا فى ذلك
المال فى الفاقة وأولئك الثلاثة عنده قتلى فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحالة فقال لأصحابه
هذه الدنيا فاحذروها وحكي أن ذوالقرنين أتى على أمة من الأمم ليس بأيدىهم شئ مما يستحق به
الناس من دنياهم فذاحقروا قبورا فإذا أصبحوا تعهدوا بتلك القبور وكتبوها وصلوا عندها ورعوا
البقل كما ترضى الهائم وقد قبض لهم فى ذلك معاش من نبات الارض وأرسل ذوالقرنين الى
ملكهم فقال له أجب هذا القرنين فقال ما الى اليه حاجة فان كان له حاجة فأتني فقال ذوالقرنين
صدق فأقبل اليه ذوالقرنين وقال له أرسلت اليك لتأتني فأيت فيها أنا قد جئت فقال لو كان لى
اليك حاجة لأتيتك فقال له ذوالقرنين ما لى أراك على حاله لم أرأ خدام من الأمم عليها قال وما ذلك قال
ليس لكم دنيا ولا شئ أفلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بها قالوا إنما كرهنا ههنا لأن أحدنا
يعط منهم ما شئنا الا تأت نفسك ودعته الى ما هو أفضل منه فقال ما بالكم قد استعتم قبورا فإذا
أصبحتم تعهدتموها فكسبتموها ووصلتم عندها قالوا أردنا إذا نظرنا اليها وأظننا الدنيا بمنعنا قبورا
من الأمل قال وأراك لا طعام لكم الا البقل من الارض أفلا اتخذتم الهائم من الانعام فاحلبتموها
وركبتموها فاستمتعتم بها قالوا كرهنا أن نجعل بطوننا قروا لى ورأيتنا نبات الارض بلا غاويها
يكفى ابن آدم أدنى العيش من الطعام وأى ما جاوز الحنك من الطعام لم نجعله طعاما كانتا ما كان من
الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده خلف ذى القرنين فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين أتدري من
هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الارض أعطاه الله سلطانا على أهل الارض فغشم وظلم وعينها
فلما رأى الله سبحانه ذلك منه حسمه بالموت فصارت الجحش الملقى وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به
فى آخرته ثم تناول جمجمة أخرى بالية فقال يا ذا القرنين هل تدري من هذا قال لا أدري ومن هو قال
هذا ملك ملكة الله بعد قد كان يرى ما يصنع الذى قبله بالناس من الغشم والظلم والبصر فتواضع
وخشع لله عز وجل وأمر بالعدل فى أهل مملكته فصارت كبرى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به
فى آخرته ثم أهوى الى جمجمة ذى القرنين فقال وهذه الجمجمة قد كانت كهذين فأظننا ذا القرنين
ما أنت صانع فقال له ذوالقرنين هل لك فى صحتي فأخذتلك أنجاء وزرنا وكافجا أناني الله من هذا

المال قال ما صلح أنا وأنت في مكان ولا أن تكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من أجل أن الناس كلهم لك عدو ولى صديق قال ولم قال يعادونك لما في يدك من الملك والمال والدنيا ولا أجد أحدا يعاديني رفضي لذلك ولما عسدي من الحاجة فقلت الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متجنباً منه ومتغلباً به هذه الحكايات تدل على آفات الغنى مع ما قدمناه من قبل وبالله التوفيق ثم كتابتكم المال والخل بحمد الله تعالى وعونه وبالله كتابتكم الجاه والرياء

كتابتكم الجاه والرياء وهو الكتاب الثامن من ربيع المهلكات من كتب أحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله سلام الغيوب • المطلع على سرائر القلوب • المتجاوز عن كثير الذنوب • العالم بما تحبب الضمائر من خفايا الصيوب • البصير بسرائر النيات • وخفايا الطويات • الذي لا يقبل من الأعمال إلا ما كل ووفى • وخلص من شوائب الرياء والشرك وصفا • فانه المنفرد بالمكوث • الملك • فهو أغنى • الأغنياء • عن الشرك • والصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه المبرزين من النجاة والافلاك • وسلم تسليماً كثيراً • أما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية والرياء من الشهوة الخفية التي هي أخفى من ديب الخيلة السوداء على الضرة الصماء في الليلة الظلماء ولذلك عجز من الوقوف على غوائلها سماسة العلماء فضلاء عامة العباد والانتقام وهو من أوخر غوائل النفس وبواطن مكايدها وانما يتبلى به العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجذل لسلول سبيل الآخرة فانهم بهما فخر وأنفسهم وجاهدوها وقطعوا عن الشهوات وصانعوها عن الشهات وحملوها بالقهر على أصناف العبادات فجزت نفوسهم من الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فقلبت الاستراحة إلى التظاهرة بانحيازها للعلم فوجدت مخلصاً من مشقة الجاهدة إلى لذة القول عند الخلق وتظفرهم إليه بعين الوفاء والتعظيم فصاروا إلى اظهار الطاعة وتوصلت إلى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخلق وقرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده وعلت أنهم إذا عرفوا تركه الشهوات وتوقبه الشهات وتحمله مشاق العبادات أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقريظ والاطراء ونظروا إليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورضوا في بركة دعائه ونصروا على اتباع رأيه وفاقوه بالخدمة والسلام وأكرموا في المحافل غاية الاحكام وسامحوه في البيع والمعاملات وقدموه في المجالس وآثروا بالمطاعم والملابس وتضاعفوا له متواضعين وانقادوا لله في اعراضه موقرين فأصابته النفس في ذلك لذة هي أعظم الذات وشهوة هي أغلب الشهوات فاستقرت فيه ترك المعاصي والمقوات واستلانت خشونة المواقبة على العبادات لا درا كما في الباطن لذة الذات وشهوة الشهوات فهو يظن أن حياته بالله وبعبادته المرضية وانما حياته هذه الشهوة الخفية التي تعي من دركها العقول النافذة القوية ويرى انه مخلص في طاعة الله ويحتجب لحارم الله والنفس قد ابطنت هذه الشهوة تريماً للعباد وتصنع الخلق وفرحاً بما نالت من المنزلة والوفاء واحبطت بذلك ثواب الطاعات وأجود الأعمال وقد أثبتت اسمه في جريدة المناقذين وهو يظن انه عند الله من المقربين وهذه مكيدة للنفس لا سلم منها إلا الصديقون ومهواة لا يرى منها إلا المقربون ولذلك قيل آخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة وماذا كان الرياء هو الداء الذي هو أعظم شدة كسل الشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته وأقسامه وطرق معالجته والجذرمته وينفع الفرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين (الشرط الأول في حب الجاه والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وفيه فضيلة المحول وبيان ذم الجاه

وبيان معنى الجاه وحققته وبيان السبب في كونه صلياً بالاجل من حب المال وبيان أن الجاه كمال
وهي وليس بكال حقيقي وبيان ما يجد من حب الجاه وما يثمة وبيان السبب في حب المال والثنا
وكرهية الذم وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب المال وبيان علاج كراهة الذم وبيان
اختلاف أحوال الناس في المدح والذم في شاعر فصل منها تنسأ معاني الرياء فلا بد من تقديمها
والله الموفق للصواب بلطفه ومنه وكرمه

﴿بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت﴾

أعلم أصلك الله أن أصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مغرور بل الحمد والمولود الامن
شهره الله تعالى لنشر ديه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال انس رضي الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشرائع ان يشهر الناس اليه بالاصابع في دينه ودينه الامن
عصمه الله وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب المرء من الشرائع ان الامن
الله من الشرائع ان يشهر الناس اليه بالاصابع في دينه ودينه ان الله لا يخطر في صدوركم ولكن ينظر الى
قلوبكم واما مالكم ولقد ذكر الحسن رحمه الله الحديث تأويله بالاسباب اذ روى هذا الحديث قيل
له يا ابا سعيد ان الناس اذا راوك اشاروا اليك بالاصابع فقال انه لم يهن هذا وانما عني به المبتدع
في دينه والفاقد في دينه وقال عني كرم الله وجهه تنبيل ولا تشهر ولا ترفع شخصك لئلا ترفع
واكتم واصمت تسلم قسرا الارار وتفظ الغبار وقال ابراهيم بن ادهم رحمه الله ما صدق الله لمن
الشهرة وقال ابوب السمتاني والله ما صدق الله عبد الاسرة ان لا يشعر بمكانه وعن خالد بن معدان
انه كان اذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة وعن ابني العنابة انه كان اذا جلس اليه اكثر من ثلاثة
قام وراى ملحة قوم يمشون معه نحو من عشرة فقال ذاب طمع وفراس نار وقال سلم بن حنظلة
بينما نحن حول ابني كعب غشي خلقه اذراه عرف فلما بالدره قتل انظر بالامر المؤمنين ما تصنع
فقال ان هذه ذلة التابع وقتة للتبوع وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوما من منزله فاتبه ثمان
فالقت اليهم فقال سلام تبصوني فوالله لو تعلمون ما اعلق عليه ابني ما تبصني منكم رجلا ن وقال
الحسن ان شفق الحال حول الرجال قلبت طلبة قلوب الحق وخرج الحسن ذات يوم فاتبه قوم
فقال هل لكم من حاجة والا فاصي ان تبصني هذا من قلب المؤمنين وروى ان رجلا صاحب ابن حبريز
في سفر فلما فارقه قال ووصني فقال ان استطعت ان تعرف ولا تعرف وعشي ولا يمشي اليك وتسال
ولا تسال فافعل وخرج ابوب في سفر فبشبهه ناس كثير فقال لولا اني اعلم ان الله يعلم قلبي في
لهذا كاره خشيت الفت من الله عز وجل وقال معر عانت ابوب على ملول قصه فقال ان الشهرة
فيما مضى كانت في ملوله وهي اليوم في تشهيره وقال بعضهم كنت مع ابني قلابة اذ دخل عليه رجل
عليه اكسية فقال اياكم وهذا الحار الناهق يشير بالي طلب الشهرة وقال التوري كاذبا يكرهون
الشهرة من الثاب الجيدة والثاب الزدنية الا لا يصارعتا اليها جميعا وقال رجل ليشترين
الحارث ووصني فقال اجعل ذكرك وطيب مطعمك وكان حوش بيبي ويقول بلغ اسمي مسجدا للجاه
وقال بشرا ما اعرف رجلا احب ان يعرف اذهب دينه واقض وقال ايضا لا يجد حلاوة الاخرة
رجل يحب ان يعرفه الناس رحمة الله عليه وعليهم اجمعين

﴿بيان فضيلة المولود﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب ابعثني طيرين لا يؤمن به الا اؤتم على الله لا ترضيهم
البراميين ما لك وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم رب ذى طيرين لا يؤمن به الا اؤتم على

الله لا ربه لوقال لهم اني اسألك الجنة لا عطاء الجنة قول بطله من الدنيا شيئا وقال صلى الله عليه وسلم
 ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره وأهل النار كل متكبر
 متكبر جواظا وقال أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين
 لا يؤبه له الذين اذا استأذناهم على الاصراء لم يؤذونهم واذا اخطبوا النساء لم ينكروا واذا قالوا يا بنيت
 لقولهم حواج أحدهم تغفل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم وقال صلى الله عليه
 وسلم ان من أمتي من لو أتى أحدكم يسأله دينارا لم يعطه اياه ولو سأله درهما لم يعطه اياه ولو سأله فلسا
 لم يعطه اياه ولو سأل الله تعالى الجنة لا عطاء اياها ولو سأل الدنيا لم يعطه اياها وامانها اياه
 الاموالها عليه رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره وروى أن عمر رضى الله عنه دخل
 المسجد فرأى معاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك فقال سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اليسر من الرباء شرك وان الله يحب الاتقاء الاخياء الذين
 ان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يعرفوا وقلوبهم مضايح الهدى يعنون من كل قبراء مظلة وقال محمد بن
 سويلم يخطب أهل المدينة وكان به رجل صالح لا يؤبه له لازم لمحمد النبي صلى الله عليه وسلم فيمنعهم
 في دعائهم ادعاهم رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين أو جزفهما ثم يسط بديه فقال يا رب
 أقمت عليك الأمطر علينا الساعة فلم ير ذبيبه ولم يقطع دعاءه حتى نقشت السماء بالنمام
 وأمطر واخترى صاحب أهل المدينة من مخافة الفرق فقال يا رب ان كنت تعلم انهم قد اذنبوا فارفع
 عنهم تسكن وشيع الرجل صاحبه الذي استبقى حتى عرف منزله ثم بكى عليه فخرج اليه فقال اني
 أتتلك في حاجة فقال ما هي قال تقصني بدعوة قال سبحان الله أنت أتت وتساألني أن أخصك بدعوة
 ثم قال ما الذي بلغك ما رأيت قال أظعت الله فيما أمرني ونهاني فسألت الله فأعطاني وقال ابن
 مسعود كونا ناسبع العلم مضايح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جردا تلو بخلقان الشاب
 تمر نوافي أهل السماء وتقف نوافي أهل الارض وقال أبو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 الله تعالى ان أعظم أوليائي عدم مؤمن حفيف الحاذو وخط من صلاة أحسن عباد قربه وطاعه
 في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالأصابع ثم صبر على ذلك قال ثم قرر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بيده فقال عجلت منيته وقل ترأته وقلت بواكيه وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما
 أحب عبد الله إلى الله الغريب قيل ومن الغريب قال الفاروق بن يسهم يجعون يوم القيامة إلى المسيح
 عليه السلام وقال الفضيل بن عياض بلغني أن الله تعالى يقول في بعض ما يمن به على عبده ألم أتم
 خليك ألم أسرك ألم أدخل ذكرك وكان الخليل بن أحمد يقول اللهم اجعلني صدك من أرفع خلقك
 واجعلني عند نفسي من أرفع خلقك واجعلني عند الناس من أوسط خلقك وقال الثوري وجدت
 قلبى يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء أصحاب قوت وعناء وقال إبراهيم بن آدم ما قرئت عني يوما
 في الدنيا قط إلا مرة قلت لله في بعض ما جدد قري الشام وكان في البطن فخرني المؤذن برجلي حتى
 أخرجني من المسجد وقال الفضيل ان قبرت على أن لا تعرف فأنزل وما عليك أن لا تعرف وما
 عليك أن لا تشي عليك وما عليك أن تكون مذموم ما عند الناس اذا كنت محمودا عند الله تعالى
 فهذه الآثار والاخبار تترافك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وانما المطلوب بالشهرة واتشار
 الصيت هو الجاه والنزلة في القلوب وحسب الجاه هو منشأ كل فساد فان قلت فأى شهرة تريد على
 شهرة والاشياء والخلقاء اراشدن وأتمه العالم فكيف فاتهم فضيلة الخمول فاعلم أن المذموم طلب
 الشهرة فاما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد فليس بمذموم نعم فيها فتنه

على الضغاء دون الاقرباء وهم كالفرق الضعيف اذا سكن معه جماعة من الفرقى فالاولى به
أن لا يعرفه أخدمتهم فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم وأما القوى فالاولى أن يعرفه
الفرقى ليتعلقوا به فينصحبهم وشاب على ذلك

بيان ذم حب الجاه

قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا قسداً جمع بين ارادة
الفساد والعلو وبين أن الدار الآخرة الخالي عن الارادتين جميعا وقال عز وجل من كان يريد الحياة
الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يفسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار
وحبط ما صنعوا فيها وأباطل ما كانوا يعملون وهذا أيضاً متناول بعومه حب الجاه فإنه أعظم لذة
من لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة فمن زينتها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال وحب الجاه
ينبتان الشقاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ماد ثمان ضاربان ارسلا
في زينة فتم بأمر افساد من حب الشرف والمال في دين الرجل السلم وقال صلى الله عليه وسلم
لعن كرم الله وجهه انما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء نال الله الفخرو العافية بمنه وكرمه

بيان معنى الجاه وحقيقته

اعلم أن الجاه والمال هماركا الدنيا ومعنى المال ملك الامان المتشتمل على معنى الجاه ملك القلوب
الطلوب فظنهم وطاعتها وكان الفتي هو الذي يملك الدراهم والدنانير رأى حيدر رضي الله عنه في التوصل
سهما الى الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذوا الجاه هو الذي
يملك قلوب الناس أي بقدر على أن يصرف فيها ليستعمل بواسطتها اربابا في اغراضه ومآربه وكما
انه يكتسب الاموال بأنواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بأنواع من
العمالات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعاريض والاعتقادات فيكل من اعتقد القلب فيه وصعما من
أوصاف الكمال اتقاده وتسخره بحسب قوة اعتقاد القلب وبحسب درجته ذلك الكمال عنده وليس
يشترط أن يكون الوصف كمالا في نفسه بل يكفي أن يكون كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يستعد ما ليس
كمالا كالاولد من قلبه للوصوف به اعتقاد اضرو رباً بحسب اعتقاده فان اعتقاد القلب حال القلب
وأحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيالاتها وكما أن حب المال يطلب ملك الارقاء
والعبد يطلب الجاه يطلب أن يسترق الارار ويستعبد لهم ويملك رقابهم يملك قلوبهم بل ارق
الذي يطلبه صاحب الجاه أعظم لان المال يملك العبد قهرا والزيد متأب بطبعه ولو خلى ورأيه
النسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا وعنى أن تكون له الارار عيدا بالاطيع
والطوع مع الفرح بالبردية والطاعة تفي بطلبه فوق ما يطلبه ما لا يرق بكتبه فاذن معنى الجاه
قيام المصلحة في قلوب الناس أي اعتقاد القلوب بنبعت من نعت الكمال فيه فبقدره يستقدر من كماله
تدفع له قلوبهم وبقدره تعلق القلوب تكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته على القلوب يكون
فرحه وحب الجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالدخ الاطراء فان التمتع الكمال
لا يسكت عن ذكرا يستعده فينتي عليه وكما الخدمة والاعانة فانه لا يفضل بذل نفسه في طاعته بقدر
اعتقاده فيكون مسخرة لمعشيل العبد في اغراضه وكالا يشار وترك المنازعة التنظيم والتزقي بالمناجاة
بالسلام وتسليم الصدر في الحقائق والتقدم في جميع المقاصد فهذا انار قصد من قيام الجاه في
القلب ومعنى قيام الجاه في القلب اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص اياهم
أو عبادة أو حسن خاق أو نسب أو ولاية أو جمال في صورة أو قوة في بدن أو شيء مما يستعده الناس

كما لا فان هذه الامواف كلها تظمحل في القلوب فتكون شيئا القيام الجاه والله تعالى أعلم
 بيان سبب كون الجاه محبوا بالطبع حتى لا يتخلو عنه قلب الاشياء المحامدة
 اعلم ان السبب الذي يقتضي كون الذهب والقضة وسائر انواع الاموال محبوا بهو بعينه يقتضي
 كون الجاه محبوا بل يقتضي أن يكون أحب من المال كما يقتضي أن يكون الذهب أحب من
 القضة مهما تساوا في المقدار وهو انك تعلم أن الدراهم والدنانير لا عرض في أعيانها الا لا تظمحل
 ولا مشرب ولا منسج ولا ملابس وانما هي والحصنة بمثابة واحدة ولكنهم محبوا بانها ما وسيلة
 الى جميع المحاب وذريعة الى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لان معنى الجاه ملك القلوب وكان ملك
 الذهب والقضة بقدرة يتوصل الانسان بها الى سائر أغراضه فكذلك ملك قلوب الاحرار
 والقدرة على استبعادها بقدرة على التوصل الى جميع الأغراض فالاشتراك في السبب اقتضى
 الاشتراك في المحبة ترجيح الجاه على المال اقتضى أن يكون الجاه أحب من المال وملك الجاه ترجيح
 على ملك المال من ثلاثة أوجه * الأول أن التوصل بالجاه الى المال أبسر من التوصل بالمال الى
 الجاه فالعالم أوازاهد الذي تقرر له ما في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان أموال أرباب
 القلوب مسخرة للقلوب ومبدولة لمن اعتقد فيه السكال وأما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة
 كمال فهو أوسد كزوا لم يكن له ما يحفظ ماله وأراد أن يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له فاذا الجاه آلة
 ووسيلة الى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار
 الجاه أحب * الثاني هو أن المال معرض للغوى والتلف بأن يسرق ويغصب ويطنع فيه الملوك
 والطلقة ويحتاج فيه الى الحفظ والحراص والخزائن ويخطر في اليه أخطار كثيرة وأما القلوب
 اذا ملكت فلا تنزع من هذه الآفات فهي على التحقيق خزائن صلبة لا يقدر عليها السراق ولا تنالها
 أيدي النهاب والغصب وأثبت الأموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغنى عن المراقبة
 والحفظ وأما خزائن القلوب فهي محفوظة محروسة بأنفسها ووقد الجاه في أمن وأمان من الغصب
 والسرقة فيها نعم انما تغصب القلوب بالتصريف وتجميع الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من
 أوصاف السكال وذلك مما يكون دفعه ولا يتيسر على محاوله فله * الثالث أن ملك القلوب يسرى
 وينبغي ويزيد من غير سبب الى تعب ومقاساة فان القلوب اذا أذنت لشخص واعتقدت كماله يعلم
 أو عمل أو غيره فصحت الألسنة لعماله بما فيها فصف ما يعتقد لغيره ويتنفس ذلك القلب أيضا له
 ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر لا قد ذلك اذا استطار في الاقطار اقتصر القلوب
 ودعاها الى الانحياز والقطيع فلا يزال يسرى من واحد الى واحد ويزيد وليس له سر زمين وأما
 المال فمن ملكه منه شيئا فهو مالكه ولا يقدر على استنماة الا يتعب بمقاساة الجاه أي في التماسه
 ولاسرقة ولوقته والمال واتق وهذا انما تظمحل الجاه وانتشار الصيت وانطلقت الألسنة بانما استقرت
 الاموال في مقابلته فهذه جميع ترجحات الجاه على المال واذا فصلت كثرت وجوه الترجيح فان
 قلت فالاشكال قائم في المال والجاه جميعا فلا ينبغي أن يحب الانسان المال والجاه نعم التقدير الذي
 يتوصل به الى جلب الملائد ودفع المضار معلوم كالتحاج الى الملابس والسكن والمطعم وكالمبتنى بمنزله
 أو بمقربة تلي أن لا يتوصل الى دفع العقوبة من نفسه الاجمال أو جوارحه لئلا يال والجاه معلوم ان كل
 ما لا يتوصل الى المحبوب الا به فهو محبوب وفي الطبع أمر عجيب ورائد وهذا هو حب جميع الاموال
 وكثرة السكون والذخاير والسخاير واستكثار الخزان وراء جميع الحاجات حتى لو كان العبد واديان من
 ذهب لا ينبغي له ما تلتوا وكذلك يجب على الانسان اتباع الجاه وانتشار الصيت الى أقاصي البلاد التي

يُعلم قطعاً أنه لا يطأها ولا يشاهد أصحابها العظماء أولئك تروى بحال أولئك عظماء على غرض من أغراضه
ومع اليأس من ذلك فإنه يلتنبه غاية الاستعداد وحسب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن أن ذلك سهل
فإنه حب المال فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة فتقول نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب ولتسببان
أحدهما جلي تذكره الكافة والآخري وهو أعظم السببين ولكنه أدقهما وأخفهما وأبذلها
عن أفهام الأديان كما فصلنا من الأغنياء وذلك لاستعدادهم من عرق خفي في النفس وطبيعته مستكنة في
الطبع لا يكاد يقف عليها إلا الفواصون فإما السبب الأول فهو دفع ألم الخوف لأن الشفق يسوء
النظن مولع والانسان وإن كان مكشفاً في الحال فإنه طويل الأمل ويحطرسه أنه المال الذي فيه تكفاته
ربما يتلف فيحتاج إلى غيره فإذا خطر ذلك سياله حاج الخوف من قلبه ولا يدفع ألم الخوف إلا بالامن
الحاصل بوجود مال آخر يفرغ إليه أن أصاب هذا المال جائحة فهو أبدأ الشفقة على نفسه وجه
الصيانة بقدر طول الحياة وقد تروى الحمايات وقد أمانت طرق الآفات إلى الأموال ويستشعر
الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى إن أصيب ببطاقة من ماله استغنى بالآخر
وهذا خوف لا يقف له على مقدار خصوص من المال فلذلك لم يكن لثقله موقف إلى أن يملك جميع
ما في الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم متهمان لا يشيعان متهمون العلم ومنهم المال
ومثل هذه العلة تقدر في حب قيام المتركة والجاء في قلوب الأبا عدس وطنمو بلده فإنه لا يخلص تقدير
سبب زججه من الوطن أو ربح أو تلك من أوطانهم إلى وطنهم يحتاج إلى الاستعانة بهم ومهما كان
ذلك ممكناً لم يكن احتياجه إليهم مستحيلاً لظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم
لما فيه من الأمن من هذا الخوف وأما السبب الثاني وهو الأقوى أن الروح أمر رباني وهو وصفه
الله تعالى إذ قال سبحانه وبسأولئك من الروح قل الروح من أمر ربي ومعنى كونه رباني أنه
أسرار علوم الكاشفة ولا رخص في إظهاره إذ لم تظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنك قبل
معرفة ذلك تعلم أن القلب ميل إلى صفات هيمية كالاكل والوقوع وإلى صفات سبعة كالقتل
والضرب والايذاء وإلى صفات شيطانية كالكره والخدعة والاعواء وإلى صفات ربوية كالكره
والعز والعبور وطالب الاستعلاء وذلك لأنه مركب من أصول مختلفة طول شرحها وتفصيلها فوق
لما فيه من الأمر إلى رباني يجب الربوة بالطبع ومعنى الربوة التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على
سبيل الاستقلال فصاير الكمال من صفات الالهية فصاير محبوها بالطبع للانسان والكمال بالتفرد
بالوجود فإن المشاركة في الوجود نقص لاهلته فكمال الشمس في انها موجودة وحدها ولو كان معها
شمس أخرى لكان ذلك نقصاً في حقها إذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والتفرد بالوجود هو
الله تعالى إذ ليس معه موجود سواءه فإن ما سواه ما زمن آثار قدرته لا أقوام له بدائه له هو قائم به فلم
يكن موجوداً معه لأن المعية توجب المساواة في الازنية والمساواة في الازنية نقصان في الكمال بل الكامل
من لا نظير له في رتبته وكان اشراق نور الشمس في أقطار الآفاق ليس نقصاناً في الشمس بل هو من
نحلة كمالها وإنما نقصان الشمس بوجود شمس أخرى تساويها في الازنية مع الاستغناء عنها فكذلك
وجود كل ما في العالم يرجع إلى اشراق أنوار القدرة فيكون تأبعوا ولا يكون متبعاً فإذا معنى الربوة
التفرد بالوجود وهو الكمال وكل إنسان فإنه يطمع بحب لأن يكون هو التفرد بالكمال ولذلك قال
بعض مشايخ الصوفية ما من إنسان إلا في باطنه ماضر حبه فرعون من قوله أأرأيتكم إلا على ولكنه
ليس بجده بحالاً وهو كمال فإن الصوفية تهر على النفس والربوة محبوبة بالطبع وذلك للتسعة
الربانية التي أودعها الله تعالى في قلب الروح من أمر ربي ولكن لما عجزت النفس من ذلك منتهى

الكمال لم تسقط شهوت الكمال فهي محبة للكمال ومشتبهة له وملتزمة به لثباته لا يعني آخر وراء الكمال وكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته أو عدم صفات الكمال من ذاته وإنما الكمال بعد أن يسلم التفرد بالوجود في الاستقلال على كل الموجودات فإن أكل الكمال أن يكون وجوده منك فإن لم يكن منك فإن تكون مستولياً عليه فصار الاستيلاء على الكل محبواً بالطبع لأنه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويجب كمال ذاته وملتزمه الآن الاستقلال على الشيء بالقدرة على التأثير فيه وعلى تغييره بحسب الإرادة وكونه مسخرات زده كصف إنشاء فأحب الإنسان أن يكون له استيلاء على كل الاشياء الموجودة معه الآن الموجودات منقسمة الى ما لا يقبل التغيير في نفسه كذات الله تعالى وصفاته وإلى ما يقبل التغيير ولكن لا يستولى عليه قدرة الخلق كالافلاك والكواكب وملكوته السموات ونفوس الملائكة والجن والشياطين وكالجبالي والبحار وما تحت الجبال والجارى إلى ما يقبل التغيير بقدرة العبد كالارض وأجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحجر ومن جعلها قلوباً للناس فانها قابلة للتأثير والتغيير مثل أجسادهم وأجساد الحيوانات فإذا انقسمت الموجودات الى ما قدّر الله الإنسان على التصرف فيه كالارضيات وإلى ما لا يقدر عليه كذات الله تعالى والملائكة والسموات أحب الإنسان أن يستولى على السموات بالعلم والاحاطة والاطلاع على أسرارها فإن ذلك نوع استيلاء ما لا يعلم المحاط به كالداخل تحت العلم والعالم كالمتولى عليه فلذلك أحب أن يعرف الله تعالى والملائكة والافلاك والكواكب وجميع عجائب السموات وجميع عجائب البحار والجبال وغيرها لأن ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا ايضا هي اشتياق من مجر عن صنعة عجيبة الى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يهزم عن وضع الشطرنج فانه قد يشتهي أن يعرف اللعبة وانه كيف وضعه وكمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة أو الشدة أو جز الثقل أو غيره وهو مستعجب في نفسه بعض الجزاء القصور عنه ولكنه يشتهي الى معرفة كيفية فهو متألم ببعض الجزم لذلك الكمال العلم ان علمه وأما القسم الثاني وهو الارضيات التي قدّر الله الإنسان عليها فانه يحب بالطبع أن يستولى عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان أجساد وأرواح أما الاجساد فهي الدارهم والدنانير والامتنعة فيجب أن يكون قادر عليها بفعل فيها ما يشاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع فإن ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك أحب الاموال وان كان لا يحتاج اليها لملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه وكذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الاشخاص الارجلارولوا بها وهو الغلبة حتى يتصرف في أجسادهم وأشخاصهم بالاستمصار وان لم يملك قلوبهم فانها رايما يعتقد كماله حتى يصير محبوا لها وهم القهر من لثمتها فان الحبشة القهريه أيضاً لذاتية لها فهما من القدرة • انقسم الثاني نفوس الادميين وقلوبهم وهي أنفس ماعلى وجه الارض فهو يحب أن يكون له استيلاء وقدرة على التكون مسخرة له متمصرة تحت اشارته وارادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتسبة بصفات الربوبية والقلوب إنما تنقسم الى الحب ولا تحب الا باقتدار الكمال فانه كل كمال محبوب لأن الكمال من الصفات الالهية والصفات الالهية كلها محبوبة بالطبع للعتى الرباني من جملة معاني الإنسان وهو الذي لا يليه الموت فيعده ولا تسلط عليه التراب فبما كماله فانه محل الايمان والمعرفة فهو الواصل الى لقاء الله تعالى والساعي اليه فاذما معني الجاه تسخر القلوب ومن تسخر له القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء كمال وهو من أوصاف الربوبية فاذما محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من أسباب القدرة ولانهاية

للعلماء ولا نهاية لقدورات وما دام بقي معلوم أو مقدور فاشوق لا يسكن والنقصان لا يزول
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فهو ما لا يشبعان فإذا مطلوب القلوب الكمال والكمال بالعلم
والقدرة وتفاوت الدرجات فيه ضخم محصور فسرور كل إنسان ولتته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا
هو السبب في كون العلم والمال والجاه محبوباً وهو أمر وراء كونه محبوباً لاجل التوصل إلى قضاء
الشهوات فإن هذه العلة قد تسبق مع سقوط الشهوات بل يجب الإنسان من العلوم ما لا يصلح
للتوصل به إلى الأغراض بل وبما يغتفر عليه جملة من الأغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى
طلب العلم في جميع الجهات والمشكلات لأن في العلم استيلاء على العلوم وهو نوع من الكمال الذي
هو من صفات الربوبية فكان محبوباً بالطبع الآن في حب كمال العلم والقدرة أغاليط لا بد من
بيانها إن شاء الله تعالى

«بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لا حقيقة له»

قد عرفت أنه لا كمال بعد فوات التقرّب بالوجود إلا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس
بالكمال الوهمي وبما أنه أن كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة أوجه * أحدها من حيث كثرة
المعلومات وسعتها فإنه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد أكثر كان أقرب
إلى الله تعالى * الثاني من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ماهو به وكون المعلوم مكشوفاً به كفتاناً
فإن المعلومات مكشوفة لله تعالى بأنهم أنواع الكشف على ما هي عليه فلذلك مهما كان علم العبد
أوضح وأعم وأصدق وأوفى للعلوم في تفاصيل صفات المعلوم كان أقرب إلى الله تعالى * الثالث
من حيث بقاء العلم أبداً لا يمحى لا يتغير ولا يزول فإن علم الله تعالى باق لا يتصور أن يتغير فكذلك
مهما كان علم العبد بمعلومات لا يقبل التغير ولا انقلاب كان أقرب إلى الله تعالى * والمعلومات قسمان
متغيرات وأزليات * (أما المتغيرات) فثالثها العلم بكون زيد في الدار فإنه علم له معلوم ولكنه يتصور
أن يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فيقلب جهلاً فيكون نقصاً لا إكمالاً فكما
اعتقدت اعتقاداً موقفاً وتصور أن يقلب للعتقده مما اعتقدته كتبصد أن يقلب كمال نقصاً
وهو عطفك جهلاً ولحق هذا المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلاً ارتفاع جبل ومساحة
أرض وبعدد البلاد وتباين ما بينهن من الأميال والقراخ وسائر ما يدرك في المسالك والممالك وكذلك
العلم بالفلت التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الأعمار والأمم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل
الزئبق يتغير من حال إلى حال فليس فيه كمال إلا في الحال ولا يسبق كمالاً في القلب * (القسم الثاني) هو
المعلومات الأزلية وهو جوارز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فإن هذه
معلومات أزلية أبدية أدل لا تستحيل الواجب قط جازماً ولا الجائز محالاً ولا المستحيل واجباً فكل هذه
الانقسام داخلية في معرفة الله وما يجب له وما يستحيل في صفاته ويجوز في أفعاله فالعلم بالله تعالى
وصفاته وأفعاله وحكمته في ملكوت السموات والأرض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو
الكمال الحقيقي الذي يقرب من تصف به من الله تعالى ويبقى كمالاً لنفس بعد الموت وتكون
هذه المعرفة نوراً للعارفين بعد الموت يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا إننا كنا نكفر بآياتك
هذه المعرفة رأس مال يوصل إلى كشف ما لم يتكشف في الدنيا كما أن من معه سراج خفي فإنه يجوز
أن ينصير ذلك سبيلاً لزيادة النور سراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل
الاستقام ومن ليس معه أصل السراج فلا مطمع له في ذلك فمن ليس معه أصل معرفة الله تعالى
لم يكن له مطمع في هذا النور فيبقى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها بل كظلمات في بحر ملحي

بنشأه موج من فوقه موج من فوقه صاحب طلبات بعضها فوق بعض فإذا الاسعادة الا في معرفة الله تعالى وأما ما عدا ذلك من المعارف فهي ما لا فائدة له أصلاً كعرفة الشعر وأنساب العرب وغيرها ومنها ما له منفعة في الاعانة على معرفة الله تعالى كعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والاخبار فإن معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما في القرآن من كيفية العبادات والاحمال التي تفيد تركية النفس ومعرفة طريق تركية النفس تفيد استعداد النفس لقبول الهداية الى معرفة الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى قد أفهمن زكاهما وقال عز وجل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلاً فنسكنهم هذه المعارف كالوسائل الى تحقيق معرفة الله تعالى وانما الكمال في معرفة الله معرفة صفاته وأفعاله وينطوي فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات اذ الموجودات كلها من أفعالها فمن عرفها من حيث هي فصل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهي من تكملة معرفة الله تعالى هذا حكم كمال العلم ذكرناه وان لم يكن لارتقاها بأحكام الجاه والراه ولكن أوردناه لاستيفاء أقسام الكمال وهو أما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد بل العبد علم حقيقي وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الاشياء عقيب ارادة العبد وقدرته وحركته فهي حادثة باحداث الله كقوله تعالى في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفي مواضع شتى من ربيع المنجيات فكمال العلم يتي مع بعد الموت ويوصله الى الله تعالى فأما كمال القدرة فلا يتم له كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال وهي وبسيلة له الى كمال العلم كسلامة أطرافه وقوة البطش ورجله للشيء وحواسه للادراك فان هذه القوى آله للوصول الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه للوصول به الى المطعم والمشرب والملبس والسكن وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة خيال الله فلا خيرة فيه التمسك الا من حيث البذرة الخالية التي تنفص على القرب ومن ظن ذلك كمالا فقد خجل فاخلق أكثرهم ما يكون في غرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الخشمة وعلى أعيان الاموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك أجوه ولما أجابوه طلبوه ولما طلبوه مشغولوا به ونهاكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقي "الذي يوجب القرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو العلم والحرية أما العلم فإذا ذكرناه من معرفة الله تعالى وأما الحرية فان خلاص من أسر الشهوات وغوم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا يستغفرون الشهوة ولا يستهونهم الغضب فان دفع آثار الشهوة والغضب عن النفس من الكمال الذي هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال الله تعالى استعانة التغير والتأثر عليه فمن كان من التغير والتأثر بالعوارض أي بعد كان الى الله تعالى أقرب وبالملائكة أشبه ومنزلته عند الله أعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وانما لم نورد في أقسام الكمال لان حقيقة تفرجه الى عدم ونقصان فان التغير نقصان اذ هو عبارة عن عدم صفة كائنه وهلاكها وانما نقص في الذات وفي صفات الكمال فاذا الكمالات ثلاثة ان عددنا عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد لها كمال كمال العلم وكال الحرية وأعني به عدم العبودية للشهوات وارادة الاسباب للنسوة في كمال القدرة فلا يعبد طريق الى اكتساب كمال العلم وكال الحرية ولا طريق له الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعدموته اذ قدرته على أعيان الامور الله وعلى استمطار القلوب والابدان تنقطع بالموت ومعرفته وحريته لا يتعدمان بالموت بل يتقنان كلاله وبسيلة الى القرب من الله تعالى فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب النعمان فأقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذي لا يسم

وان سلم فلابد له وأعرضوا عن كمال الحرثية والعلم الذي اذا حصل كان أهدى الا انقطاع هذه هؤلاء هم
الذين اشترىوا الحياة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا ينصف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفهموا
قوله تعالى المال والنون زيننا الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخيرا ملاما فالعلم
والحرثية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كالآتي النفس والمال والجاه هو الذي يقضى على
التقرب وهو كمثلته الله تعالى حيث قال انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به
نبات الارض الآية وقال تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به
هشما فاندروه الرياح وكل ما تذروه وباح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما لا يقطع الموت فهو
الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا أن كمال القدرة والمال والجاه كمال ظني لا أصل له وان قصر
الوقت على طلبه فلو أنه مقصود فهو جاهل واليه أشار أبو الطيب بقوله
ومن يتقن الساعات في جمع ماله * تخافة فقرا الذي فعل الفقير
الاقتدر البلية منهما الى الكمال الحقيقي * المهم ما جعلنا من وقتنا الضيق وهديته بلطفك

هنيان ما نجد من حساب الجاه وما يات

مهما عرفت أن معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمه حكم ملك الاموال فانه عرض من
أعراض الحياة الدنية او ينقطع بالموت كالمال والدنيا سر رعة الآخرة فكل ما خلق في الدنيا فيمكن أن
يتروك منه للآخرة وكأنه لا يتم أدنى مال لضرورة الطعام والشرب والملبس فلا بد من أدنى جاه
لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كمال لا يستغنى عن طعام يتاوله فيجوز أن يحب الطعام والمال
الذي يتنازع به الطعام فكذلك لا يتخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق يعينه ويستأثر برده
وسلطان يحرسه ويمنع عنه ظلم الاشرار فحسبه لأن يكون له في قلب خادم من المحل ما يمد يده اليه
انخدعة ليس بمذموم وحبه لأن يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يجلس به مرافقه ومعاونته
ليس بمذموم وحبه لأن يكون له في قلب أستاذ من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به
ليس بمذموم وحبه لأن يكون له من المحل في قلب سلاطانه ما يحسنه ذلك على دفع الشر عنه ليس
بمذموم فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما الا أن التحقيق في هذا يقضي الى أن يكون
المال والجاه باعيا عنهما محبوبين له بل يزل ذلك منزلة حب الانسان أن يكون له في داره بيت مدام
لانه مضطر اليه لقضاء حاجته وروذ أن لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغنى عن بيت المدام
فهذا على التحقيق ليس بحالبيت المدام فكل ما زاد التوصل به الى محبوب فالجواب هو المقصود
التوصل اليه وتترك التفرقة بمثال آخر وهو أن الرجل قد يحب زوجته من حيث انه يدفع بها فضلة
الشهوة كما يدفع بيت الماء فضلة الطعام ولو كفي مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما أنه لو كفي قضاء
الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدفعه وقد يجب الانسان زوجته لذاتها حب العشق ولو كفي
الشهوة يلقى مصة حبها لكانها فها هو الحب دون الأول وكذلك الجاه هو المال قد يجب كل واحد
منهما على هذين الوجهين فهما لا لاجل التوصل بهما الى مهمات البدن غير مضموم وحبهما لا لاعتناهما
فيما يجازي ضرورة البدن وما به مضموم ولكنه لا يوصف حبا به بالفسق والعصيان كما لا يحل
الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل الى اكتسابه يمكنه وخلق وارتكاب محظورات وما لم
يتوصل الى اكتسابه عبادة فان التوصل الى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه
يرجع معنى الرية المحظورة كما سياتي فان قلت طلبه المترتبة على الجاه في قلب أستاذ وضاده ورفيقه
وسلاطانه ومن يرتبط به أمره مباح على الاطلاق كيف كان أو مباح الى حد ينصحه على وجه

مخصوص فاقول يطلب ذلك على ثلاثة أوجه وجهاً منه مباحاً ووجه محظور * أما الوجه
المحظور فهو أن يطلب قيام الميزة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة هو متفك عنها مثل العلم والورع
والنسب فيظهر لهم أنه علوي أو عالم أو ورع وهو لا يكون كذلك فهذا حرام لأنه كذب وتبليس أما
ياقول أو بالمعاملة * أما أحد المباحين فهو أن يطلب الميزة بصفة هو متصف بها كقول يوسف
صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه الرب تعالى اجعلني في خزائن الأرض إني خفت عليم فإنه طلب
الميزة في قلبه بكونه حفيظاً عليماً وكان محتاجاً إليه وكان صابراً فيه * والثاني أن يطلب إخفاء عيب
من عيوبه ومقصية من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا أيضاً مباح لأن حفظ السر على
القبايح حائز ولا يجوز هتك السر وإظهار القبيح وهذا ليس فيه تبليس بل هو سبيل لطريق العلم
بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفي عن السلطان أنه يشرب الخمر ولا يفتي إليه أنه ورع فان قوله إني
ورع تبليس وعدم إقراره بالشر لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشر ومن جهة المحظورات
تحسين الصلاة به يهين فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو ليس إقبيل إليه أنه من المخلصين
الخاشعين لله وهو رياء بما فعله فكيف يكون مخلصاً فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل
مقصية وذلك يجري مجرى اكتساب المال بالحرام من غير فرق ولا يجوز له أن يملك مال غيره
بتبليس في عوض أو في غيره فلا يجوز له أن يملك قلبه بترور خداع فان ملك القلوب أعظم من
ملك الأموال

(بيان السبب في حب المدح والتناء وإرتياح النفس به وميل الطبع إليه وبعضها الذم ونفرتها منه)
اعلم أن حب المدح والتناء القلب به أربعة أسباب (السبب الأول) هو الأقوى وهو النفس
بالكمال فإيمان أن الكمال محبوب وكل محبوب قادراً له لذية فها مشرت النفس بكاملها رتاحت
واهتمت وتلذذت والمدح يشعر نفس المدوح بكاملها فان الوصف الذي به مدح لا يتجول أما أن
يكون جلباً ظاهراً أو يكون مشكوكاً فيه فان كان جلباً ظاهراً محسوساً كانت الذنبة أقل ولكن
لا يتخلص لذة كتمانها عليه بأنه طويل القامة أبيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه
فتلوهن لذته فاذا استشعرته لم يحل حدوث الشعور عن حدوث لذة وان كان ذلك الوصف مما يتطرق
إليه الشك فاللذة فيه أعظم كاشياء عليه كمال العلم وكمال الورع أو بالحسن الظاهر فان الإنسان ربما
يكون شاكياً في كمال حسنه في كمال علمه وكمال زوجه ويكون مشتاقاً إلى زوال هذا الشك بأن يصير
نفسه قنانياً لكونه عديم النظر في هذه الأمور إذ تطمئن نفسه إليه فاذا ذكره غيره أوزيت ذلك طمأنينة
ونقطة باستحار ذلك الكمال فتعظم لذته وانما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر التناء من بصير هذه
الصفات خيراً لا يجازف في القول إلا عن تحقيق وذلك تفرح التلبذ بناءً أستاذة عليه باليكاسة
والذكاء ووزارة الفضل فانه في غاية اللذة وان صدر عن مجازف في الكلام أو لا يكون بصيراً بالملك
الوصف ضعف اللذة وهذه العلة يفيض الذم أيضاً ويكرهه لأنه يشعر بخصان نفسه والتقصان
خذ الكمال المحبوب فهو مقنوع والشعور به مؤلم ولذلك تعظم الألم إذا صدر الذم من بصير مؤثوق
به كذا كراهة في المدح (السبب الثاني) أن المدح يدل على أن المدح محمول على المدوح وأنه مريد
له ومصدق فيه ومستر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بمصولة لذي وبهذه العلة تعظم
اللذة مهما صدر التناء من نفس قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملك والأكبر وضعف مهما كان
المدح من لا يؤبه له ولا يقدر على شيء فان التعبد فعليه بملك قلبه قدرته على أمر حقير فلا يدل المدح
إلا على قدرة قاصرة وبهذه العلة أيضاً يكره الذم وتأن به القلب وإذا كان من الأكابر كانت تكلمته

أعظم لان الفائت به أعظم (السبب الثالث) أن تمام المتي ومدح المادح سبب لاضطراب قلب كل من سمعه لاسيما اذا كان ذلك من يلتفت الى قوله ويشتد بشئنا وهذا اغتصب بشئنا يقع على الإلزام فلا جرم كلما كان المجمع أكثر والمشي أجدر بأن يلتفت الى قوله كان المدح الذوالتم أخذ على النفس (السبب الرابع) أن المدح يدل على حشمة المدوح واضطراب المادح الى إطلاق اللسان بالثناء على المدوح واماعن طوع واماعن قهر فان الحشمة أيضا للثبته لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تفصل وان كان المادح لا يعتقد في الباطن ما مدحه ولكن كونه مضطرا الى ذكره نوع قهر واستسلام عليه فلا جرم تكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته فتكون لذته القوي المنع عن التواضع بالثناء أشد فهذه الاسباب الاربع قد تجمع في مدح واحد فيعظم بها اللذة او قد تفرق فتبقى اللذة بها أما الصفة الاولى وهي استشعار الكمال فتدفع بأن يعلم المدوح أنه غير صادق في قوله كاذم مدح بأنه نسيب أو سخي أو عا لم يعلم أو متورع من المخطورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتروى اللذة التي سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستسلام على قلبه وعلى لسانه وبقي اللذات فان كان يعلم أن المادح ليس بمقدما في قوله يعلم خلقه عن هذه الصفة بطلت اللذة الثانية وهو استسلام على قلبه وتبقى لذة الاستسلام والحشمة على اضطراب لسانه الى التطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق الغيب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه أجيلا لذة لقوات الاسباب الثلاثة فهذا ما يكشف النقطه عن هذه التذات النفس بالمدح وتالها بسبب الذم وانما ذكرنا ذلك ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المجد وخوف المذمة فان ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته اذ العلاج عبارة عن حل أسباب المرض والقلة الموفق بكرمه ولطفه وصلى الله على كل عبد مضطرب

بيان علاج حب الجاه

اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصورا لهم على مراعاة الخلق مشغوبا بالتؤدة الهنم والمرآة لا جهم ولا يزال في أقوالهم وأفعاله ملتقيا لما يعظم منزلته عندهم وذلك بذرا التفاني وأضل الفساد ويجري ذلك لا محالة الى التساهل في العبادات والمرآة بها الى قيام المخطورات لتوصل الى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب النرف وذلك لانسانا هذا الذين يذبون ضاربين وقال عليه السلام انه بيت النفاق كائنت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول أو بالفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فاضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بتخصال حميدة هو خال عنها وذلك هو عين النفاق فحب الجاه اذن من المهلكات فيجب علاجه ما ازالته عن القلب فانه طبع جبل عليه القلب كجبل على جب المال وعلاجه صر كمن علم وعمل أما العلم فهو ان يعلم السبب الذي لاجله أحب الجاه وهو كمال القدرة على أشخاص لناس وعلى قلوبهم وقد بينا أن ذلك ان صفا وسلم فأخره الموت فليس هو من الباقيات النسلات بل هو حقائق كل من على بسطة الأرض من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنة لا يبقى البأجدوا للمجوده يكون حاله كحال من مات فبطل من ذوى الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي أن يترك به الدين الذي هو الحياة الابدية التي لا تقطع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كاسبق ضغف الجاه في عينه الا ان ذلك انما يصرف عن عين من ينظر الى الآخرة كأنه يشاهد ما يستحق العاجلة ويكون الموت كالجاهل عندو يكون حاله كحال الجنس البصري حين كتب الى حمير بن عبد العزيز أما بعد فكذلك تأخر من كتب عليه الموت قدمنا فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كأننا وكذا قد حال عمر ابن عبد العزيز حين كتب في جوابه أما بعد فكذلك بالدينام تكن وأنتك بالآخرة تزل فهو لا كان

التفاهم إلى العاقبة فكان علمهم لها بالقوى ادخلوا أن العاقبة للعين فاستحقروا الجاه والمال في
 الدنيا وأبصاراً أكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا تمتد نورها إلى مشاهدة العواقب ولذلك
 قال تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى وقال عز وجل: كلاً بل يحسن العاجلة وتؤثرون
 الآخرة فمن هذا أحد قبيحى أن يصالح قلبه من حب الجاه العلم بالأفات العاجلة وهو أن يفكر
 في الأخطار التي تستهدف لها أرباب الجاه في الدنيا فان كل قى جاء محسود ومقصود بالإنذار وخائف
 على الدوام حتى جاءه وعجز من أن تتغير منزلته في القلوب والقلوب أشد تغيراً من القدر في غلبتها
 وهي متزدة بين الأقبال والاعراض فكأن ما يبني على قلوب الخلق يضاهى ما يبني على أسوار النمر
 فانه لا ثبات له ولا اشتغال بمرامه القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع أذى الأعداء كل ذلك
 محرم عاجلة ومكثرة فلذة الجاه فلا يني في الدنيا ممر جوارها بمغورها فضلاً عما يفوت في الآخرة فهذا
 يبنى أن تعالج البصر الصرفة وأما من تغتذ بصيرة وقوى إيمانه فلا يلتفت إلى الدنيا فهذه من
 العلاج من حيث العلم وهو ما من حيث الجهل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بما شدة أفعال يلام
 عليها حتى يسقط من أعين الخلق وتغافره القبول ويأنس بالجهل ويرذ الخلق ويقنع بالقبول
 من الخلق وهذا هو مذهب الملايشة فادققوا الفواحش في صورتها لنسقطوا أنفسهم من أعين
 الناس فيضلو من أفعال الجاه وهذا خبر جازل من قندي به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين وأما الذي
 لا يقتدى به فلا يجوز له أن يقدم على محظور ولا جل ذلك بل له أن يفعل من المباحات ما ينسقط قدره
 عند الناس كالزوى أن بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقر به منه استدعى طعاماً وبقلا
 وأخذ به كل بشرة وعظم القبة فلما نظر إليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله
 الذي صرف قلبي ومنهم من شرب شراباً جلالاً في قدح لونه لون المر حتى يظن به أنه يشرب الخمر
 فيسقط من أعين الناس وهذا في جواز قطره من حيث الفقه إلا أن أرباب الاحوان ربما يبالغون
 أنفسهم على لا يفتي به الفقهاء مهماراً أو اصلاح قلوبهم فله ثم يتداركون ما فطر منهم فيه من ضرورة
 التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد وأقبل الناس عليه فدخل حماها وليس شاب غيره وخرج
 فوقف في الطريق حتى غرقوه فأخذوه وضربوه واستدوا منه الثياب وقالوا انظر اوه خبروه
 وأقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والمهجرة إلى موضع الخول فان المعتزل في بيته في
 البلد الذي هو به مشهور ولا يخلو عن حب المنزل التي ترجح له في القلوب بسبب منزلته فانه ربما يظن
 أنه ليس بحب لذلك الجاه وهو مفرور وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس بما
 اعتقدوه فيه فذموا أو نسبوا إلى امر غير لائق به جرت نفسه وتأملت وربما توصلت إلى الاعتذار
 عن ذلك وأما طه ذلك الصبار عن قلوبهم وربما يحتاج في إزالة ذلك من قلوبهم إلى كذب وتلبيس
 ولا يسأل به وبه شين بعد أنه يحب الجاه والمثلة ومن أحب الجاه والمثلة فهو كمن أحب المال بل هو
 شر منه فان قسمة الجاه أعظم ولا يمكنه أن لا يحب المثلثة في قلوب الناس مادام يطعم في الناس فاذا
 آخر قوته من كسبه أو من جهة أخرى وقطع طمعه عن الناس رأساً أصبح الناس كاهم عنده
 كالآزال فلا يبالى أن كان له مثلة في قلوبهم أم لم يكن كالإسالي بما في قلوب الذين هم منه في أعين
 الناس فيكون لا يراهم ولا يطعم فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس إلا بالقناعة في قع استغنى عن الناس
 وإذا انتفى عن البيت قل قلبه بالناس ولا يمكن لقيام منزلته في القلوب عنده وإن ولا يتم ترك الجاه
 إلا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بما لا يخاف الوارد في ذم الجاه وفدح الجور والقتل
 ونسئل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة أو قلة أو علة وينظر في أحوال الملوك ويأشروهم لذل على العز

ورغبتم في ثواب الآخرة رضي الله عنهم اجمعين

بيان وجها للعلاج لحب المدح وكراهة الذم

اعلم أن أكثر الناس إنما يكثر الجحوف مذمة الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس ورجاء المدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فغيب معالجته وطريقه ملاحظة الأسباب التي لا يلهيها حب المدح ويكره الذم (أما السبب الأول) فهو استئثار الكمال بسبب قول المادح فطرقك فيه أن ترجع إلى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها أنت متصف بها لم لا فإن كنت متصفا بها فهي أما صفة تستحق بها المدح كالعلم والورع وأما صفة لا تستحق المدح كالتروة والجفاء والأمراض الدنيوية فإن كانت من الأعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح نبات الأرض الذي يصير على القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول كما قال المتنبى

أشد ألتئم عندى في سرور • تيقن منه صاحبه انتحالا

فلا ينبغي أن يفرح الإنسان بمرض الدنيا وإن فرح فلا ينبغي أن يفرح بمدح المادح به بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها وإن كانت الصفة مما تستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي أن لا يفرح بها لأن الخاتمة صير معلومة وهذا إنما يقتضي الفرح لأنه يقرب عند الله زلي وخاطر الخاتمة باق في الخوف من سوء الخاتمة فشق عن الفرح بكل ما في الدنيا بل الدنيا دار آثران وغرور لا دار فرح وسرور ثم إن كثرت فرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح فإن للذة في استئثار الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلا ينبغي أن تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وإن كانت الصفة التي مدحت بها أنت خال منها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثال الجنان من يهرأ به إنسان فيقول سبحان الله ما أكثر العطر الذي في أحشاء ما أطيب الروائح التي تفرح منه إذا قضى حاجته وهو يعلم ما تشتمل عليه أعمارهم من الإقذار والانتان ثم يفرح بذلك فيصعدك إذا أتوا عليك بأصلاخ والورع ففرحته والله مطلع على خبايا قلبك وغوائل سريرتك وأقدار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فإذا المادح ان صدق فليكن فرحك بمصفتك التي هي من فضل الله عليك وإن كنت فينبغي أن يمدحك ذلك ولا تفرح به (وأما السبب الثاني) وهو دلالة المدح على تمضية قلب المادح وكونه سببا لتقصير قلب آخر فهذا يرجع إلى حياء الجاه والمزلة في القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع من الناس وطلب المزلة عند الله بيان تعلم أن طيبك المزلة في قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به (وأما السبب الثالث) وهو الحشية التي اضطربت المادح إلى المدح فهو أيضا يرجع إلى قدره عارضة لثبات لها ولا تستحق الفرح بل ينبغي أن يمدح مدح المادح ويكرهه وتضرب به كما نقل ذلك من السلف لأن آفة المدح على المدح عظمية كذا كرفاه في كتاب آفات اللسان قال بعض السلف من فرح بمدح فقد تمكن الشيطان من أن يدخل في بطنه وقال بعضهم إذا قبل لك نعم الرجل أنت فكان أحب إليك من أن يقال لك ينس الرجل أنت فانت والله ينس الرجل وروى في بعض الأخبار أن صخر وهو قاصم ظهر رأي رجل أني على رجل خير عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا لأفشي الذي قلت فبات على ذلك دخل النار وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمادح ويحك قصمت ظهره لو سئلت ما أفعل إلى يوم القيامة فقال عليه السلام ألا لا تمدحوا وإذا رأيتم المادح فاجروا

في وجوههم القرب فلهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين على وجل عظيم من المدح وقتته وما يدخل على القلب من السرور العظيم به حتى ان بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شيء قال أنت يا أمير المؤمنين خير مني وأعلم فغضب وقال اني لم أترك ان تركني وقيل لبعض الصحابة لا يزال الناس بخير ما أبقاك الله فغضب وقال اني لأحبك عراقيما وقال بعضهم للمدح اللهم ان عبدك تقرب الى عبيتك فأنت على مقبلة وانما كرهوا المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم مغفوتون عند الخلق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله يفيض اليهم مدح الخلق لأن المدح هو المقرب عند الله والمذموم بالحقيقة هو البعد من الله الملقى في النار مع الاشرار فهذا المدح ان كان عند الله من أهل النار فأعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح الا بفضل الله تعالى وثباته عليه الأئليس أمره بيد الخلق ومهما علم أن الارزاق والأجال بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يحبه من أمر دينه والله الووفق للصواب رحمة

بيان علاج كراهة الذم

فيسبق أن العلف في كراهة الذم هو ضد العلف في حب المدح فعلاجه أيضا فيهم منه والقول الوجيز فيه أن من ذمك لا يتخلو من ثلاثة أحوال اما أن يكون قد صدق فيما قال وقصده بالصبر والشفقة واما أن يكون صادقا ولكن قصده الايذاء والتعنت واما أن يكون كاذبا فان كان صادقا وقصده النصيح فلا ينبغي أن تلمه وتغضب عليه وتخذل بسببه بل ينبغي أن تتخذل منه فان من أهدى اليك عيوبك فقد أوردك الى المهلك حتى يقيه فينبغي أن تفرح به وتشتغل بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليها فأما انهماك بسببه وكراهتك له وذمك اياه فانه غايه الجهل وان كان قصده التهنيت فانت قد انتفعت بقوله إذ أوردك الى عيبك ان كتب جاهلا به أو ذكر عيبك ان كتب غافلا عنه أو فجع في عيبك لينتفع حرصك على ازالته ان كتب قد استخسنته وكل ذلك اسباب سعادتك وقد استفدت منه فاشتغل بطلب السعادة فقد اتبع لك اسبابا يسبب ماسمعت من المذمة ففهما قصدت الدخول على ملك وثوبك ملوث بالعدرة وأنت لا تدري ولودخلت عليه كذلك خلعت أن يحز وفتك لتلوثك بحمله بالعدرة فقال لك قائل لها الملوث بالعدرة طهر نفسك فينبغي أن تفرح به لان تنبهك بقوله غشيمه فجميع مساوي الاخلاق مهلكة في الآخرة والانسان انما يعرفها من قول اعدائه فينبغي أن يفتنه وأما قصد العدو التعت غنايه منه على دين نفسه وهو نتيجة منه عليك فلم تغضب عليه بقول انتفعت به أنت وتضرر هو به الحالة الثالثة أن يفتري عليك بما أنت بري منه عند الله تعالى فينبغي أن لا تسكر ذلك ولا تشتغل بذمه بل تذكر في ثلاثة أمور أحدها أنك ان خلوت من ذلك الصيب فلا يتخلو من أمثاله وأشياهه وماسنره اللهم من عيوبك أكثر فاشكر الله تعالى إذ لم يطعمه على عيوبك ودفعه عنك بدركما أنت بري عنه والثاني أن ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك فكذلك وما لك عيب أنت بري منه وطهرتك من ذنوب أنت ملوث بها وكل من اعتابك فقد أهدى اليك حسنة وكل من مدحك فقد قطع ظهرك لها باله تفرح بقطع الظهور وتحزن لهذا الحسنة التي تهربك الى الله تعالى وأنت تزعم أنك تحب القرب من الله وأما الثالث فهو أن المسكين قد جنى على دينه حتى سقط من عين الله وأهلك نفسه باقتراعه وتعرض لعقابه الاليم فلا ينبغي أن تغضب عليه مع غضب الله عليه فغشيت به الشيطان وتقول اللهم أهلكه بل ينبغي أن تقول اللهم صل على اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لقومي اللهم اهد

قوى فانهم لا يعلمون لما أن كسروا تائبوا وشجروا وجههم وقتلوا امرأته حمزة يوم أحد وعاين ابراهيم أن أدهم
 لمن شج رأسه بالمضرة قيل له في ذلك فقال علت أني مأجور ونسبه وما نأثني منه إلا خير فلا أرضى
 أن يكون مؤمرا بما ينسبى وبما يؤثرك عليك كراهة الذمة قطع الطمع فان من استغنى عنه مما
 ذمك لم يعظم اثر ذلك في قلبك وأصل الدين القناعة وبها يقطع الطمع عن المال والجاه وما قام
 الطمع قائما كان حب الجاه والمديح في قلب من طمعت فيه غاليا وكانت همتها على تحصيل المنزلة
 في قلبه مضروقة ولا يزال ذلك الإهدم الدين فلا ينبغي أن يطمع طالب المال والجاه ويحب المدح
 ومفض الذم في سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا

في بيان اختلاف أحوال الناس في المديح والمذم

اعلم أن للناس أربعة أحوال بالاضافة الى الذات والمادح • الحالة الاولى أن يفرح بالمديح ويشكر
 المادح ويضرب من الذم ويحقد على المذم ويكافئه أو يحب مكافئته وهذا حال أكثر الناطق وهو غاية
 درجات اللصية في هذا الباب • الحالة الثانية أن يمتنع في الباطن عن المديح ولكن يمسك لسانه
 وجوارحه عن مكافئته ويفرح باطنه ويرتاح لمدح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا
 من النقصان لأنه بالاضافة الى ما قبله كمال • الحالة الثالثة هي أول درجات الكمال أن يستوى
 عند زامه وما دحه فلا تغمه الذمة ولا تسره المديح وهذا قد يظنه بعض الصالحين ويصنعون
 مغروران لم يحسن نفسه بعلاماته وهلاماته أن لا يجد في نفسه استغلا للذات عند ظهوره
 الجوارح عنده أكثر مما يجده في المادح وأن لا يجد في نفسه زيادة هرة ونشاط في قضاء حوائج المادح
 فوق ما يجده في قضاء حاجة الذات وأن لا يكون القطع للذات عن محله أهون عليه من انقطاع
 المادح وأن لا يكون موت المادح المطري له أشد كلفة في قلبه من موت الذات وأن لا يكون غيبه
 بحسبة المادح وما يناله من أعدائه أكثر مما يكون بحسبة الذات وأن تكون زلة المادح أخف
 على قلبه وفي صيئه من زلة الذات فمما خاف الذات على قلبه كما خاف المادح واستويا من كل وجه فقد
 نال هذه الرتبة وما أصد ذلك وما أشده على القلوب وأكثر العباد فرحهم بمدح الناس لهم مستبطن
 في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتنعون أنفسهم بهذه العلامات وربما شعر العابد بميل قلبه
 الى المادح دون الذات والشيطان يحسن لذلك ويقول المذم قد صمى الله بخصيتك والمادح قد
 أطاع الله بمدحك فكيف تسوى بينهما وإنما استغفلك الذات من المديح المحض وهذه بعض
 التلبس فان العابد لو تفكر علم أن في الناس من ارتكبت من كثير المعاصي أكثر مما ارتكبت الذات
 في مذمته ثم أنه لا يستقلهم ولا يتفرعنهم ويعلم أن المادح الذي مذمه لا يخلص مذمة غيره
 ولا يجد في نفسه ففرغه مذمة غيره كيجد الذمة لنفسه والذمة من حيث لم يصبها لا تختلف بأن
 يصنعون هو المذموم أو غيره فاذن العابد المصروف لنفسه يضرب ولهو يمتنع ثم إن الشيطان يحيل
 اليه أنه من الذين حتى يمتلئ من الشهرة ويفرغ ذلة إيمان الله ومن لم يطلع في مكاتب الشيطان
 وأغاب القوس فأكثر عباداته تفت ضائع قوت عليه المذنبات بحضرة في الآخرة فهم قال
 الله تعالى قل هل يشعركم بالأخسر من أعمال الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحننون أنهم
 يمضون صمما • الحالة الرابعة وهي الضيق في العبادة أن يكره المذم وزميت المادح أن يعلم
 أنه قننة عليه قاصمة قطره مضرة في الدين ويحب القيام إليه أنه مهذبه فيه ومزججه
 التي فيه وهو مهذبه حسنة قد قال صلى الله عليه وسلم رأيت التواضع أن تكرم أن تكفر بالبر
 والتقوى ولقد روي في بعض الاخبار ما هو قاصم لظهور أمثالنا أن صح الذي أتى به النبي

عليه وسلم قال ويل للصائم ويل للقائم ويل لصاحب الصوف الامن قيل يا رسول الله
الامن قال الامن تزهرت نفسه من الدنيا وانقض المدح واستحب المنع وهذا شديد جدا وغاية
أمثاله الطمع في الحالة الثانية وهو أن يضر الفرح والكراهة على الذات والمادح ولا يظهر ذلك
بالقول والعمل فأما الحالة الثالثة فهي التسوية بين المادح والذاتم فليستنا نطمع فيها ثم ان طلبنا
أنفسنا بعلامة الحالة الثانية فانها لا تأتي بها الا بالابتدؤ ان تنسارع الى اكرام المادح وقضاء حاجاته
وتتناقل من اكرام الذات والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا تجد على أن نسوى بينهما في الفعل الظاهر
كما لا تجد عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين المادح والذاتم في ظاهر الفعل فهو حدير
بأن يصدق قوة في هذا الزمان ان وجد فانه الكبريت الاحمر يعضد الناس به ولا يرى فكيف
بما بعده من المرتبتين وكل واحدة من هذه الرتب أيضا فيها درجات أما الال درجات في المدح فهو ان
من الناس من يفتي المدح والثناء وانتشار الصيت فيتوصل الى نيل ذلك بكل ما يمكن حتى يرائي
بالعبادات ولا يالي بمقارفة المخطورات لاستمالة قلوب الناس واستبطاق ألسنتهم بالمدح وهذا
من المالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا ياتر المخطورات
وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذي يستعمل به القلوب وحدود الاعمال لا يمكنه أن
يغسبها فيوشك أن يقع فيما لا يحل لنيل الحد فهو قريب من المالكين جدا ومنهم من لا يريد
المدح ولا يسعى لطلبها ولكن اذا مدح سبق السرور الى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجادة ولم يتكلف
الكراهية فهو قريب من أن يستبره فرط السرور الى الرتبة التي قبلها وان جاهد نفسه في ذلك
وكلف قلبه الكراهية ونقض السرور اليه بالتفكر في آفات المدح فهو في خطر المجادة فتارة تكون
البدة وتارة تكون عليه ومنهم من اذا سمع المدح لم يسره ولم يفتخ به ولم يؤثر فيه وهذا على خير وان
كان قد بقي عليه بقي من الاخلاص ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لا ينهي به الى أن يغضب
على المادح ويشكر عليه وأقصى درجاته أن يكرهه ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه لأن
يظهر الغضب وقلبه يحب له فان ذلك عين الاتفاق لانه يريد أن يظهر من نفسه الاخلاص والصدق
وهو مفلس منه وكذلك بالصد من هذا انتقارت الاحوال في حق الذات وأول درجاته اظهار الغضب
وآخرها اظهار الفرح ولا يكون الفرح وانتهاه الامن في قلبه حتى وقصد على نفسه لئلا يدها عليه
وكثرة عيوبها وموايد الكاذبة وتليساتها الخبيثة فيبغضها بنقض العدو والانسان فرح بمن
يذم عدوه وهذا تنقض عدوه نفسه فيفرح اذا سمع ذمها ويشكر الذات على ذلك ويعتقد فطنته
وذكاهه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالنسي لمن نفسه ويكون غشيمة عنده انصار بالمذمة
أوضح في أعين الناس حتى لا يثني بفتنة الناس واذا سبقت اليه خسرات لم ينصب فيها ففساد يكون
خير العيوب التي هو عاجز عن اماتها ولو جاهد المرء نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهو
أن يستوى ضد ذاته ومادحها كان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وشبهه وبين السعادة
عقبات كثيرة هذه احداها ولا يقطع شيئا منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل
(الشرط الثاني من الكتاب) في طلب الجاه والمترتبة بالعبادات وهو الراء و فيه بيان ذم الراء وبيان
حقيقة الراء وما يربى به وبيان درجات الراء وبيان الراء الخفي وبيان ما يبيط العمل من الراء
وما لا يحيط وبيان دواعي الراء وعلاجه وبيان الرخصة في اظهار الطلعات وبيان الرخصة في كتمان
الذنوب وبيان ترك الطلعات خوفا من الراء والآفات وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادات
بنيب رؤية الخلق وبيان ما يجب على المرء أن يلزمه قلبه قبل الطاعة وبعدها وهي عشرة فصول

الله صلى الله عليه وسلم قال في معاذ حتى ظننت انه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال لي يا معاذ قلت لي بك يا بني أنت وأمتي يا رسول الله قال اني محدثك حديثان أنت حفيظته تفعلون وان أنت ضيعتموه لم تحفظوا ما قطع جنتك عند الله يوم القيامة يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل ان يخلق السموات والأرض ثم خلق السموات فجعل لكل معام من السبعة ملكاً يؤا عليها قد جعلها أعظم ما قصدها الحفظة يعمل العدم حين أصبح الى حين أمسى له نور كزور الشمس حتى اذا صعدت به الى السماء الدنيا زكته فذكرته في قول الملك الحفظة اضر بواهدا العمل وجه صاحبه أنا صاحب الغيبة أمرني ربي أن لا أدع عمل من اغتاب الناس بما ورنى الى غيرى قال ثم تأتي الحفظة بعمل صالح من أعمال الصديقين به قتر كيه وتكبره حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا اضر بواهدا العمل وجه صاحبه أنه أراد بعمله هذا عرض الدنيا أمرني ربي أن لا أدع عمله بما ورنى الى غيرى أنه كان يقضيه على الناس في مجالسهم قال وتصدق الحفظة بعمل الصديقين نوراً من صدقهم وصيام وصلاته قد أعجب الحفظة فيما ورنى به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا اضر بواهدا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرني ربي أن لا أدع عمله بما ورنى الى غيرى أنه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصدق الحفظة بعمل الصديقين كآبره الكوكب الدرى لودى من تسبيح وصلاته ورجوعه حتى يجاوزوا به السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا اضر بواهدا العمل وجه صاحبه اضر بواهدا يظهره وبطنه أنا صاحب الجيب أمرني ربي أن لا أدع عمله بما ورنى الى غيرى أنه كان اذا عمل عملاً أدخل الجيب في عمله قال وتصدق الحفظة بعمل الصديقين يجاوزوا به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا اضر بواهدا العمل وجه صاحبه أنه كان لا يرحم انساناً قط من عباد الله أصابه بلاء أو اضر بواهدا بل كان يشتم به أنا ملك الرحمة أمرني ربي أن لا أدع عمله بما ورنى الى غيرى قال وتصدق الحفظة بعمل الصديقين الى السماء السابعة من صوم وصلاته ورفقة وزكاة واجتهاد وورع له دوى كدوى العدو وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيبارزون به الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا اضر بواهدا العمل وجه صاحبه اضر بواهدا جوارحه اقبلوا به على قلبه اني احب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي أنه أراد بعمله خير الله تعالى أنه أراد به رفعة عند الفقهاء وذكر عند العلماء وصيتاً في المداين أمرني ربي أن لا أدع عمله بما ورنى الى غيرى وكل عمل لم يكن لله خالصاً فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرأى قال وتصدق الحفظة بعمل الصديقين صلاة وزكاة وصيام ورجوعه وحسن وصمت وذكر لله تعالى وتسبباً لملك السموات حتى قطعوا به الحب كلها الى الله عز وجل فيقفون بين يديه وشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله قال فيقول الله لهم انتم الحفظة على عمل عدي وأنا الرقيب على نفسه انه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيرى فطيله لعنى فيقول الملائكة كلهم عليه لعنتك ولعنتنا ونقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا ونقول السموات السبع والأرض ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ قال اقتدي وان كان في ممالك قصص يا معاذ حافظ على لسانك من الواقعة في اخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تجملها عليهم ولا تترك نفسك بدعهم ولا ترفع نفسك عليهم

عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تنكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تنابح
رجلا وعندك آخرو ولا تنظم على الناس فيقطع عنك خيرة الدنيا ولا تفرق الناس فيمترك كلاب
النار يوم القيامة في النار قال تعالى والناشطات نشطا أعزى من هن يامعاد قلت ما هن يا بني أنت
وامي يا رسول الله قال كلاب في النار تشط اللحم والعظم قلت يا بني أنت وامي يا رسول الله فيطبق
هنا الخصال ومن يصومها قال يامعاد انه ليس يرعى من يسره الله عليه قال فإرأيت أكرت تلاوة
القرآن من معاذ البذر عني هذا الحديث (وأما الآثار) فيروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
رأى رجلا يخطأ بطريقه فنبهه فقال يا صاحب الرقة ارفع رقبك ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع
في القلوب ورأى أبوا مائة الباهي رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال أنت لو كان هذا في
بيتك وقال علي كرم الله وجهه للرأي ثلاث علامات يكسل إذا كان وحده ونشط إذا كان في الناس
وزيد في العمل إذا انتفى عليه ويتقص إذا تم وقال رجل لصاوية الصامت أقبل بسبي في سبيل
الله أريد به وجه الله تعالى ومجدة الناس قال لا شيء لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لا شيء لك
ثم قال في الثالثة أن الله يقول أنا أعتي الأعيان عن الشريك الحديث وسأل رجل سعد بن المسيب
فقال إن أحدنا يصطنع المعروف يجب أن يحدوثر فقال له انتجب أن تمقت قال لا قال فاذا علمت
لله علفا فخلصه وقال الضحالك لا تقولن أحدكم هذا الوجه لله ولا تقولن هذا الوجه للرحم فان
الله تعالى لا شيء لك وضرب عمر رجلا بالدرع ثم قال له اقتص مني فقال لا بل ادع الله فك قال له
عمر ما صنعت شيئا ما أن تدعها لي فأعرف ذلك أو دعها لله وحده فقال ودعها لله وحده فقال قال فم
اذن وقال الحسن لقد سمعت أقواما أن كان أحدهم تعرض له الحكمة لوطق بها لتفتع وتفتع
أصحابه وما ينعمها إلا الخفاة الشهرة وإن كان أحدهم ليرقى في الطريق فابتنعه أن
ينجيه الخفاة الشهرة ويقال إن المرائي ينادي يوم القيامة بأربعة أسماء يا حرائي يا غدار يا خاسر
يا فاجر اذهب فقد أجرك من جملت له فلا جرك عندنا وقال الفضيل بن عياض كانوا يراؤن بما يعملون
وضار واليوم يراؤن بما لا يعملون وقال عكرمة أن الله يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لأن
النية لا رياء فيها وقال الحسن رضي الله عنه المرائي يريد أن يظن قدر الله تعالى وهو رجل سوء يريد
أن يقول الناس هو رجل صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأروبا فلا بد لقلوب المؤمنين
أن تعرفه وقال قتادة إذا رأى العبد يقول الله تعالى انظروا إلى عبدني يستهزئ بي وقال مالك بن دينار
القرء ثلاثة قرءا الرحمن وقرءا الدنيا وقرءا الملوك وإن محمد بن واسع من قرءا الرحمن وقال
الفضيل من أراد أن ينظر إلى امرأه فليتنظر إلى امرأته فليتنظر إلى امرأته فليتنظر إلى امرأته فليتنظر إلى امرأته
فانه أنصف من سمك التهاولان المهمت بالنها والقلوبين وسمت الليل لرب العالمين وقال أبو سليمان
التوفي عن العمل أشد من العمل وقال ابن المبارك أن كان الرجل لطوف بالبيت وهو يجراسان
فقبل له وكيف ذلك قال يجب أن يذكر أنه محاور بمكة وقال إبراهيم بن أدهم ما صدق الله من أراد أن

يحيى حقيقة الرأى ما رآه أي به

يشهر

أعلم أن الرأى مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وإنما رآه أصله طلب المتزلة في قلوب
الناس بإبرائهم خصال الخير إلا أن الجاهل المتزلة تطلب في القلب بأعمال سوى العبادات وتطلب
بالعبادات واسم الرأى مخصوص بمكة العادة تطلب المتزلة في القلوب بالعبادات وأظهارها حقيقة الرأى
هو إرادة العباد بطة الله فالمرأى هو العابد والمرأى هو الناس المطلوب رؤيتهم تطلب المتزلة في
قلوبهم والمرأى به هو انحصال التي قصد المرائي أظهارها والرأى به هو قصد أظهار ذلك والمرأى به

كثير ونجمه خمسة أقسام وهي مجامع ما يتربن به العبد للناس وهو البدن والزى والقول والعمل والابتناع والاشياء الخارجة فقولك ذلك أهل الدنيا يرادون بهذه الاسباب الخمسة الا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون من الرياء بالطاعات (١) القسم الاول الرياء في الدين بالبدن وذلك باظهار القول والصغار ليروهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة وليلد بالتحول على قلة الاكل وبالصغار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن على الدين وكذلك يراني بتشعبت الشعر ليلد به على استغراق المهتم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه الاسباب مهما ظهرت استبدل الناس بها على هذه الامور فان راحت النفس لمعرفتهم فلذلك تدعوه النفس الى اظهارها لتبذل تلك الراحة وتقرب من هذا خفض الصوت واغارة العينين ودبول الشفتين ليستبدل بذلك على أنه مواطب على الصوم وأن وقار الشرع هو الذي خفض من صوته ووضف الجوع هو الذي ضعف من قوته وعن هذا قال المسيح عليه السلام اذا صام أحدكم فليدخن رأسه ويرجل شعره ويكمل عينيه وكذلك روى عن أبي هريرة كنهنا يخاف عليه من زرع الشيطان بالرياء ولذلك قال ابن مسعود أصبوا صياما مذهب فيه صراة أهل الدين بالبدن فأما أهل الدنيا فيدرون باظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه وقطافة البدن وقوة الاعضاء وتاسيها (٢) الثاني الرياء بالحسنة والزى (٣) أما الحسنة فبتشعبت شعرا الراس وخلق الشارب والطراق الراس في المشي والمدة في الحركة وإبقاء أثر السجود على الوجه وظل الشارب وليس الصوف وتشبهوا الى قريب من الساق وتقصير الاكام وترك تنظيف الثوب وترك خرقا كل ذلك يراني به ليظهر من نفسه أنه متبع للسنة فيم مقتدي به عباد الله الصالحين ومن ذلك ليس الرضا للصلاة على السجادة وليس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الافلاس من حقائق التصوف في الباطن ومنه التمتع بالا زار فوق العمامة واسبال الرداء على العين ليرى به أنه قد انتهى تشبها الى الحد من غبار الطريق ولتصرف اليه الاعين بسبب غيرة تلك العلامة ومنه البراعة والطيلسان بلبسه من هو حال من العلم ليروهم أنه من أهل العلم والمرادون بالزى على طبقات فهم من يطلب المنزلة عند أهل الصلاح باظهار الزهد فيلبس الثياب الخرقاء الوسخة القصيرة الغليظة ليراني بظلمها ووسعها وقصرها وتخرقها أنه غير مكترث بالدنيا ولو كلف أن يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف بلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه أن يقول الناس قبيداله من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا وطبقة اخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاح وعند أهل الدنيا من الملوك والوزراء والجار ولوليسوا الثياب الفاخرة رزهم القرام ولوليسوا الثياب الخرقاء البذلة ازدرتهم أعين الملوك والاعتناء بهم يردون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الاضواف الدقيقة والاكسية الرقيقة والمرصعات المصبوغة والفتوط الرقيقة فيلبسونها ولعل قيمة ثوب واحد من قيمة ثوب احد الاعتياء ولونه وهيئته لون ثياب الصلحاء فليتمسكوا القبول عند الفريقين وهو لا مان كلوا ليس ثوب خشن أو وسخ لكان عندهم كالذبح خوفا من السقوط من أعين الملوك والاعتناء ولو كلوا ليس الدقيق والسكان الدقيق الابيض والقصب الملمع وان كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لظنهم ذلك عليهم خوفا من أن يقول أهل الصلاح قدر غيبي في زى أهل الدنيا وكل طبقة منهم رأي منزلته في زى مخصوص فينقل عليه الانتقال الى مادونه أو الى ما فوقه وان كان منا خافه من المنفعة وأما أهل الدنيا فإرا أنهم بالثياب النفيسة والمرآكب الرقيقة وأنواع التوسع والتجمل في اللبس والسكن وأثاث البيت وفرة الخيول وبالثياب المصبوغة والطيلاسة النفيسة

وذلك نظاهر بين الناس فانهم يلبسون في بيوتهم الثياب الخشنه ويستند عليهم لورؤوا الناس على تلك
 الهسته مام بالفرق الزينة (الثالث الياه بالقول) ورياء أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق
 بالحكمة وحفظ الاخبار والآثار لاجل الاستعمال في المجاورة واطهار الفزارة العلم ودلالة على شدة
 العناية بأحوال السلف الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والامر بالمعروف
 والنهي عن المنكر بمشهد الخلق واطهار القصب للسكرات واطهار الاراسف على مقارنة الناس
 للعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت بقراءة القرآن ليدل بذلك على الخوف
 والحزن وإدعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والدق على من يروى الحديث بيان خلل في لفظه
 ليعرف أنه يصير بالاحاديث والمبادرة الى أن الحديث صحيح أو غير صحيح لاظهار الفضل فيه
 والمجادلة على قصد انقام الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والرياء بالقول كثير أنواعه لا تحضر
 وأما أهل الدنيا فإرا أنهم بالقول يحفظ الاشعار والامثال والتفاسع في العبارات وحفظ النور
 القريب للفراب على أهل الفضل واطهار التبوذد الى الناس لاستمالة القلوب (الرابع الياه
 بالعمل) كبر آية الصلي بطول القيام ومدا الطهر وطول الميعود والكوع واطراق الرأس وترك
 الالتفات واطهار الهدم والسكون ونسوية القدمين والدين وهكذا بالصوم والغزو والحج
 وبالصدقة وبالطعام وبالاخبار في المشي عند القاء كارتاه الجفون وتكبس الرأس
 والوقار في الكلام حتى ان المرابي قد يسرع في المشي الى حاجته فاذا اطلع عليه أحد من أهل الدين
 رجع الى الوقار واطراق الرأس خوفاً من أن ينسبه الى الهلة وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد الى
 محبته فاذا رآه عاد الى خشوعه ولم يحضر ذكر الله حتى يكون يجتهد الخشوع له بل هو لا اطلاع انسان
 عليه يجتهد أن لا يعتقد فيه أنه من العباد الصلحاء ومنهم من اذا سمع هذا السجى من أن يتخلف
 مشيته في الخلو مشيته يمرأى من الناس فيكف نفسه المشية الحسنة في الخلو حتى اذا رآه الناس
 لم يفتقر الى التفسير ويظن أنه بخلص به من الرياء وقد تضاعف به رياءه فانه صار في خلوته أيضاً
 مراً ثباته انما يحسن مشيته في الخلو ليكون كذلك في الملا لا يخوف من الله وحياء منه وأما أهل
 الدنيا فإرا أنهم بالتبصر والاختيال وتحريك الدين وتقرّب الخطايا والاخذ بأطراف القليل وإدارة
 العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والخشمة (الخامس المراءة بالاحباب والزائرين والنجاة الطين) كالذي
 يتكلف أن يستقر على ما من الجلاء لقال ان فلان قد زار فلاناً أو جليداً من العباد لقال ان أهل الدين
 يتركون زيارته ويترددون اليه أو ملكاً من الملولة أو عاملاً من عمال السلفان ليقال انهم
 يتركون به لعظم رتبته في الدين كالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى أنه لقي شيوعاً كثيرة واستعداد
 منهم فيما هي بشيوخه ومباهاته ومراآته ترشح منه عند خاصته فيقول لغيره ومن لقيت من
 الشيوخ وأما قد لقيت فلاناً وفلاناً ودرت البلاد وخدعت الشيوخ وما يجري مجراه فلهذا يجامع
 ما يرامى به المرأون وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمزلة في قلوب العباد ومنهم من يفتع بحسن
 الاعتقاد ان فيه فكم من راهب تزوي الى ديره مسنين كثيرة وهم من عابداً عتزل الى قلة جبل ميدة
 مديدة وانما خبايا من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولوعرف أنهم نسوه الى جرم في ديره
 أو صومعته لتشوش قلبه ولم يفتع بعلم الله براه قساحته بل يستند لذلك غم ويسعى بكل حيلة في إزالة
 ذلك من قلوبهم مع أنه قد قطع طمعه من أموالهم ولكنه يجب بغير الجاه فانه لا يذبح كذا رياء في
 اسبابه فانه نوع قدرة وكال في الحال وان كان سريع الزوال لا يشتر به الاجمال ولكن أكثر
 الناس تجهال ومن الرائي من لا يفتع بقيام معتزله بل يفتس مع ذلك اطلاق اللسان بالثناء والجليل

منهم من يريد انتشار العيب في البلاد لتكثر الرحلة اليهم منهم من يريد الاشتغال عند المولود لتقبل
شقاوته وتبخر الخواص على يده فيقوم له بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك الى جميع
حطام وكسب مال ولومن الاوقاف وأموال التماهي وغير ذلك من الحرام وهو لا مشرط طبقات
المراتب الذين يراون بالاسباب التي ذكرناها هذه حقيقة الرياء وما به يقع الرياء فان قلت فالرياء
حرام أو مكروه أو مباح أو فيه تفصيل فأقول فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو اما أن
يكون بالعبادات أو بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث انه
طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات وأسباب مخبوضة فكذلك
الجاه وكما أن كسب قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو
ما يسلم به عن الآفات أيضا محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال في حفيظة علم وكما
أن المال فيه سم تاقع ودر ياق تافع فكذلك الجاه وكما أن كثير المال يلهي ويغني وينسي ذكر الله
والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه يبل أشد وقتنا الجاه أعظم من قسمة المال وكانا لا نقول تلك المال
الكثير حرام فلا نقول أيضا تملك القلوب الكثيرة حرام الا اذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على
مباشرة ما لا يجوز فتم انصراف الهم الى سعة الجاه مبدأ الشر وكما انصراف الهم الى كثرة المال ولا يقدر
محب الجاه والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرها أو ما سعة الجاه من غير حرص منك على
طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال فلا ضرر فيه فلا جاء أو سعة من جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجاء خلقه الراشدون ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه نقصان
في الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذي يلبسه الانسان عند انقرواج الى
الناس امر أو هو ليس بجرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالديناوقس على هذا كل جمل للناس
وترن لهم والدليل عليه ما روي من عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد
أن يخرج يومالي الخميس فكان ينظر في حب الماء ويسوي حمامته وشعره فقالت أو تفعل ذلك
يا رسول الله قال نعم ان الله تعالى يحب من العبد أن يتزين لآخوته اذا خرج اليهم نعم هذا كان من
رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لانه كان مأمورا بدعوة الخلق وترضيهم في الاتباع واستماله
قلوبهم ولو سقط من أعينهم لم يرعوا في اتباعه فكان يجب عليه أن يظهر لهم بحسب أحواله لئلا
تزدريه أعينهم فان أعين عوام الخلق تمتد الى الطواهر دون المصروف فكان ذلك قصد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولكن لو قصد قاصديه أن يحسن نفسه في أعينهم جذرا من ذمهم ولومهم واسترواحا
الى توفيرهم واحترامهم كان قد قصد أمر امباحا فلا انسان أن يجتر من ألم المذمة ويطلب راحة
الانسان بالآخوان ومهما استقلوه واستقذروه لم يأنس بهم فاذا المرآة بما ليس من العبادات قد
تكون صالحة وقد تكون طاعة وقد تكون مذمومة وذلك بحسب الغرض المطلوب بها وذلك
يقول الرجل اذا اتفق ماله على جماعة من الاغنياء لا في معرض العبادة والصدقة ولكن ليعقد
الناضي أنه سقى فهذا امر آفة وليس بجرام وكذلك أمثاله أما العبادات كالصدقة والصلاة
والصيام والغزو والحج فلهما رأي في حالهما ان لا يكون له قصد الا لرياء المحض دون
الآخر وهذا ينطبق بعبادته لان الاحمال بالنيات وهذا ليس بقصد العبادة ثم لا يقتصر على احباط
عبادته حتى تقول بامركا كان قبل العبادة بل يعصى بذلك بما تم كادلت عليه الاخبار والآيات
واللغني فيه أمران أحدهما يتعلق بالعبادة وهو التلبيس والمكر لانه خيل اليهم أنه يخلص مخلص الله
وانه من أهل الدين وليس كذلك والتلبيس في أمر الدنيا لحرام أيضا حتى لو قضى دين جماعة وخيلى

لناس أنه متبرع عليهم ليعقدوا سخاوتهم فيملا فيه من التلبس وتملك القلوب بالخداع والمكر
والثاني يتعلم بالله وهو أنه مهما قصد عبادة الله تعالى خلق الله فهو مستهزئ بالله ولذلك قال قتادة
إذا رأى الصديق العبد للآلئكة أقروا إليه كيف يستهزئ بمثاله أن يمثل بين يدي ملك من
الملوك طول النهار كجرت عادة الخدم وأما وقوفه فلا حطة جارية من جوارى الملك أو غلام من
عظمائه فان هذا استهزاء بالملك إذ لم يقصد التقرب إلى الملك بخدمة بل قصد بذلك عبدا من عبيده
فأي استحقاق يزعم على أن يقصد العبد بعبادة الله تعالى مراعاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا
وهل ذلك إلا لأنه يظن أن ذلك العبد أقدر على تحصيل أغراضه من المملوءة أولى بالتقرب إليه من
الغنى إذ أثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادة وأي استهزاء يزعم على رفع العبد فوق المولى فهذا من
كثير المهلكات ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الأصغر ثم بعض درجات الربا أهنة
من بعض كما سبأني بيانه في درجات اليا من شاء الله تعالى ولا يجوز شيء منه من الخبط أو خفيف
بحسب ما به المراتب ولو لم يكن في اليا إلا أنه يسجد ويركع لله لكان فيه كفاية فانه وإن لم يقصد
التقرب إلى الله فقد قصد خيرا لله لعمري ولوعظم خيرا لله ما يسجد لك كفر أو جليا إلا أن اليا هو
الشكر الخفي لأن المراتب عظم في قلبه الناس فاقضت تلك العظيمة أن يسجد ويركع فكان الناس
هم المعظمون بالسجود ومن وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود بقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا
من الشرك إلا أنه ان قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده باظهاره من نفسه صورة العظم لله فعين
هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا وذلك غاية الجهل ولا خدم عليه إلا من خدعه الشيطان وأوهم عنده
أن العباد يملكون من ضره ونفعه وورقه وأجله ومصالح حاله وما له أكثر مما يملكه الله تعالى
فلذلك عدل بوجهه عن الله اليهم وأقبل بقلبه عليهم لمستقبل بذلك فيلومهم ولو وكله الله تعالى المسمى في
الدينا والآخرة لكان ذلك أقل مكافأة له على صنيعه فإن العباد كلهم عاجزون عن أنفسهم لا يملكون
لأنفسهم نفعا ولا ضررا فكيف يملكون لغيرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يجزي والدين ولله
ولا مولود هو حاز من والده شيئا بل قول الأنبياء فيه نفسي نفسي فكيف يستبدل الجاهل من
ثواب الآخرة وتبيل التقرب عند الله ما رقبه بطبعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغي أن تشك
في أن المراتب ببطاعة الله في حفظ الله من حيث النقل والقياس جميعا هذا إذا لم يقصد الاجر فأما
إذا قصد الاجر أو الحمد جميعا في صدقته أو صلواته فهو الشرك الذي يناقض الإخلاص وقد ذكرنا
حكمه في كتاب الإخلاص ويدل على ما قلناه من الآثار قول سبعين السبب وعبادة بن الصامت

• بيان درجات الربا •

انه لا أجر له فيه أصلا

أعلم أن بعض أبواب اليا أشد وأعظم من بعض واختلافها باختلاف أركانها وغايات الدرجات
فيها أركانها ثلاثة المرادى به والمرادى لاجله نفس قصد اليا هو الركن الأول بنفس قصد اليا
وذلك لا يتخلو إما أن يكون مجردا دون زيادة عبادة الله تعالى والثواب وإما أن يكون مع إرادة
الثواب فان كان كذلك فلا يتخلو إما أن تكون إرادة الثواب أقوى أو أظلم أو أضعف أو مساوية
لإرادة العبادة فتكون الدرجات أربع الأولى وهي أعظمها أن لا يكون مراده الثواب أصلا
كالذي يصلي بين أظهر الناس ولو أنه رد لمكان لا يصلي بل رجعا يصلي من غير طهارات مع الناس فهذا
جرة قصد اليا إلى اليا فهو المقنوت عند الله تعالى وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من منة الناس
وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لم يأذاهم هذه الدرجة العليا من اليا هي الثانية أن يكون له
قصد الثواب أيضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لمكان لا يفعله ولا يحميه ذلك القصد

على العمل ولولم يكن قصد الثواب لكان الرياء يجمعه على العمل فهذا قريب مما قبله ومافيه من شائبة
 قصد ثواب لا يستقل بجمعه على العمل لا يثنى منه المقت والاعمى الثالثة أن يكون له قصد الثواب
 وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما حاليا عن الآخر لم يثبته على العمل فلا اجتماعا
 انبعث الرغبة أو كان كل واحد منهما لو انفرد لا يستقل بجمعه على العمل فهذا قد أفسد مثل ما أصلح
 فترجوا أن يسلم رأيا برأس لاله ولا عليه أو يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب ونظواهر
 الاخبار يدل على انه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الاخلاص الرابعة أن يكون اطلاع الناس
 مرعجا ومقويا للشناطه ولولم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما اقدم عليه
 فالذي نطقه والعلم عند الله أنه لا يحيط أصل الثواب ولكنه يتقص منه أو يعاقب على مقدار قصد
 الرياء أو يثاب على مقدار قصد الثواب وأما قوله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا أغنى الاعتياء
 عن الشرك فهو محمول على ما اذا تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح (الركن الثاني) للمرعى
 به وهو الطامعات وذلك ينقسم الى الرياء باصول العبادات والى الرياء بأوصافها القسم الاول وهو
 الاغفل الرياء بالاصول وهو على ثلاث درجات الاولى الرياء بأصل الايمان وهذا أعظم أبواب
 الرياء وصاحبه مغلغل في النار وهو الذي يظهر كلنى الشهادة وباطنه مشغون بالتكذيب ولكنه
 يزاني بظواهر الاسلام وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى قوله عز وجل ادعاهم
 المناقون قالوا شهدناك رسول الله والله يعلم انك رسول الله يشهد ان المناقنين لكاذبون أى
 في دلائهم فهو لهم على خيائهم وقال تعالى ومن الناس من يعصك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله
 على ما في قلبه وهو لئى الخصام وانذرتى سعى في الارض ليفسد فيها الآية وقال تعالى وانذرتهم قالوا
 آمننا وادخلوا وضوءا عليكم الا نامل من الغنم وقال تعالى يراؤن للناس ولا يرون الله الاغفلا
 مذنبين بين ذلك والآيات فهم كثيرة وكان النفاق يكثر في ابتداء الاسلام من يدخل في ظاهري
 الاسلام ابتداء لغرض وذلك بما قبل في زماننا ولكن يكثر تفارق بين يسلم عن الدين باطنا فيجسد
 الجنة والنار والدار الآخرة صلا الى قول المهدى أو يعتقد على بساط الشرع والاحكام ميلا الى اهل
 الاباحية ويعتقد كفر أو بدعة وهو يظهر خلافه فهو لاه من المناقنين المرائين المخلصين في النار
 وليس وراء هذا الرياء وحال هؤلاء أشد حال من الكفار المجاهرين لانهم جمعوا بين كفر
 الباطن ونفاق الظاهر الثانية الرياء باصول العبادات منع التصديق بأصل الدين وهذا أيضا
 عظيم عند الله ولكنه دون الاول بكثير ومثاله أن يكون مال الرجل في يديه في بدعيه قيامه باخراج الزكاة
 خوفا من دمه والله يعلم منه أنه لو كان في يده لما أخرجهما أو يدخل وقت الصلاة وهو في جمع وعادته ترك
 الصلاة في الخلوة وكذلك يصوم رمضان وهو شتى خلوة من الخلق ليقطر وكذلك يحضر الجمعة
 ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها أو يصل رحمه أو يبرؤ المديلا عن رغبة ولكن خوفا من الناس
 أو يفر أو يفرح بذلك فهذا امر ابعه أصل الايمان بالله يعتقد أنه لا معبر وسواه ولو كلف أن يعبد
 غير الله أو يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس فتكون
 منزلته عند الخلق أحب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس أعظم من خوفه من
 عقاب الله ورغبته في محبتهم أشد من رغبته في ثواب الله وهذا غاية الجهل وما أجدر صاحبه بالقتل
 وإن كان غير منسل عن أهل الايمان من حيث الاعتقاد الثالثة أن لا يراى بالايان ولا بالفرائض
 ولكنه يراى بالنوافل والسنة التي لو تركها لا يعصى ولكنه يتكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته
 في ثوابها ولا يثار له الكسل على ما يرجح من الثواب ثم يبعثه الرياء على فعلها وذلك كنهو الجماعة

في الصلاة وعبادة المربى واتباع الجنازة وغسل الميت وكما التهجلا الليل وصيام يوم عرفة
وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس قد فعل المرائي جملة ذلك خوفا من المذمة أو طلبا للحمدة وعلم
الله تعالى منه أنه لو خلا بنفسه لما زاد على أداء الفرائض فهذا أيضا عظيم ولكنه دون ما قبله فان
الذي قبله أترحمنا الخلق على حمدنا الخلق وهذا أيضا قد فعل ذلك واتقوا الخلق دون ذم الخلق فان
فكان ذم الخلق أعظم عنده من عقاب الله وأما هذا فلم يفعل ذلك لانه لم يتخف عقابا على ترك النافعة
لوتر كما وكما أنه على الشرط من الأول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الرأى بأصول العبادات
في القسم الثاني الرأى بأوصاف العبادات لا بأصولها وهو أيضا على ثلاث درجات هي الأولى أن
يرأى يفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه أن يتخف الركوع والسجود ولا يطول القراءة
فاذا رأى الناس أحسن الركوع والسجود وترك الالتفات ونعم السجود بين السجدين وقد قال
ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين به ربه عز وجل أي أنه ليس يأتى بأطلاع الله عليه
في الخلوة فاذا اطلع عليه آدمي أحسن الصلاة من جلس بين يدي إنسان متربعا ومستكنا فدخل
غلامه فاستوى وأحسن الجلسة كان ذلك منه تقدما للعلم على السيد واستهانة بالسيد
لا محالة وهذا حال المرائي تحسين الصلاة في الملاء دون الخلوة وكذلك الذي يتأخر أخرج الزكاة
من الثمن الرديئة أو من الحب الرديء فاذا اطلع عليه غيره أخرجها من الجيد خوفا من مذمته
وكذلك الصائم يصوم صومه عن الغيبة والرفق لأجل الخلق لا أكالا لعبادة الصوم خوفا من
المذمة فهذا أيضا من الرأى المخطوولان فيه تقدما للمخلوقين على الخلق ولعنه دون الرأى
بأصول التطوعات فان قال المرائي إنما فعلت ذلك صيانة لاسنتهم من الغيبة فأنهم أداروا وتصيب
الركوع والسجود وكثرة الالتفات أطلقوا اللسان بالذم والغبية وإنما قصدت صيانتهم من هذه
المصيبة فيقال له هذه مكيدة للشيطان عندك وليس وليس الأمر كذلك فان ضررك من نقصان
صلاتك وهي خدمة منك لولا أنك أعظم من ضررك بغيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شفتك
صلى نفسك أكثر وما أنت في هذا إلا كمن يمدى وصيفة الى ملك لينال منه فضلا وولاية
يتخذها فهدمها البعوى هو راء قبيحة مقطوعة الأطراف ولا يأتى بها إذا كان الملك وحده وإذا
كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلمانه وذلك محال بل من راعى جانب غلام الملك
ينبغي أن تكون مراعاته للملك أكثر من الرأى فيه حاله ان احداهما أن يطلب بذلك المنزلة والمجدة
عند الناس وذلك حرام قطعاً والثانية أن يقول ليس يحضرنى الاخلاص في تحسين الركوع
والسجود ولو خفت كانت صلاتي عند الله ناقصة أو أدانى الناس بمتهم وضيئهم فاستقيد تحسين
الهيئة دفع مذمتهم ولا أرجو عليه ثوابا فهو خير من أن ترك تحسين الصلاة فغوت الثواب وتصل
المذمة فهذا فيه أدنى نظر والصحيح أن الواجب عليه أن يحسن ويخلص فان تحضره التهمة فينبغي
أن يستمر على عادته في الخلوة فليس له أن يدفع الذم بالمرأة بطاعة الله فان ذلك استهزاء كما سبق
* الدرجة الثانية أن يرأى يفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكسلة والتبذير
لعبادته كالتطويل في الركوع والسجود ومذاق القيام وتحسين الهيئة ورفع البدن والمبادرة
الى التسمية الأولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة
في حوز رمضان وطول الصمت وكاختيار الاجود على الجيد في الزكاة واصناف الرقية الغالبة
في الكفارة وكل ذلك مما خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه * الثالثة أن يرأى يزياد ذات خارجة
عن نفس التوافى أيضا كصوم الجماعة قبل القوم وقصده للصيف الأول وتوجهه الى بين الامام

وما يجرى مجرا وكل ذلك مما يعلم الله منه أنه لو خلا نفسه لكان لا يألئ أبداً وقف ومتى يحرم بالصلاة
فهذه درجات الرأى بالاضافة الى ما راي به وبه بعضه أشعث من بعض والكل مذموم في الركن
الثالث في الرأى لاجله فان للرأى مقصوداً للصحة وانما يرأى لادراك مال أو جاه أو غرض من
الغرض لا للصحة وله أيضاً ثلاث درجات * الاولى وهي أخذها وأعظمها ان يكون مقصوده
التمسك من مصيبة كالذي يرأى بعبادته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن اكل
الشبهات وغرضه أن يصرف بالامانة فيبلى القضاء أو الاوقاف أو الوصايا أو مال الايتام
فيأخذها أو يسلم اليه نفقة الزكاة والصدقات ليستأجر بما قدر عليه منها أو يودع الودائع
فيأخذها ويجمعها أو تسلم اليه الاموال التي تنفق في طرق الحج فيقتل بعضها أو كلها أو يتوصل
بها الى استئجار الحج ويتوصل بقوتهم الى مقاصده الفاسدة في المعاصي وقد يظهر بعضهم زى
التصوف وهشمة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وانما قصده التمسك الى
امرأة أو غلام لاجل العجور وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير ويحلق القرآن فيظهرون
الرضبة في سماع العلم والقرآن وقرضهم ملاحظة النساء والصبيان أو يخرج الى الحج ومقصوده
الظفر بمن في الرقة من امرأة أو غلام وهؤلاء أبيض المراتين الى الله تعالى لانهم جعلوا طاعة ربهم
سلباً الى معصيته واتخذوها آله ومعبوداً بضاعة لهم في فسقهم وقرب من هؤلاء وان كان دونهم
من هو مقرب جرمية انهم باؤوا مصرط عليهم ويريد أن ينفي التهمة عن نفسه فظهر التقوى لنفي
التهمة كالذي يحدود بعقوباتهم الناس بما فيصدق بالمال ليقال انه تصدق بماله نفسه فكيف
يستعمل مال غيره وكذلك من ينسب الى قور بارأة أو غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع
واظهار التقوى * الثانية أن يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال أو نكاح
امرأة جميلة أو شريفه كالذي يظهر الحزن والبكاء ويستغل بالوعظ والتذكير لتسلب له الاموال
ويرغب في نكاحه النساء فيصداً ما امرأة بعينها ينكحها وامرأة شريفة على الجملة وكالذي يرغب
في أن يتزوج بنت عالم فليظهر له العلم والمادة ليرغب في تزويجه ابنته فتهاربا بمحظور لانه طلب
بطاعة الله امتناع الحياة الدنيا ولكنه يدون الاول فان المطلوب بهذا مباح في نفسه * الثالثة أن
لا يقصد نيل حظ وادراك مال أو نكاح ولكن يظهر عبادته خوفاً من أن ينظر اليه بين النقص
ولا يعبد من الخاصة والزهادة يستقد أنه من جملة العامة كالذي يعيش مستجلاً فيقطع عليه الناس
فيصن المشي ويترك الهمة كيلا يقال انه من أهل اللهو والسو لا من أهل الوقار وكذلك ان سبق
الى الضحك أو بداهته المزاح فيخاف أن ينظر اليه بين الاحتقار فيقع ذلك بالاستغفار وتفس
الصعداء واظهار الحزن ويقول ما أعظم غفلة آدمي عن نفسه والله يعلم منه انه لو كان في خلوة
لما كان يتأمل عليه ذلك وانما يخاف أن ينظر اليه بين الاحتقار لا بين التوقير كالذي يرى جماعة
يصلون الترابيح أو ينجدون أو يصومون الخمس والاثني أو يصعدون قبرا فيهم خيفة أن ينسب
الى الصكسك ويظن بالعوام ولو خلا نفسه لكان لا يفعل شيئاً من ذلك كالذي يعطش يوم عرفة
أو عاشوراء أو في الشهر الحرام فلا يشرب خوفاً من أن يعلم الناس انه غير صائم فإذا ظنوا به الصوم
امتنع عن الاكل لاجله أو يدعى الى طعام فيمتنع ليظن انه صائم وقد لا ينصح بان يضايم ولكن
يقول لي عذر وهو جمع بين خيئين فانه يرى انه صائم ثم يرى انه متخلص ليس بمراومه فيجترئ
أن يذ كر عبادته فتناس فيكون مرأفاً فيبدأ أن يقال انه سائر لبادته ثم ان اضطر الى الشرب لم يصبر
عن أن يذ كر لنفسه فيه عذراً ثم يحيا أو تعريضاً بان يتعلل بمرض يقتضي فرط العطش وينع

من الصوم أو يقول افطرت تطيبها القلب فلان ثم قد لا يدرك ذلك مصلابشره كي لا يظن به أنه
يعتذر رياء ولكنه صبر غيظ كعذره في معرض حكمة عرضا مثل أن يقول ان فلا يحب للاخوان
شديد الرغبة في أن يأكل الانسان من طعامه وقد أمح على اليوم ولم أجدها من تطيب قلبه
ومثل أن يقول ان أمي ضعيفة القلب مشقة على تقني أني لو صمت يوما مررت فلا تدعني أصوم
فهذا وما يجري مجراه من آفات الراء فلا يسبق الى اللسان الا لرسوخ عرق الراء في الباطن أما
المخلص فانه لا يبالي كيف نظر الخلق اليه فان لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه
فلا يريد أن يستغفره ما يخالف علم الله فيكون ملبسا وان كان له رغبة في الصوم لله فنع يعلم الله تعالى
ولم يشرك فيه صبره وقد يخطر له أن في اظهار اعتدائه غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة
وعز وروسياتي شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الراء من رتب اصناف المراتبين وجميعهم
تحت مقت الله وغضبه وهومن أشد المهلكات وان من شقته أن فيه شوائب هي أخفى من ديب
العمل كما ورد به الخبر بزل فيه قول العلماء فضلا عن العباد الجاهل بآفات النفوس وضوائل القلوب
والله أعلم
بيان الراء الخفي الذي هو أخفى من ديب العمل
اعلم أن الراء جلي وخفي فالجلي هو الذي يعتصم على العمل ويعمل عليه ولو قصد الثواب وهو أحلاه
وأخفى منه قليلا وهو ما لا يعمل على العمل بغير ذلك لأنه يخفى العمل الذي يريد به وجه الله كالذي يعتاد
التهجد كل ليلة يتخل عليه فاذنزل عبده ضيف تنشط له وخف عليه وعلم أنه لو لا راحة الثواب لكان
لا يصلي لغير درياء الضيفان وأخفى من ذلك ما لا يؤثر في العمل ولا بالنسبيل والتخفيف أيضا ولكنه
مع ذلك مستبطن في القلب ومهم لم يؤثر في الدماء الى العمل لم يمكن أن يعرف الا بالعلامات وأجلى
علاماته أن يسر باطلاع الناس على طاعته قرب عبد يخلص في عمله ولا يعتدل الراء بل يكرهه ويرده
ويتم العمل كذلك ولكن اذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له ورق ذلك عن قلبه شدة العبادة
وهذا السرور يدل على رياء أخفى منه ربح السرور ولو لا التفات القلب الى الناس لما ظهر سروره
عند اطلاع الناس فلقد كان الراء مستكافى القلب استكناك النار في الجحر فأظهر منه اطلاع
الخلق أثر الفرح والسرور ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكرهية فيصير ذلك
قوتا وغذاء للعرق الخفي من الراء حتى يصر ذلك على نفسه حركة خفية فيقاضي قاضيا خفيا أن
يشكف سببا يطلع عليه بالتعريض والقاء الكلام عرضا وان كان لا يدعو الى التصريح وقد يخفي
فلا يدعو الى الاظهار بالنطق تعريضا وتصر بجا ولكن بالشمايل كاطهار النحول والصغار وخفض
الصوت وبيس الشفتين وحفاف الرق وأثار الدموع وغلبة التعاس الدال على طول التهجد
وأخفى من ذلك أن يخفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك اذا رأى
الناس احسان يبدؤه بالسلام وأن يقابلوه باليساشة والتوقير وأن ينمو عليه وأن ينشطوا
في قضاء حوائجه وأن يسامحوه في البيع والشراء وأن يوسعوا له في المكان فان قصر فيه مقصر يقل
ذلك على قلبه ووجد ذلك اسبقه اداني نفسه كانه يتقاضى الاحترام مع الطاعة التي أخفاها مع أنه
لم يطلع عليه ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لمكان يستبعد تصغير الناس في حقه ومهم ما يمكن
وجود العبادة كعبدها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن خاليا عن شوب
خفي من الراء أخفى من ديب العمل وكل ذلك يوشك أن يحيط الاجر ولا يعلم منه الا الصديقون
وقد روي عن علي كرم الله وجهه أنه قال ان الله عز وجل يقول لقرءاء يوم القيامة ألم يكن
يرخص عليكم السر الم تكونوا تبذرون بالسلام ألم تكونوا ترضى لكم الحوائج وفي الحديث لا أجز

لكم قد استوفيت أجوركم وقال عبد الله بن المبارك روى عن وهيب بن منبه أنه قال إن رجلاً من
السواح قال لأصحابه أنا إنما فارقنا الأموال والأولاد مخافة الطغيان فتضاف أن تكون قد دخل
علينا في أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الأموال في أموالهم أن أحدنا الذي أجب
أن ينظم لمكان دينه وإن سأل حاجة أحب أن تقضى له لمكان دينه وإن اشتري شيئاً أحب أن
يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في مركب من الناس فإذا السهل والجبل قد امتلأ
بالناس فقال السائح ما هذا قيل هذا الملك قد أطلك فقال للغلام أنتني بطعام فأنا سئل وزيت
وقلوب الشجر فجعل يحشو قدحاً موباً كل ككلاً ضيفاً فقال الملك أين صاحبكم فقالوا هذا قال
كف أنت قال كالناس وفي حديث آخر يخبر قال الملك ما عند هذا من خير فأنصرف عنه فقال
السائح الملكة التي صرفتني وأنتي ذات فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفي فيجتهدون
لذلك في نخاسة الناس عن أعمالهم الصالحة يحرمون على إخفاتهم أعظم مما يحرم على الناس على
إخفاء فواحشهم كل ذلك رياء أن تخلص أعمالهم الصالحة فيجازيهم الله في القيامة بأخلاقهم على
ملائم أن يطلعوا أن الله لا يقبل في القيامة إلا الخالص وعلوا شدة حاجتهم وفاقهم في القيامة
وأنه يوم لا يتبع فيه مال ولا بنون ولا يجرى والدهن ولده ويستغل الصديقون بأنفسهم فيقول
كل واحد نفسى نفسى فضلاً عن غيرهم فكانوا كزاريب الله إذا توجها إلى مكة فأنهم يستعصمون
مع أنفسهم المذهب الغربي الخالص لعلهم بأن أبواب البوادي لا يروج عندهم الزائف والنهرج
والحاجة تستد في البادية ولا وطن فزع البه ولا حمية يتسكبه فلا ينجي إلا الخالص من النقد
فكنا يشاهد أبواب القلوب يوم القيامة الزاد الذي يترو دونه له من التقوى فأنشأ ثواب الرياء
الخفي كثيرة لا تنصير ومهما أدرك من نفسه قفرة بين أن يطلع على عبادته إنسان أو جمعة فقه
شعبة من الرياء فإنه لا يقطع طمعه من الهائم لم يبال حضرة الهائم والصبان الرضع أم غابوا أطلعوا
على حركة أم لم يطلعوا فلو كان خلاصاً فأنما يعلم الله لاستحق عقلاء المادكا استحق صبيانهم ومجانينهم
وعلم أن العقلاء لا يقدر أن يقدرون له على رزق ولا أجل ولا زيادة ثواب وتقصان عقاب كما لا يقدر عليه
الهائم والصبان والمجانين فإذا لم يجد ذلك نفسه شوب خفي وإن كان ليس كل شوب محبطاً للأجر
مفسد العمل بل فيه تفضيل فإن قلت فترى أحداً يتك من السرور إذا عرفت طاعته فالسرور
مذموم كله أو بعضه محمود وبعضه مذموم فتقول أو لا كل سرور فليس مذموم بل السرور منقسم
إلى محمود وإلى مذموم فأنما المحمود ف أربعة أقسام • الأول أن يكون قصده إخفاء الطاعة
والإخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله أطلعهم وأظهر الجليل من أحواله فيستدل به
على حسن صنع الله به ونظيره الحيوان الطافه به فإنه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية
ويظهر الطاعة ولا يطلع أعظم من ستر الصبيح وأظهار الجليل فيكون فرحه بحسب جميل نظر الله له
لا يحمدا الناس وقيام المنزل في قلوبهم وقد قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فبأنه
ظهر له أنه عند الله مقبول ففرح به • الثاني أن يستدل بأظهار الله الجليل وستره الصبيح عليه
في الدنيا أنه كذلك يفعل به في الآخرة إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ستر الله على عبد ذنباً
في الدنيا إلا ستره عليه في الآخرة فيكون الأول فرحاً بالقبول في الحال من غير ملاحظة المستقبل
وهذا التفت إلى المستقبل • الثالث أن يظن رغبة المطلبين على الاقتداء به في الطاعة فينصاع
بذلك أجرة فيكون له أجر العلانية بما أظهر آخراً وأجر السر بما قصد أولاً ومن اقتدى به في طاعة
فله مثل أجر أعمال المتدينين به من غير أن يتقص من أجورهم شيء فوقع ذلك جذراً بأن يكون

سبب السروز فان ظهوره في الخلق والذبح واجب للسرور لا محالة • الرابع ان يحمد المظليون
على طاعته فيخرج بطاعتهم لله في مدحهم ويحسبهم الطيع ويميل قلوبهم الى الطاعة اذ من اهل
الايان من يرى اهل الطاعة فيهمته ويحسده أو يذمه ويهزأ به أو ينسبه الى الرياء ولا يحمد عليه
فهذا فرح يحسن ايمان عباده الله وعلامة الاخلاص في هذا النوع ان يكون فرحه بحمدهم غيره
مثل فرحه بحمدهم اياه • وأما الذموم وهو الخاضع فهو ان يحسب فرحه لقيام منزله
في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضا حوائجه ويأجلوه بالاحرام في مصادره
وموارده فهذا مكروه والله تعالى أعلم

بيان ما يحيط العمل من الرياء الخبي والنجي وما لا يحيط به

فقول فيه اذا عقد العبد الصادة على الاخلاص ثم ورد عليه وارء الى ما فلا يحلوا ما ان رد عليه بعد
فراغه من العمل أو قبل الفراغ فان ورد بعد الفراغ سرور بغيره فلا يظهر من غير اظهار هذا لا يفسد
العمل اذ العمل قد تم على نعت الاخلاص سالما عن الرياء فيا يطرأ بعده رجوع لا ينطف عليه
أثره ولا سيما اذا لم يكلف هو اظهاره والتصدق به ولم يتبن اظهاره فذلك لو كان اتفاق ظهوره باظهار
الله ولم يكن منه الا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير عقد
رياء ولكن ظهرت له بعدة رغبة في اظهاره فقد ثبت به واظهره فهذا خوف في الآثار والاخبار
ما يدل على أنه يحيط فقد روى عن ابن مسعود أنه سمع رجلا يقول قرأت البارحة البقرة فقال ذلك
خطئه منها وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل قال له صحت المدهن يا رسول الله
فقال له ما صحت ولا أظفرت فقال بعضهم انما قال ذلك لانه اظهره وقبل هو اشارة الى كراهة تصوم
الدهن وكيفما كان فيحصل أن يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابن مسعود
استدلالا على أن قلبه عند العبادة لم يحل من عقد الرياء وقصد له لما أن ظهر منه التقرب به اتبعه
أن يكون ما يطرأ بعد العمل بمطلات ثواب العمل بل الاقيس أن قال انه مثاب على عمله الذي
مضى ومعاقب على مر آتاه بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير عقده الى الرياء قبل الفراغ
من الصلاة فان ذلك قد سيطر الصلاة ويحيط بالعمل وأما اذا ورد وارء قبل الفراغ من الصلاة
مثلا وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد في انائها وارء الى الرياء فلا يحلوا ما أن تكون بغير سرور
لا يؤثر في العمل وأما أن يكون رياء باعنا على العمل فان كان باعنا على العمل وختم الصادة به حبط
أجره ومثاله أن يكون في تطوع فتعبدت له تطارة أو حضر ملك من الملوك وهو يشتهي أن يسترأه
أو يذ كر شيئا ينسبه من ماله وهو يريد أن يطلبه ولولا الناس لقطع الصلاة فاستتمها خوفا من
مذمة الناس قد حبط أجره وعليه الاعادة ان كان في قرينة وقد قال صلى الله عليه وسلم العمل
كالو اما اذا طاب آخره طاب أوله أي النظر الى خاتمته وروى ابنه من رأى عمله شاعة حبط عمله
الذي كان قبله وهذا منزل على الصلاة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فان كل جزء من
ذلك مفرد فاطرأ فيفسد الباقي دون الماضي والصوم والنجي من قبيل الصلاة وأما اذا كان وارء
الرياء بحيث لا ينعمه من قصد الاتمام لا جيل الثواب كالوجهر جماعة في اتمام الصلاة فخرج
بجسورهم وعقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لا جيل ثوابهم وكان لولا حضورهم لكانت بها أيضا
فهذا رياء قد أثر في العمل وانتهض باعنا على الحركات فان غلبت حتى اتحقق له الاحساس بقصد
العبادة والثواب وضار قصد العبادة مغفورا فهذا أيضا يشي أن قصد العبادة معها معنى ذكر
من أوصى كنهنا على هذا الوجه لا تانكتي بالنية السابقة عند الاحرام بشرط أن لا يطرأ ما يلهيها

ما يغفل أو يغفلها ويحتمل أن يقال لا يفسد العبادة نظرا إلى حالة العبد وإلى بقاء قصد أصل الثواب
وان ضعف بجوم قصد هو أغلب منه ولقد ذهب الجارث الحاشي رحمه الله تعالى إلى الاحتياط
في أمر هو أهون من هذا وقال إذا لم يرد الأجر بالسرو وبالاطلاع الناس يعني سروروا وبك المنة
والجاء قال قد اختلف الناس في هذا فصار فرقة إلى أنه يحط لانه تنقض العزم الأول وركن إلى
حد المخلوقين ولم يتحقق عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته ثم قال ولا أقطع عليه بالخط وان لم يتريد
في العمل ولا آمن عليه وقد كنت أقف فيه لاختلاف الناس والأغلب على قلبي أنه يحبط اذا ختم
عمله بالياء ثم قال فان قيل قد قال الحسن رحمه الله تعالى انهما حالتان فاذا كانت الاولى لله
لم تنقض الثانية وقد روي أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أسر العمل
لا أحب أن يطلع عليه فيقطع عليه فيسرق في قال لك أجران أجر السر وأجر العلانية ثم تكلم على الخبر
والارتقاء أما الحسن فإنه أراد بقوله لا يفسره أي لا يدع العمل ولا تنقضه بالخطرة وهو يريد الله
ولم يقل اذا عذر بالياء بعد فقد الاخلاص لم يفسره وإنما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع
حاجته إلى ثلاثة أوجه * أحدها أنه يحتمل أنه أراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث أنه
قبل الفراغ * والثاني أنه أراد أن يستر به لا يقتداه به أول سرور آخر محمود مما ذكرناه قبل لاسرورا
بسبب حب المحمدة والمنزلة بدليل انه جعل له به أجر ولا ذهاب من الامة إلى أن السرور بالمحمدة أجزا
وغلبته أن يعني منه فكيف يكون التلصص أجر والرأي أجزان * والثالث انه قال أكثر من
يروي الحديث يرويه غير متصل إلى أبي هريرة بل أكثرهم يروونه على أبي صالح ومنهم من رفعه
فالحكم بالعمومات الواردة في الراء أولى هذا ما ذكره ولم يقطع به بل أظهر ميلا إلى الاحتياط
والاقتيس عندنا أن هذا القدر اذا لم يظهر أثره في العمل بل بقي العمل صادرا عن باعث الدين وانما
انقضاء إليه السرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لانه لم يندم به أصل تنهيه بقيت تلك النية باعثة
على العمل وحاملة على الاتمام وانما الاخبار التي وردت في الراء فهي محمولة على ما اذا لم يرد به
الاختلاف وانما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما اذا كان قصد الراء مساويا بقصد الثواب
أو أغلب منه ما اذا كان ضعيفا بالاضافة إليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الاعمال
ولا ينبغي أن يفسد الصلاة ولا بعد أيضا أن يقال ان الذي أوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله
والخلاص ما لا يشوبه شيء فلا يكون مؤذيا لواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا
في كتاب الاخلاص كلاما في ما وردناه الآن فليرجع إليه فهنا حكم الراء الطارئ بعد عقد
العبادة ما قبل الفراغ أو بعد الفراغ (القسم الثالث الذي يقارن حال الخد) بأن يتبدى الصلاة
على قصد الراء فان استمر عليه حتى سلم فلا خلاف في أنه يقضى ولا يعتد بصلاته وان دهم عليه
في أثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام فقيامه بثلاثة أوجه قالت فرقة لم تعد صلاته مع قصد
الراء فليس تنفك وقالت فرقة تلزمه إعادة الافعال كالركوع والسجود وتفسد أفعاله دون
تفسر الصلاة لان التعميم عقد والراء خاطف في قلبه لا يتخرج التعميم عن كونه عقدا وقالت فرقة
لا يلزمه إعادة شيء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر إلى خاتمة العبادة كالأول
بالاخلاص وختم بالياء لكان يفسد عمله وشبه ذلك شوب أبيض لطخ بفساد عارضة فاذا أزيل
العارض عاد إلى الأصل فقالوا ان الصلاة والركوع والسجود لا تكون الا لله ولو بعد فسر الله
لكان كافرا ولكن اقرن به عارض الراء ثم زال بالندم والتوبة وصار إلى حالة لا يزال يمجّد الناس
وذمهم فتصح صلاته ومذهب الفريقين الآخرين خارج عن قياس الحقيقة جدا خصوصا من قال

يلزمه إعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لان الركوع والسجود ان لم يصح صارت أفعالا زائدة في الصلاة فقد صدقت الصلاة وكذلك قول من يقول لو ختم بالاخلاص صح نظرا الى الآخر فهو أيضا ضعيف لان الرأى يقدح في النية واولى الاوقات بمراعاة أحكام النية حاله الافتتاح فالذي يستقيم على قياس الفقه هو ان يقال ان كان باعته بغيره الى رياء في ابتداء السجود وطلب الثواب وامثال الامر لم ينقد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك حين اذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحريم بالصلاة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا أيضا كان يصلي لاجل الناس فلهذه صلاة لانية فيها اذا نية عبارة عن اجابة باعث الدين وهما لا باعث ولا اجابة فاما اذا كان بحيث لولا الناس أيضا لكان يصلي الا أنه ظهر له الرغبة في المحبة أيضا فاجتمع الباعثان فهذا اما ان يكون في صدقة وقراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم او في عقد صلاة وخرج فان كان في صدقة فقد عصى باجابة باعث الرأى وطاع باجابة باعث الثواب فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط أحدهما الآخر وان كان في صلاة تقبل الفساد بنظر قخل الى النية فلا يخلو اما ان تكون فرضا أو نفلا فان كانت نفلا حكمها أيضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه وطاع من وجه اذا اجتمع في قلبه الباعثان ولا يمكن أن يقال صلاته فاسدة والافتداء به باطل حتى ان من صلى التراويح وتبين من قرائن حاله ان قصده الرأى باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه وخلاف بيت وحده لما صلي لا يصح الاقتداء به فان المصير الى هذا بعد جد ابل فظن بالمسلم انه قصد الثواب أيضا بنطوعه قصص باعتبار ذلك القصد صلاته ويصح الاقتداء به وان اقترن به قصد آخر هو به عاص فاما اذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وإنما يحصل الانبعاث يجموعهما فهذا لا يسط الواجب عنه لان الانبعاث لم ينتهض باعنا في حقه بغيره واستقلاله وان كان بكل باعث مستقل حتى لو لم يكن باعث الرأى لادى الفرائض ولو لم يكن باعث الفرض لانشأ صلاة تطوعا لاجل الرأى فهذا محمل النظر وهو محتمل جدا فيصلى ان يقال ان الواجب صلاة خالصة لوجه الله لم يؤد الواجب الخالص ويحتمل أن يقال الواجب امتثال الامر بباعث مستقل بنفسه وقد وجد اقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كالموصل في دار مقصورة فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلاة في الدار المقصورة فانه مطيع بأصل الصلاة ومسقط للفرض من نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في أصل الصلاة اما اذا كان الرأى في المبادرة مثلا دون أصل الصلاة مثل من يأذرائ الصلاة في أول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لآخر الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يندى صلاة لاجل الرأى فهذا مما يقطع بحجة صلاته وسقوط الفرض به لان باعث أصل الصلاة من حيث انها صلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا البعد عن القدح في النية هذا في رياء يكون باعنا على العمل وحاملا عليه واما بغيره بالسرو را بطلاع الناس عليه اذ يبلغ أثره الى حيث يؤثر في العمل فنعد ان قصد الصلاة فهذا مارأه لا تقايقانون الفقهو المسألة غامضة من حيث ان الفقهاء لم يعترضوا لها في فن الفقه والذين خاضوا فيها لم يقتصروا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في حجة الصلاة وقساها بل حملهم الحرس على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على افساد العبادات بأدنى الخواطر وما ذكرناه هو الا قصد قيمته او العلم عند الله عز وجل فيه وهو عالم الغيب والشهادة وهو الرحمن الرحيم

بيان دواء الرأى وطريق معالجة القلب فيه

قد عرفت مما سبق أن الرياء تحيط بالاحمال وسبب المقت عند الله تعالى وأنه من كثير المهلكات وما
هذا وصقه بخدير الشجر من ساق الخندق ازالته ولو بالجأهدة وتحمل المشاق فلا شفاء الا في شرب
الادوية المرة البشعة وهذه مجاهدة بقطر الهيا العباد كلهم اذ الصبي يتخطى ضعيف العقل والتمييز
بمذا العيين الى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يصنع بعضهم لبعض فيقلب عليه حب التمتع
بالضرورة ورسخ ذلك في نفسه وانما يشعر بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد انفرس الرياء في قلبه وترسخ
فيه فلا يقدر على قهه الا بمجاهدة شديدة ومكيدة لقوة الشهوات فلا يتنكأ أحد عن الحاجة الى هذه
المجاهدة ولكنها تنشق أو لا وتختف آخر وفي علاجه مقامان أحدهما قلع عروقه وأصوله التي منها
النشابة والثاني دفع ما ينتظر منه في الحال في المقام الاول في قلع عروقه واستئصال اصوله وأصوله
حب المنزلة والجاه واذ افضل رجوع الى ثلاثة اصول وهي حب لذة المحبة والفرار من ألم الذم والطمع
فيماني أيذي الناس وبشده الرياء هذه الاسباب وانها الباعثة للرائي ما روى أبو موسى أن اعزانيا
سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية ومعه أنه بأف أن يهزم
أو يذم بأنه مقهور مغلوب وقال والرجل يقاتل ليري مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر في القلوب
والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي
العليا فهو في سبيل الله وقال ابن مسعود ان النبي الصفات ترك الملازمة فكذبوا الناس على من انهم
فلا يقاتل للذكر ولا يقاتل للالك والقتال للالك اشارة الى الطمع في الدنيا وقال عمر رضي الله عنه
يقولون فلان شهيد وله يكون قد ملاذني راحلته ورفا وقال صلى الله عليه وسلم من غزا لا يني
الا عقاله ما نوى فهذا اشارة الى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطعم فيه ولكن يحذر من ألم الذم
كالنبيل بين الاشياء وهم يتصدقون بالمال الكير فانه يصدق بالقليل كي لا يخل وهو ليس بطمع
في الحمد وقد سبقه ضره وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الخوف فامن الذم وهو لا يطعم في الحمد
وقد فهم ضره على صف القتال ولكن اذا ايس من الحمد كره الذم وكالرجل بين قوم يصلون جميع
الليل فيصلي ركعات معدودة حتى لا يذم بالكسل وهو لا يطعم في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر
عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على ألم الذم ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج اليه خيفة من
أن يذم بالجهل ويخفي بغير علم ويذع العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذر من الذم فهذه
الامور الثلاثة هي التي تحرك المرائي الى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الاول من الكتاب على
الجملة ولكن كانه ذكر الآن ما يخص الرياء وليس ينبغي أن الانسان انما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه
أنه خير له ونافع ولذا يذم المرائي في الحال واما في المال فان علم أنه لذيذ في الحال ولكنه مضار في المال سهل
عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم أن العسل لذيق ولكن اذا بان له أن فيه سمأ اعرض عنه فكذلك طريق
انقطع هذه الرغبة أن يعلم عاقبتهم المضرة ووه ما عارف الصد مضرة الرياء وما مضرة من صلاح قلبه
وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم
والمقت الشديدا والخزي الظاهر حيث ينادي على رؤس الخلق يا فاجر يا غادر يا حرامي أما استحييت
اذ اشترت بطاعة الله عرض الدنيا وراقت قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله وتنجبت الى العباد
بالتبغض الى الله وترى نيتهم بالشين عند الله وتقربت اليهم بالعدم عند الله وتجتت اليهم بالذم
عند الله وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله أما كان أحد أهون عليك من الله فيما تفكر الصد
في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد والذين هم في الدنيا بما يقوته في الآخرة وما يحبط عليه
من ثواب الاحمال مع أن العمل الواحد به ربما كان يتخرج ميزان حسنة لو غلبت فاذا قسد بالرياء وحول

الى كفة السينات فخرج به وجرى الى النار فلم يكن في الرياء الا خياط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا معرفة ضرره وان كان مع ذلك سائر حسناته راحة فقد كان ينال هذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورذ الى صف النعال من مراتب الاولياء هذا مع ما يعرض له في الدنيا من تشق الحتم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه وأسخطهم أيضا عليه ثم أي غرض له في مدحهم وابتزازهم من الله لاجل حمدهم ولا يزيد حمدهم رزقا ولا أجلا ولا ينفعه يوم قبره وفاقمه هو يوم القيامة وأما المطمع فيما في ايدهم فبأن يعلم أن الله تعالى هو المضر للقلوب بالمنع والاعطاء وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله ومن طمع في الخلق لم يخل من الدل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل من المنه والهانة فكيف يترك ما عند الله ليرجاء كاذب وهم فاسد قد يصيب وقد يخطئ واذا أصاب فلا ينفي لذته بآلمنته ومذلتة وأما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيد ذمهم شيئا لم يكتبه عليه الله ولا يفي آجله ولا يؤخر رزقه ولا يجمع له من أهل النار ان كان من أهل الجنة ولا يفضيه الى الله ان كان محمودا عند الله ولا يزيد مقتنا ان كان محمودا عند الله فالعباد كلهم بحرة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا فاذا اقر رضى قلبه آفة هذه الاسباب وضرها قترت رضىته وأقبل على الله قلبه فان العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكتفيه أن الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء واظهروا الاخلاص لقتوه وسيكشف الله من سره حتى يفضيه الى الناس ويعرفهم أنه مرء ومعمود عند الله ولو أخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم له وأطلق ألسنتهم بالمدح والثناء عليه مع أنه لا يكال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم ان مدحى زين وان ذمى شين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت ذاك الله الذي لا اله الا هو اذ لا زين الا في مدحه ولا شين الا في ذمه تعالى خير لك في مدح الناس وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار وأى شر لك من ذم الناس وأنت عند الله محمود في زمرة المقربين فمن أحضر في قلبه الآخرة وتبعها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله استقر ما يتعلق بالخلق أيام الحياة مع ما فيه من العسكورات والمنقصات واجتمع همه وانصرف الى الله قلبه وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق والمطغف من اخلاصه أنوار على قلبه بنشر حبا صدره وتنفخ بهاله من لطائف المكاشفات ما يزيد به انسه بالله ووحشته من الخلق واستحقاره الدنيا واسبغ نظامه للآخرة وسقط بهل الخلق من قلبه وأخل عنه دأصية الرياء وموتل له منهج الاخلاص فهذا وما قد مناه في الشرط الاول هي الادوية العلية القالعة مغارس الرياء وما للدواء المعلى فهو أن يعود نفسه اخفاء العبادات واخلاق الابواب دونها كما تخلق الابواب دون الفواحش حتى تقع قلبه بعلم الله واطلاعه على عباداته ولا تنازع عنه النفس الى طلب علم غير الله وقدرى أن بعض اصحاب أبي حفص الحبذاذم الدنيا وأهلها فقال أظهرت ما كان سبيلك أن تنقيه لتجالسنا بهذا فلم يرخص في اظهار هذا القدر لان في ضمن ذم الدنيا عوى الزهاد فلادوا لرياء مثل الاخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة واذا صبر عليه مدة لا تكلف سقط عنه قهقهه وان عليه ذلك يتواصل اللطاف الله وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتأييد والتسديد ولكن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيره واما بانفسهم في العبد المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد القرب الباب ومن الله فتح الباب والله لا ينصب أجر المحسنين وان تلك حسنة ايضا بها يؤتى من لذته أجر عظيما في المقام الثاني في دفع العارض منه في إتياء العبادة

وذلك لا بد من تعلمه أيضا فان من جاهد نفسه وقطع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع واستقاط نفسه من أعين المخلوقين واستعقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه في استاء العبادة بل يمارضه بمخاطر الرياء ولا تنقطع عنه ترغاه وهوى النفس وميلها لا يسمى بالكيفية فلا بد وان يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء ثلاثة قد تنحدر دفعة واحدة كأن خاطر الواحد قد ترد في التدريج فالأول العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلوهم هيجان الرغبة من النفس في حدهم وحصول المتعة عندهم ثم يتلوهم هيجان الرغبة في قبول النفس له والركون اليه وعقد الصميم على تحقيقه فالأول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وانما كمال القوة في دفع الخاطر الأول ورده قبل أن يتلوهم الثاني فاذا خطر له معرفة اطلاع الخلق أو رجاء اطلاعهم دفع ذلك بأن قل مالك والخلق علواً وأولم يعلموا والله عالم بحالك فأتى فائدة في علم خبره فان حاجت الرغبة الى اللذة الجذبة كمارس في قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرضه لفتنة عند الله في القيامة وخيبته في أحوال أو فاته الى أعماله فكأن أن معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء معرفة آفة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة اذ يتفكر في تعرضه لفتنة الله وعقابه الاليم والشهوة تدعوه الى القبول والكراهة تدعوه الى الالباء والنفس تطاوع الاحالة اقوامها وأغلب ما فاذا ابتدى رذال الرياء من ثلاثة أمور المعرفة والكراهة والالباء وقد بشرع العبد في العبادة على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تحضر المعرفة ولا الكراهة التي كان الضمير منطوياً عليها وانما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحجب الحمد واستيلاء الخرس عليه بحيث لا يبقى في القلب متسع لغيره فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بأفان الرياء وشؤم ما قبلته اذ لم يقم موضع في القلب خال من شهوة الحمد أو خوف الذم وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب يهزم على العلم عند جريان سبب الغضب ثم يجري من الاسباب ما يشتد به غضبه فندى سابقة ضره وهو يمتلئ قلبه غضطاً يمنع من تدرك آفة الغضب ويشغل قلبه منه فكذلك حلالة الشهوة تملأ القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب واليه أشار جابر بقوله يا أيها رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا نفرز ولم نبأ به على الموت فأنسنا بها يوم حين حتى نودي يا أصحاب الشجرة فرجعوا وذلك لان القلوب امتلأت بالخوف فنسبت العهد السابق حتى ذكروا واكثر الشموث التي تهجم بغاة هكذا تكون اذ تنسى معرفة مضرتك الداخلية في عقد الايمان ومهما نسي المعرفة لم تظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة وقد ينذكر الانسان فيعلم أن الخاطر الذي خطر له هو خاطر الرياء الذي يعرضه لسلط الله ولعنه يستمر عليه لشدة شهوته فيقبل هواه عقله ولا يقدر على تركه لذة الحال فيسوق بالتوبة أو يتشاغل من التفكير في ذلك لشدة الشهوة فتكم من عالم يحضره كلام لا يدعوه الى فعله الا رياء الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فتكون الحجة عليه أو كذا قيل داعي الرياء مع علمه بفاتلته وكونه مذموماً عند الله لولا اتقاه معرفته اذ اخلت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك قبل داعي الرياء هو يعمل به لكون الكراهة ضعيفة في الاضافة الى قوة الشهوة وهذا أيضاً لا ينتفع بكراهته اذ الفرض من الكراهة أن تصرف عن الفعل فاذا الفائدة الا في اجتماع الثلاث وهي المعرفة والكراهة والالباء فالالباء ثمرة الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة فتوجب قوة الايمان ونور العلم وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحجب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكر فيها عند الله وقلة التأمل في آفات الحياة الدنيا وعظم نعيم الآخرة وبعض ذلك ينبغ لبعضها ويبره وأصل

ذلك كله حبة الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة ومنع كل ذنب لأن جلالة حبة الجاه والمزلة ونعيم الدنيا هي التي تغضب القلب وتسلبه وتحوّل بينه وبين التفكير في العاقبة والاستقصاء بنور الكتب والسنة وأوار العلوم فان قلت فن صادف من نفسه كراهة الى اياه وحملته الكراهة على اياه ولكنه مع ذلك غرّخا من ميل الطبع اليه وجهه له منازعة اياه الا أنه كاره له وليست له عليه غير محب اليه فهل يكون في زمرة المرائين فاعلم أن العلم يكلف العباد لا ما تطيق وليس في طاقة الصديق الشيطان عن نزاعه ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى الشهوات ولا يتزعج اليها وانما غلبته أن يقابل شهوته بكراهة استنارها من معرفة العواقب وعلم الدين واصول الايمان بالله واليوم الآخر فاذا فعل ذلك فهو العاقبة في أداء ما كلف به ويدل على ذلك من الاخبار ما روي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا اليه وقالوا تعرض لقلوبنا اشياء لأن غرّخنا من السماء فخطفتنا الطير أو تهوى بنا الريح في مكان محين أحبّ إلينا من أن نتكلم بها فقال عليه السلام أو قد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان ولم يجدوا الا الوسواس والكراهة له ولا يمكن أن يقال أراد بصريح الايمان الوسوسة فلم يبق الا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة والرياء وان كان عظيما فهو دون الوسوسة في حق الله تعالى فاذا اتفقد ضرر الاكظم بالكراهة فبان يتدفق من ضرر الاصفى وأرى وكذلك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس أنه قال الحمد لله الذي ردّ كيد الشيطان الى الوسوسة وقال ابو حازم ما كان من نفسك وكرهته نفسك لنفسك فلا يضرّك ما هو من عدوك وما كان من نفسك فرضيتك نفسك لنفسك فعاتبها عليه فاذا وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا تضرّك مهما رددت مرادها ما لا ياه والكراهة والخواطر التي هي العلوم والتذكرات والتفصيلات الاسباب المهيبة للربا هي من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من النفس والكراهة من الايمان ومن آثار العقل الا أن للشيطان ههنا تمكدة وهي انما لا يجوز من حمله على قبول اياه ما يميل اليه أن صلاح قلبه في الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال حتى يسلبه ثواب الاخلاص وحضور القلب لان الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعة انصراف من سرّ المناعة مع الله فيوجب ذلك نصا في منزلة عند الله • والمتخلصون من اياه في دفع خواطر الربا على أربع مراتب • الاولى أن يرده على الشيطان فيكذبه ولا يقصر عليه بل يشتغل بمجادلته ويظيل الجدال معه لظنه أن ذلك أسلم لقلبه وهو على التحقيق نقصان لانه يشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف الى قتال قطاع الطريق والتعرج على قتال قطاع الطريق نقصان في السلوك • الثانية أن يصرّف الجدال والقتال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ويضعه ولا يشتغل بمجادلته • الثالثة أن لا يشتغل بتكذيبه أيضا لان ذلك وقفة وان قلت بل يكون قد قفر في مقدّمه كراهة الى اياه وكذب الشيطان فيستقر على ما كان عليه مستقصا الكراهة فيشتغل بالتكذيب ولا بالتحاجبة • الرابعة أن يكون قد علم أن الشيطان يسببه عند جريان اسباب الربا فيكون فيدبر على أنه مهاجمات الشيطان زاد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله واخفاء الصدقة والزيادة غيظ الشيطان وذلك هو الذي يضيق الشيطان ويضعه ويوجب تأسؤه ونقطه حتى لا يربح • يروى عن الفضل بن عزروان أنه قيل له ان فلانا يذكرك فقال والله لا غنظ من أمره قيل ومن أمره قال الشيطان اللهم اغفر له لا غنظ له لا غنظته بان الطبع الله فيه ومهما عرف الشيطان من صيد هذه العادة كف عنه خيفة من أن يذنب في حسنة • وقال ابراهيم التيمي ان الشيطان ليدفع

العباد إلى الباب من الأعم فلا يطعمه وليحدث عند ذلك خيرا فإذا رآه كذلك تركه وقال أيضا إذا رآه
 الشيطان مترددا طمع فيك وأذارك لمدوا ممالك وقلنا وضرب الحارث المحاسبى رحمه الله هذه
 الأربعة مثلا لا أحسن فيه فقال مثلهم كأربعة قصود واجلسا من العلم والحديث ليناوياه فائدة
 وفضلا وهداية ورشدا فجلسوا على ذلك ضال متبدع وخاف أن يعرفوا الحق فتقدم إلى واحد فتمعه
 وصرفه عن ذلك ودعاه إلى مجلس ضلال فأتى فلما عرف أباه شغفه بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله
 وهو يظن أن ذلك مصلحة له وهو غرض الضال ليقوت عليه بقدرنا آخره فلما مر الثاني عليه نهاه
 واستوقفه فوقف فدفع في شجر الضال ولم يستغل بالقتال واستهل ففرح منه الضال بقدر توقفه
 للدفع فيه ومرة الثالث فلم يلتفت إليه ولم يستغل بدفعه ولا يقتاله بل استمر على ما كان في شارب
 منه رجاءه بالكلية فمر الرابع فلم يتوقف له وأراد أن يضطه فزاد في غلته وترك الثاني في المشي
 فيوشك أن عاد وأومر وأعله مرة أخرى أن يعاود الجميع الأهداء ليعرف أنه لا يعاوده خيفة من أن
 يزداد فائدة باستعماله فان قلت فاذل كان الشيطان لا يؤمن زغانه فهل يجب الترسد له قبل
 حضوره العذر منه انتظارا لوروده أم يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له أو يجب الاشتغال
 بالصلاة والغنة لئلا يفتنه فلنا اختلف الناس فيه على ثلاثة أوجه فذهب فرقة من أهل البصرة إلى أن
 الأقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لأنهم انقطعوا إلى الله واشتغلوا بحمده فاصطلم
 الشيطان وأيس منهم وخفس عنهم كما يس من ضعفاء العباد في الدعوة إلى الخير والازنا فصار
 ملاذ الدنيا عندهم وأن كانت مباحة كالخمر والخمر يرفار تحلوا من جهاب الكلبة فلم يبق للشيطان
 المهم سبيل فلاحا جهمهم إلى الحذر وذهب فرقة من أهل الشام إلى أن الترسد للحذر منه إنما
 يحتاج إليه من قل يقينه ونقص توكله فن أئمن بأن لا شريك لله في تديره فلا يحذر غيره ويعلم أن
 الشيطان ذليل مخلوق ليس له أمر ولا يكون إلا ما أراه الله فهو الضار والنافع والعازف يستحي
 منه أن يحذر غيره فاليقين بالوحدانية يغني عن الحذر وقالت فرقة من أهل العلم لا بد من الحذر
 من الشيطان ومادة البصريون من أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر وعلت قلوبهم عن حب
 الدنيا بالكلية فهو ونسيلة الشيطان يكاد يصحكون غرورا أن الانبياء عليهم السلام لم يخلصوا من
 وسوس الشيطان وزغانه فكيف يخلص غيرهم وليس كل وسوس الشيطان من الشهوات
 وحسب الدنيا بل في صفات الله تعالى وأسمائه وفي تحسين البدع والضلال وغير ذلك ولا يبرأ أحد
 من الخطيئة ولذلك قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في
 أذنيه فينسج الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته وقال النبي صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبي
 مع أن شيطانه قد سلم ولا يأمره إلا بخير في ظن أن اشتغاله بحب الله أكثر من اشتغاله برسول الله
 صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام فهو مغرور وروى عنهم ذلك من كيد الشيطان
 ولذلك لم يسلم منه آدم وحواء في الجنة فآلتى هي دار الأمن والسرور بعد أن قال الله لهما إن هذا
 عدوك وزوجك فلا يخرجكما من الجنة فتشقى إن أن لا تتجوع فيها ولا تملأ وتقرى وأنك لا تطيقا فيها
 ولا تقيى وضع أنه لم يمتد إلا عن تجربة واحدة فوالله لو رآه ذلك ما أراد فاذل ما من نبي من الانبياء
 وهو في الجنة دار الأمن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لقوله أن ما من في دار الدنيا وهي
 منبع المحن والفتن ومعدن الملاذ والشهوات النبي عنها قال موسى عليه السلام فيما أخبر عنه
 تعالى هذا من عمل الشيطان ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال تعالى يا بني آدم لا يفتنكم
 الشيطان كما أخرج أبو بكر من الجنة وقال عز وجل إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والقول أن

من أوله الى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدعى الامن منه وأخذ الحذر من حيث أمر الله به
لا ينافي الاشتغال بحب الله فان من الجب له امتثال أمره وقد أمر بالحذر من العدو كما أمر
بالحذر من الكفار فقال تعالى وليأخذوا حذرهم وأسلمتهم وقال تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم
من قوتهم من رباط الخيل فإذا لم يك بأمر الله الحذر من العدو الكافر وأنت ترادفان بلزك الحذر
من عدو يراد ولا تراؤه أولى ولذلك قال ابن حجر بزميد تراؤه ولا يراد بوشك أن تغفر به وصيدراك
ولا تراؤه بوشك أن تغفر بك فأشار الى الشيطان فكيف وليس في الغفلة عن عداوة الكافر
الاقترال هو شهادة وفي افعال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب الاليم فليس من
الاشتغال بالله الاعراض عما حذر الله به يسل مذهب القرعة الثانية في ظنهم أن ذلك قادح في
التوكل فان أخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وخبر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوف الله به والحذر مما أمر بالحذر منه وقد كرنا
في كتاب التوكل ما بين غلط من زعم أن معنى التوكل التزوع عن الاسباب بالكلية وقوله تعالى
وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل لا ينقض امتثال التوكل مهما اعتقد القلب أن
الضار والنافع والمحي والميت هو الله تعالى فكذلك يحذر الشيطان ويصدق أن الهادي والمضل
هو الله ويرى الاسباب وسائط مسخرة كما ذكرناه في التوكل وهذا ما اختاره الحارث المحاسبي رحمه الله
وهو الصحيح الذي شهد به نور العلم وما قبله يشبه أن يكون من كلام العباد الذين لم يفرغ فطرتهم
ويظنون أن ما يحسب عليهم من الاحوال في بعض الاوقات من الاستغراق بالله يستعري الدوام وهو
يصدق اختلاف هذه القرعة على ثلاثة أوجه في كيفية الحذر فقال قوم إذا حذرنا الله تعالى العدو
فلا ينبغي أن يكون شيء أعظم على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا ان غفلنا عنه لحظة
فيوشك أن يهلكنا وقال قوم ان ذلك يؤدى الى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال الهم كلها الشيطان
وذلك مراد الشيطان متبادل تشتغل بالصادق بذكر الله تعالى ولا تنسى الشيطان وعداوته والحاجة
الى الحذر منه فجمع بين الامر من فانا ان نسيناه عما عارض من حيث لا نحسب وان تجردنا لذكره
كافداً ههنا ذكر الله فالجواب أولى وقال العلماء المجتهدون غلط الفريقان أما الأول فقد تجرد لذكر
الشيطان ونسي ذكر الله فلا ينبغي غلظه وانما أمرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصتناع الذي ذكره فكيف
نحجب ذكره أعظم الاشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدو ثم يؤدى ذلك الى خلو القلب من نور
ذكر الله تعالى فإذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيمنور بذكر الله تعالى وقوة الاشتغال به
فيوشك أن يغفر به ولا يقوى على دفعه فلم يأمرنا بأخبار الشيطان ولا بدامان ذكره وأما القرعة
الثانية فقد شاركت الاولى اذ جمعت في القلب بين ذكر الله والشيطان وقد مر ما يشتغل القلب بذكر
الشيطان ينقص من ذكر الله وقد أمر الله الخلق بذكره ونسيان ما عداه ايليس وغيره فالجواب أن يلزم
العبد قلبا الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته فإذا اعتقد ذلك وضيق به وسكن الحذر
فيه فمشتغل بذكر الله ويك عليه بكل الحمة ولا يخطر بباله أمر الشيطان فانه اذا اشتغل بذلك
بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له وعند التنبيه تشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع
من التيقظ عند ترعة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف من أن يهويه مهم عند طلوع الصبح
فلزم نفسه الحذر ونام على أن تنبيه في ذلك الوقت فينبه في القيل مرات قيل أوله لما استكن
في قلبه من الحذر مع أنه بالنوم غافل عنه فاشتغل بالذكر فكيف جمع تنبهه ومثل هذا القلب
هو الذي يقوى على دفع العدو إذا كان اشتغاله بغيره ذكر الله تعالى قداماً منه الهوى وأحياناً فيه

نور العقل والعلم وأما طعنه فطلبة الشهوات فآهل البصيرة أشعر وأقلوبهم عداوة للشيطان وترصده
وأزموها الحذر فلم يشتغلوا به كره بل بذروا القدر فدعوا بالذكر كثر الصدوق واستصاوا بشيوخهم والذكر حتى
صرفوا خواطر الصدوق في القلب مثال بئرا به تطهرها من الماء القذر لتتغير منها الماء الصافي
فالمشتغل بل بكر الشيطان قد تركز في الماء القذر والذي جميع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد تركز
الماء القذر من جانب ولكنه تركه جاريا إليها من جانب آخر فيطول تبعه ولا تنجب البئر من الماء
القذر والبصير هو الذي جعل لمجرى الماء القذر سدا أو ملاء بالماء الصافي فإذا جاء الماء القذر ودفعه
بالسكر والسمن غير كثرة ومونة وزيادة تعب

• بيان الرخصة في تصدقات الطاعات •

اعلم أن في الأسرار للأعمال فائدة الإخلاص والنجاة من الرياء وفي الأظهار فائدة الاقتداء وترغيب
الناس في الخير ولكن فيها أفة الرياء قل الحسن قد علم المساون أن السر أحرز العليلين ولكن
في الأظهار أيضا فائدة ولذلك اتفق الله تعالى على السر والعلاية فقال إن تبدوا الصلوات فتجهاهي
وان تحفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم والأظهار قسمان أحدهما في نفس العمل والآخر بالحدث
بما جعل في القسم الأول في أظهار نفس العمل كالصدقة في الملاء ترغيب الناس فيها كما روي من
الأنصاري الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما رأوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سن سنة
حسنة فعل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه وتجرى سائر الأعمال هذا المجرى من الصلاة والعباد
والحج والفرو وغيرها ولكن الاقتداء في الصدقة على الطبايع أغلب نعم الغازي إذا هم بالخروج فاستعد
وشد الرحل قبل القوم بخير يصلحهم على الحركة فذلك أفضل له لأن القوم في أصلهم من أعمال العلانية
لا يمكن أسرارهم فالبادرة إليه ليست من الإعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته
في الصلاة بالدليل لينبه جيرانه وأهله فيقتدى به فكل عمل لا يمكن أسرارها والحج والجهاد والجمعة
فالأفضل البادرة المعطاءة الرضا فيه التحريض بشرط أن لا يكون فيه شوائب الرياء وأما ما يمكن
أسرارها كالصدقة والصلاة فإن كان أظهار الصدقة يؤذي المتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة
فالسر أفضل لأن الإبداء حرام فإن لم يكن فيه إيذاء فقد اختلف الناس في الأفضل فقال قوم السر
أفضل من العلانية وإن كان في العلانية قدوة وقال قوم السر أفضل من علانية لا قدوة فيها أما
العلانية للقدوة فأفضل من السر ويدل على ذلك أن الله عز وجل أمر الأنبياء بأظهار العمل للاقتداء
وخصهم بمصعب النبوة ولا يجوز أن يظن بهم أنهم حرموا أفضل العبادين ويدل عليه قوله عليه السلام
لداجرها وأجر من عمل بها وقد روي في الحديث أن عمل السر مضاعف على عمل العلانية سبعين
ضعفا ومضاعف عمل العلانية أذا ستن بعامله على عمل السر سبعين ضعفا وهذا الوجه الغلاف
فيه فانه مهما انقلب القلب عن شوائب الرياء وتم الإخلاص على وجه واحد في الحالتين فاقبتهى به
أفضل بالحالة وإنما يحتاج من ظهور الرياء ومهما حصلت شائبة الرياء لم ينفعه الاقتداء غير ذلك به
فلا خلاف في أن السر أفضل منه ولحسن على من يظهر العمل وتطيقان أحدهما أن يظهره
حيث يعلم أنه يقتدى به أو يظن ذلك فظاهر رب رجل يقتدى به أهله دون جيرانه وربما يقتدى به
جيرانه دون أهل السوق وربما يقتدى به أهل محله وإنما العالم المعروف هو الذي يقتدى به الناس
كافة فغير العالم إذا أظهر بعض الطاعات ربما ينسب إلى الرياء والنفاق فقوموه ولم يقتدوا به فليس له
الأظهار من غير فائدة وإنما يصح الأظهار بنية القدوة من هو في عمل القدوة على من هو في محل
الاقتداء به والثانية أن يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه سبب الرياء التي تدمر به إلى الأظهار بعدد

الاقتداء واغتاشهونه التجل بالعل ويكونه يهدي به وهذا حال كل من يظهر أعماله الا الاقرباء
 الخالصين وقليل ما هم فلا ينبغي أن يتجدد الضعيف نفسه بذلك فيلثو به ولا يشعروا بالضعيف
 مثاله مثال الفرقين الذي يحسن سياحة ضعيفة تنظر الى جماعت من الفرق فيرحمهم فأقبل عليهم حتى
 تشبهوا به فهل كانوا هلك والفرق بالما في الدنيا المأساة ولنت كان الهلاك بار بامثله لا بل عذابه
 دائمة مدمية وهذه منزلة أقدم العباد العلماء فانهم يشبهون بالاقرباء في الاظهار ولا تقوى
 قلوبهم على الاخلاص فيصط أجورهم بالياء والتعطن لذلك فنامض ومثل ذلك أن يعرض على نفسه
 أنه لو قيل له أخف العمل حتى يهدي الناس بعيداً آخر من أقرانك ويكون لك في السر مثل أجر
 الاعلان فان مال قلبه الى أن يكون هو المتقدي به وهو المظهر للعمل فباعته الى ما دون طلب الاجر
 واقدام الناس به ورضيتهم في الخير فانهم قد رضوا في الخير بالنظر الى غيره وأجرة قد توفر عليه مع
 اسرارها بال قلبه يميل الى الاظهار لولا ملاحظته لأعين الخلق ورسا آتهم فيلجز العبد خدع
 النفس فان النفس خدوع والشیطان مترصد وح الجاه على القلب غالب لو لم يسل الاموال
 الظاهرة من الآفات فلا ينبغي أن يبدل بالسلامة شيئاً والسلامة في الاخفاء وفي الاظهار
 من الاخطار ما لا تقوى عليه أمثالنا فاحذر من الاظهار وأولي بنا جميع الضعفاء في القسم
 الثاني أن يعتد بما فعله بعد الفراغ وحكمه كإظهار العمل نفسه والخطير في هذا اشتداد مؤنة
 النطق خفية على اللسان وقد تجر في الحكاية زيادة ومبالغة والنفس للفت في اظهار العاصي
 عظيمة الآثام لو طرق اليه ايام يوترق في افساد المبادىء الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه
 أهون والحكم فيه أن من قوي قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مبدعهم
 وذمهم وذ كذا عند من يرجو الاقتداء به والغيرة في الخير يسبه فهو جازيل وهو متدرب اليه ان
 صفت النية وملت من جميع الآفات لانه ترضب في الخير والترغيب في الخير خير وقد نقل مثل
 ذلك من جماعة من السلف الاقرباء قال سعد بن معاذ ما صليت صلاة منذ أسلمت فحدثت نفسي
 بشيء ما لا نعت حازة فحدثت نفسي بشيء ما في قائله وما هو مقول لما سمعت النبي صلى الله
 عليه وسلم يقول قولاً قط الاعلت أنه حق وقال عمر رضي الله عنه ما انى أصبحت على غير أوس
 لاني لا أدري أنهم اخبرني وقال ابن مسعود ما أصبحت على حال فتنبت أن أكون على غيرهما
 وقال عثمان رضي الله عنه ما فتيت ولا تنبت ولا مسبت ذكرى يميني منذ يا نعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وقال شداد بن أوس ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت حتى أرتها وأخطئها غير
 هذه وكان قد قال لثلاثمائة سنة بالهجرة لعتبها حتى نذكر القدامى قال اوسيان لا الهل حين
 حضر الموت لا يتكوا على قاني ما حدثت كتباً منذ أسلمت وقال عمر بن عبد العزيز بوجه الله تعالى
 ما قضى الله في قضاء قطسرتي أن يكون قضى في غيره وما أصبح لي هوى الا في مواقع قدر الله فهذا
 كله اظهار لا حوال شر فمقرها غاية المرات اذا صدرت عن رأيها وفيها غلبة الترغيب اذا صدرت
 عن مقتدي به فقد على قصد الاقتداء جاز لا قرباء بالشروط التي ذكرناها فلا ينبغي أن يستد
 بانها اظهار لا اعمال والطباع مجبولة على خب التشبه والاقتداء بل اظهار المرات في العبادة اذا اعلم
 الناس أنه رياء فيه خير كثير الناس ولكنهم شر الرائي فيكم من مخلص كان بسبب اخلاصه الاقتداء
 بمن هو رياء عند الله وقد روي أنه كان يجتاز الانسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع
 أصوات الصليين بالقرآن من البيوت فنصف بعضهم كالمفي دافئ الرءاء فتركوا ذلك وترك الناس
 الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكذاب لم يصف فأظهار المرات في خير كثير لغرضه اذا لم يعرف

زيادته وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم كما ورد في الأخبار وبعض المراثين
من شقته يه منهم والله تعالى اعلم

في بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليه وكراهة دفعهم له
اعلم أن الأصل في الإخلاص استواء السريرة والعلانية كما قال عمر رضي الله عنه لرجل عليك بهل
العلانية قال يا أمير المؤمنين وما عمل العلانية قال ما إذا طلع عليك لم تستحي منه وقال أبو مسلم
الخلواني ما علمت عملا أبالي أن يطلع الناس عليه إلا أنساني أهلي والبول والغائط ألا أن هذه درجة
عظيمة لا ينالها كل أحد ولا يخلو إلا ناس عن ذنوب قلبية أو جوارحه وهو خفيها ويكره اطلاع الناس
عليها لاسيما ما يحتاج به الخواطر في الشهوات والاماني والله مطلع على جميع ذلك فأرادة العدد
لا تخاف من العيب ر بما ظن أنه ر بما يحظور وليس كذلك بل المخطور أنه يستزك يرى الناس أنه
ورع خائف من الله تعالى مع أنه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائي وأما الصادق الذي لا يراعي فله ستر
المعاصي ويصح صدقه فهو يصح اغتمامه باطلاع الناس عليه من ثمانية أوجه (الاول) أن يفرح
بستر الله عليه وإذا اقتضى اغتم بستر الله ستره وخاف أن يترك ستره في القيامة أتوردي في الخسر أن من
ستر الله عليه في الدنيا ذنبا ستره عليه في الآخرة وهذا غم ينشأ من قوة الإيمان (الثاني) أنه قد علم أن
الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويجب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيئا من هذه
القادورات فليس ستر ستر الله فهو وان عصي الله بالذنوب فلم يخل قلبه من محبة ما أحبه الله وهذا انشأ
من قوة الإيمان بكره الله ظهور المعاصي وأثر الصدق فيه أن يكره ظهور الذنوب من غيره أيضا
ويتم بسببه (الثالث) أن يكره ذم الناس له من حيث أن ذك يغم ويشغل قلبه وعقله عن طاعة
الله تعالى فإن الطبع يتأذى بالذم وينزع العقل ويشغل عن الطاعة وهذه العلة أيضا ينبغي أن
يكره الحمد الذي يشغله عن ذكر الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر وهذا أيضا من قوة الإيمان
أن صدق الرضا في فراغ القلب لأجل الطاعة من الإيمان (الرابع) أن يكون ستره ورغبته فيه
لكرامته لزم الناس من حيث يتأذى طبعه فإن الذم مؤلم للقلب كما أن الضرب مؤلم للبدن وخوف
تألم القلب بالذم ليس مجرام ولا آتسان به عاص وانما يصح ادبجرت نفسه من ذم الناس ودفعته
إلى ما لا يجوز حذر من دفعهم وليس يجب على الإنسان أن لا يهتم بتم الخلق ولا تألم به نعم كالصدق
في أن تزول عنه مروتة الخلق فيستوى عنده ذاته وما دحه لعله أن الضار والنافع هو الله وأن
المعاد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا أو أكثر الطباع تألم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان ورب
تألم بالذم محمود إذا كان الذم من أهل البصيرة في الدين فأنهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى
وعلى نقصان في الدين فكيف لا يغم به نعم التعميم هو أن يهتم لقوات الحمد للورع كأنه يجب أن يحد
بالورع ولا يجوز أن يجب أن يحد بطاعة الله فمكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من غيره فإن وجد ذلك
في نفسه وجب عليه أن يقابله بالكرهات والرد أو ما كراهة الذم بالمصيبة من حيث الطبع فليس
بمذموم فله السرحان من ذلك ويصور أن يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وانما
مراده أن يتركه الناس حمدا وبقيا فكم من جاهل من لا يحد لا يصبر على الذم إذا الحمد يطلب الله
وعدم الذم لا يؤلم أو ما الذم فانه مؤلم فبالحمد على الطاعة طلب ثواب على الطاعة في الحال أو ما
كراهة الذم على المصيبة فلا تحذر وفيه الأخر واحد وهو أن يشغله غم ما اطلاع الناس على ذنبه من
اطلاع الله فان ذلك غاية النقصان في الدين بل ينبغي أن يكون غم ما اطلاع الله وذم الله أكثر
(الخامس) أن يكره الذم من حيث أن الذم قد عصي الله تعالى به وهذا من الإيمان وعلامته

أن يكرمه لغيره أيضاً فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطمع •
 (السادس) أن يستزك كلاً بقصد بشر إذا عرف ذنبه وهذا وراء ألم الذم فإن ألم الذم مؤلم من حيث
 يشعر القلب بقصده وخسته وإن كان من يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من
 الأسباب فله أن يستزك حذر منه (السابع) بجزء الحياء فإنه نوع ألم وراء ألم الذم والقصد بالستر
 وهو خلق كريم يحدث في أول الصباه هما أشرق عليه نور العقل فيستضي من القبايح إذا شهدت منه
 وهو وصف محمود إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله وقال صلى الله عليه وسلم
 الحياء شعبة من الإيمان وقال صلى الله عليه وسلم الحياء لا يأتي إلا بخير وقال صلى الله عليه وسلم إن
 الله يحب الحي الحليم فالذي يهتق ولا يبالي أن يظهر فنتقه للناس جمع إلى القسوت التبتك والوقاحة
 وقبح الحياء فهو اختصار آمن يستتر بسنن وأن سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس
 قل من يغطن له ويدعي كل مرأه أنه مستحي وأن سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس
 وذلك كذب بل الحياء خلق ينبعث من الطمع الكرم ويوجب عقبيه داعية إلى رادعة الإخلاص
 ويصور أن يتخلص معه ويتصور أن يرأى معه ويأمنه أن الرجل يطلب من صديق له قرضاً ونفسه
 لا تمزج بأقرانه لأنه يستحي من رده ولم أنه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحي ولا يقرض
 رياء ولا يطلب الثواب فله منذ ذلك أحوال • حدها أن يشافه بالرد الصريح ولا يبالي فينصب
 إلى قلة الحياء وهذا فعل من لحياء له فإن المستحي إما أن يتعلل أو يقرض فإن أعطى فنتصور له
 ثلاثة أحوال • أحدها أن يخرج الرياء بالحياء بأن يهيج الحياء فيقع عنده الرذيلة فيجزع خاطر الرياء
 ويقول ينبغي أن تعطى حتى يثني عليك ويحمدك وينثر اسمك بالثناء أو ينبغي أن تعطى حتى
 لا يذمك ولا ينسبك إلى الضل فإذا أعطى فقد أعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء •
 الثاني أن يتعذر عليه الرذيلة الحياء وسبق في نفسه الضل فتعذر الإعطاء فيجزع داعي الإخلاص ويقول
 له إن الصدقة واحدة والقرض بثمن مشرق فيه أجر عظيم وإدخال سر ورعي قلب صديق وذلك
 محمود عند الله تعالى فقتصر النفس بالإعطاء لذلك فهذا يتخلص هيج الحياء إخلاصه الثالث
 أن لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمد لأنه لو طلبه برأسه لكان
 لا يعطيه فأعطاء يهيج الحياء وهو ما يجده في قلبه من ألم الحياء ولولا الحياء لردوه لوجهه من لا يستحي
 منه من الأحباب والأزواج لكان رده وإن كثرا الحمد والثواب فيه فهذا يجر الحياء ولا يكون هذا
 إلا في القبايح كالضل ومقارفة الذنوب والمرأى يستحي من المباحات أيضاً حتى أنه يرى مستحلي الشيء
 فيعود إلى الهدى وأضاحك فيرجع إلى الانقباض وزعم أن ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل إن بعض
 الحياء ضعيف وهو صحيح والمراد به الحياء الجماليس شحيح كالحياء من وعظ الناس وأمامه الناس في
 الصلاة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العلاء مضر محمود وقد تشاهد معصية من شيخ فتستحي من
 شيعته أن تسكر عليه لأن من اجل الله اجل لذي الشبهة المسلم وهذا الحياء حسن واحسن منه
 أن تستحي من الله فلا تصنع الامر بالمعروف قالقوى يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس
 والضعيف قد لا يقدرون عليه فهذه هي الأسباب التي يجوز لجلها ستر القبايح والذنوب • (الثامن)
 أن يخاف من ظهور ذنبه أن يسخرى عليه غيره وقد يندى به وهذه العلة الواحدة فقط هي الجارية
 في اظهار الطاعة وهو القدر ويتخصص ذلك بالائمة أو بمن يقتدى به وهذه العلة ينبغي أيضاً أن ينجي
 العاصي أيضاً مضيقته من أهله وولده لأنهم يتخلون منه ففي ستر الذنوب هذه العلة والاشارة
 وليس في اظهار الطاعة عذر الا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر المعصية أن يخجل إلى الناس أنه

ورع كان مرثيا كما اذا قصد ذلك باظهار الطاعة فان قلت فهل يجوز للعبد أن يحب حمد الناس له
بالصلاح وحسب ما به يسبغ وقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم دلتني على ما يحبني الله عليه
ويحبني الناس قال ازهدني الدنيا يحبك الله واذا أحببتهم هذا الخطام يجوز لفقول حبك لخب الناس
لك قد يكون مباحا وقد يكون محمدا وقد يكون مذموما فالجواب أن تحب ذلك لتصرف به حب الله
لك فانه تعالى اذا أحب عبدا حببه في قلوب عباده والمذموم أن تحب جهنم وحمدهم على حبك وغزوك
وصلاتك وعلى طاعة بعضها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجل سوى ثواب الله والباع
أن تحب أن يحبوك لصفات محمودة سوى الطاعات المحمودة العينة فبذلك تحبك المال لان ملك
القلوب وسيلة الى الاغراض فكذلك الاموال فلا فرق بينهما

في بيان ترك الطاعات خوفا من الياه ودخول الآفات

اعلم أن من الناس من يترك العمل خوفا من أن يكون مرثيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل
الحق فيما ترك من الاعمال وما لا يترك لخوف الآفات مانه كرهوه وأن الطاعات تنقسم الى مالا لذة
في عينه كالصلاة والصوم والحج والغزواتها مقاسة ومجاهدات انما تصير لذينة من حيث انها
توصل الى حمد الناس وحمد الناس لذيل وذلك عند اطلاع الناس عليه والى ما هو لذيل وهو أكثر
مالا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالحلاقة والقضا والولايات والحسبة وامامة الصلاة
والند كبر والتدريس وانفاق المال على الخلق وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه
من الآفة (القسم الاول) الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصوم
والصلاة والحج فبطرات الياه فيها ثلاث احداها ما يدخل قبل العمل فيبعت على الابتداء لرؤية
الناس وليس معه باعث الدين فهذا مما ينبغي أن يترك لانه معصية لاطاعة فيه فانه تدرع بصورة
الطاعة الى طلب المنزلة فان قدر الانسان على أن يدفع عن نفسه باعث الياه ويقول لها الاستسجين
من مولاك لاستسجين بالعمل لاجله وتسجين بالعمل لاجل عبادته حتى يدفع باعث الياه وتصفو
النفس بالعمل لله مقوية لنفس على خاطر الياه وكفارة له فليست تغل بالعمل الثانية أن يبعث لاجل
الله ولكن يفترض الياه مع عقد العادة وأولها فلا ينبغي أن يترك العمل لانه وجد باعثا بنينا
فليست في العمل ولجبا عذ نفسه في دفع الياه بتحصيل الاخلاص بالعاجات التي ذكرناها من الزام
النفس كراهة الياه والاباء من القبول الثالثة أن يعتقد على الاخلاص ثم يطرد الياه ودواصيه فينبغي
أن يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكي يرجع الى عقد الاخلاص ويرد نفسه اليه ففهر احتج بتم العمل
لان الشيطان يدعوك أولا الى ترك العمل فاذ المجبر واشتغل فبعدوك الى الياه فاذ المجب ودعت
بقي يقول لك هذا العمل ليس بخالص وأنت مرء وتصلب ضائع فأي فائدة لك في عمل لا اخلاص فيه
حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذ تركته فقد حصلت غرضه ومثال من يترك العمل لخوفه أن يكون
مرثيا كمن مسلم اليه مولا محتفظ فيها زؤان وقال خلصها من الزؤان ونفها منه بتدق بالغة فترك
اصل العمل ويقول أخاف ان اشتغل به لم تحصل خلاصا صافيا فبقا ترك العمل من أجله هو ترك
الاخلاص مع أصل العمل فلامعني له ومن هذا القبيل أن يترك العمل خوفا على الناس أن يقولوا انه
مرء فيصون الله به فهذا من مكائد الشيطان لانه أولا أساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه
أن يظن بهم ذلك ثم ان كان فلا يضره قوطهم وغفوتهم ثواب العادة وترك العمل خوفا من قوطهم انه
مرء هو عين الياه فلو لاجبه لمحمدتهم وخوفهم منهم فبالمو لقوطهم قالوا انه مرء او قالوا انه مخلص
واي فرق بين أن يترك العمل خوفا من أن يقال انه مرء وبين أن يحسن العمل خوفا من أن يقال

انه غافل مقصر بل ترك العمل أشد من ذلك فنهكه كلها كئيد الشيطان على العباد الجاهل ثم كيف
يطمع في أن يتخلص من الشيطان بأن يترك العمل والشيطان لا يحليه بل يقول له الآن يقول الناس
انك تركت العمل لقال انه مخلص لا يشبه الشهرة فاضطر لتبكي الى أن تهرب فان هربت ودخلت
سر باحت الارض ألقي في قلبك حلاوة معرفة الناس بترهك وهربك منهم وتظلمهم بكقولهم
على ذلك فكيف تقطن منه بل انجاة منه الا بان تترك قلبك معرفة آفة الياه وهو اضرب في الآخرة
ولا تنفع فيه في الدنيا لتلزم الكراهة والاباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالى وان ترغ الصدق
نازع الطبع فان ذلك لا ينقطع وترك العمل لاجل ذلك يجزى الى البطالة وترك الخير ان فادمت تجد
باعثاديا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطرال ياه وأزمت قلبك الحياء من الله اذا دعيت نفسك
الى أن تستبدل بحمد خدا مخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطعم الخلق على قلبك وانك تريد حدهم
لقتولك بل ان قدرت على أن تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة نفسك فافعل فان قال لك
الشيطان أنت حراء فاعلم كنبه وخدعه بما تصادف في قلبك من كراهة الياه وابائه وخوفك منه
وحيائك من الله تعالى وان لم تحذف في قلبك كراهية ومنه خوفا لم يبق باعث ديني بل تحير د باعث
الياه فانك ترك العمل ضد ذلك وهو بعيد في شرع في العمل لله فلا بد أن تسبق معه أصل قصد الثواب
فان قلت قد تغفل من أقوام ترك العمل مخافة الشهرة روى أن ابراهيم النخعي دخل عليه انسان وهو
يقرا فاطبق المصحف وترك القراءة وقال لا يرى هذا أنا قرأ كل ساعة وقال ابراهيم النخعي اذا أجهك
الكلام فاسكت واذ أجهك السكوت فاسكت وقال الحسن ان كان أحدكم ليمر بالآدي ما يمنع من
دفعه الا كراهة الشهرة وكان أحدكم يأنه اليك فصره الى الضحك مخافة الشهرة وقدر في ذلك
آثار كثيرة قلنا هذا يضار به ما ورد من اظهار الطاعات من لا يحمي واظهار الحسن البصري هذا
الكلام في معرض الوعظ أقرب الى خوف الشهرة من البصحاء واماطة الادي عن الطريق ثم
لم يتركه وبالجلة ترك النواقل جاز والكلام في الافضل والافضل انما يقدر عليه الاقربا بنون الضعفاء
فالافضل أن نهم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه وأرباب الاعمال قد يعالجون أنفسهم بخلاف
الافضل لشدة الخوف فالاعتناء ينبغي أن يكون بالاقوياء وأما طباق ابراهيم النخعي المصحف
فيمكن أن يكون لعله بأنه سيحتاج الى ترك القراءة عند دخوله واستئنافه بعد دخوله وجه الاشتغال
بمكاته فرأى أن لا يراه في القراءة بعد من الزياه وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود اليه بعد
ذلك وأما ترك دفع الادي فذلك من يخاف على نفسه آفة الشهرة واقبال الناس عليه وشغلهم ياه
عن عبادات هي أكبر من رفع خشية من الطريق فيكون ترك ذلك المرافقة على عبادات هي أكبر
منها لا يجوز وخوف الياه وأما قول النخعي اذا أجهك الكلام فاسكت يجوز أن يكون قد أراد به
مباحات الكلام كالنصاحه في الحكايات وغيرها فان ذلك يورث الهيب وكذلك الهيب بالسكوت
المباح مخدوف وهو غشول من مباح الى مباح حذر من الهيب فاما الكلام الحق التدوين اليه فلم
ينص عليه على أن الآفة بما تنظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني وانما كلامنا في العبادات
الخاصة بعباد الصلوات بالانسان ولا تنظم فيه الآفات ثم كلام الحسن في تركهم التكلم واماطة
الادي لطوف الشهرة ربما كان حكاية أخوال الضعفاء الذين لا يعرفون الافضل ولا يدركون هذه
المدقات وانما ذكره نحو ما للناس من آفة الشهرة وزجر من طلبها (القسم الثاني) ما يتعلق بالخلق
وتنظم فيه الآفات والاطار وأما الخلافة في القضاة ثم التنصير والتدريس والقوى
ثم اتفاق المال أما الخلافة والامارة فهي من افضل العبادات اذا كان ذلك مع العدل والاخلاص

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عامًا فأعظم
بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم أول من يدخل الجنة ثلاثة الامام
المقط أحد هم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل
أحد هم وقال صلى الله عليه وسلم أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة امام عادل رواه ابو سعيد
الخدري قال اماراة والخلافة من أعظم الصادات ولم يزل المتقون يتركونها ويحترزون منها ويزبون
من تقلدها وذلك لما فيها من عظيم الخطر اذ تعتر كها الصفات الباطنة ويقلب على النفس حسب الجاه
ولذة الاستيلاء ونفاد الامر وهو أعظم ملاذ الدنيا فاذا صار الى الولاية محبوبة كان الولى ساهيا في خط
نفسه ويوشك أن ينبع هواه فيجتمع من كل ما يقدح في جاهه ولايته وان كان حقا وقدام على ما يزيد
في مكانته وان كان باطلا وعنده ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان خائرا ثم ان فسق ستين سنة
بمفهوم الحديث الذي ذكرناه ولهذا الخطر العظيم كان محرر رضي الله عنه يقول من يأخذها بما فيها
وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من الى عشرة الاجام يوم القيامة مغلوله يده الى عنقه
أطلقه عنده اوار بقه جورده رواه معقل بن يسار وولاه عمر ولاية فقال يا أمير المؤمنين أشركني
قال اجلس واكتب علي وروى الحسن أن رجلا وولاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي خذني قال
اجلس وكذلك حديث عبد الرحمن بن سمرة اذ قال له النبي خذني الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل
الامارة فانك ان اوتيتها من غير مسألة اغتصب عليها وان اوتيتها عن مسألة تركت لها وقال ابو بكر
رضي الله عنه لاني من عمر لا تأمر على اثنين ثم ولى هو الخلافة فقام بها فقال له رافع أن تقول لي لا تأمر
على اثنين وأنت قد وليت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلى وأنا أقول لك ذلك فلم يعدل
فيها فليعلم هؤلاء الله يعني الله ولعل القليل البصيرة يرى ما ورد من فضل الامارة وما ورد من النهي
عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه أن الخواص الاقوياء في الدين لا ينبغي أن يمتنعوا
من تقلد الولايات وأن الضعفاء لا ينبغي أن يدوروا فيها فليكنوا أو أعني بالقوى الذي لا تخله الدنيا
ولا يستغفر الطمع ولا تأخذه في الله لومة لائم وهم الذين سقط الخلق عن أعينهم وزهدوا في الدنيا
وتبرأوا منها وتحالفت الخلق وفهروا أنفسهم وملكوا وهاو قعوا الشيطان فأبس منهم فهو لا يجرهم
الى الحق ولا يسكنهم الحق ولز هفت فيه أرواحهم فهم أهل نيل الفضل في الامارة والخلافة ومن
علم أنه ليس هذه الصفة فيجزم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فراهبارة على الحق
كافة من الشهوات في غير الولايات ولكن خاف عليها أن تتغير اذ اذقت لذة الولاية وأن تستعطي
الجاه ويستلذ نفاد الامر فتكره العزل فيذاهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف العلماء في أنه هل
يلزمه الحرب من تقلد الولاية فقال قائلون لا يجب لان هذا خوف أمر في المستقبل وهو في الحال
لم يهد نفسه الاقوية في ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح أن عليه الاحتراز لان النفس
خداة متعبة للحق واعدة بالخير فلو وعدت بالخير جزما لكان يخاف عليها أن تتغير عند الولاية
فكيف اذا أظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية أهون من العزل بعد الشروع فالعزل مؤلم
وهو كليل العزل طلاق الرجال فاذا شرع لا تسمي نفسه بالعزل وتقبل نفسه الى المداهنة وإهمال الحق
وتعوى به في قعر جهنم ولا يستطيع التزوع منه الى الموت الا أن يعزل فها وكان فيه عذاب عاجل
على كل محب للولاية ومهما ماتت النفس الى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب فهو اماراة
الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اتا لوني أمر يا من سألتنا فاذا فهمت اختلاف حكم الفري
والضعيف علمت أن النبي أتى بكره وافقنا عن الولاية ثم قلده لها ليس بمنافض * وأما القضاء فهو

وان كان دون الخلافة والامارة فهو في معاصهما فان كل ذي ولاية أمرأى له أمرنا فاذ الامارة محبوبة
 بالطبع والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه أيضا عظيم مع العبدل عن الحق وقد
 قال النبي صلى الله عليه وسلم القضاء ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة وقال عليه السلام من
 استغنى فقد ذبح بغير سكين فكسبه حكم الامارة ينبغي أن يتركه الضعفاء وكل من الدنيا ولذاتها
 وزن في عينه وليقلده الأقوياء الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ومهما كان السلطان ظليلا
 ولم يقدر القاضي على القضاء الامداهنتهم واهمال بعض الحقوق لاجلهم ولا لاجل المتعلقين بهم اذ يعلم
 أنه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه أو لم يطعموه فليس له أن يتقلد القضاء وان تقلده فعليه أن يبالهم
 بالحقوق ولا يكون خوف الغزل عذرا من خصاله في الاهمال أصلا بل اذا عزل سقطت الهبة عنه
 فينبغي أن يفرح بالعزل ان كان قضى لله فان لم تسمع نفسه بذلك فهو اذ قضى لاتباع الهوى
 والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة في الدرك الأسفل من النار وأما الوظف والقوى
 والتدريس ورواية الحديث وجمع الاسانيد العالية وكل ما يتبع بسببه الجاه ويظلم به القدر
 فأنه أيضا عظمية مثل آفة الولايات وقد كان الخاقانيون من السلف يتدافعون القوي ما وجدوا
 اليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من أبواب الدنيا من قال حدثنا فقد قال أو سألني وقد بشر
 كذا وكذا فطره من الحديث وقال بمنى من الحديث اني اشبه أن أحدث ولو اشتهت أن لا أحدث
 لحذت والواظف يجد في وظيفته وتأمر قلوب الناس به وتلاحق بكاتهم وزمقاتهم وأقبالهم عليه لذة
 لا توازيها لذة فاذا قلب ذلك على قلبه مال طبعه الى كل كلام من خرف بروج مند العوام وان كان
 باطلا فزعم من كل كلام يستقله العوام وان كان حقا وصيرا وصرفا لمع بالكلية الى ما يجرك
 قلوب العوام ويظلم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة الا يكون فرحه به من حيث انه يصلح
 لان يذكره على رأس المنبر وكان ينبغي أن يكون فرحه به من حيث انه عرف طريق السعادة
 وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به أو لا ثم يقول اذا أتم الله على هذه النعمة وتغنى بهذه الحكمة
 فأقصها للشاركي في نفعها اخواني المسلمون فهذا أيضا مما ينظم فيه الخوف والفتنة فكسبه حكم
 الولايات في لا يأتى له الا طلب الجاه والمترقة والا كل بالدين والتفاخر والتكاثف فيبغي أن يتركه
 ويخالف الهوى فيه الى أن يتراض نفسه وتقوى في الدين همتها بما من على نفسه الفتنة ففسد ذلك
 يعود اليه فان قلت مهما حكم بذلك على أهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق
 فنقول قد نبى رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب الامارة وتوعد عليها حتى قال انكم تخرصون
 على الامارة وانها خسر وندامة يوم القامة الا من أخذها بجها وقال نعمت المرصعة وبنت
 الفاطمة ومعلوم أن السلطنة والامارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق
 وزال الامن وخربت البلاد وتعطلت المعاش فلم يبق عنهم ذلك وضرب عمر رضي الله عنه ابني بن
 كعب حين رأى قوما يتبعونه وهو في ذلك يقول أبي سيد المسلمين وكان يقرأ عليه القرآن فزع
 من أن يتبعوه وقال ذلك فتنة على المتبوع ومثلة على التابع وعمر كان نفسه يتخطب ويخطب ولا يمنع منه
 واستأذن رجل عمر أن يخطب الناس اذا فرغ من صلاة الصبح فنهى فقال انتمغني من نصيح الناس
 فقال اششئ أن تتخ حتى تبلغ التراب اذ رأى فيه تحايل الرعية في جاه الوظف وقبول الخلق والقضاء
 والخلافة مما يحتاج اليه في دينهم كالوظف والتدريس والقوى في كل واحد منها فتنة ولذة
 فلا فرق بينهما فاما قول القائل فيك من ذلك يؤدى الى اندراس العلم فغلط ان دعى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عن القضاء لم يؤدى الى تعطيل القضاء بل الى راسه وجها يضطر الخلق الى طلبها

وكذلك خب الياسة لا يترك العلوم تدرس بل لوحبس الخلق وقيدوا بالسلاسل والاعلال عن طلب
العلوم التي فيها القبول والرياسة لا فلتوا من الحبس وقطعوا السلاسل وطلبوا وقصود الله أن
يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلق لهم فلا تشغل قلبك بامر الناس فان الله لا يضعهم واقطر لنفسك ثم
اني أقول مع هذا اذا كان في الساجدة قومون مالم يظن مثلاً فليس في النبي عنه الامتناع بعضهم
ولا فيعلم أن كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذلك الرياسة فان لم يكن في البلد الواحد وكان وعظه نافعا
لناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته في الظاهر وتبجيله في العوام انه انما يريد الله بوعظه واته
تارك الدنيا ومعرض عنها فلا يمتنع منه وقول له اشتغل وجاهد نفسك فان قال لست اقدر على نفسي
فنعول اشتغل وجاهد لا نعلم انه لو ترك ذلك طلك الناس كلهم اذ لا قائم به غيره ولو واظب وعرضه
الجاء فهو الهالك وحده وسلامتين الجميع احب عندنا من سلامته وحده فبعله فداء لقوم
وقول لعل هذا هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بأقوام
لا خلق لهم ثم الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة ويزهد في الدنيا بكلامه ويظهر سيرته فأما
ما أحدثه الوعاظ في هذه الاعصار من الكلمات المزخرفة والافاظ المسجعة المقرونة بالاشعار مما
ليس فيه تعظيم لامر الدين وتقوية للسليين بل فيه التريجة والتجربة على المعاصي بطيارات
التكث قبيح اخلاء البلاد منهم فانهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان وانما كلامنا في واعظ حسن
الوعظ جميل الظاهر يسطر في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وقيماً أوردناه في كتاب العلم من الوعيد
الوارد في حق علماء السوء ما بين روم الجذور من فتن العلم وغوائله ولهذا قال المسيح عليه السلام
يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصتقون ولا تفعلون ما تأمرون وتدرسون ما لا تعملون فاسوء
ما تتكلمون تروون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يقضي عنكم أن تفعلوا بل كم قلوبكم دنسة بحق
أقول لكم لا تكونوا كالنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم
من أقوالكم ويبقى الغل في صدوركم باعبد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته
ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم ان قلوبكم تنبكي من أعمالكم حطام الدنيا تحت السننكم العمل
تحت أقدامكم بحق أقول أقدمتم آخرتكم بصلاح دنياكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الآخرة
فأما ناس أخس منكم لو فعلون ويطعمون حتى مني تصفون الطريق للدجلين وتصبون في محلة الصبرين
كأنكم تدمون أهل الدنيا ليركوها الصكم مهلاً مهلاً ويطعمونكم ماذا يقضي من البيت العظيم أن يوضع
السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يقضي عنكم أن يكون نور العلم بأقوالكم وأجوافكم
منه وحشة معطلة باعبد الدنيا لا كسيد أقياء ولا كحارزكم نورك الدنيا أن تقامكم من اصولكم
فتلقبكم على وجوهكم ثم تكلمكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيركم ثم يصفكم العلم من خلقكم ثم
يسلمكم الى الملك الديان خفاة عرفاء قراى فيوقفكم على سواكم ثم يجزىكم بسوء أعمالكم وقد روى
الحارث الحاسبى هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء شيطين الانس وقتنة على
الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعوها وأزوها على الآخرة وأذلوا الدين فلدنياهم في العاجل مار
وشين وفي الآخرة هم الخاسرون فان قلت فهذه الافات ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ زغاب
كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان هدى الله بك رجلاً خير لك من الدنيا وما فيها قال
صلى الله عليه وسلم ايمان دعا الى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه الى غير ذلك من فضائل
العلم فينبغي أن يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك ما في الخلق كما قال لمن خالجه الراء في الصلاة لا تترك
العمل ولكن أتم العمل وجاهد نفسك فاعلم أن فضل العلم كبير وخطره عظيم ففضل الخلافة

والامارة ولا تقول لاحد من عباد الله ترك العلم اذ ليس في نفس العلم آفة وانما الآفة في اظهاره
 بالتصدي للوظف والتدريس ورواية الحديث ولا تقول له انما تركه مادام يحفظ نفسه باعاشه دنيا
 عزوجا يبعث الياه اما اذ لم يحركه الا الايام فترك الاظهار انفع له واسلم وكذلك نوافل الصلوات
 اذا تجرد فيها باحث الياه وجب تركها اما اذا خطر له وسواس الياه في اثناء الصلاة وهو لها
 كاره فلا يترك الصلاة لان آفة الياه في العبادات ضعيفة وانما تعظم في الولايات وفي التصدي
 للنائب الكبيرة في العلم والجلية فالمراتب ثلاث * الاولى الولايات والافات فيها عظيمة وقد
 تركها جماعة من السلف وصحبا وهم ولم يؤزر عنهم التركة لخوف الا فتور ذلك لضبح الافات المداخلة فيها
 والقدرة على شغلهم اتمام العمل بالله بآفة قوة * الثالثة وهي متوسطة بين الرتبين وهو التصدي
 لنصب الوظف والقوى والرواية والتدريس والافات فيها اقل مما في الولايات واكثر مما
 في الصلاة فالصلاة ينبغي ان لا يتركها الضعيف والقوى ولكن يدفع خاطر الياه والولايات ينبغي
 ان يتركها الضعفاء سادون الاقوياء ومن اصاب العلم ينهبها من جرب آفات منصب العلم علم
 انه بالولاية اشبهوا ان الحذر منه في حق الضعيف اسلم والله اعلم * وهما نارتبة رابعة وهي جمع
 المال واخذة للتعرفه على المستحقين فان في الانفاق واظهار السعيا استعجالا للشاة وفي ادخال
 السرور على قلوب الناس لذة للنفس والافات فيها ايضا كثيرة ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب
 القوت ثم اسكت واخر طلب فوق قوته ثم قصه في به فقال القاعد افضل لما يعرفون من قلة السلامة
 في الدنيا وان من الزهد تركها قربة الى الله تعالى وقال ابو الدرداء ما سرتني اثني ائت على درج
 مسدد دمشق اصاب كل يوم خمسين دينارا ان تصدق بها امانا لا حرم البيع والشراء وليكني اريد
 ان اكون من الذين لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقد اختلف العلماء فقال قوم اذا طلب الدنيا
 من الحلال وسلم منها وصدق بها فهو افضل من ان يشتغل بالعبادات والثواب وقال قوم الجلوس
 في دوام ذكر الله افضل والاخذ والاعطاء يشغل عن الله وقد قال المسيح عليه السلام يا طالب الدنيا
 لير تهازل كل علم ابر وقال اقل مافيه ان يشغله اصلاحه عن ذكر الله وذكر الله اكبر وفضل
 وهذا فبين سلم من الافات فاما من يتعرض لآفة الياه فتركها ابر والاشتغال بالاذكر لا خلاف
 في انه افضل وبالجلية ما يتعلق بالخلق والنفس فيه لذة فهو منار الافات والاخبار ان يعمل ويدفع
 الافات فان عجز فليتنظر وليجتهد وليستقل قلبه وليزن مافيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل
 ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل اليه الطبع وبالجمل ما يجده اخف على قلبه فهو في الاكثر اضر
 عليه لان النفس لا تشي الا بالاشترار فلما تستلذ الخير وتعمل اليه وان كان لا يبعد ذلك ايضا
 في بعض الاحوال وهذه امور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي وثبات فهو موكول الى اجتihad
 القلب لينظر فيه لئلا يورد مع ما يريه الى ما لا يريه ثم قد يقع مما ذكرناه فرور الجاهل فيسبك
 المال ولا ينفقه خفية من الا فهو عين البخل ولا خلاف في ان غزوة المال في المباحات فضلا عن
 الصدقات افضل من امساكها وانما الخلاف فيمن يحتاج الى الكسب ان لا يفضل ترك
 الكسب والانفاق او البصر دلالة كرونك لما في الكسب من الافات فاما المال الحاصل من
 الحلال فتفرقه افضل من امساكها بكل حال فان قلت فيما في جملة تصرف العالم والواظفة
 صادق مخلص في وعظه غير زبر يد الياه الناس فاعلم ان ذلك علامات احداها بالوظهر من هو
 احسن منه وعظا واغفر ومنه علم الناس له اشد قبولا قرح به ولم يحصه نعم لا بأس بالنقطة

وهو أن يمتن لنفسه مثل عمله والآخرى أن لا تكبر إذا حضر واجلسه لم يتغير كلامه بل يتي
كما كان عليه فينتظر إلى الخلق بين واحدة والآخرى أن لا يحب اتباع الناس له في الطريق والمشي
خلفه في الأسواق وذلك علامات كثيرة يطول احصاؤها وقد روى عن سعد بن أبي مرزبان قال
كنت جالساً إلى جنب الحسن اندخل علينا الحاجج من بعض أبواب المسجد معه الحرس وهو على
برذون أصفر فدخل المسجد على برذونه فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقاً أدخل من حلقة الحسن
فتوجه نحوها حتى بلغ قريباً منها ثم تني وركبه قتل ومشى نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجهاً إليه
تجأني له عن ناحية فجلسه قال سعد وتجاقت له أنضاع ناحية فجلسي حتى صار بيني وبين الحسن
فرجعت وجلست للحجاج فجاء الحاجج حتى جلس بيني وبينه والحسن يسكن بكلامه ينكلم به في كل يوم
فأقطع الحسن كلامه قال سعد قلت في نفسي لأبكون الحسن اليوم ولا تنظر هل يجمل الحسن
جلوس الحاجج إليه أن يزيفي كلامه يتقرب إليه أو يجمل الحسن هيئة الحاجج أن يقص من كلامه
فتكلم الحسن كلاماً واحداً نحو ما كان ينكلم به في كل يوم حتى انتهى إلى آخر كلامه فلما فرغ
الحسن من كلامه وهو غير مكثرت به رفع الحاجج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق
الشيخ وزير تعليمكم هذه المجالس وأشباهها فاتخذوها خلقاً عادة فانه يلقي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يجالس الذكر رياض الجنة ولولا ما حملناه من أمر الناس ما غلبتونا على هذه
المجالس لم عرفنا فضلها قال ثم أقتر الحاجج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاءه فلما فرغ
طفق قيام فجاءه رجل من أهل الشام إلى مجلس الحسن حين قام الحاجج فقال صاب الله المسلمين ألا
تجهون أني رجل شيخ كبير وإني أغزو فأكلف فرسا وبغلا وأكلف قسطنطا وإن لي ثلثمائة درهم
من العطاء وإن لي سبع بنات من العيال فشكمن حاله حتى رق الحسن له وأصحبه والحسن مكب
قلبا فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال ما لهم قائلهم الله فاتخذوا عباد الله خولا وما ل الله
دولا وقتلوا الناس على الدينار والدراهم فادعوا صدور الله عزرا في القساطط الهبابية وعلى البغال
السبابة وإذا أغزى أخاه أقره طاوياً وأرجلا فافتر الحسن حتى ذكرهم بأعجب السبب وأشدته فقام
رجل من أهل الشام كان جالساً إلى الحسن فسعى به إلى الحاجج وحي له كلامه فلم يلبث الحسن
أن أته رسل الحاجج فقالوا أجب الأمر فقام الحسن وأشفقنا عليه من شدة كلامه الذي تكلم به
فلم يلبث الحسن أن رجع إلى مجلسه وهو شبيب وقلما رآته فاعزاه فاه ضحك انما كان يتسم
فأقبل حتى قصد في مجلسه فظلم الأمانة وقال انما تجالسون بالإمانة كأنكم تظنون أن الخيانة
ليست إلا في الدينار والدراهم ان الخيانة أشد الخيانة أن يجالسنا الرجل فنطعمه في جانبته
ثم ينطق فيسقي بنائي شرارة من نار أن أنت هذا الرجل فقال أقصر عليك من لسانك وقولك فاعزاه
عبد الله عزرا كذا وكذا وإذا أغزى أخاه أقره كذا كذا لا أياك تحرض علينا الناس أماناً على ذلك لانهم
نصيحتك فأقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عني وركب الحسن حماراً يريد المنزل فبينما هو يسير
إذا الفتق رأى فوما خبونه فوقف فقال هل لكم من حاجة أو تسألون عن شيء والأفارجوا فما
سقى هنام قلب العبد فبهذه العلامات وأمثالها تبين سريرة الباطن ومهمات آيات العلماء بتقارون
وخصاصدون ولا يتواسون ولا يتعاونون فاعلم أنهم قد اشترىوا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون
المهم ارحنا بلطفك يا أرحم الراحمين

بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح
اعلم أن الرجل قليل يصح التورم في موضع فيقومون للتمجيد ويقوم بعضهم فيصلون الليل كله

أو بعضه وهو ممن يقوم في ميتة ساعة قريه فاذا رآهم انبعث نشاطه للواقعة حتى يزيد على ما كان
يعتاده أو يصلح مع انه كان لا يتعاد الصلاة بالليل أصلاً وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه أهل
الموضع فينبعث له نشاط في الصوم ولولا هم لما انبعث هذا النشاط فهذا مما ينبغي أن يراعى أن الواجب
ترك الواقعة وليس كذلك على الإطلاق بل له تفصيل لأن كل مؤمن راغب في عبادة الله تعالى
وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تقوفا العوائق ويمنعه الاشتغال وقيل العكس من الشهوات
أو تنهويه الغفلة فربما تكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة أو تدفع العوائق والاشتغال
في بعض المواضع فينبعث له النشاط فقد يكون الرجل في منزله فتقطع الأسباب عن التجدد مثل
تمكنه من النوم على فراش وثير أو تمككه من التمتع زوجته أو المحادثة مع أهله وأقاربه أو الاشتغال
بأولاده أو مطالعة حساب له مع معامليه فاذا وقع في منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التي
تقترب رغبته من الخير وحصلت له أسباب باعثة على الخير كشاهدته أياهم وقد أقبلوا على الله
وأعرضوا عن الدنيا فانه ينظر اليهم فينافسهم ويشق عليه أن يسقوه بطاعة الله فتترك أفاعله
للذين لا ليرى أروما بما يفرقه النوم لاستنكاره الموضع أو سبب آخر فيتم زوال النوم وفي منزله
ربما يقبله النوم وربما ينضاف اليه انه في منزله على الدوام والنفس لا تسبح بالتجدد دائما وتسمح
بالتجدد وقتا قليلا فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يصير عليه الصوم
في منزله ومعه أطباء الأطباء ويشق عليه الصبر فاذا أعوزته تلك الأطعمة ويشق عليه قنيتها
داعية الذين للصوم فان الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فاذا سلم منها قوى
الباعث فهذا أو أمثاله من الأسباب تصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه
معهم والشيطان مع ذلك ربما يصده عن العمل ويقول لا تبذل فانك تكون مرثيا ذك لا تبذل
في بيتك ولا تزد على صلاتك المعتادة وقد تكون رغبته في الزيادة لاجل رؤيتهم وخوفهم فنهض
ونسبهم إياه إلى الكسل لاسيما اذا كانوا يظنون به أنه يقوم الليل فان نفسه لا تسبح بأن يسقط من
أعينهم فربما يدأ أن يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول الشيطان من فانك تخلص ولست تصل لاجلهم
بل للهو إنما كتلت لصلتي كل ليلة لكثرة العوائق وانما دأبتك زوال العوائق لا لاجلهم وهذا
امر مشتبه الأهل ذوي البصائر فاذا عرف أن المحرك هو الزيادة فلا ينبغي أن يزيد على ما كان يعتاده
ولا رخصة واحدة لانه يصحى الله يطلب محبة الناس بطاعة الله وان كان ابتغاه لذلك العوائق ونحو ذلك
الغشقة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو رأى هؤلاء
يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الموضع بعينه هل كانت نفسه تسبح
بالصلاة وهم لا يرونه فان حفت نفسه فلعل فان باعته الحق وان كان ذلك يتقل على نفسه لو غاب
عن أعينهم فليترك فان باعته الزيادة وكذلك قد يحضر الانسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلاة
ما لا يحضره كل يوم ويمكن أن يكون ذلك لحب حبه ويمكن أن يكون نشاطه بسبب نشاطهم
وزوال غفلته بسبب اقتنائهم على الله تعالى وقد يصير ترك بذلك باعث الدين ويقارنه زرع النفس إلى
حب الحمد فها علم أن الغالب على قلبه أرادة الدين فلا ينبغي أن يترك العمل بمحبه من حب الحمد
بل ينبغي أن يرد ذلك على نفسه بالكره فيشتغل بالعبادة وكذلك قد يسبح جماعة فينظر اليهم فيحضر
البكاء خوفا من الله تعالى لا من الزيادة ولسمع ذلك الكلام وحدهم يبكى ولصن بكاء الناس يؤثر
في ترقق القلب وقد لا يحضره البكاء فينبغي أن يتركه الزيادة وتارة مع الصدق فيخشى على نفسه قسوة
القلب حين يكون ولا تسمع عنه فينبغي أن تكلفا وذلك محمود وعلامة الصدق فيه أن يعرض على

نفسه أنه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فينبأ كي أم لا فان لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء من أعينهم فانما خوفه من أن يقال انه قاسى القلب فينبغي أن يترك التساكي قال لقمان عليه السلام لانه لا ترى الناس انك تحشى الله لكرموك وقلبك فاجروك ذلك الصيغة والتفكير والابن عند القرآن والذكر أو بعض بحارى الاحوال تارة تكون من الصدق والحزن والخوف والندم والتأسف وتارة تكون لشاهدته حزن غيره وقساوة قلبه فيشكل النفس والابن ويحازن ذلك محمود وقد تقترب به الرقة فيه للدلالة على أنه كثير الحزن ليعرف بذلك فان تخرجت هذه المداخلة فهي الزيادة وان اقتربت بعبادة الحزن فان آباها ولم يقبلها وكرها سلم بكاهه وتباكيه وان قبل ذلك وركن اليه قبله حط أجره وضاع سعده وعرض لسخط الله تعالى به وقد يكون أصل الابن من الحزن ولكن يمدد وزيد في رفع الصوت فتلك الزيادة رياء وهو محظور ولا ينافي حكم الابتداء بالجزء الزيادة فقد يخرج من الخوف ما لا يملك العبد معه نفسه ولكن بسبقه خاطر الزيادة يقبله فيدعو الى زيادة تحزين للصوت أو رفع له أو حفظ المداخلة على الوجه حتى يصير بعد أن استترسات نخشة الله ولكن يحفظ أثر ما على الوجه لاجل الزيادة وكذلك قد يسمع الذكر تنهيف قواه من الخوف فيسقط ثم يستحي أن يقال انه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزعق ويتواجد نكفا لا يرى أنه سقط لكونه مفسيا عليه وقد كان ابتداء السقطه عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يبق سرها تخرج نفسه أن يقال حالته غير ثابتة وانما هي كبرق خاطف فيستديم الزحف والرقص ليرى دوام حاله وكذلك قد يثق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سرها فيزعق أن يقال لم يكن غشيتة صحيحة ولو كان لدام ضعفه فيستديم ظهار الضعف والابن فيسكن على غيره يرى أنه يضعف عن القيام ويتمايل في المشي ويترتب الخطا لظهور أنه ضعيف عن سرعة المشي فهذه كلها ما كيد الشيطان وزغات النفس فاذا خطرت فلاجها أن يندكر أن الناس لو عرفوا نفاقه في الباطن واطلعوا على ضميره لم يتقوه وأن الله مطلع على ضميره وهو له أشد مقنا كجاري من ذي النون رحمه الله أنه قام وزعق فقام معه شيخ آخر رأى فيه أثر التكلف فقال يا شيخ الذي راك حين تقوم مجلس الشيخ وكل ذلك من أعمال المنافقين وقد جاني انظر بعد ذلك من خشوع المنافقين وانما خشوع النفاق أن تضع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغشيه فان ذلك قد يكون لخاطر خوفه قد كذب وتذم عليه وقد يكون للرأفة فهذه خواطر ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة وهي مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك في كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن أين هو فان كان لله فامضه واحذر مع ذلك أن يكون قد خفي عليك شيء من الرياء الذي هو كد ييب الفل ولكن على وجل من عبادتك أي مقبولة أم لا لخوفك على الاخلاص فيها واحذر أن يبعد لك خاطر انكون الى حمدهم بعد الشروع بالاخلاص فان ذلك ما يكثر جذا اذا خطر لك تفكير في اطلاع الله عليك ومقتله وتذكر ما قاله أحد الثلاثة الذين حاجوا أيوب عليه السلام اذ قال يا أيوب أما علمت أن العبد تفصل عنه علانيته التي كان يخادع بها من نفسه ويجزي بسر ربه وقول بعضهم أعوذ بك أن يرى الناس أني أخشاك وأنت لي ماقت وكان من دعاء علي بن الحسين رضي الله عنهما اللهم اني أعوذ بك أن تخسن في لامعة العيون علانيتي وتقع لك فيما أخلص برى في مخافتك على رياء الناس من نفسي ومضيعا لما أنت مطلع عليه مني أئبى للناس أحسن أمرى وأفضى اليك بأسوا على تقر بالي الناس بحسنا في وفرا منهم اليك بسببائي فيجلى في مقتك وجوب على تخفيك أعزني من ذلك رياء العالمين وقد قال أحد الثلاثة نفر لا يوب عليه السلام يا أيوب ألم تعلم أن الذين

حفظوا علائقهم وأضاعوا سرهم عند طلب الحاجات إلى الرحمن تسود وجوههم بهذه جل
آفات الرياء فليراقب العبد قلبه ليقف عليها في الخبر أن الرياء سبعين باباً وقد عرفت أن بضه
أعظم من بفض حتى أن بضه مثل ديب النمل وبضه أخفى من ديب النمل وكيف يدرك
ما هو أخفى من ديب النمل إلا بشدة التقصد والمراقة قولته أدرك بعد نيل المجهود فكيف يطعم
في أدراكه من غير تقصد للقلب وامتحان للنفس وتفتيش عن خدعها أنال الله تعالى العافية بمنة
وكرمها وحسانه

بيان ما ينبغي للريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه

اعلم أن أولى ما يلزم الريد قلبه في سائر أوقانه القناعة بعلم الله في جميع طاعاته ولا يتعمد علم الله إلا من
لا يخاف إلا الله ولا يرجو إلا الله فأما من خاف غيره وارتجأه اشتبهت اطلاع على محاسن أحواله
فإن كان في هذه الرتبة قليلاً لم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والإيمان لما فيه من خطر التعرض للفت
وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فإن النفس عند ذلك تكاد تفتي
حرصاً على الانشغال وتقول مثل هذا العمل العظيم أو الخوف العظيم أو البكاء العظيم لو مرهفه الخلق
منك لتسعدوا لك فاني الخلق من قد رعى مثله فكيف ترضى بأخفائه فيعمل الناس عملاً
وينكرون قدره ويحرمون الاقتداء به في مثل هذا الأمر ينبغي أن يثبت قدمه ويتذكر في
مقابلة عظم عمله عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ونزاهة أبنائه وأباده وعظم غضب الله ومقته على من طلب
بطايلة عما يأم به و يعلم أن أظهاره لغیره محب إليه وسقوطه عند الله وأحباطه لعمل العظيم
فيقول وكيف أتبع مثل هذا العمل بمجد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون على رزق ولا أجل فيلزم
ذلك قلبه ولا ينبغي أن يأس عنه فيقول إنما يقدر على الإخلاص الأقوياء فأما المخطئون فليس ذلك
من شأنهم فيترك المجاهدة في الإخلاص لأن المخطئ إلى ذلك أحوج من المتقى لأن المتقى إن فسدت
نوافله بقيت فرائضه كاملة تامموا المخطئ لا تخلف فرائضه من نقصان والحاجة إلى الجبران بالنوافل
فإن لم تسلم صامراً خواراً بالقرائن وعلمك به فالمخطئ إلى الإخلاص أحوج وقد روى عجم الدار
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يحاسب العبد يوم القيامة فان نقص فرضه قبل أنظر واهل
له من تطوع فإن كان له تطوع أكل به فرضه وإن لم يكن له تطوع أخذ بطريقه فالتقى في النار فبأن
المخطئ يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجتهد في خير القرائن وتكفير السيئات
ولا يمكن ذلك إلا بجلوس النوافل وأما المتقى فيجده في زيادة الدرجات فإن حبط تطوعه بقي من
حسناته ما يترج على السيئات فيدخل الجنة فإذا ينبغي أن يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه
لتصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يظهره ولا يتحدث به وإذا فعل جميع ذلك فينبغي
أن يتكون ويخلص عمله خاتماً له ورجماً داخله من الرياء الخفى ما لم يقف عليه فيكون شاك في قبوله
ورده يجوز أن يكون الله قد أحصى عليه من نيته الخفية ما مقته ما ورده عمله بهما ويكون هذا
الشك والخوف في دوام عمله وبعده لا في ابتداء التقدير ينبغي أن يكون متيقناً في الابتداء أنه
مخلص ما يريد بعمله إلا الله حتى يصح عمله فادثره وضعت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان
الخوف من الغفلة عن شائبة خفية أخبطت عمله من رياء أو عجب أولى به ولكن يكون رجاءه
أغلب من خوفه لأنه استيقن أنه دخل بالإخلاص وشك في أنه هل أقصد رياء فيكون رجاءه القبول
أغلب بذلك تعظم لذته في المناجاة والطاعات فالإخلاص يقين والرياء شك وخوفه لذلك الشك
جدرياً أن يكفر خاطره بالإيمان كان قد سبق وهو غافل عنه والذي يخترع إلى الله بالسعي في سوائه

الناس وإفادة العلم ينبغي أن يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته
 قطور رجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط دون شكر ومكافأة وحمدونه من التعلم والتم عليه
 فإن ذلك يحبط الأجر فيما توقع من التعلم مساعدة في شغل وخدمة أو مراقبة في المشي في الطريق
 ليستكثر باستيعابه أو زدة دامت في حاجة فقد أخذ أجره فلا ثواب له غيره نعم إن لم توقع هو ولم يقصد
 إلا الثواب على عمله بعلمه ليكون له مثل أجره ولكن خدمته التلبس بنفسه قبل خدمته فخرج
 أن لا يحبط ذلك أجره إذا كان لا ينتظره ولا يريد منه ولا يستبعد منه لوقطعه ومع هذا فقد كان
 العلماء يجزئون هذا حتى إن بعضهم وقع في بثر فاه قوم فأدوا حبلا لرفعوه فحلف عليهم أن لا ينف
 معهم من قرأ عليه آية من القرآن أو سمع منه حديثا خيفة أن يحبط أجره وقال شقيق البلخي أهديت
 لسفيان الثوري ثوبا فزده على قلبي فقلت له يا أبا عبد الله لست أتا من سمع الحديث حتى رزقه على قال
 علمت ذلك ولكن أخوك يسمع مني الحديث فأخاف أن يلين قلبي لا أخيك أكثر ما يلين لغيره وجاء
 رجل إلى سفيان يبدره أو يدريه وكان أبوه صديقا لسفيان وكان سفيان يأتيه كثير ما يقال له يا أبا
 عبد الله في نفسك من أبي شيء فقال رحمه الله بالك كان وكان وأمتي عليه فقال يا أبا عبد الله قد عرفت
 كيف صار هذا المال إلى قاحب أن تأخذ هذه تسعين مها على صياك قال قبل سفيان ذلك قال فلما
 خرج قال لولده يا مبارك الحق فزده على فخرج فقال أحب أن تأخذ ما لك فلم يزل به حتى رزقه عليه وكأنه
 كانت أخوته مع أبيه في الله تعالى فكره أن يأخذ ذلك قال ولده فلما خرج لم أملك نفسي أن جئت
 إليه فقلت وبك أي شيء قلبك هذا حجارة عدا أنه ليس لك صيال أما زحني أما زحمت أخوتك أما زحمت
 صيالنفا أكثر عليه فقال الله يا مبارك تأكلها أنت هنيئا ثم سألت أسأل عنها أنا فأجابني على العالم
 أن يلزم قلبه طلب الثواب من الله في إهداء الناس به فقط ويجب على المتعلم أن يلزم قلبه حمد الله
 وطلب ثوابه ونيل المنزلة عنده لا عند المعلم وعند الخلق وربما ينظر أن له أن يرأى بطاعته لينال عند
 المعلم رتبة فيعلم منه وهو خطأ لأن إرادته بطاعته غير الله خسران في الحال والمعلم وربما يشيد وربما
 لا يفيد فكيف يحضر في الحال مما نقد على توهم علم وذلك غير جائز بل ينبغي أن تعلم بقوه بعد الله
 ويخدم المعلم لله لا ليكون له في قلبه منزلة إن كان يريد أن يكون بعلمه طاعة فإن الصادقوا
 أن لا يعبدوا إلا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم أبوه لا ينبغي أن يخدمه مما يطلب
 المنزلة عندهما إلا من حيث أن رضا الله عنه في رضا الوالدين ولا يجوز له أن يرأى بطاعته لينال بها
 منزلة عند الوالدين فإن ذلك مصيبة في الحال وسيكشف الله عن ربايته وتسقط منزلته من قلوب
 الوالدين أيضا أما الزاهد المعتزل عن الناس فلينبغي له أن يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بعلمه ولا يضطر
 بقلبه معرفة الناس زهده واستغناهم بحمله فإن ذلك يفرس الرياء في صدره حتى يتيسر عليه العبادات
 في خلوته به وانما يكون لمعرفة الناس باعتداله واستغناهم بحمله وهو لا يدري أنه الخفيف للعمل عليه
 قال إبراهيم بن آدم رحمه الله تلت المعرفة من رهاب يقال له سمعان دخلت عليه في صومعته فقلت
 يا سمعان منذ كم أنت في صومعته قال منذ سبعين سنة قلت فإطعامك قال يا خنفي وماذا لك إلى
 هذا قلت أحبيت أن أعلم قال في كل ليلة حصية قلت فما الذي يهيج من قلبك حتى تتكلم بهذه
 الحصية قال ترى المدير الذي جفناك قلت نعم قال اتهم بأتوني في كل سنة يوما واحدا فيزنيون صومعتي
 ويطوفون حولها يعظموني فكلمنا شأقت نفسي عن العبادات ذكرتها تلك الساعة فأنأ احتمل
 جهده لغير ساعة فاحتمل يا خنفي جهد ساعة لئلا ينفق في قلبي المعرفة فقال حسبك أو أزيدك
 قلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت فأبلى لي ركوة فيها عشرون حصية فقال لي أدخل المدير

قدرا واما أدليت اليك فلما دخلت الدبر اجتمع على النصارى فقالوا يا حنفي ما الذي أدلى اليك
 الشيخ قلت من قوته قالوا فاصنع به وضعي أحق به ثم قالوا ساوم قلت مشرون ديناراً فأعطوني عشرين
 ديناراً فريحت الي الشيخ فقال يا حنفي ما الذي صنعت قلت بعته منهم قال بكم قلت بعشرين ديناراً
 قال أخطأت لو ساومتهم بعشرين ألف دينار لا أعطوك هذا عزم لا تبعده فأعطر كيف يكون عزم
 تبعده يا حنفي أقبل على ربك ودع الذهب والجبنة والمقصود أن استشعار النفس عز العظمة
 في القلوب يكون باعثاً في الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغي أن يلزم نفسه الخذل منه وعلامته سلامته
 أن يكون الخلق عنده والباطم بمثابة واحدة فلو تغير وعزم اعتقادهم لم يجرع ولم يصب به ذرعا
 الا كراهة ضعيفة ان وجدها في قلبه فيرة هافي الحال بقله وإيمانه فانه لو كان في عبادة واطلع الناس
 كلهم عليه لم يزد ذلك خشوعاً ولم يداخه سرور ويباطلهم عليه فان دخل سرور وسرور فويل
 ضعفه ولكن اذا قدر على ردة بكمراهة العقل والايمان وبادر الى ذلك ولم يقل ذلك السرور باركون
 اليه فيرحل له أن لا يجيب سعيه الا أن يرد عند مشاهدتهم في الخشوع والانقباض كي لا ينسبطوا
 اليه فذلك لا بأس به ولكن فيه غرور وان النفس قد تكون شهوتها الخفية تطير الخشوع وتعال
 يطلب الانقباض فيطالبها في دعواها قصد الانقباض بموتق من الله فليظن هو أنه لو علم أن انقباضهم
 عنه انما حصل بأن يعدو كثيراً ويضحك كثيراً أو يأكل كثيراً فيسبح نفسه بذلك فاذن انسبح وسمعت
 بالعبادة تشبسه أن يصحكون من ادها المزلّة عندهم ولا يغيروا من ذلك الأمن قتر في قلبه انه ليس
 في الوجود أحد سوى الله فيعمل عمل من لو كان على وجه الارض وحده لكان يعلمه فلا يلق قلبه
 الى الخلق الا خطرات ضعيفة لا يشق عليها زوالها فاذا كان كذلك لم يتغير مشاهدته الخلق ومن علامة
 الصدق فيه أنه لو كان له صاحبان أحدهما عتي والآخر فقير فلا يجد عند استقبال العتي زيادة هزة
 في نفسه لا كرامه الا اذا كان في العتي زيادة علم أو زيادة ورع فيكون مكرماً له بذلك الوصف
 لا بالعتي فن كان استرواحه الى مشاهدته الاعياناً أكثر فهو مراداً وطماعاً والافانظر الى الفقير امريد
 في الرغبة الى الآخرة ويحب الى القلب المسكنة والنظر الى الاعيان بخلافه فكيف استروح بالنظر
 الى العتي أكثر مما يستروح الى الفقير وقد حكي أنه لم ير الاعيان في مجلس أدل منهم فيه في مجلس
 سفيان الثوري كان يجلسهم ورأاهم الصف ويقدم الفقير حتى كانوا يمتنون أنهم قراء في مجلسه فم
 لك زيادة اكرام العتي اذا كان أقرب اليك أو كان ينلك ويمنحك وصداقة سابقة ولكن يكون
 بحيث لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكنت لا تقدم العتي عليه في اكرام وتوقير البتة فان الفقير اكرم
 على الله من العتي فاشترك له لا يكون الا طمعاً في شأه ورأاه ثم اذا سورت بينهما في المجالسة فيقضي
 عليك أن تظهر الحكمة والخشوع للعتي أكثر مما تظهره للفقير وانما ذلك رياء خفي أو طمع خفي كما
 قال ابن السمعاني لجارية له مالى اذا أتت بغداد فقست لي الحكمة فقالت الطمع شغل لسالك وقد
 صدقت فان اللسان يخطئ عند العتي بما لا يخطئ به عند الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عنده
 ما لا يحضر عند الفقير ومكابد النفس وخفاياها في هذا الفن لا تنصرف ولا يترك منها الا أن تخرج
 ماسوي الله من قلبك وتعرفد بالشفقة على نفسك بقية حمرك ولا ترضى لما تثار بسبب شهوات
 منغصت في أيام متقاربة وتكون في الدنيا كلك من ملوك الدنيا قد أمكنته الشهوات وساعدته
 الاذات ولكن في بدنه سقم وهو يخاف الملاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات وعلم أنه
 لواحتي وجاهد شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الاطباء وحارف العبادلة وعوذ
 نفسه شرب الادوية المرة وصبر على إشاعتها وجمهر جميع الذات وصبر على مقارقتها فبذلك كل يوم

يزداد تحولا لقلها كله ولكن سقمه يزداد كل يوم نقصانا لشدة احتوائه فيهما نازعته نفسه الى شهوة تفكر في توالي الاوجاع والالام عليه وأداء ذلك الى الموت المفرق بينه وبين ملكته الموجب لشدة الاعداء به ومهما اشتد عليه شرب دواء تفكر فيما يستقيده منه من الشفاء الذي هو سبب التمتع بملكه ونعيمه في عيش هنيء وبرد صحيح وقلب رخي وأمر نافذ فيخف عليه مهاجرة الالذات ومصارعة المصكروهاة فكذلك المؤمن المريد للملك الآخرة احقر عن كل مهلكة في آخرته وهي لذات الدنيا وزهرها فاجترى منها بالقليل واختار العول والذبول والوحشة والحزن والخوف وترك الموانسة بالخلق خوفا من أن يحل عليه غضب الله فيهلك ورجا أن يغفر من عذابه بفقد ذلك كله عليه عند شدة يقينه وإيمانه بعاقبة أمره وبما أعتله من النعم المقيم في رضوان الله ابد الآباد ثم علم أن الله كريم رحيم لم يزل لعباده المريدين لمرضاته عوناً وبهم رؤفاً وعليهم عطوفاً ولوشاء لا غناهم من التعب والتعبس ولكن أراد أن يسلوهم ويعرف صدق ارادتهم حكمة منه وعدلائم ادخال التعب في بدايته أقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الابعاء وسهل عليه الصبر وجب اليه الطاعة وورقه فهمان لذة النجاة ما يليه عن سائر اللذات ويقويه على امانة الشهوات ويتولى سياسته وتقريبه وأمدته بمعونته فان الكريم لا يضيع سعي الرابح ولا ينجب أمل المحب وهو الذي يقول من تقرب الى شدة قربت اليه ذراعا وقول تعالى لقد طال شوق الأبرار الى لقاءي واني الى لقاءهم أشد شوقا فليظهر العبد في البداية جدته وصدقه وإخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى على القرب ما هو القلاق بجوده وكرمه ورافته ورحمته ثم كذب ذم الجاهو والياء والحمد لله وحده

✽ كذب ذم الكبر والجلب وهو الكتاب التاسع من ربيع المهلكات من كتب احياء علوم الدين ✽

✽ (بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الخالق البارئ المصور العزيز الجبار المتكبر العلي الذي لا يضعه من عبده واضع الجبار الذي كل جبار له دليل خاضع وكل متكبر في جناب عزه مسكين متواضع فهو القهار الذي لا يدفعه عن مراده دافع الغنى الذي ليس له شريك ولا منازع القادر الذي هرب ارباب الخلق جلالة وعبادته وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه وحصر السن الانبياء وصفته وشأؤه وان تقع عن حد قدرتهم احصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالجزع عن وصف كنه جلالة ملائكته وانبيائه وكسر ظهور الاكاسرة عزه وعلاؤه وقصر أيدي القاصرة عظمتهم وكبريائه فالعظمة ازاره والكبرياء رداؤه ومن نازعه فيما قصمه عبد الملوت فأعجزه دواؤه جل جلالة وتقديست اسمائه والصلاة على محمد الذي أنزل عليه النور المنتشر ضيائه حتى أشرق بتسوره أكاف العالم وأرجاؤه وعلى آله وأصحابه الذين هم أحياء الله وأولياؤه وخبرته وأهليائه وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازارى فمن نازعني فيما قصمته وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شخ مطاع وهوى متبع وأعجاب المرء بنفسه فالكبر والجلب دأان مهلكان والمتكبر والجلب سقيمان مريضان وهما عند الله عقوبتان بغضان وإذا كان القصد في هذا الرع من كتاب احياء علوم الدين شرح المهلكات وجب ايضا الكبر والجلب فانهما من قبائح المرديات وشحن تستحق بيانها من الكتب في شطرين شطري الكبر وشطري الجلب (الشرط الأول) من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان الاختيال وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة التكبر وأقبحه وبيان من يتكبر عليه ودرجات التكبر وبيان ما به التكبر وبيان البواعث على التكبر وبيان أخلق المتواضعين وما فيه يظهر التكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان النفس في خلق الكبر وبيان

المجود من خلق التواضع والذموم منه
قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى سأعرف عن آياتي الذين
يشكرون في الأرض بغير الحق وقال عز وجل كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال
تعالى واستغفروا وخاب كل جبار عنيد وقال تعالى انه لا يحب المتكبرين وقال تعالى لقد استكبروا
في انفسهم وعتوا فعزوا كثيرًا وقال ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وذم
الكبر في القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال
حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان وقال أبو هريرة
رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبر يا مردائي والعظمة ازارى
لن نازعي واحد منهما اقيته في جهنم ولا يابى وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال التقي عبد الله بن
عمر ووجد الله بن عمر على الصفاتوا تفاقضي ابن عمرو وأقام ابن عمر يكي فقالوا ما يصعبك
يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكله الله في النار على وجهه وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب وقال
سليمان بن داود عليه السلام بوملظمو الأنس والجن والهائموا فخرجوا فخرجوا في مائتي ألف من
الأنس ونفا في ألف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى
مست أقدامه البصر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر تخسف به بعد ما
رفعتهم وقال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من سمعان وعينان بهمران ولسان
ينطق بقول وكلت ثلاثة بكل جبار عنيد وكل من دعا مع الله لها آخره بالمعصية وقال صلى الله
عليه وسلم لا يدخل الجنة من قبل ولا جبار ولا سيئ الملكة وقال صلى الله عليه وسلم تحتاج الجنة
والنار قال النار وأورث بالمتكبرين والمخيرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني الأضيضاء الناس
وسقاطهم وعجزهم فقال الله الجنة أتمأت رحتي أرحم بك من أشاء من عباده وقال النار أنا
أنت عذابي أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منك ما هو ذا قال صلى الله عليه وسلم ينس العبد
عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار إلا على ينس العبد عبد تجبر واختال ونسي التكبر المتعال ينس
العبد عبد عقل وسها ونسي القار واللبى ينس العبد عبد صا وبني ونسي المبدأ والنهي وعن ثابت
أنه قال بلغنا أنه قيل يا رسول الله ما أعظم كبر فلان فقال أليس بعده الموت وقال عبد الله بن عمرو
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا نبيه وقال اني
أسركم باثنتين وأنها كامن اثنتين أنها كامن الشريك والكبر وأمر كما نبأ الله الا الله فان السموات
والارضين وما فيهن لو وضعت في كفة للميزان ووضعت لاله الا الله في الكفة الاخرى كانت أرجح
منهما ولو ان السموات والارضين وما فيهن كنتا حلقه فوضعت لاله الا الله عليها لقصبتها وأمر كما
بسم الله وبجمعه فانها صلاة كل شيء وبها رزق كل شيء وقال المسيح عليه السلام طوبى لمن علم
الله كتابه ثم لم يمت جبارا وقال صلى الله عليه وسلم أهل النار كل جفرت جوار تكبر جماع ما غ
وأهل الجنة الضعفاء للملقون وقال صلى الله عليه وسلم ان أحكم البنا وأقربكم مناتي الآخرة أحاسنكم
أخلاقا وان أبغضكم البنا وأبعدكم من النار وروى المتنبيون قالوا يا رسول الله قد علمنا
الترزاون والتمشيقون قال المتنبيون قال المتنبيون وقال صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون
يوم القيامة في مثل صور الذر تطأهم الناس ذرا في مثل صور الرجال يعلمهم كل شيء من الضغائر

يساقون الى معن في جهنم يقال له بولس نارا لا تبار يسقون من طين الخبال عصارة أهل النار وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون والمنكبرون يوم القيامة في صور الذر فقال لهم الناس لحواتهم على الله تعالى وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبي ردة فقلت له يا بلال ان أباك حدثني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في جهنم وأديا يقال له مهب حق على الله أن يسكنه كل جبار فإياك يا بلال أن تكون ممن يسكنه وقال صلى الله عليه وسلم ان في النار قصر يجعل فيه المنكبرون ويطبق عليهم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اني أعوذ بك من نخسة الكبرياء وقال من فارق روجه جسده وهو يرى من ثلاث دخل الجنة الكبر والدين والغلول • (الأثر) قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لا يحضر أحد أخدام من المسلمين فان صغيرا المسلمين عند الله كبير وقال وهب لما خلق الله الجنة عدن نظرا لها فقال أنت حرام على كل منكب وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فبأه يوما ومصعب ما ذرجه فلم يقضهما وقد لا خفف فزاحمه بعض الزخمة فرأى أثر ذلك في وجهه فقال عبال بن آدم تنكروا وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال الحسن البصري من ابن آدم يغسل الخمر بيده كحل يوم مرة أو مرتين ثم يعارض جبار السموات وقد قيل في وفي أنفسكم أفلا تبصرون هو سبيل الفاطم والبول وقال محمد بن الحسين بن علي ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر وسئل سليمان عن السيرة التي لا تنفع معها حسنة فقال الكبر وقال النعمان بن بشير على المنبر ان للشيطان معالي ونفو خاوان من معالي الشيطان ونفو خه البطر بأنهم الله والنصر باعطاء الله الكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه

• بيان ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر في المشي وجر الثياب •

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى رجل يمر أزاره بطرا وقال صلى الله عليه وسلم ينبغي رجل يقتر في بردة أو أعجبه نفسه غشفت الله به الأرض فهو يعجل فيها الى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه يوم القيامة وقال زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فز به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعه يقول اي بني ارفع أزارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا ينظر الله الى من جر أزاره خيلاء وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصق يوما على كفه ووضع اصبعه عليه وقال يقول الله تعالى ان آدم أقبرني وقد خلقتك من مثل هذه نخي اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين والارض منك وتيد جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت أنا صدق وأنى اوان الصدفة فقال صلى الله عليه وسلم اذا مشيت أمتي الطيطاء وخد متهم فارس والروم سلط الله بعضهم على بعض قال ابن الأعرابي هي مشية فيها اختيال وقال صلى الله عليه وسلم من تقطم في نفسه واختال في مشيته لقي الله فهو عليه غضبان (الأثر) عن أبي بكر الهذلي قال يديمان من مع الحسن أدمر علينا ابن الاهتم يريد المقصورة وعليه جباب خرق قد نصد بعضها فوق بعض على ساقه وانفجج عنها اقباؤه وهو عشي يتجترأ انظر اليه الحسن نظرة فقال ان ابن شاذب أنه ثاني عطفه مصعرخة يتطرق عطفه أي حين أنت تطرق عطفك في نعم غير مشكورة ولا مذكور غير المأخوذ بامر الله فيها ولا المؤذى حق الله منها والله ان يمشي أحد بطبيعته يعجل تحتل الخجون في كل عضو من أعضائه لله نعمة وللشيطان به لفنة فسمع ابن الاهتم فرجع بهذرا اليه فقال لا تقتدوا لي وثب الي ربك أما سمعت قول الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا لانتك

لن تشرق الارض ولن تبلغ الجبال طولاً ومن بالحسن شاب عليه بزة له حسنة فدعاه فقال له ان آدم
محبب بشبابه محبب لشماته كان القبر قد وارى بدتك وكانك قد لايت عليك ويحك داو قلبك فان
حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم • وروى أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر اليه
طارس وهو محتال في مشيته فمزجنيه بأصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنة فخره فقال عمر
كالمعتذر يا عمر لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى قلعتها وراى محمد بن واسم ولده محتال
فدعاه وقال أنت من أنت أما أملك فاشتريتها بما تني درهم وأما الولد فلا أكثر الله في المسلمين مثله
ورأى ابن عمر رجلاً يجر أزاره فقال ان الشيطان اخوانا كرهنا مرتين اولنا • وروى أن
مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب وهو يتعثر في جبة فخره فقال يا عبد الله هذه مشية يفضها
الله ورسوله فقال له المهلب أما تعرفني فقال بلى أعرفك أتراك نطفة معدرة وأترك جيفة قدرة وأنت
بين ذلك تحمل الصدرة فحسى المهلب وترك مشيته تلك وقال يحاهد في قوله تعالى ثم ذهب الى اهله
ينطى أى يتعثر واذ قد ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضيلة التواضع والله تعالى اعلم

• بيان فضيلة التواضع •

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زاد الله عبد ايعزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله وقال
صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا ومعه ملكان وعليه حكمة مسكانه بها فان هو رفع نفسه جذاها
ثم قال اللهم ضعهم وان وضع نفسه قال اللهم ارفعه وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن تواضع في غير
مسكنه أو تقى ما لا جمعة في غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالف أهل التقى والحكمة ومن
الى سلة النبي من آية من جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقاء وكان صامياً
فأتنا عند افطاره بقدر من لبن وجعلنا فيه شيئاً من عسل فلما رفعه وفاقه وجد حلاوة العسل
فقال ما هذا قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئاً من عسل فوضعه وقال أما لى لا أكرهه ومن تواضع
لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اعتدأ أعاد الله ومن بدأ فقره الله ومن أكثر ذكر الله أحبه
الله • وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في نفر من أصحابه في بيته باكلون فقام سائل على
الباب وبه زمانة يتكبر منها فاذن له فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فذمه
قال له اطعم فكان رجلاً من قريش اسماً زمنه وتكرهه لما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة
مثلها وقال صلى الله عليه وسلم خيرني ربي بين أمرين أن أكون عبد رسولاً أو ملكاً فإفلم أدرأهما
اختاروا كان صغي من الملائكة جبريل فرقت رأسى اليه فقال تواضع لربك قلت عبد رسولاً
وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام أما أقبل صلاة من تواضع لعظمى ولم يتعظم على خلقى
وأزيم قلبه خوفاً وقطع نهاره ذكراً وكف نفسه عن الشهوات من أجلى وقال صلى الله عليه وسلم
الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين التقى وقال المسيح عليه السلام طوبى للتواضعين
في الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة طوبى للصالحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس
يوم القيامة طوبى للطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينتظرون الى الله تعالى يوم القيامة وقال بعضهم
بلغنى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال انا هدى الله عبد الإسلام وحسن مهورته وجعله في موضع
غير شائن له وورقه مع ذلك تواضعاً فذلك من صفوة الله وقال صلى الله عليه وسلم أربع لا يعطين الله
الامن أحب الصحة وهو أول العباداة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا وقال ابن عباس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة وقال صلى الله
عليه وسلم التواضع لا يزى العبد الا رقة فتواضعوا بحكم الله • وروى أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم كان ينظم خمائة رجل أسود به جذرى قد تشرف على لا يجلس الى أحد الا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم الى جنبه وقال صلى الله عليه وسلم انه ليحبني أن يحمل الرجل الشئ في يده يكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه يوم ما لي لأرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقال صلى الله عليه وسلم اذرا بأنتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم واذا رأيتم للتكبرين قسكروا عليهم فان ذلك مذلة لهم وصغار (الأنار) قال عمر رضى الله عنه ان العباد اذا تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش رفعك الله واذا تكبر وعذى طوره وهسه الله في الارض وقال اخسا خساك الله فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس حقير حتى انه لاحقر عندهم من الخنزير وقال جرير بن عبد الله انتهيت مرة الى شجرة فتحتها رجل قائم قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم ان الرجل استيقظ فاذا هو سلمان الفارسي فذكرت له ما صنعت فقال لي يا جرير تواضع لله في الدنيا فانه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة يا جرير أتدري ما طلبة النار يوم القيامة قلت لا قال انه ظلم الناس بعضهم بعضا في الدنيا وقالت عائشة رضى الله عنها انكم تغفلون عن أفضل العبادة التواضع وقال يوسف بن اسباط طبري قال الورع من كثير العمل ويجزى قليل التواضع من كثير الاجتهاد وقال الفضيل وقد سئل من التواضع ما هو فقال ان تتضع للفق وتغادله ولو سمعته من صبي قبلته ولو سمعته من أجهل الناس قبلته وقال ابن المبارك رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه ليس لك بدنيا عليه فضل وأن ترفع نفسك من هو فوقك في الدنيا حتى تعلم انه ليس له دنياه عليك فضل وقال قتادة من اعطى مالا أو جمالا أو نباه أو علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالايوم القيامة وقيل أوحي الله تعالى الى عيسى عليه السلام اذا التفت عليك بشيء فاستقبلها بالاستكنة أو أتمها عليك وقال كعب ما انتم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكره الله وتواضع لله الا اعطاه الله نعمها في الدنيا ورفع له هادجة في الآخرة وما انتم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله الا منع الله نعمها في الدنيا وفتح له طبعا من النار بهذبه ان شاء أو بغيره وزعم قيل لعبد الملك بن مروان أي الرجال أفضل قال من تواضع عن قدرة وزهد عن رغبة وترك النصرة عن قوة ودخل ابى السماك على هارون فقال يا أمير المؤمنين ان تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك فقال ما أحسن ما قلت فقال يا أمير المؤمنين ان امرأتنا الله جمالا في خلقته وموضعنا في حبه وبسطه في ذات يده دفع في جماله وواسى من ماله وتواضع في حبه كتب في ديوان الله من خالص أولياء الله فدعا هارون بدواة وقرطاس وكتبه بيده وكان سليمان بن داود عليهما السلام اذا أصبح تصفح وجوه الاغنياء والاشراف حتى يجيء الى المساكين فيعقد معهم ويقول مسكين مع مساكين وقال بعضهم كاتكره أن يراك الاغنياء في الشباب الذون فكذلك فاكره أن يراك الفقراء في الشباب المرتفعة ورؤى أنه خرج يونس وأيوب والحسن بننا كرون تواضع فقال لهم الحسن أتدرون ما التواضع التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلتقي مسلما الا رأيت له عليك فضلا وقال مجاهد ان الله تعالى لما أغرق قوم نوح عليه السلام شجنت الجبال وتطاولت وتواضع الجودي فرفعه الله فوق الجبال وجعل قراة السفينة عليه وقال أبو سليمان ان الله عز وجل اطلع على قلوب الأدميين فلم يجد قلبا أشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام فحسه من بينهم بالكلام وقال يونس بن عبد القد انصرف من عرفات لم أشك في الرحمة لولا اني كنت معهم اني أخشى انهم حرموا يسبي ويقال أرفع ما يكون المؤمن عند الله وأضع ما يكون عند نفسه وأوضع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه وقال

زياد النخعي الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تنمو وقال مالك بن دينار لو أن مناديا نادى بباب
 المسجد ليخرج شتركم رجلا والله ما كان أحد يستقني إلى الباب إلا رجع بفصل قوة أو سقى قفا
 بلغ ابن المبارك قوله قال بهذا صار مالك ما لكا قال الفضيل من أحب الرياسة لم يقل أبدا وقال
 موسى بن القاسم كانت عندنا زلزلة فخرج حمران فذهب إلى محمد بن مقاتل فقلت يا أبا عبد الله أت
 أماننا فدفع الله عز وجل لنا فبكي ثم قال لفتني لم أكن سبب هلاككم قال قرأت النبي صلى الله
 عليه وسلم في النوم فقال إن الله عز وجل رفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل إلى النبي
 الله فقال له ما أنت وكان هذا أباه وعادته فقال أنا النقطة التي تحت الباء فقال له النبي إباد الله
 شاهدك أو تجعل لنفسك موضعا وقال النبي في بعض كلامه ذل عطل ذل اليهودي يقال من يرى
 لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب وعن أبي الفتح بن شرف قال رأيت علي بن أبي طالب رضي
 الله عنه في المنام فقلت له يا أبا الحسن عظمي فقال لي ما أحسن التواضع بالانقياء في مجالس الفقراء
 رغبة منهم في ثواب الله وأحسن من ذلك فيه الفقراء على الانقياء ثقة منهم بالله عز وجل وقال
 أبو سليمان لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال أبو يزيد مدام العبد يظن أن في الخلق من هو شر
 منه فهو متكبر فقبل له فتي يكون متواضعا قال أذكر لنفسه مقاما ولا حال ولا تواضع كل إنسان على
 قدر معرفته به عز وجل ومعرفة نفسه وقال أبو سليمان لو اجتمع الخلق على أن يضعوني كاتنصاع
 عند نفسي ما قدروا عليه وقال عروة بن الورد التواضع أحد مصائد الشرف وكل نعمة تغسود عليها
 صاحبها إلا التواضع وقال يحيى بن خالد البرمكي الشريف إذا تنسك تواضع والسفيه إذا تنسك
 تعاطى وقال يحيى بن معاذ التكر على ذي التكبر عليك بما له تواضع وقال التواضع في الخلق كلهم
 حسن وفي الأشياء أحسن والتكبر في الخلق كلهم قبيح وفي الفقراء أقيع وقال لأمر الدين تذل الله
 عز وجل ولا رفعة إلا من تواضع لله عز وجل ولا أمن إلا من خاف الله عز وجل ولا ربح إلا من ابتاع
 نفسه من الله عز وجل وقال أبو علي الجوزجاني النفس مهوونة بالكبر والحرص والحسد فإن أراد الله
 تعالى هلاكه منع منه التواضع والصبر والقناعة وإذا أراد الله تعالى به خير الطغية به في ذلك فإذا
 هاجت في نفسه نار الكبر أدركها التواضع مع نصرة الله تعالى وإذا هاجت نار الحسد في نفسه أدركتها
 النصيحة مع توفيق الله عز وجل وإذا هاجت في نفسه نار الحرص أدركتها القناعة مع عون الله
 عز وجل ومن الجنيد رحمه الله أنه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولا أنه روى عن النبي صلى الله
 عليه وسلم أنه قال يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ما تكلمت عليكم وقال الجنيد أيضا
 التواضع عند أهل التوحيد تكبر ولعل مراده أن المتواضع ثبتت نفسه ثم يضعها والموجد لا يثبت
 نفسه ولا يراه شيئا حتى يضعها أو يرضها وعن عمرو بن شبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة
 فرأيت رجلا راكبًا فلفه بين يديه غلمان واداهم بمنقون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت
 بغداد فكنت على الجسر فإذا أنا برجل حاف حاسر طوبى الشعر قال فجعلت أنظر إليه وأنا تامله فقال
 لي مالك تنظر إلى قتلته لم يشبهك لرجل رأيت بمكة ووصفت له الصفة فقال له أنا ذلك الرجل فقلت
 ما فعل الله بك فقال لي ترفع في موضع يتواضع فيه الناس فوضعتني الله حيث يرفع الناس وقال
 المغيرة كأنه أراهم النخعي هبة الأمير وكان يقول إن زمانا صرت فيه فقته الكوفة فلزمان سوء
 وكان عطاء السلي إذا سمع صوت الرعد قام وقعدوا أخذه بطنه كأبه امرأه ما خض وقال هذا من
 أجلى يصيدكم لومات عطاء لا سراج الناس وكان يشر الخافي قول سلوا عي آباء الدنيا بترك السلام
 عليهم ودعوا رجل لعبد الله بن المبارك فقال أعطنا الله ما نرجوه فقال إن الرجاء يكون بعد المعرفة فإين

المعرفة وتفاضرت قريش هند سلمان الفارسي رضي الله عنه يوما فقال سلمان لكنني خلقت من
لطفة قدرة ثم أعود حيفة منقذة ثم آتى الميزان فان نزل فانا كرم وان خف فانا لثيم وقال أبو بكر
الصديق رضي الله عنه وجدنا الكرم في التقوى والفتى في اليقين والشرف في التواضع نسأل الله
الكرم حسن التوفيق

بيان حقيقة الكبرياء

اعلم أن الكبر يتقسم الى باطن وظاهر فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو أعمال تصدر عن
الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن أحق وأما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب
للإعمال ولذلك اذ اظهر على الجوارح يقال تكبروا واذ لم يظهر يقال في نفسه كبرا فالصل هو الخلق
الذي في النفس وهو الاسترواح والكون الى رؤية النفس فوق التكبر عليه فان الكبر يستدعي
متكبرا عليه ومتكبرا به وبه يتفصل الكبر عن الجب كما سيأتي فان الجب لا يستدعي غير الجب
بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور أن يكون مهيأ ولا تصور أن يكون متكبرا الآن أن يكون
مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فتند ذلك يكون متكبرا ولا يكتفي أن
يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه
فلا يتكبر عليه ولا يكتفي أن يستعظم غيره فانه مع ذلك لو رأى نفسه احقر لم يتكبر ولو رأى غيره
مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغي أن يرى لنفسه مرتبة واخرى مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة
غيره فيند هذه الاعتقادات الثلاثة يتفصل فيه خلق الكبر لأن هذه الروية تنفي الكبر بل هذه الروية
وهذه العقيدة تنفي فيه فيفصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز في نفسه
بسبب ذلك فتلك العزة والمهزة والركون الى العقيدة هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم أعز ذك من نفة الكبرياء وكذلك قال عمر أخشى أن تنفخ حتى تبلغ الثريا الذي
استأذنه أن يعط بعد صلاة الصبح فكان الانسان مهما رأى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام
كبر وانفخ وتفرز فالكبر صبارة من الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وكسمى أيضا
عزة وتعظيم ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هي بآل فيه قال عظمة
لم يلقوها ففسر الكبر تلك العظمة ثم هذه العزة تقتضي أعمالا في الظاهر والباطن هي ثمرات ورسمي
ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه وأقصاه عن نفسه
وأبعده ورفخ من مجالسته ومواكلته ورأى أن حقه أن يقوم ما تلاين يديه ان اشتد كبره
فان كان أشد من ذلك استنكف عن استجدامه ولم يجعله أهلا لقضام بين يديه ولا بخدمة عتيبه
فان كان دون ذلك فأنف من مساوئته وتقدم عليه في مضائق الطرق وارتفع عليه في المحافل
وانتظار أن يبدأ بالسلام واستبعد قصيره في قضاء حوائجه وتعب منه وان حاج أو ناظر أنف
أن يرده عليه وان وعظ استنكف من القبول وان وعظ صنف في التعصب وان رة عليه شيء من قوله
غضب وان علم لم يرق بالتحلين واستنكفهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم وينظر الى العامة
كله ينظر الى الخير استجهالهم واستقرار او الاعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهي اكثر
من أن تحصى فلا حاجة الى تعدادها فانها مشهورة فهذا هو الكبر وأقته عظيمة وغائته هائلة وفيه
هلك الخواص من الخلق وقلبا ينك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الخلق وكيف
لا تعظم آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صبار
حما بادون الجنة لانه يحول بين الصديقين اخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هي أبواب الجنة
والكبر وعزة النفس يخلق تلك الأبواب كلها لانه لا يقدر على أن يحجب المؤمنين ما يجب لنفسه وفيه

شيء من العز ولا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحق وقبه العز ولا يقدر أن يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على النصع الطيف وفيه العز ولا يقدر على قبول النصع وفيه العز ولا يسلم من الأزرار بالناس ومن اعتبارهم وفيه العز ولا معنى لتطويل فإما من خلق ذم الأوصاحب العز والكبر مضطر إليه ليطغ به عزه وما من خلق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفاً من أن يغوته مفره في هذا المداخل الجنة من في قلبه متقال حبه منه والا خلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع إلى البعض لا تخالفون أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانتقاد له وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والتكبرين قال الله تعالى والملائكة باسطوا أيديهم إلى قولهم وكنتم عن آياته تستكبرون ثم قال ادخلوا الأبواب جهنم خالدين فيها فليس منسوى المتكبرين ثم أخبر أن أخذ أهل النار هذا بأشد من عياض الله تعالى فقال ثم لنزغن من كل شعبة منهم أشد على الرحمن عياضاً قال تعالى فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال عز وجل يقول الذين استضعفوا الذين استكبروا والوالأنتم لكأموئنين وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى سأصرف من آياتي الذين يكبرون في الأرض فيما الحق قيل في التفسير سأرفعهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفسير سأجيب قلوبهم عن المنكوت وقال ابن جرير سأصرفهم عن أن يغفروا فيها ويصرفوا فيها ولذلك قال المسيح عليه السلام ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمل في قلب التواضع ولا تعمل في قلب التكبر الأترو أن من شمع رأسه إلى السقف شجوه من طأطأ أطله وأكنه فهنا مثل ضربه لتكبرين واتهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك كرر رسول الله صلى الله عليه وسلم جوذا الحق في حنا التكبر والكشف من حقيقة وقال من سغه الحق فخص الناس

﴿بيان التكبر عليه ودرجاته وأقسامه وعثرات الكبر فيه﴾

أعلم أن التكبر عليه هو الله تعالى أو رسله أو سائر خلقه وقد خلق الإنسان ظلو ما جهول لا تارة بشكر على الخلق وتارة تنكبر على الخالق فإذا التكبر باعتبار التكبر عليه ثلاثة أقسام • الأول التكبر على الله وذلك هو أغشى أنواع الكبر ولا مثار له إلا الجهل المحض والظلمان مثل ما كان من غرور فإنه كان يحدث نفسه بأن يقابل رب السماء ويحكي عن جماعة من الجهالة بل ما يحكي عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فإنه لتكبره قال أنا ربكم الأعلى إذا استكشف أن يكون عبد الله ولذلك قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون الآية وقال تعالى وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا • القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تعززا النفس وترفعها عن الانتقاد للبشر مثل سائر الناس وذلك تارة بصرف عن الفكر والاستبصار فبقي في ظلمة الجهل بكبره فتمنع عن الانتقاد وهو ظان أنه محقق فيه وتارة بمنع مع العرفه ولكن لا تطاوعه نفسه للانتقاد للحق والتواضع للرسل كما حكي الله من قلوبهم أنؤمن لبشر مثنا وقولهم ان أنتم إلا بشر مثنا ولأن أطلعتم بشرنا مثلكم إذا خاسرون وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا أككبرا وقالوا لولا أنزل عليه ملك وقال فرعون فيما أخبر الله عنه أوجاهه مع الملائكة مقترنين وقال تعالى واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق فكبر هو على الله وعلى رسله جميعاً قال وهب قال له

موسى عليه السلام آمن ولك ملك قال حتى أشار رهامان فشاو رهامان فقال هامان بيتنا
 أنت رب تعبد أنصرت عبدا تعبد فاستنكف عن عبودية الله وعن اتباع موسى عليه السلام
 وقالت قريش فيما أخبر الله تعالى عنهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال قتادة
 عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفي طلبوا من هو أعظم رياسة من النبي صلى الله
 عليه وسلم إذ قالوا غلام يتيم كيف بعته الله لينا فقال تعالى أ هم قسمون زخمة ربك وقال الله تعالى
 ليقلوا هؤلاء من الله عليهم من بيننا أي استبقوا لهم واستبعادا لقدمهم وقالت قريش لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم كيف تجلس اليك وعندك هؤلاء وأشاروا إلى قراء المسلمين فازدروهم وبهم عينهم
 لفقرهم وتكبروا عن مجالستهم فأ نزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
 إلى قوله ما علمك من حسابهم وقال تعالى وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
 يريدون وجهه ولا تعد سيئاتهم تريدنية الحياة الدنيا ثم أخبر الله تعالى عن نجهم حين دخلوا جهم
 إذ لم يروا الذين ازدروهم فقالوا ما لنا لا نرى رجلا كنا نعدهم من الأشرار قبل بغضون عمارا وبلا
 وصبياءا المقداد رضي الله عنهم ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والعرفه فجهل كونه
 صلى الله عليه وسلم محقا ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن الاعتراف قال الله تعالى غيرا عنهم فلما
 جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال وجدوا بها واستبقتهأ أنفسهم ظلما وعلوا وهذا الكبر قريب من
 التكبر على الله عز وجل وإن كان دونه ولكنه تكبر على قبول أمر الله والتواضع لرسوله القسم
 الثالث التكبر على العباد وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحق غيره فتأني نفسه عن الانقياد لهم
 وتدعوه إلى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف من مساواتهم وهذا وإن كان دون الأول
 والثاني فهو أيضا عظيم من وجهين أحدهما أن الكبر والعز والعتمة والعلاء يلبق الأبالك
 القادر فاما البعيد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن أين يلبق بحاله الكبر فهاهنا تكبر
 البعيد قد نازع الله تعالى في صفة لا تليق إلا بجلاله ومثاله أن يأخذ الغلام قلنسوة الملك فضعها على
 رأسه ويجلس على سريره فأعظم استحقاقه لقت وما أعظم تهذه للخرى والنكل وما أشد استعجاءه
 على مولاه وما أفج ما تطاوه إلى هذا المعنى الإشارة بقوله تعالى العظمة أزارى والكبرياء رداى
 فمن نازعني فيها فقصمته أي أنه خاص صفتي ولا يليق إلا بي والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي
 وإذا كان الكبر على عباده لا يليق إلا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه إذ الذي يسترذل خواص
 ظان الملك يستخدمهم ويرفع عليهم ويستأثر بما حق الملك أن يستأثر به منهم فهو منازع له
 في بعض أمره وإن لم تبلغ درجته درجة من أراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالحق كلهم
 عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبده من عبادة الله فقد نازع الله في حقه نعم الفرق
 بين هذه المنازعة وبين منازعة غمروذ وفرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض
 عبيده واستخدامهم وبين منازعته في أصل الملك الوجه الثاني الذي تعظم به رذيلة الكبر أنه يدعو
 إلى مخالفة الله تعالى في أوامره لأن التكبر إذا سمع الحق من عبده من عبادة الله استنكف عن قبوله
 وتشتم بحجده ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون أنهم يتباحثون عن أسرار الدين ثم أنهم
 يتباحثون في حجاد التكبرين وهما انقض الحق على لسان واحد منهم أنف الآخر من قبوله وتشتم
 بحجده واحتمال للضعف بما يقدر عليه من التليس وذلك من أخلاق الكفرين والمنافقين إذ وصفهم الله
 تعالى فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلون فكل من ينظر للغلبة
 والأغلام لا يسمع الحق إذ تطرق به قد شاركتهم في هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الأنفة من قبول

الوعظ كما قال الله تعالى وإذا قبل له أن الله أخذته العزة بالإثم وروى عن جرير رضي الله عنه أنه قرأها فقال يا الله وأنا إليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف يقتل قمام آخر فقال تقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس تقتل المتكبر الذي خالفه والذي أمره كبراً وقال ابن مسعود كني بأرجل إنما إذا قيل له أن الله قال عليك نفسك وقال صلى الله عليه وسلم رجل كل يمينك قال لا أستطيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت فامنعوا الكبر قال فإرضها بعد ذلك أي اعلت يده فإذا تنكره على الخلق عظيم لأنه سيدعو إلى التكبر على أمر الله وأما ضرباً بالبنس مثلاً لهذا وما حكمه من أحواله إلا يعتبر به فإنه قال أنا خير منه وهذا الكبر بالنسب لأنه قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فعمله ذلك على أن يتمتع من السجود الذي أمره الله تعالى به وكان مبدأه الكبر على آدم والحسد له فجر ذلك إلى التكبر على أمر الله تعالى فكان ذلك سبب هلاكه أبدأ لا ياد فلهذا آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بهاتين الآيتين اتسأله ثابت بن قيس بن شماس فقال يا رسول الله أنى أمر وقد حجب إلى من الجال ما ترى أنى الكبر هو فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من يطرا الحق ويغص الناس وفي حديث آخر من سقه الحق وقوله وغص الناس أي ازدراهم واستقروهم وهم عبد الله أماله وأخبر عنه وهذه الآفة الأولى وسقه الحق هو ردة وهي الآفة الثانية فكل من رأى أنه خير من أخيه وأحقراً وأزدرأه ونظر إليه بعين الاستبصار أو زد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن أنف من أن يخضع لله تعالى أو يتواضع لله بطاعته واتباع رسوله فقد تكبر فيما بينه وبين الله تعالى ورسوله

بيان ما به التكبر

اعلم أنه لا يتكبر إلا من استعظم نفسه ولا يستعظم إلا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال وجماع ذلك يرجع إلى كمال ديني أو دنيوي فالدين هو العلم والعمل والديني هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار وهذه سبعة أسباب (الأول) العلم وما أسرع الكبر إلى العلماء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلة فلا يلبث العالم أن يعز زيف العلم ويستعز في نفسه بحال العلم وكلامه ويستعظم نفسه ويستفقر الناس وينظر إليهم نظره إلى الهائم ويستعظمهم ويتوق أن يسدوه بالسلام فإن بدأ واحدا منهم بالسلام أو رده عليه يشر أو قام له أو أجاب له دعوة رأى ذلك ضيعة عنده ويبدأ عليه بزمه شكره أو اعتقد أنه أكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله وأنه بنى أن يرقوا له ويخدموه وشكره على صنيعه بل القالب أنهم يترؤنه فلا يترهم ويزورونه فلا يزورهم ويعودونه فلا يعودهم ويستعظمهم من خالطهم منهم ويستعظمهم في حوائجهم فان قصر في استنكيره كأنهم عبده أو أجزأوه وكان تعليمه العلم صنعة منه الهم ومعروف لديهم واستحقاق حق عليهم هذا فيما يتعلق بالذنب أما في آخره فتكبره عليهم بأن يرى نفسه عند الله تعالى أعلى وأفضل منهم فيصاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم وهذا بأن يسمى جاهلاً أولاً من أن يسمى عالماً بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الإنسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحقيقة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه كما سيأتي في طريق معالجة الكبر بالعلم وهذا العلم يزبدخو فأتواضعا وتحشعوا ويقضي أن يرى كل الناس خيرا منه لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال أبو الذرراء من ازداد علماً ازداد جوعاً وهو كماله فان قلت قال بعض الناس يزداد بالعلم كبراً أو أمناً فاعلم أن لذلك سببين أحدهما أن يكون اشتغاله بما يسمى علماً وليس علماً حقيقياً وإنما العلم الحقيقي ما يعرف به المبدية ونفسه وخطر أمره في لقاء الله والجناب منه وهذا انور

الخشية والتواضع دون الكبر والام قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فاما ما رواه
ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والفنوفصل الخصومات وطرق المجادلات فاذا تجاوز
الانسان لها حتى امتلأ منها ابتلاها كبر او نفاقا وهذه بان تسمى صناعات أولى من أن تسمى علوما
بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذه تورث التواضع غالبا السبب الثاني
أن يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة يرى النفس سيئ الاخلاق فانه لم يشغل أولاً بهذيب
نفسه وتركيته قلبه بأنواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقى خبيث الجوهر فاذا خاض
في العلم أي علم كان صادف العلم من قلبه منزلا حيثما فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير أثره وقد ضرب
وهب لهذا مثالا فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الاشجار يبرقونها فتقول
على قدر مطعها فيزداد المرمرارة والحلوحلاوة فكذلك العلم يحفظه الرجال فتقول على قدر هممها
وأهوائها فيزيد التكبر كبر او المتواضع تواضع وهذا لان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ
العلم ونجد ما يتكبر به فاذا ذكر او اذا كان الرجل خائفا مع جهله فاذا زاد علمه ان الجملة قد نادت
عليه فزيد ادخرا فواشفا فاولا وتواضعا فالعلم من أعظم ما يتكبر به ولذلك قال تعالى لنبيه عليه
السلام واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال عز وجل ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا
من حوك ووصف أولياءه فقال أدب على المؤمنين وأعرض على الكافرين وكذلك قال صلى الله
عليه وسلم فيما رواه العباس رضي الله عنه يكون قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يهرولون
فقد قرأوا القرآن فمن أقرأ أمثا ومن أعلم من أمثا التفت الى أصحابه وقال اولئك منكم أيها الامثا اولئك
هم وقد نالوا ذلك قال عمر رضي الله عنه لا تكونوا جبلة العلماء فلا يني علم يحيلكم ولذلك
استأذن نعيم البداري عمر رضي الله عنه في القصص فاني أن يأذن له وقال له انه لا يزوج واستأذنه رجل
كان امام قوم انه قد أسلم من صلاته ذكرهم فقال اني أخاف أن تلقفني تنال التي راو صلي حذفة
يقوم فلا أسلم من صلاته قال لتلتسن اما ما عيرى أو لتصلن وحدا فاني رأيت في نفسي انه ليس
في القوم أفضل مني فاذا كان مثل حذفة لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الامم لما
أمر على بسط الارض عالم يستق أن يقال له عالم ثم انه لا يجر كه عز العلم وخلاؤه فان وجد ذلك
فهو صديق زمانه فلا ينبغي أن يفارق بل يكون النظر اليه عبادة فضلا عن الاستفادة من أنفاسه
وأحواله ولوعبرنا ذلك ولوفي أقصى الصين لسبعين اله رجا أن تشملنا بركته وتسرى الياسير
وسعيته وهيات فاني سمع آخر الزمان يمثلهم فهم أرباب الاقبال وأصحاب الدول قد انقضوا
في القرن الاول ومن يليهم بل يعزى زمانا عالم يتجلى في نفسه الاسف والخزن على قويات هذه الخصلة
فذلك ايضا امام معدوم واما عزولوا لشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى على الناس
زمان من تمسك فيه بعشر ما أنتم عليه بخال كان جديرا بنا أن نقسم والصادق بالله تعالى ورطة اليأس
والقنوط مع ما نحن عليه من سوء أعمالنا ومن لنا أيضا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا تمسكا
بعشر مشرقة فسال الله تعالى أن يهملنا بما هو أهله وستر علينا فباخ أعمالنا كما يقتضيه
كرمه وفضله (الثاني) العمل والعبادة وليس يتخلون رذيلة العز والكبر واستمالة قلوب الناس
الزهاد والمبادي يترشح الكبر منهم في الدين والدنيا أما في الدنيا فقهوا أنهم يرون غيرهم يزاريهم أولى
منهم زيارة غيرهم وشوقون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في الخالص وذكروهم
بالورع والتقوى وقد جمعهم على سائر الناس في الخطوط الى جميع ما ذكرناه في حق العلماء وكنهم يرون
عبادتهم منة على الخلق وأما في الدين فتقول أن يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك فتعقبا

مهما رأى ذلك قال صلى الله عليه وسلم إذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم وأما قال ذلك
 لأن هذا القول منه يدل على أنه مريد بخلق الله معتز بالله آمن من مكره غير خائف من سلطوته
 وكيف لا يخاف ويكفه شر الاحتقاره لغيره قال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء شرًا أن يخفر أخاه
 المسلم وكفى من الفرق بينه وبين من يحبه لله ويعظمه لعباده ويستعظمه ويرجو له ما لا يرجوه لنفسه
 فأخلق بذكر كون النجاة بتعطيلهم إياه لله فهم يتقربون إلى الله تعالى بالذنوب منه وهو يبتغى إلى الله
 بالتزهد والتباعد منهم كأنه مترفع عن مجالستهم فأجدرهم إذا أجبه لصلاحه أن يتفاهم إلى الله
 ذرجه في العمل وما أجدره إذا ازدواهم بعينه أن يتفاهم الله إلى حد الأهمال كما روى أن رجلاً من بني
 إسرائيل كان يقال له خليس بن إسرائيل لكثرة فسادهم رجل آخر يقال له عابد بن إسرائيل وكان
 على رأس العابد غمامة تظله فلما خلى الخليس به قال الخليس في نفسه أنا خليس بن إسرائيل وهذا عابد
 بن إسرائيل فلوحست إليه لعل الله يرحمي فجلس إليه فقال العابد أنا عابد بن إسرائيل وهذا خليس
 بن إسرائيل فكيف يجلس إلى قائف منه وقال له قم عني فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان مرهما
 فليستأفغا العمل فقد تقورت الخليس وأجبطت عمل العابد في رواية أخرى فتعولت الغمامة إلى رأس
 الخليس وهذا يبرئ فكأن الله تعالى إنما يريد من الحديد قلوبهم فالجاهل المعاصي إذا تواضع هيئة الله
 ودل خوفه منه فقد أطاع الله بقلبه فهو أطوع لله من العالم المتكبر والعابد المجهب وكذلك روى أن
 رجلاً من بني إسرائيل أتى عابدهم بنى إسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال أرفع فوالله لا يضر
 الله لك فأوحى الله إليه أيا للتألى على بل أنت لا تنفر الله لك وكذلك قال الحسن وحتى أن صاحب
 الصوف أشد تكبراً من صاحب المطر زانخراً أي أن صاحب الخبز يدل لصاحب الصوف ويرى
 الفضل له وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآية أيضاً قبلنا تفك عنها كثير من العباد
 وهو أن لو استغف به مستغف أو آذاه مؤذناً بعد أن ينفر الله ولا يشك في أنه صار محمواً عند الله
 ولو أذى مسلماً آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين
 التكبر والمجهب والاعتزاز بالله وقد ينهى الحق والعبادة ببعضهم إلى أن يعزى ويقول سترون
 ما يجري عليه وإذا العيب بنكبة زعم أن ذلك من كرامته وإن الله ما أراد به الإشفاء ظليته والانتقام
 منه مع أنه يرى طيبات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف جماعة أدوا الأنبياء صلوات الله
 عليهم فهم من قتلهم ومنهم من ضرمهم ثم أن الله أمهل أكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل رجا أسلم بعضهم
 فلم يصبه مكره في الدنيا ولا في الآخرة ثم الجاهل الغرور ينظر أنه استكرم على الله من أنبيائه وأنه
 قد انتقم له بما لا ينتقم لأنبيائه به ولعله في حق الله بما يحبه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه
 عقيدة المعتزين وأما الكياس من الصياد فيقولون ما كان قوله عطائاً للسلي حين كان يهيب ربح
 أو تقع صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم الإيسني ولومات عطاء لتصلوا وما قاله الآخر بعد
 انصرافه من عرافات كنت أرجو الرحمة لجمعهم ولا كوني فمهم فانظر إلى الفرق بين الرجلين هذا بيني
 الله ظاهراً وباطناً وهو وجل على نفسه من در لعله وسعيه وذلك رجا نصير من الرأى والكبر والحسد
 والغل ما هو محسنة للشيطان به ثم أنه عمن على الله بعله ومن اعتقد جزماً أنه فوق أحد من عباد الله
 فقد أجبط جميع عمله فان الجمل أغشى المعاصي وأعظم شئ بعد البعد عن الله حكمة لنفسه
 بأنه خير من غيره جهل محض وأن من مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ولذلك روى
 أن رجلاً ذكر خير النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرنا لك
 فقال أتى أرى في وجهه سقعة من الشيطان فلم يوقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي

صلى الله عليه وسلم أسألك بالله حدّتك نفسك أن ليس في القوم أفضل منك قال اللهم نعم فرأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوة ما استكن في قلبه سعة في وجهه وهذه آفة لا يفتك عنها
أحد من العباد الا من عصمه الله لكن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات والدرجة
الاولى أن يكون الكبر مستقراً في قلبه يرى نفسه خيراً من غيره الا أنه يجتهد ويتواضع وقيل فعل
من يرى غيره خيراً من نفسه وهذا قدر سخ في قلبه شعرة الكبر ولكنه قطع أعضانها بالكلية
الثانية أن يظهر ذلك على أفعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الاقران وإظهار الانكار على من
يقصر في حقّه وأدنى ذلك في العالم أن يضع رخذة للناس كأنه معرض عنهم وفي العباد أن يعبس وجهه
ويقطع جبينه كأنه متّزّه عن الناس مستقذّر لهم أو غضبان عليهم وليس يعلم المسكين أن الورع
ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يعبس ولا في الخد حتى يصعور ولا في الرقبة حتى تغطأ
ولا في الذيل حتى يضم انما الورع في القلوب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا وأشار
الى صدره قد سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرم الخلق وأتقاهم وكان أوسعهم خلقاً
وأكثرهم بشراً وتسموا وتساوا ولذلك قال الحارث بن عزة الزبيدي صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يهني من القراء كل طليق مضال فأمّا الذي تلقاه يشرو بلفاك بعبوس عين عليك بعله
فلا أكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله سبحانه وتعالى يرضى ذلك لما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم
واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وهو لا الذي يظهر أثر الكبر على شماثلهم فأحوالهم
أخف حالاً من هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى يدعو الى الدعوى
والمفاخرة والمباهاة وتركبة النفس وشكايات الاحوال والقامات والتشرف لقلبة الغير في العلم
والعمل أمّا العابد فانه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد من هو بما عمله ومن أن زهده فيقول
الإنسان فهم بالمتقص ثم ينثني على نفسه ويقول اني لم افطر منذ كذا وكذا ولا أنام بالليل وأختم
القرآن في كل يوم وفلان ينام سهراً ولا يكثر القراءة وما يجري مجراه وقد تركى نفسه ضمناً فيقول
قصدي فلان بسوء فلهذا ولده وأخذ ماله وأمرض أو ما يجري مجراه يدعى الكرامة لنفسه وأما
مباهاته فهو أنه لو دفع قوم يصلون بالليل قام وصلى أكثر مما كان يصلي وإن كانوا يصبرون على
الجوع فيكلف نفسه الصبر ليظلمهم ويظهر لهم قوته ويجزهم وكذلك يشتد في العبادة خوفاً من أن
يقال غيره أعبد منه أو أقوى منه في دين الله وأما العالم فانه يتفاخر ويقول أنا متين في العلوم ومطلع
على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن أنت وما فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت
من الحديث كل ذلك ليس شره ويعظم نفسه وأما مباهاة فهو أنه يجتهد في المناظرة أن يغلب ولا
بغلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم تجلب بها في المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين
العبارة وتجميع الالفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الاقران ويعظم عليهم ويحفظ
الاحاديث الفاظها وأساليبها حتى يرد على من أخطأ فيها فيظهر فضله وتقصان أقرانه ويفرح
مهما أخطأ واحد منهم لبره عليه ويسوء إذا أصاب وأحسن خيفة من أن يرى انه أعظم منه
فهذا كله أخلاق الكبر وآثاره التي يترها التعرز بالعلم والعمل وأين من يتخلو عن جميع ذلك أو عن
بعضه فلبت شعري من الذي عرف هذه الاخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من حرد من كبر كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه من أهل النار وأما العظيم من خلاص هذا ومن خلاصه
لم يكن فيه تعظيم وتكبر والعالم هو الذي فهم أن الله تعالى قال له انك عندنا قد رامنا لم تر نفسك قدرا

فان رأيت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كتب ومن علم زمة
 أن لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو التكبر بالعلم والعمل (الثالث) التكبر بالحسب والنسب
 فالذي له نسب مشرف يستعظم من ليس له ذلك بالنسب وان كان أرفع منه وعلا وعلما وقد يتكبر بعضهم
 فيرى أن الناس له موال وعبيد وأنفس من مخالطتهم وبخالسهم وغمرته على الناس التفاخر به فيقول
 لغيره يا بنطي ويا هندي ويا أرمني من أنت ومن أولك فأنا فلان بن فلان وأن لك أن تكلمني
 أو تنظر إلي ومع مثلي تتكلم وما يجري مجراه وذلك عرق دفين في النفس لا ينكح عنه نسب وان كان
 صالحا وعاقلا إلا أنه قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الاحوال فان غلبه غضب أطفأ ذلك نور
 بصيرته وترشح منه كاري من أبي ذر أنه قال قالت رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له
 يا ابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البضاء
 على ابن السوداء فضل فقال أبو ذر رحمه الله فاضطربت وقلت للرجل قم فطأ على خنثى فانظر كيف
 شهه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى لنفسه فضلا بكونه ابن بضاء وان ذلك خطأ وجهل
 وانظر كيف تاب وقمع من نفسه شجرة الكبر بأخص قدم من تكبر عليه ادعرف أن العز لا يبعه
 الا الذل ومن ذلك ما روي أن رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما للآخر أنا
 فلان بن فلان فمن أنت لأمك فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتقر رجلا من بني موسى عليه
 السلام فقال أحدهما أنا فلان بن فلان حتى مدني فأتى الله تعالى إلى موسى عليه السلام
 قل الذي افتقر للثلاثة من أهل النار وأنت عاشرهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع
 قوم الفخر بما بأنهم وقد صاروا غما في جهنم وليكون أهورن على الله من الجعلان التي تنافى بأناتها
 القدر (الرابع) التفاخر بالجمال وذلك أكثر ما يجري بين النساء يدعون ذلك إلى التفتق والتلب
 والفتية وقد عيوب الناس ومن ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت دخلت امرأته على
 النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بيدي هكذا أي أنها صغيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
 قد احتجتها وهذا منشأ خفاء التكبر لأنها لو كانت أيضا صغيرة لما ذكرتها بالصغر فكانها أحببت
 بغامتها واستصغرت المرأة في جنب نفسها فقالت ما قالت (الخامس) التكبر بالمال وذلك
 يجري بين الملوك في خزائنهم وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في أراضيهم وبين المتجلبين
 في لباسهم وخيولهم وماركهم فيستعظم الفتي الفقير ويتكبر عليه يقول له أنت مكبر ومسكين
 وأنا لو أردت لأشريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن أنت ومالك وأنا ثابت بيني يساوي
 أكثر من جميع مالك وأنا أنفي في اليوم مالانا كله في سنة وكل ذلك لاستعظامه للشي واستخاره
 الفقير وكل ذلك جهل منه بفضيلة الفقر وآفة الفتي واليه الإشارة بقوله تعالى قال لصاحبه وهو
 مجاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً حتى أجابه فقال ان ترني أنا أقل منك مالاً وولد أفسى ربي
 أن يؤتي خيرا من جنتك ويرسل عليهما حسباً من السماء فتصبح ضعيدا لقا أو تصبح ماؤا فافورا
 فان تستطيع له طلبا وكان ذلك منه تكبرا بالمال والولد ثم بين الله عاقبة أمره بقوله يا بني لم أشرك
 ربّي أحد أو من ذلك تكبرا قازون اذ قال تعالى يا بني ارجعني تكبر وتفرج على قومه في زينته قال الذين
 يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم (السادس) التكبر
 بالقوة وشدة البطش والتكبر به على أهل الضعف (السابع) التكبر بالانباغ والانشاز
 والتلازمة والغلمان وبالعشيرة والا قارب والبنين ويجري ذلك بين الملوك في المكثر بالجنود
 وبين العلماء في المكثر بالمستفيدين وبالجملة فكل ما هو قهواً ممكن أن يستعد كالأولاد ويمكن

في نفسه كالأمكن أن يشكر به حتى ان الخلق ليسكر على أقرانه زيادة معرفته وقدرته في صنعة الخلقين لانه يرى ذلك كالأقضية وان لم يكن فعله الانكلا وكذلك الفاسق قد يقتر بصكرة الشرب وكثرة الغيور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه أن ذلك كمال وان كان خطئاً فيه فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيسكبر من بدئ بشئ منه على من لا يدلي به أو على من بدئ بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله أو فوقه عند الله تعالى كالعالم الذي يشكر بعلمه على من هو أعلم منه لظنه أنه هو الأعلم وحسن اعتقاده في نفسه تسأل الله العون بطفه ورحمته انه على كل شئ قدير

بيان البواعث على التكبر وأسبابه المهيبة له
اعلم أن الكبر خلق باطن وأما ما يظهر من الاخلاق والافعال فهي ثمرة ونتيجة ونبغى أن تسمى تكبر أو ينحصر اسم الكبر بالبغي الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو الحب الذي يتعلق بالتكبر كاسباب في معناه فانه اذا أحب بنفسه وبعلمه وزعمه له أو بشئ من أسبابه استعظم نفسه وتكبر وأما الكبر الظاهر فأسبابه ثلاثة سبب في التكبر وسبب في التكبر عليه وسبب فيما يتعلق بغيرهما أما السبب الذي في التكبر فهو الحب والذي يتعلق بالتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرهما هو الزيادة فتصير الأسباب بهذا الاعتبار أربعة الحب والحقد والحسد والازالة أما الحب فتفقد كراهية يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر الظاهر في الاعمال والاقوال والاحوال * وأما الحقد فانه يجعل على التكبر من غير محب كالذي يشكر على من يرى أنه مثله أو فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فأورثه الغضب حقد أو ربح في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه أن يتواضع له وان كان عنده مستحقا للتواضع فكذلك من رذل لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الأكابر لحقه عليه أو بغضه له وبجمله ذلك على رذ الحق اذا جاء من جهة على الاعتناء بقول نصحه وعلى أن يجتهد في التقدم عليه وان علم أنه لا يستحق ذلك وعلى أن لا يستحقه وان ظلمه فلا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به * وأما الحسد فانه أيضاً يوجب البغض الحسود وان لم يحسن من جهة ايداه وسبب يقتضي الغضب والحقد ويدعو الحسد أيضاً الى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم فكمن جاهل يشاق الى العلم وقبضي في رذيلة الجهل لاستنكافه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو آثاره حسد أو بغض عليه فهو يعرض عنه ويشتكر عليه مع معرفته بأنه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يعتقه على أن يماحله بأخلاق المتكبرين وان كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه * وأما الزيادة فهو أيضاً يدعو الى أخلاق المتكبرين حتى ان الرجل لما نظر من يعلم أنه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسبة ولا حقد ولكن يمنع من قبول الحق منه لا يتواضع له في الاستفادة خيفة من أن يقول الناس انه أفضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الزيادة المحرود وولعاً بنفسه لكان لا يشكر عليه وأما الذي يشكر بالحب أو الحسد أو الحقد فانه يتكبر أيضاً عندا خلقة به مما لم يكن معهما ثالث وكذلك قد ينشئ الى نسب شريف كذا وهو يعلم أنه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينسب الى ذلك النسب ويرفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطرق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطناً بأنه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لعرفته بأنه كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله الزيادة على أفعال المتكبرين وكان اسم المتكبر انما يطلق في الأكثر على من فعل هذه الأفعال من كبر في الباطن صاد عن الحب والتقدير الى الغير يعني الاحتقار وهو ان سمي متكبراً فلاجل التشبه بأفعال الكبر نسا الله حسن التوفيق والله تعالى أعلم

بيان أخلاق المتواضعين وبما جمع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر
 أعلم أن التكبر يظهر في شمائل الرجل كصعق في وجهه ونظيره شبر أو اطرافه رأسه وجلسه
 متربعا أو متعكبا وفي أقواله حتى في صوته ونغمته وصغته في الإيراد ويظهر في مشيته ونهته
 وقيامه وجلسه وحركاته وسكناته وفي تعاطيه لأفعاله وفي سائر تقلباته في أحواله وأقواله وأعماله
 فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فمنها التكبر بأن يجب
 قيام الناس له أو بين يديه وقد قال علي كرم الله وجهه من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار
 فلينظر إلى رجل قاعد بين يديه قوم قيام وقال أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا للمسلمين من كراهته لذلك ومنها أن لا يعيش إلا معه غيره
 يعيش خلقه قال أبو الدرداء لا يزال العبد يزاد من الله بعد ما مشى خلقه وكان عبد الرحمن بن عوف
 لا يعرف من عبده ما كان لا يغيرهم في صورة طاهرة ومشى قوم خلف الحسن البصري فقتلهم
 وقال ما بقي هذا من قلب العبد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأوقات يمشي مع
 بعض أصحابه فيأمرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم ما يعلم غيره أو يليني عن نفسه وسأوس
 الشيطان بالتكبر والجب كما أخرج الثوب الجديد في الصلاة وأبلىه بالخلع لاحدهذين العيين
 ومنها أن لا يزور غيره وأن كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع روي أن
 سفيان الثوري قدم الملة فبعث إليه أبا هريرة بن أد هلم أن تعال فحدثنا بها سفيان فقبل له يا أبا
 إسحاق تبعك إليه بمثل هذا فقال أردت أن أنظر كيف تواضعه ومنها أن يستكف من جلوس
 غيره بالقرب منه إلا أن يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابن وهب جلست إلى عبد العزيز بن
 أبي رواد فسئلتني فغذيت فغذيت نفسي عنه فأخذني أبي فحرني إلى نفسه وقال لي لم تفعلوني
 ما تفعلون بالجارية واني لا أعرف رجلا منكم شر أمتي وقال أنس كانت الوليدة من ولادة المدينة
 تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يترج بد منه حتى تدبه به حيث شامت ومنها أن
 يتوقى من مجالسة المرضى والمطلولين ونهايتي عنهم وهو من الكبر دخل رجل وعليه جدري قد تفرش
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندنا من أصحابه يأكلون فاجلس إلي أجدالاقام من
 جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا يجلس
 عن طعامه يحذو ما ولا أرض ولا مبتلى إلا فقد هم على مائدة ومنها أن لا تعاطي بيده شغلا في يده
 والتواضع خلافه روي أن عمر بن عبد العزيز أناه ليلية ضيف وكان يكسب فكاد السراج يطفأ فقال
 الضيف أقوم إلى المصباح فأصلحه فقال ليس من كرم الرجل أن يستفد من ضيفه قال أفأبته الغلام
 فقال هي أول فومة تأماها فقام وأخذ البطية وملا المصباح زينا فقال الضيف قت أنت تفعل يا أمير
 المؤمنين فقال ذهبت وأنا حمز ورجعت وأنا امرأتانقص مني شيء وخبر الناس من كان عند الله
 متواضعا ومنها أن لا يأخذ مناعه ويحمله إلى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يفعل ذلك وقال علي كرم الله وجهه لا يقص الرجل الكامل من كاله ما حل من شيء
 إلى عباده وكان أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير مجمل سطلا له من خشب إلى الحمام وقال ثابت بن أبي
 مالك رأيت أبا هريرة أقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال أوسع
 الطريق لا مري يا ابن أبي مالك وعن الأصم بن سنانة قال كافي أنظر إلى عمر رضي الله عنه متعلقا
 في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الأسواق حتى دخل رحله وقال بعضهم رأيت عليا
 رضي الله عنه قد اشترى لحما بدوهم فمعه في مقلته فقلت له أحمل عنك يا أمير المؤمنين فقال لا

أبو الصيال أحق أن يحمل * ومنها اللباس اذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
 البذاذة من الايمان فقال هارون سالت معنص البذاذة فقال هو المدين من اللباس وقال زيد بن
 رهب رأيت حمرا من الخطاب رضى الله عنه خرج الى السوق ويده الدرة وعليه ازار فيه أربع عشرة
 رقعة بعضها من ادم وعونب على كرم الله وجهه في ازار مرقوع فقال تقدي به المؤمن ويخشع له
 القلب وقال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء في القلب وقال طاوس اني لا غسل ثوبي هذين
 فأترك قلبي مادام اثنين وروى أن حمرا بن عبد العزيز رحمه الله كان قبل أن يستخلف يشتري له
 الخلة بألف دينار فيقول ما أجودها ولا خشونة فيها فلما استخلف كان يشتري له الثوب بمجسدر اهرام
 فيقول ما أجودها ولا لينه ثقيل له أين لباسك ومركبك وعطرك يا أمير المؤمنين فقال اني انفساد واقفة
 توافقه وانهم المثلق من المنساقمة لا تأت الى الطبقة التي فوقها حتى اذا ذات الخلفة وهي أرفع
 الطباق تأت الى ما عند الله عز وجل وقال سعيد بن سويد صلى بن حمرا بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس
 وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا أمير المؤمنين ان الله قد عطاك
 فلوليست فتكسر رأسه مليا ثم رفع رأسه فقال ان أفضل القصد عند الخلة وان أفضل الفوق عند
 القدرة وقال صلى الله عليه وسلم من ترك زينة الله ووضع ثيابا حسنة تواضع الله وابتغاه لم ير ضابته
 كان حقاق الله أن يدخله عبقرى الجنة فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام جودة الثياب
 خيلاء القلب وقد سئل نينا صلى الله عليه وسلم عن الجبال في الثياب هل هو من التكبر فقال لا ولكن
 من سفه الحق ومغص الناس فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم أن الثوب الجيد ليس من ضرورته
 أن يكون من التكبر في حق كل أحد في كل حال وهو الذي أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وهو الذي عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حال ثابت بن قيس اذ قال اني امرؤ حبيب الى
 من الجبال ما ترى فعرف أن مثله الى النظافة وجودة الثياب لا لتكبر على غيره فانه ليس من
 ضروريته أن يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما أن الرضى بالثوب الدون قد يكون من
 التواضع وعلامة التكبر أن يطلب التجميل اذ ارأه الناس ولا يبالى اذا انفرد بنفسه وكيف كان
 وعلامة طالب الجلال أن يحب الجلال في كل شيء ولو في خلوته وحتى في سنوره اذ قد ليس من التكبر
 فاذا انقسمت الاحوال لزل قول عيسى عليه السلام على بعض الاحوال على أن قوله خلاء القلب
 يعني قد تورث خيلاء في القلب وقول نينا صلى الله عليه وسلم انه ليس من الكبر يعني أن الكبر
 لا يوجب ويجوز أن لا يوجب الكبر ثم يكون هو موزنا الكبر وبالجملة فالاحوال تختلف في مثل هذا
 والمحبوب الوسط من اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجوقة ولا بالاراء وقد قال صلى الله عليه وسلم
 كلوا ثيابا من البسوا أو تصدقوا في غير سرف ولا خيلة ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وقال
 بكر بن عبد الله المزني البسوا ثياب الملوك وأمينوا قلوبكم بالخشعة واتوا مخاطب بهذا فمما يطلبون
 التكبر بثياب أهل الصلاح وقد قال عيسى عليه السلام ما لكم تأتونني وعليكم ثياب الرهبان
 وقلوبكم قلوب الدواب الضواري البسوا ثياب الملوك وأمينوا قلوبكم بالخشعة ومنها أن تواضع
 بالاحتمال اذ البسوا وادى وأخذ حقه فذلك هو الأصل وقد وردنا ما نقل عن السلف من احتمال
 الاذى في ثياب الضرب والحسد وبالجملة فجامع حسن الاخلاق والتواضع سيرة النبي صلى الله عليه
 وسلم فيه فنبغي أن يقتدى به ومنه ينبغي أن تعلم وقد قال ابن ابي سلة قلت لابي سعيد الخدري
 ما ترى فيما أحدث الناس من اللبس والشرب والمركب المظم فقال يا ابن أخي كل الله واشرب الله
 والبس الله وكل شيء من ذلك دخله زهو ومباهاة أو رياء أو سمعة فهو معصية وسرف وعالج في بيتك

من الخدمة ما كان يحتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبته كان يطفئ الناضح ويقل البعر
ويقيم البيت ويحلب الشاة ويخفف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادموه مطمئن عنه اذا اعيأ
ويشترى الشيء من السوق ولا يمنعه الحياء ان يلقه بيده او يجعله في طرف ثوبه وينقلب الى أهله
يصالح الفتى والفقير والكبير والصغير وسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغيرا وكبيرا أسودا
أو أحمر أو أبيض ومن أهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستعمل من أن يجيب اذا
دعى وان كان أشعث أغبر ولا يجهر ما دعى اليه وان لم يجد الا حشفة للدخل لا يرفع غداه لعشاء
ولا عشاء لغداه هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه بسام من غير نخك
محزون من غير عيوس شديد في غير عصف متواضع في غير ملة جواد من غير سرف رحيم لكل ذي
قرى ومسلم رقيق القلب دائم الاطراق لم يشم قط من شبع ولم يمتدبه من طمع قال أبو سلفة قد خلت
علي عائشة رضي الله عنها فخذتها بما قال أبو سعيد في زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت
ما أخطأ متهمرا وقد قصر اذا ما أخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني فقط شعلا ولم يث
الى أحد شكوى وان كانت الفاقة لأحب اليه من اليسار والفتى وان كان لظن خائفا لثوى ليلته
حتى يصبح فيمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء أن يسأل ربه فيؤتي بكنوز الارض وثمارها وزغد
عيشها من مشارق الارض ومغاربها لعل وربما بكت رحمة له ما لوى من الجوع فاعمع بطنه
بيدي وأقول نفسي لك الغدا لو تلبثت من الدنيا بقدر ما حقوتك ويمتلك من الخبز فيقول يا عائشة
اخواني من اولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فاضوا على عالمهم وقدموا على ربه
فأكرم ما هم وأجرل ثوابهم فأجدي استحي ان ترفعت في مغيبتي أن يصبرني ذوقهم فأصبر يا أما
يسرة أحب الي من أن ينقص خطي غدا في الآخرة وما من شيء أحب الي من الحقوق باخواني
وأخلامي قالت عائشة رضي الله عنها فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله عز وجل فاقبل
من أحواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة أخلاق المتواضعين فن طلب التواضع فلقبته ومن رأى
نفسه فوق محله صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما رضى هو به فاشد جهه فلقد كان أعظم
خلق الله منصبا في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة الا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضي الله عنه اتأقوم
أعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غير ما عوتب في بذاته هيئته ضد خوله الشام وقال أبو الدرداء
اعلم أن الله عاذا قال لهم الابدال خلف من الانياء هم أو ناد الارض فلما انقضت النبوة أبدل الله
مكانهم قوما من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية
ولكن يصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله
بصبر من غير تبجح وتواضع في غير ملة وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم أربعون
صديقا أو ثلاثون رجلا قلوبهم على مثل قلوب ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام لا يموت الرجل منهم
حتى يصفوا الله قد أنشأ من خلقه واعلم يا أخي أنهم لا يلعنون شيئا ولا يؤذون ولا يمحزون
ولا يتظاولون عليه ولا يجسدون أحدا ولا يجردون على الدنياهم أطيب الناس خيرا واليهم عريكة
وأجنابهم نفسا اعلامتهم السجاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلا مقليسا اليوم في خيبة غدا
في عقلة ولكن مداومين على حاتم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربه لا تدرى لهم الرياح العواصف
ولا تخيل الجحرة قلوبهم تصعد ارتياحا الى الله واشتاقا اليه وقد ما في استباق الخبرات أو لشك حزن
الله ألا أن حزب الله هم المفلحون قال الراوي قتل يا أبا الدرداء ما سمعت بصفة أشد علي من تلك
الصغيرة كيف لي أن ابغض انفسا ما بينك وبين أن تكون في أو سعتها الا أن تبكون تبغض الدنيا

فانك اذا انقضت الدنيا اقبلت على حب الآخرة وقد رحبتك للآخرة تهدي في الدنيا وقد رزقتك نصير
ما يتبعك واذ اعلم الله من عبد حسن الطلب أفرغ عليه السدادوا كنفه بالصحة واعلم بان أخى
أن ذلك في كتاب الله تعالى المنزل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال يحيى بن كثير فطرنا
في ذلك فالتلذذ التلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته اللهم اجعلنا من محبي المحبين لك يا رب العالمين
فانه لا يصلح حبك الا من ارتضىته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
بيان الطريق في معالجة الكبر وكتاب التواضع له

اعلم أن الكبر من المهلكات ولا يخلو أحد من الخلق عن شيء منه وازالته فرض عين ولا يزول بحمد
المتقي بل بالمعالجة واستعمال الادوية القامعة له وفي معالجته مقامان * أحدهما الاستئصال أصله
من سخره وقلع شجرته من مغرسها في القلب * الثاني دفع العارض منه بالاسباب الخاصة التي بها
يتكبر الانسان على غيره * (القام الاول) في استئصال أصله وعلاجه على * وعلى * ولا يتم الشفاء
الاجموع وهما أما العلي * فهو أن يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى ويكفيه ذلك في ازالة الكبر فانه
مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أدل من كل دليل وأقل من كل قليل وانه لا يليق به الا التواضع
والذل والمهانة واذ عرف ربه علم أنه لا يليق العظمة والكبرياء الا بالله أمام معرفته ربه وعظمته
وتجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكشوفة وأما معرفته نفسه فهو أيضا يطول ولكن ذكر
من ذلك ما ينبغي في انارة التواضع والذل وتكفيه أن يعرف معنى آية واحدة في كتاب الله فان
في القرآن علم الاولين والاخرين ان قصت بصيرته وقد قال تعالى قتل الانسان ما كرهه من أي شيء
خلقه من نقطة خلقه فقد ربه السبيل يسره ثم أماته فأعبره ثم ادأشه أنثرو فقد أشارت الآية الى
أول خلق الانسان والى آخر أمره والى وسطه فليتنظر الانسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية أما أول
الانسان فهو أنه لم يكن شيئاً مذكوراً وقد كان في حيز العدم وهو رايل لم يكن لعدمه أول وأى شيء
أخس وأقل من المحور والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله من أرذل الاشياء ثم من أفذرهما
اذ قد خلقه من تراب ثم من نقطة ثم من حلقة ثم من مضغة ثم جعله عظماً ثم كسا النظم لحاق قد كان
هذا بداية وجوده حيث كان شيئاً مذكوراً فاصار شيئاً مذكوراً الا وهو على أخس الاوصاف
والنعوت اذ لم يخلق في ابتدائه كاملاً بل خلقه جماً دامت لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يعقل
ولا ينطق ولا يسطس ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه
وبعاه قبل بصره وبصمعه قبل سميحه وبكبره قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبجزره
قبل قدرته فهنا معنى قوله من أي شيء خلقه من نقطة خلقه فقد ربه ومعنى قوله هل أتى على
الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً انا خلقنا الانسان من نقطة أمشاج فنبته كذلك خلقه
أولاً ثم امتن عليه فقال ثم السبيل يسره وهذا الاشارة الى ما تيسر له في مدة حياته الى الموت وكذلك
قال من نقطة أمشاج فنبته فجعلناه سمعاً وبصيراً انا هديناه السبيل اما شاكراً او مانياً كقوله وامننا
انه أحياء بعد أن كان جماً دامتاً تراباً أولاً ونقطة ثانياً واسمعه بعدما كان أصم وبصره بعدما كان
فاقد البصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضاء بما فيها من الجاهل والآيات
بعد القدر لها وأعطاه بعد الفقر وأشبعه بعد الجوع وكساه بعد العري وهاداه بعد الضلال فانظر
كيف دره وصوره والى السبيل كيف يسره والى طيات الانسان ما أكفره والى جهل الانسان
كيف أظهره فقال وأولم ير الانسان أنا خلقناه من نقطة فانا هو خسيم مبين ومن آياته أن خلقكم
من تراب ثم اذ أنتم بشر تتشربون فانظر الى نعمة الله عليه كيف تغله من تلك الذل والمهانة والحقبة

والقدرة الى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا بعد العدم وحيا بعد الموت وناظرا بعد البكم
ووصيرا بعد العمى وقويا بعد الضعف وعلما بعد الجهل ومهديا بعد الضلال وقادرا بعد الجبروت قويا
بعد الفقر فكان في ذاته لا شيء وأي شيء أحسن من لا شيء وأي قلة أقل من العدم المحض ثم صارا بالله
شيئا وانما خلقه من التراب الذليل الذي يوطأ بالانقدام والنطفة القدرة بعد العدم المحض أيضا
لعمركم خست ذاته فيعرف به نفسه وانما كل النعمة عليه ليعرف بها به ويعلم ما عظمت وجلاله
وأنه لا يليق الصكر بآء الاب به جل وعلا ولذلك آمنتم عليه فقال ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين
وهديناه النجدين وعرف خسته أولا فقال ألم يك نطفة من منى يعني ثم كان علقة ثم ذكر منته عليه
فقال فلحق فسوى فجعل منه الزوجين الذكور والاثني ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده أولا
بالاختراع فمن كان هذا بذاته وهذه أحواله فمن أين له البصر والكبرياء والنفوس والخيالات وهو على
التعقيب أحسن الاخساء وأضعف الضعفاء ولكن هذه عادة الخسيس اذا رفع من خسته شئ يأتفه
وعظم ذلك لئلا يلهي خسته أولا وله ولا حول ولا قوة الا بالله نعم لو أكله وفقرض اليه امره وأدام له الوجود
باختياره لجاز أن يظني ونفسى المبدأ والنهى ولكنه سلب عليه في دوام وجوده الامراض المأثرة
والاقسام العظيمة والافات المختلفة والطباع المتضادة من الرقة والبانم والاريج والدم هدم البعض
من أجزائه البعض شاء أم أي رضى أم سخط فيصير كرها ويمطش كرها ويعرض كرها ويموت كرها
لا يملك لنفسه نفعا ولا ضررا ولا خيرا ولا شررا يريد أن يعلم الشيء فيعلمه ويريد أن يدرك الشيء فيدركه
ويريد أن ينسى الشيء وينقل عنه فلا ينقل عنه ويريد أن يصرف قلبه الى ما به فيقول في اودية
الوساوس والافكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه ويشتهي الشيء ويربما يكون
هلاكه فيه ويكره الشيء وربما تكون حياته فيه يستلذ الاطعمة وتهلكه وترديه ويستنشق الادوية وهي
تنفعه ونحييه ولا يامن في لحظة من ليله أو نهاره أن يسلب سمعه وبصره وتلغ أعضاؤه ويحتلس
عقله ويحتطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه فهو مضطرب ذليل ان تركب في وان اختطف في
عبد ملوك لا يقدر على شئ من نفسه ولا شئ من غيره فأى شئ أدل منه لو عرف نفسه أو أن يلق
الكبر به لولا جهله فهذا أوسط أحواله فليست له وأما آخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله تعالى
ثم أماته فأقبره ثم اذناؤه ومعناه أنه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحس
وإدراكه وحر كته فيعود جامدا كما كان أول مرة لا يبقى الا شكل أعضائه وبصوريته لا حس فيه
ولا حركة ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منقنة قدرة كما كان في الاول نطفة مذرة ثم يبل أعضاؤه
وتنبت أجزاؤه وتقر عظامه ويصير ميمار فاناو يأكل الدود أجزائه فيندثر بمجذته فيفعلها
ويختبئ فيقطعهما بسائر أجزائه فيصير روثا في أجواف الديدان ويكون جيفة متهرب منه الحيوان
ويستقذره كل انسان وهرب منه لثمة اللتان وأحسن أحواله أن يعود الى ما كان فيصير
ترابا يعمل منه الكيزان ويعمر منه البناء فيعمر بمقدور بعد ما كان موجودا وصار كأن لم يكن بالانس
حسيدا كما كان في أول أمره أمدا مديد اوليته بقي كذلك فأحسنه لو ترك زبالا بل يحس بعد طول
البلى ليقاسى شديد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرقة ويخرج الى أهوال القيامة فينظر
الى قبامه قائم في سماء مشقة مرققة وأرض مثقلة وجبال مسيرة ونجوم متكدرة وشمس منكسفة
وأحوال مظلمة وملائكة غلاظ شديدة وجههم زفر وجنة منظرها المحرم تقصر ويرى صحائف
منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو فيقال كان قد وكل بك في حياتك التي كتبت فخرجها
وتسكب نعيمها وتقصر بأسقامها ملكان رقيبان يكتمان عليك ما كتبت تنطق به أو تعلمه من

قليل وكثير وتغير وقطع وبرأكلى وشرب وقيام وقعود قد نسبت ذلك وأحصاه الله عليك فهل
الى الحساب واستعد للجواب أو تساق الى دار العذاب فيقطع قلبه فزعم من هول هذا الخطأ قبل
أن تنتشر البصيرة وشاهد ما فيها من مخازيه فأذا شاهد قال يا ولتأما ما لهذا الكلب لا يفادى
صغيرة ولا كبيرة إلا أخصاه بهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى ثم ادأشاه أن نشره فلن هذا
حاله والتكبر والتعظيم بل ماله والفرح في لحظة واحدة تفضلا عن البطور والشر قد ظهر له أول حاله
ووسطه ولون ظهر آخره والياد بالله تعالى ربما اختار أن يكون كلباً وخزير البصر مع الهائم رايا
ولا يكون انسانا يسمع خطاباً أو يلقى عذاباً وإن كان عند الله مستحقاً للنار فالحذر برأشرف منه
وأطيب وأرفع إذا أوله التراب وآخره التراب وهو بمعزل عن الحساب والعذاب والكلب والحزير
لا يهرب منه الخلق ولورأى أهل الدنيا العبد المذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقته ووقع
صورته ولو وجدوا ريتهم لما توا من تنه ولو وقعت قطرة من شرابه الذى يستقى منه في بحار الدنيا
لصارت أنثى من الجيفة فمن هذا حاله في العاقبة إلا أن يغفر الله عنه وهو على شك من الغر كفى
بفرح ويطر وكفى بتكبر وتغير وكفى برى نفسه شيئاً حتى يعتقه فضلاً أى عذله يذنب ذنباً
استحق به العقوبة إلا أن يغفر الله الكرم بفضلته ويحبر الكسب منه والرجاء منه ذلك لتكرمه وحسن
الظن به ولا قوة إلا بالله رأيت من جنى على بعض الملوك فاستحق بجنائنه ضرب ألف سوط هببس
في السجن وهو ينتظر أن يخرج الى العرض وتقام عليه العقوبة على ما لمن الخلق وليس يدري
أيعني عنه أم لا كيف يكون ذله في السجن اقترى أنه يتكبر على من في السجن وما من عبد مذنب
إلا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدري كيف يكون آخر أمره فيكفيه ذلك حزناً
وخوفاً واشفاقاً ومهانةً وذلك هو العلاج العلى القامع لاصل التكبر وأما العلاج العلى فهو
التواضع لله بالفعل وللسائر الخلق بالمواطبة على أخلاق المتواضعين ككفا وصفناه وحسنه من
أجوال الصالحين ومن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنه كان يأكل على الأرض
ويقول إنما أنا عبد كل كايا كل العبد وقبل لسان لم لا تلبس ثوباً جديداً فقال إنما أنا عبد فإذا
اعتقت يوماً باليست جديد أشار به الى العنق في الآخر قولاً يتم التواضع بعد المعرفة بالإلـه والعمل ولذلك
أمر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالإيمان وبالصلاة جميعاً وقبل الصلاة عماد الدين
وفي الصلاة أسراراً لجلها كانت عماداً ومن جعلها ما فيها من التواضع بالثول قائماً وبالركوع
والسجود وقد كانت العرب قد بما ينفون من الأئناء فكان يسقط من بدوا أحد سوطه فلا ينفى
لاخذه وينقطع شركه فلا يتكسر رأسه لا يصلحه حتى قال حكيم بن حزام يا ربنا أنتى صلى الله
عليه وسلم على أن لا تخر الأقامتاً بيا بيه النبي صلى الله عليه وسلم عليه ثم فقه وكل إيماناً بعد ذلك
فلا كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والضعف وأبه لتكسر بذلك خيلهم ويزول كبرهم
ويستقر التواضع في قلوبهم وبه أمر سائر الخلق فان الركوع والسجود والثول قائماً هو العمل الذى
يقضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فليترك ما يتعاضاه التكبر من الأفعال فليواظب على
تقبضه حتى يصير التواضع له خلقاً فان القلوب لا تخلق بالأخلاق المحمودة إلا بالعلم والعمل جميعاً
وذلك لغاية العلاقة بين القلب والجوارح وسر الارتباط الذى بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب
من عالم الملكوت (المقام الثانى) فبما مرض من التكبر بالاسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا في
كتابنا الجاه أن الكمال الحقيقى هو العلم والعمل فأما ما عاده ما يقضى بالموت فكما وهى في هذا العصر
على العالم أن لا يتكبر ولكذلك طرقت العلاج من العلم والعمل في جميع الاسباب السبعة الأولى

النسب في بصره الكبر من جهة النسب فليداؤقله بمعرفة أمر من أخد هـ أن هذا جهل من حيث
 انه تعز ز بكال غيره ولذلك قيل * لن تغرت يا آية نوى شرف * لقد صدقت ولكن بنس ما ولدوا *
 فالعكس بالنسب ان كان خيسا في صفات ذاته فن أن يجبر خسته بكال غيره بل لو كان
 الذي ينسب اليه جبالا كان له أن يقول الفضل لي ومن أنت وانما أنت دودة خلقت من بولي ان ترى
 أن الدودة التي خلقت من بول انسان أشرف من الدودة التي من بول فرس ههنا بل هما
 متساويان والشرف للانسان لا للدودة * الثاني أن يعرف نسبة الحقيقي فيعرف آياه وحده فان
 آياه القريب نقطة قدرة وحده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبة فقال الذي أحسن كل
 شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين فن أصله اتراب المهن
 الذي يداس بالاقدام ثم جمر طينه حتى صار حمأ مسنونا كيف يتكبروا خسر الاشياء ما له اتسابه
 اذ يقال يا أدل من التراب يا أنف من الحماة ويا أقدر من المصفة فان كان كونه من آيه أقرب من
 كونه من التراب فنقول اقربا القريب دون البعيد فان نقطة المصفة أقرب اليه من الاب فيقصر
 نفسه بذلك ثم ان كان ذلك بوجوب رقة لقربه فالاب الاعلى من التراب فن أن رفعته واذا لم يكن له
 رقة فن أن جاءت الرقة لولده فاذا أصله من التراب وفصله من النطفة فلا أصل له ولا فصل وهذه
 غايه حسة النسب فالأصل بوطا بالاقدام والفصل تقبل منه الايدان فهذا هو النسب الحقيقي
 للانسان ومن عرف علم يتكبر بالنسب ويحسكون مثله بعد هذه المعرفة وانكشف الغطاء له
 من حقيقة أصله كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم وقد أخبر بذلك والماء فزل فيه نخوة
 الشرف فينبطها هو كذلك اذا أخبره عدول لا يشك في قولهم أنه ابن هندی فجام يعاطي القادورات
 وكشفه والوجه التلبس عليه فلم يبق له شك في صدقهم ان ترى أن ذلك يسبق فيبشمن كبر لا بل يصبر
 عند نفسه أخرا الناس وأنظم قوم من استشار الخزي نخسته في شغل عن أن يتكبر على غيره فهذا
 حال الصبر اذا تمكرفي أصله وعلم أنه من النطفة والمصفة والتراب ادلو كان أبوه من يعاطي نقل
 التراب أو يعاطي الدم بالجامة أو غير هالك كان يعلم به حسة نفسه لماسة أعضاء آياه لتراب والدم
 فكشف اذا عرف أنه في نفسه من التراب والدم والاشياء القادرة التي يترو عنها هو في نفسه السبب
 الثاني التكبر بالجبال ودواؤه أن تنظر الى باطنه نظرا العقلاء ولا ينتظر الى الظاهر نظرا الهائم ومهما
 نظرا الى باطنه رأى من القبايح ما يتكدر عليه تعززه بالجمال فانه وكل به الاقدار في جميع أجزائه الرجميع
 في أمعائه والبول في مثانته والمخاط في أنفه والبراق في فيه والوسخ في أدنيه والدم في عروقه والصيد
 تحت بشرته والصنان تحت ابطه بفصل الفاكهة بيده كل يوم دفعة أو دفعتين ويترد كل يوم الى الخلاء
 مرة أو مرتين ليخرج من باطنه ما لوراه يعينه لاستقذره فضلا من أن عساه أو شمه كل ذلك
 يعرف قذارته وذلّه هذا في حال توسطه في أول أمره خلق من الاقدار الشنيعة الصور من النطفة
 ودم الحيض وأخرج من مجرى الاقدار اخرج من الصلب ثم من الذك مجرى البول ثم من الرحم
 مفض ذم الحيض ثم خرج من مجرى القدر قال انس رحمه الله كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه
 يخطبنا فيقذر علينا أنفسنا ويقول خرج أحدكم من مجرى البول مرتين وكذلك قال طائوس لعمر بن
 عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه مخزأه يا فتخر وكان ذلك قبل خلافته وهذا أوله ووسطه
 ولورثه نفسه في حياته يوم مات يتعهد بها بالتطيق والغسل لثارت منه الاثتان والاقذار وصاروا أنف
 وأقذار من الدواب المهمة التي لا تتعهد نفسها قط فاذا نظرت أنه خلق من اقذار واسكن في اقذار
 وسيموت فيصير جيفة أقدر من سائر الاقدار لم يقصر بجباله الذي هو تكبره الميمن وكلون الازهار

في البوادي فيبغها هو كذلك اذ صار شهما تدره الرياح كصف ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبائح خالبا لكان يجب أن لا يتكبر به صلى القبيح اذ لم يكن قبح القبيح اليه قبيحية ولا كان جمال الجمل اليه حتى يحسد عليه ككيف ولا بقاء له بل هو في كل حين يتصور أن يزول بمرض أو جعدي أو قرحة أو سبب من الاسباب فكيف من وجوه جملة قد سميت هذه الاسباب فقرة هذه الامور تنزع من القلب داء التكبر بالجمال لمن اكثر تأملها * السبب الثالث التكبر بالقوة والابدى ويمنعه من ذلك أن يعلم ماسلط عليه من العلل والامراض وأنه لو توجع عرق واحد في يده لصار أعجز من كل عاجز وأذل من كل ذليل وأنه لو سلبه الذباب شيئا لم يستغذ منه وأنه لو دخلت في أنفه أو غملة دخلت في أذنه لقتلته أو أن شوكه لو دخلت في رجله لأعجزته وأن حي يوم تحلل من قوته ما لا يخبر في مدة فن لا يطعن شوكه ولا يقاوم بقوة لا يقدر على أن يدفع من نفسه ذباية فلا يخفى أن يفترق بوقته ثمان قوى الانسان فلا يكون أقوى من حمار أو بقرة أو فسل أو جمل وأي افتقار في صفة يسبقك فيها الهائم * السبب الرابع والخامس الفنى وكثرة المال في معناه ككثرة الاتباع والانصار والتكبر بولاية السلاطين والتمكن من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج من ذات الانسان لا كالجبال والقوة والعلم وهذا أفتح أنواع الكبر فان التكبر جماله كأنه متكبر بفكره وداره ولو مات فكره وانهدمت داره لعاد ذليلا والتكبر يتمكن السلطان ولا يته لا بصفة في نفسه بنى أمره على قلب هو أشد علما تأمن القدر فان تغير عليه كان أذل الخلق وكل متكبر بأمر خارج عن ذاته فهو ظاهرا الجمل كيف والتكبر بالفنى لو تأمل رأى في اليهود من يزيد عليه في الفنى والثروة والتعجل غاف لشرف يسبقك به اليهودى وأف لشرف يأخذه السارق في لحظة واحدة فيعود صابحه ذليلا مغلسا فقهه أسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس اليه دوام وجوده وهو في الآخرة وبال وبكئال فالتعز به غاية الجمل وكل ما ليس اليك فليس لك وشئ من هذه الامور ليس اليك بل الى واهبه ان ابقاه بقى لك وان استرجعه زال عنك وما أنت الا عبد لملك لا تقدر على شئ ومن عرف ذلك لا يتوان يزول ككبره ومثاله أن يفترق الغافل بقوته وجماله وماله وخرينه واستقلاله وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانته أشهد عليه شاهدان عدلان عندنا كم منصف بأنه رقيق لقلان وأن أبو يه كانا مملوكين له فعلم ذلك وحكم به الحماكم فجاءه ماله فكاه فخذ وأخذ جميع ما في يده وهو مع ذلك يخشى أن يماقيه ويشكل به لتقر يطة في أمواله وتقصيره في طلب ماله لعله ليعرف أن له ماله كالمظفر العبد فرأى نفسه محبوسا في منزل قد أحدثت به الحيات والعقارب والمواد وهو في كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة أتت من هذا حاله هل يفترق قدرته وثرينه وقوته وكاله أم تدل نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل يصير فانه يرى نفسه كذلك فلا يملك رقبته وبدنه وأعضائه وهو مع ذلك بين آفات وشبهات وأمر اض وأسقام ففى كالعقارب والحيات يخاف منها المخلات فن هذا حاله لا يتكبر بقوته وقدرته اذ يعلم أنه لا قدرته ولا قوة فلهذا طريق علاج التكبر بالاسباب الخارجة وهو أهون من علاج التكبر بالعلم والجمل فانهما كما لان في النفس جذران بأن يفرح بهما ولكن في التكبر بهما أيضا نوع من الجمل خفى كما سنده * السبب السادس التكبر بالعلم وهو أعظم الآفات وأظلم الادواء وأبعد هاجس قبول العلاج الا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لان قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو أعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر لهما أصلا الا انما كان معهما علم وعمل ولذلك قال كعب الاحبار ان العلم ثلثيان كطفيان المال وكذلك

قال عز رضى الله عنه العالم انازل زلزله عالم فيجز العالم عن أن لا يستعظم نفسه بالاضافة
الى الجاهل لكثرة فئات الشروع بقضائل العلم ولن يقدر العالم على دفع الكبر الا بعرفة أمرين
أحد هما أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم أكده وأنه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشرين العالم
فإن من عصي الله تعالى عن معرفه وعلم غيباته أغش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالراحا
فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتية وأنهى عن الشر وآتية وقد
مثل الله سبحانه وتعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال جل وعز مثل الذين حملوا التوراة
ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا أراد به علماء اليهود وقال في يعلم بأعوراء وانزل عليهم نبأ
الذى آتياه آياتنا فانسح منها حتى بلغ كثره كمثل الكلب ان يحمل عليه بلهث أو تتركه بلهث قال
ابن عباس رضى الله عنهما أوفى بلم كما بأفأ خلدنا في شهورات الارض أى سكن حبه اليها فله الكلب
ان يحمل عليه بلهث أو تتركه بلهث أى سواء آتية الحكمة أو لم آتية لا بدع شهوته ويكنى العالم هذا
الخطر فأى عالم يتبع شهوته وأى عالم يأمر بالخير الذى لا يأتية فهما خطر العالم عظيم قدره
بالاضافة الى الجاهل فليست كفى في الخطر العظيم الذى هو بصدده فان خطره أعظم من خطر غيره
كما أن قدره أعظم من قدر غيره فهذا ليلنا وهو كالمالك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة أعدائه فانه
إذا أخذ وقهر اشتفى أن يكون قد كان قهرا فكم من عالم يشتهى في الآخرة سلامة الجاهل والعاذ بالله
منه فهذا الخطر عظيم من التكبر فانه ان كان من أهل النار فالتعزير أفضل منه فكيف يتكبر من هذا
حاله فلا ينبغي أن يكون العالم عند نفسه اكبر من الصابة رضى الله عنهم وقد كان بعضهم يقول
باليتنى لم تلدن أتمى وبأخذنا آخر نبنة من الارض ويقول باليتنى كنت هذه النبنة ويقول الآخر
ليتنى كنت طيرا أو كلبا ويقول الآخر ليتنى لم أكن شيئا مذكورا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة
فكانوا يرون أنفسهم أسوأ حالا من الطير ومن التراب ومهما أطال فكره في الخطر الذى هو بصدده
زال بالكبرية كبره ورأى نفسه كأنه شر الخلق ومثاله مثال عبد أمره سيده بأمر شرع فيها فتركه
بعضها وأدخل النقصان في بعضها وعكس في بعضها أنه هل إذا هاضم ما يرثيه سيده أم لا أخبره
خبر أن سيده أرسل اليه رسولا يخرج من ككل ما هو فيه عريا نا ذللا وبقيته على يابه في الحر
والشمس زمانا طويلا حتى اذا ضاق عليه الأمر وبلغ به المجهود أمره رفع خسابه وفقش عن جميع
أعماله فلبها وكثير ما تم أمر به الى سجن ضيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة وقد علم أن سيده
قد فعل بطوائف من عبده مثل ذلك وعصاه بعضهم وهو لا يدري من أى الفريقين يكون فإذا
تفكر في ذلك انكسرت نفسه وذلت وبطل عزه وكبره وظهر خزيه وخوفه ولم يتكبر على أحد من
الخلق بل تواضع رجاء أن يكون هو من شفعائه عند نزول العذاب فكذلك العالم اذا تفكر فيما مضيه
من أواخر ربه بينات على جوارحه يذوب في باطنه من الرياء والحقد والحسد والعجب والتفاخر
وغیره وعلم ما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لاجل حالته * الامر الثانى أن العالم يعرف أن
الكبر لا يلقى الا بالله عز وجل ونحوه وأنه اذا تكبر صار معوقا عند الله بغيره وقد أحب الله عنه
أن يتواضع وقال لما ناك ضيقى قد را ما لم تر لنفسك قد را فان رأيت لنفسك قد را فلا قدر لك
عندى فلا بد وأن يكلف نفسه ما يصح مولاه منه وهذا زيل التكبر من قلبه وان كان يسبقن أنه
لا ذنب له مثلا أو قصر ذلك ومذازال التكبر عن الاتياء عليهم السلام ادعوا أن من نازع الله
تعالى في رده الكبرياء فقصمه وقد أمرهم الله بأن يصغروا أنفسهم حتى يعظم عند الله بحملهم فهذا

أضام يبعثه على التواضع لا محالة فان قلت فكيف يتواضع للفاسق المتطاهر بالفسق والابتدع
وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم باليدوكيف يجمل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى وكيف يغنيه
أن يحيط بربه خطره العلم وهو يعلم أن خطر الفاسق والابتدع أكثر فاعلم أن ذلك انما يمكن بالتفكر في
خطره الخاتمة بل لو نظر الى كافر لم يمكنه أن يتكبر عليه اذ يتصور أن يسلم الكافر فيجتمعه له بالايان ويضل
هذا العالم فيجتمعه له بالكفر والكبر من هو كبير عند الله في الآخرة والكلب والخنزير أعلى رتبة من هو
عند الله من أهل النار وهو لا يدري ذلك فكيف من مسلم نظري حمر رضى الله عنه قبل اسلامه
فاستقره وازدراء لكفره وقد رزقه الله الاسلام وفاق جميع المسلمين الا باليكبر وحده فالعواقب
مطلوبة عن العباد ولا ينظر العاقل الا الى العاقبة وجميع القضايا في الدنيا تارة للعاقبة فاذا من حق
العباد أن لا يتكبر على أحد بل ان نظري جاهل قال هذا عصي الله يجمل وأنا عصيته بعم فهو أعذر
منى وان نظري عالم قال هذا قد علم ما لم أعلم فكيف أكون مثله وان نظري الى كبير هو اكبر منه
سنا قال هذا قد أطاع الله قبل فكيف أكون مثله وان نظري الى صغير قال انى عصيت الله قبله
فكيف أكون مثله وان نظري الى مبتدع أو كافر قال ما يدري لعله يجتمعه له بالاسلام ويختم في بما هو
عليه الآن فليس دوام الهداية الى كالم يكن ابتداءها الى فجلا حطة الخاتمة قدر على أن يتنى التكبر
عن نفسه وكل ذلك بأن يعلم أن الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله لا فيما يظهر في الدنيا من الإبقاء
له ولعمري هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكن حق على كل واحد أن يكون مصروف
الهمة الى نفسه مشغول القلب بخوفه لعاقبته لا أن يشتغل بخوف غيره فان الشئ يسوء الظن مولع
وشغلة كل انسان على نفسه فاذا حبس جماعة في جناية ووعدوا بان تقرب رفاقهم لم يتفرغوا
لتكبر بعضهم على بعض وان مهم الخطر انشغل كل واحد منهم نفسه من الالتفات الى هم غيره حتى
كان كل واحد هو وحده في مصيئته وخطره فان قلت فكيف أبغض المبتدع في الله وأبغض
الفاسق وقد أمرت بغضهم ما هم مع ذلك اتواضع لهما والجمع بينهما متناقض فاعلم أن هذا أمر مشتبه
بالتبس على أكثر الخلق اذ يمتزج غضبك لله في انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم
والورع فكيف من عايد جاهل وعالم مغرور اذ رأى فاسقا جالس يجنبه أزوجه من عنده وتزوجه بكبر باطن
في نفسه وهو ظان أنه قد غضب الله كما وقع لعابدي اسرائيل مع خليجهم وذلك لان المتكبر على المطيع
ظاهر كونه شرًا واحذر منه ممن يمكن والتكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير
فان الغضبان أيضا يتكبر على من غضب عليه والتكبر بغضب وأحدهما يغر الآخر ووجه وهما
مترجان متبستان لا يميز بينهما الا الموقعون والذي يخلصك من هذا أن يكون الحاضر على قلبك عند
مشاهدة المبتدع أو الفاسق أو عند أمرهما بالمعروف ونههما عن المنكر ثلاثة أمور أحدها
التفانك الى ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليصرف عند ذلك قدرتك في هينك والثاني أن تكون
ملاحظتك لما أنت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث انما انعمه الله تعالى
عليك فله المنة فيه لا لا تقوى ذلك منه حتى لا تجب بنفسك واذا لم تصب لم تتكبر والثالث ملاحظة
انها ما عاقبتك وعاقبته أنه ربما يجتمعه لك بالسوء ويختم له بالحسنى حتى يشغلنا الخوف عن التكبر عليه
فان قلت فكيف أعجب مع هذه الاحوال فأقول تغضب لولاك وسيدك اذ أمرك أن تغضب له
لأنفسك وأنت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا لوضعا حياك هال كابل يكون خوفك على نفسك بما
علم الله من خطاياك ذنوبك أكثر من خوفك عليه مع الجهل بالجامعة وأمر فكذلك بمشال لنعلم أنه ليس
من ضرورة الغضب لله أن تتكبر على الغضوب عليه وترى قدرتك فوق قدره فأقول اذ كان لك

غلام وولد هو قرّة عينه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وأمره أن يضربه مهما أساء أدبه واشتغل بما لا يليق به فغضب عليه فان كان الغلام محباً لمطاعاً لولاه فلا يجيد بداه من أن يغضب مهما رأى ولده قد أساء الأدب وإنما يغضب عليه لولاه ولأنه أمره به ولا يدرى التقرب بامتنال أمره إليه ولا أنه جرى من ولده ما يكره مولاه فيضرب ولده فغضب عليه من غير تكبر عليه بل هو متواضع لمن يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لأن الولد أحرأ حالاً من الغلام فادن ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك أن تنظر الى المتبذع والفاسق وتظن أنه ربما كان قدرهما في الآخرة عند الله أعظم لما سبق لهما من الحسنى في الأزل ولما سبق لك من سوء القضاء في الأزل وأنت غافلي عنه ومع ذلك تغضب بحكم الأمر بحبه لولاه إذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز أن يكون عنده أقرب منك في الآخرة فهكذا يصكون بغضب العلماء الاكياس فيضمن اليه الخوف والتواضع وأما المذمور وفانه يتكبر ويرجو لنفسه أكثر ما يرجوه لغيره مع جهله بالعاقبة وذلك غاية الضرور فهذا اسبيل التواضع لمن عصي الله واعتقد البدع مع الغضب عليه ومجانبة بحكم الأمر (السبب السابع) التكبر بالورع والعبادة وذلك أيضاً فتنة عظيمة على العباد وسبيله أن يزرع قلبه التواضع لساير العباد وهو أن يعلم أن من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي أن يتكبر عليه كنعما كان لما رفته من فضيلة العلم وقد قال تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي الى غير ذلك مما ورد في فضل العلم فان قال العابد ذلك لعالم جاهل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له أما عرفت أن الحسنات يذهبن السيئات وكان العلم يمكن أن يكون حجة على العالم فكذلك يمكن أن يكون وسيلة لهو وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما يمكن وقد وردت الاخبار بما يشهد بذلك وإذا كان هذا الأمر غائباً عنه لم يحزله أن يحقر عالماً بل يجب عليه التواضع له فان قلت فان صح هذا فبني أن يكون للعالم أن يرى نفسه فوق العابد لقوله عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي فاعلم أن ذلك كان ممكناً لو علم العالم عاقبة أمره وخاتمة الأمر مشكوك فيها فيستعمل أن يموت بحيث يكون حاله عند الله أشد من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان بحسبه هيناً وهو عند الله عظيم وقدمته به وإذا كان هذا ممكناً كان يصلي نفسه خاتماً فإذا كان كل واحد من العابد والعالم خاتماً على نفسه وقد كفأ أمر نفسه لا أمر غيره فينبغي أن يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء وذلك ينفع من التكبر بكل حال فهذا حال العابد مع العالم فأما مع غير العالم فهم منقسمون في حقه الى مستورين وإلى مكشوفين فينبغي أن لا يتكبر على المستور فقلعه أقل منه ذنوباً وأكثر منه عبادة وأشد منه حياءً وأما المكشوف حاله ان يظهر لك من الذنوب الاما تريد عليه ذنوبك في طول عرك فلا ينبغي أن تتكبر عليه ولا يمكن أن تقول هو أكثر مني ذنباً لان عدد ذنوبك في طول عرك وذنوب غيرك في طول العمر لا تقدر على احصائها حتى تعلم الكثرة نعم يمكن أن تعلم أن ذنوبه أشد كالوراء من القتل والشرب والزنا ومع ذلك فلا ينبغي أن تتكبر عليه اذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والغل والاعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله تعالى وتجبيل الجلط في ذلك كل ذلك شديد عند الله فربما جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله محقراً قد جرى القبايق الطاهرا الفسق من طاعات القلوب من حب الله واخلاص وخوف وتوحيظ ما أنت خال فيه وقد كفر الله بذلك عنه سبحانه فيكشف الظواهر للقيامه بقراءه فوق نفسك يديجات فهنا يمكن والامكان البعيدة فيها عليك ينبغي أن يكون قريباً عندك لك تكتم مشقة على نفسك فلا تنفكر فيها هو ممكن لا يترك بل

فما هو مخوف في حقا فانه لا تزوارزة وزر أخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيئا من عذابك
 فاذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن أن ترى نفسك فوق غيرك وقد
 قال وهب بن منبه ماتم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعذبة حتى يبلغ العاشر فقال
 العاشر وما العاشرها سادس عده وبعلاذ كره أن يرى الناس كلهم خيرا منه وإنما الناس عنده
 فرقان فرقة هي أفضل منه وأرفع وفرقة هي شر منه وأدنى فهو يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه أن
 رأى من هو خير منه سر ذلك ونعى أن يلق به وإن رأى من هو شر منه قال لعل هذا ضيق وأهلك
 أنا فلا تراه إلا خاتما من العاقبة يقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا أدري لعل فيه خلقا كريما
 بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه ويحتم له بأحسن الاعمال ويرى ظاهرا فذلك شر لي فلا يأمن
 قبيحا أظهره من الطاعة أن يكون دخلها الآفات فأحبطها ثم قال حينئذ كل عقله وساد أهل زمانه
 فهذا كلامه وبالجملة فمن جوز أن يكون عند الله شيئا قد سبق القضاء في الازل بشقوته فإله سبيل
 إلى أن يتكبر بحال من الاجوال نعم اذا غلب عليه الخوف رأى كل احد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة
 كما روى أنا عابدا أوى إلى جبل فقيل له في النوم انت فلانا الاسكاف فله أن يدعوك فأتاه فأسأله
 عن عمنه فأخبره أنه يصوم النهار ويكسب فيسحق بيضه ويطعم حياله بيضه فرجع وهو يقول
 ان هذا لحسن ولكن ليس هذا كالفرع لطاعة الله فأتى في النوم ثانيا فقيل له انت فلانا الاسكاف
 فقل له ما هذا الصغار الذي يوجهك فأتاه فأسأله فقال له ما رأيت احدا من الناس الا وقع في انه
 سيدنوا هلك أنا فقال العابد لهذه والذي يدل على فضيلة هذه الخصلة قوله تعالى يؤتون ما أتوا
 وقلوبهم وجلة انهم إلى ربهم راجعون أي انهم يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال
 تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وقال تعالى أنا تكافيل في آلهنا مشفقين وقد وصف الله
 تعالى اللائكة عليهم السلام مع تقدسهم من الذنوب ومواظبتهم على العبادات على الدوام بالاشتغال
 فقال تعالى يخبر عنهم لسجود الليل والنهار لا يفترون وهم من خشية مشفقون فتي زال الاشتغال
 والحذر عما سبق به القضاء في الازل وينكشف غيب خاتمة الاجل غلب الامن من مكر الله وذلك
 يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الامن والامن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو
 مسعد فاذن ما يفده العابد ضما والكبر واحقار الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار أكثر مما
 يصلحه يظهر الازمال فلهذا معارف ما يزال داء الكبر عن القلب لا غير الا أن النفس بعد هذه المعرفة
 قد تضرر التواضع وتدعى البراءة من الكبر وهي كاذبة فاذا وقعت الواضحة عادت الى طبعها ونسيت
 وعبد هاتين هذا لا ينبغي أن يتكفي في المداواة بغير المعرفة بل ينبغي أن تكل بالعمل وتجرب بأفعال
 المتواضعين في مواقع هيئات الكبر من النفس ويانه أن يخمن النفس بمخمس امتحانات هي أدلة
 على استحقاق ما في الباطن وأن كانت الامتحانات كثيرة الامتحان الاول أن ناظر في مسألتهم
 واحد من أقرانه فان ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فتقل عليه قبوله ولا تقباده ولا الاعتراف
 به والشكر له على تبه هو ثم يفهمه واخر اجله الحق فذلك يدل على أن فيه كبرا فنيما فليتنق الله فيه
 ويستغل بعلاجه أما من حيث العلم فيان يذك نفسه خسة نفسه وخطرا عاقبته وأن الكبير لا يلق
 إلا بالله تعالى وأما العمل فيأن يكلف نفسه ما نقل عليه من الاعتراف بالحق وأن يطلق اللسان
 بالحدو والثناء بقر على نفسه بالعز وشكره على الاستفادة ويقول ما أحسن ما فطنت له وقد كنت
 غافلا عنه فإز الله خيرا كان حتى له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغي أن يشكر من دله
 عليها فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعاً وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له

قبوله ومهما نقل عليه الثناء على آفرانه بما فهم فيه كبر فان كان ذلك لا ينقل عليه في الخلوة ونقل
عليه في الملاقيس فيه كبر وانما فيه راء فلعلناج اليا بمبدأ كراهه من قطع الطمع عن الناس ويذكر
القلب بأن منصفته في كاله في ذاته وعند الله لا عندنا خلق الى غير ذلك من أدوية اليا ما وان نقل عليه
في الخلوة والملاقيس فيه الكبر واليا جميعا ولا يتفعه الخلاص من أحدهما ما ينقل من الثاني
فليعالج كلا المادتين فانهما جميعا مالهكان • الامتحان الثاني أن يجتمع مع الاقران والامثال
في المحافل وقدمهم على نفسه وعشى خلفهم ويجلس في الصدور تحتم فان نقل عليه ذلك فهو
متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يستطع عنه ثقله فبذلك يراه الكبر وهما الشيطان مكيدة
وهو أن يجلس في صف النعال أو يجعل ينمو بين الاقران بعض الازنال فيظن أن ذلك تواضع وهو
عين التكبر فان ذلك يخفف على نفوس المتكبرين اذ يرون أنهم تركوا ما كانهم بالاستعاق والتفضل
فيكون قد تكبروا وتكبروا اظهار التواضع أيضا بل ينبغي أن يقدم آفرانه ويجلس بينهم بينهم ولا يخط
عنه الى صف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن • الامتحان الثالث أن
يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق في حاجة الرفقاء والافارب فان نقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه
الافعال من مكارم الاخلاق والثواب عليها جزل فغفور النفس عنها ليس الانبث في الباطن
فليس تنقل بازانته بالواظب عليه مع تذكريه ما ذكرناه من المعارف التي ترسل ذاه الصبر
• الامتحان الرابع أن يعمل حاجة نفسه وحاجة أهله ورفقائه من السوق الى البيت فان أبى
نفسه ذلك فهو كبر أو رياء فان كان ينقل ذلك عليه مع خلق الطريق فهو كبر وان كان لا ينقل عليه
الامع مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من أمراض القلب وعمله المهلكة له أن لم يتنازل وقد
أهل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الاجساد مع أن الاجساد قد كسب عليها الموت لاهالة
والقلوب لا تدرك السعادة الا بسلامتها اذ قال تعالى الامن أنى الله قلب سلم • وروى عن
عبدالله بن سلام أنه حمل حزمة حطب ثقيل له يا يا يوسف فذكان في ضلالتك بذك ما يتكلم قال
أجل ولكن أردت أن أجرب نفسي هل تذكر ذلك فلم ينفع منها بما أعطته من العزم على ترك الانفة
حتى جربها أي صابدة أم كانت ذوق في الخمر من حمل الفاكهة أو الشئ قد برئ من الكبر • الامتحان
الخامس أن يلبس ثيابا بلة فان ثور النفس عن ذلك في الملازما في الخلوة كبر وكان عمر بن عبد
العزيز رضي الله عنه له مسح بلبسه بالليل وقد قال صلى الله عليه وسلم من اعتزل البعر وليس
الصوف قد برئ من الكبر وقال له السلاام انما أنا عبد كل بالارض والبس الصوف وأعتل
البعر والعق أصابعي وأجيب دعوة المملوك فن رغب من سنتي فليس مني • وروى أن أبا موسى
الاشعري قيل له ان أقواما يتخلون عن الجمعة بسبب ثيابهم فليس عبادة فضلي فيها بالناس وهذه
مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فليجتنب باللا فهو الرياء ما يكون في الخلوة فهو الكبر فاعرف
فان من لا يعرف الشر لا يتقوه ومن لا يدرك المرض لا يداويه

﴿ بيان غاية الرياضة في خلق التواضع ﴾

اعلم أن هذا الخلق كسائر الاخلاق له طرفان وواسطة فطرفه الذي يعمل الى الزيادة يسمى
تكبرا وطرفه الذي يعمل الى النقصان يسمى تخاسبا ومذلة والوسط يسمى تواضعا والمجوز أن
يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فان كسلا طريق الامور ذم وأحب الامور الى الله تعالى
أوساطها فن يتقدم على أمثاله فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع أي وضع شيئا من قدره
الذي يستحقه والعالم اذا دخل عليه اسكن فتنى له عن محله وأجاسه فيه ثم تقدم وسوى له ثقله

وغدا الى باب الدار خلفه فقد تناسس وتذلل وهذا أيضا غير محمود بل المحمود ضد الله العدل وهو أن يعطى كل ذي حق حقه فينبغي أن يتواضع بمثل هذا لآفته ومن يقرب من درجته فاما تواضعه للسوق فيالقيام والبشرى في الكلام والرفق في السؤال واجابة دعويته والسعي في حاجته وأمثال ذلك وأن لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه أخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة أمره فإذا سبيله في اكتساب التواضع أن يتواضع للاقران ولن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود في محاسن العادات ليزول به الكبر منه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وان كان يتقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فان خف ذلك وصار بحيث يتقل عليه رعاية قدره حتى أحب التلق والتحاسن فقد خرج الى طرف النقصان فليرفع نفسه اذ ليس للؤمن أن يدل نفسه الى أن يعود الى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك عامض في هذا الخلق وفي سائر الاخلاق والميل من الوسط الى طرف النقصان وهو التلق أهون من الميل الى طرف زيادة التكبر كما أن الميل الى طرف التذبر في المال أحمد ضد الناس من الميل الى طرف فناء التذبر ونهاية الجمل مذمومان وأحدهما أنفج من الآخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الأمور مواضعها كتجيبه على ما يجب كما يعرف ذلك بالشعر والعادة ولتتصر على هذا التقدير من بيان أخلاق الكبر والتواضع (الشعر الثاني من الكتاب) في الحب وفيه بيان ذم الحب وآفته وبيان حقيقة الحب والادلال وحدهما وبيان علاج الحب على الجملة وبيان أقسام ما به الحب وتفصيل علاجه

بيان ذم الحب وآفته

اعلم أن الحب مذموم في كتاب الله تعالى ومنه قوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ويوم خبير اذ أعجبتمكم كثيرتم فلم تقن عنكم شيئا ذك ذلك في معرض الانكار وقال مزوج ولظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأنهم الله من حيث لم يحتسبوا فذكر على الكفار في أعجابهم حصونهم وشوكتهم وقال لئن لم يكن بهم حصون أنهم يحسنون صنعوا وهذا أيضا يرجع الى الحب العجل وقد يهيب الانسان بمل هو غفائي فيه كما يهيب بمل هو مصيب فيه * وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال لا يثعلبه حيث ذكر آخر هذه الاثمة فقال اذا رأيت شعما مطاعا وهوى متبعا واعجابا فاعجب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك وقال ابن مسعود المهلاك في اثنتين القنوط والحب وانما جمع بينهما لان السعادة لا تنال الا بالسعي ولطلب والجد والقنوط والفاظ لا يسعى ولا يطلب والحب يستعد أنه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعى فالمرجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد الحب حاصلة له ومستحيلة في اعتقاد القانط فمن هنا جمع بينهما * وقد قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم قال ابن جرير معناه اذا علمت خيرا فلا تقل علمت وقال زيد بن أسلم لا تبروها أي لا تصدقوا أنها بارة وهو معنى الحب * وورق طلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بنفسه فأكب عليه حتى أصيبت كفه فكانه أعجبه فقله العظيم اذ قد أبرو وخه حتى جرح فقتل من ذلك عرقه فقال ما زال يعرف في طلبة فأومد أصيبت أصبعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والتأوهو الحب في اللغة الا أنه يتقل فيه أنه أظهره واحقر مسلأ وليا كان وقت الشورى قال له ابن عباس أين أنت من طلبة قال ذلك رجل فيه نخوة فإذا كان لا يتخلص من الحب أمثالهم فكيف يتخلص الضعفاء ان لم يأخذوا حذرهم وقال مطرف لأن

أيت ناموا أصبح نادما أحب إلى من أن أيت قائما وأصبح مجبوا قال صلى الله عليه وسلم لو لم تنسوا
تغشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك الحب ففعل الحب أكبر الذنوب وكان بشرى من منسوخ من
الذين نادوا وذكر الله تعالى والدار الآخرة فلو كانت على العادة فأطال الصلاة يوما ورجل خلقه ينظر
فقطن له بشر فلما انصرف عن الصلاة قال لا يفيتك مارأيت مني فان ابليس لعنه الله قد صد الله
تعالى مع الملائكة مدة طويلة ثم صار إلى ما صار إليه وقبل لعائشة رضي الله عنها مني يكون الرجل
مسيئا قالت اذا طلق أنه محسن وقد قال تعالى لا تطعوا مبغضاتكم بالحق والادنى والمن تنجيه استعظام
الصدقة واستعظام العمل هو الحب فظهر بهذا أن الحب مذموم جدا

بيان آفة الحب

اعلم أن آفات الحب كثيرة فان الحب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه كذا كراهه فيقول من الحب
الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تحصى هذا مع العباد وأما مع الله تعالى فالحب يدعو إلى
نسيان الذنوب وإهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقد هالطنه أنه مستغن من تقدرها فنساها
وأنشد كره منها فسحقه ولا يستغفمه فلا يجتهد في تداركها كونه تلافيه بل ينظر أنه يغفر له وأما
العبادات والأعمال فإنه يستغفرها ويتعصها ويحبها ويحبها على الله يفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق
والتمكين منها ثم إذا أحب بها محي من آفاتنا ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر تسميه ضائعا
فان الأعمال الظاهرة إذ لم تكن خالصة نية من الشوائب فلما تنفع وانما يتقدم من طلب عليه
الاشفاق والخوف دون الحب والحب يغتر بنفسه ويرأيه يأمن مكر الله وعذابه ونظر أنه
عند الله بمكان وأن له عند الله من حقا بأعماله التي هي نعمة من نعمه وعظيم من عطايه أو يخرج
الحب إلى أن يثني على نفسه ويحدها ويركها وان أعجب أي عمله وعقله منع ذلك من الاستفادة
ومن الاستشراق والسؤال فيسبب نفسه ورأيه ويستكشف من سؤال من هو أعلم منه ويرجى
يحب بالآراء الخطأ الذي خطر له ففرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخواطر غيره فصر عليه ولا
يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر إلى غيره بعين الاستهمال وبصر على خطئه فان كان رأيه
في أمر ديني فيحقق فيه وان كان في أمر دني لا سيما فيما يتعلق بأصول العقائد فيعلمه ولو اتهم
نفسه ولم يثنى برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواتب على مذابرة العلم وتابع
سؤال أهل البصيرة لكان ذلك يوصله إلى الحق فهذا أو أمثاله من آفات الحب فلذلك كان من
المهلكات ومن أعظم آفاته أن يترقى في السعي لظنه أنه قد فاز وأنه قد استغنى وهو الهداك الصريح
الذي لا شبهة فيه نسال الله تعالى العظيم حسن التوفيق لطاعته

بيان حقيقة الحب والادلال وحدهما

اعلم أن الحب انما يكون بوصف هو كال الأعمال والعالم بكامل نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان
احداهما أن يكون خائفا على زواله ومشفقا على تحككه أو سلبه من أصله فهذا ليس بحب
والأخرى أن لا يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحاً به من حيث أنه نعمة من الله تعالى عليه لا من
حيث اضاقته إلى نفسه وهذا أيضا ليس بحب ولما حالته ثالثة هي الحب وهي أن يكون غير خائف
عليه بل يكون فرحاً به مطمئنا إليه ويكون فرحاً به من حيث أنه كمال ونعمة وخير ورفعة لا من
حيث أنه عطية من الله تعالى ونعمة منه فيكون فرحاً به من حيث أنه صفة ومنسوب إليه بأنه له
لا من حيث أنه منسوب إلى الله تعالى بأنه عنه فهو أغلب على قلبه أنه نعمة من الله بها ما سلبها
عنه زال الحب بذلك عن نفسه فإذا الحب هو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان انضائها إلى

المنعم فان انضاف الى ذلك أن غلب على نفسه أن له عند الله حقاً وأنه منه يمكن حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا واستعداداً فيحري عليه مكره واستعداداً يذلي استعداد ما يجري على الفاسق سبي هذا ادلالاً بالعمل فكأنه يرى لنفسه على الله القو وكذلك قد يعطي غيره شيئاً فيستغفنه ويمن عليه فيكون معهما فان استغفنه أو اقترح عليه الاقتراحات أو استبعد تحفظه من قضاء حقوقه كان مدلاً عليه وقال قتادة في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر رأ لا تدل بعلمك وفي الخبر ان صلاة المدلل لا ترفع فوق رأسه ولا ن تحضك وأنت معترف بملك خير من أن تبكي وأنت مدلل بعلمك والادلال وراء الحب فلا مدلل الا وهو محبوب ورب محبوب لا يدل اذا الحب يحصل بالاستغظام ونسب ان النعمدون توقع جزاء عليه والادلال لا يتم الا مع توقع جزاء فان توقع اجابه بدعوتيه واستنكر رذهايا طنه ونجس مته كان مدلاً بعمله لانه لا يحب من رذعاه الفاسق ونجس من رذعاه نفسه لذلك فهدا هو الحب والادلال وهو من مقدّمات الكبر وأسبابه والله تعالى أعلم

بيان علاج الحب على الجلبه

اعلم أن علاج كل غلة هو مقابلة سببها بصدده وعلة الحب الجلب المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجلب فقط فلتفرض الحب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق واصلاحهم فان الحب بهذا أغلب من الحب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يحب انما يحب به من حيث انه فيه هو محله وبجراه أو من حيث الله منه وسببه وبقدرته وقوته فان كان يحب به من حيث الله فيه وهو محله وبجراه يجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا اجهل لان الجلب مسخر ويجري لا مدخل له في الاتحاد والتصيل فكيف يحب بما ليس اليه وان كان يحب به من حيث أنه هو منه واليه وباختياره حصل وبقدرته تم فنبني أن يتأمل في قدرته وارادته وأعضائه وسائر الاسباب التي بها يتم علمه انما من أين كانت له فان كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة بدلي بها فينبغي أن يكون اعجاب به بحمد الله وكرمه وفضله اذا فاض عليه ما لا يستحق وآثره به على غيره من غير سائق وسببه فلهما رز الملك لقلته ونظر الهم وخلع من جلتهم على واحد منهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لجمال ولا لخدمة فنبني أن يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه واشارته من غير استحقاق واعجاب بنفسه من أين وما سببه ولم ينبغ أن يحب هو نفسه ثم يجوز أن يحب العبد بقول الملك حكم عدل لا يظلم ولا يقتدم ولا يؤخر الاسباب فلو لا أنه تقطن في صفة من الصفات الحمودة الباطنة لكانت اقصى الاثار باخلعة ولما آثرني بها فقال وتلك الصفة أيضا هي من خلعة الملك وعطيته التي خصصك بها من غيرك من غير وسيلة وهي عطية غيره فان كانت من عطية الملك ايضا لم يكن لك أن تعجب به بل كان كالواو اعطاك فرسا فلم تعجب به فأعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول انما اعطاني غلاما لا في صاحب فرس فأما غيري فلا فرس له فقال وهو الذي اعطاك الفرس فلا فرق بين أن يعطيك الفرس والغلام معاً أو يعطيك أحدهما بعد الآخر فاذا كان الكل منه فنبني أن يعجبك جوده وفضله وانفسك وأمانا كانت تلك الصفة من غيره فلا بعد أن تعجب بتلك الصفة وهذا انصور في حق الملوك ولا تصور في حق الجبار القاهر ملك الملوك المنفرد بآثاره خاتع الجميع المنفرد باجساد الموصوف والصفة فانك ان أعجبت بعبدك وتكلمت وقتي العبادة لحي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فستقول هو فقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداءً لئلا يمتنع من غير استحقاق من جهتك ادلا وسيلة لك ولا علاقة فيصكون الاعجاب بحمد الله انهم بوجودك ووجود

صفائك وجود أعمالك وأسباب أعمالك فاذا لامعني لعب العباد بعبادته وعجب العالم بعباده وعجب
الجيل بعباده وعجب القتي بعباده لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفضان فضل الله تعالى
وجوده والمحل ايضا من فضله وجوده فان قلت لا يمكنني أن أجهل أعمالي وإني أعلمها فاني انتظر
عليها فاولواولها علمي لما انتظرت فوايا فان كانت الاعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن أين لي
الثواب وان كانت الاعمال مني وقد رقي فكيف لا أعجبها فاعلم أن جوابك من وجهين
أحدهما هو صريح الحق والأخر فيه مسامحة أما صريح الحق فهو أنك وقد رتق وارادتك وحركتك
وجميع ذلك من خلق الله واخترعه فاعلمت اذ علمت وما صليت اذ صليت وما ربيت اذ ربيت
ولكن الله رمي فهذا هو الحق الذي انكشف لارباب القلوب بمشاهدة أوضاع من ابصار العين بل
خلقك وخلق أعضاءك وخلق فيك القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الإرادة
ولو أردت أن تتني شيئا من هذا عن نفسك تقدر عليه ثم خلق الحركات في أعضاءك مستبدا
باختراعها من غير مشاركتك من جهتك معني الاختراع الا أنه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة مالم
يخلق في الضوقة وفي القلب ارادة ولم يخلق ارادة مالم يخلق علما بالمراد لم يخلق علما بالمخلق القلب
الذي هو محل العلم قد ريجيه في الخلق شيئا بعد شيء هو الذي خيل لك أنك أوجدت ملك وقد
غلطت وايضا ذلك وكيفية الثواب على عمل هومن خلق الله سباني تقررره في كتاب الشكر فانه
أليق به فارح اليه ونحن الآن نزيل اشكالك بالجواب الثاني الذي فيه مسامحة تمام هو أن تحسب
أن العمل حصل بقدرتك فمن أين قدرتك ولا يتصور العمل الا بوجودك وجودك ووجودك وواردتك
وقدرتك وسائر أسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لملك فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه
وهذا المفتاح بيد الله ومهمالم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل فالعبادات خزائن بها توصل الى
السعادات ومفاتيح القدرة والارادة والعلم وهي بيد الله لا تخاف أن رأيت لورأيت خزائن المنهج مجموعة
في قلعة حصينة ومفاتيحها بيدنا نحن ولوجست على بابها وحول حيطانها ألف سنة لم يمكنك أن
تنظر الى دينار مما فيها ولو أعطاك المفتاح لا خذته من قريب بأن تبسط يدك اليه فتأخذ فقط فاذا
اعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها ومكنك منها فددت يدك وأخذتها كان اعجابك باعطائه
الخازن المفاتيح أو بما اليك من مبدل أو أخذها فلا تشك في أنك ترى ذلك نعمة من الخازن لان
المؤنة في تحريك اليد بأخذ المال قريصة وانما الشبان كله في تسليم المفاتيح فكذلك مهمما خلقت القدرة
وسلطة الارادة الجازمة وحركت الدواعي والبواغث وصرف منك الموانع والصوارف حتى
لم يبق صارف الا دفعه ولا باعث الا وكل بك فالعمل حين عليك وتحريك البواغث وصرف العوائق
ونهية الاسباب كلها من الله ليس شيء منها اليك في العوائب أن تعيب نفسك ولا تعيب عن اليه
الامر كله ولا تعيب بجموده وفضله وذكركه في اشارة اياك على الفاسق من عباده ان تسلط دواعي
الفاسد على الفاسق وصرفها عنك وسلط أعداء السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكتم
من أسباب الشهوات والذات وزواها عنك وصرف عنهم بواغث الخير ودواعي وسلطها عليك
حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جرم سابقة من
الفاسق العاصي بل أنزلك وقتلك واصطفاك بفضل الله بعد العاصي وأشفاه بعد الباطل أعجب اعجابك
بنفسك اذ مرقت ذلك فاذا اتصرف قدرتك الى القدور لا يتسلط الله عليك داعية لا تتجسدا
الى مخالفتها فكأنه الذي اضطررك الى الفعل ان كنت فاعلا تتخفف عليه الشكر والمنة لا لا وسباني
في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الاسباب والسيئات ما تنسب به الله لا فاعل الا الله

ولا خالق سواه والحب من يعجب اذا رزقه الله عقلا وأقره من أفاض عليه المال من غير علم فيقول
كيف منعني قوت يورى وأنا العاقل الفاضل وأفاض على هذا اتعم الدنيا وهو الغافل الجاهل حتى
يكاذبني هذا الظالم ولا يدري المغرور أنه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم أشبه
في ظاهرها الخيال اذ يقول الجاهل الفقير يارب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتي منهما فاهلا
جمعتهما لي أو هلازرتني أحدهما والى هذا أشار على رضى الله عنه حيث قيل له ما بال العقلاء
تقصر أفعال ان عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والحب أن العاقل الفقير ربما يرى الجاهل
الغنى أحسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وعنايه عوضا عن عقلك وتترك لا تمنع عنه فاذا
ذلك يدل على أن نعمة الله عليه أكبر فلم يعجب من ذلك والمرأة الحسنة الفقيرة ترى الخنى والجواهر
على الله حيلة القبيحة فتعجب وتقول كيف يرم مثل هذا الجبال من الزينة ويخصص مثل ذلك التبع
ولا تدري المغرورة أن الجبال محسوب عليها من رزقها وانما الوخيرت بين الجبال وبين التبع مع الغنى
لأنرت الجبال فاذا نعمة الله عليها أكبر وقول الحكيم الفقير العاقل بقلبه يارب لم حرمتي الدنيا
وأعطيتها للجهال كقول من أعطاه الملك فرسا فيقول أيها الملك لم لا تعطيني الغلام وأنا صاحب
فرس فيقول كنت لا تعجب من هذا الولم أعطك الفرس فهب انى ما أعطيتك فرسا أصارت لعمى
عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة أخرى فهذه أو همام لتتحلوا للجهال عنها ومنشأ جميع ذلك
الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق بأن العبد وعمله وأوصافه كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتدأ بها
قبل الاستحقاق وهذا بنى الحب والاذل وبورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة
ومن عرف هذا لم يتصور أن يعجب بعلمه وعمله اذ يعلم أن ذلك من الله تعالى ولذلك قال داود عليه
السلام يارب ما تأنى ليلة الا انسان من آل داود قائم ولا يأتى يوم الا وانسان من آل داود صائم
وفي رواية ما تمر ساعة من ليل أو نهار الا وعابد من آل داود يعبدك انما يصلى وانما يصوم وانما
يذكرك فأوحى الله تعالى اليه يا داود ومن أين لهم ذلك ان ذلك لم يكن الاى ولولا عوفى بالذات ما قويت
وساكنك الى نفسك قال ابن عباس انما أصاب داود ما أصاب من المذنب بهبه بجملة اذ أضافه
الى آل داود مدلا به حتى وكل الى نفسه فأذنب ذنبا أورثه الحزن والندم وقال داود يارب ان بنى
اسرائيل يسألونك يا ابراهيم واسحاق ويعقوب فقال انى ابتليتهم فصبروا وقابل يارب وانما ابتليتني
صبرت فأدل بالعلم قبل وقته فقال الله تعالى فاني لم أخبرهم بأى نبي ابتليهم ولا فى أى شهر ولا فى أى
يوم وانما أخبرتك فى سنك هذه وشهرك هذا بتليغ عبد ابراهيم فأحذر نفسك فوق فيما وقع فيه
وكذلك لما اتكل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوان فضل
الله تعالى عليهم وقالوا لا تغلب اليوم من قلة وكثروا الى أنفسهم فقال تعالى ويوم خبرنا اذ عجبتمكم
كثرتكم فلم تكن عنكم شيئا وضائق عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * وروى ابن عينة
أن أيوب عليه السلام قال الهى انك ابتليتني هذا البلاء وما ورد على أمر الآثرت هو لك على هواى
فتودى من حمامة بغيره آلاف صوت يا أيوب أى لك ذلك أى من أين لك ذلك قال فأخذ رمادا
ووضعه على رأسه وقال منك يارب منك يارب فرجع من نسيانه الى اضافة ذلك الى الله تعالى
ولذلك قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكنا منكم من أحد أبدا وقال النبي صلى الله عليه
وسلم لا يحبه وهم خير الناس ما منكم من أحد نجيحه عمله قالوا لا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن
يتعمدنى الله برحمته ولقد كان أصحابه من بعدهم يمتنون أن يكونوا زانبا وبنوا طيرامع صفاء أعمالهم
وقلوبهم فكيف يكون لدى بصيرة أن يعجب بعلمه أو يدل به ولا يخاف على نفسه فاذا هذا هو العلاج

القائم لماذا الحب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة من الاعجاب
 باهل هو ينظر الى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الايمان والطاعة بفرد ذنب اذنبوه من قبل
 فيخاف من ذلك فيقول ان من لا يالى ان يحرم من غير جنابة ويعطى من غير وسيلة لا يالى ان يعود
 ويسترجع ما وهب فكم من مؤمن قد ارتد وطمع قد فسق وختم له بسوء هذا لا يبتى معه عجب بحال
 والله تعالى أعلم **بيان أقسام ما به الحب وتفصيل علاجه**
 اعلم ان الحب بالاسباب التي بها يتكبر كاذرناه وقد يجب على المتكبر به كعبه بالرى الخطأ الذى
 يزين له يجهله فإبه الحب ثمانية أقسام * الاول ان يحب يدينه في جماله وهيبته وحقته وقوته
 وتناسب أشكاله وحسن صورته وحسن صوته وبالجملة تفصيل خلقته فيلفت الى جمال نفسه
 ويتبني انه نعمة من الله تعالى وهو يعرضه الزوال في كل حال وعلاجه ما ذكرناه في الكبر بالجمال
 وهو التفكير في أقدار باطنه وفي أول أمره وفي آخره وفي الوجوه الجميلة والابدان الناعمة انها كيف
 تمزقت في التراب وانتفت في القيور حتى استقدرتها الطباع * الثاني البطش والقوة كما حكي
 عن قوم عاد حين قالوا فميا أخبر الله عنهم من أشد منا قوة كما أشكل عوج على قوته وأعجب بها فاقطع
 جبلا لطبقه على عسكر موسى عليه السلام فنقب الله تعالى تلك القطعة من الجبل بقرحه هده
 ضعيف النفا حتى صارت في هتفه وقد ينشك المومن أيضا على قوته كإروى من سليمان عليه
 السلام انه قال لأطوفن الليلة على مائة امرأة ولم يقل ان شاء الله تعالى فحرم ما أرغم من الولد كذلك
 قول داود عليه السلام ان ابتليتني صبرت وكان اعجابا منه بالقوة فلما ابتلى بالمرأة لم يصبر وورث
 الحب بالقوة المجهوم في الحروب والقاء النفس في التهلكة والمبادرة الى الضرب والقتل لكل من
 قصد بالسوء وعلاجه ما ذكرناه وهو ان يعلم ان حتى يوم تصف قوته وانه اذا أعجبها ر بما سلبها
 الله تعالى بأدنى آفة تسلطها عليه * الثالث الحب بالعقل واليكسرة والتقن لدقائق الامور من
 مضامح المدن والديناو عمره الاستعداد بالارى ذلك المشورة واستعمال الناس الخافقين له ورأيه
 ويخرج الى قلة الاصفاء الى أهل العلم امراضا عنهم بالاستغناء بالرى والعقل واستقار العلم واهانه
 وعلاجه ان يشكر الله تعالى على ما رزق من العقل ويتفكر انه بأدنى مرض يصيب دماغه كيف
 يوسوس ويحين بحيث يضحك منه فلا يأمن من أن يسلب عقله ان أعجب به ولم يقم بشكره وليست قصر
 عقله وعلمه ولعلم أنه ما أوتى من العلم الا قليلا وان اتسع علمه وان ما جهله مما عرفه الناس أكثر
 مما عرفه فكيف عالم يعرفه الناس من علم الله تعالى وأن يتهم عقله وينظر الى الخفي كيف يجهلون
 يعقلهم ويضحك الناس منهم فيصذر ان يكون منهم وهو لا يدري فان القاصر العقل قط لا يعلم قصور
 عقله فينبغي أن يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن أعدائه لا من أصدقائه فان من يباهنه
 بثنى عليه فيزيده عجباً وهو لا يظن بنفسه الا الخير ولا يظن لجهل نفسه فيزياده عجباً * الرابع
 الحب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى ينظر بعضهم أنه بنو شرف نسبة ونجاة آباءه
 وانه مغفور له ويتقبل بعضهم ان جميع الخلق له موال وعبيد وعلاجه ان يعلم أنه مهما خالف آباءه
 في أفعالهم وأخلاقهم ووطن أنه ملحق بهم فقد جهل وان اقتدى بآبائه فكان من أخلاقهم الحب
 بل الخوف والازراء على النفس واستغظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم
 والحصول الحميدة لا بالنسب فليتشرف بمشرفوا به وقد ساءوا هم في النسب وشاركهم في القبائل
 من لم يؤمن بالله واليوم الآخر وضاكنوا عند الله شر من الكلاب وأحسن من الخنازير ولذلك
 قال تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكروا أنثى أى لا تفاوت في أنسابكم لا اجتماعكم في أصل واحد

ثم ذكر فائدة النسب فقال وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ثم بين أن الشرف بالتقوى لا بالنسب
فقال أن أكرمكم عند الله أتقاكم ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس من أكبس
الناس لم يقل من باقى إلى نسي ولكن قال أكرمهم أكثرهم للوثة ذكراً أو أشدهم له استعداداً
واختار له هذه الآية حين أذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو
وخالد بن أسيد هذا الصدا الأسود فؤد قال تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم وقال النبي صلى الله
عليه وسلم أن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية أي كبرها كلكم بنو آدم وآدم من تراب وقال النبي
صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لا تأتوا الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدين تأخذونها على
رفأكم تقولون يا محمداً ما تقول هكذا أي أعرض عنكم فبين أنهم إن مالوا إلى الدنيا لم ينفعهم نسب
قريش ولما زل قوله تعالى وأبذر عثرتك الآخر بين ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت
محمد يا صغيقت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملوا لا تشكوا فاني لا أغني عنكم من
الله شيئاً فمن عرف هذه الأمور وعلم أن شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آبائه التواضع اقتدى
بهم في التقوى والتواضع والأمان طاعتاً في نسب نفسه بلسان حاله مهما تاتي اليهم ولم يشبههم في
التواضع والتقوى والخوف والاشفاق فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم بعد قوله لفاطمة
وصهيبة اني لا أغني عنكم من الله شيئاً إلا أن لكم رحاساً يلها يلبها وقال عليه الصلاة والسلام
أرجو سلم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب فذلك يدل على أنه سيخص قرابته بالشفاعة فاعلم
أن كل مسلم فهو ومنظر شفاعته رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسب أيضاً جدير بأن يرجوها
لكن بشرط أن يبقى الله أن يغضب عليه فإنه ان يغضب عليه فلا يأذن لأحد في شفاعته لأن الذنوب
منقسمة إلى ما يوجب المقت فلا يؤذن في الشفاعته له وإلى ما يعني منه بسبب الشفاعته كالذنوب عند
ملوك الدنيا فان كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعته فيما اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب
ما لا تخفى منه الشفاعته وعنه العبارة بقوله تعالى ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ويقول من ذا الذي
يشفع عنده إلا بذنه ويقول ولا تنفع الشفاعته عنده إلا من أذن له ويقول في تنفعهم شفاعته الشافعون
وأذا انقسمت الذنوب إلى ما يشفع فيه وإلى ما لا يشفع فيه وجب الخوف والاشفاق لاجل حاله ولو كان
كل ذنب يقبل فيه الشفاعته لما أمر قريشاً بالطاعة ولما نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة
رضي الله عنها عن العصية وكان يأذن لها في اتباع الشهوات لتكمل لذاتها في الدنيا ثم يشفع لها
في الآخرة لتكمل لذاتها في الآخرة فاللهما في الذنوب وترك التقوى انكلا على رجليه الشفاعته
يضاهي انهماك المريض في شهواته اعتماداً على طبيب حاذق قريب مشفق من أب أو أخ أو غيره
وذلك جهل لأن سعي الطبيب وهمته وحده تنفع في إزالة بعض الأمراض لا في كلها فلا يجوز ترك
الحية مطلقاً اعتماداً على جرح الطبيب بل للطبيب أثر على الجملة ولكن في الأمراض الخفيفة وعند
غلبة اعتدال المزاج وهكذا ينبغي أن تفهم غناية الشفعاء من الاتيماء والصالحاء الأقارب والأجانب
فانه كذلك قطعاً وذلك لا يزيل الخوف والحذر وكيف يزيل وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم أصحابه وقد كانوا يمتنون أن يكونوا بها ثم خوف الآخرة مع كل تقواهم وحسن أعمالهم
وصفاة قلوبهم وماسمعوهم وعذر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بالجنحة خاصة وسائر المسلمين
بالشفاعة صافقوهم يتكلموا عليه ولم يمارق الخوف والخشوع قلوبهم فكيف يجب بنفسه ويتكلم
على الشفاعته من ليس له مثل حجتهم وسابقتهم * الخامس الجنب بسبب السلاطين الظلمة
وأعوامهم دون نسب الدين والعلم وهذا غاية الجهل وعلاجه أن يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم

من الظلم على عباد الله القساذ في دين الله وأنهم المقوتون عند الله تعالى ولو نظر الى صورهم في النار
 وأتاهم وأقذارهم لاستكشف منهم وكنزاً من الاتساب اليهم ولا تصكروا على من نسب اليهم
 استقذار واستقذارهم ولو انكشف له ظلم في القامة وقد تعلق الخصامهم والملائكة أخذون
 بنواصيرهم يحرقونهم على وجوههم الى جهنم في مظالم العباد ليرأى الى الله منهم ولكان اتسابه الى
 الكلب والخنزير أحب اليهم من الاتساب اليهم فحق أولاً لطلبة ان عصمهم الله من ظلمهم أن
 يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لأنهم ان كانوا مسلمين فأما الجب بنفسهم فجهل
 محض * السادس الجب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان والعشرة والاقرار والانصار
 والاتباع كما قال السكاكيني أكثر أموالاً ولا دواكر قال المؤمنون يوم حنين لا تغلب اليوم من قلة
 وعلاجه ما ذكرناه في الكبير وهو أن يتفكر في ضعفه وضعفهم وأن كلهم عبيد بحجة لا يمكن
 لانفسهم ضرراً ولا نفعاً وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ثم كيف يحبهم وانهم يستغفرون
 عنه اذامات فدفن في قبره ذليلاً مهيناً وحده لا راقه أهل ولا ولا دواكر ولا حرم ولا عشر
 فسلمونه الى البلى والحيات والعقارب والديدان ولا يقنون عنه شيئاً وهو في أحوالهم
 وكذلك غيرهم منه يوم القيامة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته بنيه الآية فأي خير
 فيمن يفرأ فكيف في أشد أحوالهم ويهرب منك وكيف يحب به لا يتفكر في القبر والقيامة وعلى
 الصراط الاملك وفضل الله تعالى فكيف تشكل على من لا تنفعك وتسي فيم من يملك فنعك وضرك
 وموتك وحياتك * السابع الجب بالمال كما قال تعالى اخبارا عن صاحب الجنة ان ذقالي أنا أكثر
 منك مالاً وأمر نضر أو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً غنياً جلس يجنب فقيراً فأنقبض عنه
 وجع ثيابه فقال عليه السلام أخشيت أن يمد اليك فقره وذلك الجب بالثني وعلاجه أن يتفكر
 في آفات المال وكثرة حقوقه وعظم غوائله وينظر الى فضيلة الفقراء وسبيلهم الى الجنة في القيامة
 والى أن المال غادر وأرجح ولا أصل له والى أن في اليهود يز يدعه في المال والى قوله عليه الصلاة
 والسلام ينهار رجل يتجتر في حلة قد أعجبه نفسه أدام الله الارض فأخذته فهو يتعجل فيها الى
 يوم القيامة أشار به الى عقوبه أعجابه بما لله ونفسه وقال أبو ذر كنت مع رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فدخل المسجد فقال لي يا أبا ذر أرفع رأسك فرفعت رأسي فإذا رجل عليه ثياب جلد ثم قال
 أرفع رأسك فرفعت رأسي فإذا رجل عليه ثياب خلة فقال لي يا أبا ذر هذا عند الله خير من قراب
 الارض مثل هذا وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال بين حقارة الاشياء
 وشرف الفقراء عند الله تعالى فيكفي يتصور من المؤمن أن يحب بثروته بل لا يتخلو المؤمن عن
 خوف من تقصيره في القيام بحقوق المال في أخذه من حله ووضعه في حقه ومن لا يفعل ذلك قصيره
 الى الخزي والبوار فكيف يحب بماله * الثامن الجب بالراى الخطأ قال الله تعالى أفن زين له
 سوء عمله فرآه حسناً وقال تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وقد أخبر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أن ذلك يظلب على آخر هذه الامم فملك هلكت الامم السالفة اذ اترقت فراقاً فكل مجب
 برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع أهل البدع والضلال انما أصروا عليها الجهم بأرائهم
 والجهم بالبدعة هو اسخا من ما يسوق اليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقاً وملاج هذا الجب
 أشد من علاجه فانه لا صاحب الراى الخطأ جاهل بخطائه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي
 لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتعصر مدوائه جد الان العارف يقدر على أن يبين الجاهل جهله
 ويزيله عنه الا اذا كان مجتاراً به وجهله فانه لا يصفى الى العارف وبهجه قد سلب الله عليه بيلة

تهلكه وهو. نظنها نعمة فكيف يمكن علاجها وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده
 وانما علاجه على الجملة أن يكون متهازرا به ألا لا يقتربه إلا أن يشهد له قاطع من كتاب أو سنة
 أو دليل عقلي صحيح جامع لشروط الأدلة ولن يعرف الانسان أدلة الشرع والعقل وشروطها
 ومكان الغلط فيها إلا بقرب من ثامة وعقل ناقب وجدو تشمر في الطلب وممارسة للكتاب والسنة
 وبجالة لاهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الامور
 والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره في العلم أن لا يتخوض في المذاهب ولا يصغي اليها ولا يسمعها
 ولكن يعتقد أن الله تعالى واحد لا شريك له وأنه ليس كمثل شيء وهو السميع البصير وأن رسوله
 صادق فيما أخبر به وتبع سنة السلف ويؤمن بمجئ ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتقرير
 وسؤال من تفصيل بل يقول آمنا وصدقنا وبشغل بالتقوى واجتناب المعاصي وأداء الطاعات
 والشقة على المسلمين وسائر الاجمال فان خاض في المذاهب والبدع والتصب في العقائد هلك من
 حيث لا يشعر هذا حق كل من عزم على أن يشتغل في عمره بشيء غير العلم فأما الذي عزم على التجرد
 للعلم فأقول مهمله معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الاصر فيه والوصول الى اليقين والمعرفة
 في أكثر المطالب شديدا لا يقدر عليه الا الاقوياء المؤيدون بنور الله تعالى وهو عزير الوجود
 جدا فقتل الله تعالى العصمة من الضلال وتعرف به من الاعترار بخالات الجهال ثم كتاب ذم الكبر
 والجب والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله
 على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

في كتاب ذم الغرور وهو الكتاب العاشر من ربيع المهلكات من كتب احيا علوم الدين

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الحمد لله الذي بيده مقاليد الامور وبقدرته مفااتيح الخبرات والشرور
 يخرج اولياها من الظلمات الى النور ومورداً عداثه ورطبات الغرور والصلاة على محمد نخرج
 الخلائق من الدجور وعلى آله واصحابه الذين لم تقفهم الحياة الدنيا ولم يقفهم بالله الغرور صلاة
 تتوالى على مر الدهور ومركز الساعات والشهور (أما بعد) فتتاح السعادة التيقظ والفطنة
 ومنع الشقاوة الغرور والغفلة فلا نعمة لله على عباده أعظم من الايمان والمعرفة ولا وسيلة اليه
 سوى انشراح الصدر بنور البصيرة ولا نعمة أعظم من الكفر والمصيبة ولا داعي اليها سوى
 محي القلب بظلمة الجهالة فلا كياس وأرباب الصلوة قلوبهم كشكة فيها مصباح المصباح في زجاجة
 الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضي
 ولولم تحبس فان نور على نور والمفترون قلوبهم كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من
 فوقه صباب ظلمات بعضهم افوق بعض اذا أخرج يده لم يكذبها ومن لم يجعل الله نورا فانه من نور
 فلا كياس هم الذين أراد الله أن يهديهم فشرح صدورهم للاسلام والهدى والمفترون هم الذين
 أراد الله أن يضلهم فجعل صدورهم ضيقا حرا كأنما يصعد في السماء والغرور هو الذي لم تنفع
 بصيرته ليكون هديا نفسه كقيلا وتقي في العي فاتخذ الهوى قائدا والشيطان دليلا ومن كان في
 هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا وإذا عرف أن الغرور هو آثم الشقاوات ومنبع
 المهلكات فلا ينمن شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه ليحذره المرء بعد
 معرفته فينتبه فالوقوف من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد فأخذ منها حذره
 ونهى على الحزم والبصيرة أمره ونهى عن نشر أجناس مجاري الغرور واصناف المفتريين من
 القضاة والطاء والصالحين الذين اغتروا بمبادئ الامور الجميلة ظواهرها التي تبهر اشرها ونشروا

الى وجه اعتبارهم بما وقع عليهم منها فان ذلك وان كان اكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على
أمثلة تفتي عن الاستقصاء وفرق المغترين كثيرة ولكن يجهم أربعة أصناف في الصنف الأول
من العلماء في الصنف الثاني من العلماء في الصنف الثالث من المتشوقين في الصنف الرابع من أرباب
الاموال والمغتر من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فهم من رأى المنكر معروفا
كالذي يخذل المساجد ويخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يعين ما يسي في نفسه وبين ما يسي
فيه لله تعالى كالواغظ الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من ترك الاهتم ويشغل بغيره ومنهم من
ترك الفرض ويشغل بالنافة ومنهم من ترك الباب ويشغل بالقشر كالذي يكون همه في الصلاة
مقتضوا على تصحيح مخارج الحروف الى غير ذلك من مداخل لا تنضح الا بتفصيل الفرق وضرب
الامثلة ولنبدأ أولا بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحده

بيان ذم الغرور وحقته وأمثله

اعلم أن قوله تعالى فلا تغترنكم الحياة الدنيا ولا تغترنكم بالله الغرور وقوله تعالى ولكنكم قنتم أنفسكم
وغيرهم وارتبتم وغترنكم الاماني الآية كاف في ذم الغرور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
جداؤم الاكياس وقطرحهم كيف يفتنون سهر الخبي واجتباؤهم ولتقال ذمة من صاحب تقوى
ويقين أفضل من ملء الارض من المغترين وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل
لما بعد الموت والا حتم من أشبع نفسه هوها وتغنى على الله وكل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو
دليل على ذم الغرور لان الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل انا الجهل هو ان يتقيد الشيء ويزاه على
خلاف ما هو به والغرور هو جهل الآن كل جهل ليس بغرور بل يستدعي الغرور مغرورا فيه
مخصوصا ومغرورا به وهو الذي يهرقهما كان الجهول المعتقد شيئا موافق الهوى وكان السبب
الموجب للجهل شبهة وتخييلة فاسدة فظن أنها دليل ولا تكون دليلا لاسي الجهل الخاص بل به غرورا
فالغرور هو مسكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة فوجد علمن الشيطان فن
اعتقده أنه على خير ما في العاجل أو في الآجل عن شبهة فاسدة فمغروروا كثر الناس يظنون
بأنفسهم الخيروهم يخطئون فيه فأكثر الناس اذا مغرورون وان اختلفت أصناف غرورهم
واختلفت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض وأظهرها وأشد غرورا
المصنفان وزغور العصابة والقاسق فورد لها أمثلة لحقيقة الغرور في المثال الأول في غرور
الكفار فهم من غترته الحياة الدنيا ومنهم من غتره بالله الغرور أما الذين غترتهم الحياة الدنيا فهم
الذين قالوا لنفسي خيرا من نفسي والدنيا تدعو الى الآخرة نسيته في انا خير فلا بد من اتيارها وقالوا
اليقين خير من الشك ولذا ات الدنيا يقين ولذا ات الآخرة شك فلا تترك اليقين بالشك وهذه أقبيسة
فاسدة تشبه قياس باليس حيث قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وإلى هؤلاء الإشارة
بقوله تعالى أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينعفون وعلاج
هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان أما التصديق بحجج دلائل الايمان فهو أن يعتق الله تعالى
في قوله ما عندكم يتبدو وما عند الله باق وفي قوله عز وجل وما عند الله خير وقوله والآخرة خير وأبقى
وقوله وما الحياة الدنيا الا لمتاع الغرور وقوله فلا تغترنكم الحياة الدنيا وقد أخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بذلك طوائف من الكفار فقلدوه وصدقوه وأمنوا به ولم ينطأ اليه البرهان ومنهم من
قال نشدنا الله أن يشك الله رسولا فكان يقول نعم فيصدق وهذا ايمان العامة وهو يخرج من
الغرور وينزل هذا بمنزلة تصديق المصبي والده في أن حضور المكتب خير من حضور الملعب مع أبيه

لا يدري وجه كونه خيرا وأما المعرفة بالبيان والبرهان فهو أن يعرف وجه فساد هذا القياس
الذي نطمحه في قلبه الشيطان فإن كل مغرور فلقروره سبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو
نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون اليه وإن كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نطمحه
بأنفاده العلماء فالقياس الذي نطمحه الشيطان فيه أصلا أن أحدهما أن الدنيا تقدر الآخرة نسيئة
وهذا صحيح والآخر قوله أن التقدير خير من النسيئة وهذا محل التلبس فليس الأمر كذلك بل
إن كان التقدير مثل النسيئة في المقدار والمقصود فهو خيرا وإن كان أقل منها فالنسيئة خير
فإن الكافر المغرور يبدل في تجارته درهمين ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول التقدير خير من النسيئة
فلا تركه وإذا حذر الطبيب الفولكه ولذا إذا اطعمه ترك ذلك في الحال خوفا من ألم المرض
في المستقبل فقد ترك التقدير ورضي بالنسيئة والتجار كلهم يركبون العار ويتعبدون في الأسفار بقدر
لأجل الراحة والرجع نسيئة فإن كان عشرة في ثانی الحال خيرا من واحد في الحال فأنسب لمدة الدنيا
من حيث مدها إلى مدة الآخرة فإن أقصى عمر الإنسان مائة سنة وليس هو عشر وعشرين من جزء من
ألف ألف جزء من الآخرة فكان ترك واحد يأخذ ألف ألف بل ليأخذ مائة لئلا يلهو ولا حدوان
نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكثرة مشوبة بأنواع المنصبات ولذات الآخرة صافية غير
مكثرة فإذا غلط في قوله التقدير خير من النسيئة فهذا غرور منشأه قبول لفظ عام مشهور أطلق
وأريد به خاص فغلط به المغرور عن خصوص معناه فإن من قال التقدير خير من النسيئة أراد به خيرا
من نسيئة هي مثله وإن لم يصرح به وضد هذا يفزع الشيطان إلى القياس الآخر وهو أن اليقين
خير من الشك والآخرة شك وهذا القياس أكثر فسادا من الأول لأن كلا أصليه باطل إذا اليقين
خير من الشك إذا كان مثله والافتاج في نفسه على يقين وفي ربحه على شك والمثقف في اجتهاده على
على يقين وفي إدراكه رتبة العلم على شك والصيد في رزده في المقتنص على يقين وفي الطفر بالصيد
على شك وكذا الحزم دأب الغفلة بالاتفاق وكل ذلك ترك اليقين بالشك ولكن التاجر يقول إن لم
أعجز بقيت جائعا وعظم ضروري وإن أعجزت كان تعبى قليلا ورجى كثيرا وكذلك المريض يشرب
الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكنه يقول ضرر
مرارة الدواء قليل بالإضافة إلى ما أخافه من المرض والموت فكذلك من شك في الآخرة فوجب
عليه بحكم الحزم أن يقول أيام الصبر قلائل وهو منتهى العمر بالإضافة إلى ما يقال من أمر
الآخرة فإن كان ما قبل فيه مكثرا فإياه حتى لا التزم أيام حيا وقد كنت في العدم من الآن إلى الآن
لا ألتزم فأحسب أنني بقيت في العدم وإن كان ما قبل صدقا فأتبني في التأويل أبدا وهذا لا يطاق
ولهذا قال علي كرم الله وجهه لبعض المحدثين إن كان ما قبله حقا فقد تخلصت وتخلصنا وإن
كان ما قبله حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال هذا من شك منه في الآخرة ولكن كالمحدثي قدر
عقله وبه أنه وإن لم يكن متيقنا فهو مغرور . وأما الأصل الثاني من كلامه وهو أن الآخرة
شك فهو أيضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين ولحقينه مدر كان أحدهما الإيمان والتصديق
تقليدا للإيمان والعلماء وذلك أيضا يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام أكثر الخواص ومثالهم
مثال مريض لا يعرف دواء علمته وقد اتفق الأطباء وأهل الصناعة من عند آخرهم على أن دواءه
اللبث الغلاني فإنه تطمئن نفس المريض إلى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية
بل يثق بقولهم ويعمل به ولو لم يثق سوائى أو معتوه يكتد بهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الأحوال
أنهم أكثر منه عددا وأغزر منه فضلا وأعلم منه بالطبيب بل لا علم له بالطبيب فيعلم كذبه بقولهم

ولا يعتقد كذبهم بقوله ولا يفتري عليه يسببهم ولو اعتمد قوله وترك قول الأطباء كان معنوا هم ضرورا
فكذلك من نظر الى المقرين بالآخرة والمخبرين عنها والقائلين بأن القوى هو الدواء السافع
في الوصول الى سعادتها وجدهم خير خلق الله وأعلامهم رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل وهم الانبياء
والاولياء والحكماء والعلماء واتبعهم عليه الخلق على أصنافهم وشذبه منهم أحد من البطالين غلبت
عليهم الشهوة ومالت نفوسهم الى التمتع فنظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بأنهم
من أهل النار فخدوا الآخرة وكذبوا الانبياء فكأن قول الصبي وقول السوادى لا يزل بل طمانينة
القلب الى ما اتفق عليه الأطباء فكذلك قول هذا الغبي الذي استرقته الشهوات لا يشكك في صحة
أقوال الانبياء والاولياء والعلماء وهذا القدر من الايمان كاف لبلغة الخلق وهو حين جازم بسعته على
العمل بالمحالة والضرورة بل به هو وأما المدرك الثاني لمعرفة الآخرة فهو الوحي الانبياء والالهام للاولياء
ولا تظن أن معرفة النبي عليه السلام لا مر الآخرة ولا مورد من تقليد غير بل عليه السلام
بالسمع منه كما أن معرفتك تقليد للنبي صلى الله عليه وسلم حتى تكون معرفتك مثل معرفته وأما
يختلف التقليد قط وهيات فان التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والانبياء عارفون ومعنى
معرفة أنهم كشف لهم حقيقة الاشياء كما هي عليها فاشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما شاهد أنت
المحسوسات بالبصر الظاهر فيصرون عن مشاهدة لاعن سماع وتقليد وذلك بأن يكشف لهم عن
حقيقة الروح وأنه من أمر الله تعالى وليس المراد بكونه من أمر الله الامر الذي يقابل النبي لان ذلك
الامر كلام والروح ليس بكلام وليس المراد بالامر الشأن حتى يكون المراد به أنه من خلق الله
فقط لان ذلك عام في جميع المخلوقات بل العالم عالمان عالم الامور وعالم الخلق ولما خلق والامر فالاجسام
ذوات الحكمة والقادرين من عالم الخلق اذ الخلق عبارة عن التقدير في وضع الانسان وكل موجود موزع من
الحكمة والمقدار فانه من عالم الامر وشعر ذلك سر الروح ولا رخصة ذكره لاستمراره أكثر الخلق
بسماعه كسر القدر الذي منع من انشائه في عرف سر الروح فقد عرف نفسه وادعاه عرف نفسه فقد
عرف ربه وادعاه عرف نفسه وربه عرف أنه أمر رباني بطبعه وفطرته وأنه في العالم الجسماني غريب
وأن هبوطه اليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بأمر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب
ورد على آدم صلى الله عليه وسلم وعرضه بالمصيبة وهي التي حطته عن الجنة التي هي البقي به
بمقتضى ذاته فانها في جوار رب تعالى وأنه أمر رباني وحينه الى جوار رب تعالى له طبيعي ذاتي الا
أن يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما
فعل ذلك فقد ظلم نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم
الفاسقون أي الخارجون عن مقتضى طبعهم ومطلبة استحقاقهم يقال نسفت الرطة عن كاهها
اذ اخرجت عن معدنها الفطري وهذه اشارة الى أسرارهم التي لا تستشاق وتحتاج العارفون وتشتر
من سماع ألقائهم القاصرون فانها تنصرف بهم كما تنصرف الرياح الورد بالجعل وتبهر أعينهم الضعيفة
كاتبهر الشمس أبصارا تخفأ فيش وانفتح هذا الباب من سر القلب الى عالم الملكوت يسمى معرفة
ولا يذو يسمى صاحبه وليا وعارفا وهي مبادئ مقامات الانبياء وآخر مقامات الاولياء أول
مقامات الانبياء ولترجع الى الغرض المطلوب فالقصد أن غرور الشيطان بأن الآخرة شيك
يدفع ما ييقن تقليدي واما بصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بالنسبهم ويعتقدونهم
اذا ضيعوا وأمر الله تعالى وهجروا الاعمال الصالحة ولا يسوا الشهوات والمعاصي فهم مشاركون
للكفار في هذا الغرور لانهم آثروا الحياة الدنياء على الآخرة نعم أمرهم أخف لان أهل الايمان

يعصمهم عن عقاب الابد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكنهم أيضا من المغرورين فانهم اعترفوا بان الآخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا وآثروها وجرّدوا الايمان لا بكني القوز قال تعالى وانى لغفار لناب وآسى وجل صالحا ثم اهتدى وقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وقال تعالى والعصران الانسان لني خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فوعده الله المغفرة في جميع كتاب الله تعالى منوط بالايمان والعمل الصالح جميعا بالايمان وحده فهو لا أيضا مغرورون أخى المظمنين الى الدنيا القرحين بها المترفين بنعيمها المحبين لها الكارهين للوت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة لما بعده فهذه امثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا • ولندكر الغرور بالله المتألمين من غرور الكافرين والعاصين فأما غرور الكفار بالله فثنا قول بعضهم فى أنفسهم وبالسفهم انه لو كان الله مع معاد فمن أحق به من غيرنا ونحن أوفر خطا فة وأسعد حالا كما أخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتعاورين اذ قال وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدت خيرا منها من قبلى وجملة أمرهما كما نقل فى التفسير أن الكافر منهما بنى قصرا بألف دينار واشترى بستانا بألف دينار وخبدا بألف دينار وترجى امرأة على ألف دينار وفى ذلك كله مظهر المؤمنين ويقول اشترت قصرا يقنى ويغرب ألا اشتريت قصرا فى الجنة لا يقنى واشترت بستانا يخرب ويقنى ألا اشتريت بستانا فى الجنة لا يقنى وخبدا لا يقنون ولا يموتون وزوجة من الخور والعين لا تموت وفى كل ذلك برذ عليه الكافرو يقول ما هنا لشيء وما قبل من ذلك فهو كاذب وان كان فليكون لى فى الجنة خيرا من هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص ابن زائل اذ يقول لا وتين مالا ولما فقال الله تعالى رد عليه أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا • وروى عن خباب بن الارت أنه قال كان لى على العاص بن زائل دين فبئت أنقاضه فلم يقضى لي فقلت انى أخذه فى الآخرة فقال لى اذ اصرت الى الآخرة فأنى هناك مالا ولما أقضيت منه فأنزل الله تعالى قوله أفرأت الذى كفرت بآتاء وقال لا وتين مالا ولما وقال الله تعالى ولئن أذناه رحمة منا من بعد ضربه مستمه ليقولن هذالى وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي انى عنده العسى وهذا كله من الغرور بالله وسببه قياس من أقيسة ابليس نعوذ بالله منه وذلك أنهم ينظرون مرة الى نعم الله عليهم فى الدنيا فيقيسون عليها نعمة الآخرة وينظرون مرة الى تأخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول فقال تعالى جوابا لقولهم حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومن ينظرون الى المؤمنين وهم قراء شعث غير فزرون بهم ويستغفرونهم فيقولون أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذى نطعمه فى قلوبهم أنهم يقولون قد أحسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن أيضا فى المستقبل كما قال الشاعر

لقد أحسن الله فيما مضى • كذلك يحسن فيما ياتى

واتما يقيس المستقبل على الماضى بواسطة الكرامة والحب اذ يقول لولا أنى كريم عند الله ومحبوب لما احسن الى والتبليس تحت ظنة أن كل محسن محب لا يزل تحت ظنه أن العامه عليه فى الدنيا احسان فقد اعترف بالله اذ ظن أنه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوى البصائر يدل على الهوان ومثاله أن يكون للرجل ميدان صغير ان يغض أحدهما ويحب الآخر فالذى يحبه يتبعه من العجب ويكرمه المكتوب ويحبسه فيه ليعله الأدب ويمنعه من القواكه وملاذلا طعمة التى تقصره

وسيقية الادوية التي تنفعه والتي يفضيها له لعيش كيف يريد فليعب ولا يدخل المعكبة
وبأكل كل ما يشتهي فيظن هذا الصدم الممهل أنه عند سيده محبوب كريم لانه مكته من شهوته
ولذاته وساعده على جميع أغراضه فلم يمنعه ولم يحجز عليه وذلك بحض الفرو ووهكذا نعم الدنيا
ولذاتها فانها مملكت ومعدن من الله فان الله يحب عبده من الدنيا وهو يحبه كما يحب أحدكم
مرضه من الطعام والشراب وهو يحبه هكذا ورفي الخبز عن سيد البشر وكان أرباب البصائر
إذا أقبلت عليهم الدنيا جروا وقالوا ذنب مجلت عقوبته وروا ذلك علامة الموت والاهمال
وإذا أقبل عليهم الفقر قالوا امر حياشعار الصالحين والمفرور إذا أقبلت عليه الدنيا طن
فانها كرامة من الله وإذا صرفت عنه ظن أنها هوان كما أخبر الله تعالى عنه إذ قال فاما الانسان
إذا ما ابتلاه به فأكرمه ونعمه فيقول ربني أكرمني وأما إذا ما ابتلاه فقد ربه عليه رزقه فيقول ربني
أهانني فأجاب الله من ذلك كلا أي ليس كما قال انما هو ابتلاء نعوذ بالله من شر ابتلاء ونسال الله
التثبيت فين أن ذلك ضرور قال الحسن كنهها جميعا قوله كلا يقول ليس هذا بأكرام
ولا هذا بهوان ولكن الكرم من أكرمه بطاعته غيا كان أو قهرا والمهان من أهنته بمصنعي
غيا كان أو قهرا وهذا الضرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان اما البصرة أو التقليد
أما البصرة فبأن يعرف وجهه كون الالتفات الى شهوات الدنيا بعدد ما من القوي وجهه كون
التباعد عنها مقربا الى الله ويدرك ذلك بالاهتمام في منازل العارفين والاولياء وشرحه من جملة
علوم المكشوفة ولا يلحق بعلم المعاملة وأما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو أن يؤمن
بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله وقد قال تعالى أطيعوا ما أمروهم به من مال ودين
تسارع لهم في الخبرات بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال تعالى فضا
عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبسولون وفي تفسير قوله تعالى
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون انهم كلما حدثوا دنيا أحدثناهم نعمة لئلا يدفروهم وقال تعالى
انما على لهم ليدانوا انما وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص
فيه الابصار الى غير ذلك ما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله فمن آمن به تخلص من هذا الضرور
فان منشأ هذا الضرور الجهل بالله وصفااته فان من عرفه لا يأمن بمكروه ولا يترتب أمثال هذه
النجاسات الفاسدة وينظر الى فرعون وهامان وقارون والى ملوك الارض وما جرى لهم كيف
أحسن الله اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا فقال تعالى هل تحس منهم من أحد الآية وقد حذر الله تعالى
من مكروه واستدراجة فقال فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال تعالى ومكروا مكروا مكروا
مكروا هم لا يشعرون وقال عز وجل ومكروا ومكر الله والله خير الا انهم يكيدون
كيدوا وكيد كيدنا فهل الكافرين أمهلهم رويافا كما لا يجوز للصدم الممهل أن يستدل باهمال
السيد بامه وتكفيه من النعم على حب السيد بل ينبغي أن يحذر أن يكون ذلك مكرامه وكيدام
أن السيد لم يحذره مكر نفسه فبأن يحذر في حق الله تعالى مع تحذره استدراجة أو في فاذامن
أمن مكر الله فهو معتز ومنشأ هذا الضرور أنه استدلل بنعم الدنيا على أنه كريم عند ذلك النعم واحتمل
أن يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل
بالقلب الى ما يراه وهو التصديق بدلائله على الكرامة وهذا هو حال الفرور (التمثال الثاني)
غرور الناصاة من المؤمنين بقوله ان الله كريم وانما نرجو عفوهم واتكلمهم على ذلك واهملهم الاعمال
وتحسن ذلك بتسنية تهمهم واعتراهم رجاء وظنهم أن الرجاء مقام محمود في الدين وأن لجملة القوم اسعة

ورحمته شاملة وكرمه عظيم وأمن معاصي العباد في بحار رحمته وإنا موحدون ومؤمنون قترجوه
بوسيلة الأيمان ورجما كان مستبدجاتهم التمسك بصلاح الآباء وهلوترتبهم كاعتقار العلوية
بنسبهم وبخالفه سيرة آباءهم في الخوف والتقوى والورع وظلمهم أنهم أكرم على الله من آباءهم إذا تأوهم
مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية الفسق والتجور آمنون وذلك نهاية الاعتقار بالله
تعالى قياس الشيطان للعلوية أن من أحب انسانا أحب أولاده وإن الله قد أحب آباءكم فيحبكم
فلما تحتاجون إلى الطاعة وينسى الغرور أن نوحا عليه السلام أراد أن يستحب ولده معه في
السفينة فلم يرد فكان من المفريقين فقال رب اني من أهلي فقال تعالى يا نوح انه ليس من أهلك انه
عمل غير صالح وإن ابراهيم عليه السلام استغفرا لبيه فلم ينفعه وإن نينا صلى الله عليه وسلم وعلى كل
عبد مصطفى استأذن ربه في أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فاذن له في الزياره ولم يؤذن له في الاستغفار
فجلس يبكي على قبر أمه لرحته لها بسبب القرابة حتى أبكى من حوله فهذا أيضا اعتقار بالله تعالى وهذا
لأن الله تعالى يحب المطيع ويبغض العاصي فكما أنه لا يفيض الاب المطيع يفيض للولد العاصي
فكذلك لا يحب الولد العاصي يحبه الاب المطيع ولو كان الحب يسري من الاب إلى الولد لأوشك
أن ينزى البعض أبا بابل الحق أن لا تزوار وزارة وزر أخرى ومن طلق أنه يجوب بقوى أبيه كن طلق
أنه يشبع بكل أبيه ويرزى بشر أبويه ويصير علما تعلم أبيه ويصل إلى الكعبه وزاها بشي أبيه
فالتقوى فرض عين فلا يجزى فيه والدع ولده شيئا وكذا العكس وعند الله جزاء التقوى يوم يفر المرء
من أخيه وامه وأبيه الأعلى سبيل الشفاعه لمن لم يشتغف الله عليه فيأذن في الشفاعه له كما سبق
في كتاب الكبر والحب فان قلت فآين الظن في قول العصاة والتجار إن الله كريم وانازل جرحه
ومغفرته وقد قال أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فإذا هذا الكلام صحيح مقبول الظاهر في
القلوب فاعلم أن الشيطان لا يقوى إلا أن الانسان لا يكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولو لا حسن
ظاهر لما اتخذ به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف من ذلك فقال الكيس من
دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وهذا هو التمني على الله
تعالى غير الشيطان اسمه فسماء رجاء حتى خدع به الجاهل وقدرش الله الرجاء فقال إن الذين آمنوا
والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله يعني أن الرجاء هم ألق وهذا لأنه
ذكر أن ثواب الآخرة أجزوا على الأعمال قال الله تعالى جزاء بما كانوا يعملون وقال تعالى وانما توفيرون
اجوركم يوم القيامة أنتم أن من استوجر على اصلاح أو ائني وشرط له اجره عليه ما كان الشارط كريما
يقى بالوعد منه ما وعد ولا يخلف بل يزيد بجاه الاجر وكسر الاوائى وأفسد جميعها تم جلس بنظر الاجر
وزعم أن المستاجر كريم اقتراه العقلاء في انتقاره متنبها مغرورا وأرجاها وهذا البهول بالقرين
الرجاء والغرة قبل الحبس قوم يقولون زجوا الله وضيعون العمل فقال هيات هيات تلك
أمانتهم ترجون فيها من رجاء شيا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وقال مسلم بن يسار لقد
سعدت البارحة حتى سقطت شيناي فقال له رجل أنا لثريجوا الله فقال مسلم هيات هيات من رجاء
شيا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكما أن الذي يرجو في الدنيا ولد أو هو بعد لم ينكح أو نكح
ولم يجامع أو جامع ولم ينزل فهو مغرور فكذلك من رجاء رحمة الله وهو لم يؤمن أو آمن ولم يعمل صالحا
أو عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور فكما أنه إذا نكح ووطئ وانزل بني مترددا في الولد يخاف ويرجو
فضل الله في خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الالم إلى أن يتم فهو كئيب فكذلك إذا آمن وعمل
الصالحات وترك السيئات وبني مترددا بين الخوف والرجاء يخاف أن لا يقبل منه وأن لا يدم عليه

وأن ينجت له بالسومو يزج من الله تعالى أن يثبت بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه من الميل إلى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل إلى المعاصي فهو كس ومن عداؤه لا ينهم المغرورون بالله وسوف يملكون حين يرون العذاب من أهل سبيلا وتلقى بناء بعد حين وعند ذلك يقولون كما أخبر الله عنهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نجعل من جحيمنا دارا موقنون أي علمنا أنه كما لا يولد ولا يبوء ولا يولد إلا بوقاع ونكاح ولا يثبت زرع إلا بخرافة وبث بدرك ذلك لا يحصل في الآخرة ثواب وأجر إلا بعمل صالح فارجعنا فعل صالحا فقد علمنا الآن صدقك في قولك وإن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى وكما ألقى فيها قوج سألهم خزنتها ألم بأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير رأى ألم نسعى من الله في عباده وأنه توفي كل نفس ما كسبت وإن كل نفس بما كسبت رهينة قال الذي عزكم بالله بعد أن سمعتم وعقلتم قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنوبهم فسحقا لأصحاب السعير فأن قلت فأن مظنة الرجاء وموضع المجود فاعلم أنه محمود في موضعين * أحدهما في حق العاصي المهلك إذا خاطرت له التوبة فقال له الشيطان وإنني قبلت بترك فقطعه من رحمة الله تعالى فيجب عنده هذا أن يقع القنوط بالرجاء وينذر أن الله يغفر الذنوب جميعا وإن الله كريم يقبل التوبة عن عباده وأن التوبة طاعة تنكسر الذنوب قال الله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وأنشوا إلى ربكم أمرهم بالآية وقال تعالى وإنني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى فإذا توعد المغفرة مع التوبة فهو راجع وإن توقع المغفرة مع الاستمرار فهو مغرور وكان من شياق عليه وقت الجمعة وهو في السوق فخطر له أن يسعي إلى الجمعة فقال له الشيطان إنك لا تدرى الجمعة فقم على موضعك فكذب الشيطان ومرو بهدو وهو رجوعا أن يدرك الجمعة فهو راجع وإن استمر على التجارة وأخذ رجوعا خيرا إلا ما الصلاة لاجله إلى وسط الوقت أولا جل قتره أو لسبب من الأسباب التي لا يعرفها فهو مغرور * الثاني أن قتر نفسه من فضائل الأعمال ويقصر على الفرائض فيرى نفسه نعم الله تعالى وما وعده الصالحين حتى يبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون إلى قوله أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فالرجاء الأول يقع القنوط المانع من التوبة والرجاء الثاني يقع القنوط المانع من النشاط والتشمر فكل توقع حدث على توبة أو على تشمر في العبادة فهو راجع وكل رجاء واجب قنوط في العبادة وركن إلى البطالة فهو عثرة كما إذا خطر له أن يترك الذنوب يشتغل بالعمل فيقول له الشيطان مالك ولا يذاه نفسك وتغيبها ولا رب كريم مقور رحيم فيقتر بذلك من التوبة والعبادة فهو عثرة وعند هذا واجب على العبد أن يستعمل الخوف فيخوف نفسه بنضب الله وعظيم عقابه ويقول إنه مع الله فافتر الذنوب والتوب شديد العقاب وأنه مع الله كريم يخلد الكفار في النار أبدا لا يآدمع أنه يفرقه عنهم بل يسلط العذاب والجن والامراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على إزالتها في هذه سنته في عباده وقد خوفي عقابه فكيف لا أخافه وكيف أعتربه بالخوف والرجاء قائدان وساقمان يبعثان الناس على العمل في الآيبع على العمل فهو عثرة وغرور رجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب أقبالهم على الدنيا وسبب اعتراضهم عن الله تعالى وإهمالهم السعي للآخرة فذلك غرور فتدأ خبر صني الله عليه وسلم وذكر أن الغرور يسيب على قلوب أحره الأمة وقد كان ما وعده صني الله عليه وسلم فقد كان الناس في الأعصار الأول يواطون على

العبادات ويؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون يخافون على أنفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله تعالى والقوى والحذر من الشهوات والشهوات ويسعون على أنفسهم في الخلووات وأما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع كلهم على المعاصي وإتباعهم في الدنيا وأعراضهم عن الله تعالى زاعمين أنهم واقفون بكرم الله تعالى وقضاه راجعون لعفوهم ومغفرته كأنهم يزعمون أنهم عرفوا من فضله وكرمه ما لم يعرفه الأنبياء والصالحين والسلف الصالحون فإن كان هذا الأمر يدرك بالتي وبنا بالهوينا فعلى ماذا كان بكاء أولئك وخوفهم وخزهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الأمور في كتاب الخوف والرجاء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه معقل بن يساري أني على الناس زمان يتخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما يتخلق الثياب على الأبدان أمرهم كله يكون طمعا لا خوف معه أن أحسن أحدهم قال يتقبل مني وإن أساء قال يغفر لي فأخبر أنهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتقويات القرآن وما فيه من مثله أخبر عن النصاري إذ قال تعالى تخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا ومعناه أنهم ورثوا الكتاب أي هم علماء وبأخذون عرض هذا الأدنى أي شهواتهم من الدنيا حراما كان أو حلالا وقد قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ذلك لمن خاف مقامى وخاف وصيد القرآن من أوله إلى آخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكرا لا يطول خزنه ويظم خوفه أن كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهدونه هذا يخرجون الحروف من غمارها وينتاطرون على خفصها ورفقها ونصها وكأنهم يقرؤون شعرا من أشعار العرب لا يفهم الالفاظ إلى معانيه والعلل بمانيه وهل في العالم غرور يزعمون هذا فهذه أمثلة الغرور بالله وبالله وبالله وبالله بين الزجاء والغرور وقرب منه غرور وطوائف لم طاعات ومعاصي لأن المعاصي أكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أنهم تترجح كفة حسناتهم مع أن مافي كفة السيئات أكثر وهذا غلبة الجهل فترى الواحد يصتق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون مبتاول من أموال المسلمين والشهات أضاعها ولعل ما تصدق به هو من أموال المسلمين وهو يتكلم عليه ويقول أن أكل ألف درهم حرام يقاومه التصديق بعشرة من الحرام والحلال وما هو إلا أن يضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الأخرى ألفا وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله نعم ومنهم من يظن أن طاعاته أكثر من معاصيه لأنه لا يحاسب نفسه ولا يتقدم معاصيه وأدعى طاعة تحفظها واعتدبها كالذي يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين وعيق أعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره إلى عدد سيئاته استغفر الله مائة مرة وعقل عن هدياته طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة أو ألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة فقال ما يلزم من قول الله رقيب عند فهذا أديبا تأمل في فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت إلى ما ورد من عقوبة المغتابين والكذابين والتمائم والمنافقين ظهر من الكلام ما لا يصبرونه إلى خبر ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولجري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة التسبيح لما كتبوا منه هدياته الذي زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف بلسانه حتى من جملة من مهنته وما ينطق به في قراته كان بعده ومحسبه بوزانه تسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجرة نسخه فيأجج لمن يحاسب نفسه ويحاط خوفه على قنطرة قوته في الأجرة على التسبيح ولا يجتاط خوفه من فوت الفردوس الأعلى ونعيمه ما هذه المصيبة عظيمة لمن تفكر فيها فقد فطنا

الى امر ان شككافيه كامن الكفرة الجاحدين وان صدقناه كامن الحق المبرورين فاهذه اعمال
من يصدق بما جاء به القرآن واتانير الى الله ان تكون من اهل الكفران فنجعلن من صدقنا من
التبني واليقين مع هذا البيان وما اجد من يقدر على تسليط مثل هذه التفتة والفرور على القلوب
ان يجتنب ويتقي ولا يفتريه انكالا على ابطال النبي وتعاليل الشيطان والهوى والله اعلم
بيان اصناف المغترين واصناف فرق كل صنف وهم اربعة اصناف هي
الصف الاول هي اهل العلم والمغتررون منهم فرق (ففرقة منهم احكوا العلوم الشرعية والعقلية
وتعبروا فيها واشغلوا بها واهملوا افتقد الجوارح وحفظها عن المعاصي وازامها الطاعات واعتزوا
بعلومهم وظنوا انهم عند الله بمكان وانهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله منهم بل يقبل في الخلق
شفاعتهم وانه لا يظلمهم بنفوسهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون فانهم لو نظروا بعين
البصيرة علموا ان العلم علان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله وصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة
فاما العلم بالمعاملة كعرفة الحلال والحرام ومعرفة اخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية
علاجها والفرار منها فهي علوم لاتراد الالعمل ولولا الحاجة الى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم
يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمال هذا كريض به علة لا يلزمها الادواء مرسب من اخلاط كثيرة
لا يعرفها الاحذق الاطباء فيسعى في طلب الطبيب بعد ان هاجر عن وطنه حتى يمرض على طبيب خاذق
فعله الدواء وفصل له الاخلطوا انواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها يتجلبب عليه كيفية قد وكل
واحد منها وكيف خلطه وعجنه فتعلم ذلك وكتب منه نسخة حسنة فيخط حسن ورجع الى بيته وهو
يكررها ويعلما المرضي ولم يشغل بشئها واستعمالها اقترى ان ذلك يفتي عنه من مرضه شيئا هيات
هيات لو كتب منه ألف نسخة وعلم ألف مريض حتى شفي جميعهم وكره كل ليلة ألف مرة لم يقنه
ذلك من مرضه شيئا الا ان يزن الذهب ويشتري الدواء ويخطله كما تعلم ويشر به ويصبر على مرارته
ويكون شربه في وقت بعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه وان فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه
فكيف اذا لم يشر به اصلا فهاطلق ان ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا التفتة الذي احكم
علم الطاعات ولم يعملها واحكم علم المعاصي ولم يجتنبها واحكم علم الاخلاق المذمومة ومازى في نفسه منها
واحكم علم الاخلاق المحمودة ولم ينصف بها فهو مغرور اذ قال تعالى قد افلح من زكاهما ولم يقل قد افلح
من تعلم كيفية تركيبها وكتب علم ذلك وعلم الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يفترك هذا المثال
فان العلم بالدواء لا يزيل المرض وانما مطلبك القرب من الله وثوابه والعلم بحجب الثواب وتلوع عليه
الاخبار الواردة في فضل العلم فان كان المسكين مضوا مغرورا وافق ذلك مراده وهواه فاطمان اليه
واهمل العمل وان كان كيا فيقول للشيطان اترك في فضائل العلم وتنسبني ماورد في العالم الفاجر
الذي لا يعمل يعلم كقوله تعالى قتله كمثل الكلب وقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها
كمثل الحمار يحمل اسفارا فاي خزي اعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال صلى الله عليه وسلم
من ازيد دعيا ولم يزد هدى لم يزد من الله الا بعدا وقال ايضا طلق العالم في النار فتندلق اقبانه
فيدور بها في النار كما يدور الحمار في الرحى وقوله عليه الصلاة والسلام شر الناس العلماء السوء وقول
ابي الدرداء ويل للذي لا يعلم مرة ولو شاء الله لم يعو بل الذي يعلم ولا يعمل سبع مرات أي ان العلم
خفة عليه اذ يقال له ماذا عملت فجاملت وكيف قضيت شكر الله وقال صلى الله عليه وسلم اشدنا الناس
عذابا يوم القيامة عالم يتفتة الله بعلمه فهذا و امثاله مما اورناه في كتاب العلم في باب علامة علماء الآخرة
اكثر من ان يحصى الا ان هذا قبيلا يوافق هوى العالم الفاجر وماورد في فضل العلم بواقعه فيميل

الشیطان قلبه الى ما هو اود ذلك عين الغرور فانه ان نظرت بالبصيرة فتشاله ماذا كرهه وان نظرت بعين
 الايمان فالذي اختره فضيلة العلم هو الذي اخبر به ذم العلماء السوء وان حالهم عند الله أشد من حال
 الجهال فبعد ذلك اعتقاده أنه على خير مع تأكد حجة الله عليه غاية الغرور وأما الذي يدعى علوم
 المكاشفة كالعلم بالخلق وصفاته وأسمائه وهو من ذلك عمل العمل ويضيق أمر الله وحدوده فغوره
 أشد ومثاله مثال من أراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف أخلاقه وأوصافه ولونه وشكله وطوله
 وعرضه وعادته ومجلسه ولم يتعرف ما يحب وما يكره وما ينضب عليه وما يرضى به أو عرف ذلك
 إلا أنه قصد خدمته وهو ملائس لجميع ما ينضب به وعليه تعاظم عن جميع ما يحبه من رضى وهبة
 وكلام وحر كركسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلخا لجميع
 ما يكرهه الملك عاظا من جميع ما يحبه متوسلا اليه بمرقته له ولنفسه واسمه وبلده وصورته
 وشكله وعادته في سياسة علمائه ومعاملته وعنته فهذا مغرور جدا الذلوزك جميع ما عرفه واشتغل
 بمرقته فقط ومعرفة ما يكرهه ونحوه لكان ذلك أقرب الى نيله المراد من قرينه والاختصاص به بل
 تقصيره في التقوى واتباعه للشهوات يدل على أنه لم يتكشف له من معرفة الله إلا الاسمى دون المعاني
 ان لو عرف الله حق معرفته نخشيه واتقاه فلا يتصور أن يعرف الاسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد
 أوحى الله الى داود عليه السلام خفي كما تخاف السبع الضاري ثم من يعرف من الاسد لونه وشكله
 واسمه قد لا يخافه وكأنه ما عرف الاسد فن عرف الله تعالى عرف من صفاته أنه هلك العالمين
 ولا يزال ويعلم أنه مسخر في قدرة من لو أهلك مثله ألاف مؤلفة وأبد عليهم العذاب أبدا لا يأبى مؤثر
 ذلك فيه أنزلوا ثم أخذوا عليه رقة ولا اعتراه عليه جزع ولذلك قال تعالى انما يتخشى الله من عباده العلماء
 وفاقته الزبور رأس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى خشية الله علوا كفى بالا عتار بالله جهلا
 واستغنى الحسن عن مسألة فأجاب فقيل له ان فقهاءنا لا يقولون ذلك فقال وهل رأيت فقها قاط
 الفقيه القائم ليله الصائم نهاره الا هانق الدنيا وقال مرة الفقيه من فقه عن الله أمره وهيبه وعلم من صفاته ما
 قبلت منه حمد الله وان ردت عليه حمد الله فاذا الفقيه من فقه عن الله أمره وهيبه وعلم من صفاته ما
 أحبه وما كرهه وهو العالم ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين واذا لم يكن هذه الصفة فهو من الغرورين
 (وفرقة اخرى) أحكوا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي الآتية
 لم يستغفروا قلوبهم لم يصواعنها الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد والياء وطلب الرئاسة
 والعلا وارادة السوء للاقران والتظلم وطلب الشهرة في البلاد والعيانور بما لم يعرف بعضهم أن
 ذلك مذموم فهو متكبر علم غير مقرر عنها ولا يلتفت الى قوله صلى الله عليه وسلم أدنى الرياء شرك
 والى قوله عليه السلام لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر والى قوله عليه الصلاة والسلام
 الجسد يا كل الخسرات كانا كل النار الخطب والى قوله عليه الصلاة والسلام حب الشرف والمال
 يبتنان للنفاق كايبت الماء البقل الى غير ذلك من الاخبار التي أوردناها في جميع ربيع المهلكات
 في الاخلاق المذمومة فهؤلاء زيناوا ظواهرهم وأهملوا باطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم
 ان الله لا ينظر الى صورتكم ولا الى أموالكم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم فتعبدوا الاحمال وما تعبدوا
 القلوب والقلب هو الاصل ادلنا بغير الامن أني بالله قلب سليم ومثال هؤلاء كثير ما غشظا ظاهرها
 بجنس وباطنها بنات أو كعبور الموقظا ظاهرها بنين وباطنها بجيفة أو كيت مظلم باطنه وضع سراج
 على سطحه فاستأثر ظاهرها وباطنها مظلم أو كرجل قصد الملك ضيافته الى داره فخص باب داره
 وترك المزابل في صدر داره ولا يخفى أن ذلك غرور بل أقرب مثال اليه رجل زرع زراعت بونت

معه حشيش غيبه فأمر بتقنية الزرع من الحشيش بقلعه من أصله فأخبز رُوسه وأطرافه
فلما زال قوى أصوله قنبت لائق مغارس العاصي هي الاخلاق الذميمة في القلب فن لا يظهر
القلب منها لاتم لها الطاعات الظاهرة الامع الآفات الكثيرة بل هو كريض ظهر به الحرب وقد أمر
بالطلا وشرب الدواء فالطلا ليزيل ما على ظاهره والدواء ليقطع مائة من باطنه فتقع بالطلا
ورق الدواء ويبقى تناول ما يزيد في المادّة فلما زال بطن الطاهر والجرب ذاب عنه بقيت من المادّة التي
في الباطن (وفرقة أخرى) علوا أن هذه الاخلاق الباطنة مضمومة من جهة الشرع الا أنهم
لجهنم بأنفسهم يظنون أنهم متفكون عنها وأنهم أرفع عند الله من أن يتلهم بذلك وانما يتلى به
العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم فأعظم عند الله من أن يتلهم ثم اذا ظهر عليهم مخايل
الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قالوا ما هذا كبر وانما هو طلب عز الدين واطهار شرف العلم
ونصرة دين الله وازعام آف المخالفين من المتدعين وانى لو ليست الدون من الثياب وجلس في
الدون من الجالس لثمت بي أعداء الدين وفرحوا بذلك وكان ذلي لا على الاسلام ونسي المغرور
أن عذقه الذي حذره منه مولا هو الشيطان وأنه يفرح بما يفعله وسخر به ونسي أن النبي صلى
الله عليه وسلم بماذا نصر الدين وبماذا ارضى الكافرين ونسي ما روى عن الصحابة من التواضع والتبذل
والقناعة بالفقر والسكينة حتى مررت على عيسى بن مريم رضي الله عنه في مائة ذرة به عند قدومه الى الشام فقال
انا قوم أمرنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من
القصب والديق والابراس المحرم والتحول والمراكب وزعم أنه يطلب به عز العلم وشرف الدين
وكذلك مهمما اطلق اللسان بالحسد في أقرانه أو فيمن رذ عليه شيئا من كلامه لم يظفر نفسه أن ذلك
حسد ولكن قال انما هذا غضب الحق ورذ على البطل في عدوانه وطلبه لم يظفر بغضب الحسد حتى
يعتقد أنه لو طعن في غيره من أهل العلم أو منع غيره من رياسة وزعم فيها هل كان غضبه وعداؤه
مثل غضبه لأن فيكون غضبه لله أم لا يغضب مهما طعن في عالم آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون
غضبه لنفسه وحسده لا قرانه من حيث باطنه وهكذا يرى في أبحاءه وعلومه واذا خطر له خاطر الرياء
قال هيات انما غرضي من اظهار العلم والعمل اقتناء الخلق لي ليهتدوا الى دين الله تعالى فيخلصوا
من عقاب الله تعالى ولا يتأمل المغرور انه ليس يفرح باقتناء الخلق بغيره كما يفرح باقتنائهم به فلو كان
غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كنهه بعيد مرضى ربه بما جعلهم فانه لا فرق
بين أن يحصل شفاؤهم على يده أو على يد طبيب آخر وما يذكر هذا فلا يجلبه الشيطان أيضا
ويقول اغتدائك لاهم اذا اهدتوا في كان الاجرى والثواب لي فانما فرحت بشواب الله لا بقبول الخلق
قولي هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع من ضميره على أنه لو أخبره نبي بأن ثوابه في التحول واخفاء العلم
أكثر من ثوابه في اظهاره وحسن مع ذلك في حين وقيد بالسلاسل لاحتال في هدم السنين وخل
السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذي به تطهر رياسته من تدريس أو وعظ أو غيره وكذلك يدخل
على السلطان وينود بالهوى يثني عليه ويتواضع له واذا خطر له أن يتواضع للسلطان الظالم حرام
قال له الشيطان هيات اغتدائك عند الطمع في ما لهم فأما أنت فغرضك أن تشفع المسلمين وتدفع
الضرر عنهم وتدفع شر أعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه أنه لو ظهر لبعض أقرانه قبول عند ذلك
السلطان فصار يشفع في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين نقل ذلك عليه ولقد روى على
أن يبيع حاله عند السلطان بالطنع فيه والكتب عليه لقليل وكذلك قد ينهى غرور بعضهم الى أن
يأخذ من ما لهم واذا خطر له أنه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مال لك له وهو لصاح المسلمين وأنت

امام المسلمين وعالمهم وملك قوام الدين أقبل لئلا تأخذ قدر حاجتك فيفتري هذا التليس في ثلاثة أمور : أحدها في أنه مال لا مال له فإنه يعرف أنه يأخذ الخراج من المسلمين وأهل السواد والذين أخذ منهم أحياء وأولادهم وورثتهم أحياء وغاية الأمر وقوع الخلط في أموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة أنفس وخطبها فلا خلاف في أنه مال حرام ولا يقال هو مال لا مال له ويجب أن يقسم بين العشرة وورثه إلى كل واحد عشرة وإن كان مال كل واحد قد اختلط بالآخر * الثاني في قوله أنك من مصالح المسلمين وملك قوام الدين ولعل الذين فسدتهم واستحلوا أموال السلاطين وروغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والأعراض عن الآخرة بسببه أكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها وأقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا امام الدين إذا لمام هو الذي يقتدي به في الأعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالأنبياء عليهم السلام والصحابه وعلماء السلف والرجال هو الذي يقتدي به في الأعراض عن الله والاقبال على الدنيا قلصل موت هذا أنفع للمسلمين من حياته وهو يزعم أنه قوام الدين ومثله كما قال المسيح عليه السلام للعالم السوء انه كضرة وقعت في ثم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يجمض الى الزرع وأصناف ضرور أهل العلم في هذه الاعصار المتأخرة خارجة عن الحصر وقيمة كراهة تنبيه بالقليل على الكثير (وفرقه أخرى) احكوا العلم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظواهر المعاصي وتفقدوا اخلاق النفس وصفات القلب من الزيادة والحسد والحقد والكبر وطلب العلو وجاهدوا أنفسهم في التبري منها وقلعوا من القلوب منابها الجليلة القوية ولكنهم بعد مغرورون اذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكاييد الشيطان وخبايا خداع النفس ماديق وخمض مدركه فلم يفتنوا لها وأهملوها وانما مثاله من يرتقى الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش رآه فقلعه إلا أنه لم يفتش على المخرج رأسه بعد من تحت الأرض وطن أن الكل قد ظهر وزر وكان قد نبت من اصول الحشيش شعب لطاف فأنسبطت تحت التراب فاهملها وهو يظن أنه قد قلعا فإذا هو بها في عقله وقد نبتت وقويت وأسست اصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك العالم قد فعل جميع ذلك وبذل من المراقبة لنفسه ما والتفقد للدفائن فتراه يسهر ليله ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين الفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى أن باعته لحرص على اظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعته اغني هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الاطراف وكثرة الرحلة اليه من الآفاق وانطلاق اللسان عليه بالثناء والمدح بالازهد والورع والعلم والتقديم لأمي المهمات وإشاره في الأعراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الاصغاء عند حسن التقط والاراد والتمتع بغير ملك الرأس الى كلامه والبيكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الاصحاب والاتباع والمستفيدين والسرور بالتخصيص بهذا الخاصية من بين سائر الاقران والاشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد المتكبر به من إطلاق لسان الطعن في الكافة المقلبين على الدنيا لاعتقائهم بصحية الدين ولكن عن ادلال بالتمييز واعتداد بالتخصيص ولعل هذا المسكين المفرور رحيته في الباطن بما انتظم له من أمور اماره وعزرائضه وتوفيقه وحسن ثناء فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من أعماله فسواء ينشؤش عليه قلبه ويحتلظ أو راده ووظائفه وعساه يعتذر بكل حيلة لنفسه ويرى يحتاج الى أن يكذب في تطية عيه وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وإن كان قد اعتقد فيه فوق قدره وينو قلبه عن عرف حذقه وورعه وإن كان ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر بعض أصحابه على بعض وهو يرى أنه يؤثر لتقدمه في الفضل

والورع وانما ذلك لانه أطوع له وأتبع لمراهوا أكثرنا عليه وأشد اصفاء اليه وأحرص على خدمته
ولعلمه يستبدون منه ورغبون في العلم وهو يظن أن قبولهم له لاختلاصه وصدقه وقبالة يحنى عليه
فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه من منافع خلقه ويرى أن ذلك مكفر للثوبه ولم يتقدم نفسه
تصبح النية فيه وعسا لو وعد بمثل ذلك الثواب في اشارة الخول والعزلة وانخلاء العلم لم يرغب فيه
لفقدته في العزلة والاختفاء لمدة القبول وعزة الرياسة لعل مثل هذا هو المارد يقول الشيطان من زعم
من بنى آدم أنه بهلله امتنع مني فيجهله وقع في حباتي وعسا به نصف ويحجده فيه طائفة أنه يجمع علم الله
لنفع به وانما يريد به استطاره اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدعى تصنيفه ونحاضه اسمه ونسبه
الى نفسه نقل عليه ذلك مع علمه بأن ثواب الاستفادة من التصنيف انما يرجع الى المصنف والله يعلم
بأنه هو المصنف لامر اذاعه ولعلمه في تصنيفه لا يخلو من الثناء على نفسه اما صريحا بالمدح أو
الطولية العريضة واما ضمنيا بالطن في غيره ليلسبين من طعنه في غيره أنه أفضل من طن فيه
وأعظم منه علما ولقد كان في غيبة من الطن فيه ولعلمه يحكى من الكلام المزيف ما يزيد ترينه
فغيره الى قائله وما يستحسنه فقله لا يعزبه اليه لظن أنه من كلامه فيستهله به كالكسار له
أو غيره أدنى تغيير كالذي يسرق قصافيتخذه قباء حتى لا يعرف أنه مسروق ولعلمه يحجده في زين
ألفاظه وتبسيجه وتحسين نظمه كليا ينسب الى الركا كذا يرى أن عرضه تزويج الحكمة وتحسينها
وترتيبها ليكون أقرب الى نفع الناس وعسا عاقل عا روى أن بعض الحكماء وضع ثلثا منه نصف
في الحكمة فأوحى الله الى نبي زمانه قل له قدمات الأرض نفاقا واني لا أقبل من نفاقك شيئا ولعل
جماعة من هذا الصنف من المعتزين اذا اجتمعوا طن كل واحد نفسه السلامة عن عيوب القلب
وخباياه فلو افترقوا أو اتبع كل واحد منهم فرقة من أصحابه فطركل واحد الى كثر من تبعه والله أكثر
تبعاً وأخيراً فغير ح أن كان أتباعه أكثر وان علم أن غيره أحق بكثرة الاتباع منه ثم اذا فترقوا
واشتغلوا بالآفاده تغايروا ونحاسدوا ولعل من يختلف الى واحد منهم اذا انقطع عنه في غيره نقل
على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لاهتم باطنه لا كرامه ولا يشمر لقضاء حوائجه كما كان
يشمر من قبل ولا يحرص على الثناء عليه كما أنني مع علمه بأنه مشغول بالاستفادة ولعل الصبر منه
الى فئة أخرى كان أنفع له في دينه لأنه من الآفات كانت نفعه في هذه الفتوة سلامته عنها في تلك
الفتوة ومع ذلك لا تزول النفرة عن قلبه ولعل واحد منهم اذا تحرك فيه مبادئ الحسد لم يقدر
على اظهاره فيقتل بالطن في دينه وفي ورعه ليعمل غرضه على ذلك ويقول انما غضبت لدين الله
لالتفسي ومهما ذكرت عيوبه بين يديه وبما فرح له وان أنني عليه بما ساءه وكرهه وبما قطب
وجهه اذا ذكرت عيوبه يظهر أنه كاره لفضيلة المسلمين وسر قلبه راض به ومريد له والله طلع عليه
في ذلك فهنا أمثاله من خبايا القلوب لا يظن له الا الاكس ولا يتزعه عنه الا الاقوياء ولا مطمع فيه
لانه الثامن الضعفاء الا أن أقل الدرجات أن يعرف الانسان عيوب نفسه ويسوء ذلك ويكرهه
ويحرص على اصلاحه فاذا أراد الله بعد خيرا بصرة يعيوب نفسه ومن سرته حسنة وساءه سيئته
فهو صر جوا لخال وأمره أقرب من الغرور والمزك لنفسه الممتن على الله بهله وعلمه الطمان أنه من
خبايا خلقه فنعوذ بالله من النغلة والاعتزاز ومن المعرفة بتخايب الصوب مع الاهیال هذا غرور والذين
خلصوا العلوم للهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم ولند كذا الآن غرور والذين تعوا من العلوم
بمالهم وزكوا لهم وهم بمغترون اما لا مستقبلاتهم عن أصل ذلك العلم واما اقتصرهم عليه
(فهم فرقة) اقتصر واملی علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل العائلات المشيوية

الجارية بين الخلق لصالح العباد وخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب ور بماضيها
مع ذلك الأعمال الظاهرة والباطنة فلم ينفقوا الجوارح ولم يخرسوا اللسان عن القبية ولا البطن عن
الحرام ولا الرجل عن المثني إلى السلطين وكذا سائر الجوارح ولم يجرسوا قلوبهم عن الكبير والحسد
والأرياء وسائر المهلكات فقولاء مغرورون من وجهين أحدهما من حيث العمل والآخر من حيث
العلم أما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وأن مثاله مثل المريض إذا تعلم نسخة الدواء واشتغل
بتكراره وتعليمه لأبل مثاله مثل من به علة البواسير والرسام وهو مشرف على الهلاك ويحتاج إلى
تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستعاضة وتكرر ذلك ليلا ونهارا مع علمه بأنه رجل
لا يجيئ ولا يستعاض ولكن يقول ربما تقع علة الاستعاضة لا مرة أو تسألني عن ذلك وذلك غاية
الغرور فكذلك المتفقه المسكين قد بسط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والرياء
وسائر المهلكات الباطنة ور بماضيها فطفه الموت قبل التوبة والتلاق فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك
ذلك كله واشتغل بعلم السلم والاجارة والظهار والمعان والجراحات والديات والداوى والينيات
وبكاتب الحبيض وهو لا يحتاج إلى شيء من ذلك قط في عمره لنفسه وإذا احتاج غيره كان في الفتن كثرة
فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والرياسة والمال وقيد به الشيطان وما يشعر أن يظن
الغرور بنفسه أنه مشغول بفرض دينه وليس يدري أن الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ من
فرض العين معصية هذا لو كانت نية صحيحة كما قال وقد كان قصد بالفقه وجه الله تعالى فإنه وإن
قصد وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه في جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل
وأما غروره من حيث العلم فحث اقتصر على علم الفتاوى وظن أنه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ور بماطن في المحدثين وقال انهم نقلوا أخبارا وحملوا أسفار ولا يفقهون
تركوا أيضا علم تهذيب الأخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بأدراك جلاله وعظمته وهو العلم الذي
يورث الخوف والهيبة والخشوع ويعمل على التقوى قراء آثامنا الله مغترابه متكل على أنه لا بد أن
يرحمه فإنه قوام دينه وأنه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التي هي أهم
وهو غافل مغرور وسبب قروره ما سمع في الشرع من تنظيم الفقه ولم يدرك ذلك الفقه هو الفقه عن
الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلزم التقوى انقال تعالى
فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون
والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الأموال بشروط العاملات وحفظ
الأيدان بالأموال ويدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله أو لغيره من كبر وانما العلم المهم
هو معرفة فصول الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الجبابرة بين العبد
وبين الله تعالى وإذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محبوبا من الله تعالى في الاقتصار على علم الفقه
مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خزانة روية والخلف ولا شك في أنه لو لم يكن لتعطل
الحج ولكن المقصر عليه ليس من الحاج في شيء ولا يسبيله وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن
هو لاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهتم بالعلم طريق المجاهدة والالزام والحام انحصوم
ودفع الحق لأجل الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات أرباب
الذهاب والتقدم لميوب الاقربان والتلفق لأفان التسيبيات المؤنية وهو لاء هم سبع الانس
طبعهم الأيداء وهمهم السفه ولا قصدون العلم بالضرورة ما يلزمهم لمباهاة الاقربان فكل علم
لا يحتاجون اليه في الملباهة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق إلى الله تعالى بمحو الصفات المذمومة

وتبدلها بالمحمودة فانهم يستغفرونهم ويسمونهم الترويق وكلام الوعاط وانما التحقق عندهم معرفة
تفاصيل العربية التي تجري بين المتصارعين في الجدل وهو لا قد جمعوا ما جمعه الذين من قبلهم في علم
الفتاوى ولكن زادوا واشتغلوا بما ليس من قروض الكتابات أيضا بل جميع دقائق الجدل في الفقه
يدعون يعرفها السلف وأما أدلة الأحكام فيشتمل عليها علم المذهب وهو كتاب القنونة رسالة رسولته صلى
الله عليه وسلم وفهم معانيهما وأما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدي
فانما بدعت لاظهار الغلبة والافحام واقامة سوق الجدل بها فغروها لا أشد كثيرا وأقبح من غرور
من قبلهم (ورقة أخرى) اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الآلهاء والرد على المخالفين وتنبع
مناقضاتهم واستصكروا من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق في مخاطرة أوائل
والغامهم واقتروا في ذلك غفرا كثيرة واعتقدوا أنه لا يكون لبدعي الايمان ولا يصح ايمان الا بآن
يتعلم جدهم وما سمعوا أدلة عقائدهم وظنوا أنه لا أحد أعرف بالله وبصفاته منهم وأنه لا ايمان لمن لم
يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علومهم ودعت كل فرقة منهم الى نفسها ثم هم فرقتان ضاللة وحقة فالضالة هي
التي تدعو الى غير السنة والحقة هي التي تدعو الى السنة والغرور شامل بلجهم أما الضاللة فانقلبت
عن ضلالتها وظنها انتفتحت النجاة وهم فرق كثيرة تكفر بعضهم بعضا وانما أوتيت من حيث انهم اتهمتهم
رأيا ولم يحكم أولًا بشروط الأدلة ومنها ما فرأى أحدهم الشبهة ولا الدليل شبهة . وأما
الفرقة الحقة فانما اعتبروا بها من حيث أنها ظننت بالجلد أنه أهم الأمور وأفضل القربات في دين الله
وزعمت أنه لا يتم لاحد دينه مالم يخصص ويبحث وأن من صدق الله ورسوله من غير بحث وتخبر
دليل فليس بمؤمن وأوليس يكامل الايمان ولا يقرب من الله فهذا الطعن الفاسد قطعت أعمارها في
تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذا بيان المتدعة ومناقضاتهم وأهلوا أنفسهم وقلوبهم حتى
سمعت عليهم ذنوبهم وخطاياهم الظاهرة والباطنة وأحدهم يظن أن اشتغاله بالجلد أولى وأقرب
من الله وأفضل ولكنه لا لتزاد الغلبة والافحام ولذة الرياضة وعز الاتباع الى المنصب من دين الله تعالى
حيث يصيرته فلم يلتفت الى القرن الأول فان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بأنهم خير الخلق وأنهم
قد أدركوا كثيرا من أهل البدع والمورى فاجعلوا أعمارهم ودينهم فترضا التصومات والمجادلات
وما اشتغلوا بذلك من فقد قلوبهم وجوارحهم وأحوالهم بل لم يتكلموا فيه الا من حيث رأوا حاجة
وتوسموا تخاليل قول فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالاته واذاروا مصر اعلى ضلالاته
هجره وأعرضوا عنه وأغضوه في الله ولم يلزموا الملاحة معه طول العر بل قالوا ان الحق هو الدعوة
الى السنة ومن السنة ترك الجدل في الدعوة الى السنة اذ روى أبو امامة الباهلي عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال ما ضل قوم قط بعد هدى كانوا عليه الا أولوا الجدل وخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم اعيى أصحابه وهم يتجادلون ويخصمون فتصب عليهم حتى كانه يفتق في وجهه حب الرمان
حررة من الغضب فقال ألهذا بعثتم بهذا أمرتم أن تضر ولكم كتاب الله يبضه بعض انظروا الى
ما أمرتم به فاعملوا ما تهتم به فانهم وافقد زجرهم من ذلك وكانوا أولى خلق الله بالحج والجدل ثم
اتهم وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث الى كافة أهل المثل فلم يقد معهم في مجلس مجادلة
لازام والغام وتحقق حجة ودفع سؤال وباراد الزام فاجابهم بالقرآن والمثل عليهم ولم يرفى
المجادلة عليه لان ذلك يشوش القلوب ويستقرج منها الاشكالات والشبهة ثم لا قدر على محوها من
قلوبهم وما كان يهز من مجادلهم بالتقسيمات ودقائق الاقيسة وأن يعلم أصحابه كيفية الجدل
والا زام ولكن الكيس وأهل الحزم لم يفتروا بهذا وقالوا لو نجأ أهل الارض هؤلاء لكانت يفتنوا بها

ولم يخونا وهلكوا بالمرض ناهلا كهم وليس علينا في الجادلة اكثر مما كان على الصحابة مع اليهود
والنصارى وأهل الملل وما ضيعوا العرب بجزعهم لآلهم فالتا نصيب العرو لا تصرفه الى ما ينفعنا
في يوم قفرا وفاقنا لم نخوض فيما لا نأمن على أنفسنا الخطا في تفاصيله ثم نرى أن المبتدع ليس يترك
بديته مجده بل يزيده التصبب والخصومة تشدد في بدته فاشتغالى بمخاصمة نفسه ومجادلتها
ومجادتها لتترك الدنيا لآخره أولى هذا لو كنت لم أنه من الجدل والخصومة فكيف وقد نهيت
عنه وكيف أدعو الى السنة بترك السنة فالأولى أن أتفقد نفسي وأتظمر من صفاتها ما يبغضه الله
تعالى وما يحبه لأنتزه عما يبغضه وأتمسك بما يحبه (وفرقة أخرى) اشتغلوا بالوعظ والتذكير وأعلامهم
رغبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والزجاء والصبر والشكر والتوكل
والزهد واليقين والاخلاص والصدق ونظائره وهم مغرورون يظنون بأنفسهم أنهم إذا تكلموا
بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها قد صابروا ووصفوا بهذه الصفات وهم منكفون عنها عند
الله إلا عن قدر يسير لا يفتك منه عوام المسلمين وغرور هؤلاء أشد الغرور لأنهم يجهلون بأنفسهم
غاية الاحجاب ويظنون أنهم ما تبصروا في علم المحبة الا وهم محبوبون لله وما قدر رواعي تحقيق دقائق
الاخلاص الا وهم مخلصون وما وقروا على خفايا عيوب النفس الا وهم منها بمنزهون ولولا أنه مقرب
من الله لما عرفه معنى القرب والبعد وعلم السلوك الى الله وكيفية قطع المنازل في طريق الله فأسكن
هذه الظنون يرى أنه من الخائفين وهو آمن من الله تعالى ويرى أنه من الراغبين وهو من المغترين
الضبيعين ويرى أنه من الراضين بقضاء الله وهو من الساططين ويرى أنه من المتوكلين على الله
وهو من التاكليين على العز والجاء والمال والاسباب ويرى أنه من المخلصين وهو من المرابين بل
يصف الاخلاص فيترك الاخلاص في الوصف ويصف الرياء ويذكره وهو يرى أنه يكره ليعتقد فيه
أنه لولا أنه مخلص لما اهتدى الى دقائق الرياء ويصف الزهد في الدنيا لشدته حرصه على الدنيا وقوة
رغبته فيها فهو يظهر للدعاء الى الله وهو منه فار ومخوف بالله تعالى وهو منه آمن ويذكر بالله تعالى
وهو له ناس وقرب الى الله تعالى وهو منه متباعد ويحث على الاخلاص وهو غير مخلص ويذم
الصفات للذمومة وهو ما تصف ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق أشد حرصا لوضع عن
جلبه الذي يدعو الناس فيه الى الله لضافت جلبه لارض بما رحبت وزعم أن غرضه اصلاح الخلق
ولو ظهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه وصلحو ا على يديه لمات غما وحسدا ولو أنني أحد من
المرتدين اليه على بعض أقرانه لكان أبغض خلق الله اليه فهو هؤلاء أعظم الناس غرورا وبعدهم عن
التنبه والرجوع الى السبيل لان المرقب في الاخلاق المحمودة والمترفع عن الذمومة هو العلم بفوائدها
وفوائدها وهذا علم ذلك ولم يتفقه وشغله حبه دعوة الخلق من العمل به فبعد ذلك ما دام عاجز وكيف
سبيل تقويه وانما الخوف ما يتلوه على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف نعم ان ظن بنفسه أنه
موصوف بهذه الصفات المحمودة يمكن أن يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو أن يدعى مثلا
حبا لله فالذي تركه من محاب نفسه لاجلهو يدعى الخوف مما الذي امتنع منه بالخوف ويدعى
الزهد بما التزم تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعى الانس بالله فتي طابت له الخلوة ومضى
استوحش من مشاهد الخلق لا بل يرى قلبه عمتا بالخلوة اذا أحرق به الريدون وتراه يستوحش
اذا دخل بالله تعالى فيقول رأيت محبا يستوحش من محبوبه ويستروح منه الى غيره فلا يكاسي يتخنون
أنفسهم بهذه الصفات ويطلبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموتق من الله حليط
والمغتررون بحسنون بأنفسهم الظنون واذا كشف اللغطاء عنهم في الآخرة فمتحشون بل بطرحون في

النار فتدلى أقدامهم فيدور بها أحدهم كلبور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لا تنهم بأمر من بالغير ولا يأتونه وينهون عن الشر ويأتونه وانما وقع الغرور لهؤلاء من حيث أنهم يصادفون في قلوبهم شيئا ضيقا من أصول هذه المعاني وهو حب الله والخوف منه والرضى بفعله ثم قد روي عن ذلك على وصف المنازل العالية في هذه المعاني تظنون أنهم ما قدر روعي وصف ذلك وما رزقهم الله علمه وما منع الناس بكلامهم فيها إلا اتصافهم بما وذهب عليهم أن القبول للكلام والكلام للعرفه وجرى بان الإنسان والعرفه للعلم وإن كل ذلك غير الاتصاف بالصفة فلم يفارق أحاد المسلمين في الاتصاف بصفة الحب والخوف بل في القدرة على الوصف بل ربما زادوا منه وقل خوفه وظهره إلى الخلق عليه وضعف في قلبه حب الله تعالى وانما مثاله مثال مرض يصف المرض ويصف بدواه بصفاحتة ويصف الصحة والشفاء وغيره من المرضى لا يقدر على وصف الصحة والشفاء وأسبابه ودرجاته وأصنافه فهو لا يفارقهم في صفة المرض والاتصاف به وانما يفارقهم في الوصف والعلم بالطب فظنه عند علمه بحقيقة الصحة أنه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف والحب والتوكل والزهو وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بصفاتهما ومن التمس عليه وصف الحقائق بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور فهذه حالة الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم بل مناهج وعظهم مناهج وعظ القرآن والأخبار ووعظ الحسن البصري وأمثاله رحمة الله عليهم (وفرقة أخرى) منهم عدلوا عن المنهج الواجب في الوعظ وهم وعظ أهل هذا الزمان كافة الأمن عصمه الله على التدور في بعض أطراف البلاد أن كان ولنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطج وتلفق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا للأغراب وطائفة شغفوا ببطاريات التكت وتسعيح اللفاظ وتلقيقها فأكثرهمهم بالايجاع والاستشهاد بأشعار الوصال والفراق وغرضهم أن تكثر في مجالسهم الزينات والتواجد ولوعلى أغراض فاسدة فهو لا مفسطين الأنس ضلوا وأضلوا من سواء السبيل فإن الأولين وإن لم يصلوا أنفسهم فقد أضلوا غيرهم وصححوا كلامهم وروضهم وأما هؤلاء فأنهم يستنون عن سبيل الله ويمجرون الخلق إلى الغرور بالله بل يفتخرون بالجاه فيزيدهم كلامهم جراءة على المعاصي ورغبة في الدنيا لا سيما إذا كان الواعظ مترينا بالثياب والخيول والمراكب فإنه تشهد هيبته من فرقه إلى قدمه بشدة حرصه على الدنيا فيفسده هذا الغرور أكثر مما يصلحه بل لا يصلح أصلا ويضل خلقا كثيرا ولا يخفى وجه كونه مغرورا (وفرقة أخرى) منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد وأحاديثهم في ذم الدنيا فمهم يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير إحاطة بعمقها فبعضهم يفعل ذلك على المنابر وبعضهم في المحاريب وبعضهم في الأسواق مع الجلساء وكل منهم يظن أنه إذا غرّب هذا القدر من السوق والجنديّة أدق حفظ كلام الزهاد وأهل الدين دونهم فقد أفلحوا نال الغرض وصار مغرورا وأمن عقاب الله من غير أن يحفظ ظاهره وباطنه من الآثام ولكنه يظن أن حفظه لكلام أهل الدين بكفيه وغروره هؤلاء أنظر من غرورهم في قلوبهم (وفرقة أخرى) استغفروا أوقاتهم في علم الحديث أثنى في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الأسانيد الغريبة العالية فحقة أحدهم أن يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول أنا أرى من فلان ولقد رأيت فلانا ومنى من الأسناد ما ليس مع غيري وغرورهم من وجوه منها أنهم كملوا الأسفار فأنهم لا يصرفون العناية إلى فهم معاني السنة فعملهم قاصر وليس معهم إلا النقل ويظنون أن ذلك يكفيهم ومنها أنهم اذ لم يفهموا معانيها لا يعملون بها وقد يفهمون بعضها أيضا ولا يعملون به ومنها أنهم يتركون العلم الذي هو فرض عين وهو معرفة علاج القلب ويستغفون بتكثير الأسانيد وطلب العالي منها ولا حاجة لهم إلى شيء من ذلك ومنها وهو الذي أكب

عليه أهل الزمان أنهم أيضا لا يقومون بشرط السماع فان السماع بمجرد وان لم تكن له فائدة ولكنه
مهم في نفسه للوصول الى اثبات الحديث اذ التفهم بعد الاثبات والعمل بعد التفهم فالاول السماع
ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهو لا يقتصر وان الجملة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع
فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ أو الشيخ ينطق بالصبي يلعب ثم يكتب اسم الصبي
في السماع فاذا اكبر تصدى ليسمع منه والبالغ الذي يحضر ربما يقل ولا يسمع ولا يصق ولا يضبط
وربما يشتغل بحديث أو نسخ والشيخ الذي يقرأ عليه لو حجب وضربا يقرأ عليه لم يشعر به ولم يعرفه
وكل ذلك جهل وغرور اذ اصل في الحديث أن يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحفظه كما
سمعه ورويه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان عجزت عن سماعه من
رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة أو التابعين وصار سماعك من الراوى كسماع من
سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ان تصفى لتسمع فتفظ وتروى كما حفظت وتحفظ كما
سمعت بحيث لا تغير منه حرفا ولو تغير منه حرفا وأخطأ علمت خطاها • وحفظك طريقان •
أحدهما أن تحفظ بالقلب وتستد به بالذكور والكرار كما تحفظ ما جرى على سمعك في بحارى
الاحوال • والثاني أن تكتب كما تسمع وتصح المكتوب وتحفظه حتى لا تهمل اليه من يغيره ويكون
حفظك للكتاب معك وفي خزانتك فانه لو امتدت اليه يد غيرك ربما غره فاذا لم تحفظه لم يشعر بغيره
فيكون محفوظا بقلبك أو كتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته وتأت من فيه من النسخ والتعريف
فاذا لم تحفظ بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت عقل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة
لذلك الشيخ وجوزت أن يكون مافيه مغيرا أو يفاقر حرف منه لاسعة التي سمعتها لم يجز لك أن
تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدري لعلك لم تسمع مافيه بل سمعت شيئا يختلف مافيه ولو في كلمة
فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوفقت علم التقابل بما في أن تعلم أنك سمعت
ذلك وقد قال الله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقول المشيخ كلهم في هذا الزمان اناس معاصماني
هذا الكتاب اذ الوجود للشرط الذي ذكرناه فهو كذب صريح وأقل شروط السماع أن يجري الجميع
على الجمع مع نوع من الحفظ يشعر معه بالتغير ولو جاز أن يكتب سماع الصبي والمعاقل والنائم
والذي ينسخ لجاز أن يكتب سماع المجنون والصبي في المهد ثم اذا بلغ للصبي وأفاق المجنون ليسمع
عليه ولا خلاف في عدم جواز ذلك لجواز ان يكتب سماع الجنين في البطن فان كان لا يكتب
سماع الصبي في المهد لانه لا يفهم ولا يحفظ فالصبي الذي يلعب والمعاقل والمشغول بالنسخ عن
السماع ليس يفهم ولا يحفظ وان استخيرا جاهل فقال يكتب سماع الصبي في المهد فليكتب سماع
الجنين في البطن فان فرق بينهما بأن الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فانفع هذا
فهو ان يثبت في الحديث دون الصوت فليقتصر ادعاء شجاعا أن يقول سمعت بعد بلوغى انى في
صباى حضرت مجلسا روى فيه حديث كان يقرع سمعى صوته ولا أدري ما هو فلا خلاف في أن
الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح ولو جاز اثبات سماع التركى الذى لا يفهم
الحرية لانه سمع هو ما غفلا لجواز اثبات سماع صبي في المهد وذلك غاية الجهل ومن أن يؤخذ هذا
وهل السماع مستد لا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم نصر الله ما سمع مقالتي فوعاها فاذا اذها
كما سمعها وكيف يؤذى كما سمع من لا يدري ما سمع فهذا ألحش أنواع القرو ووقد بلى هذا أهل الزمان
ولو احتاط أهل الزمان لم يجدوا شيئا الا الذين سمعوه في الصبا على هذا الوجه مع الغفلة الا أن
المحدثين في ذلك جابها وقبولا لخلاف المساكين أن يشترطوا ذلك فيقول من يجمع لذلك في حلقته

فيبقى جاهلهم وتقل أيضاً أحاديثهم التي قد سمعوا بهذا الشرط بل ربما عدوا ذلك واقترحوا
 فأصطلحوا على أنه ليس بشرط إلا أن يقرع سمعه مدممة وأن كان لا يدري ما يجري وصحة السماع
 لا تعرف من قول المحدثين لأنه ليس من علم بل من علم علماء الأصول بالثقفة وما ذكرناه
 منقطع به في قوانين أصول الفقه فهذا ضروري هؤلاء ولو سمعوا على الشرط كانوا أيضاً مفرورين
 في اقتصارهم على النقل وفي إفتاء أعمارهم في جمع الروايات والاسانيد وأعمارهم عن مهمات
 الدين ومعرفة معاني الأخبار بل الذي يقصد من الحديث سلوك طريق الآخرة وما يكفيه الحديث
 الواحد عمره كما روى عن بعض الشيوخ أنه حضر مجلس السماع فكان أول حديث روى قوله
 عليه الصلاة والسلام من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه فقام وقال يكفي هذا حتى أفرغ منه
 ثم أسمع غيره فبكنا يكون سماع الأكاس الذين يحذرون الفرور (وفرة أخرى) اشتغلوا بعلم
 النحو واللغة والشعر وغرب اللغة واعتروا به وزعموا أنهم قد غطوا وأنها من علماء اللغة قد قوام
 الدين بالكاتب والسنة وقوام الكلب والسنة يعلم اللغة والعرفاني هؤلاء أعمارهم في دقائق
 النحوي في صناعة الشعر وفي غريب اللغة ومثالهم كمن يفتي جميع العرفي تعلم الخط وتصحيح الحروف
 وتحسينها وزعم أن العلوم لا يمكن حفظها إلا بالكاتب فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم أنه يكفيه
 أن يتعلم أصل الخط بحيث يمكن أن يقرأ أكتفاً كان والباقي زيادة على الكفاية وكذلك الأدب
 لو عقل لعرف أن لغة العرب كلغة الترك والمضيغ عمره في معرفة لغة العرب كالضيق له في معرفة لغة
 الترك والهند وإنما فارقته لغة العرب لأجل ورود الشريعة بها فنكتفى من اللغة علم الفريين في
 الأحاديث والكتب ومن النحوي ما يتعلق بالحديث والكتب فأما التعمق فيه إلى درجات لانتهاهى
 فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه وأعرض عن معرفة معاني الشرع والعمل بها فهذا أيضاً
 مفروء بل مثاله مثال من ضيع عمره في تصحيح مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه وهو
 ضروراً المقصود من الحروف المعاني وإنما الحروف ظروف وأدوات ومن احتاج إلى أن يشرى
 السكتين لنزول ما به من الصفراء وضبط أوقاته في تحسين القدح الذي شرب فيه السكتين
 فهو من الجهال المفرورين فكذلك غرور أهل النحو واللغة والأدب والقراءات والتدقيق في مخارج
 الحروف مهما تعمقوا فيها وتجزؤوا والماء وعرجوا عليها أكثر مما يحتاج إليه في تعلم العلوم التي هي فرض
 عين فالب لا يقضى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالتشرى للعمل وكالب بالاضافة
 إلى ما فوقه وما فوقه هو سماع اللفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو بشرط طرق الاضافة إلى
 المعرفة ولرب بالاضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهو التشرى إلى
 العلم بمخارج الحروف والقانون بهذه الدرجات كلهم مفترقون إلا من اتخذ هذه الدرجات منازل
 فلم يعرج عليها لا بقدر حاجته فتجاوز إلى ما وراء ذلك حتى وصل إلى لباب العمل فطالب بحقيقة
 العمل قلبه وجوارحه ورجى عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الأعمال وتصفيها عن الشوائب
 والآفات فهذا هو المقصود المحدث ومن جملة علوم الشرع وشأن العلوم خدمته ووسائله الموقشور
 له ومنازل بالاضافة إليه وكل من لم يبلغ المقصد قد خاب سواء كان في المنزل القريب أو في المنزل
 البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها أرباباً ما علم الطب والحساب
 والصناعات وما علم أنه ليس من علوم الشرع فلا يعتد أصحابها أنهم يتأولون المغفرة بها من حيث
 أنها علوم فكان الغرور بها أقل من الغرور بعلوم الشرع لأن العلوم الشرعية مشتركة في أنها
 محمودة كما يشترك القشر البقي كونه محموداً ولكن المحمود منه لعينه هو التبيين والبيان محمود

للوصول به الى المقصود الاقصى في اتخاذ القشر مقصودا ومرج عليه فقد اعتربه (ورقة أخرى)
عظم غرورهم في حق الفقه فظنوا أن حكم البصدينه وبين الله تتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا
الحيل في دفع الحقوق وأسأوا تأويل الاقفاط المهمة واعتزوا بالتواهر وأخطأوا فيها وهذا من
قبيح الخطأ في الفتوى والفرو فيه والخطأ في الفتاوى مما يكثر ولكن هذا فروع عم الكفاة
الا الاكاس منهم فتنس الى أمثلة في ذلك فتواهم بأن المرأة متى أبرأت من الصداق برئ الزوج بينه
وبين الله تعالى وذلك خطأ بل الزوج قد يسيئ الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق
فتضطر الى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتخلص منه فهو ابراءه لا عن طيبة نفس وقد قال تعالى فان
طعن لكم من شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وطيبة النفس غير طيبة القلب فقد يريد الانسان
بقلبه مالا تطيب به نفسه فانه يريد الجأمة بقلبه ولكن تكرهها لنفسه وانما طيبة النفس أن تسمع
نفسها بالابراء لا عن ضرورة تقابله حتى اذا ردت بين ضررين اختارت أهونها فهذه مصادرة على
التعقيب بآكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والاعراض فيتطرق الى الابرار الظاهر
وانهم لا تكرهه بنسب ظاهروا الا كراه الباطن ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضي
الا كبر في صعيد القيامة القضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الابرار ولذلك لا يجلي أن يؤخذ
مال الانسان الا يطيب نفس منه فلو طلب من الانسان مالا على ملائمن الناس فاستحي من الناس
أن لا يعطيه وكان يرذ أن يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف ألم مذمة الناس وخاف
ألم تسليم المال ورده نفسه منهم ما فاختار أهون الامين وهو ألم التسليم فسله فلا فرق بين هذا وبين
المصادرة اذ معنى المصادرة ايلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك أقوى من ألم القلب بسذل المال
فيتنار أهون الامين والسؤال في مظنة الخيبة والارباب ضرب لقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب
الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فان الباطن عند الله تعالى ظاهر وانما حاكم الدنيا هو الذي
يحكم بالملك بظاهره قوله وهبت لانه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك من يعطي اتياء لشر
لنائه أو لشر سعياته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام الا ترى ما جاء
في قصصه اورد عليه السلام حيث قال بعد أن فقر له يارب كيف لي بحضري فأمر بالاستئصال منه
وكان ميتا فأمر ببدنه في حفرة بيت المقدس فنادى بأوربا فاجابه ليسك يا نبي الله أخرجني من
الجنة فنادى فنادى فقال اني أسأت اليك في أمر فهمه لي قال قد فعلت ذلك يا نبي الله فانصرف وقد ركن
الى ذلك فقال له جبريل عليه السلام هل ذكرت له ما فعلت قال لا قال فارجع فينبه له فرجع فناداه
فقال ليسك يا نبي الله فقال اني أذنت للسك فنادى فقال ألم أهيك قال لا أسأتني ما ذاك الله ذنب قال
ما هو يا نبي الله قال كذا وكذا وكرشاً المرأة فانقطع الجواب فقال يا أوري يا لا تخيبي قال يا نبي
الله ما هكذا بفعل الانبياء حتى أقف معك بين يدي الله فاستقبل داود البكاء والصراخ من الرأس
حتى وعده الله أن يستوبه منه في الآخرة فهذا انبهك أن الهبة من غير طيبة قلب لا تقبل وأن طيبة
القلب لا تحصل الا بالعرفه فكذلك طيبة القلب لا تكون في الابرار او الهبة وغيرهما الا اذا خي
الانسان واختياره حتى تتبع الدواحي من ذات نفسه لأن تضطر بواعثه الى الحركة بالحس
والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة في آخر الحول من زوجته وانما به ماله لا سقاط الزكاة
فالغيبه يقول سقطت الزكاة فان أراد به أن مطالبة السلطان والساعي سقطت عنه فقد صدق
فان مطمح نظره بظاهر الملك وقد زال وان ظن أنه يسلم في القيامة ويكون كمن لم يملك المال أو كمن
يأبى لحاجته الى البيع لاصح هذا القصد فما أعظم جهله بفقه الدين وسر الزكاة فان سر الزكاة تطهير

القلب عن رذيلة الخلق فان الخلق مهلك قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكت شع مطاع وانما
صبار شع مطاعا بفعله وقبيله لم يكن مطاعا قد تم هلاكه بما يظن أن فيه خلاصه فان الله مطاع
على قلبه وحده للآل وحرمة عليه وأنه بلغ من حرمة على المال أن استنبط الخيل حتى يستعلى
نفسه طريق الخلاص من الخلق بالجلد والغرور ومن ذلك اباحة مال الصالح للفقير وغيره بقدر
الحاجة والفقهاء الغرورون لا يميزون بين الأمانى والقضول والشهوات وبين الحاجات بل كل
ما لا تتم رعونتهم إلا به يرونه حاجة وهو محض الغرور بل النيا خلقت لحاجة العباد الهياقي العادة
وسلو وطريق الآخرة فكل ما تناوله البدل استعانة به على الدين والعبادة فهو حاجته وما عدا ذلك
فهو فضوله وشهوته ولودعنا نصف غرور الفقهاء في أمثال هذا المألف بمجملات والغرض من ذلك
التنبه على أمثلة تعرف الاجناس دون الاستيعاب فان ذلك يطول في الصف الثاني
أرباب العبادة والعمل والغرورون منهم فرق كثيرة فتم من غروره في الصلاة ومنهم من غروره
في تلاوة القرآن ومنهم في الحج ومنهم في الغرور ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول بنهج من
منها حج العمل فليس خالبا عن غرور الا لا كاس وقليل ما هم (فهم فرقة) أهملوا القرائض
واشتغوا بالقضائل والنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا الى العدوان والسرف كالذي
تغلب عليه الوسوسة في الوضوء فنبالغ فيه ولا يرضى الماء المحكوم بطهارته في قوى الشرع وقد
الاحتمالات البعيدة قربة في العبادات وانما آل الامر الى أكل الحلال قدر الاحتمالات القربة
بعيدة وربما أكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام لكان أشبه بسمرة
الصحابة اندوساً غير رضى الله عنه بما في جرة نصراية مع ظهور احتمال العبادات ركان مع هذا يدع
أربابا من الخلل خافة من الوقوع في الحرام ثم من هؤلاء من يخرج الى الاسراف في صب الماء وذلك
منه عن عقود بطول الامر حتى يضع الصلاة ويخرجها من وقتها وان لم يخرجها ليضع من وقتها
فهو مغرور ولما فاته من فضيلة أول الوقت وان لم يقته فهو مغرور ولا سرافة في الماء وان لم يسرف فهو
مغرور ولتضييع العمر الذي هو أمر الاشياء فماله مندوحة عنه الا أن الشيطان يصنع الخلق من الله
بطريق سني ولا يقدر على هذا العباد الا بما يتجمل اليهم انه عبادة فيبعد هم عن الله بمثل ذلك (وفرقة
أخرى) غلب عليها الوسوسة في نية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعقلنية بحجة بل يشوش عليه
حتى تقوية الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت وان تم تكبيره فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته
وقد بوسوسون في التكبير حتى قد يشعرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في أول
الصلاة ثم يفعلون في جميع الصلاة فلا يحضرون قلوبهم ويتركون بذلك يفعلون أنهم اذا أتوا
أنفسهم في تصحيح النية في أول الصلاة وتغفروا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير
عند ربهم (وفرقة أخرى) تغلب عليهم الوسوسة في إخراج خروف الفاتحة وسائر الأذكار من
تخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق بين الضاد والطاء وتصحيح تخارج الحروف في جميع
صلاته لا يهمل فيه ولا يفكر فيما سواه اذ هلا من معنى القرآن والاتعاظ به وصرف القهم الى أسرار
وهذا من أقيم أنواع الغرور فانه لم لحف الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق تخارج الحروف الا
بما جرت به عادتهم في الكلام ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة الى مجلس سلطان وأمر أن يؤدبها
على وجهها فخذت في الرسالة ثانياً في تخارج الحروف ويكررها ويعد هامة بعد أخرى وهو
في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فالأمره بأن تقام عليه السبابة فوراً الذي ار
المجانين ويحكم عليه بفقد العقل (وفرقة أخرى) اعتروا بقرادة القرآن فيذونه هذا ومن يما يتحمونه في

اليوم واليلة مرة ولسان أحدهم يجري به وقلبه يترد في أودية الأمانى "اذلا يتكرر في معاني القرآن
 ليتجزى رواجره ينقطع بمواظمتهم يقف عند أمره ونواهيه يعتبر بمواضع الاعتبار فيه الى غير ذلك
 مما ذكرناه في كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن أن المقصود من انزال القرآن
 المهمة مع الغفلة عنه ومثاله مثال عبد كسب البه مولاه ومالكه كتابا وأشار عليه فيه بالامر
 والنهي فلم يصرف عنايته الى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستعبر على خلاف
 ما أمر به مولاه الا أنه يكرر الكلب بصوته ونغمته كل يوم مائة مرة فهو مستحق العقوبة ومهما ظن
 أن ذلك هو المراد منه فهو مغرور نعم تلاوته انما تراد لكي لا ينسى بل لحفظه وحفظه يراد لغناه ومعناه
 يراد العمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو شرؤه يظن بالاستلذاذ به و يظن
 أن ذلك لذته متاجاة الله تعالى وسماع كلامه وانما هي لذته في ضوئه ولورده الحانة بشعره وكلام
 آخر لا لتذبه ذلك الالتذاذ فهو مغرور اذ لم يتفقد قلبه فيعرفه أن لذته بكلام الله تعالى من حيث حسن
 نظمه ومعانيه أو بصوته (وفرقة أخرى) اغترى بالاصوم وبما صاموا الدهر وأوصاموا الايام
 الشريفة وهم فيها لا يحفظون أسنتهم عن الغيبة وخواطهم عن الزيادة يطونهم عن الحرام عند
 الاضطرار وأسنتهم عن الهذيان بأنواع الفضول طول النهار وهو ميع ذلك يظن بنفسه الخير فيحمل
 القرائض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور (وفرقة أخرى) اغترى بالالحج فيخرجون
 الى الحج من غير خروج من المطالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدین وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون
 ذلك بعد سقوط حجة الاسلام ويضعون في الطريق الصلاة والقرائض ويجزئهم عن طهارة الثوب
 والبدن ويعترضون لمكس التظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يجتهدون في الطريق من الرقت وانحصام
 ور بما جمع بعضهم الحرام وانفقته على الرقة في الطريق وهو يطلب به السعة والرياء فيعصى الله
 تعالى في كسب الحرام أولا وفي انفاقه بالرياء ثانيا فلا هو أخذ من حله ولا هو وضعه في حقه ثم
 يحضر البيت بقلب ملوث برذائل الاخلاق وذم الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك
 يظن أنه على خير من ربه فهو مغرور (وفرقة أخرى) أخذت في طريق الحسبة والامر بالمعروف
 والنهي عن المنكر ينكر على الناس وبأمرهم بالخير ونهى نفسه واذن أمرهم بالخير عنف وطلب
 الرياسة والعزة واذن بالشر منكرا ورذ عليه غضب وقال أنا المحتسب فكيف تنكر على وقد يجمع الناس
 الى مسجده ومن تأخر عنه أغلظ القول عليه وانما غرضه الرياء والياسة ولو قام بتعهد المسعد غيره
 لحرد عليه بل منهم من يؤذن ويظن أنه يؤذن لله ولوجه غيره واذن في وقت غيبته قامت عليه
 القيامة وقال لم آخذ حتى وزوجت على مرتبتي وكذلك قد تقلد امامة مسعد و يظن أنه على خير
 وانما غرضه أن يقال انه امام المسجد فلو تقدم غيره وان كان أروع وأعلم منه تقل عليه (وفرقة
 أخرى) جاوروا بمكة أو المدينة واغترى بذلك ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهر واطهارهم واطمأن قلوبهم
 معلقة بسلامهم ملتقة الى قول من يعرفه ان فلانا جاء وبمكة وتراه يعتدي ويقول قسجا ورت بمكة
 كذا كذا اسنة واذ اسمع أن ذلك قبيح تزلصر على الصدى وأحب أن يعرفه الناس بذلك ثم انه قد
 يجاور ويغصين طمعه الى أوساخ أموال الناس واذ اجمع من ذلك شيئا شاع به وأمسكه ولم تسمع
 نفسه بلقمة يصبغتها على قفيرة يظهر فيه الرياء والبخل والطمع وجملة من الملكت كان عنها
 بمغل لوزن الجواررة ولكن حب الحمة وأن يقال انه من المجاورين الزمة المجاور ومع التصحيح هذه
 الرذائل فهو أيضا مغرور وما من عمل من الاعمال وعبادة من العبادات الا وفيها آفات فمن لم يعرف
 مداخل آفاتهما واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شر ذلك الا من جملة كتب احياء علوم الدين

فيعرف مداخل الغرور في الصلاة من كلب الصلاة وفي الحج من كلب الحج والركعة والتلاوة وسائر
 القربات من الكسب التي رغبها فيها وانما الغرض الآن الإشارة الى مجاميع ما سبق في الكسب
 (وفرقه أخرى) ذهبت في المال وقعت من البس والطعام باليون ومن المسكن بالمسا جودت
 أنها أدركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه اما بالعلم أو بالوعظ أو بمجرد الزهد
 فقد ترك أهون الآخرين وبأعظم المهلكين فان الجاه أعظم من المال ولو ترك الجاه وأخذ المال
 كان الى السلامة أقرب فهذا مغرور إذ ظن أنه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدرك
 منتهى لذاتها الرياسة وأن الراغب فيها لا يتوان أن يكون منافقا وحسودا ومكبرا ومرتبا ومتصفا
 بجميع خبايا الأخلاق نعم وقد ترك الرياسة وتوارى في الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور إذ يتناول
 بذلك على الأضياء ويخشن معهم الكلام وينظر اليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو
 لهم وذهب بعلمه ويتصف بخصلة من خبايا القلوب وهو لا يدري وربما يطي المال فلا يأخذه
 خيفة من أن يقال بطل زهدك ولو قيل له انه حلال فخذ في الطاهر ورزقه في الخفية لم يسمع به نفسه
 خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من المذاييب الدنيا يرى نفسه أنه زاهد في الدنيا
 وهو مغرور ومع ذلك فرجما لا يخلص من ترقب الأضياء وتقديمهم على الفقراء والميل الى المريدين له
 والمثنين عليه والنفرة عن المائلين الى غيره من الزهاد وكل ذلك خدمة وغرور من الشيطان فهو ذا الله
 منه وفي العباد من يشدد على نفسه في أعمال الجوارح حتى ربما يصلى في اليوم والميلة مثلا ألف
 ركعة ويصوم القربان وهو في جميع ذلك لا يحضر له إعادة القلب وتفقده وتطهيره من الزيادة والكبر
 والعجب وسائر المهلكات فلا يدري أن ذلك مهلك وان علم فلا يظن بنفسه ذلك وان ظن بنفسه ذلك
 توهم أنه مغرور له لعله الظاهر والله ضير مؤاخبا حوال القلب وان توهم فيظن أن العبادات
 الظاهرة ترجحها كفة حسناته وهيات وذرة من ذي تقوى وخلق واحد من أخلاق الأكلس
 أفضل من أمثال الجبال حملا بالجوارح ثم لا يتلوها هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته
 وتلوذ باطنه من الرياء وحبا للثناء فاذا أقبل له أنت من أواد الأرض وأولياء الله أحبا به فرح
 المغرور بذلك وصيق به وزاد ذلك غرورا وظن أن تركية الناس له دليل على كونه مرضيا عند
 الله ولا يدري أن ذلك لجهل الناس بخبايا باطنه (وفرقه أخرى) حرصت على التواقل ولم يعظم
 اعتدادها بالقرائن ترى أحدهم يفرح بصلاة الضحي و بصلاة الليل وأمثال هذه التواقل ولا يجد
 للقرينة للذة ولا يشهد حرصه على المبادرة به في أول الوقت ونسي قوله صلى الله عليه وسلم فيما
 يرويه عن ربه ما تقرب المقربون الى بمثل أداما اقترضت عليهم وترك الترتيب بين الخبيرات من
 جملة الشرور بل قد يعين على الانسان فرضان أحدهما غيوت والآخرة غيوت أو فضلان
 أحدهما ضيق وقهوا الآخر تسع وقته فان لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا وتطرت ذلك أكثر من
 أن تحصى فان المصيبة ظاهرة والطاعة ظاهرة وانما التفاضل تقديم بعض الطاعات على بعض
 كتقديم الفرائض كلها على التواقل وتقديم فروض الإعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض
 كفاية لا تأخذه على ما قام به غيره وتقديم الأهم من فروض الإعيان على ما دونه وتقديم ما غيوت على
 ما لا غيوت وهذا كما يجب تقديم حاجة الولاية على حاجة الولاية نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قبل له من أثر بارسل الله قال أهلك قال نعم من قال أهلك قال نعم من قال أهلك قال نعم من قال أهلك قال
 نعم من قال أهلك قال نعم من قال أهلك قال نعم من قال أهلك قال نعم من قال أهلك قال نعم من قال أهلك
 قال نعم من قال أهلك قال نعم من قال أهلك قال نعم من قال أهلك قال نعم من قال أهلك قال نعم من قال أهلك

حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض أتم على فرض هودونه وكذلك إذا كان على الصدميعاد
ودخل وقت الجمعة فاجبة نفوت والاشتغال بالوفاء بالوعد معصية وإن كان هو طاعة في نفسه وكذلك
قد نصيب ثوبه التجاسة فغلط القول على أبويه وأهله بسبب ذلك فالنجاسة محدورة وأبدا وهما
محدور والمحدور من الإيذاء أتم من الحد من التجاسة وأمثلة تقابل المحدورات والطاعات
لا تنصرف من ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور في غاية الغرور لأن الغرور فيه
في طاعة إلا أنه لا يقطن لصيرورة الطاعة معصية حيث تركها طاعة واجبة هي أتم منها ومن
جلته الاشتغال بالذهب والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل من الطاعات والمعاصي
الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح المتعلقة بالقلب لأن مقصود الفقه معرفة ما يحتاج إليه غيره
في حوائج فقرة ما يحتاج هو إليه في قلبه أو لبيده إلا أن حبال ياسة والجاء ولذا الباهة وقهر
الأقران والتقدم عليهم يعني عليه حتى يفتر به مع نفسه ونظن أنه مشغول بهم بدنه
في الصنف الثالث المتصور فقام أغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق كثيرة (ففرقة منهم)
وهم مشغوفة أهل الزمان الأمن عصمه الله اغترى بالزى والهبة والمنطق فساعدوا الصادقين من
الصنوفية في زعمهم وهنتهم وفي ألفاظهم وفي آدابهم وراسمهم وأصطلحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة
في السخا والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع الطراق الراس وادخاله في
الحجب كالتسكرو في نفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث إلى غير ذلك من التماثل
والهبات فلما تسكفوا هذه الأمور وتشبهوا بهم فهاطنوا أنهم أيضا صوفية ولم يتبعوا أنفسهم قط
في المحادة والرابضة ومرآة القلب ونظير الباطن والظاهر من الأناج الخفية والجلية وكل ذلك
من أوائل منازل التصوف ولوفرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعتدوا أنفسهم في الصنوفية كيف
ولم يحموا مواقف حولا ولم يسوموا أنفسهم شيئا منها بل تكلموا على الحرام والشهوات وأمور
النسلاطين ويتنافسون في الرصف والفلس والحسنة وضاسدون على التقير والقصير ويمزق
بعضهم أمراض بعض مما خالفه في شيء من عرضه وهؤلاء غرورهم ظاهري ومثلهم مثال امرأه
مخوزيمت أن الشجعان والابطال من المقاتلين ثبتت أسماؤهم في الديوان ويقطع لكل واحد
منهم قطرم أقطار الملكة فتناقت نفسها إلى أن يقطع لها ملكة تلبست درعا وضعت على رأسها
مغفرا وتعلت من رجز الابطال آياتا وتعودت أرباد تلك الآيات بنغماتهم حتى تبسرت عليها وتعلت
كيفية تبسرتهم في الميدان وكيف تحركهم الأيدي وتلقفت جميع شملتهم في الزى والمنطق
والحرركات والسككات ثم توجهت إلى المعسكر لثبت اسمها في ديوان الشجعان فلما وصلت إلى المعسكر
أفندت إلى ديوان العرض وأمر بأن تجرد من المغر والدرع وينظر ما تقتومتمن بالمبارزة مع بعض
الشجعان ليفرق قدر عناتها في الشجاعة فلما جردت من المغر والدرع فأنهى عجز ضعيفة زمرة
لا تطيق حمل الدرع والمغر فقتل لها أجشت للاستزاه بالملك ولا استغفاف بأهل حضرته
والنيلين عليهم خذوها فاة وهاقدام القيل لنضفها فاة القيل فكذلك يكون حال المدفنين
للتصوف في القيامة إذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الأكبر الذي لا ينظر إلى الزى
والرقع بل إلى سر القلب (وفرقة أخرى) زادت على هؤلاء في الغرور واشتد عليها الاعتداء بهم
في بلادة الثياب والرضا بالدون فأرادت أن تتظاهر بالتصوف ولم تجد دناءة الترتيب فيهم فتركوا
الجزير والارسم وطمخوا المرقعات النغسية والقوط الرقيقة والسجادات المصبغة قبلوسوا من
الثياب ما هو أرفع قيمته من الحرير والابرسم وظن أحدكم مع ذلك أنه متصوف يجر دلون التوب

وكونه مرفعا ونسي أنهم إنما لقوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لئلا القويح وانما
 لبسوا المرفعات لئلا كانت ثيابهم مخزقة فكانوا يرفعونها ولا يلبسون الجديد فأما تقطع القوط
 الرقيقة قطعة قطعة وخياطة المرفعات منها في أم شسنة ما اعتادوه هؤلاء أظهر حياقتهم وكافة
 المغرورين فانهم يشعرون بنفس الثياب ولذيذ الأطعمة ويطولون بعد العيش وما يكون أموال
 السلاطين ولا يجتنبون المقاصي الطاهرة فضلا عن الباطنة فهم مع ذلك يظنون بأنفسهم أغبر وشر
 هؤلاء ما يتعدى إلى الخلق لئلا يهلك من يقتدي بهم ومن لا يقتدي بهم فسد عقيدته في أهل التصوف
 كافوا يظنون أن جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من شؤون
 المشبهين وشهرهم (وفرقة أخرى) اتعنت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاورة المقامات
 والاحوال والملازمة في عين الشهود والوصول إلى القرب ولا يعرف هذه الأمور إلا بالاسم
 والالفاظ لانه تلقف من ألفاظ الطامات كانت فهو يردها ويطن أن ذلك أعلى من علم الأولين
 والآخريين فهو ينظر إلى الفقهاء والمفسرين والمحدثين وأصناف العلماء بين الأزار فضلا عن العلوم
 حتى أن الفلاح ليرتكب فلاحته والحياتك ليرتكب حياكمي بلازمهم أيا ما معدودة وتلقف منهم تلك
 الكلمات المزيفة فيردها كأنه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الأسرار ويستعبد لك جميع العباد
 والعلاء فيقول في العباد أنهم أجراء متعبون ويقول في العلماء أنهم بالحديث عن الله يجمعون ويذبح
 لنفسه أنه الواصل إلى الحق وأنه من المقربين وهو عند الله من القبار المتأقين وعنده أبواب
 القلوب من الحق الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب محلا ولم يرتب قلبا سوى اتباع
 الهوى وتلقف المسذنين وحفظه (وفرقة أخرى) وقعت في الإباحة وطون وإسقاط الشرع
 ورفضوا الأحكام وسووا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم أن الله مستغن عن عمل فلم تعب نفسه
 وبعضهم يقول قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك لئلا يتقلبوا
 ما لا يمكن وانما يفتري به من لم يجرب زوايا نحن قد جربنا وأدركنا أن ذلك محال ولا يعلم إلا حق أن
 الناس لم يكنوا أقالم الشهوة والغضب من أصلهم بل إنما كلفوا قلع ما ذهبا بحيث يتقاعل واحد منهما
 لحكم العقل والشروع وبعضهم يقول الأعمال بالجوارح لا وزن لها وانما النظر إلى القلوب وقلوبنا
 والمهجة يحب الله واصله إلى معرفة الله وانما تخوض في الدنيا بأبداننا وقلوبنا كما في الحضرة
 الربوبية فمن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب يزعمون أنهم قدر قوا من رتبة العوام واستغنوا
 عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية وإن الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها ويرفعون
 درجة أنفسهم إلى درجة الأنبياء عليهم السلام إذ كانت تصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة
 حتى كانوا يسمون عليها وينوحون سنين متواليات وأصناف ضرور أهل الإباحة من المشبهين
 بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على أغالط وسواس يصددهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة
 قبل أحكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم صابح لا اقتداء به وإحشاء أصنافهم
 يطول (وفرقة أخرى) جاوزت حد هؤلاء واجتفت الأعمال وطلبت الحلال واشتغلته بتقيد
 القلب وصار أحدهم يذبح للمقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على
 حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وأقاماتهم من يذبح للوجد والحب لله تعالى ويرغم
 أنه والله بالله ولعله قد قيل في الله خيالات هي بدعة أو كفر فذبح حب الله قبل معرفته ثم إنه لا يخلو
 عن مقارنة ما يكره الله عز وجل وعن إشارته في نفسه على أمر الله عز وجل بعض الأمور حيلة من
 الخلق ولو خلا لتركه حياء من الله تعالى وليس يدري أن كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل

الى القناعة والتوكل فيغوض البوادي من غير زاد ليصح دعوى التوكل وليس يدري أن ذلك بدعة
لم يتخل عن السلف والعجاية وقد كانوا يعرفون التوكل منه فافهموا أن التوكل المخاطرة بالروح وترك
الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لآخى الزاد وهذا بما يترك الزاد وهو متوكل
على سبب من الاسباب واتق به وما من مقام من المقامات النجيات الا وفيه غرور وقد افتر به قوم
وقد ذكرنا ما دخل الآفات في ربع النجيات من الكب فلا يمكن احادتها (ورقة أخرى) ضيقت
على نفسها في أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص وأهملوا تفقد القلب والجوارح
في غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم من أهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومسكنه وأخذ يشغى في غير
ذلك وليس يدري المسكين أن الله تعالى لم يرش من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرش بيسائر الاعمال
دون طلب الحلال بل لا يرش به الا تفقد جميع الطاعات والمعاصي فمن ثل أن بعض هذه الامور
يكفيه وينيه فهو مغرور (ورقة أخرى) ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا الخدمة
الصوفية فجعلوا قواما تكلفوا بخدمة من اتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وانما غرضهم التكبر
وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاع وهم يظهرون أن غرضهم الارتفاع وغرضهم
الاستئناس وهم يظهرون أن غرضهم الخدمة والتبعية ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات ويتفقون
عليهم لتكثر أرباحهم ويشتروا بالخدمة اسمهم وبعضهم يأخذ أموال السلاطين ويتفق عليهم وبعضهم
يأخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية فوزعهم أن غرضه البر والافتقار وما بحث جميعهم الرياء
والسمعة وآية ذلك افعالهم جميع أوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم بأخذ الحرام
والافتقار منه ومثال من يتفق الحرام في طريق الحج لأرادة الخير كمن يهرس ماسدا لله فيطبخها بالعدرة
ويزم أن قصد العبادة (ورقة أخرى) اشتغلوا بالمجاهدة وتغيبوا عن اخلاق وتظهر النفس
من عيوبها وصاروا يتفقون فيها فاتخذوا البص عن عيوب النفس ومعرفة قد صدقوا على حرفة فهم
في جميع أحوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام في آفاتها فيقولون
هذا في النفس عيب والنفسه عن كونه عيبا عيبوا الالتفات الى كونه عيبا عيبوا يشغفون فيه
بكلمات مسلسلة تضعع الاوقات في تلقيقها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن العيوب وتجرى علم
علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يقنيه
(ورقة أخرى) جاوزوا هذه الزينة وابتدؤا سلوك الطريق وانفتح لهم أبواب المعرفة فكلمنا تشتموا
من مبادئ المعرفة راحة تهبوا منها وفرحوا بها وأحجبتهم غرايتها فتقدت قلوبهم بالاتفات اليها
والتفكير فيها وفي كيفية افتتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور ولا نعتاب طريق
الله ليس لما نهاية فلو وقف مع كل أعوبة وتقدت خطاها وحرم الوصول الى المقصد وكان
مثاله مثال من قصد ملكا فرأى على باب مبدانه روضة فيها أزهار وأوراق بلكن قدرأى قبل ذلك
مثاله فوقف ينظر اليها وشبه حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك (ورقة أخرى) جاوزوا
هؤلاء ولم يلتفتوا الى ما غرض عليهم من الانوار في الطريق ولا الى ما يترسكهم من الطبايا الجريرة ولم
يعرجوا على الفرع بها والاتفات اليها ياذن في السير حتى قاربوا فوصلوا الى حبل القربة الى الله تعالى
فقطوا أنهم قد وصلوا الى الله فوقفوا وغلطوا فان الله تعالى سميع عليم ما من نور لا يصل السالك الى
حجاب من تلك الجب في الطريق الا وقلن أنه قد وصل واليه الاشارة بقول ابراهيم عليه السلام
اذ قال الله تعالى احبوا الله فاحببنا اليه انفسكم ان الله تعالى على كل شيء شامع وليس العني به هذه الاجسام
النجسية فانه كان رهاق الصغير وعلم أنها ليست آلهة فهي كثيرة وليست وابدوا لجهل بلعون

أن الكوكب لبس بالله مثل إبراهيم عليه السلام لا يفتره الكوكب الذي لا يفتر التساوية ولكن المراد
به أنه نور من الأنوار التي هي من جنب الله عز وجل وهي على طريق النالكين ولا يتصور الوصول
إلى الله تعالى إلا بالوصول إلى هذه الجب وهي جب من نور بعضها أكثر من بعض وأصغر التبررات
الكوكب فاستعمله لقطعه وأعظمها الشمس وبينهما رتبة العرف فلمزل إبراهيم عليه السلام لما رأى
ملكوت السموات حيث قال تعالى وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض يصل إلى نور
بعدنور ويصل إليه في أول ما كان يقناه أنه قد وصل ثم كان يكشف له أن وراءه أمراً فترقى إليه
ويقول قد وصلت فكشف له ما وراءه حتى وصل إلى الجب الأقرب الذي لا وصول إلا بعده فقال
هذا أكبر فلما ظهر له أنه مع عظمه غير خال عن الهوى في حضيض النقص والاختطاط من
ذروة النكال قال لا أحب الآلدين إنى وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض وسألك هذه
الطريق قد يفترى في الوقوف على بعض هذه الجب وقد يفتر الجلب الأول وأول الجب بين الله
وبين العبد هو نفسه فانه أيضاً أمر رباني وهو نور من أنوار الله تعالى أعني سر القلب الذي تعيل فيه
حقيقة الحق كله حتى أنه ليسع لجللة العالم ويحيط به وتعيل فيه صورة الكل وعند ذلك شرق نوره
أشراقاً عظيماً إذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في أول الأمر محبوب بمشكاة هي كالستر له
فأذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد اشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب إلى القلب
فهرى من جماله الفائق ما يدعته ويرى ما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول أنا الحق فان لم يتضح له
ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكونه كصغير من أنوار الحضرة الإلهية
ولم يصل بعد إلى العرف فضلاً عن الشمس فهو مغرور وهذا العمل الالتباس إذ الجلب لبس بالجب
فيه كما لبس لون ما يترأى في المرأة بالمرأة فيظن أنه لون المرأة وكما لبس ما في الزجاجة بالزجاج
كما قيل **رق الزجاجة وورقت الخمر * ففشاها فتشاكل الأمر**
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

وهذه العين نظر النصارى إلى المسيح قرأوا اشراق نور الله قد تلا فيه فظنوا فيه كن يرى كوكب في
مرأة أو في ماء فيظن أن الكوكب في المرأة أو في الماء فيمتد به إلى أخذه فهو مغرور وأنواع
الغرور في طريق السلوك إلى الله تعالى لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى إلا بعد شرح جميع علوم
المكاشفة وذلك بما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه أيضاً كان الأول تركه إذا السالك
لهذا الطريق لا يحتاج إلى أن يسعه من غيره والذي لم يسلكه لا يتفقد بمعاينه بل ربما يستغربه
أذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسع ما لا يفهم ولكن فيه فائدة وهو إخراجهم من الغرور الذي هو فيه
بل ربما صدق بأن الأمر أعظم مما ظنوه وما يتقبله بذهنه المختصر وخياله القاصر وحده الزخرف
ويصدق أيضاً بما يحكي له من المكشفات التي أخبر عنها أولياء الله من عظم ضروره بما أصر مكنها
بما يسعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل

والصنف الرابع في أبواب الأموال والمفترق منهم فرق (تفرقة منهم) يحرصون على بناء المساجد
والمدازين والرباطات والقناطر وما يظهر لئاس كافو ويكتسبون أسامهم بالأجر طلباً ليعتزلوا كرم
ويسبق بعد الموت أثرهم وهم يظنون أنهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغترؤا فيه من وجهين *
أحدهما أنهم يفتنوا من أموال الكسب وسواها من التلم والنهب والرشا والجهات المظورة فهم
قد تبرعوا السخط الذي كسبوا وتبرعوا السخط في أنفاسها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها
فأذا تبرعوا الله بكسبها فإلزاماً عليهم التوبة والرجوع إلى الله تعالى وردها إلى ملاكها إنما

بأعيانها وأما ربها عند العز فان عزها كان الملاذ كان الواجب رد هالي الورثة فان لم يسبق للتقوم وارث قالوا لوجب صرفها إلى أمتهم المصالح وربما يكون الأهم التفرقة على الساكنين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من أن لا يظهر ذلك للناس فينبون الأنيبة بالأجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم على قائمها البقاء اسمائهم المكتوبة فيها لا لبقاء الخيرة والوجه الثاني أنهم ينظنون بأنفسهم الاخلاص وقصد الخير في الاتفاق على الأنيبة ولو كلف واحد منهم أن يتفق ديناراً ولا يكتب اسمه على الموضع الذي أوقف عليه لثق عليه ذلك ولم تسمع به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه ولم يكتب ولو أنه برديه وجه الناس لا وجهه اقلنا انفقنا إلى ذلك (وفرقنا أخرى) ربما اكتسبت المال من الحلال وانفقته على المساجد وهي أيضاً ضرورة من وجهين * أحدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون في جوارحه أنه يبلدهم قراءه وصرف المال إليهم أتم وأفضل وأولى من الصرف إلى بناء المساجد وزينتها وانما يخفى عليهم الصرف إلى المساجد لظهور ذلك بين الناس * والثاني أنه يصرف إلى زخرفة المسجد وترتيبه بالنقوش التي هي منى عنها وشاغلة قلوب الصالحين ومخطفة أبصارهم والنقص من الصلاة والخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب الصالحين ويحبط ثوابهم بذلك وربما لا يكون ذلك كله يرجع إليه وهو مع ذلك يقتر به ويرى أنه من الخيرات ويعتقد ذلك وسيلة إلى الله تعالى وهو مع ذلك قد تعرض لسطع الله تعالى وهو يظن أنه مطيع له وممثل لأمره وقد شوق قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وما شوقهم به إلى زخارف الدنيا فاشتبهوا مثل ذلك في بيوتهم ويستغفون بطلبه وربما لا يكون ذلك كله في رقبته إذا المسجد لا واضع ولحضور القلب مع الله تعالى قال مالك بن دينار أتى رجلاً من مسجداً فوقف أحدهما على الباب وقال مثل لا يدخل بيت الله فكتبه الملكان عند الله صديقاً فكذا ينبغي أن نعظم المساجد وهو أن يرى ثلوث المسجد يدخله في نفسه جناية على المسجد لأن يرى ثلوث المسجد بالحرام أو يزخرف الدنيا منة على الله تعالى وقال الحارثيون للشيخ عليه السلام انظر إلى هذا المسجد ما أحسنه فقال أتى أتى يحيى أقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجراً قائماً على حجر إلا أهلكه بثلوث أهله ان الله لا يعبد بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعبدكم شيئا وان أحب الأشياء إلى الله تعالى القلوب الصالحة يا عمر الله الأرض وما تحجب اذا سكنت على غير ذلك وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زخرفت مساجدكم أو حللتم مصانعكم فالدمار عليكم وقال الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبني مسجداً للمدينة أتاه جبريل عليه السلام فقال له انه سبعة أذرع طولاً في السماء لا تزخرفه ولا تشقه فزور هذا من حيث انه رأى المتكبر معروفاً وانكسر عليه (وفرقنا أخرى) ينفقون الأموال في الصدقات على الفقراء والمساكين ويطلبون به الحوافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والافتاء المعروف ويكرهون التصديق في السر ويرون اخفاء الفقيه لما يأخذ منهم جناية عليهم وكفراً وربما يجبرهم على اتفاق المال في الحج فيعجبون منة بعد أخرى وربما تروا جبرائيلهم جباناً وذلك قال ابن مسعود في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يكون عليهم الشرف ويضططهم في الزنق ويرجعون محرومين مسلوبين هوى بأحدتهم بعيرة بين الرمال والفقار وجاره ما سؤر إلى جنبه لا بواسطة وقال أبو نصر التمار أن رجلاً جاء بوضع بشر بن الحارث وقال قد صرمت على الحج فبأمرني بشئ فقال له كم أبعدت للنفقة فقال أتي درهم قال بشر فأني شئ يتخى بحبك ترهده أو أوشيا قال ألي البيت أو أبنائه من ضياء الله قال انتباه من ضياء الله قال فان أصبحت مرضية الله تعالى وأنت في منزلك وسبق أتي درهم وتكون على يقين من مرضية الله تعالى أنتعل ذلك قل نعم قال اذهب فأعطها عشرة

أنفس مديون بقضى دينه وقصر برمه شتمه ومصيل يقى نباله ومربي يتم فقره وان قوى قلبك
تعطيه او احدا فاعل فان ادخاك السرور على قلب المسلم واناعة الهفان وكشف الضر واعانة
الضعيف أفضل من مائة حبة بعد حجة الاسلام قم فأخرجها كما أمرناك والاقبل لنا ما في قلبك فقال
يا أبا نصر سغرى أقوى في قلبى فتبسم بشر رحمه الله تعالى وأقبل عليه وقال له المال اذا جمع من وسخ
التجارات والشهات اقتضت النفس أن تفضى به وطرافا طهرت الاعمال الصالحات وقد آلى الله
على نفسه أن لا يقبل الا عمل المؤمنين (وفرقه أخرى) من أرباب الاموال اشتغلوا بما يحتفظون الاموال
ومعسكونها يحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البنية التي لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام
الليل وختم القرآن وهم مغرورون لان البخل المالك قد استولى على بواطنهم فهو يحتاج الى قعه باخراج
المال فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ومثاله مثال من دخل في ثوبه خنوقا أو شرف على
الملاك وهو مشغول بطبخ السكبين ليسكن به الصقراء ومن قتله الحية متى يحتاج الى السكبين
ولذلك قيل لبشران فلانا القنى كثير الصوم والصلاة فقال المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره وانما
حال هذا الطعام الطعام البصاع والافتاق على الساكن فهذا أفضل له من تجرعه نفسه ومن صلاته
لنفسه مع جعه للدنيا ومنعه للفقراء (وفرقه أخرى) عظيم البخل فلا تسمح نفوسهم بالابادة الا كانه كقط
ثم لهم يخرجون من المال الخبيث الردى الذى يربحون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم وينزود
في حاجتهم أو من يحتاجون اليه في المستقبل للاستعانة في خدمة أو من لم فيه على الجلفة غرض
أو يسئلون ذلك ان من عينه واحد من الأكرام يستطهر بحشمه لينال ذلك عنده منزلة فيقوم
بجأته وكل ذلك مفسدات لينة ومجربات لعل وصاحبه مغرور وظن أنه مطيع لله تعالى وهو
فاجرا دلب بعبادة الله عوضا من غيره فهذا وامثاله من غرور أصحاب الاموال ايضا لا ينجى وانما
ذكرنا هذا التقدير لنتبينه على اجناس الغرور (وفرقه أخرى) من عوام الخلق وأرباب الاموال
والفقراء اعتروا بحضور مجالس الادراك واعتقدوا أن ذلك فضهم وبكفهم واتخذوا ذلك عادة وفتنون
أن لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاط اجرا وهم مغرورون لان فضل مجلس الذكر
ليكونه ممرضا في الخير فان لم يجمع الرغبة فلا خيره فيه والرغبة مجودة لا تهافت على العمل فان ضعفت
عن الجلس على العمل فلا خيره فيها وما يراد لغيره فاذا قصر عن الاداء الى ذلك الغير فلا قيمة له وما يفتن
بما سمعه من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل الكمال وما يفتن به بركة النساء فيسكن
ولا يزعم وربما يسمع كلاما يخوفه فلا يزيد على أن يصفق بيديه ويقول يا اسلام سلم أو نعوذ بالله أو سبحان
الله وظن أنه قد أتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثاله مثال المريض الذى يحضر مجالس الاطباء
فيسمع ما يحيرى أو الجانيح الذى يحضر منده من يصف له الاطعمة الذليلة الشبهة ثم ينصرف وذلك
لا يفتنى عنه من مرضه وجوعه شيئا فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل بها لا يفتنى من الله
شيئا فكل وعظ لا يغير منك شيئا فغيرا فعلى حتى تقبل على الله تعالى لئلا تقربا أو ضعفا
وقعرض عن الدنيا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رأيت به وسيلة لك كتبت مغرورا فان قلت
فاذا ذكرته من مداخل الغرور امر لا يخلص منه أحد ولا يمكن الاحتراز منه وهذا من حجب اليأس
اذ لا يقوى أحد من البشر على الحذر من خبايا هذه الآفات فاقول الانسان اذا اقرت همته في شئ
أظهر اليأس منه واستعظم الامر واستصره الطريق واتداهج منه الهوى اهتدى الى الخلل واستنبط
بدقيق النظر خلفا للطريق في الوصول الى الغرض حتى أن الانسان اذا أراد أن يستزل الطير المحلق
في جوار السماء مع بعده منه استزله وانما أراد أن يخرج الحوت من أعماق البحار استخرجه واذا أراد أن

يستخرج الذهب والفضة من تحت الجبال استخرجه واذا أراد أن يقتنص الوحوش المطلقة في
البراري والصحارى اقتنصها واذا أراد أن يستخرج السباع والقبيلة وعظيم الحيوانات استسخرها
واذا أراد أن يأخذ الحيات والأفاعي ويثبتها أخذها واستخرج الدرياق من أجوافها واذا
أراد أن ينقذ المديناج الملون المنقش من ورق التوت اتخذها واذا أراد أن يعرف مقادير الكواكب
وطولها وعرضها استخرج يدق الهندسة ذلك وهو مستقر على الأرض وكل ذلك باستنباط الحيل
وأعداد الآلات فستخر الفرس للركوب والكلب للصيد وسفر البازي لاقتناص الطيور
وهيا الشبيكة لأصطياد السمك الى غير ذلك من دقائق حيل الأدي كل ذلك لان همه أمر دنياه
وذلك معين له على دنياه فلو أهمله أمر آخره فليس عليه الاشغل واحده هو تقويم قلبه فيخرج
تقويم قلبه مؤتخذاً وقال هذا الخيال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بحال لو أصبح وبهسه هذا
الهم الواحد بل هو كما يقال لو صحت منك الهوى أرشدت للحيل فهذا هي لم يهرعته السلف
الصالحون ومن اتبعهم بأحسن فلا يهز عنه ايضاً من صدقت ارادته وقوت هيمته بل لا يحتاج
الى عشر نسب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم أساليبها فان قلت قد قربت الامر فيه مع أنك
اكثرت في ذكر مدخل الغرور ثم نبحو الصدمن الغرور فاعلم أنه يفيومنه ثلاثة أمور بالعلم والعلم
والعرفة فهذه ثلاثة أمور لا بد منها * أما العقل فاعني به الفطرة الغريزية والنور الاصيل الذي
به يدرلك الانسان حقائق الاشياء فالفطنة الكيس فطرة والحق والبلادة فطرة والبلد لا يقدر
على التصطنع الغرور فصفاء العقل وذكاء الفهم لا بد منه في أصل الفطرة فهذا وان لم يفطر عليه
الانسان فاكتسابه غير ممكن نعم اذا حصل أصله أمكن تقويته بالممارسة فأساس السعادات كلها
العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبارك الله الذي قسم العقل بين عباده ما شئت انا ان
الرجل ليستوي عملهما ويرهما وصورهما وضلتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في خضب
أحمد وما قسم الله خلقه خطأ هو أفضل من العقل واليقين وعن أبي الدرداء أنه قيل يا رسول الله
أرايت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويصوم ويصدق ويفرز في سبيل الله يعود المريض
ويشجع الجنائز ويعين الضعيف ولا يعلم منزلته عند الله يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما يجزي على قدر عقله وقال أنس أننى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انيرا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقله قالوا يا رسول الله يقول من صابته فضله وخلقته
فقال كيف عقله فان الاحق يصعب بحقه أعظم من غور الفاجر وانما يقرب الناس يوم القيامة على
قدر عقولهم وقال أبو الدرداء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه من رجل شدة عبادة سأل
عن عقله فاذا قالوا اجسن قال أرجوه وان قالوا غير ذلك قال لن يبلغه وذ كر له شدة عبادة رجل فقال
كيف عقله قالوا ليس بشئ قال لم يبلغ صاحبكم حيث تعلمون فالد كاه وصحة عزيزة العقل نعمة من الله
تعالى في أصل الفطرة فان كانت بلادة وحقاقة فلا تدارك لها * الثاني المعرفة واعني بالمعرفة ان
يعرف أربعة أمور يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة يعرف نفسه بالعبودية
والذل ويكونه ضريباً في هذا العالم وأجنبياً من هذه الشهوات الهيمية وانما المواقيط طبعها معرفة
الله تعالى والنظر الى وجهه فقط فلا يصور ان يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه فليس يستغن
على هذا ايجاد كرماء في كتاب الجنة وفي كتاب شرح عجائب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر ان فيها
اشارات الى وصف النفس والى وصف جلال الله ويحصل به التنبه على الجلالة وكال المعرفة وراعه
فان هذا من علوم المكشفة لم تطلب في هذا الكتاب الا في علوم المعاملة وأما معرفة الدنيا والآخرة

فيستعين عليها بما ذكرناه في كتاب دُم الدنيا وكتاب ذكر الموت ليتبين له أن لانسنة للدنيا إلى الآخرة فإذا عرف نفسه ورَبِّه وعرف الدنيا والآخرة تآمر من قلبه بمعرفة الله حب الله بمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها ومعرفة الدنيا الرغبة عنها وبصير أهتمامه بأموره ما يوصله إلى الله تعالى وينفعه في الآخرة وإذا غلبت هذه الإرادة على قلبه صحت نيته في الأمور كلها فإن أكل مثلاً أو اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده هذه الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته واندمغ عنه كل غرور ومنشأ تجاذب الأغراض والتزوع إلى الدنيا وإلجاء المال فإن ذلك هو الفساد للنية ومادامت الدنيا أحب إليه من الآخرة وهوى نفسه أحب إليه من رضا الله تعالى فلا يمكنه الخلاص من الغرور فإذا غلب حب الله على قلبه بمعرفته بالله وبه نفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج إلى المعنى الثالث وهو العلم بأعنى العلم بمعرفة كيفية سلوك الطريق إلى الله والعلم بما يقربه من الله وما يبعده عنه والعلم بأفات الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد أودعناه في كتب أحياء علوم الدين فيعرف من ربح العبادات شروطها فيراعيها وأفاتها فيقيمها ومن ربح العادات أسرار المعاش وما هو مضطرا إليه فيأخذ به بأدب الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه ومن ربح المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة في طريق الله فإن المانع من القبال صفات المذمومة في الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربح النجيات الصفات المحمودة التي لا بد وأن توضع خلفا من المذمومة بعد محوها فإذا أحاط بجميع ذلك أمكنه الحذر من الأنواع التي أشرنا إليها من الغرور وأصل ذلك كله أن يظلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الإرادة وتصحبه النية ولا يحصل ذلك إلا بالمعرفة التي ذكرناها فإن قلبه إذا قل جميع ذلك فالذي يخاف عليه فأقول يخاف عليه أن يتجده الشيطان ويدعوه إلى نصيح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس إلى ما عرفه من دين الله فإن المراد المخلص إذا فرغ من تهذيب نفسه وأخلاقه وراقب القلب حتى صفاه من جميع المكدرات واستوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا في عينه فتركها وانقطع طمعه من الخلق فلم يلتفت إليهم ولم يبق له إلا هم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق إلى لقائه وقد عجز الشيطان عن اغوائه ذاتاً بمن جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطعمه فيأتيه من جهة الدين ويدعوه إلى الرحمة على خلق الله والشفقة على دينهم والنصح لهم والتمناه إلى الله فينظر العبد برحمته إلى العبد فيراهم حيارى في أمرهم سكارى في دينهم صامحاً قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وفقدوا الطبيب وأشر فواعلى العطب فغلب كبر قلبه الرحمة ولم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهدمهم وبين لهم ضلالتهم ورشدتهم إلى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب مؤنة ولا زوم غرامة فكان مثله كشل رجل كان بهاء عظيم لا يطاق أكله وقد كان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربه أن الألم فوق عليه دواء صفواصفوا من غير غش ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله قيرى وضع قطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهذا بالنهاية بشدة القلق وطاب عينه بعد نهاية الكدر وأصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم تنظر إلى عدد كثير من المسلمين وأدائهم تلك العلة يعنيها وقد كمال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع إلى السماء أن يهتم فتذكر أن دواهم هو الذي يعرفه ويقدر على شفائهم بأسهل ما يكون وفي أرجى زمان فأخفف الرحمة والرافة ولم يجد قطعة من نفسه في التخلي عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد أن اهتدى إلى الطريق وشفي من أمراض القلوب شاهده الخلق وقد حشيت قلوبهم وأعزل دأؤهم وقرب هلاكهم واشتاقوهم وسهل عليه دواؤهم فأنبعث من خلق نفسه عزم جازم في الاشتغال بنجيتهم وحرّضه الشيطان على ذلك رجاء أن

يجذب بالافتنة فلما اشتغل بذلك وجد الشيطان مجالاً للفتنة فدعاه الى الرياسة دعاه خفياً أخفى من
 ديب النمل لا يشعر به الردي فلم يزل ذلك الديب في قلبه حتى دعاه الى التصنع والترن للخلق بخصين
 الاقطار والنمات والخرصات والتصنع في الري والمهينة فأقبل الناس اليه بغطونه وبجلونه
 وبوقريته وتوقير ايز يدعى توقير الملوك ادراؤ مشافلا دوائهم بحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار
 أحب اليهم من آبائهم وأمهاتهم وآقاربهم فأزروه بأبدانهم وأموالهم وصاروا له خولا كالعبيد والخدم
 يخدمونه وقد صموا في المحافل وحكموه على الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس
 وذابت لذة الهام من لذة أصابت من الدنيا شهوة يستقر معها كل شهوة فكان قدر ذلك الدنيا فوقع في
 أعظم لذاتها فعند ذلك وجد الشيطان فرصة فوامتدب الى قلبه بده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه
 تلك اللذة وأماره انتشار الطبع وركون النفس الى الشيطان أنه لو أخطأ فرد عليه بين يدي الخلق
 غضب فاذا انكر على نفسه ما وجد من الغضب يادر الشيطان يغيل اليه أن ذلك غضب لله لانه
 اذا لم يحسن اعتقاد المريد في الله فاقطعوا عن طريق الله فوقع في الغرور وقرعاً أخرجه ذلك الى الوقعة
 فبين رذيله فوقع في الغسة المظورة بعد تركه الحلال المتسع ووقع في السكر الذي هو عثرة عن قبول
 الحق والشكر عليه بعد أن كان يحذر من طوارق الخطرات وكذلك اذا سبقه النجس او قتر عن بعض
 الاوراد جرعت النفس ان يطاع عليه فيسقط قبوله فأتبع ذلك بالاستغفار وتغسل الصداه وورما زاد
 في الاحمال والاوراد لاجل ذلك والشيطان يغيل اليه انك اذا فعلت ذلك كبريا فترأى لهم عن طريق
 الله فتركون الطريق بتركه وانما ذلك خدعة وغرور بل هو جرح من النفس خيفة فوت الرياسة
 ولذلك لا يتجزع نفسه من اطلاع الناس على مثل ذلك من اقربانه بل ربما يحب ذلك ويستشير به
 ولونظهم من اقربانه من مالت القلوب الى قوله وزاد ترك كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه
 ولولا ان النفس قد استبشرت واستلقت الرياسة لكان يفتن ذلك اذ مثاله ان يرى الرجل جماعة من
 اخوانه قد صوفوا في بئر وتغطي رأس البئر بحجر كبير فيضروا عن الرقي من البئر بسببه فرق قلبه لاخوانه
 فجاء ليرفع الحجر من رأس البئر فشق عليه غلظه من اعانه على ذلك حتى يسير عليه أو كراه ذلك وشعاه
 نفسه فيعظم بذلك فرحه لاحماله اذ فرضه خلاص اخوانه من البئر فان كان غرض الناصح خلاص
 اخوانه المسلمين من النار فاذا ظهر من اجانه أو كراه ذلك لم ينقل عليه ارايت لو اهدوا جميعهم من
 انفسهم اكان ينبغي ان ينقل ذلك عليه ان كان فرضه هدايتهم فاذا اهدوا غيره فلم ينقل عليه ومهما
 وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان الى جميع كثر القلوب وقوا حش الجوارح واهلكه فنعوذ بالله من
 زينغ القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء فان قلت في يصح له ان يشتغل بنصح
 الناس فأقول انما يمكن له قصد الهداية لله تعالى وكان يود لو وجد من يهتدوا به ولما اهدوا بأنفسهم
 وانقطع بالكلية طمعهم من ثنائهم ورض اموالهم فاستوى عندهم حمدهم وذمهم فلم يبال بذهمهم اذا كان
 الله يحمده ولا يبرح يحمدهم اذ لم يفتن به حمد الله تعالى ونظر اليهم كيتطير الى السادات والى الهائم
 اما الى السادات فمن حيث انه لا يتكر عليهم ويرى كلهم خيرا منه لجهله بالخائفة واما الى الهائم فمن
 حيث انقطاع طمعهم عن طلب المترتبة في قلوبهم فانه لا يبالى كيف تراه الهائم فلا يفرق بين الهالوا لا يتصنع
 بل راغى الماشية انما فرضه ورعاية الماشية ودفع الذئب عنها دون نظرها الماشية اليه فإلم برسات الناس
 كالماشية التي لا يلتفت الي نظرها ولا يبالى بها الاسلم من الاشتغال باصلاحهم فتم ربما اضلهم ولكن
 يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كالسراج يضي مظلم ويحترق في نفسه فان قلب قلوبنا الوعظ والوعظ
 الا عند بل هذه الدرجة خلعت الدنيا من الوعظ وغربت القلوب في قول قد قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة ولو لم يحب الناس الدنيا هلك العالم وبطلت للعالمين وهلك
القلوب والأيديان جميعا لأنه صلى الله عليه وسلم علم أن حب الدنيا مهلك وأن ذكر كونه مهلكا
لا يترفع لهب من قلوب الاكثرين الا لاقلين الذين لا تحرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصيحة وذكر مافي
حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من أن يترك نفسه بالتهوات المهلكة التي سلطها الله على
عباده ليسوقهم بها الى جهنم تصديقا لقوله تعالى ولصحن حق القول مني لا ملأن جهنم من الجنة
والناس أجمعين فكذلك لا تزال ألسنة الوعاظ معلقة بحب الرياسة ولا يدعونها بقول من يقول أن
الوعظ لحب الرياسة حرام كالأبدع الخلق الشرب والزنا والسرقة والرياء والظلم وسائر المعاصي يقول
الله تعالى ورسوله أن ذلك حرام فأنظر لنفسك وكن فارغ القلب من حديث الناس فإن الله تعالى يصمم
خلقا كثيرا بأفساد شخص واحد أو أشخاص ولو لدفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض وإن
الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلق لهم فأنما يختصي أن تفسد طريق الاتعاط فأما أن تحرم ألسنة
الوعاظ ووراءهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك أبدا فإن قلت علم المرء هذه المكيدة
من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصيحة أو نصحه وراعى شرط الصدق والإخلاص فيه فما الذي
يخاف عليه وما الذي يفتني بين يديه من الأخطار وجائلا الاعتراض فأعلم أنه بقي عليه أعظم وهو أن
الشيطان يقول له فدا عجزتي وأقلت مني بك كائن وكال مقلد وقد قدرت على جعله من الأولياء
والكبراء وما قدرت عليك فأصبرك وما أعظم عند الله قدرتك وحملك إذ قوا العلي قهري وممكنك
من التفتن بلنج مداخل غروري فيصني اليوم بصدقته ويحب بنفسه في قراره من الغرور كله
فيكون أعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الأكبر فالهيب أعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان
يا ابن آدم إنا طعنت أنك بعلك تخلصت مني فيهلك قد وقعت في حباتي فان قلت فلم يحب نفسه
أدع علم أن ذلك من الله تعالى لأمته وإن مثله لا يقوى على دفع الشيطان إلا بتوفيق الله معونه ثم من
عرف ضعف نفسه وعجزه عن أقل القليل فإذا قدر على مثل هذا الأمر العظيم علم أنه لم يقو عليه بنفسه
بل بالله تعالى فالذي يخاف عليه بعد نفي الهيب فأقول يخاف عليه الغرور بفضل الله الثقة بكرمه
والأمن من مكروه حتى يظن أنه يسبق على هذه الوثيرة في المستقبل ولا يخاف من الفترة وال انقلاب
فيكون حاله الاتكال على فضل الله فقط دون أن يقارنه الخوف من مكروه ومن أمن مكر الله فهو خاسر
حذابل سبيله أن يكون مشاهدا لجهنم ذلك من فضل الله ثم خافا على نفسه أن يكون قد سدنت عليه
صعقة من صفات قلبه من حب الدنيا ورياء وسوء خلق والتفات الى عرو هو غافل عنه ويكون خائفا
أن يسلب حاله في كل طرفة عين غير آمن من مكر الله ولا غافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر لا يحصى
عنه وخوف لا نجاة منه إلا بعد محاورة الصراط ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الأولياء في وقت
الترزع وكان قد بين أنه نفس فقال أقلت مني يا فلان فقال لا يسلو ذلك قبل الناس كلهم هلكي إلا
العالمون والعاملون كلهم هلكي إلا العالمون والعاملون كلهم هلكي إلا المخلصون والمخلصون على
خطر منظم فإذا الغرور وهالك والمخلص القار من الغرور على خطر فلذلك لا يشارك الخوف والحذر
قلوب أولياء الله أبدا فسأل الله تعالى العون والتوفيق وحسن الخاتمة فان الأمور بخواتمها تم كآب
ذم الغرور وبه تم ربع المهلكات وتلوه في أربع المصليات كآب التوبة وآب الحدة وآب الآخرة وأوصى
الله وسلم على من لا نبى بعده وهو حبي وتيم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ثم طبع الجزء الثالث من كتب إحياء علوم الدين ولبه الجزء الرابع بعون الله تعالى وتوفيقه

Bibliotheca Alexandrina



0407980